مجلة الأزهر

٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم

سقيفة الصفا العلمية

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٤٩

المجلد السابع والأربعون ـ القسم الأول

السنة ١٣٩٥هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر

فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ قرشا فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الحادى عشر — السنة السابعة والأربعون — المحرم سنة ١٣٩٥ هـ — فبراير سنة ١٩٧٥ م

١٢ ح
٢٢٢٢٦ ع
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

هجرة الكرام .. الأحرار

للأستاذ عبد الرحيم فودة

يطالع المسلمون فى هلال المحرم بداية عهد جديد وتاريخ مجيد • اذ يذكرون به هجرة النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به واتبعوا النور الذى أنزل معه من مكة الى المدينة ، وكيف انتقل بها الاسلام الى أرض أخصب وأفق أرحب • وجو أطيب ، ثم أخذ نوره يشرق ويتألق ويزحف وراء ظلام الشرك والأفك فى كل اتجاه • حتى أتم الله به نعمته على الناس ، ونزل قوله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم «اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ••

ولم يمض غير قليل من الزمن حتى كانت رايته تخفق عزيزة قوية فوق ربوع الشام • واليمن • وبلاد فارس ، وحتى صار البحر الأبيض بحيرة اسلامية، وآلت الى المسلمين مقادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم ، ووصلوا الى القمة التى لم تصل اليها أمة • وتبوأوا مكانة الزعامة والأمامة كما

يقول الله: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النـاس ويـكون الرسول عليكم شهيدا » •

٢ – ولو بقى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى مكة – مع ما كانوا يقاسونه ويعـانونه من ظلم وبغى وطغيان – لبقى الاسلام معهـم يعيش مختنقا فى صدورهم بين شعاب مكة وهضابها ، ولكان أقصى ما يرجى له من بقاء أن يحيـا بهم وينطفىء نوره بانطفاء حياتهم ، ولكن الله شاء له أن يبقى ويرقى وأن تمتد حياته وحياة الناس به كما يقول سبحانه : « هو الذى أرسـل رسوله بالهـدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » وكما يفهم من قوله : يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لـما يحييكم » • ومن ثم كانت الهجرة مبدأ انطلاق النور الذى احتبس فى الصدور ، ومبدأ التحول فى تاريخ الوجود كله ، اذا انتقل العرب من عبادة الأوثان الى عبادة الله • وانتقل العالم كله كما يقول العقاد رحمـه الله : من سكون الى حركة • ومن فوضى الى نظام • ومن مهانة حيوانية الى كرامة انسانية •

٣ – وكان المهاجرون من مكة كما يقول الله فيهم: «الذين أخرجو من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسـوله أولئك هم الصادقون » وكان الأنصار فى المدينة كما يقول عنهم : « الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجـر اليهم ولا يجـدون فى صدورهم حجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وقد تألف من هؤلاء وأولئك أعظم رعيل جليل عرفته الانسانية فى تاريخها الطويل ، وأشادت بهم قبل وجودهم التوراة والانجيل كمـا يقول الله : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوهم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التـوراة ومثلـهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاسـتوى على سـوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الـكفار وعـد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » •

٤ – فالغـرض من الهجـرة كان نصرة الله واعلاء كلمتـه ولم يكن

ضيقا بأرض مكة وهى أحب أرض الله الى الله والى رسوله كما قال صلى الله عليه وسلم وهو يودعها: « والله انك لأحب أرض الله الى وانك لأحب أرض الله الى الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت » ، وكما يفهم من قول الله فى المتخلفين عنها : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . الا المستضعفين من الرجال والنساء والوالدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .

٥ ـ وقد عاد المهاجرون والأنصار ليحرروا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ويطهروا مكة « الظالم أهلها » من دنس الشرك والافك والوثنية ولينشروا دين الله فى كل ما يحيط بها من بقاع واصقاع . ثم يتابعوا جهادهم فى كل مكان يقف فيه الكفر ليحول دون الايمان ، وكان الله معهم بعونه ونصره . كما يقول جل شأنه : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

عبد الرحيم فوده

احفظ الله يحفظك

احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ..

من حديث شريف

دراسات قرآنية ·

العرب والتاريخ القمري .. الأشهر الحرم

للأستاذ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » (١) ·

وقال الله سبحانه : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » (٢) ·

البيان

كان التاريخ عند العرب يدور على الشهور القمرية ، وانهم ليسوا أهل زراعة حتى يعتمدوا على الشهور الشمسية ، ومع اعتمادهم عليها فانهم لم يكونوا يبدأون تاريخهم بسنة معينة بل كانوا يؤرخون بالوقائع الشهيرة ، مع ذكر الليلة التى حدث فيها ما يؤرخون له ، منسوبة بعددها الى الشهر القمرى ، فكانوا يقولون مثلا : حدث كذا لخمس خلون من شعبان ، أو لثلاث بقين من رجب عام الفيل أو سنة موت هشام بن المغيرة ·

ولما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون حدث كذا عام الاذن بالهجرة ، ونحو ذلك ، واستمروا على هذا النمط حتى خلافة عمر رضى الله عنه ، ثم غيره ، فجعل الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى ، باعتبارها أهم حدث تغيرت به مسيرة الاسلام ، وانتقلت به خطواته من وئيدة متعثرة ، الى متتابعة متوثبة ·

وسبب ذلك أنه رفعت اليه وثيقة تاريخ حلولها شعبان ، فقال : أى شعبان هو ؟ ثم قال : ان الأموال قد كثرت فينا ، وما قسمناه غير مؤقت ،

---

(١) سورة البقرة : ١٨٩

(٢) سورة التوبة : ١٣٦

فكيف التوصـل الى ضبطه ، فقال له ملك الأهواز : وكان أسيرا بالمدينة ـ ان للعجم حسابا يسمونه (ماهروز) يسندونه الى من غلب من الأكاسرة ، ثم شرحه وبين كيفيته ، فقـال عمر رضى الله عنه : ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه ، وتضبط أوقاتهم به ، فذكروا له تاريخ اليهود وغيرهم ، فلم يوافق على ما عرضوه ، وجعل الهجرة مبـدأ لتـاريخ السنين ، كمـا جعل المحرم مبدأ للسنة القمرية ، ولم يكن أولها مقررا عنـد العرب ولا محددا على التحقيق ، فانهم كانوا يعرفون أسـماء الشـهور القمرية متتابعـة ، ولكنهم لم يضبطوا أو العـام ، لعـدم حاجتهم اليه ، نظرا لتوقيتهم بالوقائع الشهيرة .

ولعل السبب فى اختيار عمر الشهر المحرم ، ليكون مبدأ للعام الجهرى ، أنه كان يريد جعل آخر شـهر فى موسـم الحج ـ وهو ذو الحجـة ـ ختاما للعام ، فيكون آخره شهر عبادة يجتمع لها المسلمون من شتى الأقطار، يبتغون بها غفران الذنوب ، ويتعرفون فيها الى اخوانهم من المشارق والمغارب ، ويألفـون ويؤلفـون ، وينزعون من قلوبهم البغضاء والاحن ، ليفتتحـوا بعده بالمحرم صفحة جديدة نظيفة ، يستقبلون بها العام الجديد .

ومعلوم أن الهجرة النبوية الشريفة كانت فى ربيــع الأول ، وكان من الممكن أن يجعله أول العام القمرى فى التاريخ الهجرى ، ولكنه فيمـا يبدو تأثر بهذا المعنى الذى ذكرناه ، فجعل المحرم أول العام .

وقد أقر الله التوقيت القمرى بقوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » .

الأشهر الحرم والحج

جعل الله تعالى أربعة أشهر قمرية ذات حرمة خاصة ، وأوجب فيهـا الكف عن القتال ، لعلها تكون سـببا فى الصلح بين المتقـاتلين ، بعـد أن يدركوا الخسارة التى أحدثتها الحرب بينهم ، وقد توارثت العرب احترامها منذ شريعة ابراهيم عليه السلام ، ومن بعده ولده اسماعيل جد العرب عليه السلام ، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .

وكان العرب يطلقـون على رجب منصـل الأسـنة ـ أى مخرجها من أما كنها ـ فانهم كانوا ينزعون أسـنة

الرماح ونصال السهام عند قدومه ، كفا للنفس عن الرغبة فى سفك الدماء •

روى البخارى عن أبى رجاء العطاردي قال . « كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجرا هو خيرمنه ، ألقيناه وأخذنا الآخر ، فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ، ثم طفنا به ، فاذا دخل شهر رجب قلنا منصل الأسنة ، فلم ندع رمحا فيه حديدة ، ولا سهما فيه حديدة الا نزعناها فألقيناه » •

وقد كان العرب يحافظون على حرمة هذه الشهور ، فلا يقاتل فيها بعضهم بعضا ، حتى كان الرجل يظفر بقاتل أبيه أو أخيه فلا ينتقم منه ، ولهذا شرع الله الحج فى هذه الأشهر منذ شريعة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، حتى يطمئن من يحج على نفسه وماله ، فلا يزعجه خصم ، ولا يعتدى عليه شرير •

النسىء

ظلت الأشهر الحرم على ما كانت عليه منذ عهد ابراهيم واسماعيل — عليهما السلام — من القداسة والحرمة ، حتى أحدث العرب النسىء، فأخلوا بمواضعها ، وان التزموها أربعة فى العام •

والنسىء فعيل من نسأه اذا أخره ، فقد كانوا يعمدون الى تأخير حرمة المحرم مثلا اذا أرادوا القتال فيه ، وينقلون هذه الحرمة الى صفر — ليكون القتال مباحا فى المحرم •

وسبب ذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات ، وكانوا يرتزقون من هذه الغارات ، فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لايغيرون فيها ، ويقولون : لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن •

واختلف فى أول من فعل ذلك ، فقيل هو رجل من كنانة اسمه القلمس ، يروى أنهم كانوا اذا صدروا من منى ، يقوم هذا الرجل فيقول : أنا الذى لايرد لى قضاء ، فيقولون له : أنسأنا شهر المحرم — مثلا — أى أخر حرمته الى صفر ، فيجيبهم الى ماطلبوا ، وكانوا يفعلون ذلك مع جميع الأشهر الحرم ، حتى دار التحريم على السنة كلها •

وكان الذى يلى النسىء من له رياسة فى العرب ، بقول شاعرهم مفتخرا : ومنا ناسىء الشهر القلمس .

ويقول الكميت :

ألسنا الناسئين على معد
شهور الحل نجعلها حراما

وقال الكلبى : أول من فعل النسىء رجل كنانى اسمه نعيم بن ثعلبة ، وكان اذا هم بالصدر من الموسم ، يقوم فيخطب ويقول : لامرد لما قضيت ، وأنا الذى لاأعاب ولاأجاب ، أى لايعاب فى حكم ، ولا يجاب فيه بالرد ، بل يسلم ما يقول ، فيقول له المشركون : لبيك ، ويسألون أن ينسأهم شهرا يغيرون فيه ، فيقول : ان صفر العام حرام – يعنى أنه حرام بدلا عن المحرم – فاذا قال ذلك حلوا الأوتارفيه ، ونزعوا الأسنة والأزجة ، وان أحله وأعاد الحرمة الى المحرم ، عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة وأغاروا .

وقيل : هو جنادة بن عوف الكنانى ، وكان مطاعا فى الجاهلية ، وكان يركب جملا فى موسم الحج ، وينادى بأعلى صوته : ان آلهتكم أحلت لكم المحرم فأحلوه ، ثم يقوم فى العام القابل فيقول : ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه ، فينفذ كلامه ، وقيل غير ذلك ، ولعل منشأ ذلك الخلاف تعدد الناسئين فى أزمان مختلفة .

وكما كان النسىء يحدث بتأخير حرمة الأشهر الحرم كما ذكرنا ، فانه كان يحدث بزيادة أشهر السنة القمرية ، فان النسىء يكون أيضا بمعنى الزيادة ، قال الطبرى : النسىء بالهمز الزيادة ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من سره أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه » فمعنى ينسأ له فى أثره ، يزاد له فى أجله .

وكان وقت حجهم يختلف تبعا لتأخير الأشهر الحرم ، أو لزيادة شهر أو أكثر على السنة ، ولما حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس فى السنة التاسعة ، كان ذلك فى ذى القعدة ، ولما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع ، كان ذلك فى ذى الحجة ، كما كان على عهد سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فان الزمان كان قد استدار ، بعد نقل الشهور بعضها محل بعض ، حتى رجع ذو الحجة فى حجة الوداع الى مكانه الذى جعله الله فيه .

ولقد أبطل الكتاب والسنة زيادة الشهور القمرية فى السنة عن اثنى عشر شهرا ، قال تعالى : « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض » اذ أنها منوطة بمنازل القمر أثناء العام الشمسى بفصوله الأربعة ، وهى لا تتعدى هذا العدد ، ثم يزيد العام الشمسى على القمرى أحد عشر يوما تكون من شهر قمرى ثالث عشر ، وهذه الزيادة سبب فى عدم مسايرة السنة القمرية للشمسية فى الفصول الأربعة ، وحددت هذه الآية الكريمة كون الأشهر الحرم من الاثنى عشر شهرا ، فى قوله تعالى : « منها أربعة حرم » فلا يجوز أن تخرج عنها الى الشهر الثالث عشر أو الرابع عشر – كما كانوا يفعلون –

وقال صلى الله عليه وسلم فى ابطال زيادة السنة القمرية عن اثنى عشر شهرا وابطال النسىء : فيما رواه ابن عمر عنه فى خطبة حجة الوداع « يأيها الناس : ان الزمان قد استدار ، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ،وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، أولهن رجب مضر – بين جمادى وشعبان – وذو القعدة وذو الحجة والمحرم » أخرجه الامام أحمد – كما أخرجه أصحاب السنن بمعناه •

بهذا البيان النبوى تحددت أشهر السنة القمرية باثنى عشر شهرا ، كما تحددت الأشهر الحرم بأسمائها فى مواضعها كما كانت قبل أن يدخلها النسىء •

وأضيف رجب الى مضر ، لأنهم كانوا يحافظون على اسمه وموضعه بين جمادى وشعبان ، بخلاف ربيعة ، فانهم كانوا يحرمون رمضان ويسمونه رجب •

وقد حرم القرآن النسىء بنوعيه ، قال تعالى : « انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله •• » الآية •

القتال فى الأشهر الحرم

كان عطاء بن أبى رباح يحلف أنه لا يحل للمسلمين أن يغزوا فى الحرم ولا فى الأشهر الحرم ، حتى يقاتلهم سواهم ، لأن حرمة القتال فيها لم

تنسخ ، وحجته فى حرمة البدء بالقتال فيها قوله تعالى : « منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » أى لا تظلموها ببدء القتال فى تلك الأشهر .

وحجته فى اباحته فيها دفاعا ، قوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ..» الآية ، أى الحرمات يجرى فيها القصاص ، فاذا كان العدو هو البادىء ، فهو المعتدى بهتك هذه الحرمة ، فيحل قتاله قصاصا ، والجزاء من جنس العمل .

والجمهور على أن حرمة القتال المستفادة من قوله تعالى : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » منسوخة ، وحجتهم فى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين ، وثقيفا بالطائف ، وحاصرهم فى شوال وبعض ذى القعدة الحرام ، فعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجيز للمسلمين قتال أعدائهم فى الأشهر الحرم وان لم يبدأوهم .

والحق أن قتال الرسول صلى الله عليه وسلم وحصاره لهم ، كان ردا على اعتداآتهم ، فانه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قالوا : قد فرغ محمد من قتال قومه ، ولا ناهية له عنا ، فلنغزه قبل أن يغزونا ، وارتضوا على القبيلتين أميرا للحرب ـ مالكا النصرى ـ فحشد للمسلمين خلقا كثيرا من مختلف القبائل الذين اجتمعوا عليه ، وجعل النساء صفوفا وراء المقاتلة ، ثم الابل فالبقر فالغنم ، ليدافع كل مقاتل عن نفسه وأهله وماله ولا يفر ، فقال دريد بن الصمة ـ وكان مشهورا بأصالة الرأى ـ وهل يرد المهزوم شىء ، ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه ، وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، فلم يقبل مشورته .

ولما علم الرسول صلى الله عليه وسلم باستعدادهم لحربه ، ذهب بجيشه الذى فتح مكة ، وانضم اليه ألفان من أهل مكة ، حديثو عهد بالاسلام ، وفيهم ثمانون مشركا ، فكانوا جميعا اثنى عشر ألفا ، وقد أعجبتهم كثرتهم ، فلم تغن عنهم شيئا ، فان مقدمة المسلمين لما توجهت نحو العدو ، خرج لها كمين من شعاب الوادى ، ونضحهم بنبل كالجراد ، فهزمت المقدمة ، ولما رآهم من خلفهم يهزمون ، انهزموا مثلهم ، وثبت النبى

صلى الله عليه وسلم ، وقليل من المهاجرين والأنصار .

وبلغت هزيمة بعض الفارين مكة ، فأمر الرسول عمه العباس أن ينادى الأنصار ، فناداهم قائلا : يا معشر الأنصار ، يا أصحاب بيعة الرضوان ، فأسمع من فى الوادى ، فأقبلوا سراعا نحوه صلى الله عليه وسلم فلما اجتمع حوله عدد عظيم ،كروا على أعدائهم ، تؤازرهم ملائكة من عند الله لم يروها ، فانهزموا أمام المسلمين هزيمة نكراء ، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ويغنمون ، فبلغت غنائمهم نحو أربعة وعشرين ألف بعير ، وأكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية فضة ، وذهب كثير ، ولما تجمع من بقى من ثقيف وهوازن بالطائف ، وتحصنوا بحصونها ، أراد الرسول أن يقضى على بقيتهم ، حتى لا يثيروا متاعب للمسلمين فى المستقبل ، فلهذا حاصرهم ثمان عشرة ليلة ، وكانوا يضربون المسلمين من حصونهم بالنبال ، ولم ينفع مع حصونهم العالية المنيعة ، المنجنيق ولا الدبابات التى أعدها المسلمون — لينقبوا وهم فيها — تلك الحصون ، فقد كانوا يقذفون المسلمين بالحديد المذاب حتى أرجعوهم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقطع نخيلهم وأعنابهم ، فقطع المسلمون فيهاقطعا ذريعا ، فناداه أهل الحصن : أن اتركها لله وللرحم ، فأمر المسلمين بالكف عنها .

ولما رأى النبى صلى الله عليه وسلم أن تمنعهم شديد ، وأن الله تعالى لم يأذن بالفتح ، استشار نوفل ابن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام ، فقال يا رسول الله : ثعلب فى جحر ، ان أقمت أخذته ، وان تركته لم يضرك ، فأمر صلى الله عليه وسلم بالرحيل عنهم ، فطلب منه بعض أصحابه أن يدعو عليهم ، فأبى وقال : اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ، وقد استجاب الله دعاءه ، فقد جاءه وفد من هوازن بعد بضع عشرة ليلة من ترك الحصار ، واعتذر له صلى الله عليه وسلم ، وطلب منه أن يرد عليهم نساءهم وأولادهم وأموالهم ، وأسلم منهم كثير ، فأجابهم الى ما سألوا ، وأمر عليهم مالك بن عوف النصرى ،الذى كان قائد هذه الحرب ضد المسلمين، بعد أن أسلم ، ثم جاءه وفد من ثقيف تائبين معتذرين وأسلموا ، وطلبوا أن يعين لهم من

يؤمهم ، فعين لهم عثمان بن أبى العاص .

فمما سبق نعلم أن حصار الرسول وقتاله لهؤلاء ، لا يتم الاستدلال به على جواز البدء بالقتال فى الأشهر الحرم ، فانهم هم البادئون كما شرحنا .

والأفضل أن يستدل لذلك بقوله تعالى : « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » فالآية تدل بعمومها على جواز أن نبدأ بالقتال فى الشهر الحرام وغيره ـ ان علمنا أن أعداءنا بيتوا النية على غزونا ، أو أى نوع من أنواع الخيانة التى تضر بمصالح المسلمين ولا شك أن ذلك موضع اجماع من المسلمين ، لا يجادل فيه عطاء ولا غيره ، لأن من الخيانة على الدين والوطن ، أن نترك أعداءنا يحرزون فضل المبادرة ومزية المفاجأة وهذه جريمة دينية لا تغتفر ، وناحية ضعف حربية لا يصح أن توجد فى المسلمين ، فان لمفاجأة العدو بالضربة القاصمة ، أثرا كبيرا فى سرعة احراز النصر (١) .

وقد اختلف العلماء فى حكم من قتل فى الشهر الحرام ، هل تغلظ ديته أم لا ، فالأوزاعى يقول : بتغليظها الى دية وثلث ، وروى هذا عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وسالم بن عبد الله وغيرهما ، وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : تغلظ الدية فى النفس وفى الجراح ، وقال مالك وابن أبى ليلى : حكم القتل فى الشهر الحرام كغيره ، فلا تغليظ فيه ، وهو قول جماعة من التابعين ، وحجتهم أن النبى صلى الله عليه وسلم بين الديات ، ولم يذكر فيها مخالفة الشهر الحرام لغيره فى حكمها .

وأجمعوا على أن من قتل فى الشهر الحرام لا تغلظ كفارته ، فكذا ديته قياسا عليها ، والله تعالى أعلم

مصطفى محمد الطير

---

(١) أكثر العلماء على أن حرمة القتال فى الأشهر الحرم المفهومة من قوله تعالى : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير » منسوخة بقوله تعالى : « فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فان المراد بالأشهر الحرم أشهر معينة أبيح للمشركين السياحة فيها بقوله تعالى : « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر » وليس المراد بها الأشهر الحرم من كل سنة .

طلع البدر علينا :
نشيد الهجرة

للأستاذ السيد حسن قروت

فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول شهدت الصحراء موكبا نبيلا يؤم يثرب تتجاذبه قوتان متباينتان أشد التباين ، أما الأولى فانها تود تدميره والقضاء عليه ، وأما الأخرى فانها تحبه وتريده وتفديه ، وقد نجا من الأولى بعزيمة صاحب الموكب القوية التى لا تعرف الضعف والتردد ، وبحسن تصرفه الذى يجىء الهاما وذكاء وتوفيقا من الله . انه محمد ابن عبد الله رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين . وقد كان مستقبلوه فى ضاحية يثرب من المهاجرين والأنصار يترقبون وصوله ، ويقلقون من عنت أعدائه ومكرهم ، ويتلهفون على تنسم أخباره ، ومعرفة جل أموره ، وقد حكى الذين انتظروه عن مبلغ تطلعهم لقدومه وتشوقهم لرؤية طلعته ،وروى الرواة عنهم قولهم (١) : « لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ،وتوكفنا « ترقبنا » قدومه كنا نخرج اذا صلينا الصبح الى ظاهر حرتنا ننتظر رسول الله ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال ، فاذا لم نجد ظلا دخلنا بيوتنا ، وذلك فى أيام حارة ، حتى اذا كان فى اليوم الذى قدم فيه رسول الله جلسنا كما كنا نجلس ، حتى اذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا ، وقدم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وأنا كنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخ بأعلى صوته : يابنى قيلة (٢) ، هذا جدكم (٣) قد جاء ... »

(١) الطبرى جـ ٢
(٢) الأوس والخزرج .
(٣) حظكم .

وفعلت صرخة اليهودى فعلهـا ، فانجفل الناس صوبها ، وسابقوا الريح نحوها يستقبلون رسولهم المهـاجر اليهم ، حدثت ضجة كبيرة ، تلتهـا نداءات كثيرة ، شملت جميع الأنحاء ، وارتفعت الى أعنان السماء ، يقـولون فى هتاف صـاخب ، النبى قد جاء كل يمضى ، كل يطـير ، المهـاجرون والأنصار فى فرحة غامرة ، وبهجـة ظـاهرة ، ولقـاء حافل ، واستبشار بمسـتقبل وضىء مضىء ، والنسـاء والصبيان والاماء ينشدون :

طلع البـدر علينـا
من ثنيـات الوداع
وجب الشـكر علينـا
ما دعـا للـه داع

أيهـا المبعـوث فينـا
جئت بالأمـر المطاع

بهذا النشيد الصادق تبدت مظاهر الاستقبال ، يا له من نشيد صاف واف يملأ القلوب أنسا وسرورا ، والوجوه تبلجا وحبورا ، انك تهتز لسماعه ، وتأخذك الأريحية لجماله وجلاله ، ويروعك بنبضه وانبثاقه ، وتدفقـه وانطلاقه ، وصدقه وانبساطه ، كلمات عفوية تبلغ حد السـذاجة ، ولكنهـا عميقة كالآبار ، ثرية كالبحار ، وكيف لا تكون كذلك وهى من نبع الايمان العميـق تفـور ، ومن الحب الوثيق تمور ؟ تنـدفع من الحنايا ، ويخفق بهـا الوجدان ، وتشدو بهـا الحناجر والثغور ، نشيد خالد تجاوبت به جواء المدينة بوفائها ، وأصغت اليـه السماء فى عليائها ، ورفت عليه أجنحة الملائكة ، وتناقلتـه الأفـواه ، ورن صـداه فى الصحراء ، وغنى به المنشد ، وحداية الحادى ، وردده التاريخ .

انه أول شعر اسـلامى أنشـد لاستقبال ، كما أن أول شعر تحدث عن هجرة الرسول هو الشعر الذى قيل بعد أن غـادر موكب النبى (خيمـة أم معبد) ومنه :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حـلا خيمتى أم معبـد

همـا نزلا بالبر وارتحـلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمـد

فيال قصى ما زوى الله عنـكم
به من فعـال لا يجازى وسؤدد

ان قصـيا وقريشا كلها فى فزع وجزع ، وقلق وأرق ، واضـطراب واكتئاب ، لقـد فاتهم محمد ، ورد

كيدهم الى نحورهم ، فلم تغن عنهم دار الندوة شيئا ، وما دبروه لم يحققوه ، وأبى لهم تنفيذ ما دبروا وعين الله ساهرة تحفظ الرسول ورسالته .

« الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » سورة التوبة آية ٤٠

لقد فاتهم وتركهم يتخبطون ، واتجه الى قوم يحبونه أكثر ، حبهم أنفسهم ، ينصرونه ويمنعونه ، وينشرون رسالته ، قوم قال فيهم أحدهم ممن شهد (بيعة العقبة الآخرة) بيعة الحرب ، يارسول الله بايعنا ، فنحن أهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر . لقد آن لقريش أن تستقبل أياما شدادا تبلوها فى مالها ورجالها ، وفى مكرماتها وعزها ، وتمتحنها فى غدوها ورواحها ، فى رحلتها الى الشام صيفا ، ورحلتها الى اليمن شتاء ، وآن لأصنامها أن يصيبها ما أصاب أمثالها على يد أبى الأنبياء ابراهيم ، ان ما توقعوه وخافوه وجدوه ، فليصح النائم ، ولينتبه الغافل ، وليرشد المخدوع ، فلم يبق لحياة الجاهلية مقام ؟ فلقد انتقلت الدعوة الاسلامية الى مأمنها ، الى من هداهم الله ليكونوا أنصارها ، فينالوا شرف الدنيا ونعيم الآخرة ، انهم أنصار الله وشيعة رسول الله ، وحماة العقيدة ، وهم بعد هذا كله أهل الحلقة ورثوها كابرا عن كابر . لقد طلع البدر عليهم ، وسطع نوره بينهم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . فما أحلى نشيدهم ، وماأجله عزا وخلودا ، ان كل كلمة منه تحمل معنى وسيما كريما لا يحيد ولا يميد ، طلع البدر ، وكلمة « طلع » لم تأت عفوا من الفطرة السليمة فحسب ، ولكن لها جذورا وفروعا وأغصانا وثمارا ، انها من نبع التبشير بالنبى المنتظر ، فكم بشر يهود يثرب بهذا الطلوع ، وكم استفتحوا به يخيفون أعداءهم من غطفان وغيرها ، ولابد لتبشيرهم أن يبلغ أسماع من يخالطونهم ويباشرونهم من الأوس والخزرج ، ومن القبائل الضاربة حول المدينة .

قال (١) ابن عباس : كانت يهود قريظة والنضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبى — صلى الله عليه وسلم — عندهم قبل أن يبعث وأن دار هجرته بالمدينة ، فلما ولد رسول الله قالت أحبار يهود : ولد أحمد الليلة « هذا الكوكب قد طلع » فلما تنبى قالوا : قد تنبى أحمد « قد طلع الكوكب الذى يطلع ... » فطلع البدر ليست خيالا من خيال الشعراء ، ولكنها حقيقة من حقائق التاريخ . وهى من الخيال الأصيل بمكان ، فمحمد كوكب درى أنار سماء الأنصار ، وطلع عليهم من أقرب منازله ، من ثنية الوداع ولم يدر فى خلد من وفقه الله لهذا النشيد أن البدر الذى طلع عليهم صادف فى طريقه مصاعب ومتاعب لايتحملها الا أولو العزم من الرسل ، متاعب الغدر به فى منزله لو تمكنوا منه ، ومتاعب الغار ووحشته ، والصائحين حوله بأيديهم أدوات الدمار ، ووحشة الطرق غير المسلوكة ، وانما طلع من ثنية الوداع وهذا الكوكب الذى طلع من ثنيات الوداع واجب شكره (٢) فى كل حين ، لأنه هداهم الى الطريق المستقيم ، لأنه أنار عقولهم ووصلها بالخالق الرازق المحيى المميت الذى بيده ملكوت السموات والأرض لأنه ملأ قلوبهم بالتقوى ، وبشرهم بالحسنى ، وأخرجهم من الظلمات الى النور ، واجب شكره ما دعا داع الى الايمان والاحسان ، وراض البشرية على جميل السلوك ، والارتفاع عن المادة وزهرة الحياة الدنيا ، شكر لايصوره شاعر كما صوره هذا النشيد الذى لا يعرف قائله ، وهل ترى قولا يبلغ القلوب فيملؤها بالايمان حتى تفيض ، وبالبشرى حتى تنتشى وتستزيد مثل قوله :

أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع

فالمبعوث والأمر المطاع يشدانك الى ميادين واسعة تمتد وتمتد حتى تشمل الشام حيث أسرى به والحجاز كله بما فيه مكة والطائف والمدينة وحراء وثور على مدى ثلاثة عشر عاما من الجهاد بالقرآن ، ليهدى المبعوث قوما ما أتاهم هاد من قبله ، وليرتفع بهم عن عبادة الأصنام ، وليجعلهم هداة الأنام ، ولكنهم يعرضون ، وترى

---

(١) الطبقات جـ ١
(٢) أثرنا هذا الفهم على فهم لا يدفع : شكر الله ودعائه .

نفسك تتلو قول الله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين • وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » الآيات ٢ و٣ و٤ من الجمعة فماذا بعد هذا ؟ فمن حق مستقبلى البدر الذى سطع نوره ، والكوكب الذى طلع أن يعتدوا ويعتزوا وينشدوا « أيها المبعوث فينا » فهم رأوه وحيوه ، ونعموا بنوره ، فحق لهم أن يحملوا لواءه ، ويجيبوا نداءه ، ويطلبوا من الناس جميعا أن يشاركوهم نعمتهم ، ففيها حياتهم ، وحق لهم أن ينشروا تعاليم دينه من عقيدة صحيحة ، وقوانين رفيعة ، وأحكام عادلة ، وفى مقدمة ذلك الشورى ومكارم الأخلاق ، وعليهم أن يرسوا أسس الحضارة فى الشرق والغرب • ألم تكن أول سورة تلقاها المبعوث الكريم « اقرأ » ؟ فلا مناص اذن من أن يكونوا الهداة الرعاة ، والعلماء والحكماء والصالحين الربانيين ، والشهداء المستبشرين ، وهم ــ بعد ــ خير أمة أخرجت للناس، فيأمرون بالمعروف ،وينهون عن المنكر تلبية للأمر المطاع • وسر الرسول بلقائهم ونشيدهم ، فما ان حط رحاله فى بنى عمرو بن عوف حتى كان أول كلام سمع منه : « يا أيها الناس ، أفشوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، وادخلوا الجنة بسلام » ، وكان أول فعل قام به بناء مسجد قباء ، ومكث بقباء يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ثم خرج منه بأمر ربه يوم الجمعة : ليكون مقامه داخل المدينة ، وكأن الأيام التى قضاها فى بنى عمرو ابن عوف للراحة والاستجمام ، ليستأنف حياة الجهاد والكفاح ،وكان يوما مشهودا التف حوله أصحابه شاهرى السلاح ، فأدى صلاة الجمعة فى بنى سالم ثم ركب ناقته القصواء ، والناس من عن يمين وشمال ، فاعترضه الأنصار ، لا يمر بدار من دورهم الا قالوا : هلم يانبى الله الى القوة والمنعة والثروة ، فيسمعهم ما يسرهم ، ويقول : « انها مأمورة فخلوا سبيلها » قال ذلك لبنى سالم ، وقاله لبنى الحارث بن الخزرج ، وقاله لبنى عدى ، والناقة تسير نحو هدفها لا تخطئه حتى بركت حيث

أمرها الله ، ومن عجيب أمرها أنها نهضت بعد أن بركت فسارت غير بعيد ، ثم عادت الى مبركها الأول ، فبركت ولم تنهض ، وحمل الرحل أبو أيوب الأنصارى • فقال الرسول: « المرء مع رحله » فنزل على أبى أيوب وتكفل بالناقة أسعد بن زرارة •

ومن منزل أبى أيوب بعث صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبا رافع الى مكة ليحضرا أسرته ، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم ، فذهبا ثم عادا اليه بفاطمة وأم كلثوم ، وسودة بنت زمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية قد هاجر بها زوجها عثمان بن عفان قبل ذلك ، وأمسك بزينب زوجها بمكة فلم تهاجر •

وتنظر فترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى بناء مسجده ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار فى أرض لبنى النجار ، ويصبح المسجد من يومئذ أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها ، ويجعله الامام مالك فى مقدمتها ، فهو منارة الهدى ، ومنبع التقوى ، ومركز الدعوة ، ومدرسة المسلمين ، وكم شهد ذلك المسجد من الأعمال والأمجاد ما تضيق ببسطه الصفحات ، فقامت الدولة الاسلامية من ساحته ، وتم للمسلمين أركان الاسلام الخمسة فيه •

وكانت الهجرة مبدأ تاريخهم ، لأنها كانت فارقا بين الحق والباطل ، والقوة والضعف ، والأمن والخوف ، وفيها يجد المسلمون غذاءهم من العظة والاعتبار والاقتداء والاهتداء ، فيعرفون أن الحياة جهاد ، وأن العقيدة تزداد قوة بالاضطهاد ، وقد ضرب لنا رسول الله أعظم المثل فى التحمل والصبر ، وفى التمسك بالحق والحرص على الأجر ، وفى البذل والفداء ، ولا تقوم الدعوة وتنتشر ، ولا تتقدم الأمة وتزدهر الا بكل أولئك •

لقد بعث الله رسولا أميا فى الأميين فما زال بهم يعلمهم القرآن ويبين لهم السنة حتى هداهم من ضلال ، وقومهم

من اعوجاج وجمعهم تحت راية واحدة بعد تفرق وشتات ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فعلينا نحن فى هذا العصر أن نسلك ذلك الطريق ، ونفعل مثل ما فعلوا ، ولنا فى ذكرى الهجرة عون وملاذ اذا تأملناها ، ووعينا عطاءها ، وما أجمل أن ننشد ما أنشد من استقبلوا خير الأنام فى حب وصدق ووئام :

طلع البـــدر علينـــا
من ثنيـــات الوداع

لنرشد ونسعد ،ونحلم بغد أمجد ، تحقيقه يسير على من اقتدى ونفذ ؟

السيد حسن قرون

استطلاع الغيب

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول :« اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجله ، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال فى عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به ، قال : ويسمى حاجته » أخرجه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى • الاستخارة فى الأمور : طلب الخيرة فيها واستعلام ما عند الله فيها ، أستقدرك بقدرتك ، يقال : أستقدرك لكذا أطلب منك أن تقدرنى عليه • أقدره لى : أى هيئة لى يقال : قدرت الشىء أقدره أى قدرته وهيأته •

الانسان طلعة مشغوف بأن يعرف كل شىء ويخبر كل شىء ، وقد استطاع بتلك الخاصية أن يعمر الكون ويستعمر الدنيا ، وينشىء الحضارات والحضارات فى جملتها أفكار ومعارف اكتشفها الانسان على مر الأجيال بما وهبه الله من العقل وبخاصية التطلع ، وضم بعضها الى بعض ونسق بعضها مع بعض حتى استكملت له وأخذ ينعم فى ظلالها بحياة السعة والدعة وما زال الانسان يواصل سعيه وراء

المجهول فى الكون ويستنطق الغيب ويظفر بالجديد والعجيب ويضيفه الى ما علم من قبل ليطور حضارته ويستزيد من متاعه ورفهه • وقد عرف الانسان مذ كان بهذه الخاصية أعنى خاصية التطلع الى المجهول وكشف الأستار عن مخبوء الغيب وخاصة فيما يتعلق بشئون نفسه وأمر معاشه ومستقبل حياته ، ولكن كان منصفا لنفسه حين اعترف بالعجز عن بلوغ ما يريد من ذلك ، وحين اعترف بالحيرة فى استبانة الخير فيما يهمه ليمضى على بصيرة من أمره فيما اعتزمه وأخذ يلتمس الوسائل الى ذلك وتشعبت بالناس المذاهب ولم تخل أمة من الأمم من معاناة التسلط على الغيب ومحاولة التعرف على ما انطوى عليه رغم استحالته عليهم ورغم تكرار فشلهم فى معاناتهم •

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصا
ولا زاجرات الطير ما الله صانع

ولقد كان لكل أمة وكل جماعة أسبابها ووسائلها الى التعرف على الغيب واشتهر العرب بممارسة كثير منها ، اشتهروا بالعيافة ، والقيافة ، والعرافة، وزجر الطير، وطرق الحصا، والخط على الرمل، والاستقسام بالأزلام وغير ذلك من أعمال أو صناعات استخدموها للتعرف على الغيب واستجلاء ما يضمر من خير أو شر •

وما زالت الأمم حتى الاسلامية منها تمارس بعض هذه الأعمال لهذا الغرض بل تضيف اليها جديدا رغم استنكار الاسلام لها وبغضه اياها بنصوص القرآن والسنة ، ورغم تحقق زيفها وثبوت بطلانها بتكرر فشلها كما ذكرنا وقد أبطلها الاسلام لأنها خرافات وأوهام وتعلق بما لا يجدى فى استجلاء الغيب ، فالغيب كما نعلم مما حجبه الله عن خلقه وجعله من حماه فلا يملكه الا هو كما قال جل شأنه : «لايعلم الغيب الا الله» وقال : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول » •

ولقد أبطل الاسلام هذه الوسائل بكل صورها لأنها عديمة الجدوى فى حياة الناس ولا تصلح أن تكون وسائل الى الأعمال الجادة المثمرة ولا تزيد المتعلق بها الا بلبلة وحيرة وترددا كما تضاعف من شكه وعنائه فى مواقف البت والحسم •

وفى بعضها ما يشوب عقيدة المؤمن فى ربه كالاستقسام بالأزلام فى ساحة الأصنام كما كان يفعل العرب فى جاهليتهم ٠

لكل ما ذكرنا أبطل الاسلام الاشتغال بها ولم يغض الطرف عما طبع عليه الانسان من خاصية التطلع الى الغيب واعترافه بالعجز عن الوصول اليه والتطلع الى الاستعانة بما يزيل الحيرة فى اختيار ما يرجح جانب الخير فيه فأبدله بوسيلة من الوسائل التى ترضى تطلعه وتكون فى الوقت نفسه خالصة مما يمس عقيدته وتحتسب له فى جانب القربات والعبادات وسن له الاستخارة لكن ليست الاستخارات بالسبح ، والورق ، والحصا ، وأهداب الملاحف ، وحساب الجمل وغير ذلك من المبتدعات ولكن الاستخارة بصلاة خاصة ودعاء خاص بينهما الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك الخ » يعنى يصلى ركعتين ويقرأ فى الأولى سورة الكافرون وفى الثانية سورة الاخلاص كما قال الفقهاء وبعد الفراغ منهما يدعو بما ورد فى الحديث الذى قدمناه فى أول هذه الكلمة ، الا أنه يقول : بدل هذا الأمر : حاجته التى يستخير الله فيها وبعد أن يتم الصلاة والدعاء يرى أن قلبه قد انشرح لهذا الأمر الذى سماه أو انقبض عنه فلينظر الى الذى سبق اليه قلبه فيمضى فيه ٠

تلك هى صورة الاستخارة التى رضيها الاسلام للمسلمين وكان النبى يعلمهم اياها كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، دون الذى كان عليه الجاهليون ودون الذى عليه كثرة من المسلمين الآن وهى كما نرى صورة مملوءة بالثناء والدعاء والاستعانة بقدرة من يملك القدر واستخبار من يملك الخير ٠

قال بعض فقهاء التفسير فى تفسيره :

لما كانت الدلائل والبينات فى بعض الأمور والترجيح بينها متعذرا فى بعض الأحيان فيريد الانسان الشىء فلا

يستبين له : الاقدام عليه خير أم تركه ؟ فيقع فى الحيرة جعلت له السنة مخرجا من ذلك بالاستخارة حتى لا يضطرب عليه أمره ولا تطول غمته ، وذلك المخرج هو الاستخارة وهى عبارة عن التوجه الى الله عز وجل والالتجاء اليه بالصلاة والدعاء بأن يزيل الحيرة وييسر ويهيىء للمستخير الخير وجدير هذا بأن يشرح الصدر لما هو خير الأمرين وهذا هو اللائق بأهل التوحيد أن يأخذوا بالبينة والدليل الذى جعله الله مبينا للخير والحق فان اشتبه على أحدهم أمر التجأ الى الله تعالى فاذا شرح صدره لشىء أمضاه وخرج به من حيرته ؟

أبو الوفا المراغى

من هدى السنة :

النيابة فى الحج

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٢ —

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كان الفضل رديف النبى صلى الله عليه وسلم ، فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر ، فقالت : ان فريضة الله أدركت أبى شيخا كبيرا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : نعم ، وذلك فى حجة الوداع ، متفق عليه ، ورواه أبو داود ، ومالك فى الموطأ .

البيان :

تضمن المقال السابق التعريف براوى الحديث ، وشرح الكلمات اللغوية — وعند بيان أهداف الحديث ذكرت ما امتازت به الشريعة المحمدية من العموم والخلود — وقلت : ان هذا يرجع الى عدة أمور ، اقتصرت فيها على ايضاح أمرين :

الأول : يرجع الى شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى تلقينا عنه هذه الشريعة ، حيث منحه الله تعالى من الكمالات البشرية ما جعله للناس كافة أسوة حسنة ، وقدوة شاملة فى جميع المحامد والمكارم .

الثانى : يرجع الى الشريعة ذاتها حيث هى وافية بجميع حاجات البشر ، وقامت على مبدأ اليسر ورفع الحرج ، ورعاية حال المكلفين فى كل شأن من الشئون ، وفى هذا المقال نحاول أن نتم البيان لأهداف الحديث فنقول :

هـذان الأمـران اللذان لهمـا كبـير الأثر فى عمـوم الشريعة المحمـدية وخلودها يتجليـان فى الحديث الذى نحن بصـدده ، فقـد أخبرنا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهمـا أن النبى صلى الله عليه وسـلم ـ عنـدما كان يركب راحلته فى أدائه لحجة الوداع ـ كان الفضـل بن العباس رضى الله عنهما يركب خلفه .

ووجود هذه الصـورة الرائعة فى مشهد الحج يعلن فى صراحة ووضوح عن مدى ما كان يتحـلى به الرسـول عليه الصلاة والسلام من لين الجانب وسماحة النفس ، وكريم التواضع ، والعناية بغيره من الناس ، والتطبيـق العملى لمبـدأ المسـاواة فى الاسـلام ، فليس أدل على تحقيق هذا المبـدأ من أن يرى الناس جميعا أن أحد المسلمين يركب مع نبى الاسـلام على دابة واحدة ، وهذا يقرر أمام العالم أجمع أن مجده عليه الصلاة والسـلام ليس كمجد الملوك وأصـحاب السـلطان الذين يعتزون بمظاهر الحياة الدنيـا وما فيها من زينـة وجاه ـ وانمـا هو مجد من نوع آخر بلغه عليه الصـلاة والسلام بسبب أن الله تعالى أتم عليه نعمته ، واصطفاه للرسـالة العظمى ، وجمع له أطراف الفضائل الانسانية ، وأثنى عليـه ثنـاء مسـتطابا مؤكدا ، ومنحه وسـاما رفيعـا خالدا فقال جل شأنه : « وانك لعلى خلق عظيم » (١)

وفى أثناء أدائه صلوات الله وسـلامه عليـه لمناسـك الحج جاءته امرأة من قبيلة خثعم وكانت وسيمة جميلة ، كما كان الفضل أيضا وسيما جميلا ـ يدل على هذا رواية أخـرى للحديث جاء فيها : (وكان الفضل رجلا وضيئا ـ أى جميلا ـ وأقبلت امرأة من خثعم وضيئة) فأخذ الفضـل ينظر اليهـا وتنظر اليه معجبـا كل منهما بجمـال الآخر وحسنه ، فلما التفت النبى صلى الله عليـه وسـلم ، وعرف ذلك بادر فحول وجه الفضل الى الجانب الآخر الذى لا توجد فيه المرأة ليمنـع هـذا النظر اتقاء للفتنة ، وصيانة من الاثم ، وحسـما لمـادة الشر ، واغلاقا لمنـافذ الشيطان ، كما يفهـم هـذا من رواية أخرى للحديث علل فيها النبى صـلى الله عليه وسـلم هذا التصرف الحازم

---

(١) سورة القلم آية رقم ٤

بقوله : (رأيت غلاما حدثا ، وجارية حدثة ، فخشيت أن يدحل بينهما الشيطان) .

وهذا الاجراء النبوى يدل على سداد فى الرأى ، ونفاذ فى البصيرة ، وبعد فى النظر ، وبصر بالعواقب ، وحكمة فى التوجيه ، واشفاق على المؤمنين ، وحرصا على هدايتهم الى الصراط السوى ، ووقايتهم من الاثم والانحراف ، وصدق الله تعالى حيث يقول فى شأن رسوله الكريم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » (١) .

جاءت هذه المرأة تسأل عن أمر أبيها ، فذكرت للنبى صلى الله عليه وسلم : أن عبادة الحج التى فرضها الله على عباده ، قد وجبت على أبيها شيخا كبيرا ، اذ أسلم فى سن متقدمة ، وهو بحال من الضعف الصحى لايستطيع معه أداء هذه الفريضة بنفسه ، فانه لايقوى على الاستمساك على الراحلة ، ويخشى عليه من ركوبها ـ كما ثبت ذلك فى بعض روايات أخرى للحديث ، فقد جاء فى بعضها : (ان شددته ـ أى على الراحلة ـ خشيت أن يموت ـ وجاء فى بعض آخر : (ان شددته بالحبل على الراحلة خشيت أن أقتله) وبعد أن بينت حال أبيها للنبى صلى الله عليه وسلم ، قالت له : أفأحج عنه ؟ ـ أى أيجوز لى أن أقوم بالحج نيابة عنه ؟ فأفتاها عليه الصلاة والسلام بمشروعية ذلك » .

الجمع بين روايات للحديث مختلفة الظواهر :

أفادت الرواية التى معنا أن المرأة من خثعم هى التى سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن حكم أبيها ـ ولكن جاء فى رواية أخرى مايفيد أن السائل عن أبيه رجل ، فقد أخرج النسائى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما : أن رجلا من خثعم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : ان أبى شيخ كبير ، لايستطيع الركوب ، وأدركته فريضة الله فى الحج ، فهل يجزىء أن أحج عنه ؟ قال : أنت أكبر ولده ؟ قال : نعم ، قال : أرأيت

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٨

لو كان على أبيك دين ، أكنت تقضيه ؟ قال : نعم ، قال : فحج عنه •

وأخرج النسائى رواية أخرى أن الرجل استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمه ، وقد جمع صاحب « فتح البارى » بين هذه الروايات بأن السائل رجل ، وكانت ابنته معه •

ويبدو رجحان مذهب الجمهور ، فانه فضلا عما تقدم من وجوه الترجيح تشهد له النصوص التى تثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فسألت أيضا النبى صلى الله عليه وسلم ، والمسئول عنه أبو الرجل وأمه جميعا •

فعلى هذا فقول المرأة : ان أبى أدركته الخ ••• أرادت به جدها ، لأن أباها كان معها ، ويبدو أن أباها أمرها أن تسأل عن أبيه النبى عليه الصلاة والسلام ، ثم سأل هو بعد ذلك عن أبيه ، وسأل أيضا عن أمه ــ واسم هذا الرجل : حصين بن عوف الخثعمى (١) •

النيابة فى أداء الحج :

لما كان الحديث متعلقا بالنيابة فى أداء الحج ــ رأيت من المفيد أن أعطى القارىء فكرة موجزة عن بعض الأحكام التى ذكرها الفقهاء فى هذا الموضوع ، فأقول :

اتفق العلماء على أن من وجب عليه الحج ، ويقدر على أدائه بنفسه لا يجزئه أن يحج عنه غيره ، قال موفق الدين بن قدامة فى كتابه المغنى ج ٣ ص ١٨٠ ط المنار :

ولا يجوز أن يستنيب فى الحج الواجب من يقدر على الحج بنفسه اجماعا ، قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن من عليه حجة الاسلام ، وهو قادر على أنه يحج لا يجزىء عنه أن يحج غيره عنه ا هـ •

وأما من وجدت فيه شرائط وجوب الحج ، وكان عاجزا عن أدائه بنفسه ، بأن كان مريضا مرضا لا يرجى شفاؤه ، أو شيخا كبير السن لا يستمسك على الراحلة ــ فعند الجمهور يلزمه الحج ، وعليه أن يستنيب غيره فى الأداء متى وجد من ينوب عنه ،

---

(١) فتح البارى بتصرف .

وحتى وجد مالا يستنيبه به ، ويجزىء أداء النائب عن المحجوج عنه •

وعند مالك لايلزم الحج العاجز الا أن يستطيع بنفسه •

الأدلة :

استدل مالك رضى الله عنه بما يأتى :

١ ـ ان الله تعالى قد شرط لوجوب الحج الاستطاعة ، فقال : « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (١) ـ والعاجز عن أداء الحج بنفسه غير مستطيع ، فلا يجب عليه •

٢ ـ قياس عبادة الحج على عبادة الصوم والصلاة ، فكل منهما لاتدخله النيابة فى حال القدرة والعجز ، فكذلك عبادة الحج ـ وهى وان كان فيها جانب مالى الا أنه مغلوب عليه ، فلا يتعلق به حكم ـ وانما يتعلق الحكم بالغالب ، وهو الجانب البدنى ، فلا تجوز النيابة فى الحج ، واستدل الجمهور بالأدلة الآتية :

١ ـ ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من حديث المرأة الخثعمية الذى هو موضوع المقال •

٢ ـ ما روى عن أبى رزين أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، ان أبى شيخ كبير ، لايستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن (٢) ، قال : (حج عن أبيك واعتمر) (٣) •

٣ ـ الحج عبادة مركبة يشترك فى فعلها البدن والمال ، فانه فيه الخضوع لله تعالى بالطواف والسعى وغيرهما من الأعمال ، وفيه أيضا انفاق المال فى هذا السبيل •

فباعتبار الجانب المالى يقبل الحج النيابة ، ويكون فيه فعل النائب قائما مقام فعل من ناب عنه كالزكاة •

مناقشة دليلى مالك رضى الله عنه :

يتجه الى الدليل الأول أن الاستطاعة التى هى شرط لوجوب عبادة الحج يمكن أن تشمل القدرة على انابة الغير فى فعل العبادة ، ويتجه

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٧
(٢) أى السفر •
(٣) رواه أبو داود ، والنسائى ، والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح •

الى الدليل الثانى أن قياس الحج على الصلاة والصوم قياس مع الفارق ، فان عبادة الحج تتوقف على جانب مالى ، بخلاف الصلاة والصوم .

وهذا الجانب – وان سلم أنه مغلوب – فاننا نصحح جعله مناطا لجواز النيابة فى الحج ترجيحا لوجود العبادة على عدمها .

ويتجه الى هذا الدليل أيضا أن القول : بأن الحج لايقبل النيابة قول غير سديد ، اذ أنه عبادة تجب الكفارة بافسادها ، وفى الكفارة معنى النيابة على أداء هذه العبادة .

ويتجه اليه – زيادة على ما تقدم – أن جعل الصوم أصلا مقيسا عليه الحج فى عدم قبول النيابة – ممنوع ، فان الفدية بالنسبة للعاجز عن الصيام فيها معنى النيابة عن فعل هذه العبادة .

ويبدو رجحان مذهب الجمهور ، فانه فضلا عما تقدم من وجوه الترجيح تشهد له النصوص التى تثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .

واليك ما جاء عن هذه المسألة فى كتاب المغنى لابن قدامة على مختصر الخرقى ج ٣ ص ١٧٧ – ١٧٨

مسألة :

قال : أى الخرقى – (فان كان مريضا لايرجى برؤه ، أو شيخا لايستمسك على الراحلة أقام من يحج عنه ويعتمر ، وقد أجزأ عنه وان عوفى) .

وجملة ذلك أن من وجدت فيه شرائط وجوب الحج ، وكان عاجزا عنه لمانع مأيوس من زواله كزمانه ، أو مرض لايرجى زواله ، أو كان نضو الخلق (١) لايقدر على الثبوت على الراحلة الا بمشقة غير محتملة ، والشيخ الفانى ، ومن كان مثله متى وجد من ينوب عنه فى الحج ومالا يستنيبه به لزمه ذلك – وبهذا قال أبو حنيفة والشافعى ، وقال مالك : لا حج عليه الا أن يستطيع بنفسه ، ولا أرى له ذلك ، لأن الله تعالى قال : « من استطاع اليه سبيلا » وهذا غير مستطيع – ولأن هذه عبادة لا تدخلها النيابة مع القدرة ، فلاتدخلها مع العجز كالصوم والصلاة .

(١) نضو الخلق بكسر النون ، اى مهزول الجسم .

ولنا حديث أبى رزين ، – وروى ابن عباس أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله ، ان فريضة الله على عباده فى الحج ادركت أبى شيخا كبيرا ، لايستطيع أن يثبت على الراحلة ، افأحج عنه ؟ قال : (نعم) وذلك فى حجة الوداع ، متفق عليه – وفى لفظ لمسلم قالت : يارسول الله ، ان أبى شيخ كبير عليه فريضة الله فى الحج ، وهو لايستطيع أن يستوى على ظهر بعيره ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (فحجى عنه) •

وسئل على رضى الله عنه عن شيخ لا يجد الاستطاعة ، قال : يجهز عنه •

ولأن هذه عبادة تجب بافسادها الكفارة ، فجاز أن يقوم غير فعله فيها مقام فعله كالصوم اذا عجز عنه افتدى – بخلاف الصلاة – اهـ •

ولموضوع النيابة فى الحج أحكام تفصيلية ، تكفلت بها كتب الفقه ، فارجع اليها ان شئت •

ما يرشد اليه الحديث :

يرشد الحديث الى أمور نقتصر فيها على ما يأتى :

١ – مشروعية النيابة فى الحج ، وأنه يقع عن المستنيب •

٢ – الاستطاعة للحج كما تكون بالنفس تكون بالغير •

٣ – تواضع النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنزلة الفضل بن عباس منه •

٤ – حكمته عليه الصلاة والسلام فى التوجيه الى الاستقامة ، ومجانبة أسباب الفتنة والفساد •

٥ – البر بالوالدين ، والعناية بأمرهما ، وتوفير راحتهما •

٦ – حرص المرأة الصحابية على التفقه فى الدين •

٧ – احرام المرأة فى وجهها ، فيجوز لها كشفه فى حال الاحرام بالحج أو العمرة •

٨ – جواز سماع الرجال لصوت المرأة ما دام لايخشى منه الفتنة •

٩ – فى جواز انابة المرأة عن أبيها فى أداء الحج مظهر من مظاهر تكريم الاسلام لها ، حيث سوى بينها وبين الرجل فى النيابة عن الرجال •

١٠ ـ بيان يسر الدين ، وابتنائه على مبـــدأ التـــرفق بالمكلفين ، ورعاية حالهم .

١١ ـ جـواز الارتداف اذا كانت الدابة تطيق ذلك .

١٢ ـ الافادة بما ركب فى الآدمى من الشهوة ، وجبل طبعه عليـه من النظر الى الصور الحسنة ، والاعجاب بهـا .

١٣ ـ وجوب غض البصر عن المرأة الأجنبية عند خشية الافتتان .

١٤ ـ تجوز النيابة فى السؤال عن العلم حتى من المرأة عن الرجل .

منحنا الله تعالى حسن القصـــد ، واستقامة السلوك ، وهدانا الى ما هو أزكى عاقبة ، وأوفى جزاء ؟

منشاوى عثمان عبود

البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

كثر اللغط فى الأيام الأخيرة حول صحيح أبى عبد الله البخارى واقترن اللغط بغمز السنة المطهرة والنيل منها بدعوى الاكتفاء بالقرآن ، ويصرف أصحاب هذه البدعة ، الآيات القرآنية الى أوجه تخل بمعناها وتبعث الاضطراب والخلل فى جسم الشريعة القائمة على الأصلين الكتاب والسنة ، فتارة تسمع قائلا يقول : « القرآن وكفى » وقائلا آخر يزعم أن الاسرائيليات دست فى صحيح البخارى والآية التى يستشهدون بها هى قوله تعالى : « أولم يكفهم أنا أنزلنا اليك الكتاب يتلى عليهم » وكأن الخطاب الموجه الى من يشغبون على القرآن ولا يؤمنون به يوجه الى من يؤمن به ويتعلق بتفسير من نزل عليه ويستمسك به لأنه أحق من غيره بتفسيره وتأويله ، وما السنة الا مفسرة للكتاب مفصلة لمجمله موضحة لمبهمه ، وهم بأعمالهم للآية فى مثل هذا المقام كأنما يقولون لا تتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بل اتبعوا رب محمد صلى الله عليه وسلم ولا شأن لنا بمحمد ولا بما يقوله محمد وانما نحن نتبع القرآن لأنه ما فرط الله فيه من شىء .

وأصحابنا هؤلاء جانبهم الصواب من أوجه :

(الوجه الأول) عدم معرفتهم لطبيعة القرآن ككتاب نزل منجما حسب الحوادث والمناسبات التى استوعبتها السنة وأتت بها على اختلاف ألوانها وطرقها التى توصل المحققين الى تصور الجو الذى نزلت فيه كل آية .

(الوجه الثانى) جرأتهم على الاستقلال فى فهم القرآن دون أن

يستأنسوا بمن نزل عليه القرآن ثم من نزل فيهم القرآن من أصحابه وحواريه المقربين ، الذين صحبوه وخدموه ولزموا الإستماع منه ممن شرح الله صدورهم بدعوته فاستلانوا الوعر واستأنسوا القفر ، وقطعوا فى سبيل الدعوة الى الله أرحامهم وهذا من أبلغ أنواع المجافاة للمنطق السديد •

(الوجه الثالث) جهلهم بمناهج النقد عند المحدثين ــ والانسان عدو ما يجهل تلك المناهج التى تتضاءل حيالها أحدث مناهج النقد المعاصرة •

(الوجه الرابع) عدم معرفتهم بمنهج البخارى فى تصنيف جامعه الأمر الذى يجعلهم يحكمون أحكاما فجة على أمور لا ذنب للبخارى فيها الا جهلهم بمنهجه وتخطيطه المحكم فى سوق المتابعات والشواهد بعد الأحاديث المصدرة وترتيب الأحاديث بحسب رواتها ومراتبهم من الجرح والتعديل •

(الوجه الخامس) فشو الأمية فى قواعد التحديث الأمر الذى يجعل غير المتمكنين يضعون مواصفات للصحة والضعف متناقضة مضطربة ليس لها دقة الجمع والمنع التى اشتملت عليها تعريفات السلف الصالح رضى الله عنهم ولأضرب لذلك مثلا من كتاب صدر آخيرا أحدث فتنه وهو أخطر نص شنعوا عليه وعلى البخارى به فقد جاء فى أول الجز الذى خصصه لنقض مائة وعشرين حديثا صحيحا يجترىء عليها قوله « الحديث رقم ١ » فى خبر يقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم حاول الانتحار ثم يتناول قطعة من حديث أورده البخارى فى كتاب التعبير زاعما أنه قمة الكذب وأنه من الاسرائيليات وأنه يناقض القرآن الكريم • والخبر أورده البخارى هكذا فى باب التعبير من الجزء التاسع : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، وحدثنى عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر قال الزهرى : فأخبرنى عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول مابدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح فكان يأتى حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده

لمثلها حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ قال النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له : ما أنا بقارىء فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارىء فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارىء فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق ، حتى بلغ : ما لم يعلم • فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال : زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال : يا خديجة مالى ؟ وأخبرها الخبر وقال : قد خشيت على نفسى فقالت له : كلا ، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة ابن نوفل وهو ابن عم خديجة أخو أبيها وكان امرءا تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرى فيكتب بالعربية من الانجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة : أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة : ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى يا ليتنى فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه كى يتردى من رءوس شواهد الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى منه نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى له الملك فقال له مثل ذلك » ا هـ •

ومحل الشبهة على البخارى هى قوله : « حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا » الى آخر الخبر •

وهؤلاء الذين يثيرون هذه الشبهة وأولهم محمد على الزعيم الهندى المعروف وجماعته نوجه اليهم الكلام •

١ ـ ان البخارى أورد هذا الخبر ـ أعنى خبر عائشة من أوله الى قولها : وفتر الوحى ـ فى بدء الوحى وهو أول كتابه الجامع الصحيح ولم يورد الباقى من « حتى حزن الخ » ومعنى هذا أن هذه الزيادة لم يعتبرها البخارى من بدء الوحى •

٢ ـ ساق البخارى الخبر مع هذه الزيادة فى كتاب التعبير لاحتمال أن تكون هذه الزيادة اذا صح وقوعها قد وقعت مناما •

٣ ـ هذه العبارة ليست من كلام عائشة ، لأن عائشة لا تقول : بلغنا وانما قائل هذه العبارة هو طارق بن شهاب الزهرى •

٤ ـ بلاغات البخارى ـ ومثل هذا النص يسمى عند المحدثين (بلاغا) ـ ليست من موصولاته وانما تجرى مجرى المعلقات غير المؤكدة •

٥ ـ طارق بن شهاب الزهرى بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم هشام وأبوه عروة وعائشة خالة عروة •

فهو من الناحية الحديثية لا يحتسب على البخارى وكأن البخارى أورده ليرد به على من أورده موصولا كأنه يقول : يا أهل العلم لم يصح عندى هذا الخبر الا بلاغا فاحذروه •

هذه هى الشبهة التى شنعوا بها وأقاموا الدنيا وأقعدوها وأثاروا غبارها فى وجه البخارى المضىء « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم » ونعود الى الخبر لننظر اليه من وجهة أخرى بعد أن سقنا العلة الواضحة التى أبرزها البخارى رضى الله عنه فى هذا البلاغ فنقول :

١ ـ ان هذا الحدث لو فرضنا صحته فانه وقع قبل أن تنقدح الرسالة فى صدر النبى صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك قول ورقة « لئن يدركنى يومك » •

٢ ـ لو فرضنا جدلا أن معانى الرسالة ومعالمها قد اكتملت له صلى الله عليه وسلم وفرضنا معها جدلا

أيضا وقوع هذا الحدث فانه لا يقدح فى العصمة لأن الهم بالفعل مع عدم تنفيذه وامضائه لرؤية الملك المبشر له بالرسالة له شاهد يسيغه من الكتاب العزيز وهو قوله تعالى . « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » فهو قد هم حتى ظهر له الملك وهو برهان ربه فلم يفعل وهذا هو الفرق بين النبوة وغيرها وهذه هى العصمة التى يعصم الله بها أنبياءه اقرأ قوله تعالى : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » .

على أن البخارى فيه من المتون الموصولة بدون تكرار ألفان وستمائة واثنان من الأحاديث ، وفيه من المتون المعلقة مائة وتسعة وخمسون من المرفوع وجميع ما فيه من المكرر والبلاغات والمعلقات والمتابعات والشواهد عدا الموقوف على الصحابة وأقوال التابعين تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثا هكذا ورد هذا الحصر فى هدى السارى لترجمان البخارى وأحفظ من مشى على الأرض لحديث النبى صلى الله عليه وسلم ذلك هو الحافظ ابن حجر العسقلانى .

ويؤخذ على هؤلاء أنهم ينطوون على أنفسهم بما يجمجمون به من كل ما يحيك فى صدورهم حتى يصدر منهم اما باستقلال منهم أو بدافع من عناصر مريبة غير مستقيمة القصد صيحات تبلغ حد العواء والمواء يسمونها الأضواء ، ولو أنهم اتسعت صدورهم وانشرحت لقبول الحق ضمائرهم لواجهوا أهل العلم والمتخصصين ذوى الاشتغال والانتاج فى حقل السنة بما يجول فى خواطرهم قبل أن تكون فتنة يمرقون فيها من الاسلام اما تحت تأثير المكابرة والعناد بعد أن سجلوا ما يودى بهم الى مهاوى الهلاك واما بحكم أهل العلم والاتقان والصلاح عليهم وياهول المصير بين المقصين وصدق الله العظيم « ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

وقد شغب هؤلاء على حديث « انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا ، واذا رفع فارفعوا ، واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا » متفق عليه وجاء فى ذلك الكتاب المشبوه كيف يقتدى المأموم بالامام فى مرضه ، وقالوا كلاما فى الطعن فى الحديث ونسبوه الى الاسرائيليات .

وما أيسر هذه التهمة على ألسنة مستهترة وعقول فارغة، ولو استشموا رائحة العلم ما أخرجوا هذا القيء من أفواههم.

ونعود الى تفنيد الشبهة فنقول :

هذا الحديث أخرجه البخارى ومسلم من حديث عائشة قالت : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته وهو شاك فصلى جالسا وصلى وراءه قوم قياما فأشار اليهم أن اجلسوا فلما انصرف قال : انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا واذا رفع فارفعوا واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا » وكذلك أخرجاه من حديث أنس بن مالك قال : « سقط النبى صلى الله عليه وسلم عن فرس فخجش شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا فلما قضى الصلاة قال : انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا واذا سجد فاسجدوا واذا رفع فارفعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا : ربنا ولك الحمد، واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا أجمعون » وقد أخرجه أحمد فى مسنده من حديث أنس وكذا أخرجه أصحاب السنن جميعا والمعاجم من حديث أنس وأخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله كما أخرجه أيضا من حديث جابر أبو داود وابن ماجه والنسائى ولفظ مسلم وابن ماجه والنسائى « اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلينا وراءه وهو قاعد وأبو بكر يسمع تكبيره فالتفت فرآنا قياما فأشار الينا فقعدنا فصلينا بصلاته قعودا فلما سلم قال : ان كنتم آنفا تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم أن صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا » ورواه أيضا مسلم من رواية عبد الرحمن بن حميد الرؤاسى عن أبى الزبير عن جابر ورواه أبو داود من رواية الأعمش عن أبى سفيان عن جابر، ولفظ أبى داود « ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا بالمدينة فصرعه على جذم نخلة فانفكت قدمه فأتيناه نعوده فوجدناه فى مشربة لعائشة يسبح جالسا قال : فقمنا خلفه فأشار الينا فقعدنا فلما قضى الصلاة قال : اذا صلى الامام جالسا فصلوا جلوسا واذا صلى قائما فصلوا قياما ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمائها » وقد علل

النبى صلى الله عليه وسلم الأمر بمتابعة الامام فى جلوسه بعدم تشبه المصلين بمجالس الجبابرة والأكاسرة ، وقد أخذ بمتابعة الامام فى قعوده وقيامه وان لم يكن المأمون معذورا أحمد ابن حنبل واسحاق بن راهوية والأوزاعى وابن المنذر وداود بن على وبقية أصحابه ومالك بن أنس وقال ابن جزم امام المعقول والمنقول : وبهذا نأخذ الا فيمن يصلى الى جنب الامام يذكر الناس ويعلمهم تكبير الامام فانه يتخير بين أن يصلى قاعدا وبين أن يصلى قائما كما فعل أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : وبمثل قولنا يقول جمهور السلف والخلف. ثم رواه عن جابر وأبى هريرة وأسيد بن الحضير قال : ولا مخالف لهم يعرف فى الصحابة ، ورواه عن عطاء وروى عن عبد الرازق أنه قال : ما رأيت الناس الا على أن الامام اذا صلى قاعدا صلى من خلفه قعودا قال : وهى السنة عن غير واحد . وقد حكاه ابن حبان أيضا عن الصحابة الثلاثة ، المذكورين وعن قيس بن قهد الصحابة وعن أبى الشعثاء جابر بن زيد ، وحكاه أيضا عن مالك بن أنس وأبى أيوب سليمان بن داود الهاشمى وأبى خيثمة وابن أبى شيبة ومحمد بن اسماعيل البخارى ومن تبعهم من أصحاب الحديث . ثم قال – أعنى ابن حيان : وهو عندى ضرب من الاجماع اهـ .

فهل يتصور عاقل أن هؤلاء جميعا بدلوا دين الله واندست عليهم صلاة المأموم قاعدا بقعود امامه من يهود ؟!

حتى الذين خالفوا هذا القول كالشافعى وأبى حنيفة لم يتهموا العاملين بهذا بالدس والخيانة واتباع الاسرائيليات ، بل قالوا بنسخ القعود يعنى بعد أن استقر فى النفوس جو المساواة ، وانتفعت أسباب هذه الطبقية الطاغية وبواعث التأليه البشرى ، والحكم يدور مع العلة وجودا وعدما ومادام النبى صلى الله عليه وسلم قد علل النهى عن القيام بمشابهة الأعاجم فى تعظيمهم لعلوجهم ، ثم استقر الاسلام فى نفوسهم ، ورسخت مبادؤه فى

قلوبهم فلا خوف عليهم بعد ذلك من الصلاة من قيام • هذا قول القائلين بالنسخ وهم الشافعى وأبو حنيفة ، وهذه هى آداب الاجتهاد والخلاف بين علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن أخرج الخلاف عن دائرته النقية ولج به فى شقاقه وفتنه جنى ثمرة قصده ونيته وبقيت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وديوانها الجامع الصحيح لأبى عبدالله البخارى رضى الله عنه وأرضاه خالدة •

محمد نجيب المطيعى

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى (٣)

للأستاذ حسن حسب الله

تكلمنا فى العدد الماضى عن السلطة التشريعية فى كل من النظامين الاسلامى والانجليزى ، ونتكلم فى هذا العدد عن مصادر القواعد القانونية فى كلا النظامين .

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى كل شىء بتقدير خاص ووضع له نظاما خاصة به ونظاما خاصا بعلاقته مع غيره « انا كل شىء خلقناه بقدر » القمر ٤٩ .

وان نظرة واحدة لتركيب الماء والهواء والكواكب والأفلاك وعلاقة بعضها ببعض لتوضيح صدق ذلك .

وكما نظم الله علاقة كل هذه الأشياء بعضها ببعض لتسير سيرا دائما منتظما ، نظم أيضا علاقة الانسان بخالقه سبحانه وتعالى وعلاقته بأخيه الانسان لتنتظم حياة الجميع على سطح هذه الأرض ، وأرسل الرسل لابلاغ هذا التنظيم للأمم المختلفة ، وختم رسالاته بالرسالة الكاملة الخالدة ، رسالة الاسلام الموجهة لكل بنى الانسان فى كل زمان ومكان ، وتشرف بحملها وتوضيحها سيد الأنام محمد عليه الصلاة والسلام (قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا — الأعراف ١٥٨) وذلك لتنظيم حياة الفرد عبادة ومعاملة ، وتنظيم حياة المجتمع الاسلامى بوصفه وحدة كاملة تجاه باقى وحدات المجتمع الانسانى فى هذا الكون العظيم .

وان المصدرين الرئيسيين للأحكام الموضوعية فى النظام القانونى الاسلامى هما : القرآن والسنة النبوية الصحيحة ويجب عدم الخلط بين المصادر التى نلجأ اليها للتعرف على أحكام الشريعة الاسلامية وطرق استنباط هذه الأحكام ، فمصادر التعرف على أحكام

الشريعة الاسلامية تنحصر فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، أما طرق استنباط هذه الأحكام فهى مختلفة ومتعددة تبعا لأجتهادات الفقهاء ومجال تفصيل ذلك هو علم أصول الفقه .

ثم أن نصوص القرآن الكريم كلها نصوص مقطوع بصحتها وثبوتها مافى ذلك أى شك ، فلا يوجد أكثر من قرآن واحد وهو المصحف الموجود بأيدينا الآن والذى تكفل الله بحفظه الى يوم القيامة كما يفهم من قوله تعالى: (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الحجر ٩) .

ومن هذه النصوص مالا يحتمل أكثر من معنى واحد محدد لا يمكن أن يختلف فيه اثنان مثل آيات المواريث (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين – النساء ١١) وآية تحريم لحم الخنزير (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ـ المائدة ٣) فالأنصبة المحددة فى آيات المواريث لا يمكن أن تتغير ولا يمكن أن يعاد النظر فيها فى أى وقت من الأوقات ولأى سبب من الأسباب ، ولا يمكن القول بأن مبدأ المساواة بين المرأة والرجل يتعارض مع توريث الرجل ضعف نصيب المرأة ، كما لا يمكن القول بأن تحريم لحم الخنزير كان بسبب أكله للقاذورات ، أما وهو يربى الآن فى حظائر نظيفة . ويلقى من العناية ما يلقاه الأطفال عند تربيتهم فلا يكون هناك داع لتحريمه ، فكل ذلك كلام لا يصح أن يقال ولا يصح أن يناقش اطلاقا فالنصوص القطعية فى دلالتها على معانيها نصوص أبدية التطبيق . لاتخضع للبحث عن الحكمة منها ولا للمناقشة فى مغزاها ، ولا ننظر فى تطبيقها فى أى عصر الى المقارنة بين وقت نزولها ووقت تطبيقها ولا فيمن نزلت وعلى من تطبق . فهى نصوص لا يقترن تطبيقها بوقت معين ولا بقوم معينين من أقوام المسلمين .

وهناك من نصوص القرآن الكريم ما يحتمل لفظه أكثر من معنى واحد ومن هنا نشأ الخلاف بين الفقهاء ونشأت المذاهب والمدارس الفقهية المتعددة وما تبع ذلك ابتداء من القرن الثالث الهجرى من تعصب كل مجموعة من الفقهاء لامام معين ، ومن هذه المذاهب ، والمدارس الفقهية المالكية والحنفية ، والشافعية ، والحنابلة والظاهرية ، والشيعة الزيدية والشيعة

الامامية أو الاثنا عشرية • وقد انقسم المسلمون الى عدة فرق كل فريق منهم يدين بمذهب من هذه المذاهب وان كانت فى مجموعها تبدو متقاربة فيما عدا الشيعة الامامية ، وقد فشا التعصب المذهبى وكثرت المقارنات بين مذهب وآخر بهدف الوصول الى أن ما فى هذا المذهب هو الأصح وهو الأرجح • وامتد هذا التعصب الى القول بأن كل مسلم يجب أن يسير فى كل أموره على وفق مذهب واحد • وهو قول لا يمليه الا هذا التعصب المقوت وانحصار اجتهاد الفقهاء فى حدود هذه المذاهب • والحق أنه وان كانت هذه المذاهب قد قدمت الكثير من الحلول لأغلب ما يعرض للمسلم فى كل عصر من أمور الحياة بسبب ما كانت تفترضه من مسائل وما تضعه لها من حلول الا أنها مع ذلك ليست لها القدسية التى تحجر الاجتهاد وأنها مجرد افهام لأصحابها ومقلديهم ، وقد يكون من علماء عصرنا هذا من يخالفونهم فى افهامهم نتيجة للتقدم العلمى الذى أعقب الفترة التى عاش فيها هؤلاء الأئمة العظام والثروة الفقهية التى أصبحت تحت أيديهم الآن والتى لم تتح لأى امام من هؤلاء الأئمة وليس هذا مجال التفصيل فى مناقشة هذا الموضوع فمجاله علم أصول الفقه ،الا أننا نرى أنه اذا كان لنا مخالفة أقوالهم وأفهامهم والبدء من جديد فان علينا من باب أولى أن نختار من هذه الأفهام ما نراه معقولا وقريبا الى العمل فى هذه الأيام بشرط ألا يحل حراما أو يحرم حلالا وهذا هو المقصود بكمال النظام القانونى الاسلامى وملاءمته لكل عصر من العصور (ما فرطنا فى الكتاب من شىء ـ الأنعام ٣٨) (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ـ النحل ٨٩) فتفسير أئمة عصر من العصور لهذه النصوص لا يلزم من يليهم اطلاقا فاذا وجد من بعدهم أن هذا التفسير لم يعد ملائما وان هناك تفسيرا آخر لايتعارض مع أصول الدين ويؤدى الى وضع ملائم للعصر الذى نعيش فيه وجب عليهم طرح الحكم السابق الذى وصل اليه الأولون • والأخذ بالحكم الذى وصلوا هم اليه ووجدوه أكثر ملاءمة للعصر واتفاقا مع أسس العقيدة الاسلامية • ونضرب لذلك مثلا حالة (المفقود) ـ وهو الغائب الذى لايدرى مكانه ولا تعلم حياته ولا وفاته ـ فاذا أخذنا بفهم الامام أبى حنيفة فى هذا

الموضوع لظلت زوجة المفقود على ذمته مدة قد تصل الى السبعين عاما حتى يمكنها بعد ذلك أن تتزوج بآخر فهل مثل هذا الفهم يصلح فى عصرنا هذا ، واذا أخذنا بمذهب مالك اكتفينا بأربع سنوات • وقد أظهر العمل فى بعض الحالات خطأ الأخذ بالمذهب المالكى فى ذلك ولا يوجد فى الدين مايعارض اعادة البحث وأن تترك هذه المسألة مثلا لتقدير القاضى وفق ظروف كل حالة على حدة دون التقيد بمدة زمنية محددة مقدما •

هذا من ناحية نصوص القرآن الكريم فاذا ما انتقلنا الى السنة النبوية وجدنا انها لا تعتبر جميع نصوصها قطعية الثبوت ، بل ان بعض هذه النصوص الموضوعة اشترك فى وضعها بعض اليهود وبعض المسلمين ، حيث حاول كل فريق الاستعانة بالسنة لتأييد رأيه بل وصل الأمر الى أن اعترف بعض المسلمين بوضع الأحاديث للترغيب فى قراءة سور معينة من القرآن الكريم وقالوا انهم وضعوا هذه الأحاديث حسبة لله تعالى • هذا من ناحية نصوص السنة النبوية فيما يتصل بثبوت ألفاظها ، أما من ناحية معناها فهى تشارك القرآن الكريم فى أن بعض هذه النصوص قطعى فى الدلالة على معناه فلا يحتمل النص الا معنى واحد مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « أطعموا الجدة السدس » فهو قاطع فى الدلالة على أن حصة الجدة فى الميراث عندما ترث هى السدس وبعض هذه النصوص يحتمل أكثر من معنى واحد •

وأمر آخر يجب أن نعطيه أهمية كبيرة عند البحث فى السنة النبوية وهو أن ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقوال ومن أفعال ومن تقريرات شمل نواح ثلاث منها ما صدر عنه بوصعه بشرا يعيش بين سائر البشر وان كان سيدهم جميعا كطريقة سيره أو تناوله غذائه وغير ذلك من أمور الحياة الخاصة ومنها ما صدر عنه لعلاج أمور وقتية مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « الأئمة من قريش » فهذا لا يعنى أبدا أنه أراد أن يضع تشريعا يقضى بأن يكون حكام المسلمين فى جميع العصور والأقطار من أصل قريش ، ومنها ما صدر عنه فى مقام الهداية والتشريع وهذا هو الملزم للمسلمين فى كل العصور

فرجم الزانى المحصن قد ثبت بالسنة النبوية والالتزام برجم الزانى المحصن كعقوبة اسلامية أمر لا يجب أن يخضع للمناقشة أو للتقدير فى أى عصر من العصــور فلا يأتى أحــد ويقول : نستبدل بهذه العقوبة البشعة فى نظره عقوبة الاعدام شنقا مثلا لأنها تحقق نفس الهدف وهو ازهاق روح الزانى فمثل هذا القول غير جائز ولا تجب مناقشته اطلاقا فما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى ينفـذ وبالكيفية التى قرر تنفيذه بها •

هذا من ناحية مصادر التعرف على الأحكام الموضـوعية للنظام القـانونى الاسلامى •

أما بالنسبة للقانون الانجليزى فقد سبق أن قلنا أن المصـــدر الأساسى للقـــانون الانجليزى هو أحــكام القضــاء ، ثم التشريع أى أعمــال البرلمـان الانجليزى ، وتفسير التشريع يكون فى الحدود التى يرسـمها له القضـاء لا الأعمـــال التحضيرية ولا المناقشات البرلمـانية وهناك مصــدر ثالث ولكن أهميتـه أدنى بـكثير من المصـــدرين الســـابقين وهو العرف Custom وقد اندمجت معظم القواعد القانونية العرفية فى أحكام المحاكم ، فأصبحت بذلك قواعد قانونية مصدرها القضاء لا العرف ولم يبق للعرف فى القانون الانجليزى سوى مجال محدود جدا لأنه يشترط لتطبيقه اثبات وجود القاعدة العرفية منذ سنة **١١٨٩** والذى حدد هذا التاريخ القانون الصادر فى سنة **١٢٦٥** وهو لا يزال ساريا حتى الآن فاذا ثبت أن هـذا العرف الذى يدعى به أحد المتقاضين لم يكن من الممكن أن يوجد فى سنة **١١٨٩** فانه لا يطبق •

وقد وجه الانجليز عناية كبيرة نحو نشر الأحكام القضائية نظرا لأنها هى المصدر الرئيسى للتعرف على القواعد القانونية للقانون الانجليزى ، ولهـذا بدأت الحكومة الانجليزية منذ سنة **١٨٦٥** فى اصدار أربعـة مجموعات رسمية لهذا الغرض وهذه المجموعات هى كما يلى :

١ ــ مجمــوعة أحــكام مجـلس اللوردات والمجلس الخـاص ويرمز لها بالحرفين .A.C وهى باختصـار Appeal cases-for the house of lords and privy council.

٢ ــ مجمــوعة أحكام دائرة الملك ويرمز لهـا بالحـرفين .K.B وهى

اختصار Kingo bench أو دائرة الملكة G.B وهى اختبصار Gueen's bench (بحسب شخص رئيس الدولة هل هو رجل أو امرأة) •

٣ ـ مجموعة أحكام دائرة قاضى القضاة ويرمز لها بالحرف C. Hوهى اختصار لكلمة Chancery

٤ ـ مجموعة أحكام دائرة الوصايا والطلاق والبحرية ويرمز لها بالحرف P. وهو اختصار Probate, Divorce, and admiralty

وهناك أيضا مجموعة تنشر فيهـا جميـع القواعد القانونيـة فى انجلترا يرمز لها بالحروف All E R وهى اختصار All england reports.

كما تصدر نشرات أسبوعية لنفس الغرض يرمز لها بالحروف W.L.R وهى اختصار Weekly law Reporte. وهذه المجموعات تنشر القضايا والأحكام التى صدرت فيهـا وهذه الأحكام هى التى تعتبر قواعد قانونية تلتزم بها المحكمة التىأصدرتها والمحاكم التى تليها فىالدرجة وسنعود الى تفصيل ذلك عند الكلام عن النظام القضائى •

ويشار الىالقضايا فىهذه المجموعات بالرموز الآتية فمثلا :

Carlisle Barki g Co. V. Bragg (I9II) — I.K.B.489.

فان ذلك يعنى أن قضية شركة بنك كارليسل ضد براج منشورة فىصفحة ٤٨٩ من الجزء الأول من مجمـوعة الأحـكام الصـادرة من دائرة الملك (K. B) فى سنة ١٩١١

أما القوانين التى يصدرها البرلمـان الانجليزى فيشار اليها بصفة عامة بدون تحديد رقم لها وبدون تحديد تاريخها باليوم والشهر وبعنوان قصير يدل على الغرض منها مثال ذلك (قانون الملكية ـ ١٩٢٥) Law of property-I925 فان ذلك يعنى أن هذا القانون خاص بتنظيم الملكية وأنه صـدر سنة ١٩٢٥ ومواد القانون يشار اليها بالحرف S. اختصار كلمة Section واذا كانت المـادة الواحدة تشـمل عدة فقرات فلكلفقرة رقم وتبدأ بالحروف Subs. اختصار كلمة Subsection.

هذا ونظرا لأنه لا يمكن عرض جميع أوجه المقارنة بين القواعد القانونية الموضوعية لكل من النظامين الاسلامى والانجليزى فى بضع مقالات محدودة الصفحات .

لذلك فاننا سنقوم بعرض الملامح الرئيسية التى تميز القواعد القانونية لكلا النظامين عن باقى الأنظمة القانونية المعروفة حاليا ثم نختار بعد ذلك بعض الموضوعات الهامة للكلام عنها بشىء من التفصيل فنتكلم عن العقد والمسئولية المدنية ونظام الملكية والجرائم والعقوبات ونظام الحكم .

والى اللقاء فى العدد القادم ان شاء الله .

حسن حسب الله

أثر الإسلام في أوربا في العصر الوسيط

للمستشرق مونتجمري وات

عرض وتحليل وتقييم

الدكتور أحمد عبد الحميد غراب

مونتجمرى وات مستشرق معروف معاصر ، وهو أستاذ الدراسات العربية والاسلامية بجامعة أدنبرة فى اسكتلندا • وله عدة مؤلفات عن الاسلام والفكر الاسلامى ، من أهمها ما يلى :

١ ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) فى مكة •

٢ ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة •

٣ ـ محمد الرسول ورجل الدولة •

٤ ـ ما الاسلام ؟

٥ ـ الفلسفة الاسلامية وعلم الكلام •

٦ ـ الفكر السياسى الاسلامى •

٧ ـ مشكلة الجبر والاختيار فى صدر الاسلام •

وللاستاذ مونتجمرى وات اهتمام خاص بالامام الغزالى ، فقد ألف عنه دراسة هامة بعنوان : « مفكر مسلم » كما قام بترجمة « المنقذ من الضلال » الى الانجليزية •

والكتاب الذى نعرض له فى هذا المقال قد نشر حديثا فى سلسلة

(Islomic Surveys) رقم ٩ (أدنبرة ١٩٧٢) • وهو فى الأصل مجموعة من المحاضرات كان قد القاها المؤلف فى باريس سنة ١٩٧٠•

والمؤلف يبذل جهدا واضحا فى هذا الكتاب ليكون موضوعيا فى دراسته ، فهو يحاول مخلصا أن ينصف الاسلام والمسلمين ، ويشيد بالحضارة الاسلامية واسهامها فى بناء الحضارة الأوروبية •والحق يقال انه قد حقق الكثير من الموضوعية ومن الانصاف ، ولكنه لم يستطع أن يتخلص تماما من التحامل والتعسف ، كما سنشير اليه فى حينه •

الفصل الأول
الوجود الاسلامى فى أوروبا

فى افتتاحية هذا الفصل يبين المؤلف هدف الكتاب ، وهو القاء نظرة شاملة على أثر الاسلام فى أوروبا ، ومدى استجابة أوروبا لهذا الأثر • ويعلن أن وجهة نظره عن وجود المسلمين فى أوروبا تختلف عن وجهة نظر المؤرخين الأوربيين فهو لا يعتبر المسلمين فى أوروبا مجرد غزاة دخلاء ، بل يعتبرهم ممثلى حضارة لها انجازات عظيمة شملت رقعة فسيحة من سطح الأرض •

ويقرر المؤلف أن هذه الدراسة لها ما يبررها فى الوقت الحاضر ، حيث يزداد التقارب بين المسلمين والمسيحيين ، وبين الأوروبين والعرب فى هذا « العالم الواحد » • ويشير الى أن الكتاب المسيحيين فى العصور الوسطى قد رسموا صورة مشوهة جدا عن الاسلام ، ولكن بعض الباحثين الأوروبين المحدثين قد بدأوا يعطون صورة أكثر موضوعية • ويعترف المؤلف بصراحة بان أوروبا مدينة ثقافيا وحضاريا للاسلام ، وان كان الأوروبيون يقللون من أهمية هذه الحقيقة ، أو يتجاهلونها تماما • فاذا شاء الأوروبيون أن يقيموا علاقات طيبة مع العرب والمسلمين فعليهم الاعتراف بهذه الحقيقة ، لأن اخفاءها أو انكارها ما هو الا دليل زهو كاذب •

* * *

يقدم المؤلف بعد ذلك عرضا تاريخيا موجزا للحقبة ما بين سنة ٧١١ م (حين فتح المسلمون أسبانيا) وسنة ١٤٩٢ م حين انتهى الوجود الاسلامى هناك • يلى ذلك استعراض تاريخى لاحتلال المسلمين لجزيرة صقلية •

دوافع التوسع الاسلامى :

يرى المؤلف أن هـذا التوسع استمرار طبيعى للجهاد الاسلامى • وهنا يتحامل ويتعسف تعسفا شديدا فيحاول أن يفسر الجهاد فى الاسلام بأنه تطور عن الغارات القبلية فى الجاهلية ، وأن دوافعه فى معظمها كانت دوافع مادية من أجل الغنائم • وكل الفرق – فى رأيه – بين الجهاد والغارات القبلية هو فى التخطيط فقط (!) : فالمجتمع المسلم الأول فى المدينة ، بل وفى الجزيرة العربية كلها ، ما هو الا « اتحاد قبلى » كبير وجهت طاقاته – التى كانت قبل الاسلام عوامل تمزق داخلى – الى التوسع الخارجى •

وهـذا فى رأى المؤلف – ليس معناه أن الاسلام قد انتشر بالسيف ، فالمسلمون لم يرغموا سكان البلاد التى فتحوها على اعتناق الاسلام ، وانما فرضوا عليهم الجزية مقابل حمايتهم • وتحت هـذه الحماية كفلت لهم حرياتهم الدينية ، كما سمح لهم بتولى مناصب هامة فى ادارة الدولة الاسلامية • فالجهاد قد أدى الى التوسع فى الأرض ، ولكنه لم يؤد مباشرة الى انتشار الاسلام •

وواضح ما فى رأى المؤلف هنا من تناقض ، بقدر ما فيه من بعد عن الحقيقة ، بل تشويه لها •

فالمجتمع الاسلامى لم يكن مجرد « اتحاد قبلى » ، ولم تكن الرابطة بين المسلمين رابطة قبلية بأية صورة من الصور • وانما كانت رابطة جديدة هى رابطة الأخوة فى الله وفى العقيدة ، مهما اختلفت القبيلة أو الشعب أو الجنس • والا فكيف توحدت قبائل كثيرة فى ظل الاسلام كانت متعادية قبله ؟

والمؤلف يناقض نفسه مرة أخرى حين يقيم عمل المؤرخين الذين يعتبرون العرب مجرد غزاة لأوروبا مثل غيرهم من غزاتها الجرمان والسلافيين • فهؤلاء الأخيرون – فى رأى المؤلف – كانت مجتمعاتهم قبلية فى أساسها ، بينما كان المسلمون عند فتح الأندلس يمثلون حضارة المدن • كما أن الحضارة الاسلامية قد أصبحت فى مدى حوالى قرنين من فتح الأندلس حاملة وممثلة لأرقى ثقافات العالم فى ذلك العصر •

الفصل الثانى
التجارة والتكنولوجيا

ان وجود المسلمين فى أسبانيا وصقلية منذ القرن الثامن الميلادى ، ووجود الأوروبيين فى العالم الاسلامى خلال الحروب الصليبية قد أدى الى انتشار الثقافة الاسلامية . وأن مهارة العرب فى التجارة قد أدى الى انتشار هذه الثقافة خارج البلاد الاسلامية أيضا .

والتجارة ـ فى رأى المؤلف ـ لها مكانة خاصة فى الحضارة الاسلامية، وهنا يطلق المؤلف حكما عاما غريبا وغير صحيح وهو : أن الاسلام ليس دين بدو ، ولا دين فلاحين (أى ليس دين مجتمع زراعى) ، وانما هو أولا وقبل كل شيء دين تجار (؟ !) .

وهنا يفند المستشرق المعاصر الفكرة التى أشاعها رينان وغيره من المستشرقين فى القرن التاسع عشر ، وهى الفكرة القائلة بأن عقيدة التوحيد الصارمة فى الاسلام كان مبعثها شعور الانسان بتفاهته وسط الصحراء الشاسعة الرهيبة .

فهذه الفكرة منه ليس لها أساس متين .

فالمسلمون الأوائل لم يكونوا بدوا، وانما كانوا من مكة التى كانت مركزا تجاريا هاما ، أو من المدينة التى كانت واحة زراعية . صحيح أن الذين قاموا بالفتوحات الأولى جاءوا من الصحراء ، ومن الممكن أن يقال أيضا أن الأخلاق الاسلامية تشمل فضائل الصحراء (والمؤلف لا يخبرنا بالتحديد:ما هى فضائل الصحراء ؟!) تلك الفضائل التى اتخذت فى الاسلام صورة تناسب حياة المدن كذلك استعمل التجار العرب الصحراء كمعبر كما استعمل تجار البندقية وايطاليا البحر كمعبر .

والدليل على ذلك ـ فى رأى المؤلف ـ أن الاسلام قد تبنى التقويم القمرى (٣٥٤ يوما فى السنة) لا التقويم الشمسى ، مع أن الأول غير نافع للفلاحين ولنظام الزراعة ومواسمها (؟!) .

وبينما أهمل الاسلام الفلاحين والبدو فانه قد هيأ جوا ملائما جدا للتجارة :

١ - فمكة - مهد الاسلام - كانت مركزا تجاريا هاما .

٢ - وانتشار الاسلام فى شرق وغرب أفريقيا ، وفى جنوب شرقى آسيا ، كان على أيدى التجار ورجال الأعمال المسلمين ، وذلك عن طريق الاختلاط والتزاوج مع سكان البلاد الأصليين الوثنيين .

وعلى هذا فانتشار الاسلام يصحبه انتعاش فى التجارة ، وانتعاش التجارة يصحبه انتشار الثقافة الاسلامية .

ان ما سبق هو مثال واضح على تخبط المستشرقين وتعصبهم ضد الاسلام :

فمرة يقولون : أن الاسلام دين البدو أو دين الصحراء .

ومرة يقولون : بل هو دين التجارة ورجال الأعمال ..

فاذا كان الاسلام دين البدو فقط، لا يصلح الا لهم ، فلماذا اعتنقه أهل الحضر؟ وكيف أنتج حضارة المدن؟!

واذا كان دين الحضر فقط فلماذا اعتنقه ملايين الفلاحين ؟ !

واذا كان دين الفلاحين فقط فلماذا اعتنقه ملايين العمال ؟ !

واذا كان دين العامة فقط فلماذا اعتنقه كبار المفكرين والفلاسفة ؟

أليست كل هذه الطوائف من البشر قد وجدت فى هذا الدين ما يرضيها ؟ !

فمتى ينصفون ويقولون الحق : وهو ان الاسلام دين الانسانية جمعاء ؟

ومن الثابت تاريخيا أن الاسلام قد انتشر بطرق كثيرة وليس عن طريق التجار فقط : فقد انتشر عن طريق التربية ، وعن طريق المساجد، وعلى أيدى الوعاظ والمتصوفة ، والمتكلمين والفقهاء . كما انتشر على أيدى المجاهدين، والحجاج، ومعلمى القرآن .. ولا شك أن التجار قد أسهموا بدور كبير فى نشر الاسلام، ولكن ذلك كان بالدرجة الأولى لأنهم مسلمون لا لأنهم تجار ..

بعــد ذلك يستعرض المؤلف العلاقات التجارية بين أوروبا الغربية والعالم الاسلامى •

ثم يذكر ما أفاده الأوروبيون من المسلمين فى النواحى التالية :

الملاحة والبحرية :

وخاصــة من اختراع المســلمين للشراع المثلث الشكل واشتراكهم(؟) فى اختراع البوصلة البحرية •

الجغرافيــا :

اطلع الأوروبيــون على معلومات غزيرة قيمة عن العــالم ، وذلك عن طريق الجغرافيين المسلمين وخاصــة الشريف الادريسى (١١٠٠ — ١١٦٦ م) •

الزراعة :

تقدمت الزراعة كثيرا فى أسبانيا المســلمة بسبب ما أدخله المســلمون من وسائل الرى الجديدة،وما أدخلوه من تحسينات على الوسائل الموجودة• هــذا بالاضــافة الى ما جلبــوه من النباتات التى تحتاج الى رى مثـل : قصب السكر ، والأرز ، والبرتقال ، والليــمون ، والقــطن • وكذلك ما أدخلوه من تحسينات على الــزراعات الموجودة فعلا ، وخاصة الاستفادة من زراعة التوت فى صناعة الحرير • وهناك كلمات زراعية كثيرة فى اللغة الأسبانية واللغات الأوروبية الأخــرى مأخوذة من كلمات عربية (١) •

فن الحياة الراقية :

استخدم المسلمون التقــدم المــادى الناتج عن ازدهار الزراعة والتجارة وغيرها فى جعل الحيــاة فى أســبانيا الاسلامية حياة حافلة بالمسرات • ولم تقتصر هذه المسرات على الطبقة العليا من المجتمع ، بل شاركتها فيها الطبقات الأخرى • وأن السائح الحديث فى أسبانيا ليدرك مدى ما كان من ترف ورقى فى الأندلس عندما يشاهد قصر

(١) « من المعروف أن العرب حولوا وديان أسبانيا المجدبة الى حدائق وغياض زاهرة ، ونقلوا اليها مختلف الغراس من المشرق ، وأنشــأوا بهــا القناطر العظيمة » .

أنظر المؤرخ الأستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه « دولة الاســلام فى الأندلس » أربعة أجزاء — القاهرة ، ١٩٤٩ — ١٩٥٥ ج ٢ ص ١٣٢

الحمراء وقصر أشبيلية مثلا • ودارس الأدب يدرك كذلك لمحات من جمال تلك الحياة الراقية من خلال القصائد والقصص •

ومن ثم فليس غريبا أن تزدهر فى أسبانيا المسلمة عدة صناعات لانتاج أدوات الترف والزينة ومنها : المنسوجات الجميلة من الحرير والصوف، وصناعة الفراء، والعطور، وصناعة القيشانى المزخرف ، (وفن الصناعات المعدنية) ، (وقد أصبحت قرطبة مركزا للجواهر والذهب والفضة) هذا الى صناعة العاج ، وتطعيم الخشب واستعمال الجلود للزينة • وقد كانت قرطبة مركزا هاما لصناعة الجواهر والذهب والفضة •

ان اطار هذه الحياة الراقية يتضح فى فن البناء والعمارة الاسلامية فى الأندلس • وهناك كلمات أسبانية كثيرة فى هذا المجال مأخوذة من اللغة العربية ، ومنها كلمات : « العمارة » و « البناء » و « القصر » و « القلعة » و « القبة » •••• الخ •

هذا النوع من الحياة ما كان يمكن أن يوجد ما لم يكن قد سبقه تحقق مستوى عال رفيع من تذوق الحياة ، وخاصة بين الطبقة العليا فى المجتمع • وهنا نلمس تأثير المدن الكبرى فى الشرق الاسلامى وخاصة مدينة بغداد : فمنها وفدت الىأسبانيا تأثيرات ثقافية كثيرة •

ومن مظاهر تلك الحياة الراقية كذلك اقتناء الكتب • وقد أصبح هذا الاقتناء سهلا فى الحضارة الاسلامية بفضل ادخال صناعة الورق فى بغداد حوالى سنة ٨٠٠ م على يد هارون الرشيد ووزيره جعفرالبرمكى • وقد أدخلت صناعة الورق الى أوروبا عن طريق أسبانيا المسلمة وصقلية •

هذه الحياة الراقية تمثل فىأساسها حضارة المدن ، حيث يسود القانون والنظام ، وحيث يتعايش فى سلام وتعاون أقوام مختلفو الأجناس والأديان والثقافات •

ولأن هذه الحياة الراقية تمثل حضارة المدن نجد كثيرا من الكلمات الأسبانية عن الادارة والبلدية والقضاء وما يتصل بها ، مأخوذة من اللغة العربية •

تأثير الثقافة الاسلامية فى أوروبا الغربية :

أدى اختلاط المسيحيين بالمسلمين فى أسبانيا الى انتشار الثقافة الاسلامية بين المسيحيين ، والى تأثر اللغة الأسبانية باللغة العربية . وقد تأثر المسيحيون تحت الحكم الاسلامى بالثقافة الاسلامية لدرجة كبيرة حتى سموا بالمستعربين . وهنا يورد المؤلف اقتباسا مشهورا يرجع الى سنة ٨٥٤ م ، وفيه يشكو الأسقف « الفنار » من أن الشبان المسيحيين فى ذلك الوقت كانوا شديدى الاعجاب بالشعر العربى لدرجة أنهم هجروا دراسة اللاتينية وفضلوا دراسة اللغة العربية .

وقد تحسنت كذلك أحوال اليهود تحت الحكم الاسلامى ، وأثرت الثقافة الاسلامية فى جميع مظاهر حياتهم ، ما عدا الدين .

وقد ظلت الثقافة الاسلامية فى طليطلة مثلا تلعب دورها التأثيرى على حياة أوروبا العقلية حتى بعد نهاية الحكم الاسلامى فى تلك المدينة وسقوطها سنة ١٠٨٥ م .

ثم يبين المؤلف تأثير الشعر العربى على الشعر الأوروبى الغنائى ، وخاصة فى شعر البروفانس (١) وشعر التروبادور (٢) .

---

(١) شعر البروفانس : نسبة الى مقاطعة بروفانس فى جنوب فرنسا. ولغة البروفانس كانت لغة جنوب فرنسا ، كما كانت اللغة الأدبية لشعراء التروبادور . وأدب البروفانس فى تلك الحقبة كان يتكون أساسا من الشعر الغنائى الذى كان يؤلفه وينشده شعراء التروبادور فى شمال اسبانيا وايطاليا وخاصة شعر الغزل الرقيق الذى انتشر من هناك الى أقطار أوروبا الغربية كلها . أنظر مادة : Proverncal, in the oxford companion to english literature 4 th ed. oxfard, I967.

(٢) شعر التروبادور : من المرجح جدا أن أصل كلمة « التروبادور » أصل عربى : (الطرب دور أو الطراب دور أى . دور الطرب أو دور الطراب).

وقد ظهر شعراء التروبادور فى شمال أسبانيا وايطاليا وجنوب فرنسا فى خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وكانوا شعراء متجولين يؤلفون وينشدون شعرا غنائيا بلغة البروفانس ، وخاصة فى موضوع الغزل والفروسية (أنظر مادة « Troubadours » فى المرجع المذكور فى الهامش السابق) . والمشابهة بين الغزل فى هذا الشعر والغزل العربى ، وكذلك المشابهة بين بعض أوزانه وأوزان الموشحات والأزجال العربية ، مما يؤكد القول بأن أصله عربى .

ويشـير الى ترقى فنى التوشـيح والزجل فى الشعر العربى فى الأندلس والى تطوير العرب للموشـحات حتى بلغت درجة كبيرة من الرقى الفنى ، كما يشير الى المشـابهة ــ التى تـكاد تكون مطابقة بين شعر الزجل العربى والشعر الرومانى الأوروبى •

أما تأثير الثقافة العربية الاسـلامية فى صقلية فهو أوضح ما يكون فى حياة الملكين : روجر الثانى وفريدريك الثانى • فقد عاش هذان الملكان حياة راقيـة مشابها لحيـاة قرطبة ، وكانا يرتديان الملابس العربية • ويتخذان مستشارين وموظفين مسلمين ، كمـا شجعا على استقدام العلماء المسـلمين من سوريا وبغداد ، وكان الاهتمـام بالشعر العربى احدى مظاهر الحيـاة فى القصر الملكى فى عهدهما • وقد شجع فردريك بوجه خاص مناقشـة الفلسفة والعلوم فى قصره •

وقد انتشرت هذه الثقافة العربيـة الاسلامية الراقية بالتدريج من أسبانيا وصقلية الى أوروبا الغربية ، وذلك عن طريق العلاقات التجارية والوجود السياسى •

ويعترف المؤلف بأنه بالرغـم من العـلاقات الوثيقة بين أوروبا وبيزنطة فان أوربا أخذت عن العرب والمسلمين أكثر مما أخذت عن بيزنطة •

ويختتم المؤلف هذا الفصل بثلاث نتائج هامة :

(١) ان اسهام العرب والمسـلمين فى حياة أوروبا الغربية كان فى أكثر الأمر عن طريق « ترقيـة الحيـاة » وتحسين مستواها المـادى •

(٢) ان معظم الأوروبيين لم يكونوا على وعى بالشخصية العربية الاسلامية التى كانوا يتأثرون بها •

(٣) ان الحيـاة الراقيـة للعرب والمسلمين فى أسبانيا ، والأدب الذى صاحب تلك الحياة ــ قد أثار خيـال أوروبا ، وخاصة فى ناحية العبقرية الشعرية الرومانسية •

(يتبع)

د • أحمد عبد الحميد غراب

العودة إلى الحكم بالإسلام

للدكتور مصطفى كمال وصفى

ليس بيننا وبين اقامة دين الله فى هذه البلاد عائق ...

وليس هناك أى مانع ، الا أن نقبل على الله ونستجيب لدعوته .

« يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ... »

فان الدستور ينص صراحة على خضوع النظام القانونى للشريعة الاسلامية .

وبذلك فان الدولة ترحب بالجهود التى تبذل فى هذا السبيل وتشجعها

وهذه الجهود على نوعين :

١ ـ الجهود العلمية التى يبذلها رجال الشريعة والقانون لاعداد المشروعات والدراسات اللازمة لتطبيق الشريعة الاسلامية فعلا فى هذا العصر .

٢ ـ جهود التوعية التى يبذلها رجال الدعوة الاسلامية ورجال التوعية الاجتماعية والنفسية لامكان تمكين العادات الاسلامية ..

فانه بالرجوع الى الدستور نجده صريحا فى اعلان المشروعية الاسلامية وجعلها مشروعية عليا للنظام المصرى وهذا الفهم الأصيل يلقى ظله على جميع أحكام الدستور ونظام البلاد ويقرها .

فان أحكام الدستور فى قيمتها تنقسم الى أقسام بعضها أعلى من بعض :

فقمة الأحكام الدستورية : هى ما تعلق بالدولة (مادة ١ الى ٦) فان هذه الأحكام هى الاطار **الأعلى** الذى

يحكم كل ما جاء من سائر النصوص أيا كانت مكانتها •

ثم تليها الأحكام المتعلقة بمقومات المجتمع الأساسية والحريات والواجبات والحقوق (المواد من ٧ الى ١٣) والأحكام المتعلقة بسيادة القانون (من ٦٤ الى ٧٢) فهذه نتيجة للنوع الأول وفرتين علما •

ثم الأحكام المتعلقة بتنظيم السلطات على تدرج بينها كما هو معروف فيما يقع أصلا فى النطاق التشريعى دستوريا الا من حيث شكله •

وفى القسم الأول المتعلق بالدولة نصت المادة (٢) على أن :

« الاسلام دين الدولة •• ومبادىء الشريعة الاسلامية مصدر رئيسى للتشريع » :

وهذه المادة يجب أن تفسر حرفا حرفا بكل حرص وبميزان الذهب لوقوعها فى هذا القسم الأول من أحكام الدستور •

١ - فمعنى « دين الدولة » أى عقيدتها التى تفنى فى سبيلها وتضحى من أجلها بكل ما عداها • لأن الدين هو العقيدة الراسخة التى يذهب فى سبيلها الانسان الى أقصى حدود التضحية والتفانى •

وهذا التعبير يقابله فى الفقه الحديث أن الجماعات هى وحدات نظامية لها غايات نهائية
وتتألف من جماعة متماسكة حول هذه الغايات التى تعتبر أغراضا اجتماعية لها • ولها سلطة تحكمها وفقا لقيم تنظيمية معينة (كتاب رينار فى نظرية المنظمة موجود فى مكتبة مجلس الدولة ومقالنا فى نظرية القطاع بمجلة مجلس الدولة - وكتاب بيردو فى النظرية العامة للعلوم السياسية بصفة عامة وخاصة الجزء الأول منه ومقال المستشار نعيم عطيه جرجس فى الخطوط العريضة لفلسفة هوريو)
وبدون هذا الفهم الجديد للأصول الدستورية - وبعد الأفكار الدستورية التى أخنى عليها الدهر والمتشبعة بالأفكار الرأسمالية الليبرالية القديمة، لن تيسر لنا مواكبة الفهم الدستورى الحديث وتظل الأفكار الدستورية لدينا موسومة بالتخلف •

وليس فوق نص الدستور على أن « الاسلام دين الدولة » عبارة أبلغ ولا أفرح من أنه غاية الغايات ونهايتها فى النظم المصرى هو اعلاء العقيدة الاسلامية وحمايتها والتقدم بها •

ولما كانت الأشخاص القانونية تختلف عن الأشخاص الطبيعية فى مقوماتها ، فانه يفهم من « دين الدولة » أنه شرائعها ونظامها ومنهجها فى الحياة ، تماما كما اتفق على أن القانون الجنائى يطبق على هذه الأشخاص بما يوافق طبيعتها ، بتوقيع العقوبات المناسبة لها دون ما لا يناسبها كالحبس • هذا فضلا عن دين الأغلبية الساحقة هو دين الدولة ، لأن الشعب مصدر السلطات • ولن يرتضى المسلمون غير الاسلام دينا • وأما غير المسلمين فقد ارتضوا أحكام الاسلام لأنها تحميهم وصار نظامهم جزءا منها خاصة أن اخواننا المسيحيين لا شريعة لهم ويعتمدون على الشريعة الاسلامية فى كثير من أمورهم وقد عشنا سويا قرابة الألف سنة فى ظل الاسلام فى وئام لم يشاهده شعب آخر •

وهنا يتعين علينا أن نقرر أن الدين ليس علاقة بين الانسان وربه فقط • هذا فهم خاطىء من أساسه •

فان الدين فى الحقيقة يقوم به نظام اجتماعى شامل •

هذه الحقيقة لانجدها عندالمسيحيين فى الدور الأول عندما دأبت الدولة الرومانية على اضطهاد المسيحيين الأوائل خاصة فى عهد دقلديانوس • ولما اعتنق قسطنطين والأباطرة من بعده الديانة المسيحية فاتخذت أحكامها نظاما اجتماعيا وعلى مر السنين كون فقهاء الكنيسة قانونا كنسيا على أسس من العدالة واعترفوا بوجود قانون الهى ، يجرى تشريع القوانين الوضعية (القانون الانسانى) على نسقه ومن أهم من قال بذلك : القديس أوغسطين والقديس توماس الأكوينى ولكن كفر الناس بالدين فاستبدلوا بالقانون الالهى قانونا طبيعيا زعموا وجوده ثم أنكر فلاسفة القرن الثامن عشر الدين وبلغت ذروة ذلك أن أعلنت الثورة الفرنسية الالحاد • وللأسف الشديد أخذ كثيرين من المثقفين غير المسلمين يتمسكون الآن بما يسمونه « العلمانية » والفصل بين الدين والدولة •

وكذلك الاسلام : فقد قال الامام البخاري في صحيحه : ان للايمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا من استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان •• والفرائض هى الواجبات التى يعاقب الانسان على تركها ويثاب على فعلها ، والشرائع هى النظم الاجتماعية والحدود هى الموانع (عموما وليست الجرائم السبعة المعروفة) والسنن هى مناهج الحياة ، وقد سار الامام البخارى بعدها فى كتاب الايمان من صحيحه على تفضيل هذه العبارة وتوضيحها (كتاب صحيح البخارى المفسر الحديث) وما بعده (هذا الكتاب موجود بمكتبة مجلس الدولة)

وعلى هذا المنوال من الفهم المذهبى الذى يسيطر على القانون الدستورى الحديث تفهم النظم المدنية ، سواء فى ذلك النظم الديموقراطية الشعبية أو النظم الأخرى التى تقتبس من هذه النظم الشعبية ولو أن بعض الدول المذهبية تتخذ مذاهب غير دينية ولكن الشكل الدستورى واحد فى جميع النظم المذهبية •

٢ ـ ومعنى أن مبادىء الشريعة مصدر رئيسى للتشريع : أى أصول الشريعة ـ أى الأحكام الثابتة التى لا تتطور ـ هى المصدر الرئيسى وغيرها مصدر ثانوى • فلا يجوز تخطى الرئيسى والاقتباس من الثانوى • ومعنى التشريع هنا لا يقتصر على القانون المكتوب ، بل كل قاعدة تنظيمية سواء أقرها العرف أو وضعها القضاء لمبدأ • وهى فى ذلك ليست مصدرا تاريخيا فقط بل مصدر تفسيرى أيضا لعامل الانسجام العام فى ترابط المعنى التشريعى •

وهذه المادة لها خلفية تاريخية لابد من شرحها :

وهى أنه لما شرعت البلاد فى وضع دستور ١٩٧١ انهالت البرقيات على مجلس الشعب ومشيخة الأزهر مطالبة بأن تكون الشريعة الاسلامية هى المصدر الأساسى للتشريع فأصدر الامام الأكبر شيخ الأزهر بيانا تاريخيا نشرته الصحف فى ١٩٧١/٦/٢ بذلك وأصدر مجلس الشعب ثم المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى قرارا بأن تكون الشريعة هى المصدر الأساسى للتشريع • ولكن لجنة الصياغة صاغت المادة على الوجه السالف • وهو لا يغير من معناها الأصلى طبعا ، ولكنه يحتاط فقط

لما تلمسه من الحاجة الى استكمال الصياغة فى الفروع ، ولجان تقنين الشريعة دائبة على عملها • ولا تملك لجنة الصياغة بطبيعة الحال أن تخرج على ارادة السلطة التأسيسية فى قراراتها • وانما يفسر النص الذى وضعته فى ضوء هذه الارادة لأنها مصدر السلطة ومهمة لجنة الصياغة هى التحرير فقط وليست لها ارادة ذاتية فى سن الدستور •

وكلمة « مبادىء الشريعة » لا مفهوم لها فى المصطلح الاسلامى • وانما تعرف الشريعة الاسلامية مايسمى بالأصول ومايسمى بالفروع•

واجمال ذلك ــ كما أورده الثقات ــ أن علوم الأحكام الشرعية تنقسم الى قسمين :

عقائد ، وشرائع أو فقه •

وأن الشرائع تنقسم الى قسمين : أصول وفروع الفقه ، وفروعه •

فصار مفهوم « مبادىء الشريعة » أى العقائد وأصول الفقه •

وفى ذلك يقول الامام السعد على العقائد النسفية فى بيان أن الأحكام الشرعية تنقسم الى عقائد وشرائع :

« ان الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية أو عملية »

« ومنها ما يتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية والعلم المتعلق بالأولى يسمى علم الشرائع والأحكام ، لأنها لا تستفاد الا من جهة الشرع ، ولا يسبق الفهم عند اطلاق الأحكام الا اليها (يعنى عندما يقال : أحكام ــ يتبادر الى الذهن كلمة : شرائع وأحكام) وبالثانية (أى والعلم المتعلق بالثانية ــ يسمى) علم التوحيد والصفات لأن ذلك أشهر مباحثه ••• »

كما يقول الامام البيضاوى فى منهاج الوصول بيانا لأقسام الفقه ، وانه ينقسم الى أصول وفروع • أصول الفقه هو معرفة دلائل الفقه (أدلته) اجمالا ، وكيفية الاستفادة منها ، وحال المستفيد يعنى بحوث الأهلية وعيوب الرضا) • والفقه هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من « أدلتها التفصيلية •• » أى أن الأصول تتعلق بالأدلة ونحوه ، والفروع تتعلق بالتطبيق العملى •

وصار من اللزوم طبقا للدستور أن تستمد الأحكام من هذه المبادىء أو الأصول ريثما تقنن الفروع وهو

منطق • وبذلك زالت التهمة عن لجنة الصياغة ورفع الاصر عنها والحمد لله رب العالمين •

وبذلك فقد أصبح فرض عين على المحكمة وعلى رجال العلم أن يعلموا الشريعة وأن يقضوا بها وهذا الفرض يعاقب الله على تركه •' وقياما بهذا الفرض سأعمل باذن الله على تزويد المحكمة بوجهة النظر الشرعية فيما أعرضه مستقبلا من التقارير •

ثم ان هذه الأصول ثابتة والفروع ذات مرونة وتقبل التغيير بقدر • ولذلك صلح أن يربط الدستور الأحكام بالأصول دون الفروع التى ما زالت تحتاج لمطابقة مستحدثات الزمان خاصة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد مما لم يكن معروفا بمصطلحه العصرى ومفهومه كما يجىء مثلا فى الكلام على حرية العقيدة •

وأفضل ما أورده تبسيطا لذلك ما قاله الامام الشافعى فى الموافقات :
وهو أن الأصول التى لا تتبدل هى النصوص : الكتاب والسنة المعتمدة ، وما يقاس عليهما • وانه فيما عدا ذلك تستنبط المقاصد الشرعية من خمسة أمور : هى المحافظة على الدين ، والنفس، والنسل، والعقل ، والمال (على خلاف فى ترتيب العلاقة الأخيرة) وذلك على وجه الضرورة ، ورفع المشقة والحرج وتحقيق التحسينات وان الضرورات تتعلق بالغرائز أو العادات الجبلية وهى لا تقبل التغيير والتطوير وأما الحاجيات (المتعلقة برفع الحرج) والتحسينات فهى مرنة تقبل التغيير والتطوير لتعلقها بوسائل تحقيق الغرائز وكيفياتها ونسبها وسرعتها ونحو ذلك ومن ثم فانه فى علوم أصول أحكام الشريعة الاسلامية وفروعها يستفاد فى ذلك لتعرف ثبات الشريعة ومرونتها وقابليتها لأن تظل اطارا حافظا للمجتمع من الأمراض الاجتماعية وفى الوقت ذاته تقدر على مماشاة الزمان ومواجهة احتياجاته والله هو العليم الخبير ، ومن أعلم منه وأخبر ؟

وفى مكتبة مجلس الدولة كتاب عن النظام الدستورى الاسلامى وآخر فى المشروعية الاسلامية فيه تكملة لهذا الاقتصاد •

وكلمة « مصدرا أساسيا » تعنى أن غير الشريعة ليس مصدرا أساسيا •

لأن المذهبيــة لا تحتمـــل مصدرين أساسيين لضرورة وحدة الفكر • فاذا عنت الحاجة للاقتباس من نظم أخرى فان ذلك يكون فى اطـــار المصـــدر الأساسى وبمـا لا يعـارضه • وبذلك يمكننا الاستعانة بالنظم الأجنبيـة دون مجافاة للشريعة أو خروج عليها •

أما موضوع المشروعية الاشتراكية :

فان ما تنص عليه المـادة (٤) من الدستور من أن الأساس الاقتصـادى لجمهـورية مصر العربية هو النظـام الاشتراكى القائم على الكفاية والعدل بما يحول دون الاستغلال ويهدف الى تذويب الفوارق بين الطبقـات •• فانه ـ من الواقـع ـ يقتضى مشروعيـــة جزئية قاصرة على الأساس الاقتصادى فقـط محددا فى أمرين محصـورين هما : الكفاية ، والعدل بما يحول دون الاسـتغلال ، وتذويب الفـوارق بين الطبقات •

وهذه الأغراض جزئيـة بالنسـبة للمشروعية الاسلامية الشاملة لنواحى الحياة الأخرى ، فى المسائل الدولية ، والاجتماعية ، والأدبية ، والثقـافية ، والخلقية وعلاقات الأسرة ، والحوار، وغير ذلك كثير وليس صـحيحا أبدا ما قيل من أن الاقتصاد هو الدافع الأول فى الحيـاة فالاقتصاد وسـيط لغيره ، وعلمـاء النفس اتفقـوا على صـدور تصرفات الانسان من غرائز أعمق •• فهذا قول فاسد نشأ عن الانحراف نحو عبادة المـادة ومدح المثل والقيم •

ومن الملاحـظ أن الميثاق قد غاير الماركسية باحترامه الأديان والملكيـة الخاصة وان قبوله قد تقيد بالنص على أنه « ايمانا بالله وشريعته » ـ وبذلك فالادارة الشـعبية واضـحة تماما فى تقييد الاشتراكية ـ عند قبول الميثاق ـ بالدين والشريعة الاسلامية •

ولمـا حـاولت مراكز القـوى جر البلاد الى الاشتراكية الماركسية أجرى الرئيس أنور الســـادات حـــركة التصـحيح فى ١٥ مايو التى أعقبهـــا وضع الدســـتور بنصـوصه السابقة الذكر •

وكل ذلك لا يجدى ما لم يقم أهل العـلم ـ والقضـــاة منهم ـ بتحقيـق مبادىء الشريعة بالعلم والعمل • فهذا هو معنى «العلم والايمان» : أن يكون العلم فى خدمة الايمـــان بأن يرسم

مناهجه وطرق تخطيطه وتطبيقه ، والا ظل شعارات جوفاء لا قيمة لها .

وان لم يفعلوا فقد حاق بهم خزى فى الحياة الدنيا والأخرى ولهم عذاب أليم .

وقال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (الأنفال : ٢٧٠) .

وقال أيضا : « يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

لقد انقضى الزمان الذى كنا نشكو فيه من أن الحكومة تعرض عن الشريعة .. ولم يعد لنا حجة نتمحل بها فى ذلك .

بل ان حجتنا الآن هى التقاعد والتكاسل وهبوط الهمة عن هذا الواجب المقدس . وتحرى العادات الاسلامية فى حياتنا ، والمعاملات الاسلامية فى أعمالنا .. وأن يقبل علماء الدين والقانون متعاونين فى توحيد الأمرين فيصير ديننا هو قانوننا، وقانوننا هو ديننا .. وعند ذلك تستمد الأحكام من الشرع الشريف ولا نجد حاجة للالتجاء للتشريعات الأجنبية .

فلا نكون كمن قال فيه الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

د . مصطفى كمال وصفى

من أسرار بلاغة القرآن

ووجوه إعجازه

للأستاذ أحمد محمد الإمام

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة منجما حسب الحوادث والأحوال ـ لا ريب فيه هدى للمتقين ـ المتعبد بتلاوته ، المعجز بمعناه ولفظه ، بلغ ذروة الفصاحة ، وانتهى الى الدرجة العليا من البلاغة ، حيث روعيت فيه جميع مقتضيات الأحوال ، فهو كتاب عزيز « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لينذر به قوما لدا ، فى عصر توافرت فيه دواعى البلاغة العربية عند العرب ، فكان منهم خطباء مصاقع وشعراء فحول ، أصحاب مفاخرات ومنافرات ومصاولة فى القول ، ومطاولة فى البيان ، البلاغة سجية فيهم ، والفصاحة سر من أسرار لسانهم . وحين قالوا انه مفترى قال لهم : « فأتوا بعشر سور من مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » . ثم تنزل معهم الى سورة واحدة فقال : « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » . وكان قد أعلن تحديهم أن يأتوا بمثله ، فقال للرسول عليه الصلاة والسلام : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

وليست قريش وحدها هى المتحداة بالقرآن ، وليس العرب جميعا ، وانما

تحدى جميع البشر والجن وأعلن أنهم لا يأتون بمثله ولا يأتون بعشر سور مثله ولا بسورة واحدة من مثله وقريش والعرب المكذبون لم ينهضوا لمواجهة هذا التحدى فثبت أنه ليس مفترى وأنه من عند الله كما يفهم من قوله تعالى : « فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون » •

بل ان زعماء قريش والمتقدمين فيهم سجدوا لفصاحته وحلاوة ألفاظه وسحر بيانه ، وبلاغة معناه ، فهذا الوليد بن المغيرة عظيم احدى القريتين يسمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيملؤه اعجابا ورهبة ويشاع ذلك فى الملأ من قريش فتتوجس من ذلك خيفة ، فيسعى اليه أبو جهل قائلا : « يا عم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا كيلا تأتى محمدا تتعرض لما يقول ، فقال له : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا• قال قل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له • فقال وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ، والله مايشبه الذى نقول شيئا من هذا ، ووالله ان لقوله الذى يقول لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وانه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، وانه ليحطم ما تحته • فقال أبو جهل لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه • قال دعنى أقدر وأفكر • ثم قال عن القرآن انه أمر خارق للعادة يستولى على القلوب وانه ارتفع فوق الكلام الذى يصدر عن فصحائهم ومدارهم فليس من جنسه وان كانت الحروف المكونة للألفاظ والأساليب هى الحروف المتعارفة لديهم فقال : (انه سحر يأثره عن غيره) • ولقد صور القرآن الكريم هذا الحادث ببلاغته التى ليست فى طوق البشر ، فقال فى آيات مسجوعة ذات فقرات قصار لتمثيل المعنى المراد تمام التمثيل ، مبتدئة بهذا التهديد تترادف بعده النعم المؤذنة بزوال ورحيل فى الوقت الذى كان يطمع فيه من المزيد ، ثم تصور الآيات فى سرعة جريانها سرعة ما كان يتواثب عليه من خواطر حيرى ، وأفكار مضطربة ، لا تستقر فى نفسه خاطرة حتى تسرع اليه أخرى وهو غريق فى لجج من التقدير والتفكير يحدج بنظره فيما حوله لنجد شيئا يقوله يرضى به عناده وعناد قومه ،

فلا يجد فتعلو وجهه كآبة ترتسم على صفحته أسارير عابسة ، ثم يحاول أن يخرج من حيرة نفسه ، واضطراب فكره . ولو بالرجوع الى الوراء حيث سدت أمامه مسالك التفكير والتقدير ، فيصطنع الاستكبار ويرفع رأسه شامخا ،وكأنه عثر على مايقوله لقريش لا ما يقوله لنفسه لأنه غير مقتنع بما يقول . لقد سمع قرآنا عجبا يتحدر الى القلوب فيملؤها خشية وجلالا فيه أسرار خفية لايعرف مأتاها ولا من أين ابتدأت والى أين انتهت .

اذن هو السحر الذى يحسن تأثيره ولا يعرف سببه ، لقد وجدها اذن فليقل : « انه سحر يأثره عن غيره » وليس عنده غير ذلك .

ولنستمع الى القرآن الكريم يصور هـذه الحادثة فى بعض من جوانبها فيقول :

« ذرنى ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا . ثم يطمع أن أزيد . كلا انه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . انه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال ان هـذا الا سحر يؤثر . ان هـذا الا قول البشر » ولا تكتفى الآيات بالوعيد فى حياته الدنيا ، بل تستطرد لبيان ما هو أخزى وأكبر فجاءت الآيات بعد ذلك تتلاحق وكأنها لهيب النيران ينتقل بسرعة من مكان الى مكان ، وكانت هذه الفقرات المكونة من كلمتين ، الكلمة الثانية متحركة كأنها أمواج البحر الهائج فى ظلمة الليل المخيف ، أو مواقع المقامع المتوالية فى نار جهنم من غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون « سأصليه سقر . وماأدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر . عليها تسعة عشر » (١) .

(٢)

ومنذ زمن بعيد والعلماء يكتبون ، ويؤلفون فى اعجاز القرآن . والقرآن الى الآن وبعد الآن لا تنقضى عجائبه ، وكلما تقدم العقل واستتبع ذلك التقدم فى العلوم النفسية والكونية ، كشفت هذه العلوم عما فى كتاب الله الكريم من أسرار وآيات باهرات فى الآفاق وفى الأنفس لينادى كل جيل فى أى عصر من العصور ، انه الحق ، فلامعدل

(١) الآيات من سورة المدثر .

عنه ولا محيص ، الا الى ضلالات باطلة ، ومعتقدات فاسدة ، وقوانين جائرة ، وشهوات طاغية ، تهوى بالانسان الى تدمير نفسه ، وكأنه الباحث عن حتفه بظلفه .

والذين يسعدون بقراءة القرآن وتدبير آياته تنكشف لهم وجوه الاعجاز فى أمور كثيرة . منها ما أودعه الله فيه من أسرار التشريع ، ليكفل للانسان حياة أسرية سعيدة متكافلة أبرز مظاهرها المودة والرحمة بين الزوجين والاستقرار لجميع أفراد الأسرة الأب والأم والأبناء . وفى آيات معدودات من سورة البقرة مثلا نرى هذا التشريع الخالد فى نظم محكم يمتزج فيه « التقنين » والتشريع بالعواطف الكريمة والأخلاق المثالية الرفيعة حتى حين الطلاق ، وقطع عرى الوفاق . يقول الله سبحانه وتعالى : « الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » (١) .

ومثل التشريع للأسرة التشريع للمجتمع فى مرافقه المتعددة فى الحرب والسلام والحكم والسياسة والمعاهدات والمهادنات والعمل والاقتصاد ، ومثل الأحوال المدنية والجنائية كالبيع والشراء والمداينات والرهون والقتل والقصاص وغير ذلك مما يدخل فى باب الحسبة والقضاء ، ويحتاجه الانسان المدنى المتحضر فى معاملاته وفى صلته بغيره مما لم يكن موجودا قبل نزول القرآن فى المجتمع العربى ولا فيما جاور العرب من مجتمعات كالفرس والروم ، فهو أمد بعيد لم تصل اليه الا اذا جعلت هدفها فى كل تصل اليه الا اذا جعلت هدبها فى كل ذلك وفى غير ذلك كتاب الله الخالد الذى أنزله من يعلم السر فى السموات والأرض ، وصدق الله العظيم : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

ومن دلائل اعجازه . أنه سبق الحوادث فأخبر عن أمور تقع فى المستقبل فجاءت صادقة مثل فلق الصبح ، وفى ذلك ارشاد وتوجيه للمؤمنين به أن يستفيدوا من حركات التاريخ فيرصدوا أيامه التى تعلو وتهبط بالأمم والشعوب ، وبذلك يأخذوا طريقهم الى الحياة القوية العزيزة عن تبصرة ووعى مستفدين من هذا الصراع الذى يدور من حولهم والذى سيؤدى قطعا بالغالب والمغلوب .

---

(١) الآية ٢٢٩ من سورة البقرة .

يقول الحق تبارك وتعالى : « ألم • غلبت الروم•في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون • فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون • بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » • (١) فالروم غلبت فى أدنى الأرض ، وبعد بضع سنين ستكون هى الغالبة لا عن قوة وانما لضعف من غلبها من قبل • والذى يجب أن يستفيد من هذا الصراع بين دولتين دب بينهما داء الأمم من الترف المهلك ، والظلم المدمر المبير انما هى دولة الاسلام الفتية التى تقوم على أساس من العدل المطلق تستمد قوتها وسلطانها ونظام الحكم فيها من كتاب الله الذى يضع بصرها على مواطن العزة والكمال • وليتأمل المتأمل فى قوله تعالى ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله عقب ايراد الخبر بهزيمة الدولتين معا ، وفى هذا التذييل العجيب الذى ختمت به الآية وهو العزيز الرحيم • فلم يفرح المؤمنون يوم ينتصر الرومان على الفرس ، ألأن الروم أهل كتاب والفرس مجوس يعبدون النار ، ولاشك أن الكتابيين أقرب وشيجة من المجوس وان كانوا على ضلال ؟ أو لأن الكفر والشك صنوان ، وقد هزم الكفر اليوم وسيهزم الشرك بعد حين ، وذلك نصر أى نصر لدولة العرب التى ستزيل هذا الركام الفاسد من الشرك والظلم والطغيان ، وتبنى على أساس من هدى السماء دولة ذات أمجاد على عمد راسخة من هدى القرآن ، قد يكون هذا وقد يكون ذاك وأيما يكون فالله هو العزيز الغالب بيده الأمر من قبل ومن بعد يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء وقد أطاح بالفساد ، وسيطيح بجذوره بعد حين ، وهو جل شأنه الرحيم بخلقه فأراحهم من ظلم وطغيان القيصرية التى استذلت العباد وسيريحهم من ضلال وثنية المجوسية التى تعبد النار ، ورحم الله أحمد شوقى الذى يصور العالم قبل البعثة النبوية فى ثلاثة أبيات ، اذ يقول مخاطبا الحضرة النبوية :

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
الا على صنم قد هام فى صنم
مسيطر الفرس يبغى فى رعيته
وقيصر الروم من كبر أصم عمى

(١) الآيات أول سورة الروم .

يعذبان عبـاد الله فى شـبه
ويذبحان كمـا ضحيت بالغنم

ومن وجوه اعجازه ما حكاه عن الأمم الماضية مما لم يعهد للعرب ولا لغيرهم فى ذلك الحين . قال سبحانه مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن قص طرفا من قصة مريم ابنة عمران : « وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون » (١) . وقال سبحانه بعد أن تحدث عن يوسف عليه السلام فى سورة طويلة مخاطبا النبى عليه الصلاة والسلام: «ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون »(٢). وتحدث القرآن عن حياة موسى عليه السلام بافاضة ووصوله الى شعيب فى مدين ، ثم قال مخاطبا النبى عليه الصلاة والسلام .

« وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمر وماكنت من الشاهدين. ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين . وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون»(٣).

(٣)

ومن اعجازه أيضا اشارته الى ما تظهره الكشوف العلمية والفلكية فى الحين بعد الحين وذلك فى آياته الكثيرة التى تدعو الى النظر والتأمل فى آفاق الكون سمائه وأرضه وفى رحاب النفس وسراديب عواطفها ودواخل وجدانها وشتى غرائزها ، مصداقا لقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . (٤) ومن قديم الزمان والعلم ما زال يكشف عن بعض أسرار القرآن التى لم تكن معروفة وهى مبثوثة كثيرة فى ملكوت السموات والأرض يمر عليها الناس وهم غافلون

---

(١) الآية ٤٤ من سورة آل عمران .
(٢) الآية ١٠٢ من سورة يوسف .
(٣) الآيات من سورة القصص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦
(٤) من آخر سورة فصلت .

عنها لايعرفون لها سبباءوالقرآن يشير اليها داعيا الى التأمل فيها ، فاذا ما أثبتها العلم بوسائله الحديثة عجب النـاس من أمر هـــذا الكتاب وليس لهم أن يعجبوا لأن الله قد أودع فيه من أسرار الكون ما يجعله على طول الأمـد الى أن تنتهي هـــذه الحيـاة بلاغا لأولى الألباب وحجة على الناس أجمعين .

وقد سأل الصحابة النبى عليه الصلاة والسلام لم يبدو القمر هلالا صغيرا ثم يتدرج فى الكبر الى أن يصير بدرا ثم يأخذ فى الصـغر والاضمحلال ؟ فأجابهم القـرآن جـواب الحكيم عن فائدة الأهـــلة ، وجـاءت بعد ذلك الكشوف الفلكيـة تبين ارتباط القمر بالأرض ودورانه حولها وكان يكفى يومئذ كما هو كاف الآن أن يعـــلم السـائلون أن الأهلة مواقيت للنـاس والحـج وأن الله قدرهـا منـــازل ليعلموا عدد السنين والحساب . قال تعالى : « يسـألونك عن الأهلة » . والآيات التى نقدمها الآن من الكتاب العزيز تحث على النظر فى الظـواهر الكونية وتدعو الى العلم بها والبحث وراء أسرارها وخفاياها للاستفادة منها فيما ينفع الناس . وقد تتناقض قضايا العلم وقد تختلف وينفى لا حق لها سـابق ، ولـكن القرآن لايختلف ولا يتناقض ـ وحاشاه ذلك ـ ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فالقرآن كتاب هداية وارشـاد وتشريع وأحكام يحل الحلال ويحرم الحرام ويدعو الى الصراط المستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات والأرض فليس هوكتاب طب ولا كتاب تاريخ أو جغرافيا أو هندسة أو فلك أو غـير ذلك من العـلوم . والآيات الـكونية التى جاءت فيه انمـا كانت أدلة وبراهين على مظاهر قدرة الله وبديع صنعه فى ملكوته يتوصل منها العقلاء وأهل النظر الى ما وراء هـذا الكون من تدبير محكم وقدرة باهـرة وعلم لا يخفى عليـه شيء فى الأرض ولا فى السـماء ـ وكثـــير من هـذه الآيات يعقب بما وراء هذه الحيـــاة الدنيا من حياة أخرى وما يتبعها من بعث ونشـور وحساب وجزاء . قال تعالى :

« وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليهـا المـاء اهتزت وربت وأنبتت من

كل زوج بهيج • ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور»(١) وقال سبحانه : « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شىء قدير » (٢) •

ولكن على المسلمين أن يتنبهوا الى ما نبههم الله اليه فلا يقعدوا وركب الحضارة تحدده الكشوف العلميــة والفلكيــة حتى لقد وصل العلم الآن الى غزو الفضاء وانما عليهم أن يسهموا فى هذه النهضة العلمية وبذلك يجمعون بين علـوم الدين وعـلوم الدنيـا ويتحصنون بهما معا والا كانوا فريسة لغيرهم من طغاة الغرب وملاحدة الشرق وما أشبه الليلة بالبارحة يوم كان على الدنيـا كسرى وقيصر ولا شىء غـير كسرى وقيصر •

وسـنورد بعض الايات التى رأى فيها الباحثون أن بها اشارات الى أمور كانت خافية حتى دل عليها العلم فكان القرآن مصدقا له فيما جاء به : يقول تعالى مبينا حال المسلم وما هو عليه من طمأنينــة نفس ، وانشراح صــدر ، وهدوء بال واهتداء بالحق • وما عليه المشرك من قلق واضطراب وضـيق صـدر وضــلال يخبط بسـببه فى دياجير الظلمات : « فمن يرد الله أن يهـديه يشرح صـدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صـدره ضيقا حرجا كأنما يصـعد فى السماء » ، والذى لفت نظر العلماء فى الآية هو هذا التشبيه الرائع « كأنما يصعد فى السماء » (٣) •

وذلك ان العلم الحـديث قد أثبت أن الانســان كلما ارتفع فى طبقات الجو العليا ضاق صدره وتعسر تنفسه ويكاد أن يختنق بل هو اذا واصـل سيره الى أعلى اما أن يختنق قبل ان ينبثق الدم من جسده واما ان ينبثق الدم من جسده قبل ان يختنق ، وذلك لعدم وجود الاكسجين فى الهـواء فى الطبقات العليا ولأن الانسان كلما علا كلما خف الضغط الجوى من حوله

(١) الآيات ٥ و ٦ و ٧ من سورة الحج .
(٢) الآية ٣٩ من سورة فصلت .
(٣) الآية ١٢٥ من سورة الانعام .

فلا يكون هناك توازن بين ضغط جسمه الداخلي والضغط الخارجي ولذلك ينبق الدم من وجهه ومن سائر جسمه ـ ولولا الأجهزة التي يستعملها الطيارون والصعدون في طبقات الجو لماتوا حين يصلون الى قدر معلوم من الارتفاع • والتشبيه هنا بديع غريب،فان الحيران المضطرب الذي يسلك حياته في ضلال الوثنية وظلمات الشرك يكون ضيق الصدر لا يملك الا أن يتنفس الصعداءازاحة للغمة وتفريجا للكربة ، ولكن أنى له ذلك وهو كلما أمعن في الضلال كان في حرج وشدة مثله تماما مثل الذي يصعد في السماء •

وهذه الآية كما قلنا ليست نظرية في الضغط الجوى وليست تجربة لبيان أن الهواء في الطبقات العليا يقل فيه عنصر الاكسجين حتى ينتهى ولكنها تشرح حالة المؤمن الرضى النفس وحالة المشرك المضطرب القلب ، فاذا اشارت الى شيء قد كشف عنه العلم بوسائله واستفاد منه الناس قلنا ان ذلك من اعجازالقرآن وانه من عند الله وعلى المسلمين أن يبادروا الى ما أشار اليه القرآن فيبحثوا وراءه ليستفيدوا منه في حياتهم وفي دينهم لأن من وراء ذلك القوة المادية وهي التي تصون الأمم من الضياع وتحفظها من الأعداء •

ونعود فنقول هل كان العرب يوم نزل القرآن يعرفون نظرية الضغط الجوى أو يعرفون تجربة تقول ان عصر الأكسجين يقل في الأماكن المرتفعة وكلما ارتفع الانسان ضاق صدره ولحقته الشدة والحرج الى أن يموت خنقا ؟ ما كان العرب يعرفون ذلك ولا أمة الفرس والروم تعرف ذلك ولكنه القرآن كتاب الله المقروء يشرح ويفسر ما في الكون وهو كتاب الله المنظور ليكون للعالمين نذيرا جيلا بعد جيل وقرونا متطاولة في أثر قرون •

وقال سبحانه وتعالى في سورتي الاعراف والنور ملقيا الضوء على مظاهر القدرة الباهرة والعلم الواسع المحيط الذي لا حدود له في ظاهرة من الظواهر الجوية يلفت اليهاالانظار ولتكون وسيلة للعبرة والاستبصار ، وهاتان الآيتان تبين كيف تتكون السحب في السماء وكيف تزجيها الرياح وكيف ينزل المطر فيأسلوب رائع اختلطت فيه حقائق العلم بروعة

البيان وجلال الايمان ، وكيف تتكون جبال البرد وكتل الجليد فى الطبقات العليا من الجو ، وكيف يستمد المطر ماءه من مياه المحيطات والبحار — فتكون هذه الدورة المائية العجيبة بين الأرض والسماء — ليكون بعدها المطر ماء عذبا فراتا سائغا شرابه • شمس تسلط بحرارتها على مسطحات واسعة من مياه المحيطات فتثيره بخارا يتصاعد الى السماء ويكون سحابا مسخرا بين الأرض والسماء تزجية الرياح الى حيث يريد السميع العليم فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يخرج به من الأرض ملحا اجاجا ويعود اليها عذبا فراتا تجرى به الانهار حلوا طهورا ويسلكه ينابيع فى الأرض « لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا»(١) ومن وراء ذلك جنات تزكو بيانع الثمار ، وتزهو بأنواع حالية من الرياحين والازهار ، «وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لأيات لقوم يعقلون » (٢) •

قال تعالى من سورة الأعراف: «وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت وأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » • « (٣) الآية مملوءة بالآيات والظواهر الطبيعية ، ارسال الرياح من مكان الى مكان وهبوبها من جهة الى أخرى مختلفة عنها كالماء واليابسة ، وحملها للسحب الثقال المحملة بالمياه على هيئة بخار ، وازجاء الرياح لهذه السحب وسوقها بأمر الله المعبر عنه بـ « سقناه » وأنزل الماء على بلد ميت لا نبات فيه واخراج الثمار المتنوعة الاشكال والطعوم من زرع وشجر يروى بهذا الماء — ثم البرهان والقياس على أن من يفعل كل ذلك وأنتم ترونه بأعينكم وتأكلونه فى بطونكم ويأخذ عليكم سمعكم وأبصاركم كل حين قادر على أن يحيى الموتى ويخرجهم من قبورهم أحياء

(١) الآية ٤٩ من سورة الفرقان .
(٢) الآية ٤ من سورة الرعد .
(٣) الآية ٥٧ من سورة الاعراف .

للحساب والجزاء : « كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » •

هذه القضايا التى اشتملت عليها هذه الآية لا ينبغى أن تمر تحت سمع وبصر المؤمنين من غير أن يستفيدوا منها حتى اذا كمل لهم العلم بها زادتهم ايمانا على ايمانهم ، وكانت مقدمات للنتيجة التى يجب أن يذعن لها ويؤمن بها القارىء لكتاب الله المتدبر لما جاء فيه ، ومثل هذه الآية مثل اختها فى سورة النور ، وهى قوله تعالى : « الم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار • يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » (١) •

ان كمال العبرة أن تدرس هذه الظواهر الجوية ويتعرف عليها أهل القرآن فهم أولى من غيرهم ومن المؤلم حقا أن القوم فى الغرب أو الشرق لم تنزل عليهم هذه الآيات البينات تدعوهم الى الايمان بخالقها وموجدها ولكنهم درسوها ولموها وتعلموها وعلموها واستفادوا منها ، ونحن فى غفلة عنها معرضون •

ولقد كان علماء النبات — بناء على التجربة والمشاهدة العلمية يستدلون بالآية الكريمة التى جاءت فى سورة الحجر وهى قوله تعالى: « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين » (٢) يستدلون بها مؤتنسين لنظريتهم التى تقول ان الرياح تلقح الأشجار والنبات بما تنقله من ذرات من الذكر الى الأنثى فى عالم النبات ولم يكن ذلك مستساغا لدى علماء اللغة العربية حيث رتبت الآية انزال الماء على تلقيح الرياح فعطفت الجملة الثانيه بفاء السببية على الجملة الأولى « وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء » حتى اكتشف العلم حديثا أن الرياح تزجى السحب لتؤلف بينها فتكون متراكمة بعضها على بعض ثم ترتفع فى طبقات الجو العليا فتتجمد بخارها الى جبال من البرد وكتل من الجليد

---

(١) الآيتان ٤٣ ، ٤٤ من سورة النور •
(٢) الآية ٢٢ من سورة الحجر •

يتداخل بعضها فى بعض بفعل الجاذبية الكهربية السالبة والموجبة فيكون ما يرى وما يسمع من برق ورعد يسبح بحمد الله العلى القدير ، ثم يخرج من خلالها الودق مطرا طيبا وذلك بمشيئة الله وقدرته وسوق الرياح التى كانت سببا فى تلقيح السحب بعضها من بعض . ولعل أهل صناعة النحو واللغة لا يحتاجون الى تقديرات وتخريجات فى كلمة لواقح بعد هذا الكشف العلمى الذى يرتب انزال الماء على ارسال الرياح لواقح .

ويظهر اعجاز القرآن واضحا جليا فيما يرسم للناس فى هذه الحياة من طرائق السعادة ، ووسائل العيش الكريم فى ظلال وارفة من الأمن والدعة والسلام مترسمين صراطه المستقيم ثم ما أخبر به عن مشاهد القيامة وأحوال الآخرة ، وأهوالها ونعيمها . وما أعده الله لعباده الصالحين من نعيم مقيم وما توعد به العصاة والكفرة من عذاب أليم ، ولقد أفاض القرآن فى هذه وتلك فى أسلوب قوى يأخذ بمجامع الألباب .

يقول سبحانه وتعالى مبينا الأسلوب الكريم الذى يجب أن يمشى عليه المؤمن فى حياته ليجتازها معافى الى آخرته :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلك وصاكم به لعلكم تعقلون . .. ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » (١) صدق الله العظيم .

ويقرأ القارىء من قوله تعالى فى سورة الاسراء : « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو

(١) الآيات من سورة الأنعام ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣

كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » الى قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا • ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا • كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها • ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا » •

ليقرأ ذلك وليعرف بأى دستور يعيش الناس الحياة ، انه الدستور الالهى الذى شرعه الله لاسعاد البشر ليعيشوا على المحبة والوئام اخوة متعاونين متساندين لا يبغى قوى على ضعيف ولا يأكل غنى حق فقير • لقد جرب هذا الدستور الالهى حقبة من الزمن فنعم الناس جميعا فى ظلاله آمنين مطمئنين المسلم والذمى على سواء •

أما الدساتير التى من صنع البشر ، فياويل للانسانية منها ، انها شرعة الذئاب المفترسة للحملان الوادعة • ولن يرى هذا الكوكب الأرضى سلاما الا اذا آوى الى شرعة الاسلام التى لا تعصب لجنس أو لون والتى تجعل للفقير فى مال الغنى ما يحيا به الفقير والغنى معا فى أمن وسلام •

ويقول سبحانه وتعالى عارضا مشاهد القيامة فى آيات من آخر سورة الكهف :

« وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا • الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا » • الى أن يقول سبحانه : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا » •

والآيات فى هذين الغرضين كثيرات جدا •

على أن القرآن الكريم مأدبة الله يتناول منها الخاص والعام فيأخذ كل ما يتفق مع ثقافته وما هو عليه من استعداد فطرى أو مكتسب فيشبع ويقنع ولا يطلب مزيدا من غيره • يتلو آياته العالم الضليع المتخصص فيأخذ بعقله وفكره الى سبحات النفس وملكوت السموات والأرض فيزداد

ايمانا على ايمانه . ويقرؤه أو يسمعه ذو الثقافة المتوسطة أو العامى فيزداد كل منهما ايمانا على ايمانه أيضا ويملأ قلبيهما اجلالا وخشية ويسلك بهما أقوم الطرق وأهداها الى الحياة الطيبة في طلب العيش الكريم .

على أن الأيام ما زالت تكشف عن أسرار هذا الكتاب الحكيم وصلته بالحياة وما فيها ومن فيها مبينة أنه كتاب الدهر المتجدد على مر الأعوام وكر الدهور لا تفنى عجائبه ولا تنقضى غرائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد من قال به صدق ومن حكم به عدل قوله الفصل ليس بالهزل ، وهو الذى حين سمعته الجن : « فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا » (١) .

وفي الحق ان اعجاز القرآن يشمل كل هذه الوجوه التى قدمناها وأكثر من هذه الوجوه ، والذين يعنون بدراسة علم الأخلاق وعلم النفس ويلتمسون السلوك المستقيم والمنهج القويم فى العادات والأخلاق والطباع أو انحراف النفس عن الجادة ، وسلوكها العثار وغير ذلك من الأخلاق الذميمة معللين لهذا أو لذاك يرون فى القرآن الكريم الزاد الذى لا ينفد والعلم الذى لا يضطرب ولا يتزلزل .

والذين يدرسون البلاغة والأدب يغنيهم من اعجاز القرآن صحة مفرداته وفصاحة ألفاظه وقوة أساليبه ووضوح معانيه فالى المقال التالى ان شاء الله .

والله الموفق للخير والمعين عليه ، وهو ولينا فنعم المولى ونعم النصير ؟

أحمد محمد الامام

---

(١) الآية ١ ، ٢ أول سورة الجن .

هل في القرآن حروف زائدة ؟

للدكتور علي العماري

٨ ـ الفاء • في قوله تعالى : « هذا وان للطاغين لشر مآب • جهنم يصلونها فبئس المهاد • هـذا فليذوقوه حميم وغساق » (١) •

قـال في المغنى عن الفـاء : تكون زائدة ، دخولها في الكلام كخروجها ، وهـذا لا يثبتـه سـيبويه ، وأجـاز الأخفش زيادتها في الخبر مطلقا •• وحمل عليه الزجاج : « هذا فليذوقوه حميـم » • وقال ابن برهـان : تزاد الفاء عند أصحابنا جميعا •

(يريد بأصـحابه البصريين ما عدا سيبويه) •

والمانعون لزيادة الفاء قالوا في الآية ان الخبر حميم ، وما بينهما معترض ، أو هذا منصـوب يفسره فليـذوقوه ، مثـل : واياى فارهبـون ، وعلى هذا فحميم بتقدير هو حميم •

قال الدماميني في التخريج **الأول :** ولا تكون زائدة لئلا يقع فيما فرمنه ، ولا للعطف على جملـة : هذا حميـم لئلا يلزم عطف الانشـاء على الخبر ، وتقـدم المعطوف على بعض المعطوف عليه ، فتكون رابطة لشرط محذوف ، والشرط والجـزاء معتـرض ، أي • واذا كان كذلك فليذوقوه •

قال الأمير في حاشيته بعد أن أورد كلام الدماميني : ولعـل الأوضح أن التقدير : ان لم يؤمنوا الآن فليذوقوه يوم القيامة •

ثم قال ابن هشام : الفاء في نحو : « بل الله فاعبد » زائدة عند الفارسي وفيه بعد •

وصنيع الزمخشري في تفسـير آية (ص) يشير الى أنه لا يرى الا أصالة الفاء ، فقد ذكر لها تخريجات كلهـا

---

(١) سورة ص ـ ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧

تشعر بأنها أصلية • قال : (هذا حميم فليذوقوه ، أو العذاب هذا فليذوقوه) ثم ابتدأ فقال : هو (حميم وغساق) ، أو هذا فليذوقوه بمنزلة فاياى فارهبون ، أى ليذوقوا هذا فليذوقوه)

٩ ـ فى • فى قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها » •

ذكر ذلك ابن هشام فى المغنى ، ونسبه الى (بعضهم) •

وصنيع الرازى يشير الى الأمرين وان كان أقرب الى القول بالزيادة للسر البلاغى الذى ذكره ، قال : (ولفظه « فى » فى قوله : (اركبوا فيها) لا يجوز أن تكون من صلة الركوب ،لأنه يقال : ركبت السفينة ، ولا يقال : ركبت فى السفينة ، بل الوجه أن يقال : مفعول اركبوا محذوف ، والتقدير : اركبوا الماء فى السفينة •

وأيضا يجوز أن تكون فائدة هذه الزيادة أنه أمرهم أن يكونوا فى جوف الفلك لا على ظهرها ، فلو قال : اركبوها : لتوهموا أنه أمرهم أن يكونوا على ظهر السفينة) •

ولم يعرض الزمخشرى للفظ «فى» فى هذه الآية •

أما المفسر أبو السعود فكلامه يرد على الرازى ، وان لم يذكره ، فانه قال : (الركوب يتعدى بنفسه ، واستعماله ههنا بكلمة « فى » ليس لأن المأمور به كونهم فى جوفها لا فوقها كما ظن) •

وهذا رد صريح لكلام الرازى •

وحجة أبى السعود أن أشهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها فى البطن الأسفل، والأنعام فى الوسط ، وركب هو ومن معه فى الأعلى •

وذكر أن معنى الركوب العلو على شىء له حركة ، فان كانت الحركة ارادية كما هى فى الحيوان تأتى المادة على أصلها ، فيقال : ركبت الفرس ، وعليه قوله تعالى : « والخيل والبغال والحمير لتركبوها » وان كانت غير ارادية يلوح بمحلية المفعول بكلمة (فى) ، فيقال : ركبت فى السفينة ، وعليه الآية الكريمة ، وقوله عز قائلا : (فاذا ركبوا فى الفلك) وقوله

تعـالى : « فانطلقـا حتى اذا ركبـا فى السفينة خرقها » .

وتفرقته بين النوعين جميلة ، ولكن يسأل : لم خص النـوع الثانى بفى ؟ فـلا يوجـد سر بلاغى الا ما قـاله الرازى .

ثم ما هذه الروايات التى يعتمـد عليها فى رد تخريج بلاغى جميـل ؟ وما مبلغها من الصحة ؟

ان مثـل هـذه الروايات ما لم يأت بهـا خبر صحيح لا قيمة لهـا ، وهى زيادة عـلى ما فى النص الـكريم ، فرفضها أولى من قبولها .

١٠ ـ الكاف فى قوله تعالى : « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » (١)

وقد قيل كلام كثير حول هذه الآية الكريمة فى القديم وفى الحديث .

والقـائلون بزيادة الكاف يحتجون بأن القول بأصالتها يلزم عليه المحال ، وهو ثبوت مثل لله تعالى الله عن ذلك علوا كبـيرا وبأنه يلزم عليـه التناقض لأن الله مثل مثله ، ولذلك قال الأكثرون : التقـدير ليس شىء مثلـه . قال ابن جنى : وانما زيدت لتوكيد نفى المثـل لأن زيادة الحرف بمنزلة اعادة الجملة ثانيا .

وقال جمـاعة من العلماء بأصالة كاف التشبيه . واختلفوا بعد ذلك فى تفسير الآية الكريمة فقـال فريق ان لفظة مثل زائدة لئلا تتصـل الكاف بالضمير ، والمراد ليس كهـو شىء أى ليس كالله شىء ونظروا بقوله تعالى : (فان آمنـوا بمثـل ما آمنتم به فقـد اهتدوا) (٢) أى بما آمنتم به ، فلفظة مثل زائدة فى الآيتين . وقد ذكر ذلك جمع من المفسرين ، ولكن ابن هشام فى المغنى رد هـذا القـول محتجا بأن زيادة الاسـم لم تثبت ، وبأن القـول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم .

ومع أنه نقل أن زيادة (مثل) فى قوله تعالى « بمثل ما آمنتم به » تؤيدها قراءة ابن عباس : « بمـا آمنتـم به » ذكر لهـا تأويلات . ان يراد بالمثـل

---

(١) سورة الشورى ١١

(٢) سورة البقرة ١٣٧

محمد صلى الله عليه وسلم ،أو أن الباء زائدة ، أى آمنوا ايمانا مثل ايمانكم . وقيــل (مثـل) للقرآن ، و (ما) للتوراة ، ويكون المعنى : « فان آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم » .

ومن التخريجات فى قوله تعـالى : « ليس كمثلـه شيء » أن يكون مثـل بمعنى ذات أو بمعنى صفة .

وعند الزمخشرى أنه طالما المقصود بهذا التعبير الكناية ، فسواء قيل ليس كمثله شيء ، أو قيل ليس كالله شيء ، فالمعنى واضح ، ونص عبـارته ـ كما فى الكشاف : « قالوا مثلك لا يبخل ، فنفوا البخل عن مثله ، وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة فى ذلك فسلكوا به طريق الكناية ، لأنهـم اذا نفوه عمن يسد مسده ، وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره قولك للعربى : العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قـولك أنت لا تخفــر الذمم ، ومنه قولهـم : أيفعت لداته ، وبلغت أترابه يريدون ايقاعه وبلوغه ... فاذا علم أنه من باب الكنـاية لم يقع فرق بين قوله ، ليس كالله شيء ، وليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكنـاية من فائدتها ، وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد ، وهو نفى المماثلة عن ذاته ، ونحـوه قوله عز وجل : « بل يداه مبســوطتان » فان معناه : بل هو جواد من غير تصـور يد ، ولا بسط لها ، لأنها وقعت عبـارة عن الجود ، لا يقصدون شـيئا آخر ، حتى انهم ، اسـتعملوها فيمن لا يد له ، فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له » (١) .

وأشار الزمخشرى أيضا الى القول بزيادة الكاف لكنه صـدره بقـوله : (ولك أن تزعم أن كلمــة التشــبيه كررت للتوكيـد) وواضح من هـذا الأســـلوب أنه لا يرى زيادة الكاف لكنــه ـ فى الحقيقـة ـ لم يتعـرض لأصل المشكلة ، وهى أن القول بأصالة الكاف يثبت مثلا لله تعالى ، الأمر الذى دعا أكثر العلمــاء الى القول بزيادة الكاف .

ولا يكفى أن يقول الزمخشرى انه لا فرق بين أن تقول ليس كالله شيء وبين أن تقول ليس كمثله شيء ، لأنه

---

(١) جـ ٣ ص ٣٩٩ : الطبعة الأولى .

يقال : المقارنة تكون بين ليس كالله شيء وليس مثله شيء أما ليس كمثله ، فهى موضع الاشكال .

وكأن المفسر أبا السعود تنبه الى ما فى كلام الزمخشرى من الاجمال فقال : (اذا نفى عما يناسبه كان نفيه عنه أولى) ولكن هذا أيضا لم يزد على أن ردد نفس التعبير ، فان قوله عمن يناسبه اثبات لمناسب له .. وهو موضوع المسألة ـ كما يقولون ـ .

وقد حاول بعض الكتاب المحدثين (١) أن يلقى ضوءا على فهم الآية ، بعد أن لخص المسألة فى أنها تنحصر فى القول بزيادة الكاف ، وهذا قول أكثر أهل العلم ، فرارا من المحال العقلى ، اذا رأوا أنها حينئذ تكون نافية الشبيه عن مثل الله ، فتكون تسليما بثبوت المثل له سبحانه .

قال : (وقليل منهم) من ذهب الى أنه لا بأس ببقائها على أصلها ، لأن نفى مثل المثل يتبعه فى العقل نفى المثل أيضا .

ويقول : لو كان هنا مثل لله لكان لهذا المثل مثل قطعا ، وهو الاله الحق نفسه فان كل متماثلين يعد كلاهما مثلا لصاحبه ، واذا لا يتم انتفاء مثل المثل الا بانتفاء المثل . وهو المطلوب .

وفى هذا الكلام مغالطة واضحة ، ذلك أن المطلوب ليس هو انتفاء مثل المثل بانتفاء المثل ، وانما المطلوب هو أن نفى مثل المثل يستلزم نفى المثل .

وأما قوله : لو كان هنا مثل لله لكان لهذا المثل مثل قطعا ، وهو الاله الحق نفسه فلا يتجه لأن الذى هنا أصل ، ومثل لهذا الأصل ، ولا معنى للرجوع بالقول ان الأصل مثل لمثله .

ولا يزال الاشكال قائما وهو أن نفى مثل الله يثبت هذا المثل ولا ينفيه وهو المحال العقلى الذى دعا (أكثر أهل العلم) الى القول (بوجوب زيادة الكاف) هنا .

لكن هذا المؤلف عاد فوضح وجوب بقاء هذا الحرف على أصالته من طريقين :

الأول : أنه لو قيل : (ليس مثله شيء) لكان ذلك نفيا للمثل المكافيء ،

---

(١) هو المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز فى كتابه (النبأ العظيم) ص ١٢٧ وما بعدها .

وهو المثل التام المماثلة فحسب ، واذا لدب الى النفس دبيب الوسـاوس والأوهام أن لعل هناك رتبة لا تضارع رتبة الألوهية ولكنها تليها ، وأن عسى أن تكون هذه المنزلة للملائكة والأنبياء ... فكان وضع هذا الحرف اقصـاء للعـالم كله عن المـاثلة وعمـا يشبه المماثلة ، وما يدنو منها .

وهـذا كلام يفتـرض أن مـن الكلمات اللغوية ما هو غير محـدد المعنى ، فنحن نعرف أن مثل الشيء هو المماثل له في كل شيء ، فاذا كان مماثلا له في بعض الصفات قيل هو مثله في كذا ، ولا يطلق الكلام الا اذا أريد المبالغة ، فاذا نفى المثل كان معناه نفي المماثل من جميع الوجوه ، ولا يدخل فيه توهم أن هناك مماثلا في صفات خاصة ، أو في أشياء خاصة .

يبين ذلك أن القرآن الكريم حين تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثله لم يدخل في وهم أحد أنه يجوز أن يجيئوا بسورة تقرب منه في البـلاغة ولا تماثله مماثلة تامة ، فلفظ (المثل) معروف المعنى عند العرب .

ثم كيف كان هذا الحرفُ دالا على أنه (ليس هناك شيء يشبه أن يـكون مثلا لله ، فضلا عن أن يكون مثلا له على الحقيقة) ؟ لم يبين لنا الكاتب وجه هذه الدلالة ، فكل ما يدل عليه هـذا الحرف على القول بأصالته أن الآية نفي لمثل مثل الله تعالى ، كأنه قيـل : ليس مثل مثل الله شيء أما انه (باب من التنبيه بالأدنى على الأعلى) فغير ظاهر الدلالة .

الثـاني : أنه ليس المقصـود من الآية نفي المثل عن الله تعالى ، بل لها مع ذلك دلالة أخرى هي أن تلفت الى وجه حجة هـذا الحكم ، وطريق برهانه العقلي .

وقولنا : (ليس كالله شيء) و(ليس مثله شيء) لا يفي بهذا الغرض .

وهنـا عاد الى قول الزمخـشري ليفصله . وهذا نص كلامه لنتبين ما فيه من المغالطة .

قال : (ألا ترى أنك اذا أردت أن تنفي عن امرىء نقيصة في خلقـه فقلت : « فلان لا يكذب ولا يبخل » أخرجت كلامك عنه مخرج الدعوى المجردة عن دليلها ، فاذا زدت فيـه كلمة فقلت : « مثل فلان لا يكذب ولا يبخل » لم تكن بذلك مشيرا الى

شخص آخر يماثله مبرأ من تلك النقائص ، بل كان هذا تبرئه له هو ببرهان كلى ، وهو أن من يكون على مثل صفاته وشيمه الكريمة لا يكون كذلك ، لوجود التنافى بين طبيعة هذه الصفات ، وبين ذلك النقص الموهوم .

على هذا المنهج البليغ وضعت الآية الحكيمة قائلة : (مثله تعالى لا يكون له مثل) تعنى أن من كانت له تلك الصفات الحسنى ، وذلك المثل الأعلى لا يمكن أن يكون له شبيه ، ولا يتسع الوجود لاثنين من جنسه ، فلا جرم جىء فيها بلفظين ، كل واحد منهما يؤدى معنى المماثلة ليقوم أحدهما ركنا فى الدعوى ، والآخر دعامة لها وبرهانا) .

ووجه المغالطة فى هذا الكلام أنه ذكر أولا أن (ليس مثله شىء) لا يفيد الحكم ببرهانه العقلى ، ثم حين لجأ الى المثال ذكر أن قولك : (مثل فلان لا يكذب ولا يبخل) تبرئة للشخص ببرهان كلى .

ثم ان هذا هو المعروف من أساليب العرب . قال الشيخ عبد القاهر :

(ومما يرى تقديم الاسم فيه كاللازم (مثل) و (غير) فى نحو قوله :

مثلك يثنى المزن عن صوبه
ويسترد الدمع عن غربه

وقول الناس : مثلك رعى الحق والحرمة ، وكقول الذى قال له الحجاج : لأحملنك على الأدهم . يريد القيد . فقال على سبيل المغالطة : ومثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه بمثل الى انسان سوى الذى أضيف اليه ، لكنهم يعنون أن كل من كان مثله فى الحال والصفة كان من مقتضى القياس ، وموجب العرف ـ والعادة أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل ، ومن أجل أن المعنى كذلك قال :

ولم أقل مثلك أعنى به
سواك يا فردا بلا مشبه (١)

وهذا ليس موضع خلاف بين أحد من علماء العربية ، فتقديم كلمة مثل

---

(١) دلائل الاعجاز ص ١٠٧ . والبيتان للمتنبى .

في مثل هذه الأساليب يراد منه الكناية .

والمؤلف نفسه قد اعترف بذلك عند التمثيل ، وان أنكره حين نفى عن (ليس مثل الله شيء) أن يكون يؤدى معنى الكناية .

واذن فهذا المعنى الكنائي لا يتوقف على أن تقول : (ليس مثل الله مثل) فليبحث الباحثون عن تخريج آخر يتجه معه القول بأصالة الكاف .

ومما أنكرته على هذا الأستاذ الفاضل عليه رحمة الله أنه في الوقت الذي يقول فيه أن (أكثر أهل العلم قد ترادفت كلمتهم على زيادة الكاف ، بل على وجوب زيادتها في هذه الجملة) . يقول في الصفحة المقابلة : (دع عنك هذا وذاك ـ يريد القول في بعض كلمات القرآن انها مقحمة أو انها زائدة ـ فان الحكم في القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها انما هو ضرب من الجهل ـ مستورا أو مكشوفا ـ بدقة الميزان الذى وضع عليه أسلوب القرآن .

وخذ نفسك أنت بالغوص في طلب أسراره البيانية على ضوء هذا المصباح فان عمي عليك وجه الحكمة في كلمة منه أو حرف ، فاياك أن تعجل كما يعجل هؤلاء الظانون ، ولكن قل قولا سديدا هو أدنى الى الأمانة والانصاف . قل : الله أعلم بأسرار كلامه ، ولاعلم لنا الا بتعليمه) [1] .

وهي نصيحة غالية ولا شك ، ولكن الذى لا نفهمه ولا نقره ، أن يصف هذا العالم الفاضل (أكثر أهل العلم) بأنهم جاهلون بدقة الميزان الذى وضع عليه أسلوب القرآن ، وبأنهم (ظانون) وبأنهم في قولهم بالزيادة بعدوا عن (الأمانة والانصاف) .

(يتبع)

د. على العمارى

---

(١) النبأ العظيم ص ١٢٦ . مطبعة السعادة .

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٣ —

قلنا في باديء الأمر ونحن نتصدى للحديث عن النزعة الاسلامية في شعر شوقي انه كان يقيم هذه الاسلاميات على ركائز يعتقد اعتقادا جازما أنها دعائم لها • يرتفع عليها البناء ، ويتحقق بها الأساس الضروري • وقد انتهينا الى أن تلك الركائز منها ما يكون من صميم التاريخ الوطني الذي يعتبره المصلحون الاجتماعيون تراث الأمم من المجد والعظمة ، والحضارة والرقي • والتقدم والازدهار ، وهو الى حد ما يشبه أعراض الناس التي يذودون عنها ، ويدافعون لأجلها ، ويريدون لها — دائما أبدا — أن تكون نقية طاهرة ، لايدنسها غبار ، ولا يشوه صورتها جسم غريب ، ولما كانت الأخلاق هي السطور الناصعة في هذا التاريخ كانت عنايته بالدعوة اليها ، والتحلي بها ، تشغل باله ، وتأخذ جل اهتمامه ،ولانعني بالأخلاق ذلك السلوك الفردي الذي يكون في الحياة الخاصة للأفراد مما يحببهم الى الناس ويدنيهم من قلوبهم أو عواطفهم ووجداناتهم ، وانما كنا نعني — كذلك — هذا النوع العام الذي يجب أن يتوفر للجماعة لتظهر بها الشعوب في شكل من المثالية المحترمة التي تتحلى بالتماسك والقوة فلا يتسرب اليها تخاذل ولا تفكك ، ولا يدب فيها وهن أو ضعف ، ولا تكون في المجتمعات الانسانية الا صورة طيبة تشرئب اليها الأعناق ، وتتفتح عليها الأنظار ، وعلى الرغم من أن هذه الأخلاق ، أو ذلك النوع منها ، لا يعدم القاريء أن يجده في ثنايا شعره المختلف الأغراض والموضوعات ، فاننا نستطيع أن نقول انه كان يهتم به اهتماما خاصا ، ويجعله — هو وحده — غرضا قائما بذاته ، وربما كان من

الأدباء المشغلين بالمسرح أو أدب القصة من لا ينكر عليه أنه كان فى هـذا النوع الذى عرف به فى آخر مطافه والذى كان يهدف الى هـذا الغرض يعمل جهد ما يستطيع على أن يخدم به هذا السلوك الانسانى العام الذى نسميه نحن باسم الأخلاق الاجتماعية الا أنه لم يكتف بهذا اللون من الأدب الذى كان يرجو من ورائه أن يدعو الى الأخلاق الاجتماعية التى يجب أن يتحلى بها المجتمع الذى يريد أن يكون متماسكا قويا • وفى هذه المقطوعات النثرية الحلوة فى كتابه المعروف باسم « أسواق الذهب » نماذج رائعة لهذه الأخلاق • يقول فيها بعنوان «الأمومة» « الأمومة هى رسالة المرأة على هـذه الأرض ، وشأنها الأول فى الحياة ، وهى حجـر الأساس فى الأسرة ، وقواعـد المجتمع وأركانه الى يوم ينفض، وكأن الأمومة الملكة فى الخلية ، أو العذراء فى البيعة •• فيا أيتهـا الفتاة المدلة بصباها ، المزهوة بحسنها ، المترقبة من ورائهما لذة الحب ، وفيض السعادة • اذكرى أن الجمال حـر طليق الا من قيدين كلاهمـا أجمـل منه ، الشرف والعفـاف ، اذا انسـل منهما عثر فى خطاه الأولى ، وذوى فى ابان النضرة ، وسلى ذوات الشعر الأبيض ممن حـولك من غـوانى أمس •• هل دولة الحسن الا كدولة الزهر ، وهل عمر الصبا الا أصـيل أو سحـر ، وهل غير الأمـومة تاج للمرأة تلبسه من مختلف الشـعر ألوانا ، جمال الأمومة لمحة من جمال الحياة ، وشعاع من عبقريتها ، وهو أحفل أياما ، وأطول مقاما ، وأصدق أحلاما » ولعمرى لو أن أقدر كاتب ، أو أضخم شاعر ، أو أكبر واعظ ، أراد أن يصور للمرأة الأمومة التى هى رسالتها الأولى تصويرا يحببهـا اليها ، أو يرغبها فيها ، ويحملها حملا عنيفا على أن تجد فى طلبها ، وتحرص على السعى اليها ، والتمسك بها ، ماكان له مهما كان بيانه الذى يسـعفه ، ولسانه الذى يساعده ، أن يصل الى هذه الروعة البلاغية ، وهو لا يصرفها عن هذا الجمال ، ولا يزهدها فى ذلك الحسن ، وهو يعلم أنها لاتدل بهما ، ولا تعتمد عليهما ، الا وهى تعلم أنهما رأس مال عظيم ، وثروة لا تتـطاول اليها ثروات الملوك والسلاطين ، لكنه مع التسليم بذلك كله يأخـذ بيـدها الى الطريق الذى به يكون هـذا الجمال ، وذلك الحسن ، هنالك فى

قمة شامخة من الاعتزاز والمباهاة ، والدلال والكبرياء «الشرف والعفاف» ولا أظن امرأة تنكر على انسان حديثا يحتفظ لها بالجمال الذى تتربع على عرشه ، وبخاصة اذا كان يفتح لهـا الباب الذى تتمكن منه على هـذا العرش ، فاذا كان يدلها على مظهـر أجمل تتحلى به ، وتعلق عن مفاتنـها فيه ، كان أولى منها بالاصغاء ، وأجدر بالالتفات ، وأدعى الى أن يكون عندها مجاب الدعوات ، وهذا هو الذى فعله شوقى وهو يقول : « جمال الأمومه لمحة من جمال الحياة » ولا نريد أن ننقل اليك الكتاب كله لتتصفح أوراقه وسطوره ، لتؤمن الايمان الذى لاشك فيه ، أن الرجل كان ضخم العبقرية ، عظيم التفكير ، بعيد النظر ، قدير الى أبعد حدود القدرة على أن يكون فى أدبه ناجحا فى هذه الأستاذية التى لا يستطيعها سواه ، وانما نريد أن نقول انه كان هكذا فى كل موضوع عرض له ، ونضيف الى أسـواق الذهب من أدب هـذا اللـون من الأخلاق كتابه فى الحكم والأمثال ، وهو مجموعة طريفة من شعره الذى أجراه على ألسنة الطيور والحيوانات ، كما صنع عبد الله بن المقفع فى كتابه الذى سماه « كليلة ودمنة » .. ونود أن نقول ان كثيرا من الأدباء ــ ولاسيما المتعشقين للأدب الغربى ــ يعتقدون أن هذا اللون لم يكن معروفا قبل لافونتين ــ من أدباء فرنسا ــ وأن شوقى انما التفت اليه حينما كان يتلقى العـلم هنالك ، ورأى بعض الأدباء يترجمونه ، ويحاولون أن يترسموا خطاه ، وهنالك كان لابد له أن يجرى فى هذا المضمار كثيره من الناس ، وعلى هذا فان فضله فى ذلك لا يعدو أن يكون فضـل المترجم لا أكثر ولا أقل ، على أن هؤلاء الذين يعتقدون هذا الاعتقـاد لا ينـكرون أن لافونتين كان متـأثرا بكليلة ودمنة الذى ترجم الى لغـات متنوعة لا يبعد أن يكون فى مقدمتها لغة لافونتين ــ الفرنسية ــ ويتحتم على أولئك القوم ــ من غير شـك ــ أن يقولوا ان لافونتين لم يكن له هو أيضا الا فضل النقل أو التقليد أو الترجمة على أن الذى يتتبع الأدب العربى فى الجاهلية وصدر الاسلام الى ما قبـل العصر العباسى الأول الذى عاش فيه صاحب كتاب كليلة ودمنة صاحب هذا المذهب فى الأدب ، سوف لا يعدم أن يجد فيـه النمـاذج المتنوعة للشـعر العربى الذى يجرى على ألسنة الطيور

والحيـوانات لقصـد العظة والعبرة ، والتهذيب والارشاد أو غير ذلك من الموضوعات والأغراض .. وكلنـا يذكر هذا الحديث الذى أجراه النابغة الذبيانى على لسان الحمامة ، ونحا به منحى القصة ، وحوار الشعراء مع الحمام يبثـونه اللـوعة والصـبابة ، والفـراق والهجر ، كان يأخذ فراغا واسعا ، وحيزا لا بأس به ، وللحطيئة ــ من الشعراء الاسلاميين ــ قصـة تدور على ألسـنة حمر الوحش التى قدمها لضيفانه الذين نزلوا عليه ، فلم يجد بدا من أن يطعمهم من لحمهـا وهى من أروع شـعره وأحسنه ، وكذلك للفرزدق مع الذئب ....

ونحن نسوق هذا ليكون دليلا على أن شوقى لم يكن مترجما ولا متأثرا كما يظن هؤلاء الذين ينسبون ذلك الى وجوده فى فرنسا وأخذه عن أدبائها ، أو أن اتصاله بالأدب الغربى ، كان صاحب الفضل عليه فى وجود هـذا اللون من الشعر فى أدبه ، وقد يدهش أصـحاب هذه الدعوى اذا فاجأناهم بلون من ألوان الترجمة عن لافونتين ليقارنوا بينه وبين هذا الشـعر الذى سجله أمير الشـعراء على ألسـنة الحيوانات ، وهم واجدون لا محالة بونا واسعا ، وفرقا شاسعا ، لا فى البلاغة والتصوير ، ودقة البيـان ، وروعة الفكرة ، ولكن ــ كذلك ــ فى تنسيق الموضوع وجمال عـرضه ، وتماسك أجزائه ، وفحولة فحواه ، وجـزالة مضمونه ، وهكذا مما يدل دلالة لا شك فيها على شاعرية خلاقة ، وذوق ناضج ، وخيال خصب ، وعقل صقلته تجارب الحياة صقلا جعله يطل من قمة عالية ، وبـرج عاجى ، على عقـول النـاس وأفكارها ، فلا يراها فى ضآلتها ، أو صغرها ، الا فى طفولتها الأولى ، لا تتطاول الى أن تجرى فى مضماره ، أو تزاحمه فى الطريق ..

وقد أتيح لى أن أعثر لبعض التراجم التى نقلت الى العربية أفكار هـذا الرجل ، من شعر شاعر معاصر لا يقصر به بيانه ، ولا يخونه لسانه ، ولا تتأخر به مكانته ، عن غيره من أصحاب هذه الحلبة ، ذلك هو الأستاذ « يوسف نحاس » الذى سمى كتابه « تطريب العندليب » وهو فى جملته باقة من الزهر الحلو الذى جمـع الى طيب الشذى ، حسن الصـورة ، وروعة التنسيق ، لكنه لا يعدو أن يكون صدى حاكيا ، أو صوتا مكرورا ، أما صاحبنا فانه لا يكتفى من الحكمة يجريها على

لسان الطير أو الحيوان بنقلها تاركا ماوراء ذلك كله للقارىء يكفيه بالكيف الذى يراه ، والصورة التى يتخيلها ، وانما يعطيه اياها فى ثوب قصصى أخاذ ، وصورة شعرية رائعة ، فيها الفكاهة الحلوة ، والحكمة التى تملك على المرء لبه ، والبلاغة التى تصعد به الى سماء عالية من الاعجاز ، واذا كان أجمل ما فى الطاوس ذيله – كما يقولون – فان هذا الشاعر قد سن لنفسه أسلوبا بلغ غاية الملاحة والظرف فى تلك القصص التى يعرضها على ألسنة هذه الطيور والحيوانات ، ذلك أنه يذيل الحكاية التى يحكيها ، أو القصة التى يرويها ، بحكمة خلابة جذابة ، لايسع القارىء الا أن يملأ بها حافظته ، ويحشو بها ذهنه ، ويحرص الحرص كله على أن يضن بها على الضياع ، ويبخل بها على النسيان ، ويعمل بكل ما فى وسعه من جهد على أن تظل معه دون أن تفارقه ، والى جانب تلك الحكمة التى يختم بها رحلته مع القصة ، أومسيرته مع الحكاية ، تجد المتعة التى لا نظير لها وهو يسوق لك المطرفة المستملحة ، والنكتة البارعة ، وهذا مثل من هذا اللون من الأدب لا بأس أن نذكره لك ، لتدفع به ما عساه أن يكون قد اعتراك من ملالة وسأم :

سقط الحمار من السفينة فى الدجى
فبكى الرفاق لفقده وترحموا

حتى اذا طلع النهار أتت به
نحو السفينة موجة تتقدم

قالت خذوه كما أتانى سالما
لم أبتلعه لأنه لا يهضم

ألا ترى فى هذه الأبيات الثلاثة قصة للحيوانية التى تنزل الى الحضيض بجهلها المقيت ، وغبائها البغيض ، وتجردها من الادراك ، وخلوها من المعرفة ، وفقرها الى الاحساس ، وحاجتها الى التمييز ، كيف يلفظها المجتمع ، وتنفر منها الانسانية ، وتتبرأ منها البيئة ، وهكذا كان شوقى فى شعره الذى كان يقوله على ألسنة الحيوانات والطيور ، والذى أراد به أن يبرهن للناس على أن أدبنا العربى لا يمكن أن يكون متخلفا عن آداب الشعوب الأخرى ؛ لأن لغته الخصبة تساعد أهلها على أن يكون لهم فى كل ميادين البلاغة والبيان والسبق والتفوق ، وهنا يخطر بالبال سؤال مهم الى حد بعيد جدا ، وهو هل البلاغة والبيان وحدهما كانا ذلك

السلاح الذى تسلح به شوقى ، أو بعبارة أخرى هل كان سحر الكلمة وحده ، تلك القوة التى جعلت منه هذا الرجل الذى سبق جيله ، وامتاز على أقرانه من فرسان هذه الحلبة ، ونحن نستطيع أن نقول ان المعاصرين له كان فيهم أمثال محمد عبد المطلب ومحرم والكاشف وكثير من هؤلاء الذين كانوا لا يقلون فى الشاعرية والبيان عنه ، الا أن الفارق بينهم وبينه أنه استطاع أن ينتفع بشاعريته ، وأن يستخدم بيانه ، على النحو الذى جعل له هذه الصدارة دونهم ، وضمن له من الخلود ما لم يكن لهم ، وكان فى مقدمة ذلك كله تلك الميادين التى جرى فيها ، وتلك الأبواب التى دخل منها ، والدروب التى سلكها ، والتى جعلته يحس من داخل نفسه أنه مخلوق لمهمة لا تتطاول هممهم اليها ، حتى ليخيل اليه فى بعض الأوقات أنه مسئول عن تهذيب الجيل ، والذود عنه ، والسمو به ، والأخذ بيده ، والسير به فى الطريق المستقيم ، الذى يقتضيه أن يحافظ على دينه وعرضه وخلقه وأوطانه وحريته ، فهو لهذا لا يكتفى بأن يقدم له الخير من جهة واحدة ، أو باب واحد ، وانما يقيم له الحصون فى الدين والأخلاق والاجتماع والتاريخ .. وهذا كله بعض أسرار خلود هذا الرجل ، وجعل حياته كتابا لا يزال الناس مع تقليب صفحاته يتشوقون منها الى المزيد ؟

د. ابراهيم على أبو الخشب

حكم الهجرة فى العصر الحديث

للأستاذ يحيى هاشم حسن فرغلى

لا بد لمعرفة حكم من الأحكام أن نتعرف على كل ما ورد بشأنه من آيات وأحاديث وأفعال أو تقريرات ، فقد يكون بعض الأحاديث خاصا بحالة دون أخرى • وضم الأحاديث والأفعال والتقريرات بعضها لبعض يبين الحكم فى الحالات المختلفة • ونحن اذا استعرضنا الآيات أو الأفعال أو التقريرات التى تتصل بموضوع الهجرة ، نجد أنفسنا أمام ثلاثة أنواع من الهجرة •

النوع الأول :

تكون الهجرة فيه من دار يحس فيها المسلم بالخطر على دينه ، ويحس فيها بأنه ان استمر مقيما فى هذه الدار فانه يتعرض لفتنة غالبة على عقيدته ، وانه قد يعجز أمام ما يتعرض له من ايذاء شديد ومحنة قاسية عن التمسك بواجبات دينه وفرائضه •

فى هذه الحالة يكون الخطر على الدين محققا ، والمكث فى هذه الدار غير ذى فائدة على أى حال من الأحوال •

هنا تكون الهجرة من هذه الدار الى دار أخرى تتحقق فيها السلامة والفائدة للدين ، أمرا يدعو اليه القرآن ويدعو اليه الرسول صلى الله عليه وسلم •

وفى مثل هذه الحالة جاء قوله تعالى :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا • الا المستضعفين من الرجال والنساء والوالدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا •

ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة .. »

فهذه الآيات تدل على وجوب الهجرة على من يخاف على عقيدته ودينه فى أرض الكفر ، وتعد بالعفو عمن لا يستطيع حيلة تمكنه من الهجرة ، ولا سبيل يهتدى اليه فيها ، وهى مع ذلك تعد الشجعان الذين يقدمون على الهجرة — بما تنطوى عليه من مشقة وأهوال — بالتيسير والتوفيق ..

وفى هذه الحالة أيضا جاءت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد روى الامام أحمد فى مسنده بسنده عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لتكونن هجرة بعد هجرة إلى مهاجرأبيكم ابراهيم عليه السلام » .

وأخرج الامام أحمد — أيضا — والطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل » .

وروى أبو داود والنسائى بسندهما قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » .

وأخرج النسائى أيضا عن عبد الله ابن وقدان السعدى قال : « وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلنا نطلب حاجة ، وكنت آخرهم دخولا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله انى تركت من خلفى وهم يقولون ان الهجرة قد انقطعت قال : « لن تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار » .

ومن هنا كان الاذن بالهجرة الى الحبشة لما اشتد العذاب بالمسلمين بمكة قبل الهجرة الى المدينة ، وكان فيمن هاجر أعلام من المسلمين الأولين ، مثل عثمان بن عفان وزوجته رقيه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعفر بن أبى طالب ، وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم .

وفى هذا يقول العلماء :

« أما الهجرة عن المواضع التى لا يتأتى فيها أمر الدين فهى واجبة اتفاقا »

(الامام العينى فى شرحه لصحيح البخارى) .

أما النوع الثانى من الهجرة :

فانها تكون كذلك من دار يتحقق فيها الخطر على الدين • لكنها تكون الى دار لا يتحقق فيها السلامة فحسب ، كما فى النوع الأول ، وانما تكون فوق ذلك مقدمة الى نصر شامل على أعداء الدين فى كل مكان •

انها أشبه ما تكون بحركة فى ميدان القتال ،-يرجع فيها الجيش خطوة أو يتحيز الى فئة لينطلق بعد ذلك فى طريق النصر •• وهكذا كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة الى المدينة •

لم تكن هجرة للسلامة •

ولكنها هجرة للقتال والجهاد والكفاح •

كانت بدءا لمرحلة جديدة من الجهاد فى سبيل الله ، ومن هنا كان تعرض الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار عند قدومهم الى مكة يطلبون الحلف من قريش ، فدعاهم الى الاسلام أفسد بذلك حلفا محتملا للأعداء ، وأنشأ حلفا محققا لصالح الدعوة الاسلامية ، فكانت بيعة العقبة الأولى ، مع اثنى عشر رجلا من الأنصار ، وأرسل معهم الى المدينة من يعلمهم القرآن والشرائع وهناك انتشر الاسلام فلم يبق دار من دور الأنصار الا وفيها مسلمون رجالا ونساء ، ثم كانت بيعة العقبة الثانية وكان المبايعون فيها لرسول اللى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين بايعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم وأن يرحل وأصحابه اليهم • وكان ذلك تمهيدا للهجرة بين الغرض منها• لم يكن الغرض مجرد السلامة ، ولكنه التحفز لمرحلة جديدة من مراحل الدعوة الاسلامية •

ومن هنا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة فخرجوا اليها أرسالا ، وانتظر الرسول بمكة محتجزا معه أبا بكر وعليا رضى الله عنهما حتى أذن له بالخروج فكانت الهجرة بأحداثها ، ونتائجها •

كانت انتقالا من مشقة الى مشقة •

وكانت بدءا لقتال تتابعت غزواته ، ضد المشركين الذين أخرجوا المسلمين من ديارهم •

وكانت بزوغا لشمس الاسلام ، بعد أن ظهر فجره فى مكة .

وكانت ظهورا للمجتمع الاسلامى بعد أن كون أفراده فى مرحلة الدعوة المكية .

وكانت حجر الأساس فى ظهور الدولة الاسلامية التى حملت عبء الدعوة ، ونشرت الاسلام فى الجزيرة العربية كلها ثم فى أرجاء العالم من بعد .

فهذا النوع من الهجرة ليس فرارا .

وليس ايثارا للسلامة .

وليس ايثارا للراحة .

وانما هو انتقال من مشقة الى مشقة ، ومن جهاد الى جهاد ، وهو واجب حيثما توفرت دواعيه ، وتحققت أسبابه وتروقبت نتائجه فى النصر .

وهذا نوع من الهجرة تنطبق عليه الأحاديث التى ذكرناها سابقا والتى منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل » .

انها ليست هربا من القتال ولكنها اعداد له . وفى هذا النوع من الهجرة جاءت الآيات الكثيرة التى ترفع من قدر المهاجرين ومنها قوله تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله » .

أما النوع الثالث من الهجرة :

فتكون من دار يمكن للانسان أن يحتفظ فيها بعقيدته ودينه وشعائره الى دار أخرى تفضلها فى ذلك كله . تكون من دار يحدث فيها للانسان شىء من الأذى يناله من المنافقين أو من أعداء الدين لكنه أذى محتمل ، الى دار أخرى . يستريح فيها من ذلك كله ، ويستمتع فيها بقوة المجتمع الاسلامى وغلبة الدولة الاسلامية .

مثل هذه الهجرة لا فائدة منها للدين ، انما هى تستهدف الراحة والدعة ، وفيها فرار من تبعات الدعوة والجهاد فى بيئة تفيد فيها الدعوة ويفيد فيها الجهاد .

مثل هذه الهجرة هى ما كان يطلبه بعض المسلمين بعد فتح مكة ، كانوا يطلبون الهجرة من مكة الى المدينة ، فلم يأذن الرسول لهم فى ذلك ، وانما طلب اليهم الاستمرار فى أماكنهم مستمسكين بدينهم ، عاملين على نشره

وتوكيده فيمن حولهم ، مستعدين للقتال عندما يدعون اليه •

فى هذا النوع من الهجرة جاء قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم بسنده عن مجاشع بن مسعود السلمى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الهجرة قد مضت لأهلها ، ولكن على الاسلام والجهاد والخير »•

وفى هذا النوع من الهجرة ، جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا » •

(النسائى)

واذن فان الحكم يختلف باختلاف المقصود من الهجرة وظروفها •

اذا كانت تستهدف الفرار بالدين من دار يتحقق فيها الخطر عليه فهى واجبة وهكذا كانت هجرة المسلمين الى الحبشة •

واذا كانت تستهدف الاعداد لنوع جديد من الجهاد فى سبيل الله ، والتمهيد لنصر حاسم على الأعداء فهى واجبة •وهكذا كانت هجرة المسلمين الى المدينة •

واذا كانت تستهدف الراحة والتخلص من مشقة الجوار مع المنافقين أو من هم أقل درجة فى الاسلام ، فتلك هى الهجرة التى منعها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

يحيى هاشم حسن فرغل

من أعلام القضاء في الإسلام

سوّار بن عبد الله القاضي ١٨٢-٢٤٥ هـ

للدكتور محمد إبراهيم الجيوشي

سوار بن عبد الله بن سوار التميمى الغبرى البصرى القاضى ، ولد سنة **١٨٢** هـ ، وتولى قضاء الرصافة ببغداد ، وهو الجانب الشرقى من مدينة السلام عام **٢٣٧** هـ ، وظل على قضائها حتى توفى فى شوال سنة **٢٤٥** هـ (١) .

وكان سوار فقيها فصيحا ، أديبا شاعرا عظيم اللحية ، وكان قد فقد بصره قبل وفاته بأيام .

وكان قد اشتغل بالحديث ورواه ومن شيوخه أبوه عبد الله بن سوار وعبد الوارث بن سعيد ، ومعتمر بن سليمان ، وعبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويزيد بن زريع ، وبشر بن المفضل ، ومعاذ بن معاذ ، وعبد الوهاب الثقفى .

وكانت له حلقة يحدث بها فى بغداد ، فقد روى الخطيب فى تاريخه أن ابن صاعد يحيى بن يحيى قال انه حدثهم ببغداد سنة **٢٤٢** هـ ، ومن تلاميذه الذين رووا الحديث عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل ، وعلى ابن سهل البزار ، والعباس بن أحمد البرتى ، وأبو داود الطيالسى (٢) وأبو داود الترمذى ، وأبو زرعة الدمشقى ، وأبو بكر المروزى القاضى والنسائى وقال عنه أحمد بن حنبل : ما بلغنى عنه الا خيرا ، وقال عنه النسائى : ثقة ، وذكره فى أسماء شيوخه وعده ابن حبان فى الثقات .

---

(١) تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١٠ .

(٢) راجع تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١٠ ، وتهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٢٦٨

وهو من أسرة عريقة فى القضاء ، اذ تولى جده وسميه سوار بن عبد الله ابن قدامة قضاء البصرة لأبى جعفر المنصور سنة ١٣٨ هـ وبقى حتى توفى سنة ٢٥٦هـ وهو أمير البصرة وقاضيها وله أخبار مشهورة فى العدل والورع ، وهو وابن أبى ليلى أول من سأل بينة على كتاب القاضى (١) وسنورد أخباره بعدما نأتى على أخبار حفيده .

وكان جانب الأدب والشعر يغلب على سوار ويكون صلاته بالناس ومخالطته لهم ولذلك تجد فى أخباره روح الأديب الشاعر يغطى على جانب القضاء ومجالسه وأحكامه .

وكان له مقام عند الولاة والحكام وذوى الجاه والسلطان وكانت قدرته على التعبير الجميل والقول الحسن تفتح له أبوابهم وتدعوهم الى الاستماع اليه والاستجابة لما يقصدهم من أجله - فقد روى صاحب تاريخ بغداد قال : دخل سوار بن عبد الله القاضى على محمد بن عبد الله بن طاهر فقال : أيها الأمير ، انى جئتك فى حاجة رفعتها الى الله قبل رفعها اليك ، فان قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وان لم تقضها حمدنا الله وعذرناك . فقضى جميع حوائجه (٢) .

وقد أورد صاحب العقد هذا الخبر بصورة أخرى يتجلى فيها ولع سوار بالأدب والشعر أكثر منه هنا ،ولا بأس من ايراد الخبر كما جاء به صاحب العقد ففيه متعة قد يرضاها القارىء الى جانب ما تصوره من بعض جوانب الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر وصلاة الناس بعضهم ببعض .

يقول صاحب العقد : دخل سوار القاضى على عبد الله بن طاهر ، صاحب خراسان ، فقال : أصلح الله الأمير :

لنا حاجة والعذر فيها مقدم
حقيق بمعناها مضعفة الأجر
فان نقضها فالحمد لله وحده
وان عاق مقدور ففى أوسع العذر

قال له : ما حاجتك أبا عبد الله ؟

قال : كتاب لى ، ان رأى الأمير أكرمه الله أن يتخذه فى خاصته كتب

---

(١) تهذيب جـ ٤ ص ٢٦٩

(٢) تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١٠.

الى موسى بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقى .

قال : أو غير ذلك أبا عبد الله ، تعجلها لك من أرزاقنا اذا وددت مخيرا بين أن تأخذ أو ترد ؟

فأنشد سوار يقول :

فبابك أيمن أبوابهم
ودارك مأهولة عامرة

وكفك حين ترى المجتد
ين أندى من الليلة الماطرة

وكلبك آنس بالمعتفيش
من الأم بابنتها الزائرة (١)

وروى الزبير بن بكار أن سوارا كان قد خامر قلبه شيء من الوجد فقال أبياتا مطلعها :

سلبت عظامى لحمها فتركتها ...

ولهذه الأبيات قصة طريفة أوردها صاحب تاريخ بغداد عن الجرحى قال : دخلت حماما فى درب الثلج ، فاذا فيه سوار بن عبد الله القاضى ، فى البيت الداخل ، قد استلقى وعليه المئزر ، فجلست بقربه ، فساكتنى ساعة ثم قال : قد أحشمتنى يارجل ، فاما أن تخرج أو أخرج .

فقلت : جئت أسألك عن مسألة .

قال : ليس هذا موضع المسائل .

فقلت : انها من مسائل الحمام .

فضحك وقال : هاتها .

فقلت : من الذى يقول :

سلبت عظامى لحمها فتركتها
عوارى مما نالها تتكسر

وأخليت منها مخها فتركتها
قوارير فى أجوافها الريح تصفر

اذا سمعت ذكر الفراق تراعدت
مفاصلها خوفا لما تنتظر

خذى بيدى ثم ارفعى الثوب تنظرى
بلى جسدى لكننى أتستر

فقال سوار : أنا والله قلتها .

قلت فانه يغنى بها ويجود .

فقال : لو شهد عندى الذى يغنى بها لأجزت شهادته (٢) .

---

(١) العقد الفريد جـ ١ ص ١٨٦ تحقيق الأستاذ سعيد العريان .

(٢) تاريخ بغداد جـ ٩ ص ٢١١

ويورد صاحب الأغانى لهذه الأبيات قصة طريفة ويزيد فيها بيتا على خلاف يسير فى روايتها عما هنا حيث نسبت الى عبد الله بن العباس الربيعى المغنى أنه قال : لقينى ســوار بن عبـد الله القاضى وهو ســوار الأصغر ، فأصغى الى وقـال : لى اليك حاجة فأتنى فى خفى فجئته .

فقال : لى اليك حاجة قد أنست بك فيها لأنك لى كالولد ، فان شرطت لى كتمانها أفضيت بها اليك .

فقلت : ذلك للقــاضى على شرط واجب .

فقال : انى قلت أبياتا فى جارية لى أميـل اليهـا ، وقد قلتنى وهجرتنى وأحببت أن تصنع فيها لحنا وتسمعنيه ، وان أظهرته وغنيته بعـد أن لا يعـلم أحد أنه شعرى ، فلست أبالى ، أتفعل ذلك ؟

قلت : نعم حبا وكرامة .

فأنشدنى :

سـلبت عظـامى لحمهـا فتركتهـا
عــوارى فى أجـلادها تتكسر

وأخليت منهـا مخهـا فكأنهـا
أنابيب فى أجوافهـا الريح تصـفر

اذا سـمعت باسم الفـراق ترعدت
مفـاصلها من هـول ما تحـذر

خذى بيدى ثم اكشفى الثوب فانظرى
بلى جســدى لـكننى أتســتر

وليس الذى يجرى من العين ماؤها
ولكنهـا روح تذوب فتقطـر

فصنعت فيه لحنا ثم عرفته خبره فى رقعة كتبتها اليه ، وسألته وعدا يعدنى به للمصير اليه .

فكتب الى نظـرت فى القصـة فوجدت هـذا لا يصـلح ، ويتكتم على حضورك وسماعى اياك ، وأسأل الله أن يسرك ويبقيك .

فغنيت الصوت وظهر حتى تغنى به الناس .

فلقينى سوار فقال : يا ابن أخى قد شاع أمرك فى ذلك الباب حتى سمعناه من بعد كأنا لم نسمع القصة فيه (١) .

وعلى الرغم مما يروى عن سـوار من هزء تعروه للقول الجميل والشعر

(١) الأغانى جـ ١٧ ص ١٣٨ ساس .

النقى واللحن الآسر فانه لم يكن يتساهل فى أمر من أمور القضاء أو يتسامح فى عدالة الشهود ، ومن ذلك ما يروى أنه رد شهادة رجل لأنه كان يشرب النبيذ على الرغم من أن كثيرين ممن ينتسبون الى العلم فى العراق كان يروى عنهم تعاطيه ،وكان الرجل الذى رده سوار يتعاطى الشعر فقال :

أما الشراب فانى غير تاركه
ولا شهادة لى ما عاش سوار (١)

ودخل اعرابى من بنى العنبر على سوار القاضى فقال : ان أبى مات فتركنى وأخا لى - وخط خطين - ثم قال : وهجينا (٢) - ثم خط خطا ناحية ، ثم قال : كيف ينقسم المال بيننا ؟ .

فقال : المال بينكم أثلاثا ان لم يكن وارث غيركم .

فقال له : لا أحسبك فهمت ، انه تركنى وأخى وهجينا لنا .

فقال سوار : المال بينكم سواء .

فقال الأعرابى فى دهشة : أيأخذ الهجين كما آخذ ويأخذ أخى ؟

قال : أجل .

فغضب الأعرابى وقال : ما علمت والله أنك قليل الخالات بالدهناء (٣).

قال سوار : لا يضرنى ذلك عند الله شيئا .

وكان سوار اذا سئل حاجة عنده قال : نعم فان لم يكن عنده كان جوابه : يقضى الله تحرزا من قول لا :

ما قال : لا قط الا فى تشهده
لولا التشهد لم تسمع له لا لا

هذه أخبار سوار الحفيد رحمه الله

أما جده فقد كانت له خصومات مع السيد الحميرى الشاعر حتى انه لم يستطع أن ينسى له رده لشهادته فلم يعفه الموت من هجوه له بعد الممات

---

(١) العقد جـ ٣ ص ٣٦٨ عيون الأخبار جـ٤ ص ٦١ .
(٢) الهجين هو الذى أمه ليست عربية .
(٣) يشير بهذا الى أن سوارا ليس عربى الأم .
(٤) العقد الفريد جـ ٨ ص ٨٦

وقد بدأت الخصومة بين سوار الجد وبين السيد الحميرى حينما دعاه رجل ليؤدى شهادة أمام سوار فاستعفاه السيد الحميرى وبذل له مالا فلم يعفه ، فلما تقدم الى سوار وأدلى بشهادته .

قال : ألست المعروف بالسيد ؟

قال : بلى .

قال : أستغفر الله من ذنب تجرأت به على الشهادة عندى ، قم لا أرضى بك ، فقام مغضبا من مجلسه ، وكتب الى سوار رقعة يقول فيها :

قم بنا يا صاح واربع بالمغانى الموحشات
يأمين الله يامنصور يا خير الولاة
ان سوار بن عبد الله من شر القضاة
نعثلى جملى لكم غير موات
جده سارق عنز فجرة من فجرات
لرسول الله والقاذفة بالمنكرات
وابن من كان ينادى من وراء الحجرات
يا هناة أخرج الينا اننا أهل هنات
مدحنا المدح ومن نرم يصب بالزفرات
فاكفنيه ، لا كفاه الله شر الطارقات

فلما قرأها سوار وثب من مجلسه قاصدا أبا جعفر المنصور فوجد السيد الحميرى قد سبقه الى المنصور وأنشده:

قل للامام الذى ينجى بطاعته يوم القيامة من بحبوحة النار
لا تستعن جزاك الله صالحة يا خير من دب فى حكم - بسوار
لا تستعن بخبيث الرأى ذى صلف جم العيوب عظيم الكبر جبار
تضحى الخصوم لديه من تجبره لا يرفعون اليه لحظ ابصار
تيها وكبرا ولولا ما رفعت له من ضبعه كان عين الجائع العارى

ودخل سوار : فلما أبصره المنصور تبسم ، وقال أما بلغك خبر اياس بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد فى الشهود ، فما أحوجك للتعرض للسيد ولسانه ثم أمر السيد بمصالحته والاعتذار اليه ، ولكن

سوارا رفض قبول اعتذاره فهاج من غضب السيد الحميرى وهجاه هجاء أقذع وأرجع من الأول حيث قال :

أتيت دعى بنى العنبر
أروم اعتذارا فلم أعذر

فقلت لنفسى وعاتبتها
على اللؤم فى فعلها أقصرى

أيعتذر الحر مما أتى
الى رجل من بنى العنبر

أبوك ابن سارق عنز النبى
وأمك بنت أبى جحدر

ونحن على رغمك الرافضون
لأهل الضلالة والمنكر (١)

وقد اشتد حنق سوار عليه وأخذ يتحين الفرص للايقاع به حتى بلغ السيد أن سوارا أعد جماعة ليشهدوا عليه بالسرقة فيقطعه ، فشكاه الى أبى جعفر فدعا سوارا وقال له قد عزلتك عن الحكم للسيد أو عليه فما تعرض له حتى مات ولم يعرض له السيد بهجاء طوال حياته استجابة لنهى المنصور ولكن الاحن فى قلب السيد لم تهدأ على سوار ولم تخفف الأيام ما به من غيظ فما كاد يعرف بوفاته ، وتصادف أن وقع حفر قبره فى موضع كثيف فاستغلها السيد فى التشنيع عليه وقال من قصيدة يرثى بها عباد بن حبيب المهلب ودفعها الى نوائح الأزد ومنها :

يا من غدا حاملا جثمان سوار
من داره ظاعنا منها الى النار

لا قدس الله روحا كان هيكلها
فقد مضت بعظيم الخزى والعار

حتى هوت قعر برهوت معذبة
وجسمه فى كنيف بين أقذار

لقد رأيت من الرحمن معجبة
فيه وأحكامه تجرى بمقدار

فاذهب عليك من الرحمن بهلته
يا شر حى براه الخالق البارى (٢)

---

(١) الأغانى جـ ٧ ص ١٦
(٢) الأغانى جـ ٧ ص ١٩

ولم يكن السيد هو الذى تعـرض لسوار بهذا الهجاء المقـذع فقط ، فلم يكن حظه من الأعراب خيرا من حظه مع السيد ، فقد جاءه أعرابى فلم يجد منه ما يحب ، فقال فيه :

رأيت لى رؤيا وعبرتهـــا
وكنت للأحـــلام عبـــارا
بأننى أخبـــط فى ليـــلتى
كلبـا ، فكان الكلب سـوارا

وهذه سنة القضـاة دائمـا مبتلون بذوى الألسـنة السـليطة والهجـاء المقذع .

د . محمد ابراهيم الجيوشى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٤ —

٥١ ـ ويقـــولون لمن يأمرونه ببر والده : بر والدك بكسر الباء ، وهذا خطأ بين ، والفصيح أن يقـــال : بر والدك بالفتح ، لأنه مفتوح فى قولك: يبر ..

وبيان ذلك أن حركة أول فعـــل الأمر يجب أن تكون من جنس حركة ثانى الفعل المضارع اذا كان متحركا : فتفتـــح البـاء فى قولك : بر والدك لانفتاحها فى قولك يبر ، وتضم الميـم فى قولك : مد الحبـل لانضمامها فى قولك يمد ، وتكسر الخاء فى قولك : خف فى عملك لانكسارها فى قولك يخف .

٥٢ ـ ويقـولون : انضـاف الشىء اليـه ، وانفســد الأمر عليـه ، وكلا التعبيرين معيرة لصاحبه ووجه الكلام أن يقال : أضيف الشىء اليـه ، وفسد الأمر عليه ، والعلة فى امتناع انفعـل منهما أن فعـــل المطاوعة المصوغ على انفعل يجب ألا يأتى الا من الثـلاثى المتعدى ، مثل سكبت المـاء فانسكب ، وجذبت الغصـن فانجـذب ، وقـدت البعير فانقاد ، وسقته فانساق .

وضاف ، وفســد اذا عديا بهمـزة النقل فقيـل : أضاف ، وأفسد صـارا رباعيين ، فلهذا امتنع صـوغ الفعـل المطاوع منهما .

فان قيل : قد نقل عن العرب ألفاظ من أفعال المطاوعة بنـوها من الأفعـال الرباعية فقالوا : انزعج من أزعجته ، وانطلـق من أطلقتـه ، وانقحـم من

أفحمته ، وانحجر من أحجرته ، فالجواب أن هذه الأفعال شذت عن القياس المطرد ، كما شذ قولهم : انسرب الماء من سرب وهو فعل لازم ، والشواذ تقصر على السماع والنقل ، ولا يقاس عليها .

٥٣ - ويقولون للمعرض عنهم : هو يلهو عما يسمع من كلامنا ، والصواب أن يؤدى هذا المعنى بقولنا هو يلهى ، لأن العرب تقول : لهى عن الشيء كرضى يلهى لهيا ، ولهيانا بضم اللام وكسرها اذا سلا عنه وأضرب وترك ذكره ، وفى الحديث « اذا استأثر الله بشيء فاله عنه » بفتح الهاء أى اتركه ، وكذا قوله عليه السلام « اذا وجدت البلل بعد الوضوء فاله عنه » أى أعرض عنه .

وكان ابن الزبير اذا سمع صوت الرعد لهى عن حديثه ، أى تركه وانصرف عنه .

مما تقدم استبان أن الفعل الذى يعبر به عن المعنى الذى يقصدون اليه هو لهى يلهى من باب رضى أما يلهو فهو من اللهو بمعنى اللعب ، تقول لها بالشيء من باب عدا يلهو لهوا اذا لعب به ، وتلهى به مثله ، واللهو أيضا الأنس بالشيء ، تقول : لهت المرأة الى حديث زوجها اذا أنست به وأعجبها .

٥٤ - ويقولون : سررنا برؤياك ، يقصدون أنه سرهم مرآه ، وهذا خطأ شائع يقع فيه كثير من الخاصة ، وهذا هو ذا أبو الطيب المتنبى - على جلالة قدره - قد وقع فيه ، حينما قال لبدر ابن عمار وقد سامره ذات ليلة الى قطع من الليل .

مضى الليل والفضل الذى لايمضى
ورؤياك أحلى فيالعيون من الغمض

وكان الواجب عليه أن يقول : ورؤيتك أحلى من الغمض ، لأنالعرب تجعل الرؤية لما يرى بالعين فى اليقظة ، والرؤيا لما يرى كالخيال فى المنام ، قال تعالى : « يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون » . وقال « لاتقصص رؤياكعلى اخوتك» .

٥٥ - ويقولون : تتابعت المصائب على فلان ، فيخطئون فى قولهم ،

والصواب أن يقال : تتايعت المصائب بالياء بدلا من الباء ، لأن التتابع انما يكون فى الصلاح والخير ، أما التتايع فيختص بالشر والمنكر ، تقول : فلان يتتايع فى الأمور اذا رمى نفسه فيها من غير أن يتثبت ، وتتايع الناس فى الشر اذا تهافتوا عليه ، والأتيع المتتابع فى الحمق ، وفلان تيعان بشد الياء أى متسرع الى الشر ، وفى الحديث « مايحملكم على أن تتتايعوا فى الكذب كما يتتايع الفراش فى النار » وروى أنه لما كثر شرب الخمر فى عهد عمر رضى الله عنه ، جمع الصحابة وقال : انى أرى الناس قد تتايعوا فى شرب الخمر واستهانوا بحدها .

٥٦ ـ ويقولون : ما كان ذلك فى حسابنا ، يعنون أن ذلك لم يكن فى ظنهم ، وهذا خطأ ، والفصيح أن يقال : ما كان ذلك فى حسباننا بكسر الحاء ، لأن المصدر من حسبت بمعنى ظننت هو حسبان .

وأما الحساب فهو الشىء المحسوب المعدود ، تقول : حسبت الشىء من بابى نصر وكتب ، وحسابا أيضا والمصدر كذلك من حسبت الشىء بمعنى عددته حسبان بالضم ، ومنه قوله تعالى : «الشمس والقمر بحسبان» أى بحساب .

وقد جاء الحسبان بمعنى العذاب ، كما فى قوله جل شأنه : « ويرسل عليها حسبانا من السماء » وأصله السهام الصغار يرمى بها عن القسى ، الواحدة حسبانة .

٥٧ ـ ويقولون : سلمه أجره أو مكافأته ، فيوهمون اذ يجعلون هذا الفعل متعديا الى مفعولين وهذا خطأ ، لأن الفعل المذكور له حالتان .

احداهما : أن يكون متعديا لمفعول واحد ، كما فى قوله تعالى : « فلاجناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف » وعلى هذا ينبغى أن يقال : سلم اليه أجره فتسلمه ، أى أعطاه أجره فأخذه ، وكذا سلم له أجره .

والأخرى أن يكون لازما ، وذلك اذا كان بمعنى التحية والمصافحة ، وهى الافضاء باليد الى اليد كما فى قولك : سلمت على الضيفان ، وقوله تعالى : « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » .

هذا فى الفعل الرباعى المضعف ، أما الرباعى المزيد بالهمزة فله حالتان أيضا •

احداهما : أن يتعدى الى مفعول واحد ، كما فى قولك : أسلم له أجره ، وقوله تعالى : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » •

والأخرى أن يكون لازما ، وذلك اذا كان بمعنى الانقياد والطاعة ، كما فى قولك : أسلم فلان اسلاما ، أى انقاد وصار مسلما ، ومن هذا قوله تعالى : « قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم » وأما الثلاثى فهو لازم دائما ، تقول : سلم المسافر يسلم من باب تعب سلامة اذا خلص ونجا فهو سالم ، وهذا مما يؤكد أن الفعلين المضعف والمهموز اذا تعديا فلا يتعديان الا الى مفعول به واحد •

٥٨ – ويقولون : لفلان خاتم من (الماس) وكلمة الماس لم ترد بهذا المعنى فى كلام العرب والصواب أن يقال : خاتم من السامور كما فى شفاء الغليل •

وقول صاحب القاموس فى مادة (موس) الماس حجر متقوم أعظم ما يكون كالجوزة – وهم ، لأنه كثيرا ما يعتمد على كتب الطب فيقع فى الغلط •

هذا الى أن كلمة ماس لا تدخل عليها أداة التعريف ، ولا تقع الا صفة ، فيقال : فلان ماس اذا كان لاينفع فيه عتاب ، أو كان طياشا خفيفا ، أو لايلتفت الى موعظة أحد •

٥٩ – ويقولون : فلان جيد ، يعنون أنه كريم ، ويجمعونه على جيدين ، ومنه قولهم المشهور ما بين الجيدين حساب ، وكل هذا غلط ، والصواب أن يقال للسخى والسخية جواد ، والجمع أجواد ، وأجاويد ، وجود بالضم ، قال :

ففيهن فضل قد عرفنا مكانه
فهن به جود وأنتم به بخل

ويقال : فرس جواد بين الجودة بالضم اذا كان رائعا ، جمعه جياد ، وأجود الرحل اذا صار ذا جواد أما الجيد وزان كيس فهو ضد الردىء ، جمعه جياد ، وجيائد ، تقول : جاد الشىء يجود جودة بالفتح ، وجودة بالضم اذا صار جيدا ، وأجاد فلان اذا أتى بالجيد ، فهو مجيد بالضم ومجواد بالكسر ، والجمع مجاويد ، ويقال : أجادت فلانة اذا ولدت ولدا جوادا •

عباس أبو السعود

فى حب الله (قصيدة)

للأستاذ محمد كمال هاشم

طاف بالعطر قلت : هات نصيبى ... ياحبيبى وجـــدد الترتيــــلا
رن صـــوت يقول للروح : انا ... ســوف نلقى عليـك قولا ثقيلا
قالت الروح : هاته فهــو زادى ... ليتنى أنهــل الشراب الجميــلا
ليتنى أرشف الصــفاء فأحيـــا ... ليتنى مثلكم شـــددت الرحيلا
شـــفنى الوجـد بارفاق فهاتوا ... نفحــة الذكر أسكرونى طويلا
ذوبونى فى غمــرة النــور انى ... كدت من فرط نوره أن أسـيلا
اننى قطــرة من الحب لـــكن ... أينمــا سرت كنت وقعـا جميلا
فاذكروا الله كلمــا جن ليـــل ... ان ليــل الصــفاء أمسى قليــلا
واذا أشرقت على الأرض شمس ... فاحمدوا الله بكرة وأصــــيلا
يا الهى •• علوت قـدرا كبيرا ... ما وجدنا لمـــا خلقت مثيــــلا
قد نظمت الوجود عقــدا فريدا ... وبعثت الهــدى الينــا رســـولا
يا الهى •• تفتح الزهر حولى ... وسـقى النحــل بالرحيق بليلا
صور من بدائع الحســن تترى ... نعم لا تزول جيــلا فجيــــلا
ونجـــوم ســـيارة وســـماء ... وشموس تدور عرضـا وطولا
وعــلوم تجــد فى كــل يوم ... ما علمنــا الا قليـــلا قليـــلا
يا الهى •• لقــد أتانا كتـــاب ... كان للنـــاس هاديا ودليـــلا

صار نبراس كل قلب ســـليم وبشـــيرا لمن يروم الوصــولا
فتعـــالوا الى حمـــاه قـــلوبا وتمســـاموا على هــداه عقــولا
واعـــــلموا أنه اذا قال أوفى انمـــا كان وعــــده مفعـــولا
تاهت الفــلك يا الهي وبحرى وافر وا الخليــل يبكى الخليلا
لست أبغى ســوى رضاك عطاء لست أرضى سوى هداك سبيلا
فأنا قطرة من الحب يا ربى ولـــــــن أرتضى بحـــبى بديـــلا

محمد كمال هاشم

صفحات من تاريخ القاهرة (٢)

باب اللوق - ابن ثعلب - المدرسة الشريفية

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

خلف البنك الأهلى بشارع قصر النيل شارع صغير باسم ابن ثعلب • ولم يطلق هذا الاسم على المكان اعتباطا بل بناء على اعتبارات تاريخية ترتبط بتخطيط القاهرة وتاريخها •

وقبل أن نتكلم عن ابن ثعلب الذى نسب اليه هذا الشارع نريد أن نوجز كلمة عن تاريخ هذا المكان •

فعند الفتح الاسلامى سنة ٢٠ هـ (٦٤٠ م) لم يكن النيل يجرى فى مجراه الحالى بل كان يجرى فى موقع واتجاه شارعى عماد الدين ومحمد فريد الحاليين تقريبا •

وكان جامع عمرو بن العاص وحصنى بابليون بالفسطاط يقعان وقتذاك على النيل مباشرة والآن يبعدان عن النيل ٥٢٥ مترا تقريبا بالنسبة لجامع عمرو و ٢٥٠ مترا تقريبا بالنسبة لحصنى بابليون • كما كان النيل يجرى غربى موقع مسجد السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر والآن يبعد غربا منه بحوالى ١٣٠٠ متر • وعند تقاطع شارعى عماد الدين و ٢٦ يوليو بعد النيل عن مجراه السابق بحوالى ١٣٠٠ متر •

وكان النيل يسير فى موقع واتجاه شارع عماد الدين تقريبا حتى ميدان رمسيس ثم فى اتجاه شارع الترعة البولاقية حتى شبرا المظلات •

وكان مسجد أولاد عنان بشارع الجمهورية الحالى الذى هدم أخيرا ليقام مكانه مسجد جديد باسم مسجد الفتح - يقع على النيل مباشرة • وكان هناك الميناء النهرى لمدينة القاهرة • وكان الخلفاء الفاطميون يحتفلون هناك

بتوديع الأسطول الخارج للغزو . فكان يخرج من هناك الى فرع دمياط حتى البحر الأبيض . وكان الأسطول المصرى فى أوائل عهد الدولة الفاطمية مكونا من ٦٠٠ قطعة .

وبعد الفتح الاسلامى بدأ النيل يتحول غربا ، حتى اذا كان القرنان السادس والسابع الهجريان (= ١٢ و ١٣ م) ظهرت أراضى نعرفها الآن بأسماء فم الخليج والمنيرة والقصر العينى وجاردن سيتى وميدان التحرير وسليمان باشا وقصر النيل . وفى القرن التاسع الهجرى (١٥ م) تكون ساحل جديد للنيل شمال كوبرى أبى العلا بحى بولاق وفى القرن الثالث عشر الهجرى (= ١٩ م) ظهرت ضاحية روض الفرج التى بدىء فى البناء عليها سنة ١٨٧٠ م .

ولما ظهرت أراضى اللوق فى أواخر عهد الدولة الأيوبية أنشأ الصالح نجم الدين أيوب فيها سنة ٦٤٣ هـ (= ١٢٤٥ م) ميدانا للعب الأكرة والفروسية والرماية وما أشبه ذلك . وأنشأ قنطرة على الخليج المصرى عند ميدان باب الخلق ليعبر عليها الى هذا الميدان .

وكان هذا الميدان يشرف على النيل من غربيه . وكان موقعه كما حدده المقريزى (الخطط جـ ٢ ص ١٩٨) من جامع الطباخ الى قنطرة قدادار . وجامع الطباخ موجود للآن بميدان باب اللوق . وقنطرة قدادار كانت على الخليج الناصرى أمام الجامعة الأميريكية وخلف محل استرا . وقدادار المنسوبة اليه القنطرة كان والى القاهرة فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون . وهناك فى موقع القنطرة تقريبا شارع بهذا الاسم للآن (شارع قدادار) .

وكان لميدان الصالح نجم الدين أيوب سور وباب ، وقال المقريزى : وما زال هذا الميدان باقيا وعليه طوارق مدهونة الى ما بعد سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) فأدخله صلاح الدين بن المغربى فى قيسارية الغزل التى أنشأها . ولأجل هذا الباب قيل لهذا الخط باب اللوق . أ هـ .

وابن المغربى المذكور هو القاضى صلاح الدين يوسف بن المغربى من أعيان مصر فى القرن الثامن الهجرى . وكان شارع عدلى الحالى ـ (نسبة لعدلى باشا يكن رئيس الوزارة ومؤسس حزب الأحرار الدستوريين

وممن كان لهم دور بارز فى السياسة المصرية فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩) - اسمه لغاية سنة ١٩٣٣ شارع المغربى • لأن ابن المغربى المذكور أنشأ هنـــاك جامعـــا • ورتب فيه درسا وقراءا • وبنى بجانبـه قبـة دفن فيهـا • وكان الجامع عامرا بعمار ما حوله • فلمـا خرب خط بركة قرموط (كما كان اسم الجهة التى بها الجامع) تعطل • وقال المقـــريزى : وهو آيل الى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره • ولم يصح ظن المقـريزى • فقد بقى الجامع للآن وان كان قد تضـاءل الى زاوية صغيرة فى مدخل عمارة كبيرة بشارع عدلى على يسار المتجه الى شارع سليمان باشا بينه وبين شارع شريف• ووجودها لا يلفت النظـر ولا تعرف الا اذا سألت عنها أحد البوابين هناك •

وأرض اللوق هى التى تغمـــرها الميـاه ثم تنحسر عنهـا فتتركهـا لينة لا تحتاج للحرث• فتبذر فيها البذور• ولا تحتـــاج للـرى حتى نضـــج المحصـول • وهى الطريقـة المعروفة بالتلـويق والزراعة البعـــلى بأرض الحياض • وقيل انها من اللق • وهو المرتفع من الأرض•فقد قال عبد الملك ابن مروان الخليفـة الأموى للحجاج ابن يوسف (لا تترك لقـا ولا خقـا من الأرض الا زرعته) • والخق:هو ما انخفض من الأرض •

ومنطقة اللوق كانت تغطى مساحة من عابدين شرقا الى مجرى النيـــل الحالى غربا ومن حى المنيرة جنوبا الى موقع شارع ٢٦ يوليه شمالا •

وكانت مدابغ الجلود فى القـاهرة فى أوائل القرن المـاضى بجهة حوش الشرقاوى وسوق العصر جنوبى ميدان باب الخـــلق • فتضرر النـــاس من الروائح الكريهة• فنقلت الى اللوق • ثم نقلت من اللوق الى جوار الفسطاط تقريبا بموقعهـا الحـالى سنة ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ) فى عهـــد اسماعيل • وشارع شريف الحالى الذى يبدأ من شـــارع ٢٦ يولية حتى مبنى جريدة الأهرام القـــديم كان اسمه شـارع المدابغ •

وكان فى موقع ميدان الصالح نجم الدين أيوب بســتان كبير للشريف اسـماعيل بن ثعلب (الذى كان أميرا للحجاج والزائرين فى دولة العادل بن أيوب وتوفى سنة ٦١٣ هـ • وينتهى نسبه الى عبد الله بن جعفـر بن أبى طالب والسـيدة زينب بنت الامام على

ابن أبى طالب • ولذلك يقال لهذا الفرع من الأشراف من آل البيت النبوى الكريم الجعفريون والزينبيون)

وكان بستان ابن ثعلب كبيرا يصل شمالا الى موقع شارع قصر النيل الحالى • فاشترى الصالح نجم الدين أيوب هذا البستان من ابنه • وأنشأ فى جزء منه الميدان المذكور •

وكان الشريف اسماعيل بن ثعلب يسكن دارا قال المقريزى عنها أنها بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية بالقاهرة الفاطمية •وموقعها الآن من داخل حارة المحروقى فى الحد الجنوبى للجودرية والفحامين • وقد حول الشريف ابن ثعلب داره المذكورة الى مدرسة عرفت بالمدرسة الشريفية •

وقد اندثرت هذه المدرسة الآن • وفى مكان جزء منها لا تزال زاوية صغيرة باسم زاوية ابن العربى •ولكن نذكر المدرسة الشريفية لما كان فى وقفها من خبر يدل على ما كان يتمتع به العلماء من شجاعة أدبية وحرية رأى • وما كان عند الحاكمين من رهبة واحترام لحكم المنطق والشرع :

لما طمعت نفس العادل بن أيوب الى نزع الملك لنفسه من المنصور حفيد أخيه صلاح الدين سنة ٥٩٦ هـ أحضر الناس للحلف والبيعة • وكان من جملتهم ضياء الدين بن الوراق الامام والمدرس بمسجد الرصد (عند القلعة) • فلما شرع الناس فى الحلف للبيعة • قال ضياء الدين : ما هذا الحلف ؟ بالأمس حلفتم للمنصور • فاذا كانت تلك الأيمان صحيحة فهذه باطلة • وان كانت باطلة فهذه أيضا باطلة •

فقال الصاحب ابن شكر ـ وكان وزيرا للعادل ـ لقد أفسد عليك هذا الفقيه الأمر •

وغضب العادل • وأمر بالحوطة على جميع موجودات ضياء الدين وأملاكه • وهو ما نسميه الآن بوضعه تحت الحراسة • كما أمر باعتقاله بالرصد تحت الترسيم أى تحديد اقامته •

ومكث ضياء الدين بن الوراق بهذا الوضع بضع سنين • ثم وجد غرة من الحراس فانتهزها وخرج وذهب الى دار الوزارة بالقاهرة الفاطمية • ولم

تكن انتقلت بعد الى القلعة (حيث لم تنتقل الىالقلعة الا فى عهد الكامل بن العادل) • وطلب مقابلة العادل • فلما قابله قال له ضياء الدين : اعلم والله أنى ما حاللتك ولا أبرأتك • أنت تتقدمنى الى الله وأنا بعدك أطالبك بين يديه تعالى •

وتركه وعاد الى معتقله •

وكان الشريف اسماعيل بن ثعلب من خاصة العادل والمقربين اليه • فدخل عليه بعد ذلك • فوجد العادل متألما حزينا • وحكى له ما حصل • فقال الشريف : لا تبتئس • رد عليه ما وقعت عليه الحوطة من ماله مع ريعه فى هذه المدة •

وصرح العادل بذلك • فأخذه الشريف وذهب الى ضياء الدين ليبشره •

وكان ضياء الدين رأى فى تلك الليلة رؤيا أن خلاصه يكون على يد شريف صحيح النسب • وحدث بها الحاضرين معه • فلما قدم الشريف ابن ثعلب حدثوه بالرؤيا •

فقال الشريف : اشهدوا أن جميع ما أملك وقف وصدقة شكرا لله تعالى على هذه الرؤيا (التى حققت صحة نسبه) وخرج من جميع أملاكه • ومنها هذه المدرسة التى كانت دار سكنه •

والخبر عن وقف جميع ما يملك لعله يقصد من عقارات دون الأطيان والا ما كان بستان اللوق يظل فى ملكه حتى يبيعه ابنه للصالح أيوب •

وتمت المدرسة الشريفية سنة ٦١٢ هـ • ومات العادل سنة ٦١٥ هـ • ومات ضياء الدين بعده بمدة دون أن يحالله أو يبرأه • أما الشريف بن ثعلب فقد توفى سنة ٦١٣ هـ •

وسبحان الحى الباقى ؟

محمد كمال السيد محمد

يوم الجمعة .. يوم سعد ويمن وعيد

للأستاذ على الجندى

يعتقد كثير من الناس : أن فى يوم الجمعة ساعة نحس ، ومن الغريب أن يعتنق المسلمون هذه العقيدة وبخاصة سكان القرى ، وبخاصة النساء منهن ، حتى لأعرف سيدة ريفية لا تسمح لأولادها أن يسافروا فى هذا اليوم المبارك ، ولا أن يقوموا بعمل ذى شأن .

وسبب ذلك الاعتقاد ، وقوع بعض كوارث مشهورة فى يوم الجمعة من باب المصادفات المحضة ، كما وقع فى غيرها من الأيام ، فقد جاء فى الحديث :

« لاتعاد الأيام فتعاديك »

ويحلو لنا بمناسبة ذلك أن نذكر بعض خصائص هذا اليوم الميمون .

الجمعة فى اللغة والتاريخ :

الجمعة بضم الميم وإسكانها وفتحها ــ حكاهن الفراء والواحدى وغيرهما . وقد وجهوا فتح الميم : بأن الناس يكثرون فيها ، كما يقال : همزة ولمزة : بفتح الزاء ــ لكثير الهمز واللمز .

وكان يوم الجمعة يسمى فى الجاهلية : « العروبة » بفتح العين ، فسماه كعب بن لؤى « الجمعة » .

وكان يجمع قريش فى هذا اليوم ، فيخطبهم ، ويبشرهم ببعثة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنه من ولده ، ويحثهم على الايمان به ــ كما جاء فى « الروض الأنف » .

فتسميته جمعة ، لاجتماع الناس فيه ، والاجتماع يمن ، والتفرق شؤم ، ولكل مسمى من اسمه نصيب . فهذا أول فضائله .

الجمعة فى القرآن الكريم :

وقد سميت احدى السور فى « التنزيل الحكيم » باسم الجمعة ، وآياتها احدى عشرة . وقد جاء فى السورة : « يايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

فحرم ـ سبحانه وتعالى ـ الاشتغال بأمور الدنيا ، وكل صارف عن السعى الى الجمعة ! تعظيما لهذا اليوم ، الذى عظم الله به الاسلام ، وخص به المسلمين ـ كما يقول الغزالى فى الاحياء .

الجمعة فى الحديث :

جاء فى الحديث الشريف : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة »

« ليس من أعياد أمتى عيد أفضل من يوم الجمعة »

«اذا سلمت الجمعة سلمت الأيام» .

« ان أفضل أيامكم يوم الجمعة » وأفضل الأيام عند الله يوم الجمعة » .

« ليلة الجمعة ويوم الجمعة أربع وعشرين ساعة لله ـ تعالى ـ يعتق فى كل ساعة ستمائة ألف عتيق من النار ، كلهم قد استوجبوا النار » .

« كان اذا كانت ليلة الجمعة ، قال : « هذه ليلة غراء ، ويوم أزهر » (١) .

تسمية يوم الجمعة :

سمى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم الجمعة : باليوم الأزهر وسمى ليلتها « بالليلة الغراء ، وليلة العتق والمغفرة » .

وجاء فى الآثار : تسمية الملائكة فى السماء يوم الجمعة : « بيوم المزيد » .

فضل يومها وليلتها على غيرها :

جاء فى الحديث الذى رواه سعد بن عبادة : « ان يومها أعظم من يوم النحر والفطر» ! وقال السيد عبدالقادر

---

(١) الغراء : البيضاء السعيدة الصبيحة . وازهر : منير مشرق .

الكيلانى فى « الغنية » رجح جماعة من العلماء تفضيل ليلة الجمعة على ليلة القدر ، لأنها تتكرر فيكون ثوابها أكثر .

قال ابن الملقن : وهذه رواية عن الامام أحمد .

ما وقع فى يوم الجمعة من أحداث مهمة :

جاء فى الخبر « أن آدم خلق يوم الجمعة ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه تزوج موسى « صفورا بنت شعيب » وتزوج سليمان بلقيس ، وتزوج محمد « عائشة » .

وقد أفرد كل من النسائى ، وابن أبى الصيف اليمنى والسيوطى ، فضائل هذا اليوم بمؤلف .

فضيلة صلاة الجمعة :

جاء فى الحديث : « من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر ، طبع الله على قلبه » ! .

ورواه أحمد .

وفى لفظ آخر « فقد نبذ الاسلام وراء ظهره » .

ورواه البيهقى .

وفى حديث آخر : « من سمع النداء يوم الجمعة فلم يأتها ، ثم سمعه فلم يأتها ، طبع الله على قلبه ، وجعل قلبه قلب منافق » .

وعن أبى هريرة وابن عمر : أنهما سمعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول على أعواد منبره » .

«لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن على قلوبهم ، ثم ليكونن من الغافلين » .

رواه مسلم .

من سنن الجمعة :

من سنن الجمعة : الاغتسال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الغسل يوم الجمعة ، ليستل (١) الخطايا من أصول الشعر استلالا » .

رواه الطبرانى فى الكبير .

وعن سلمان ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهره ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ماكتب

(١) يستل .

له ، ثم ينصت اذا تكلم الامام ، الا غفر له مابينه وبين الجمعة الأخرى» .

رواه أحمد والبخارى .

وكان الشافعى يقول : ما تركت غسل الجمعة حضرا ولا سفرا !

وذكر الغزالى : أنه كان اذا تساب الرجلان من أهل المدينة ، يقول أحدهما للآخر — أنت أشر ممن لم يغتسل يوم الجمعة !

ومن السنن كذلك أن يتطيب بأطيب مما عنده ! وأن يلبس أحسن اللباس ، وأفضله البياض .

« وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — اذا استحدث ثوبا ، لبسه يوم الجمعة » .

ومن السنن أيضا : التبكير الى المسجد لصلاتها ! وقد كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لأجلها .

ودخل عثمان المسجد ، وعمر يخطب يوم الجمعة — رضى الله عنهما — فقال عمر : أفى هذه الساعة ؟ ينكر عليه ترك البكور !

فقال عثمان : مازدت بعد أن سمعت الأذان ، على أن توضأت وخرجت ! فقال عمر والوضوء أيضا ! قد علمت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يأمرنا بالغسل !

ترك التبكير :

وكانت ترى الطرقات فى القرن الأول ، فى السحر ، وبعد الفجر مملوءة من الناس ، يمشون فى السرج ، ويزدحمون بها الى الجامع ، كأيام العيد حتى اندرس ذلك ، فقيل : أول بدعة حدثت فى الاسلام ، ترك التبكير الى الجامع !

ويقول الغزالى فى ذلك : وكيف لا يستحى المسلمون من اليهود والنصارى ؟ وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والأحد ، وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الأسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة به ؟ .

ساعة سعد لا ساعة نحس :

من الأمور العجيبة التى تلفت النظر ، توارد الأحاديث الكثيرة : على أن فى يوم الجمعة ساعة ميمونة مسعودة ، فهل كان الرسول — صلى الله عليه وسلم — يعلم بطريق

الوحي ؟ : أن بعض أهل الجهالة من أمته في زمن من الأزمان ، سيحدث بينهم الاعتقاد : بأن ساعة من ساعات هذا اليوم الذي يفضل جميع أعياد المسلمين ـ كما مر ـ تحمل الشؤم والنحس للبشر !

لئن صح ذلك ، فان هذه الأحاديث تعد من المعجزات الباهرة ، للصادق المصدوق ـ صلوات الله وسلامه عليه .

من هذه الأحاديث التي أشرنا اليها :

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « فيه ـ يعني يوم الجمعة ـ ساعة ، لايسأل العبد فيها الله شيئا الا أعطاه اياه ما لم يسأل اثما أو قطيعة » .

وعن أبي هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ذكر يوم الجمعة ، فقال : « فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم ، وهو قائم يصلي يسأل الله شيئا الا أعطاه له » .

وأشار بيده يقللها ، يريد أنها لحظة لطيفة خفيفة .

وزاد مسلم : وهي ساعة خفيفة .

وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد يستغفر الله الا غفر له » .

زمن هذه الساعة :

وقد اختلف العلماء في هذه الساعة ، فقيل : انها عند طلوع الشمس . وقيل : عند الزوال . وقيل مع الأذان . وقيل: اذا قام الناس الى الصلاة . وقيل : اذا صعد الامام المنبر ، فأخذ في الخطبة .

وفي صحيح مسلم : هي ما بين أن يجلس الامام ، الى أن تقضى الصلاة .

وقيل هي آخر وقت العصر ، وقبل غروب الشمس ، أخذا من الحديث الذي رواه السيوطي في « الجامع الصغير » : « التمسوا الساعة التي ترجى في يوم الجمعة ، بعد العصر الى غيبوبة الشمس » .

وكانت السيدة فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ : تراعي ذلك الوقت ، وتأمر خادمتها أن تنظر الى الشمس ، فتأذنها ببدء سقوطها ! فتأخذ في الدعاء والاستغفار الى أن تغرب الشمس .

وكانت تخبر : أن تلك الساعة هى المنتظرة ، وتؤثره عن أبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليها ، وعلى ذريتها !

حمق بعض المسلمين

فانظر كيف يبدل حمقى المسلمين ـ وما أكثرهم ـ اليمن شؤما ، والسعد نحسا ، والمعروف منكرا ، والاقبـال ادبارا ، والصعود هبوطا ، والنـــور ظـلاما ! ولا تصرفهم أقـوال نبيهـم المعصـوم ، عن اعتنـاق هـذا الزور والافك والبهتان !

مصدر هذه الخرافة الاسلامية :

ولكن من أين جاءتهم هذه الخرافة الغريبـة ، التى تخـالف الأحاديث النبوية الصادقة ؟ !

جاءتهم دخيلة عليهم من المسيحية ! فالمسيح ـ عليه السلام ـ وقع صـلبه فى اعتقاد المسيحيين فى الساعة الثالثة من يوم الجمعة فـكانت ساعة نحس عندهم طبعـا ووضعا ، لأن الصـلب دعامة المسيحية !

وقد أخذ عنهم المسـلمون هــذه العقيدة مسلمة . كما أخذوا كثيرا من الاعتقادات الفرعونية واليهودية ، بلا تبصر ولا تدبر ! والله الهـادى الى سواء السبيل .

على الجندى
رحمه الله

منذ متى كانت سيناء غير مصرية ؟

للأستاذ عبد الفتاح خليفة القرنوانى

هذا السؤال رد على السؤال الاستفزازى الذى طرحه الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى فى زيارته لمصر من أجل الفصل بين القوات فى سيناء •

ونحن الآن على أبواب صراع فكرى وسياسى مقنن بعد الجولة المسلحة التى خاضتها القوات المصرية الباسلة فى العاشر من رمضان الماضى ، محطمة الموانع الجبارة ومعرية الادعاءات الصهيونية العالمية •

ولقد تعودنا من الصهيونية وعودتنا أن تثير شكوكا وأوهاما خاطئة فنهمل نحن الردود عليها ثم ما نلبث أن نرى هذه الشكوك والأوهام تقوم قضايا مسلمة عند الخصم وبعض قطاعات الرأى العام العالمى ؛ من ذلك التشكيك هذا السؤال :

منذ متى كانت سيناء غير مصرية ؟

ويومها كانت أكثر القطاعات العالمية التى تساند الصهيونية تعتبر هذا التساؤل وجيها شكلا وموضوعا •

وكنت أظن أن الأقلام المصرية والعربية تهب لتأخذ دورها فى الدفاع عن مصرية سيناء أولا • وعروبتها ثانيا • كما هبت الآلاف من الجنود والملايين من الطلقات المحرقة لتدافع عن مصرية سيناء وعروبتها •وللأسف كانت الردود قليلة جدا حتى أن أولها كان شفهيا •

وقد طاشت باقى الأقلام فى مصرية سيناء والبرهنة الحقيقية على تبعيتها لمصر •

فالرد الشفهى كان من أحد الكتاب الكبار فى مصر ومفاده :

أن هناك (برديات) قديمة تحكى قصة حب وغرام بين ضابط مصرى فى سيناء ومحبوبته فى مصر .

والرد الثانى مفاده :

أن الخديوى عباس حلمى غضب من الباب العالى فى تركيا لما وجد (فرمان) توليه عرش مصر خال من ولايته على سيناء . ورفض التنازل عنها مما اضطر الصدر الأعظم جواد باشا الى أن يبرق للخديوى فى ٨ أبريل سنة (١٨٩٢ م) بأن ولايته على سيناء قائمة كما كانت فى زمن جده محمد على .

وأصحاب هذه الردود وان كان لهم فضل السبق والدفاع عن قطعة من أرض الوطن . الا أنها ليست مسلمة وقاطعة .

فكون ضابط مصرى أرسل لمحبوبته خطابا من سيناء لا يثبت مصريتها وربما كان هذا الضابط مستعمرا .

فقد أقام ضباط كثيرون فى سيناء من فرس ورومان وانجليز وكتبوا لزوجاتهم من هناك . وكون الخديوى غضب من تصرفات آل عثمان فى محاولة اقتطاع سيناء من مصر . لايقيم دليلا قاطعا على مصريتها لأن آل عثمان كانوا غزاة مستعمرين .

والحدود الوطنية لأى دولة لا تقوم ولاتسقط ولاتتعدل بقرارات الغزاة .

وبعد ، فنقول للمشككين فى مصرية سيناء :

ان مصرية سيناء لاشك فيها وليست فيها أدنى شبهة ؛ فعند بعض الدول كان يحصل بينهما اشتباه فى الحدود تكون فيه بين أخذ ورد وحروب ومشاورات سياسية فمثلا : مسألة الأراضى الواقعة بين فرنسا وألمانيا (الالزاس واللورين) فكانت الحدود الطبيعية لهذه الأراضى من أملاك فرنسا ؛ لأنها كانت تحد حدودها فى هذه المنطقة بنهر (الراين) واللغة الألمانية والجنس الجرمانى يجعلان تبعيتها الألمانية شيئا طبيعيا .

فقبل الحرب العالمية الأولى ضمت هذه الأراضى بموجب معاهدة صلح (فرانكفورت) سنة (١٨٧٠ م) وتنازلت فيها فرنسا لألمانيا عن الالزاس واللورين وفى أواخر الحرب العالمية الأولى استعادت فرنسا هذه الأرض بموجب معاهدة (فرساى) فى ٢٨

يونيــــه سنة (**١٩١٩ م) التى قضت** أحكامها بانكماش حدود ألمانيــــا من الشرق والغرب وليست سيناء من هذا النوع •

وبحثنا فى مصرية سيناء يدور أمره فى ثلاثة عناصر هى :

١ ـ سيناء قبل الفتح العربى •

٢ ـ سيناء بعد الفتح العربى •

٣ ـ سيناء فى تراثنا •

ولا سبيل أمامنا فى تحقيق مصرية سيناء فى العنصر الأول والثانى • • الا كتب التاريخ ، ومنها نوع يسمى عند العلماء بكتب (الخطط) وهى الكتب التى اختصت وتخصصت فى تحديد حدود الوطن ومسح أرضه ، ووصف عمــرانه ومعــالمه وقيــاس أطواله وتقسيماته الادارية •

ويمتـــاز المؤرخـون المصريون بكثرتهم فى التخصص فى هذا الفـن ـ كتــابة الخطـط ـ حتى يصعب حصرهم • ومنهـم من لهـم شـهرة مرموقة تبعث على الثقة فى كتبهـم بين دوائر الشرق والغرب •

ومن أشهر هؤلاء : ابن عبد الحكم والمسـعودى • وأبو عمر الكندى • والقضاعى •والمقريزى • وابن المتوج والقلقشندى وغيرهم كثير •

١ ـ سيناء قبل الفتح العربى :

يذكر السـيوطى نقـلا عن ابن عبد الحكم الرواية المشهورة فى فتح مصر فيقول :

ان عمر بن الخطاب قال لعمـــرو ابن العـــاص : سر لفتــح مصر وأنا مستخير الله فيك وسـيأتيك كتــابى سريعا ان شاء الله فان أدركك كتابى أأمرك فيه بالانصراف عن مصر قبـل أن تدخلهــا أو شـيئا من أرضهــا فانصرف • وان أنت دخلتها قبـل أن يأتيك كتابى فامض لوجهـك واستعن بالله • فسار عمـرو بن العاص وكان معـــه جيش قـــوامه ثلاثة آلاف وخمســـمائة من أهل عك (عكا) • واستخار الخليفــة الله فكأنه تخوف على المسلمين •وفى رواية ـ أن عثمان ابن عفان قال للخليفة :

يا أمير المؤمنين ان عمـرا لجرىء وفيــه اقدام وحب للامارة فأخشى أن يعرض المسلمين للهلكة • فندم عمـر وكتب الى عمرو بن العاص ، أن ينصرف

بمن معه من المسلمين عن فتح مصر •
فأدرك الكتاب عمرا وهو (برفح) فتخوف عمرو بن العاص ان هو آخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الأمر بالانصراف فلم يأخذ الكتاب من الرسول حتى نزل قرية بين العريش ورفح فسأل عنها أهل جيشه فقيل له• انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه وقال لمن معه ألستم تعلمون أن هذه من من مصر ؟

قالوا : بلى • قال : فان أمير المؤمنين عهد الى وأمرني ان لحقنى كتابه ولم أدخل مصر أن أرجع •

ولم يلحقنى كتابه حتى دخلتها فسيروا وامضوا على بركة الله •

فهذه الرواية صريحة فى الآتى :

١ ـ ان عمرا لم يأخذ كتاب الخليفة الا بعد أن توغل فى أرض مصر وجاوز حدودها •

٢ ـ ان الذين شهدوا على حدود مصر من أهل عكا من فلسطين وهم جيران مصر وشهادة الجار فى مثل هذا أوثق •

٣ ـ ان حدود مصر كانت تضم سيناء بما فى ذلك رفح والعريش قبل الفتح العربى •

٢ ـ سيناء بعد الفتح العربى :

وعن حدود مصر بعد الفتح الاسلامى وهو الذى قد أعاد صياغة المنطقة حضاريا وفكريا ، مما جعل عصرنا الحاضر يشكل امتدادا له • تجمع كل هذه الجمهرة من كتاب الخطط المصريين على أن أرض سيناء أرض مصرية ، ويدخلون ايلات ورفح ضمن حدود مصر الشرقية ، وعلينا أن ننقل عبارة أحد الذين كتبوا فى الخطط من غير المصريين حتى تكون عبارتهم أبعد عن الشبه وأوثق فى التحديد •

أولا ـ ابن حوقل :

هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى الموصلى •

التاجر الرحالة المؤرخ المتوفى سنة (٣٦٧ هـ) فى كتابه (المسالك والمفاوز والمهالك) طبع مرارا فى أوربا وعليه اعتماد علماء الاستشراق فى وصف جدول الدول فيقول : اعلم أن حد ديار مصر الشمالى بحر الروم (الأبيض

المتوسط) ورفح من العريش ممتدا على الجفار الى الفرما الى الطينة الى دمياط الى ساحل رشيد الى الاسكندرية وبرقة على الساحل آخذا جنوبا الى ظهر الواحات الى حدود النوبة •

والحد الجنوبى من حدود النوبة المذكورة آخذا شرقا الى أسوان الى بحر القلزم (الأحمر) والحد الشرقى من بحر القلزم قبالة أسوان الى عيذاب الى القصير الى القلزم الى تيه بنى اسرائيل ثم يعطف شمالا الى بحر الروم الى رفح الى حيث ابتدأنا •

وهذه شهادة مؤرخ عراقى محايد فى حدود مصر من جميع الجهات •

ثانيا ــ عبارة صاحب كتاب (مباهج الفكر) :

وهو : محمد بن عبد الله الكتبى المصرى المعروف بالوطواط المتوفى سنة (**٧١٨ هـ**) وقد اخترته عن غيره من مؤرخى المصريين لأنه :

كتب خططه بعد التعديل الداخلى فى مسح أرض مصر فى عهد الناصر محمد بن قلاوون فى التعديل الذى أطلق عليه المؤرخون وكتاب الخطط فى مصر (بالروك الناصرى سنة **٧١٥ هـ**) يقول : حد مصر طولا من أسوان وهو تجاه النوبة الى العريش وهو مدينة على البحر الرومى ومسافة ذلك ثلاثون مرحلة وحدة عرضا من مدينة برقة التى على ساحل البحر الرومى الى آيلة (ايلات) التى على بحر القلزم ومسافة ذلك عشرون مرحلة • ثم يحصر عدد (الكور) فى مصر بأربع وعشرين كورة • والكورة بلغة عصرنا يعنى (محافظة أو بندر) •

ثم يصف الكور فيقول :

وقد جعل لكل كورة والى حرب وقاض وعامل خراج • ويذكر الكور الموجودة فى سيناء فيقول : ومما هو معدود فى كور اقليم مصر كورة القلزم وكورة فاران • وكورة الطور • وكورة آيلة (١) •

ومن هنا نعلم أن ايلات ورفح من الشرق ضمن أرض مصر • وان ايلات كانت تدار سياسيا بوالى حرب وقاض وعامل خراج من مصر •

---

(١) راجع حسن المحاضرة للسيوطى جـ ١ ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٨

سيناء فى تراثنا :

وهـــذا العنصر الأخير لا نذكره دليلا على تحقيق مصرية سيناء فذلك سبيله كتب الخطط كما ذكرنا وانمـا نذكره للاستئناس لأن تراث أى أمة شاهد على كيانهـا ومعنى ســيناء فى تراثنا :

أن نلتمس أدبا • شعرا • نثرا • أو عبارات تؤيد ما حققناه وقد اخترت من ذلك كتابين من كتب تفسير القرآن الكريم •

الأول :

أقدم كتاب فى التفسير المنســوب لابن عباس فهو أقدم تراث فى هـذا الفن من غيره ــ يقول عند تفســير قوله تعالى :

(ولمـا فصلت العير قال أبوهم انى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) قال : فصلت العير خرجت من العريش وهى قرية بين مصر وكنعان •

الثـانى :

أحدث تفسير بعد ابن عباس عبر تســعة قرون وهو تفســير الجلالين يقول :

ولمـا فصلت العير خرجت من عريش مصر متوجهــة الى أرض كنعــان فسيناء اذن مصرية منذ أن عرف الوطن المصرى وقبل أن يعرف العالم الشعوب والأوطان التى ينتمى اليهــا أولئـك المتشككون فى مصرية سيناء •

عبد الفتاح خليفه الفرنوانى

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **شهيد المحراب .. عمر بن الخطاب :**

للأستاذ : عمر التلمساني المحامي

هذا الكتاب الذى نشرته دار مصر الدولى بالقاهرة ، يقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف ، الأستاذ عمر التلمسانى المحامى بالقاهرة ، من الرعيل المناضل الذى عاصر الحركة الوطنية فى مصر مسهما فيها ، ثم هجر السياسة ، بعد أن اختار الاسلام طريقا أمثل للنضال ، وقد قضى بين جدران السجن سبعة عشر عاما من أجل العقيدة ، رافق خلالها شخصية عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — عاش مع سيرته بكل أحاسيسه وجوارحه .. ثم حول كل انطباعاته عن هذه الشخصية الفذة الى هذا الكتاب القيم الذى بين أيدينا .

ولقد كتب مقدمة مسهبة فى أربعين صفحة ، وهى — والحق يقال — مقدمة ممتعة ذهنيا وروحيا ، أشار فيها ، الى أن العاطفة هى التى تهيمن على ما يكتب قبل الخضوع لقيود العقل .. انه يمضى مع عاطفته يشرق ان شرقت ، ويغرب ان غربت ، والفارق كبير بين العقل والعاطفة ، فالعقل يدعو الى التضحية بمقابل ، والعاطفة تحلق فوق هذا المستوى الجامد ، لأنها تدفع الى التضحية حبالها دون نظر الى مقابل ، كذلك أشار فى المقدمة الى أنه لا يكتب عن عمر لذات عمر ، فالأمر عنده أجل وأكبر ، بل لمكانته عند رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — ولفهمه الممتاز فى دينه ..

وقد تركنا المؤلف يجول جولات ممتعة شهية ، مع هذه الشخصية الفذة ، فى مجالات سبعة : عمر قبل اسلامه ، عمر والذين معه ، عمر والقرآن ، عمر الخليفة ، عمر وخالد بن الوليد ، عمر وأرض الخراج ، ثم المجال

السابع والأخير : استشهاد عمر ، وفى هذه المجالات كانت جولاتنا سريعة باستثناء المجال الرابع « عمر الخليفة » الذى استغرق أكثر من نصف الوقت ، وفى هذا المجال الواسع الخصب ، يحدثنا المؤلف عن عمر كحاكم ليبين ما يفعل الايمان وخشية اللهفى تصرف الحكام ، فيشير الى أنه ما مر بالعالم كله على طول تاريخه ووفرة حكامه بعد عمر - من ساواه أو داناه فى أية ناحية من نواحى الانسان كحاكم أو غير حاكم ، حتى لقد كان بعض من بهرهم عمر ، يزعمون أنه أسطورة اخترعها بعض أذكياء المسلمين ، حيث لا يمكن لبشر أن يكون على هذا الغرار المذهل العجيب ، فقد يبرز حاكم فى ناحية من نواحى الحكم المتعددة - كما يقول المؤلف - فيبدو فى التاريخ علما ، اما أن تتم كل مقومات الحكم الناجح فى حاكم واحد ، فهذا هو الفضل الذى لايعرف لغير عمر ..

وبعد - فالكتاب وجبة ذهنية وروحية ، ودسمة شهية ، وما أكثر ما كتب عن سيرة عمر رضى الله عنه ، ولذا كانت الكتابة عنه مهمة شاقة صعبة لمن يحاول أن يكتب جديدا ، ولقد تجنب المؤلف السرد للقصص المألوفة عن عمر ، والتى نكاد نحفظها عن ظهر قلب ، فجاء الكتاب دراسة تحليلية عميقة ، ومن خلالها ، ابرز جوانب الشخصية المشرقة ، وقد كانت كلها مشرقة ، ولم يقف المؤلف عند هذا ، بل حرص على أن يصحح بعض المفاهيم الاسلامية التى علقت خطأ بالأذهان ، ويمكن أن نقول :

ان المؤلف استطاع أن يبرز الاسلام فى صورته المشرقة فى شخصية عمر ، وأن يبرز الصورة المثالية للحاكم فى اطار توجيهات الاسلام الرشيدة ، ويجب أن نضيف هنا شيئا له تقديره ، فالمؤلف عاش مع عمر سبعة عشر عاما بين جدران السجن : لذلك كان كتابه تسجيلا لانطباعات صادقة بها طاقة كبرى من الروحية الصافية ..

وقد يكون من حقنا - بعد ذلك - أن نبدى ملاحظتين على هذه الدراسة الطيبة الممتعة :

- الأولى : هى أن المؤلف أغفل ذكر المراجع والمصادر ، وبخاصة فيما يتصل بالأحاديث النبوية التى استشهد بها ، وهى كثيرة فى الكتاب .

ـ الثانية : هى أن فى الكتاب كثيرا من الأخطاء المطبعية وغير المطبعية ..

وملاحظة ثالثة ، ليست هامشية ، فقد خلا الكتاب من الفهرست ، فليس معقولا أن يخلو كتاب من الفهرست ، بلغت صفحاته ٣٢٥ صفحة ..

● لمن المال ؟

للعلامة السيد حامد المحضار .

هذه الدراسة الموجزة التى نشرتها مكتبة المطيعى بالقاهرة لعالم كبير من علماء اليمن ، تقع فى زهاء سبعين صفحة من القطع الكبير ، وهى دراسة لها أهمية فى هذه الآونة بالذات ، بعد أن أخذت الأفكار الأجنبية المستوردة تشكل خطرا فى أذهان الشبيبة المسلمة ، ملفوفة فى شعارات خادعة براقة ، تحمل معاول الهدم للاسلام ، ان موضوع المال فى الاسلام دقيق للغاية ، وما أكثر الذين كتبوا فيه ، لكن ما أقل الذين أنصفوا الاسلام بصدده ، لأن الكتابات الكثيرة التى كتبت عن المال فى الاسلام ، تأثر معظمها بالاتجاهات السياسية ، والحق أن المؤلف العلامة من تلك القلة التى أنصفت الاسلام فى موضوع المال ، فقد نهج نهجا يساير روح الاسلام وغايته ، ولبه وحكمته ـ كما يقول الأستاذ المطيعى الذى قدم للبحث ـ فاعتبر الزكاة ـ التى هى حق المال ـ المرحلة الأولى من مراحل التدرج فى البذل ، بل لا يعد المعطى باذلا ولا معطيا ، وانما هو أمر طبيعى أن يكف يده عما ليس من ماله ، وهو قدر الزكاة ، أما النزول عن المال ، ورفع اليد عن الملكية فهى مما يلى ذلك من أوجه البذل والعطاء ..

لقد أجاب المؤلف فى هذا البحث عن أسئلة عن آية الكنز : « والذين يكنزون الذهب والفضة ... » الآية : أهى منسوخة ؟ واذا لم تكن منسوخة فهل فيها ما يدل على أن فى المال حقا للمحتاجين سوى الزكاة ؟ وهل ثمة آيات محكمات تشد أزر آية الكنز ؟ وهل ورد فى الأحاديث النبوية مايشهد لما تدل عليه الآية ؟ وهل قال به أحد من الصحابة وأئمة الهدى من بعدهم؟

ويجيب المؤلف بعقلية العالم وفقه الفقيه وأفق الباحث ، بأن آية الكنز محكمة ، وبأنها لمن أقوى الأدلة على أن فى المال حقا غير الزكاة ، ويقرر

المؤلف ضمن ما يقرر : أنه اذا ماكان للدولة ما يقوم بحاجة المستظلين برايتها ، فلا يجوز لأحد أن يتطلع الى مال الرعية ، وليس للدولة نفسها سبيل اليه ، ما دامت تجد فى مواردها مايسد الحاجة دون ما رجوع الى مال رعيتها ، وقد عرض المؤلف لمذهب أبى ذر رضى الله عنه ، فليس فيما ذهب اليه متمسك للشيوعيين ومن حذا حذوهم فمذهبه مذهب اسلامى صرف ، وهو أن يصرف ما زاد عن الحاجة من المال فى سبيل الله .. والشيوعيون لايعرفون سبيل الله ، ولا يسيرون عليه ، ولا يبحثون عنه .. ويختتم المؤلف بحثه القيم بعبارات مؤمنة صادقة ، فيشير الى أن من شر ما أصيبت به بعض البلاد العربية وأرهقت به ، وتمزقت قواها وضعفت لسببه معنوياتها ، حتى كادت تفقد الرجاء فى الحياة الأفضل ذلكم الحاكم الساحر المستهزىء بالشرائع السماوية والأرضية فارضا نفسه أو هواه معطيا سيفه حق التشريع والتأهيل والتفريع .

وبعد ـ فالحق الذى لامجاملة فيه ، أن القارىء لهذا البحث القيم ، يجد نفسه مع عالم كبير وفقيه محقق ، بل يجد نفسه أمام علم يقرأ ، وفقه يستوعب ، وبحث له تقديره العلمى .

● علوم القرآن :

للأستاذ أحمد عادل كمال .

هذا الكتيب الذى نشرته دار المختار الاسلامى بالقاهرة ، يقع فى زهاء مائة وخمسين صفحة من القطع الصغير ، وهو دراسة مركزة الكلمات مستفيضة المعانى ، فيها بحث عن تنزيل القرآن ، وبحث عن أسباب النزول ، وبحث عن جمع القرآن وتدوينه ، تناول الصحف والمصاحف ورسم المصحف ومزايا الرسم العثمانى ، ودستور عثمان فى كتابة المصحف وبحث عن المكى والمدنى تناول فيه معنى الآية ومعنى السور ، وأسماء السور وترتيب الآيات والسور ، وبحث عن الأحرف السبعة ، وبحث عن الناسخ والمنسوخ ، وبحث عن آداب قارىء القرآن وحامله ، وبحث عن الحروف المفردة فى أوائل السور ، ثم بحث عن أحكام التلاوة والتجويد .

وبعد .. فان علوم القرآن من العلوم التى نالت قسطا كبيرا من الاهتمام لدى العلماء القدامى والمحدثين على السواء ، ولكن دراسة المؤلف هذه

والتى طبعت للمرة الرابعة ، امتازت بالتركيز والايضاح ، وسهولة الأسلوب • مما ييسر مشبابنا المسلم استيعاب علوم القرآن فى سهولة ••

● الجنس المستورد :

ليس من حق أية دولة أن تعترض على دولة أخرى ، فى مجال ما تنشر من صحف ، حتى ولو كانت هذه الصحف صحفا جنسية فى اطار من الدعارة المتبجحة الوقحة ، ولكن من حق أية دولة أن تحول بين هذه الصحف الجنسية العارية ، وبين شبابها المراهق ، وفى هذه الأيام نلمس سيلا عارما من هذه الصحف يتدفق علينا ، وبالرغم من أسعارها الجنونية الا أن الاقبال عليها فى تزايد مستمر ، والذى يتصفح مثلا مجلة الموعد التى تصدر من بيروت يصاب بأزمة نفسية ، فهى من أول صفحة الى آخر صفحة تزكم الأنوف برائحة الجنس الوقح ، والفضائح الخلقية الذميمة ، والصور العارية الداعرة ••

والمؤلم الممض ، أن المادة الممولة لمثل هذه المجلات الفاضحة ، هى من خفايا الشذوذ والانحراف اللذين ينسبان الى مايسمون بالفنانين والفنانات ، ومعظمهم من القاهرة ، ويبدو أنه ليس من حقنا أن نتساءل : هل الرقابة التى لا تزال تقف بالمرصاد للمجلات الاسلامية ، لم تسمع بعد بالصحف الداعرة التى تتدفق علينا من بيروت •؟ ويبدو ثانيا أن الرقابة لدينا تتجاهل أننا لم نزل فى معركة • !!

● قراءات :

« يا معشر بنى تميم : لا تسرعوا الى الفتنة ، لأن أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار ، وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابا •• فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب » •

« الأحنف بن قيس »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

١ ـ السؤال من رجل سافر الى اليونان وعاد ولم يذكر اسمه •

اختلف المشايخ فى اليونان فى تارك الزكاة فيقول البعض انه فاسق ، ويقول الآخرون انه كافر مستدلين بقوله تعالى : « وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة » الآن فأيهما أصح ؟

(ج) ان تارك الزكاة وهو معتقد لوجوبها فهو فاسق ولا يحكم عليه بالكفر والآية لا تدل على كفره فانها فى الكافر وهو لا يعتقد وجوبها ولا يؤمن بالآخرة بخلاف من اعتقد فرضيتها وامتنع عن أدائها فانه سليم العقيدة مقصر فى العمل •

٢ ـ السؤال من زوجة شهيد لا ترتد ذكر اسمها •

استشهد رجل فى معارك أكتوبر سنة ١٩٧٣ فصرف لزوجته وأولاده الصغار تعويض فهل تجب فيه الزكاة؟

(ج) تفيد اللجنة بأن القدر الذى تستحقه زوجة الشهيد فى التعويض المدفوع لها ولأولادها يجب فيه الزكاة اذا حال عليه الحول وكان أكثر من ١٣ جنيها وللقدر الذى يعتبر زكاة هو ربع العشر من نصيبها هى واذا كان هناك مال آخر يخصها فيضم كله الى بعضه ويخرج عنه كله ربع العشر ، أما ما يخص الأطفال فلا زكاة فى نصيبهم لأنهم صغار وليس عليهم زكاة كما هو مذهب الامام أبى حنيفة وهو ما تفتى به اللجنة •

٣ ـ السؤال من السيدة م•ع•ل•

اقتنى كلبا فى شقتى للحراسة وقد يتبرز فى الشقة وأضطر أحيانا الى رفع هذا البراز بيدى من على الأرض وأنا متوضئة فهل أعيد الوضوء أم أخص اليد بطهارة وحدها •

(ج) ـ تفيد بأن على هذه السيدةأن تطهر يديها طهارة عادية بالمـاء ثم اذا أرادت الوضوء فتتوضأ وتصلى ولاشيء عليها •

واذا كانت متوضئة ورفعت نجاسة الـكلب بيـدها ثم طهرت اليد بالمـاء فوضوؤها باق على ما هو عليه ولها أن تصلى بهذا الوضوء والله تعالى أعلم •

٤ ـ السؤال من الحاج فريدحلاوة ناظر مدرسة كفر ميت الحارون •

اذا لحس الكلب أحدا أو لمســه وهو مبلول ولم يغسل محل اللحس واللمس مقلدا الامام مالك رضى الله عنه فى طهارته وطهارة ريقه ويتوضأ ويصلى على مذهب الامام الشـــافعى ويقلد من يجوز التلفيق فى القضيتين فهل يجوز ذلك ؟

(ج) ـ مسألة طهـــارة الكلب من المسائل التى ليس فيها نص قاطع بل هى من المســائل الفرعية الاجتهـادية التى اختلف فيها الأئمة رضوان الله عليهم ، فمنهم من رأى طهارته ومنهم من رأى نجاسته وقد ذهب كل منهم الى رأيه لدليل ترجح عنده •

وعن تلفيق المصـــلى فى الحادثة المسئول عنها وأخذه من كل مذهب شيئا من أحكامه فهو جائز على الراجح من مـذهب الامام مالك رضى اللـه عنه •

٥ ـ السؤال من السـيد محمـــد السيد رزق :

مرضت زوجتى وهى الآن تحت العـــلاج ، وقد طلب منى الأطبـــاء المختصون كتابة تعهد لاجراء عمليـة استئصـــال الرحم لها مع الاحاطة بأن لى ثلاثة أولاد منها •

فمـا حكم الشرع فى الموضوع ؟

وتجيب على هـــذا السؤال لجنـة الفتـــوى بالأزهر فتقول : انه اذا كان استئصال الرحم لغرض التعقيم فقط فانه لا يجوز وان كان ذلك لأن حياتها تتوقف على هذه العملية بقول الطبيب العدل الحاذق يقينا أو ظنا فانه لابأس باجرائها حينئذ محافظة على صـــحة الزوجة وحياتها والله أعلم •

٦ ـ السؤال من عدد من الزراع والمستهلكين :

١ ـ ماحكم قطع الفول الأخضر والذرة الخضراء قبل نضجها فهل تجب فيهما الزكاة ؟

٢ ـ هل الطماطم الخضراء التى تباع بالأسواق للاستهلاك المحلى فيها زكاة ؟

٣ ـ هل في الموالح والفاكهة زكاة ؟

مع الاحاطة بأن من الناس من يزرع هذه الأشياء ويبيعها لحسابه ومن الناس من يزرع ويبيع لتاجر الجملة .

وتجيب لجنة الفتوى على هذه الأسئلة فتقول : أما عن الأول فان ما يبيعه الزراع من الفول الأخضر والذرة الخضراء تجب الزكاة في ثمنه بنسبة نصف العشر ان كان سقيه بالآلة وما يأكله الزراع أو يهد به فتجب نصف عشر قيمته وان كان سقيه بالآلة كذلك .

وعن الثانى فان الطماطم لا زكاة فيها عند جمهور الفقهاء وتزكى عند أبى حنيفة وتخرج الزكاة من ثمنها على ما تقدم فى السؤال الأول .

وعن الثالث بأن الموالح والفاكهة تأخذ حكم الطماطم فتزكى عند أبى حنيفة ولا زكاة فيها عند جمهور الفقهاء .

هذا بالنسبة للزراع أما التاجر فان عليه زكاة التجارة في كل ما يتجر فيه فيقوم تجارته في آخر العام ويخرج من قيمتها ربع العشر متى بلغت نصابا والله أعلم .

٧ ـ السؤال من رجل لم يذكر اسمه .

لقد تعودت اخراج الزكاة من القمح بعد حصاده مباشرة كل عام ولكنى فى هذا العام أخرجت نصف المفروض وسافرت الى جهة أخرى وبعد عودتى من السفر وجدت أن القمح قد نفذ فهل يصح اخراج النصف الباقى من الذرة .

وتجيب لجنة الفتوى فتقول : لايجوز اخراج الذرة عن القمح اذ لا يجزى جنس عن جنس ولكن يجوز اخراج قيمة النصف الباقى من القمح نقدا .

٨ ـ السؤال من فهيمة اسماعيل محمد .

اعتادت الأرياف أن يعطى شخص لآخر ماشية لتربيتها نظير نصف الربح ونصف النتاج فهل فى هذه الشركة زكاة ؟

وتجيب اللجنة فتقول : ان هذه الشركة لا زكاة فيها لأن شرط الزكاة فى الماشية الأسامة وهذه لا تسام وانما تعلف كما لا تجب فيها زكاة التجارة اذ لا تجارة فيها .

والله أعلم .

من السيد الأستاذ محمد أبو ركبة عضو المؤتمر القومى :

س ١ ـ هل القرآن الكريم يفى بما يتطلبه العصر ؟

س ٢ ـ ما هو موقف السنة النبوية من القرآن الكريم وهل هى مكملة أم موضحة .

س ٣ ـ ما معنى الأمر بكتابة الدين الذى ورد فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » .

ويجيب على هذه الاستفسارات فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سامون رئيس لجنة الفتوى بالأزهر فيقول :

قال الله تعالى : « تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

وللاجابة عن الاستفسار الأول بعد أن نجعل هذه الآية الكريمة ماثلة أمام أعيننا : يجب أن نتساءل عن معنى ما يتطلبه العصر فان كان المراد به ما يقف عند هذه الحدود التى حدها الله تعالى ولا يتجاوزها فانا نقول ان القرآن الكريم بانضمام السنة النبوية اليه باعتبارها مكملة له وموضحة له لقوله تعالى : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول » وقوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى » .

بهذا الاعتبار نقرر بكل تأكيد أن القرآن يفى بما يتطلبه العصر محققا الخير لهم فى دينهم ودنياهم .

وان أريد به معنى أوسع بحيث لا يقف عند هذه الحدود ويتخطاها غير عابىء بها فطبعا يكون ما يتطلبه العصر فى واد والدين فى واد آخر وفى ذلك كل البلاء .

وبعبارة أخرى اذا ما أريد بيان الارتباط بين ما يتطلبه العصر والقرآن وتشريعه فان كان الارتباط هو تطويع ما يتطلبه العصر للقرآن على معنى أن ما وافق القرآن يعمل به وما خالفه يجب تجنبه يكون القرآن وتشريعه وافيا بتحقيق متطلبات العصر على الوجه الأكمل محققا الخير والرفاهية بأوسع مدى للناس دينا ودنيا وان أريد تطويع القرآن وتشريعه لما يتطلبه العصر بحيث أن ما وافق هذه المتطلبات نقبله ونقول به وأن ما خالفها يجب أن نتأول فيه ونفتح باب التأويل على مصراعيه بالحق وبالباطل فان ذلك يكون منافيا لما نزل به القرآن لأجل هداية الناس وتبصيرهم فى معاشهم ومعادهم بما يكفل لهم الفلاح والنجاح .

ولنضرب عدة أمثلة يكون من ورائها أن تتجلى الحقيقة واضحة كل الوضوح لا شك فيها ولا لبس .

يزعم بعض المتشدقين بالمدنية الكاذبة والحضارة الزائفة أن قطع يد السارق تتجافى كل المجافاة عن الانسانية وكرامتها وأعموا أبصارهم عما يقع من الاعتداءات المتكررة فى كل يوم وساعة على الأموال سواء أكان ذلك فى البيوت أم فى الطرقات أم فى وسائل النقل العام أو الخاص أم مصالح الحكومة .

ونظرة واحدة تبين تفاهة العقاب الذى استبدل به حد الله فاننا نراه غير رادع عن هذه الجريمة الشنعاء بل قد يحمل على معاودتها لأن مداه أن يزج بهم فى السجن يأكلون ويشربون .

وبالمقارنة بين ما كان فى الأراضى الحجازية قبل نشأة المملكة السعودية وبعدها نرى أنها كانت فى الماضى مضرب الأمثال فى السلب والنهب والقتل وكان لا يقصد الحج فى ذلك الوقت الا الطاعنون فى السن المستسلمون للموت آخذين معهم أكفانهم .

وبعد أن طبق عليهم حد الله فى السارق وهو قطع اليد انقطعت هذه الجريمة وأصبحت الآن مضرب الأمثال فى الأمن والأمان وحتى أصبح التاجر يذهب الى الصلاة ويترك حانوته مفتوحا فلا يتعرض له أحد ولو بحث عن عدد من قطعت أيديهم لما زاد عن العقد الأول فى العدد .

بهذه المقارنة يتجلى واضحا أن ما شرعه الله من الحدود والقصاص هو ما تتطلبه المدنية الحقة والحضارة الصحيحة من ورائها يعيش المجتمع هادئا مطمئناسعيدا بحاضره ومستقبله.

وما يتشدق به المتمدينون الكاذبون أن المدنية تدعوا الى اختلاط الجنسين وقد جرت هذه البدعة أن تتخذ الأسرة صديق عائلة يداخلهم ليلا ونهارا مجتمعين ومنفردين وقد ترتب على ذلك ما ترتب من تشتيت الأسرة وانحلالها وتمزقها ، وأقسام الشرطة أكبر دليل على ذلك .

ومما أهمل فيه حد الله السكران فهو يقترف جريمته على مرآى ومسمع من الجمهور والحكومة ويسير فى الطرقات معربدا ويذهب الى بيته وهو مخمور ينازع أهله وينازعونه وقد يترتب على ذلك ما يترتب فلو أنه أقيم حد الله لاستقام الأمر واطمأنت البيوت وعادت اليها السكينة والطمأنينة .

وأما الجواب عن الاستفسار الثانى فقد تبين مما قلناه فى الجواب عن الأول أن السنة مكملة وموضحة للقرآن ولو أننا لم نلتزم بهذا وقلنا أن هناك مغايرة فنقول ان منزلة السنة من القرآن أنها تكون مبينة ومكملة فتبين ما خفى معناه وتخصص العموم وتقيد الاطلاق وتأتى بأحكام أخرى لم يتعرض لها القرآن .

وأما الجواب عن الثالث فتقول : الدين حق للدائن فكتابته توثيق لحقه ومن حقه أن يتمسك به وله أن يتنازل عنه ولذلك ذهب عامة المفسرين الى أن الأمر فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » للارشاد ، وقال الشوكانى فى تفسيره فتح القدير : أن الأمر للوجوب .

والله تعالى أعلم ؟

أنبـــاء و آراء

للأستاذ إبراهيم حامد النويهى

*** الاحتفال بالعام الهجرى :**

احتفلت جمهـورية مصر العربيـة والعالم الاسلامى بمطلع العام الهجرى الجديد **١٣٩٥ هـ** وبالذكرى السنوية للهجرة النبوية المجيـدة ، التى كانت بداية تحول كبـير فى مسـار الدعوة الاسلامية ، وانطلاقا ظافرا من الحياة الضيقة المضطهدة الى حياة رحبة آمنة تتنفس فيها الدعوة وتعلوكلمة الحق .

وفى هذه الذكرى الخالدة يعـود المسلمون كل عام عبر رحلة طويلة ، يرون فيهـا عظمةالاسـلام ومجده ، ويدرسـون مواقف النضال الصـامدة لسيد الخلق محمد صـلى الله عليـه وسـلم ، ويستلهمون منهـا العظـة والارشاد والنصيحة ، لتكون لهم معالم على طريق النصر فىجهادهم المعاصر .

فتهنئة للمسلمين بالعـام الهجرى الجـديد ، ودعاء بأن يجعلـه الله عام يمن وبركة ونصر وفتح ، وأن يعيده على الأمة الاسـلامية والعربيـة ، وقد تحـررت جميـع الأرض وتخلصت المقدسات ، بقيادة القائد المؤمن محمد أنور السادات ..

*** استئناف الامام الأكبر لعمله :**

اســتأنف فضـيلة الامام الأكبـر الدكتور عبد الحليم محمـود شـيخ الأزهر عمله بمكتبه يوم الاثنـين **٢٥** من ذى القعــدة **١٣٩٤ هـ ـ ٨** من ديسـمبر **١٩٧٤** م ، وذلك استجابة لتوجيهـات الرئيس محمـد أنور السادات ..

وألقى فضيلته كلمـة فى مستقبليه ومهنئيه قال فيهـا : « ان موضـوع الأزهر أصـبح الآن أمانة بين يدى الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، وأن الرئيس يبدى اهتمـاما كبـيرا بالأزهر ، وقد استأنفت عملى استجابة لتوجيهـاته .. وقال لى الرئيس : انه لولا الأزهر لمـا كان انتشار الاسـلام شرقا وغربا ...

وقد بعث فضيلته ببرقية الى الرئيس محمد أنور السادات بهذه المناسبة قال فيها : « لقد أعز الله بكم دينه ، ونصر بكم الحق ، وأجرى على يديكم الخير ، ورد بجهودكم وجهادكم على العرب وعلى المسلمين عزتهم وكرامتهم ، فرفعتم رأس كل عربى وكل مسلم ، بما بذلتم وما قدمتم عطاء مشكورا ومقدورا من الله ومن الناس ..

وانه ليطيب لى وأنا أعود الىالأزهر الشريف استجابة لتوجيهكم الكريم أن أبعث اليكم بتحية التقدير والمحبة والتأييد ، وان الأزهر الشريف الذى أراده الله حفيظا على العلوم الاسلامية والعربية ، والذى جعل أفئدة المسلمين من أنحاء العالم تهوى الى مصر ، والذى حظى بعطفكم وحبكم وتودون له الخير ، ليأمل يا سيادة الرئيس أن يصل فى عهدكم المجيد وعلى أيديكم الأمينة الى المستوى الذى تأملونه ، ويأمله كل مسلم .

والله أسأل أن يتم عليكم نعمة التوفيق ، وأن يكون لكم فى جهادكم خير رفيق ..

ثم بعث الرئيس محمد أنور السادات الى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بالبرقية التالية ردا على برقية فضيلته : « تلقيت بالامتنان برقيتكم الرقيقة التى بعثتم بها الى ، وانى لأقدر لكم ما عبرتم عنه من خالص المشاعر ، وأصدق التمنيات .. اننا نعتز كل الاعتزاز بالأزهر الشريف ، ورسالته السامية فى نشر العلم والدين ، راجين أن تصلوا به الى أشرف مكانة وأسمى منزلة ..

والله أسأل أن يوفقنا جميعا الى ما فيه رفع منارة الاسلام وخير العرب والمسلمين وعزتهم ، ومع تقديرى لجهودكم المحمودة أبعثاليكم بأجمل الشكر ، مقرونا بأطيب أمانى لكم بكل السداد والتوفيق » .

*** حول ظهور الصحابة فىالسينما :**

نشرت صحيفة الأخبار حوارا مع فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى يوم الجمعة ١٥ من ذى القعدة ١٣٩٤ هـ ــ ٢٩ من نوفمبر ١٩٧٤ م حول ظهور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السينما ، فقال فضيلته عن هذا فىمطلع الحوار : « ان ظهور أصحاب رسول الله وصواحبه فى السينما اما أن يؤدى الىالاعتداء عليهم أو الاعتداء على التاريخ ، فالصحابة

رضوان الله عليهم عاشوا فى صدر الاسلام عيشة متقشفة ، الأمر الذى يجعل ظهورهم بهذه الصورة اعتداء على ما يكون لهم من وقار وجلال ، واما أن نظهرهم فى هندام جميل وثياب طيبة وهيئة حسنة وهذا اعتداء على التاريخ » .

﴿ مكتبة هدية من مصر لاندونيسيا :

أهدت جمهورية مصر العربية الى مكتبة المركز الاسلامى الاندونيسى فى العاصمة جاكرتا مكتبة اسلامية ضخمة تبلغ حوالى خمسة آلاف كتاب تبحث فى شئون الدين والتاريخ ودروس اللغة العربية ..

﴿ كتاب عن القرآن الكريم :

يقوم الدكتور بوكيه الطبيب والعالم الفرنسى الذى زار مصر فى شهر نوفمبر سنة ١٩٧٤ م بتأليف كتاب عن الاعجاز العلمى للقرآن أثبت فيه : « أن القرآن كتاب سماوى ، وما فيه من نظريات علمية لا يمكن أن تكون من صنع البشر ، وأنه سبق العلم الحديث منذ أربعة عشر قرنا فى كثير من النظريات العلمية السائدة فى العالم » .

﴿ مركز اسلامى فى غينيا بيساو :

تم الاتفاق على انشاء مركز اسلامى فى غينيا بيساو ، يضم مسجدا ومستشفى ومدرسة لتعليم اللغة العربية والدين الاسلامى ، وملاعب رياضية ، ومكتبة وقاعة للمحاضرات .

﴿ مسجد بلجيكا الرئيسى :

يعاد بناء المسجد الرئيسى الذى يقع فى قلب بروكسل ببلجيكا وتتسع مساحته لألف وخمسمائة شخص وتتكلف اعادة بنائه ٢ مليون دولار وسينتهى العمل فيه عام ١٩٧٦ ان شاء الله .

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٤

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٦٠٠٢-١٩٧٤س١٣٨٨٩

out of his post. Umar was superior in his characters and his ruling the country where justice and equality prevailed.

Umar died on the 23rd year of Hijra at the age of 63, the same age of the prophet and Abu Bakr.

His Caliphate period was 10 years and 6 months.

He paved the way for his successors to more conquests and to widen the Islamic State. May God bless him !

dark roads of the city at night, he suspected voices beyond a wall of a house. Then he climbed that wall and got into the house. Then he was inside it, he found a man and a woman drinking wine. "O, bad sinners, you hide yourselves for fear of the people and you ignored that God had seen you" Umar said.

"If we had done one sin, you have done three. First you spied and God forbade spying. Second, you came in our house by its back and God forbade that and said that houses should be entered by the doors and not by the backs as you had done. Third, you did not give us peace when you came in." Replied the man.

"Would you forgive me, may God forgive us all", said the Caliph.

If we look at his plans and strategy of war we shall see that he was a great general as well as he was a statesman. Let's have a look at his orders to the commander of the army sent to Persia. He wrote to Saad Ebn Abi Wakas :

"Be kind towards the Muslims when they march. Evade hardships and obstacles until they come in contact with the enemy who is residing comfortably and having much arms and provision. Give all men a rest of 24 hours every weekk to put off their arms and the other articles they have. So they may regain their strength after that rest. When you are in the enemy land, send your men everywhere so that you can have the fresh news about his movements. set up castles to protect your men and to be as posts of observance".

On the part of justice, he appointed judges whom he trusted in all Islamic regions for the first time. Not only did he give orders about their job, but also he put the rules to be followed in all cases.

when he gave orders, he and his family were the first to obey them to give the people the best example of the ruler.

Although he was just, powerful and learned, he was simple in his dress. This simplicity was clear when Hormozan the major of the persians in Syria met him in Damascus and he did not recognize him among his men who were simplydressed like him. He did not care of appearances and considered them wordly falsehood. He was perfectly pious and always reciting the Holy Quran.

He hated seeing anyone whatever his rank or society position overcame or yielded the people to humility or frightfulness. He then would punish him and dismiss him

a Coptic Egyptian complained Amr's son to the Caliph. Umar brought them before him and after he had investigated the matter, he punished the two (Amr and his son) and gave the Egyptian his rights.

He used to go through the streets to know the state of the people and to decide any case he saw.

It was related that while Umar was crossing a city square, he saw a tent and a man was sitting beside it. As he approached the tent he saluted him and asked him from where he had come and what for. The man said that he came from the desort wishing the Caliphs help. While they were speaking Umar heard a groan in the tent. Then he asked the man about it. The man replied that his wife was a gravid and she was about to born a baby.

When the Caliph heard that, he got up and went home. He told his wife Om Kolthoum to prepare what necessary in such cases and to bring a pot, fat and food. When they reached the tent, the Caliph's wife went to the gravid woman and helped her until she born her baby. Then Umar's wife called out, O'Caliph tell your friend that his wife had born a boy. When the Arab man knew that Umar and his wife assisted him and his wife, he became frightened but the Caliph calmed him and told him to come to his residence the next day and ordered him a good help.

This is a superb example of Omar's mercy and kindness towards the people. It shows us the superiority of his characters and manners.

Certainly he was a great man, unequalled to any ruler of his times or afterwards. He was kind and merciful towards the needy, the weak, the sick, the children and the women. He was simple with no pride but his personality was striking.

Umar intended to visit the different regions of the country to see by himself the status of their peoples and how they were ruled by his agents. His wish was to stay two months during which he could inspect and investigate the affairs of the officials. Also he gave great interest in tax collection and in the behaviour of the collectors and their superiors. Owing to the importance of this group of officials he had the habit to know the wealth ofeveryone of them before his appointment and after he left the work. If there would be an increase in it he would confiscate it and add it to the state finance for the welfare of the people unless the official proved the legal source of his income.

It is said that the Caliph Umar while proking his way through the

Omar had the favour to prevent a conflict that was about to rise between the two groups of Medina, the Ansar and the immigrants about the Caliphate after prophets death. Not only did he save the Moslems from a certain clash, but also his graciousness made them agree to elect Abu Bakr a Caliph. Abu Bakr estemated highly Umar's ability, wit and wide knowledge of Islawic legislation and religion, so he appointed him a judge. In his last few days of life, he advised the wise and the common people to clect Umar, his succesor and name him a Caliph.

When Umar became Caliph he marched the armies westward and eastward. In his days these armies conquered persia, Syria, Palestine Egypt and Barka (Libya). These parts became Islamic regions. Thus the Arab world extended widely and Islam spread rapidly among their peoples.

Umar was superior in statescraft and he was the first ruler who set up the state political system and organized its administrations. His efforts to let the nomad tribes settled and be an agricultural groups were obvious. He also tried hard to combine a united nation. This new nation replaced the Persian and the Roman empires. It had a great wealth. This wealth was common and should be justly distributed among the peoples. After he had studied the financial system of persia, he founded a tax collection administration. He also regulated the income and the expenditive of the new state. Equality and justice prevailed.

Another outstanding work of his, is the establishment of the army administration where the names of the soldiers and their salaries were registered.

He memorized the prophet's migration by using its date in the state affairs and called it the Hijra year. This migration was a great event and a desicive factor in the Islamic history and resulted the spread and extention of the Islamic Mission.

As the country widened, he divided it into administrative regions to be essily ruled and to control its various financial sources. In every region he appointed a vice Caliph to be responsible before him. The vice-Caliphs were held the legislative and the political authorities.

During the feast of pilgrimage he used to held regular meetings with the groups of the different regions and asked them how his vice was ruling them and if they had any complaint against him. If there was any complaint he did not hesitate to punish him and any other man as he did with his vice Amr Ebn El As and his son when

hurried to his sister's hosue where there was with the couple a man named Khabab Ebn El Arat who was reading new verses of the Quran. When Umar approached the house he heard the reading and opened the door. The reader escaped and hid himself somewhere. Umar asked his sister what was that he had heard.

"You heard nothing" she said. "I heard the reading and I insist on knowing it". Umar said harshly.

As his sister was determing not to let him know anything about the matter and there was no use of the discussion, he became frenzy and kicked his sister's husband. The wife hastened to defend him, Umar slapped her in anger.

As soon as Umar saw the blood shed on his sister's cheeks, he blamed himself and repented his husty. Then he apologised her and begged her pardon. The sister accepted his apology and told him that if he wished to sea the written page he would have to bathe to be pure. When he did so, she gave him the page. After he had read it he said admiringly. "I have never read or heard such verses, they are not written by a human being, they are Godly done. These words are highly esteemed".

The man who was hiding came back when he heard what Umar had said. Umar urged him to tell him where he could find the prophet. The man told him where the place was. Umar set off to the house where the prophet was in a company of his followers. Umar knocked at the door. One of the company looked through a hole in the door and told the prophet that the comer was Umar with his sword. The prophet permitted him to enter and stood up and met him in the centre of the room. The prophet hold Umar tightly by his gown and asked him about the reason of his coming.

I have come to tel you that I want to be a Muslim and I declare that there is no God but Allah and I witness that you are His prophet. Answered Omar.

The prophet said in a loud voice, Allah Akbar. O'the Almighty God. Then everyone know that Umar became a Moslem. Umar was the first man who migrated plainly whereas all who preceded him did that secretly. He went to the Kaaba with his sword, bow and arrows. He prayed and roamed around the holy house and went out to the yard where there a group of men. He said loudly "I am going to Medina and he who has any objection to this migration has to follow me beyond this place".He waited a little and started his journey. No one dared to follow him. This action done by Umar incouraged all Moslems apecialy the weak to migrate and pray plainly.

PERSONAGES OF ISLAM :

2.—UMAR IBN EL KHATTAB

By

A. Mohammad Al-Aswar

Umar Ebn El Khattab is one of the great men of Islam whose superiority of characters and strictness had the great effect on the extension of the Islamic call in the neighbouring lands of Arabia. He was a Qureishean nobleman. His family was relative to that of the prophet Muhammad. He was born in Mecca 30 years before the Muhammedan mission.

He was known from his youth, by courage, eloquence, truth, frankness and rightness. In his boyhood he was a shephered to his father.

When he gren up he practoced commerce and went to Syria. This practice and his frequentation to a foreign land gave him knowledge and experience that had great effect on his future life.

At the beginning of Muhammad's mission he was a violent opponent to the new religion. He was cruel to all Muslims. He beat his maid servant Lobaina who became a Muslim woman. Abu Bakr bought her and liberated her. He also beat his sister Fatma and her husband who became Muslims. The prophet Mohammad was eager to see Omar a Moslem and prayed God to realize his aim and God answered him. But how Umar became a Muslim ?

It is said that one day Umar took hold of his sword and went to kill Muhammad. On his way he met a certain Noaim Ebn Abdullah who asked him why he was holding his sabre and where he was going to. "I am going to kill Muhammad and get rid of him because he humbled us and insulted our idols by his claim to be a prophet and preached a new religion." Umar replied.

"If the matter is so, you should have to lookafter your family at first". said Noaim.

Umar became furious and shouted angerily to the man. "Whom do you mean by my family ?"

"Your sister Fatima and her husband." said the man Umar

Quran and Hadith, also bears evidence of the fact that the idea of the enforcement of Islam by the sword is entirely foreign to the conception of Islamic warfare. If the wars, during the time of the Holy Prophet or early Caliphate, had been prompted by the desire of propagating Islam by force, this object could easily have been attained by forcing Islam upon prisoners of war who fell into the hands of the Muslims. Yet this the Holy Quran does not allow, expressly laying down that they must set free : "So when you meet the disblievers in battle, smite the necks until when you have overcome them, make them prisoners, and afterwards either set them free as a favour or let them ransom themselves, until the war lays down its weapons (47 : 4) It will be seen from this that the taking of prisoners was alowed only so long as war conditions prevailed ; and even the prisoners are taken, they cannot be kept permanently as slaves, but must be set free either as a favour or at the utmost by taking ransom. The Holy Prophet carried this injunction into practice in his lifetime. In the battle of Hunain six thousand prisoners of the Hawazin tribe were taken and they were all set free simply as an act of favour. A hundred families of Bani Mustaliq were taken as prisoners in the battle of Muraisi', and they were also set free without any ransom being paid. Seventy Prisoners were taken in the battle of Badr, and it was only in this case that ransom was exacted, but the prisoners were granted their freedom while war with the Quraish was yet in progress. The form of ransom adopted in the case of some of these prisoners was that they should be entrusted with some work connected with teaching. When war ceased and peace was established all war-prisoners would have to be set free, according to the verse quoted above.

This verse also abolishes slavery for ever. Slavery was generally brought about through raids by stronger tribes upon weaker ones. Islam did not allow raids or the making of prisoners by mans of raids. Prisoners could only be taken after a regular battle, and even then could not be retained for ever. It was obligatory to set them free, either as a favour or after taking ransom. This state of things could last only so long as war conditions exist. When war was over, no prisoners could be taken.

(to be continued)

wars) "(Bu 56 : 147, 148). Hadith relating to this prohibition are repeated very often in all collections of Hadith. Now if the wars of Islam had been undertaken with the object of forcing Islam upon a people, why should women and children have been exepted ? It would rather have been the easier task to win them over to Islam, by holding the sword over their heads because women and children naturally have not the power to resist, like men who can fight. The fact that there is an express direction against killing three-fourths of the population, as women and children must be in every community, shows that the propagation of religion was far from being the object of these wars. In some hadith, the word 'asif is added to women and children, showing that there was also a prohibition against killing people who were taken along with the army as "labour units". There is yet another hadith prohibiting the killing of shaikh fany (very old man) who is unable to fight. Monks were also not to be molested. It was only in a night attack that the Holy Porphet excused the chance killing of a woman or a child, saying, "They are among them" ; what he meant was that it was a thing which could not be avoided, for at night children and women could not be distinguished from the soldiers.

The above examples may be supplemented by some others taken from Sayyid Amir 'ali's Spirit of Islam. The following instructions were given to the troops dispatched against the Byzantines by the Holy Prophet : "In avenging the injuries inflicted upon us, molest not the harmless immates of domestic seclusion ; spare the weakness of the female sex ; injure not the infant at the breast, or those who are ill in bed. Abstain from demolishing the dwellings of the unresisting inhabitants ; destroy not the means of their subsistence, nor their fruit trees ; touch no the palm" Abu Bakr gave the following instructions to the commander of an army in the Syrian battle :" When you meet your enemies quit yourselves like men, and do not turn your backs ; and if you gain the victory, kill not the little children, nor the old people, nor women. Destry no palm trees, nor burn any fields of corn. Cut down no fruit trees, nor do any mischief to cattle, only such as you kill for the necessity of subsistence. When you make any convenant or arcticle, stand to it, and be as good as your word. As you go on, you will find some religious persons that live retired in monastries, who propose to themselves to serve God that way. Let them alone, and neither kill nor destry their monasteries".

The treatment of prisoners of war, as laid down in the Holy

The only question that remains is whether the Muslim soldiers invited their enemies to accept Islam; and whether it was an offence if they did so? Islam was a missionary religion from its very inception, and every Muslim deemed it his birth right to invite other people to embrace Islam. The envoys of Islam, whereever they went, looked upon it as their first duty to spread the message of Islam, because they felt that Islam imparted a new life and vigour to humanity, and offered a real solution of the problems of every nation. Islam was offered, no doubt, even to the fighting enemy, but it is a distortion of facts to say that it was offered at the point of the sword, when there is not a single instance on record of Islam being enforced upon a prisoner of war; nor of Muslims sending a message to a peaceful neighbouring state to the effect that it would be invaded if it did not embrace Islam. All that is recorded is, that in the midst of war and after defeat had been inflicted on the enemy in several battles, when there were negotiations for peace, the Muslims in their zeal for the faith related their own experience before the enemy chiefs. They stated how they themselves had been deadly foes to Islam and how, ultimately, they were undeceived and found Islam to be a blessing and a power that had raised the Arab race from the depths of degradation to great moral and spiritual heights, and had welded their warring elements into a solid nation. In such words did the Muslim envoys invite the Persians and the Romans to Islam, not before the declaration of war, but at the time of the negotiations for peace. If the enemy then accepted Islam, there would be no conditions for peace, and the two nations would live as equals and brethren. It was not offering Islam at the point of the sword, but offering it as a harbinger of peace, of equality and of brotherhood. Not once in the wars of the early Caliphate did the Muslims send a message to a peaceful neighbour that if it did not accept Islam, the Muslim forces would carry fire and sword into its territory. Wars they had to wage, but these wars were due to reasons other than zeal for the propagation of Islam. And they could not do a thing which their Master never did, and which their only guide in life, the Holy Qurán, never taught them.

The directions given to his soldiers by the Holy Prophet, also show that his wars were not due to any desire to enforce religion. "'Abd-Allah ibn 'Umar reports that in a certain battle fought by the Holy Prophet, a woman was discovered among the slain. On this, the Holy Prophet forbade the killing of women and children (in

has no property, but earns more than is necessary to maintain himself. The Muslim was, apparently, more heavily taxed, for he had to pay at the rate of 2½ per cent., of his savings, and in addition, to perform military service. The jizya was levied in a very sympathetic spirit, as the following anecdote will show. The Caliph 'Umar once saw a blind Dhimmi (non-Muslim) begging, and finding on enquiry that he had to pay jizya, he not only exempted him but, in addition, ordered that he be paid a stipend from the state -treasury, issuing further orders at the same time that all Dhimmis in similar circumstances should be paid stipends.

Another myth concerning the early Caliphate wars may be removed in connection with the discussion of jizya. It is generally thought that the Muslims were out to impose their religion at the point of the sword, and that the Muslim hosts were over-running all lands with the message of Islam, jizya or the sword. This is, of course, quite a destorted picture of what really happened. If the Muslims had really been abroad with this message, and in this spirit, how was it possible for non-Muslims to fight in their ranks. The fact there were people who never became Muslims at all, nor ever paid jizya, and yet were living in the midst of the Muslims, even fighting their battles, explodes the whole theory of the Muslims offering Islam or jizya or the sword. The truth of the matter is that the Muslims finding the Roman Empire and Persia bent upon the dubjugation of Arabia and the extirpation of Islam, refused to accept terms of peace without a safeguard against a repitition of aggression; and this safeguard was demanded in the form of jizya or a tribute, which would be an admission of defeat on their part. No war was ever started by the Muslims by sending this message to a peaceful neighbour; history belies such an assertion. But when a war was undertaken on account of the enemy's aggression — his advance on Muslims territory or help rendered to the enemies of the Muslims state — it was only natural that the Muslims did not terminate the war before bringing it to a successful issue. They were willing to avoid further bloodshed after inflicting a defeat on the enemy, only if he admitted defeat and agreed to pay a tribute, which was only a token tribute as compared with the crushing war indemnities of the present day. The offer to terminate hostilities of payment of jizya was thus an act of mercy towards a vanquished foe. But if the payment of a token tribut was unacceptable to the vanquished power, the Muslims could do nothing but have recourse to the sword, until the enemy was completely subdued.

offering to pay zakat, which was a heavier burden, instead of the jizya. "The liberality of 'Omar" says Muir in his Caliphate, "allowed the concession ; and the Beni Taghlib enjoyed the singular privilege of being assessed as Christians at a 'double Tithe', instead of paying the obnoxious badge of subjuation". Military service was also accepted, in place of jizya, in the time of 'Umar, from Jurjan. Shahbaraz, an Armenian chief, also concluded peace with the Muslims on the same terms.

The manner too, in which the jizya was lenied shows that it was a tax for exemption from military service. The following classes were exempt from jizya : all females, males who had not attained majority, old people, people whom disease had crippled (zamin), the paralyzed, the blind, the poor (faqir) who could not work for themselves (ghair .mu'tamil). the slaves, slaves who were working for their freedom, mudbirs, and the monks. And besides this, "in the first century... many persons were entirely exempt from taxation, though we do not know why "(En. Is.). It has already been shown that certain non-Muslim tribes that had agreed to do military service, were also exempted from jizya, and these two facts — the exemption of non-Muslims unfit for military service and of the able-bodied who agreed to military service — taken together lead to but one conclusion, namely that the jizya was a tax paid by such Dhimmis as could fight, for exemption from military service.

A study of the items of the expenditure of jizya leads to the same conclusion, for the jizya was spent for strengthening of the frontiers or obstructing the frontier approaches (saddal-thagur), for the building of bridges, payment to judges and gevernors and the maintenance of the fighting forces and their children.

In spite of exemptions on so vast scale, the rate of jizya was very low, being orginally one dinar per head for a whole year. Later on, the rate was raised in the case of rich people, who had to pay four dinars or forty-eight dirhams anually, or four dirhams monthly, next came those who paid two dinars annually, or two dirhams per month ; : the lowest rate being one dinar, at which all were originally assessed. This is according to Hanafi law, while Shafi'i retrained the original rate of one dinar per head in all cases (H.). The three grades are defined thus : (1) the rich man (al-sahir al-ghina, or he whose wealth is manifest who owns abundant property, so that he needs not work for his livelihood ; (2) the middle class man who owns property, but in addition thereto needs to earn money to make a living ; and (3) the poor man who

enjoying complete protection and the benefits of a settled rule they had to pay a very mild tax, the jizya.

It may, however, be said that the Muslim state made a discrimination between the Muslim and the non-Muslim, and that it was this feture of jizya which gave it a religious colouring. A discrimination was indeed made, but it was not in favour of the Muslim but in that of the non-Muslim. The Muslim had to do compulsory military service and to fight the battles of the state, not only at home but also in foreign countries, and in addition had to pay a tax heavier that which the non-Muslim was required to pay, as I will presently show. The non-Muslim was entirely exempt from military service on account of the jizya he paid, and half a guinea or a dinar a year is certainly cheap for exemption from military service. So the Muslim had to pay zakat, a far heavier tax than jizya, and do military service, while the non-Muslim had only to pay a small tax for the privelege of enjoying all the benefits of a settled rule.

The very name ahl al-dhimma (lit., people under protection) given to the non-Muslim subjects of a Muslim state, or to a non-Muslim state under the protection of Muslim rule, shows that the jizya was paid as a compensation for the protection afforded; in other words it was a contribution of the non-Muslims towards the military organisation of the Muslim state. There does not exist a state to-day that does not stand in need of putting a similar burden on its subjects for its military expenses. There are cases on record in which the Muslim state returned the jizya, when it was unable to afford protection to the people under its care. Thus, when the Muslim forces under Abu 'Ubaida were engaged in a struggle with the Roman Empire, they were compelled to beat a retreat at Hims, which they had previously conquered. When the decision was taken to evacuate Hims, Abu 'Ubaida sent for the chiefs of the place and returned to them the whole amount which he had realized as jizya, saying that as the Muslims could no longer protect them, they were not entitled to the jizya.

It further appears that exemption from military service was granted to such non-Muslims as wanted it, for where a non Muslim people offered to fight the battles of the country, they were exempted from jizya. The Bani Taghlib and the people of Najran, both Christians, did not pay the jizya (En. Is.), Indeed the Bani Taghlib fought alongside the Muslim forces in the battle of Buwaib in 13 A.H. Later on in the year 17 A.H., they wrote to the Claiph 'Umar

JIHAD - ITS MEANING AND SIGNIFICANCE - IV

By

MAULANA MUHAMMAD ALI

European writers on Islam have generally assumed that, while the Holy Quran offered only one of the two alternatives, Islam or death, to other non-Muslims, the Jews and the Christians were given a somewhat better position, since they could save their lives by the payment of jizya. This conception of jizya, as a kind of religious tax whose payment entitled certain non-Muslims to security of life under the Muslim rule, is as entirely opposed to the fundamental teachings of Islam as is the myth that the Muslims were required to carry on an aggressive war against all non-Muslims till they accepted Islam. Tributes and taxes were levied before Islam, and are levied to this day, by Muslim as well as non-Muslims states, yet they have nothing to do with the religion of the people affected. The Muslim state was as much in need of finance to maintain itself as any other state on the face of this earth, and it resorted to exactly the same methods as those employed by other states. All that happened in the time of the Holy Prophet was, that certain small non-Muslim states were, when subjugated, given the right to administer their own affairs, but only if they would pay a small sum by way of tribute towards the maintenance of the central government at Madina. It was an act of great magnanimity on the part of the Holy Prophet to confer complete autonomy on a people after conquering them, and a paltry sum of tribute (jizya) in such conditions was not a hardship but a boon. There was no military occupation of their territories, no interference at all with their administration, their laws, their customs and usages, or their religion; and, for the tribute paid, the Muslim state undertook the responsibility of protecting these small states against all enemies. Were the civilized powers of to-day to follow the example of the Founder of Islam, more than half the nations of the world would be freed from the burden of a foreign yoke. In the later conquests of Islam, while it became necessary for the Muslims to establish their own administration in the conquerred territories, there was still as little interference with the usages and religion of the conquered people as was possible, and for

off from their kith and kin. The Hijra was a voluntary exile. If a community suffers voluntary exile on account of persecution and oppression, and some of its weaker brethern stay behind, holding fast to faith but not prepared for the higher sacrifice, the exiles have still a duty to help their weaker brethern. The exiles, being at open war against those who oppressed them, would be free to fight against such oppressors.

After his entry to the Medina the first step the Prophet took, was to build a mosque for the worship, and to educate the people. Also some houses for the accommodation of the emigrants were soon erected. When the Prophet and his Companions settled at 'Yathrib', this city became known as 'Medina Munawwara' — the illusminated city — or in short, Medina — the city. It was then ruled by two Arab tribes namely 'Aws' and 'Khazraj'. These two tribes were constantly quarrelling among themselves. After the Hijra, the tribes, forgetting entirely their old fueds, were united together in the bond of Islamic fraternity. Their old divisions vere soon effaced, and the 'Ansar' (the helpers) became the common title of all the Medinites. The Prophet, in order to unite both the Muhajireen and Ansar in closer bonds, established between them a 'brotherhood' which liked them together as children of the same parents, and admitted them into the universal brotherhood of Islam.

The Hijra was a part of the Movement in itself. At all stages of the migrations — the early migration to Abyssinia, then to Medina, before the Prophet himself left his home in Makka, and went to Medina, and the migration of those who followed him — the approval or the advice of the Prophet was always obtained, either specifically or generally. The Hijra is entitled to the highest honour, in this world and Hereafter, when it fulfills the two conditions : (1) it must be in the Cause of God, and (2) after such an oppression as forces the sufferer to choose between God and man, and good and evil.

The following veres refers to the necessary conditions of a meritorious and honourable Hijra :

والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون . (النحل ٤١) .

It means : "And those who became fugitives for the cause of Allah after they had been oppressed, We verily shall give them goodly lodging in the world, and surely the reward of the Hereafter is greater, if they but knew." (16 : 41).

It means : "Lo ! as for those whom the angels take (in death) while they wrong themselves, (the angels) will ask : In what way were ye engaged ? They will say : We were oppressed in the land. (The angels) will say : Was not Allah's earth spacious that ye could have migrated therein ? As for such, their habitation will be hell, and evil journey's end ; Except the feeble among men, and the women, and the children, who are unable to devise a plan and are not shown a way. As for such, it may be that Allah will pardon them. Allah is ever Clement, Forgiving. Whoso migrateth for the cause of Allah will find much refuge and abundance in earth, and whoso forsaketh his home, a fugitive unto Allah and His messenger, and death overtaketh him, his reward is then incumbent on Allah. Allah is ever Forgiving, Merciful". (IV : 97-100).

It is obvious that the duty of Muslims was to leave such places, even if it involved forsaking their homes, and join and strengthen the Muslim community among whom they could live in peace, and with whom they could help in fighting the evils around them. The above verses clearly indicate that they must organise a position includes not only local position, but moral and material position, and God's earth is spacious enough for this purpose.

Another significance of the Hijra was that it led to the formation of the nucleus of the new community at 'Medina'. The Holy Quran says :

والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهمورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهــار خالــدين فيها ابــدا ذلك الفــوز العظيم . (التوبة ١٠٠) .

It means : "And the first to lead the way, of the Muhajireen and the Ansar, and those who followed them in goodness — Allah is well pleased with them and they are well pleased with Him, and He hath made ready for them Gardens under-neath which rivers flow, wherein they will abide forever. That is the supreme triumph." (9 : 100).

This verse mentioned all who took part in the foundation of the Pivot of the first Muslim Community — the Muhajireen (those who migrated to Medina), the Ansar (the helpers, the citizens of Medina who invited them, welcomed them, and gave them aid) and then those who followed them in good deeds.

Under the magnetic personality of the Prophet the 'Muhajireen' and the 'Ansar' (the emigrants and the helpers) became like blood-brothers, and they were so treated in matters of inhabitance during the period when they were cut

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

Muharram 1395	ENGLISH SECTION	FEBRUARY 1975

HIJRA - THE MIGRATION OF THE VANGUARD OF ISLAM

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

Islam requires a constant, unceasing struggle against evil. For such struggle it may be necessary to forsake home and unite and organise and join their brethern in an effort to overthrow the fortress of evil. The duty of the Muslim is not only to enjoin good but to prohibit evil. According to the teachings of the Holy Quran the Muslims must shun evil company where they cannot put it down, but organise a position from which they can put it down.

The Vanguard of Islam — those in the first rank — are those who dare and suffer for the Cause, and never give up. The first historical examples are the 'Muhajireen' (Those who forsook their homes in 'Makka' and migrated to 'Madina'). The Prophet Muhammad, (peace be upon him) was the last to leave the post of danger. The Islamic calander dates from the Hijra of the Prophet, which accomplished in the thirteenth year of his mission (622 A.D.).

In fact the Hijra was not a flight nor an act of weakness. Referring to this wider meaning of Hijra the Holy Quran says :

ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض
قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها
فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا .
الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا . فاولئك
عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا .
ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما
كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى
الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره عل
الله وكان الله غفورا رحيما (النساء ٩٧ ـ ١٠٠)

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

فى أول كل شهر عربى

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة

« بدل الاشتراك »
٥٠ فى جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الثانى — السنة السابعة والأربعون — صفر سنة ١٣٩٥ هـ — مارس سنة ١٩٧٥م

١٢ هـ
٢٢٢٢٦ ع
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يسار ولا يمين

للأستاذ عبد الرحيم فودة

كانت كلمة اليسار – كما قيل – تطلق على المعارضين للحكومة فى فرنسا ، وكلمة اليمين تطلق على المؤيدين لها من النواب وممثلى الشعب ، ثم اتسع استعمالها وانتقل من هذين المعنيين ، فأصبح مفهوم اليسار يصدق على المؤيدين للشيوعية ومفهوم اليمين يصدق على المؤيدين للرأسمالية ، وبين هذين المذهبين مذاهب تختلف فى قربها من أحدهما وبعدها عن الآخر وتختلف أسماؤها باختلاف نظمها ومناهجها ومقاصدها .

فما موقف مصر والأمة العربية والعالم الاسلامى من هذه المذاهب وتلك الاتجاهات ؟ انه لا جواب على هذا السؤال عند من يدينون بالاسلام ، ويؤمنون برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، الا القول الفصل الذى نطالعه فى القرآن الكريم حيث يقول الله فيه : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ، وحيث يقول جل شأنه : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون

لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » •

ومعنى الضلال يصدق على الهلاك والضياع والبعد عن طريق الحق والخير كما يفهم من قوله تعالى : « وقالوا أاذا ضللنا فى الأرض أانا لفى خلق جديد » وقوله : « ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » فالانحراف عن الوسط الى اليسار أو اليمين بمفهوميهما الجديدين ضلال بين ، وضياع مهلك وبعد عن صراط الله المستقيم • وجريمة فى حق هذه الأمة التى كرمها الله بالاسلام ، وشرفها بالدعوة اليه والجهاد فى سبيله • وأحلها منزلة وسطا بين غيرها من الأمم ، لتكون كالفضيلة وسطا بين رذيلتين ، بل لتكون كما يقول الله فيها : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » • وكما يقول تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير » •

واذا كان بعض العلماء والكتاب قد كتب أو تحدث عن اشتراكية الاسلام أو الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام • فيجب أن يفهم من ذلك أن الغرض منه كان جذب المنحرفين المخدوعين ببريق الأسماء العصرية الى النظر فيما اشتمل عليه هذا الدين القيم من تشريع أسلم ، يهدى للتى هى أقوم ، ويكفل للناس الحياة الطيبة ، والكرامة الانسانية والمصلحة العامة ، ويحقق بينهم التعاون على البر والتقوى ، ليعتصموا به ، ويحرصوا عليه • ولا ينخدعوا بما يجلب اليهم من الشرق أو الغرب ، كما يقول الله لهم : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » ، وكما يقول لرسوله اليهم : « فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم • وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » •

وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خط بيده خطا ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط عن يمين هذا الخط وعن شماله عدة خطوط وقال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه

شيطان يدعو اليه . وقرأ عليه السلام الآية الكريمة : « وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه » .. الخ وذلك يفهم منه أن كل طـريق غير الطريق الذى شرعه الله وأمر المؤمنين باتباعه والسير فيه يفضى الى الشر والضلال ، ويدعو اليه الشيطان وهو كما يقول الله فيه : « ان الشـيطان لـكم عدو فاتخـذوه عدوا انمـا يدعو حـزبه ليكونوا من أصحاب السعير » . نقـول هذا لننبه الأذهان الى الظاهرة التى بدأت تظهر فيما يكتب وينشر فى بعض الصحف والمجـلات من دعوات الى اليسـار أو اليمين دون مبـالاة بالدسـتور الذى ينص على أن دين الدولة الاسلام وأن الشريعة الاسلامية مصـدر القوانين ، ودون مبـــالاة ـ حـتى بالمنطـــق الديمقـراطى ـ الذى يقضى باحترام رأى الأكثرية . والخضوع لحكمهـا والاذعان لارادتها ومشيئتها ..

فليعرف المسـلمون واجبهـم تجاه هؤلاء المنحرفين الى اليســار أو اليمين وليذكروا قـول ربهـم : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ، وقوله لرسـوله صـلى الله عليـه وسـلم : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمـان ولكن جعلناه نورا نهـدى به من نشاء من عبـادنا وانك لتهـدى الى صراط مستقيم » .

وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه أجمعين ؟

عبد الرحيم فودة

حرمة الدماء فى الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها .. » الآية ٩٣ من سورة النساء
« وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله .. » الآية ٩٢من سورة النساء .

البيان

لم يكن للدماء قبل الاسلام حرمة ، كالتى حظيت بها بعد الاسلام ، فكم من قبيلة أبادتها قبيلة ،وكم من فصيلة طحنتها فصيلة ، وكم من برىء قتل جهرة أو غيلة .

وربما كان ذلك من أجل شاة رعت حول الحمى ، أو مستجير فر من عقوبة يستحقها ، أو غير ذلك من الأسباب الحقيقية أو الموهومة .

فلما شرف الله البشرية بالاسلام ، حقن دماء المسلم الا بحق ، وحقن دماء الكافر ، ما لم يكن منه عدوان .

جريمة القتل العمد فى الاسلام

لا تجد دينا سماويا حرم سفك الدماء عمدا وظلما مثل الاسلام ، فقد حرم تلك الجريمة فى صراحة وحزم ، وتوعد عليها بأشد العقوبات ، وأوجب فيها القصاص الرادع ، فاستمع الى القرآن الكريم اذ يقول : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .

فهل تجد عقوبة أشد من الخلود فى النار ، مع غضب الله ولعنه ، واعداد عذاب يصفه الآله الجبار بأنه عظيم ، وذلك اذا لم يقتص منه ، فان علم القاتل وثبتت عليه جريمة القتل ، وجب القصاص منه ، وفاء بحق القتيل ،

وتنفيذا لقوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » وقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » .

فان اقتص منه عفا الله عنه فى الآخرة ، ورأى آخرون أنه مع القصاص يعاقب يوم القيامة ، لأن النص المتضمن للقصاص ، لم يشتمل على رفع العذاب الأخروى عنه ، ومن هنا نشأ الخلاف بين الفقهاء ، هل الحدود جوابر للذنب وسبب لغفرانه ، أو زواجر لمن يفكر فى القتل ، فالأولون قالوا : انها جوابر وزواجر معا ، والآخرون قالوا : انها زواجر وليست جوابر للجريمة يوم القيامة .

حدثنى بربك : هل تجد نصا أبرع وأروع وأسمى هدفا من قوله تعالى : « ولكم فى القصاص حياة » انه كما يوجب القصاص فى القتل يجعله سببا لحياة المجتمع كله ، بحكم عموم الخطاب ، فكأنه يقول : ولكم أيها الناس جميعا فى القصاص حياة لكم .

ألست معى أيها القارىء الكريم فى أنه لو نفذ القصاص فى القاتل عمدا ، ولم ينقذه من مصيره هذا صاحب نفوذ ، أو محام مسترزق لا يرعى حرمة للدماء ، لقلت حوادث القتل ، ولأفلست حياة الجريمة ؟

ألست معى فى أن هذا النص الفائق ، تضمن دستورا للحياة السليمة المستقيمة فى أبلغ وأقصر عبارة ، ولا عجب فهو من القرآن العظيم الذى قال الله فيه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

رأى ابن عباس فى القتل العمد

كان الامام ابن عباس – رضى الله عنهما – يرى أن القاتل المتعمد ، لو تاب لا تقبل توبته ، فقد كان يقول : وأنى له توبة ، سمعت نبيكم يقول : « يجىء المقتول متعلقا بالقاتل ، تشخب أوداجه – أى تسيل عروق عنقه دما – فيقول : أى رب : سل هذا فيم قتلنى ؟ » ثم قال ابن عباس : لقد نزلت وما نسخها شىء – يعنى قوله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم » الآية ، وكان يرى أن آية (الفرقان) « الا من تاب » نزلت فى توبة المشركين ، فانها مكية ، وان آية النساء مدنية متأخرة عنها ، ولم ينسخها شىء .

لكن جمهور العلماء سلفا وخلفا ، يرون أن له توبة ان صـــلح حـاله واستقام ، لقـوله تعـالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفـر ما دون ذلك لمن يشاء » وقوله سبحانه : « قل يا عبـادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » وفي هذا الرأى فتـح لبـاب الخـير والأمل لمن يقلع بصـدق عن اجرامه وذنوبه •

القتل الخطأ فى الاسلام

ثم استمع الى القـرآن العظيـم اذ يقول : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ » أى وما صح ولا استقام أن يقتـل المـؤمن أخـاه المؤمن الا أن يكون ذلك القتل خطأ ، فلا ذنب عليه فى قتله ، لأنه حدث بغير قصده تنفيذا لقدر الله الذى كتب عليه ذلك ، فقد كتب الموت على كل حى ، وقـدر له سبب موته ، ومثال القتـــل الخطأ أن يطلق بندقيته نحو طائر ،فتصيب مقتلا من آخر لم يكن يراه حين أطلقهـا ، أو ينظف بندقيـــة نسى أن يؤمنهـا ، فخرجت منها رصاصة أصابت عزيزا لديه ، وكان هـذا وذاك بغير قصـــد القتل ، وفى العفو عن مثل ذلك يقول الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطـأ والنسيان وما استكرهوا عليه » •

ومع كون الخطأ لا جريمة فيه ولا ذنب لعدم العمد ، لم يعف صاحبه من الدية والجزاء ، تعويضا لأهل القتيل الذين حرمهم منه ، واعظـاما لحرمة الدماء ، قال تعالى : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا » •

قتل غير المؤمن

وليست حرمة الدماء فى الاسلام ، قاصرة على قتل المؤمن ، بل تتعداه الى قتل الكافر من أهل الكتاب والمشركين الذين بيننا وبينهم عهد ، قال تعـالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق » وقال صلى الله عليه وسلم فى حق أهل الكتاب المسالمين : « لهم مالنا وعليهم ما علينا » وقال فى شأن أهل العهد من المشركين : « من قتل نفسا معاهدا ، لم يرح ريح الجنة ، وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما » •

والمعاهد هو المشرك الذى دخل دار الاسـلام بأمان ، فيحرم على المسلمين قتله ، وعليهم أن يرجعوه الى مأمنه ، قال تعـالى : « وان أحد من المشركين

استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » وهذا أقصى ما يطلب فى المحافظة على العهد مع مشرك .

وبلغ من حرمة الدماء جميعا فى الاسلام ،أن الله تعالى جعل قتل الفرد الواحد ظلما قتلا للناس جميعا ، وجعل المحافظة على حياته ابقاء للناس جميعا ، قال تعالى : « ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

وذلك لأن فى قتل النفس الواحدة اعتداء على البشرية كلها ، وحفزا لمن طبيعتهم الاجرام ، على الاستهانة بالدماء والاجتراء على نشر القتل والفساد بين الخلائق ، وقد ورد فى السنة أن الله تعالى قضى على ابن آدم (قابيل) الذى قتل أخاه (هابيل) بأن يتحمل نصيبا من اثم كل قتل يحدث فى البشرية الى أن تقوم الساعة ، لأنه أول من سن القتل ، وجاء فيها قوله صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله ثوابها وثواب من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » .

وبلغ من عظم شأن الدماء أنها أول ما يقضى فيه من قضايا العباد ، قال صلى الله عليه وسلم : « أول مايحاسب به العبد الصلاة ، وأول ما يقضى بين الناس فى الدماء » رواه الخمسة .

تحريم الانتحار

ومن رحمة الشريعة الاسلامية ، أنها منعت الانسان من الانتحار ، مع أن نفسه ملكه ، ففى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تردى من جبل فقتل نفسه ، فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه ، فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة ، فحديدته فى يده يجأ (١) بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » رواه الأربعة .

وروى الامام مسلم فى كتاب (الايمان) عن جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى ، أتى النبى صلى الله عليه

---

(١) اى يطعن بها فى بطنه .

وسلم فقال : يارسـول الله : هل لك فى حصن حصين ومنعة ، فأبى النبى صلى الله عليه وسلم . للذى ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم ، هاجر اليها الطفيـل بن عمـــرو ورجل من قومه ، فمـرض الرجل فقطع براجمـه بمشـاقص (١) فشخبت يداه حتى مات ، فرآه الطفيل فى منامه بهيئة حسنة ، مغطيـا يديه ، فقال : ما صنع ربك بك ؟ قال غفر لى بهجرتى الى نبيه ، فقـال : ما لى أراك مغطيا يديك ؟ قال : قيل لى لن نصلح منك ما أفسدت ، فقصها الطفيـل على النبى صلى الله عليه وسـلم ، فقـال : اللهم وليديه فاغفر » (٢) .

وروى الشـيخان عن أبى هريرة قال : (شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل ممن يدعى الاسلام : هذا من أهل النـار ، فلمـا حضر القتال ، قاتل ذلك الرجل قتالا شـديدا ، فأصـابه جراح ، فقيـل : يارسول الله : الذى قلت آنفا من أهل النار ، قد قاتل قتالا شديدا وقد مات ، فقال صلى الله عليه وسلم : الى النار ، فكاد بعض الناس أن يرتاب ، فبينمـا هم على ذلك اذ قيل له انه لم يمت ، ولكن به جراحة شديدة ، فلمـا كان من الليل لم يصبر على الجراح ، فأخذ ذباب سيفه ، فتحامل عليه فقتل نفسه ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الله أكبر . أشهد أنى عبد الله ورسوله ، ثم أمر بلالا فنادى فى الناس : أنه لا يدخـل الجنـة الا نفس مسـلمة ، وان الله ليؤيد هـذا الدين بالرجل الفاجر » .

وأخرج الشيخان عن جندب البجلى عن النبى صلى الله عليه وسـلم قال : كان ممـن قبلـكم رجل به جرح ، فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات ، قال الله تعـالى : بادرنى عبدى بنفســه ، حرمت عليـه الجنة » .

فانظر كيف حرم الله قتل النفس حتى مات صاحبها .

---

(١) البراجم : مفاصل الأصابع ، والمشاقص : السهام عريضة النصل
(٢) المصدر : جامع الأصول .

القصاص

ومبالغة فى حمـاية الانسان من القتل ، أوجب الله القصـاص من القاتل ، مهماكانت منزلته فى المجتمع، سواء أكان المقتول رفيعا أم وضيعا ، فكل الناس لآدم ، وآدم من تراب ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقتص من الرجل للمرأة ، ومن المرأة للرجل ، ومن المتماثلين ، مثال الأول عن أنس : « أن يهـوديا رض رأس جارية بين حجرين ، فقيل لها : من فعل بك هـذا ؟ فلان أو فلان ، حتى سمى اليهودى ، فأومأت برأسها ، فجىء باليهودى فاعترف ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم فرض رأسه بحجرين » رواه الخمسة .

وتفصيل ذلك أن رجلا يهوديا ، رأى على جارية أوضاحا (١) من الفضة ، فأوقعها فى حفرة وشدخ رأسها بين حجرين ، فجىء بها للنبى صلى الله عليه وسلم فى حال النزع ، فلما ذكرت لها أسماء المشتبه فيهم وجىء باسم الجانى ، أومأت برأسها أن نعم ، فلما جىء به واعترف أمر النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يفعل به مثل ما فعل بالجارية ، حتى قتل متأثرا بما فعل به كالذى حدث للجارية تماما .

ومثال النوع الثانى ، أن أخت الربيع أم حارثة جرحت انسانا ، فاختصموا الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : «القصاص القصاص»، فقالت أم الربيع : يا رسول الله : أتقتص من فلانة ؟ والله لا يقتص منها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: سبحان الله يا أم الربيع : القصاص كتبه الله ، قالت والله لا يقتص منها أبدا ، قال : فما زالت حتى قبلوا الدية ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » أخرجه الشيخان .

ومثال الثالث أن ابنة النضر لطمت جارية فكسرت ثنيتها ، فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص ، أخرجه البخارى – والثنية احدى مقدم الأسنان .

(١) الأوضاح جمع وضح وهو الحلى من الفضة ، والخلخال .

منع الحدود بالشبهات

ومبالغة فى هـذه الحمـاية شرع النبى صـلى الله عليـه وسـلم قاعدة (ادرأوا الحدود بالشبهات) فلا يقام حد مع وجود شبهة تقتضى النجـاة منه ، ولهذا أوجب الشرع الشريف شروطا لاقامته فى جريمة الزنا يكاد يتعذر تحقيقهـا ، وذلك أن يشـهد أربعة شهود عدول بأن جريمة الزنا حدثت أمامهم تماما ، ولا يكاد يتأتى الحصـــول على هؤلاء جميعـا وقت الحادث ، ليدركوه بتفاصيله ، ولو لم يتيسر للمـدعى أولئك الشـهود أقيم عليه حد القذف ان لم يلاعن ، وحد القذف ثمانون جلدة •

عدول الزانى عن اقراره

معلوم أن الزانى اذا لم يسبق له زواج يجلد مائة جلدة ، وأن الزانى الذى سـبق له الزواج بطل دمه ، فيرجم حتى يموت ، وذلك اذا ثبت زناهمـا بأربعـة شـهود عـدول أو باقرارهما •

فاذا ثبت زناهما باقرارهما فحسب، فلهما العدول عن الاقرار ، فقد يكون للاقرار بواعث لا يعلمها القـاضى ، كالاكراه أو الرغبة فى التشنيع وهدم كـرامة البيوت ، أو الاكراه ، أو ظن أن المبـاشرة بدون جماع زنا كمـا سيأتى • ومن جملة مقاصد الشريعة فى قبـــول العـــدول عن الاقرار ، عـــدم اهـــدار دم الزانى المحصن بدون اســـتيقان من صحـــة واقعـة الزنا فان فى عدول المقر عن اقراره شبهة فى عدم حصول زناه ، وأنه انما أقر لسبب خفى لا يعلمه القاضى•

وقد كان النبى صلى الله عليـــه وسلم ، يحب أن لا يقر الزانى أمام القاضى ، ليتوب فيما بينـه وبين الله تعـالى ، ومن ذلك أنه جـاء ماعز الأسلمى الى النبى صلى الله عليـــه وسلم ، فقال : انى زنيت ، فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء من شقه الآخر ، فكرر اقراره بالزنى ، فأعرض النبى عنه ، ثم جاء من شـقه الآخر فاعترف مرة ثالثـة بزناه ، فأمر به فى الرابعـة فأخرج الى الحرة فرجم بالحجارة ، فلمـا وجد مس الحجارة فر يشتد ، فلقيه

رجل معه لحى(١) بعير ، فضربه به ، وضربه النـاس حتى مات ، فذكروا ذلك للنبى صـلى الله عليـه وسـلم فقال : « هلا تركتموه » .

فأنت ترى أن النبى صلى الله عليه وسـلم ، كان يعرض عن اسـتماع اقراره ، حتى لا يؤاخـذ به ، ولم يكتف بذلك ، بل انه لام الذين كانوا يرجمونه حينما فر من الرجم ، ولم يتركوه ينجو بنفسه .

ومما روى تكملة لهذا الحادث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمـاعز بعد اقراره بالزنى : (أبك جنون ؟) لعله يعدل عن اقراره ، فقال : (لا) وفى رواية أنه قال له : « لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت » أى لعلك جعلت ذلك زنى فأقررت بالزنى ، يريد الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك التلويح له بالعدول عن اقراره ، ولكنـه أصر على اقراره ، وقال انه متزوج ، فأمر النبى صـلى الله عليه وسلم برجمه .

ولقد اختلفت الصـحابة فى أمر نجاته من عذاب يوم القيامة ، فقـال صلى الله عليه وسلم : « لقد تاب توبة لو قسمت على أمة لوسعتهم » .

وقد حدث مثل هذا الاقرار من امرأة جهنية كانت متزوجة ، وعرض النبى لها لتعدل عن اقرارها ، ولكنها أصرت وقالت زنيت وأنا حبـلى ، فأمرها النبى صلى الله عليه وسلم أن تذهب حتى تضع حملها ، كيلا تقتل معها نفس بريئة ، فلما وضعت جاءته صلى الله عليه وسلم ليقيم عليها الحد، فلم يشأ أن يحرم الوليد من لبن أمه ورعايتها أثناء مدة رضاعه ، فأمرها أن ترضعه حتى تفطمه ، ففعلت ، وجاءت به وفى يده كسرة ، فأمر بها فأقيم عليها حد الرجم ، ولو هربت منـه لكان هذا أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كما تقدم فى قصة ماعز الأسلمى ــ فانظر ياأخى القارىء الى عظيم رحمته صلى الله عليه وسلم بأمته ، وحرصه على ترك المذنب حتى يتوب الى ربه فيما بينـه وبين الله ، مع ما فى ذلك من ستر الأعراض ، وعدم اشاعة الفاحشة بين الناس .

(١) اللحى العظم الذى تنبت تحته اللحية ، وللانسان لحيان ، تنبت فوقهما الأسنان ، وتحتهما اللحية ، وقد شـاع اطـلاق اللحى على العظمين المذكورين ، وان لم ينبت تحتهما لحية ، كما هو الشـأن فى الحيوان ، ومن ذلك لحى البعير المذكور .

وهاك مثلا آخر يدل على عظيم شفقته بالخاطئين والخاطئات : أمر النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب أن يقيم الحد على جارية زنت ، ولم يكن يعلم أنها نفساء ، فلما ذهب على ليقيم عليها الحد علم أنها نفساء ، فأخر اقامة الحد عليها حتى تطهر من نفاسها خشية أن تموت ان جلدها فى نفاسها حيث تكون المرأة ضعيفة لا تحتمل الجلد ، فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك استحسنه ، ومعلوم أن حد الرقيق الجلد ولو كان متزوجا .

متى يحل دم المسلم ؟

لا يحل دم امرىء مسلم الا فيما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفيما عدا ذلك فالقتل من السبع الموبقات التى وردت فى صحاح السنة .

موقف السنة من سفك الدماء

كما بين القرآن الكريم عظم جريمة القتل عمدا ، جاءت السنة الشريفة تبين فداحتها ، وسوء مصير مرتكبها ، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ان هذا الانسان بنيان الله ، ملعون من هدمه » وقوله : « من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه ، آيس من رحمة الله » وقوله : « اذا التقى المؤمنان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، فقيل : هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : انه كان حريصا على قتل صاحبه » .

أيها الاخوة المسلمون ، احرصوا على السلام فيما بينكم ، وتجنبوا سفك الدماء بدون حق ، واجعلوا القضاء فاصلا فيما شجر بينكم ، واحذروا سوء المصير ان هدمتم الانسان الذى هو بنيان الله ، وقاكم الله شر الفتن ما ظهر منها وما بطن « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

فكرة الشيطان بين الإنكار والإيمان

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن سبرة بن أبى فاكهة رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه : قعد فى طريق الاسلام فقال : تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك ؟ فعصاه وأسلم ، وقعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس فى طوله فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة » . أخرجه النسائى .

يشعر المرء على الدوام بتصارع قوى الخير والشر فى نفسه ويعانى من ذلك ؛ سيما اذا زكت نفسه واستنارت بصيرته ورق شعوره وحسه وقد شغل البحث عن هذه القوى فكر الانسان منذ وجد وأحس وأدرك وتشعبت به المسالك للكشف عن أسرار هذه القوى وانتهى به البحث الى نتائج هى الى الحدس والتخمين أقرب منها الى العلم واليقين واتخذت كل جماعة شعارا لهذه القوى ترمز اليها وتدل عليها ، وظل الانسان يخبط فى هذا الميدان حتى استنار بنور الأديان فكشفت له عما خفى عليه من الصواب فى هذا الشأن وأرشدته الى أن هناك فى نفس كل انسان قوتين توجهانه وتتنازعانه وتتصارعان فى الظفر به ، وفى استطاعته وبجهاده وتأييد الله أو خذلانه أن ينتصر ، أو ينهزم أمامهما وسمت الأديان القوة الداعية الى الشر فى النفس الانسانية شيطانا والقوة الداعية الى الخير ملكا فما يجده الانسان من ميل الى الخير فهو من لمسة الملك ووحيه ، وما يجده

من ميـل الى الشر هـو مـن نخس الشـيطان ونزغه ولأمر ما وكل الله الشياطين بالمؤمنين وجعل لكل منهم قرينا منهما وجعل رسالته الوسوسـة والاغراء بالشر وبدأ الشيطان رسالته مع آدم أبى البشر فوسوس اليه وزين له فخالف ما نهى عنه فأزله وزوجه وأغواهما حتى أخرجهما مما كانا فيه وسيظل الشيطان قائما برسالته حفيـا بها حريصا عليها حتى تنتهى قضـية الوجـود الانسـانى الأرضى كما قال تعالى حكاية عن الشيطان :

« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسـجدوا الا ابليس لم يكن من السـاجدين قـال ما منعك ألا تسـجد اذ أمرتك قـال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقتـه من طين • قال فاهبط منهـا فما يكون لك أن تتكبر فيهـا فاخرج انك من الصـاغرين • قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين • قـال فبمـا أغـويتنى لأقعدن لهم صراطك المسـتقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهـم وعن أيمـانهم وعـن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين • قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعـك منهـم لأمـلأن جهنـم منـكم أجمعين » •

وابتلاء المؤمنين بالشياطين واختفاء حكمته على الانسـان كان على مدى التاريخ فتنة لعقول بعض الناس ضلوا بها عن سواء القصد كما ضلوا بغيرها مـن فـكر الغيـوب فبـاءوا بالوزر والجحود ، ولقد تغلبت فكرة انكار الشـياطين على عقـول بعض مفسرى القرآن من المؤمنين فاعتسفوا الطريق فى تفسير بعض الآيات التى وردت فيها هـذه الفـكرة وذهبوا بهـا الى غير ما فهمـه جمهور المفسرين والعلمـاء فتارة يفسرون الشياطين بأنها الهـوام والحشرات والجراثيـم ، وتـارة يجعلـون الحديث عن الشـياطين من قبيل التمثيل والتشبيه ، وهذه تأويلات تأباها ظواهر نصوص القرآن وتخالف مذاهـب جماهير علماء المسـلمين ، ولا ندرى كيف توسوس الحشرات والجراثيم فى صدور الناس كما أخبر القرآن ، وكيف تجرى من النـاس مجـرى الدماء كمـا أخبرت السـنة وكيف تزين المعـاصى للناس وكيف تغريهم بالخطـايا ، وكيـف يتـأتى التمثيل فى صريح اللفظ فى حـوار الشيطان والانسان فى مثل قوله تعالى :

« وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم » ولماذا ننكر أو نستبعد وجود الشياطين وما هم الا خلق من خلق الله كالملائكة يروننا من حيث لا نرهم فنؤمن بوجود الملائكة وسفارتهم بين السماء والأرض ولا نؤمن بوجود الشياطين وقد تحدث القرآن عن الشياطين بأكثر مما تحدث به عن الملائكة • ان فكرةوجود الشيطان فكرة دينية صحيحة ، وحقيقة الشيطان حقيقة مقررة بعدها عن الأذهان أنها من حقائق الغيب لا من حقائق المشاهدة وانها ليقربها الايمان ويبعدها الجحود والكفران ، ولقد أخبر القرآن فى عشرات من آياته بوجوده وتسلطه على المؤمن بالوسوسة والتزيين والاغواء وأنه عدو للصالحين وولى للضالين ، وحذر المؤمنين من نزعه وكيده ومكره وانه شديد العداوة واسع الحيلة يزيف الحق ويزين الباطل فيشتبه الحق بالباطل والخير بالشر والطاعة بالمعصية، والضلالة بالهدى ، ويحاول أن يأخذ على المؤمنين كل الطرق كما حكى الله عنه فى قوله تعالى : « لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين » •

وللشيطان الى قلب المؤمن مداخل كثيرة ظاهرة وخفية فمداخله عن طريق الحواس ظاهرة ومداخله عن طريق الشهوة والخيال والحسد والحقد خفية » وكل حسنة يهم بها المؤمن يبادره الشيطان اليها ليخوفه عواقبها ويصرفه عنها • ولقد ضرب لنا هذا الحديث أمثلة مما يستدرج به الشيطان ليصرف المؤمن عما يهم به من الحسنات ، وأول هذه الأمثلة أنه قعد لبعض المؤمنين فى طريقهم الى الاسلام وخوفهم من عواقب اسلامهم ، ووسوس اليهم أنهم باسلامهم يفارقون دين آبائهم وأجدادهم وهو عبادة الأصنام ـ وعار أن يخالف المرء ما وجد عليه آباءه وأجداده ولكن الشيطان لم يفلح فى كيده ولم يصرف المؤمن عما شرح الله صدره له فخالف الشيطان وأسلم • ومن هذه الأمثلة أنه قعد فى طريق من أراد أن يهاجر ليسلم له دينه وأخذ يثنيه عن عزمه ويقول له : كيف تهاجر وتترك وطنك وأهلك ؟ والخير أن تبقى فى وطنك

لا تتعرض لذل الغربة ولا تعرض نساءك لذل الفقر والحاجة وبهجرتك تفقد حريتك وتكون كالفرس فى طوله أى ـ حبله الذى يربط به ـ محدود الحركة والنشاط وقد فشل الشيطان مع هذا أيضا كما فشل مع من قبله ، ومن هذه الأمثلة أنه يقعد لمن يريد الجهاد فيخوفه بما يلقاه من الجهد وبذل النفس والمال وأنه يعرض نساءه للسبى والوقوع فى أيدى الأعداء يصنعون بهن ما يشاءون ويعرض أمواله للضياع ولا فائدة له من جهاده ، ولكن المؤمن الموفق للخير يلقى بهذه الوساوس فى موطىء نعله ويمضى فى طريقه متغلبا بالايمان على وساوس الشيطان ، وهذه الأمثلة ما هى الا نماذج من مداخل الشيطان الى الانسان كما قررها القرآن وكررها فى كل سياق دعا فيه الى الخير ليكون المؤمن على ذكر منها فى كل ما يتم به من طاعة ولتتغلب داعية الخير فى نفسه حتى يكون من حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ؟

ابو الوفا المراغى

روى الجاحظ عن ابن أبى ليلى قال : انى لأساير رجلا منوجوه أهل الشام اذ مر بجمال معه رمان فتناول منه رمانة اختلاسا فجعلها فى كمه ، فعجبت من ذلك ، ثم رجعت الى نفسى وكذبت بصرى حتى مر بسائل فقير فأخرجها فناوله اياها • فقلت له رأيتك فعلت عجبا ، قال : وما هو ؟ قلت : رأيتك تسرق رمانة منجمال وأعطيتها سائلا ، قال : أتنكر على ذلك ؟ أما علمت أنى أخذتها وكانت سيئة وأعطيتها فكانت عشر حسنات • قلت : يا مسكين ، انك أخذتها فكانت سيئة وأعطيتها فلم تقبل منك ؟

من هدى السنة :

سلامة الأمة فى مقاومة المنحرفين من أبنائها

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) • رواه البخارى والترمذى •

تعريف بالراوى :

هو أبو عبد الله النعمان بن بشير ابن سعد بن ثعلبة بن جلاس (١) الخزرجى الأنصارى ، صحابى ابن صحابى ، وأمه عمرة بنت رواحه أخت عبد الله بن رواحه صحابية أيضا ، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة ، وكان من أخطب الناس وأفصحهم ، وكان قاضى دمشق ، ثم أميرا على حمص فى عهد معاوية وابنه يزيد ، وقتل بقرية من قرى حمص سنة ٦٤ هـ ، وكان من رواة الحديث، روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٤ حديثا ، وروى عنه ابنه محمد ، ومولاه حبيب بن سالم ، والشعبى ، وطائفة ، رضى الله عنه وأرضاه •

اللغة :

(مثل القائم على حدود الله والواقع فيها) المثل الصفة والحال العجيبة ، وجمعه أمثال ،كعلم وأعلام، والحدود جمع حد ، وتدور مادة

---

(١) جلاس بضم الجيم وتخفيف اللام ، كذا قيده عبد الغنى المقدسى وغيره ، وقال ابن ماكولا : هو خلاس بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام ــ انظر دليل الفالحين .

الحد فى الاستعمال اللغوى على المنع ، فيطلق على الحاجز بين الشيئين ، وفيه منع أحدهما عن الاتصال بالآخر ، ويراد بحد الشىء منتهاه ، ففيه المنع عن اختلاطه بغيره ، ويقال : حد الدار من باب رد ، وحددها أيضا تحديدا اذا عينها بذكر جهاتها ، وفى هذا معنى المنع من اختلاطها بسواها ، ويقال للبواب : حداد ، لأنه يمنع غير أهل الدار من الدخول فيها ـ ويقال : أحدت المرأة فهى محد ومحدة ، وكذا حدت تحد ـ بضم الحاء وكسرها حدادا بالكسر ، فهى حاد ـ بغير هاء ـ اذا امتنعت عن الزينة والخضاب بعد وفاة زوجها ـ فالمنع يتبادر الى الذهن عند اطلاق كلمة : حداد ، والحد فى اصطلاح الفقهاء : عقوبة مقدرة وجبت حقا لله تعالى ـ وسميت بذلك لأنها تمنع من ارتكاب المعاصى والجرائم •

والمراد بحدود الله فى الحديث : أحكام الشريعة الغراء ـ ومناسبة هذا المعنى للغة أن هذه الأحكام فيها المنع من الشر والفساد ـ ومعنى القيام عليها : التزامها والعمل بها ـ كما أن معنى الوقوع فيها مخالفتها وترك العمل بها •

(استهموا على سفينة) أى اقترعوا فى قسمتها ، وأخذ كل فريق سهما بالقرعة •

(أصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها) (أصاب) : نال وأدرك ، والأعلى ضد الأسفل ، والعلو بضم العين وكسرها مع سكون اللام ضد السفل بضم السين وكسرها مع سكون الفاء •

(اذا استسقوا من الماء مروا على من فوقهم) الاستسقاء طلب السقى والشرب ـ والمراد من الجملة : أن من كانوا فى أسفل السفينة اذا أرادوا الحصول على الماء مروا على من كان فى أعلاها •

(فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا) الواو فى : (وما أرادوا) تفيد المصاحبة ، أى لو ترك أهل العلو أهل السفل مصاحبين لما أرادوا من خرق السفينة ـ من غير منع من الخرق ـ غرقت السفينة وهلك كل من فيها •

(أخذوا على أيديهم) منعوهم مما أرادوا من الخرق •

(نجـوا) أى سـلم الآخذون من الغـرق بسبب منع غيرهم من خـرق السفينة •

(ونجوا) بتشديد الجيم ، أى كما أنقـذ الآخذون أنفسـهم من الغـرق أنقذوا منه المأخوذ على أيديهم فسـلم الجميع •

البيـان :

اقتضت حكمته تعالى أن يرفع شأن الأمة الاسلامية ، فجعلهـا خير الأمم ، وأناط بها رسالة جليلة القدر ، عظيمة الأثر ، كما قال سبحانه : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (١) ووعدها جلت قدرته ــ بالاسـتخلاف فى الأرض ، والتمكين للدين الذى ارتضـاه لهـا ، وتوفير أمنها وطمأنينتها ، كما قال عز من قـائل : (وعد الله الذين آمنـوا منكم وعملوا الصـالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (٢) ولـكن لن تحتفـظ هـذه الأمة بمكانتها ، ولن تقـوى على النهـوض بأعبـاء رسـالتها ، ولن تظفـر بانجاز وعده تعالى الا اذا كانت متينة الدعائم ، راسخة القـواعد ، قوية اللبنـات ، محكمة البنـاء ، متماسـكة الروابط ، وثيقة الصلات ، يتحلى أفرادها باليقظة والتفتـح ، والوعى والنضـوج ، والايمان بوحدة الغـاية والمصـير ، والاعتقاد بأن حياة كل منهم وهنـاءته تابعتان لحياة غيره وهناءته ، والتضامن فى الشعور بالمسئولية وتحمل التبعات، فيحس كل واحـد أنه مسـئول عن سلامة غيره كما هو مسئول عن سلامة نفسـه ، وأن عليـه أن يوفر الأمن والطمأنينـة لسـواه كمـا يوفر هـذا لشخصه ، وأن يتعـاونوا على رعاية أمتهـم وصيانتهـا ، ونشر الأمان فى ربوعها ، واسعادها لتظل دائما مرفوعة الهامة ، عزيزة الجانب ، قوية البأس ، مرهوبة السلطان ، آمنة من الأحداث والأخطـار ــ وأما اذا انحرف بعض أبنائها ، فطغت عليهم الأنانية والأثرة ، وطاشت أحلامهم ،وساءت تصرفاتهم ،

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١١٠.
(٢) سورة النور آية رقم ٥٥

ولم يجدوا من الراشـدين انكارا ولا مدافعة ــ فان سـوء هذا الصنيع يكون شؤما على الأمة كلها ومعـول هدم فى جسمها يتصـدع منه بنـاؤها ، ويأتى عليـه من القـواعد ، فيصبح هشـيما تذروه الرياح ، هـذا والحديث الذى نحن بصـدده يجـلى ما يترتب عـلى مقاومة المنحرفين والمفسدين من عظيم الخير ، وجليـل الأثر ، وما ينشأ عن اغفالهم من سوء المصير ووخيم العاقبة .

فقد شبه صلوات الله وسلامه عليه حال العاملين بالشريعة والمخالفين لهـا بحال قوم لهم سفينة ، وأرادوا قسمتها ليختص كل فـريق بنصيب فيهـا ، وأجروا القرعة فيما بينهم لتحديد هذا النصيب ، فكان أعلى السفينة من نصيب بعضهم ، وأسـفلها من نصيب البعض الآخر وبقرب أهـل العـلو من المـاء تيسر لهم الاستسقاء منه كلمـا أرادوا من غير أن يمسـوا أحدا بضر ، وأما أهل السـفل فكانوا يلقـون نوعا من المشـقة فى الوصـول الى المـاء ، والحصول عليه ، فاذا حملوه مروا به على أهل العلو فتأذوا منهم ــ كما ثبت ذلك فى رواية أخـرى للحديث جاء فيها : (فتأذوا به) أى بالمـار بالمـاء عليهم حالة السقى ــ ففكر أهل السفل فى وسـيلة يحصـلون بهـا على المـاء بطريق سهل عليهم ، وليس فيه ايذاء لمن فوقهـم ، فرأوا أن الذى يحقق غرضهم هو خرق السـفينة فاتجهـوا اليه بحجة أن أسفلها خالص نصيبهم ، فلهم حرية التصرف فيه .

والذى جعـل هذا الرأى يظهـر ويطلع عليه أهل العلو أن بعض أهل السفل شرع ينفذ خطته فأخذ فأسـا ، فجعل يضرب بها فى أسـفل السفينة ليخرقها ــ كمـا ورد ذلك فى رواية أخرى للحديث جاء فيها (فتأذوا به ، فأخذ فأسا فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا : مالك ؟ قال : تأذيتم بى ولا بد لى من المـاء) .

فان سـكت أهل العـلو عن هؤلاء وتركوهم يتمون تنفيذ ما اتجهوا اليه ــ غرقت السـفينة وغرق كل من فى أعلاها ، ومن فى أسفلها ــ وان حالوا بينهـم وبين ما أرادوا من هـذا الشر المستطير أنقذ أهل العـلو أنفسهم من الغرق ، وأنقـذوا منه أهل السـفل ، وأنقذوا السـفينة ، فشملت السـلامة الجميع .

ولنستكمل فى أذهاننا الصورة البيانية للحديث يحسن أن نعرض لذكر ما تضمنه من أنواع التشبيه ، فقد حوى ثلاثة تشبيهات :

الأول : تشبيه القائمين على حدود الله الذين يحلون الحلال ، ويحرمون الحرام ، ويأمرون بالمعروف ،وينهون عن المنكر بمن يركبون أعلى السفينة بجامع العلو فى كل •

الثانى : تشبيه الواقعين فى حدود الله التاركين للأمر بالمعروف ، وفعله ، المقترفين للمنكر بمن يركبون أسفل السفينة بجامع الانخفاض فى كل •

الثالث : تشبيه ضمنى ، وهو تشبيه أحكام الشريعة السمحة بالسفينة ، فكما أن السفينة متى أحسن ركابها تصريفها ، وسددوا قيادتها وصلت بهم الى شاطىء السلامة ، ونالوا بها ما يبتغون ، كذلك الشريعة الغراء اذا التزمها أهلها ، واستمسكوا بهديها ، خاضوا معترك الحياة ، وهم فى أمن من الخطر ، ومنجاة من الزلل ، وبلغوا ما تطمح اليه نفوسهم من عز الدنيا وسعادة الآخرة •

ولا يصح أن تكون هذه التشبيهات من قبيل التشبيه المتعدد ،لأن ذلك انما يستقيم حيث يمكن استقلال كل تشبيه بمعنى صحيح مقصود على حدته ـ وليس هذا بمراد هنا ، وانما المراد أن يكون المسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا ، وألا يسكتوا عن العصاة ، بل الواجب أن يدعوهم الى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، فالتشبيه فى الحديث من قبيل التشبيه المركب ، وهو تشبيه حال المسلمين القائم منهم على الحدود والواقع فيها ، والساكت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بحال قوم شركاء فى سفينة تنازعوها فاستهموا على قسمتها الى آخر ما ذكر فى الحديث ، والجامع هو الهيئة المنتزعة من اجتماع نافع وضار فى محل واحد •

وفى هذا الحديث أرشد الرسول الحكيم صلوات الله وسلامه عليه القائمين على حدود الله أن يضربوا على أيدى المعتدين على أحكام الشريعة ، وأن يأمروهم بالمعروف ، وينهوهم عن المنكر ، وألا يسمحوا للفاحشة أن تشيع بينهم ، ولا يأذنوا للفساد أن يستشرى فى مجتمعهم ، ولا لأصحاب العقائد المنحرفة ، والمبادىء الهدامة أن يذيعوا أفكارهم ،

وينشروا سـمومهم ، ولا للسـفهاء والطائشين أن يعبثـوا بنظام الدولة ، ويهددوا أمنها وسلامتها •

فان فعـلوا ذلك ، وكفـوا أيدى الأشرار عن العبث فى الأرض فسـادا أنجوا أنفسهم ،وقاموا بالواجب عليهم من الدعوة للحق ، ونصرة الفضيلة ، ونجوا غيرهم ، وفاز الجميع بسـعادة الدارين ، فكان مثل الراشدين ـ وقد قاموا بما فرض عليهـم ـ مثل من فى أعلى السفينة ـ اذا أخذوا على أيدى من فى أسفلها ، وقد هموا أن يخرقوا فيهـا خرقا ليحصلوا على المـاء من طريق سهل عليهم ، ولا يؤذوا غيرهم ـ فى زعمهم ـ وهم لا يعلمون ما ينشأ عن هذا العمـل من هلاك جميـع من فى السفينة •

وأما اذا لم يقم هؤلاء الراشـدون بما افترض عليهـم من المحافظـة على حـدود الله ، وتركوا العـابثين وما أرادوا فلا بد أن تدرك عقـوبة الله الجميع : الفاسقين بفسقهم وظلمهم ، والراشدين بسكوتهم على المنكر ، قال عليه الصلاة والسلام : (ان الناس اذا رأوا الظـالم فلم يأخـذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) (١)

ومن عقاب الله تعالى على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يسلط الأشرار ، فاذا دعا الأخيار ـ فى هذا الحال ـ بكشف الضر ورفع البلاء لم يقبل دعاءهم ، كما قال صـلوات الله وسـلامه عليـه : (لتأمرن بالمعـروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم ، فلا يستجاب لهم) (٢)

ما يرشد اليه الحديث :

يرشـد الحديث الى أمور نجتزىء منها بما يأتى :

(١) الانتبـاه والتيقظ لعمـل المخربين والمفسـدين لمقـاومتهم ، والقضاء على فتنتهم قبـل أن يستعصى أمرهم •

(٢) استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر •

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وابن حبـان فى الصحيح عن أبى بكر رضى الله عنه •

(٢) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة رضى الله عنه •

(٣) للانسان حرية التصرف فيما يخصه بشرط عدم الاضرار بغيره •

(٤) جواز قسمة العقار المتفاوت بالقرعة •

(٥) على الجار الصبر على أذى جاره القليل ،ومنعه من احداث الضرر الشديد به •

(٦) التنويه بفضل الشريعة الاسلامية وأثرها فى النجاة من المخاوف والأخطار •

(٧) ينبغى للمؤمن أن يحرص على سلامة غيره كما يحرص على سلامة نفسه •

(٨) التوجيه الى بعد النظر ، واستحضار عاقبة التصرفات لفعل الحسن منها ، واجتناب القبيح •

(٩) للمرشد أو المصلح أن يستعمل التشبيه والتمثيل فى بيانه لايضاح المعنى ، وتركيزه فى أذهان المخاطبين •

زادنا الله تعالى فقها فى الدين ، وقوة فى اليقين ، وصلابة فى الحق ، وتوفيقا للعمل به ، والدعوة اليه ، انه سبحانه ولى الهداية والسداد ؟

منشاوى عثمان عبود

روى أبو القاسم الوراق : أن الطبرى صاحب التفسير والتاريخ المشهورين قال لأصحابه : أتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ قال ثلاثون ألف ورقة : فقالوا هذا مما يفنى الأعمار ، فاختصره فى نحو ثلاثة آلاف ورقة ، ثم قال : أتنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا ؟ قالوا : كم قدره ؟ فذكر نحوا مما ذكره فى التفسير فأجابوا بمثل ذلك ، فقال انا لله ماتت الهمم ، ثم قام بالأمر وحده فوضع تاريخه المشهور ؟

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

— ٣ —

لماذا يتعرض الشباب فى مرحلة المراهقة بالذات أكثر من أى مرحلة من مراحل العمر للانحراف سواء فى اتجاهاته الدينية أو الفكرية أو السلوكية ؟.. ولماذا نراه يقع بسهولة وسرعة فى براثن المفسدين والمضللين ودعاة الاستعمار الفكرى الذين يسعون الى تحطيم عقائد الشباب وزلزلة ايمانهم وتقويض دعائم بنيانهم العقلى والنفسى والاجتماعى ؟

الواقع أن الدراسات النفسية والاجتماعية تفسر لنا هذا الأمر بكل وضوح .

ومما لا شك فيه أن أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية يبنون خططهم بكل احكام على تلك الدراسات النفسية والاجتماعية ، فهم أولا : على علم تام بخصائص وسمات مراحل النمو والنضج فى حياة الانسان ومن ذلك يدركون أن مرحلة المراهقة هى أنسب تلك المراحل لتحقيق أغراضهم .

وثانيا : هم على علم تام بالاتجاهات النفسية وكيف تتكون ومتى يتم تكوينها .

وثالثا : هم على علم تام بأساليب الدعاية والاعلام والحرب النفسية ومختلف فنون التأثير على العقول والعواطف والاتجاهات .

فاذا كانت هذه الدراسات النفسية والاجتماعية لا تخفى على أعداء الدين والأمة والحضارة الاسلامية فنراهم يتصيدون الشباب فى هذه السن بالذات بتخطيط محكم ومدروس لتحقيق أغراضهم فان على الآباء والمصلحين والمربين الغيورين على الدين وعلى الأمة وعلى شبابها عدة المستقبل — من باب أولى — أن يكونوا مستعدين بالخطط الوقائية الواعية

التى تحمى شبابنا وتحمى عقائدنا وتفوت على الأعداء غرضهم ، وهذا الأمر من ألزم الواجبات التى لا يصح أصلا التهاون فيها لشدة خطرها وعظم مسئوليتها قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » أخرج عبد الرازق وسعيد بن منصور وعيد بن حميد وغيرهم من حديث على رضى الله عنه فى معنى الآية قال : « علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم » وأخرج ابن جرير وابن المنذر من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : « اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى فذلك وقاية لكم ولهم من النار » وروى ابن ماجة من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » فهذا الحديث الشريف أوجب على الآباء مراقبة الأولاد مراقبة دقيقة وتأديبهم أحسن الأدب .

أما عن سمات المراهقة التى أشرنا اليها والتى تشكل مناخا صالحا للتيارات الانحرافية فأبرزها النزعة القوية الى التحرر ، والرغبة فى تأكيد الذات ، وفورة الغرائز وميل كل جنس الى الجنس الآخر والعناية بالمظهر والتأنق ، وزيادة الولاء للجماعة والأصدقاء والتأثر بهم من الناحية الخلقية ، والميل الى البحث فى مسائل الدين والعقائد وزيادة الاهتمام بالمناقشة والرغبة فى الكشف عن الأسباب مما قد يصل الى مستوى الشك .

وأما عن الاتجاهات النفسية فان علماء النفس يعرفونها بأنها ميل عام مكتسب وثابت نسبيا يؤثر فى دوافع الفرد ويوجه سلوكه ، كالميل الى أشياء أو موضوعات معينة تجعل الفرد يقبل عليها ويحبها أو يرحب بها أو يعرض عنها ويرفضها . واتجاه التدين مثل من أمثلة الاتجاهات النفسية .

وبمعنى آخر فان الاتجاهات النفسية تمثل مجموعة المعتقدات

والمشـــاعر والميـول السـلوكية التى يحملها الفـرد تجـاه موضـوع معين ولذلك نرى السـلوك الاجتمـاعى للانسان فى كافة مظاهره وأشكاله انما يتأثر ويتحدد بمجموعة اتجاهاته •

ويبـدى كثير من علمـاء النفس اقتناعهم بأن الاتجاه يتكون من عناصر ثلاثة هى :

ـ العنصر الفكرى أو العقيدة •

ـ العنصر العاطفى أو المشاعر •

ـ الميـل للتصرف والسلوك بشكل معين •

وتتكون الاتجـاهات النفسية بطرق كثيرة نذكر منها :

١ ـ التقليـد أو تقبـل المعـايير الاجتماعية وغيرها دون نقد أو مناقشة ويكون ذلك عن طـريق الايحـاء ؛ فالطفـل يكتسب أغلب اتجـاهاته عن الأسرة التى نشأ فيها • وتؤكد أبحاث علم النفس أهميـة الأسرة فى تكوين الاتجاهات •

٢ ـ الانفعالات الحادة ؛ وهذه يكون أثرها قويا فى تكوين الاتجاهات ، فقد يؤدى أسلوب التربية الخاطىء مثلا الى تعريض المراهق لخبرات انفعالية حادة تحوله عن اتجاه التدين •

٣ ـ وتتكون الاتجـاهات فى أثنـاء محاولة الفرد اشباع حاجاته المختلفة •

٤ ـ وتتـكون الاتجـاهات أيضا وتتشكل طبقا للمعلومات التى تتـوفر لدى الفرد عن الموضوعات المختلفة •

٥ ـ وتتأثر اتجاهات الفرد بطبيعـة الجماعات التى يتفـاعل معها مثـل : الأسرة وجمـاعة العمـل وجمـاعات الأصدقاء •

ولعـل أهم ما يهمنا معرفته هو أن الاتجـاهات لا تتكون عادة قبـل سن المراهقة لأن اكتسابها يتطلب نضوجا عقليا وهـذا لا يتـوافر فى مرحـلة الطفولة •

فاتجاه التدين الحق الذى ينبع من أغوار النفس لا يقع بهذه الصورة فى عهـد الطفولة المستكينة المقلدة وانما يظهـر فى مرحلة المراهقـة ؛ مرحلة الحرية والاستقلال العقلى •

ولقـد أثبتت الأبحـاث النفسية أن ظهور اتجاه التدين وبدايتـه القـوية الصحيحة يكون فى مرحلة المراهقة •

فقد أثبت العالم كووجس بعد دراسة **١٧٨٤** حالة أن العمر العادى الذى تحدث فيه ظاهرة التحول الدينى الحق هى سن السادسة عشرة ، وقام العالم استانلى هول بدراسة أكثر من أربعة آلاف حالة وانتهى الى ما انتهى اليه سابقه •

والنتائج العامة للدراسات النفسية فى هذا الصدد تتفق على أن الفترة بين العاشرة والعشرين هى الوقت الذى تحدث فيه اليقظة الدينية بأعلى النسب وأكبر الأعداد ، أما قبل هذه الحقبة أو بعدها فعدد الحالات صغير نسبيا ••

ولعل هذا هو بعض ما يفهم من قول النبى عليه الصلاة والسلام : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » ففى الحديث تأكيد لضرورة أن يتعلق الولد بالصلاة فى تلك المرحلة السنية الهامة ••

والطريق الصحيح لتكوين الاتجاهات النفسية نحو موضوعات معينة ؛ كالتربية الدينية لا يتم عن طريق النصح والارشاد وانما تتكون الاتجاهات بالطرق الآتية :

١ ـ الممارسة الفعلية والخبرة الذاتية والتفاعل الاجتماعى فى البيئة المنزلية والمدرسية وغيرها وأثناء الرحلات بما فيها من أنشطة مختلفة حيث يمارس الفرد ما يستهدف تحقيقه من اتجاهات •

٢ ـ الترغيب ؛ ويعتبر من أهم أساليب خلق الاتجاهات ، فالرغبة فى الشىء تعتبر من أهم الدوافع اليه •

٣ ـ القدوة الطيبة ••

وهكذا يتضح لنا من دراسة السمات المميزة لمرحلة المراهقة ومن حقيقة أن الاتجاهات النفسية تتكون وتتشكل فيها ، أن المراهق لو ترك وشأنه فى هذه المرحلة الحرجة والخطيرة فسوف يكون وحيدا فى مهب الرياح والعواصف الهوجاء التى تستغل ما هو واقع فيه من فراغ فكرى ودينى فتملأ قلبه ونفسه بالمعتقدات الفاسدة والأفكار الضالة التى لا يكاد عقله الناشىء يتلقاها منها حتى يتلقفها كما قال الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وتطبيقا لمبـــدأ : الوقاية خير من العلاج ؛ فانه يتحتم على الآباء والمربين أن يدركوا أن تلك المرحلة هي الأوان الحقيــقى لجهـــدهم الواعى المكثف والعمـــل الموصول للتربيــة الدينيــة والخلقية وتكوين الاتجاهات القويمة لدى شـبابنا ووقايتهـم من الانحراف بكل أشكاله .

ولعـل هذا هو بعض ما يفهـم من قول الرسول الكريم صلى الله عليـه وسلم : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . حقا انمن شبعلى شىءشاب عليه ، ونفس المراهق كما قدمنا تتأثر بالخير كمـا تتأثر بالشر وتنطبع فيهـا الأخـلاق الحسنة كمـا تنطبع فيهـا الأخلاق السيئة ، فاذا وجد فى هـذه المرحلة الحرجة من يحـكم تربيتـه ويحسن تأديبـه ويسلك به ســبيل الاستقامة وطريق الأدب والكمال شب حسن الأخـلاق طيب النفس متعلقـا بآداب الفضيلة مستمسكا بحبل الهدى والرشد ، مترفعا عنالرذائل والخطايا ويعتصم بالله « ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم » ...

محمد جمال الدين محفوظ

قال ابن المعتز :

لا تســتخف بشريف ، ولا تميلن الى ســخيف ، ولا تقـولن هجـرا ، ولا تفعـلن نكرا ، فمـن اســتخف بشريف دل على لآمة أصله ،ومن مال الى سخيف أبان عن ضـعف عقلـه ، ومن قال هجرا هجـره الناس ، ومن فعل نكرا قبح ذكره وكل يهرب من ضده ، ويرغب فى مثله ، ويفزع الى أرومته ويعمل على شاكلته .

لم نفسك على قبيح مقالك ، وسوء فعالك قبل أن يلومك صديق ناصح ، أو عدو كاشح .

العقاد الناقد فى مطلع شبابه

للأستاذ السيد حسن قرون

فى (١٢ من مارس ١٩٦٤) أسلم عباس(١) محمود العقاد روحه الى بارئها بعد أن صال وجال فى ميادين العلم والأدب من : شعر ونثر ونقد ، وشغل الناس على مدى نصف قرن من الزمان أو يزيد ، وقد تعودنا ـ ونحن شباب ـ أن نقرأ ما يكتب فى الصحف والكتب والمجلات يوميا ، ثم صرنا فى أواخر أيامه نقرأ يومياته أسبوعيا ، ثم اختفى وغاب ، وخلف فى نفوسنا لواعج أسى لا تنجاب . وبدا لى أن أكتب عنه فى ذكراه ، فوجدت أمامى أكثر من ثمانين كتابا له فى عالم الفكر والروح ، فهالنى ما اليه قصدت ، وفكرت فى أمر العقاد من مطلع حياته الأدبية الى ساعة أن ألقى القلم ، فتوقفت عند أيامه الأولى ، أيام شرخ الشباب حين كان يشق طريقه بين الصخور والأشواك ، فقلت ، فليكن لك هنا كلام ، ورحت أعد نفسى لرحلة شاقة أجمع فيها ما تركه فى الصحف والمجلات فى العقد الأول من القرن العشرين اذ أنه بدأ الكتابة فى الصحف سنة ١٩٠٧ ، وأجرى حديثا صحفيا مع الزعيم سعد زغلول ١٩٠٨ يوم كان وزيرا للمعارف ، وضعفت عن تنفيذ ما أردت ، والانسان لا يعدم حيلة حين يعزم على أمر ، فيممت شطر كتبه التى أصدرها فى شبابه المبكر ، فكان كتاب (خلاصة اليومية) رائدى فى هذا الشأن ـ وهو أول كتاب أخرجه للناس ـ وقد صدر سنة ١٩١٢ ، وما من شك فى أن بحوثه وموضوعاته فيه تمتد من يوم أن ظهر مفكرا يقول الشعر ويكتب المقال أى سنة ١٩٠٧ ، وفى الكتاب اشارات

---

(١) ولد فى أسوان يونيه ١٨٨٩

الى ذلك ، فأرجوزة (أسحار أيار) جاء في التمهيد لها : « نشرت هذه الأرجوزة في العدد (٩٧٦) من (الجريدة) الصادرة في ٢٦ مايو ١٩١٠ » فمادة الخلاصة اليومية عرفها القراء ، والعقاد لم يتجاوز العشرين من عمره ، وفي هذه الخلاصة سمات العقاد كاتبا وشاعرا وناقدا ، وصاحب رأى ، وفيها من معالم شخصيته الكثير حتى اعتداده بنفسه وأدبه تراه في مقدمة ذلك الكتاب ،وهي لا تزيد على عشرة سطور قصار ، يقول : « من كان يقرأ ليقتنع أكثر مما يقرأ ليرضى فاياه عنيت بنشر هذه اليوميات » كذلك وجدت ضالتي في التعرف على العقاد ناقدا للشعر ، وصاحب مدرسة فيه ، ففيه ملامح مما جاء في كتاب (الديوان في النقد والأدب) لمؤلفيه العقاد والمازني سنة ١٩٢١ ، ورحت أنظر في تلك الخلاصة ، وأنعم النظر في محتواها ، وأتتبع عنوانات حديثه عن الشعر ونقده وهو أديب يحتفل بأثر قلمه الى درجة أنه يدون نتاجه ولو كان جملة واحدة ، فكل كلمة عنده عمل كبير ، وتوجيه خطير . فاقتنعت الى حد ما الى أن الخلاصة لم يفتها ماقاله العقاد في صباه ، ولم يعد الأمر يحتاج الى رحلة بين عالم الصحف والمجلات في ذلك الحين ، فماذا قال العقاد في الشعر والشعراء في الخلاصة اليومية ؟

تجيب الخلاصة أنه سجل رأيه في : التشبيه الشعرى ، وفي الشعر والألفاظ ، والكلام والأوزان ،والقول والقائل ، وشعر حافظ ثم الالياذة ، و« سائلو بطرس » ، وابن حمديس، والكاتب والشاعر ، ومستقبل الشعر ، وبماذا يشقى الشعراء ؟ وهذه العنوانات تعطيك صورة عن كلف العقاد بالشعر وصناعته وأربابه ، وأنا لا أقيد نفسي بترتيبها حسب ما جاءت في الخلاصة ، ولا بالحديث عنها جميعها ، فذلك يحتاج الى أكثر من مقال ، وسأقدم ما هو أولى بالتقديم ، لأنه كلي وغيره جزئي ، وقد يجيء الجزئي تطبيقا وتمثيلا للنظرة العامة ، وأول مانستهل به « الشعر والألفاظ » وقد عرف العقاد كعادته الشعر ، وله في كل ديوان من دواوينه (١) الشعرية تعريف ، فقال : « الشعر صناعة توليد العواطف بواسطة الكلام» ويعني بالكلام الألفاظ التي تشكل منها التعبيرات ، فعلى الشاعر أن يكون

(١) له عشرة دواوين .

خبيرا بهذه الصناعة ، وله أساليبه التى يستطيع بها اثارة المشاعر ، وأن يكون له حسه اللغوى فى اختيار الألفاظ المناسبة لتوليد العواطف حتى يبلغ التأثير فى القارىء والسامع ، وهو لا يعترف بالمترادفات اذ « الألفاظ نوع من اختزال المعانى تشير الى مالا يمكن وروده منها على اللسان ، أو هى رموز يقترن كل منها بخاطر وملابسات تتيقظ فى الذهن متى طرقه ذلك اللفظ ، ولا يشترك معه فيها لفظ آخر ، وان ترادفا فى ظاهر المعنى » فالمترادفات لا تتشابه فى المدلولات ، فالكلمة عنده لها قيمتها ، ويجب أن تحل مكانها عن طريق الدقة فى اختيارها ، فاهدار قيمة الكلمة يكون بحشدها دون طلب لها أو وضعها غير مشعة بين أخواتها ، ويستمر العقاد فيما ينتهجه فيضع شروطا للشاعر المجيد ، منها : الاستعداد الفطرى ، والالمام بأسرار النفس ، والاطلاع على نخبة من قوالب الشعراء (١) الفحول ممثلة لأحاسيسهم ، ليوازن الشاعر بينها ، ويهتدى الى مواطن التأثير فى العاطفة المخاطبة بالشعر • ثم يقول :

« ولا يحتاج الأمر فى الشعر الى الجلاء والابانة كما هو فى النثر ، فانه كما تقدم يقصد به التأثير ولا يقصد به الاقناع ، والعواطف قد تتأثر بالعبارة المفاجئة أشد من تأثرها بالعبارة ذات القضايا المرتبة والمعانى الجلية » وهى نظرة صحيحة للشعر لفظا ومعنى ، وهذا الذى قاله فى صباه ولما يستو ناقدا وموجها هو الذى قننه وقعده فى كتبه المتنوعة من كتاب الديوان الى ما بعد « بعد الأعاصير » حين وضع مقاييس الشعر على مذهبه الجديد من وحدة القصيدة « فالقصيدة (٢) الشعرية كالجسم الحى يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغنى عنه غيره فى موضعه الا كما تغنى الأذن عن العين أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة » ثم الصدق فى الأداء ، وأن يكون الشاعر معبرا عن نفسه وعصره ، والكون الذى يحيط به ، والبعد عن الزخارف اللفظية فهى زينة لا تجعل الدميم وسيما ، وقد نقد ثلاثة من الشعراء فى ضوء منهجه فى الخلاصة ، اثنان يعاصرانه : شوقى ، وحافظ ، وثالثهم شاعر قديم هو

---

(١) هنا يوافق ابن خلدون فى مقدمته .

(٢) الديوان ، تحت عنوان : التفكك .

ابن حمـديس ، فقـد أعجب به وان عاب عليه سرقاته من شـعر المشارقة ، وبلغ من اعجابه به أنه قال : « ولكن هذا الشاعر المجهول قد زاد بديوانه على ثروة اللغة العربية ذخيرة أضاعها التفريط ، وأودع ألفاظها من المعـاني ما لم يضمنهـا شـاعر آخر » وتراه يفضلـه عـلى المتنبى والبحترى وابن أبى حفصـة وابن هانىء وغير هؤلاء من محترفى الشعر ، ولم يستثن ابن الرومى الذى حظى منه بكتـاب رائد هو « ابن الرومى ؟ حياته من شعره » ويمضى فيقول فى ابن حمديس : هذا الذى لا يذكره قراء اللغة العربية الا كما يذكرون شعراء الفرس والصين، ولولا (ابن) قبل حمديس لـا درى أكثرنا ان كان اسـم رجـل أو اسـم مكان » وقد تخالف العقاد أو توافقـه فتلك طريقتـه حين يعجب وحـين يدافع . وله قـدرة عـلى التحليـل والتعليل والتمثيـل ؟ وقد أورد لابن حمديس شـعرا فى المدح والوصف والرثاء ، والوطنية أيضا يستدل به على منزلته الفنية ، ثم سما به على شـعراء الشرق والغرب : حديثا وقديما ، وما اختاره من شعره هو من صميم الشعر الذى يرضاه ، فهو يعنيه الصـدق فى الأداء ، والقصد فى القـول ، وتجلية الموقف وتماسك القصيد ،ومما أعجبه رثاء ابن حمديس فى جارية له غرقت فماتت فبكاها ومنه :

عانقهـا الموت ثم فارقهـا
عن ضمة فاض روحهـا فيها

ويلى من المـاء والتراب ومن
أحـكام تدين حكمنـا فيهـا

أماتهـا ذا ، وذاك غيرهـا
كيف من العنصرين أفديهـا

ويعلق العقاد على هذا الرثاء قائلا : « فهـل رأيت أهدأ من هذا تفجعـا ؟ لو كانت هذه الجارية لسيف الدولة ، أما كان المتنبى يكسـف الشـمس ويخسف القمـر ، وينثر الكواكب شـذر مذر ؟ » وانه لتعليـق يذكرنا بنقده شوقى فى الديوان حين تعرض لقصيدة شوقى فى رثاء مصطفى كامل التى مطلعها :

المشرقان عليـك ينتحبـان
قاصيهمـا فى مأتم والدانى

وأنا هنا لا أتعرض لتلك القصـيدة مستحسنا أو مستهجنا انما يعنينى ماجاء فى (الخلاصة) لأنى بصدد أن أتبين جذور نقد الشعر عند العقاد حين كان

يخطو فى عالم الأدب بخطى واسعة ، وفى الخلاصة حديث عن شوقى وعن فن الرثاء عنده وكثير من القراء يحسب أن العقاد لم يتعرض للشوقيات الا فى (الديوان) وما بعده من كتبه ، فتعال معى نقرأ تلك السطور له تحت عنوان « سائلو بطرس باشا » ويعنى به طلاب فضله ، والمترددين عليه لنيل عطائه ، يقول : « ليت شعرى ماذا كان يعنى شوقى بك بقوله على قبر بطرس باشا :

القوم حولك يابن غالى خشع
يقضون حقا واجبا وذماما
يتسابقون الى ثراك كأنه
ناديك فى عهد الحياة زحاما
يبكون موئلهم ، وكهف رجائهم
والأريحى المفضل المقداما

أكان يريد أن يقول : ان زائرى قبر الرجل وفيهم ساداته الأمراء والوزراء والعظماء والعلماء ، وفيهم نائب مولاه الأمير ووكلاء الدول ، وأكابر السراة والوجهاء ؟ أكان يريد أن يقول : ان هؤلاء كلهم ممن كانوا يقصدون من نادى ابن غالى موئلا وكهف رجاء يستعطون من أريحية ساكنه الجواد ويستدرون من أفضاله ؟ أم أراد أن يقول كما قال الناس فى هذا المعنى فأخطأ التقليد ؟ أم لعله كان لايريد أن يقول شيئا ؟ أم تراه يحسب أنهم ملكوا عليه حتى دموع عينيه وأنه نائحة المعية أعد ليرثى كل من يموت من خدامها بلا مقابل ؟ »

ألا ترى أن ذلك الفتى فى الخلاصة هو ذلك العملاق فى الديوان ؟ فهذا النقد لهذا الرثاء بذور منتقاة ، وغرس متعهد سيأتى أكله بعد حين ، فشوقى فى تلك الأبيات يراه العقاد نائحة غير مأجورة أو مأمورة بأن تبكى وتنتحب وهى لا تحس فقدا ولا أسى ، ومغزى هذا أن الشعر غير صادق ، وأن شوقى لا يظهر مكنون جنانه حين ينظم ، وانما يملى عليه فينفذ ، ومن ثم لا شخصية له ، ولهذا جاء الحديث عن زائرى قبره مجافيا للواقع ، ومتباعدا عن حياتنا الحديثة ، فليس ثمة عفاة ولا ناد ولا عطاء ، وهى نظرة صائبة صارت فيما بعد « المذهب الجديد » الذى حمل لواءه العقاد وصاحباه : شكرى والمازنى ، وان اختلف الزعماء ، وانشق بعضهم على بعض ، فصار العقاد والمازنى حزبا ، وشكرى حزبا آخر ، بل العجب أن يحمل المازنى على زميله شكرى

حملة شعواء فى (الديوان) نفسه ولم يهتم تلاميذ هذه المدرسة باختلاف زعمائها ، فتعهدوها وأضافوا اليها وصارت من معالم النقد فى الأدب العربى المعاصر . والواقع أن شوقى وشعراء النهضة بوجه عام سلكوا مسلك البارودى فى تلقى الشعر القديم وجعله النموذج الذى يحتذى، فمدحوا ورثوا وهجوا ، وان تطوروا مع الموضوعات الحديثة ، ومطالب الوطن والمجتمع والسياسة ، وقد ترك شوقى معارضات الشعراء القدامى بعد مبايعته بامارة الشعر سنة ١٩٢٧ ، واتجه الى اضافة الشعر التمثيلى وأشباه الملاحم الى الشعر العربى ، وقد يكون لمدرسة الديوان أثر فى تغيير مجرى شعر أمير الشعراء .

وللتشبيه الشعرى عند العقاد نظرات عميقة تابعها على مدى حياة نقده ، فهو لايتناول التشبيه كما تناوله الامام عبد القاهر الجرجانى ، ولا كما تناوله السكاكى ومن جاء بعده من العناية بأغراضه وأركانه ، ومفصله ومجمله ، ومحسوسه ومعقوله ، وانما اتجه اتجاها آخر رجع به الى عمق الشعور ، وجمال التعبير ، فربطه باحساس الشاعر ربطا أمينا ، وفى الخلاصة يقول : « ملكة التشبيه تقوى حين تضيق دائرة الأشياء ، فان المتكلم يحاول أن يقرب الى سامعيه ما لا يعرفه (وهو كثير) بتشبيهه بشىء مما يعرفه (وهو قليل) ومن ثم كان البدو والريف أقدر على التشبيه من الحضريين وسكان الأمصار . ولقد كان الشاعر دائما أسبق من العالم فى التاريخ ، فان الانسان يحس أولا ثم يفتكر ، فتسخوا القرائح فى عهد البداوة ، وينبغ الشعراء فى الانحاء التى لم يستبحر فيها العمران أكثر مما ينبغون فى غيرها .

وفى هذه المقولة فكرتان : فكرة القدرة على التشبيه عند البدو دون أهل الحضر ، وفكرة سبق الشعر للنثر ، ونحن نوافقه فى الأخيرة ، ونخالفه فى الأولى ، لأن التعبير وليد الثقافة ، والثقافة لاتتقيد بمعرفة الكتابة والقراءة فما دام الشاعر يمارس الحياة مفتوح القلب والذهن ، ويتلقف هموم عصره ، ويقرأ الطبيعة وهى كتاب مفتوح ـ ويروى للشعراء الذين سبقوه ، فلابد أن يحصل على معارف تعينه على قرض الشعر واجادته ، وفى مقدمة ذلك التشبيه ، والشاعر لايتخذه للشرح والتحليل وتوصيل الحقائق

الى الأذهان ، وانما يقوله لنقل شعوره الى سامعيه وهو مذهب العقاد فيما بعد، فقد جلاه حين تعرض لشعر شوقى فى رثاء محمد فريد ، فوضع التشبيه موضعه فى مسيرة الأداء والتأثير • قال يخاطب شوقى : « اعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصى أشكالها وألوانها ، وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشىء ماذا يشبه ، وانما مزيته أن يقول ما هو ، ويكشف لك عن لبابه ، وصلة الحياة به ، وليس هم الناس من القصيد أن يتسابقوا فى أشواط السمع والبصر ، وانما همهم أن يتعاطفوا ، ويودع أحسهم وأطبعهم فى نفس اخوانه زبدة ما رآه وسمعه ، وخلاصة ما استطابه أو كرهه ، واذا كان كدك من التشبيه أن تذكر شيئا أحمر ، ثم تذكر شيئين أو أشياء مثله فى الاحمرار فما زدت على أن ذكرت أربعة أو خمسة أشياء حمراء بدل شىء واحد، ولكن التشبيه أن تطبع فى وجدان سامعك وفكره صورة واضحة مما انطبع فى ذات نفسك ••• » ثم يقول: « وصفوة القول أن المحك الذى لا يخطىء فى نقد الشعر هو ارجاعه الى مصدره ، فان كان لا يرجع الى مصدر أعمق من الحواس فذلك شعر القشور والطلاء ، وان كنت تلمح وراء الحواس شعورا حيا ووجدانا تعود اليه المحسوسات كما تعود الأغذية الى الدم ، ونفحات الزهر الى عنصر العطر فذلك شعر الطبع القوى والحقيقة الجوهرية » ولقد راق هذا الرأى مؤلفى كتب النقد والبلاغة والأدب للمرحلة الثانوية فلم يخل كتاب منه • وانما ذكرته هنا لأبين مدى تطور مفهوم التشبيه عند العقاد من (خلاصته اليومية) الى (الديوان) •

ويتعرض العقاد فى خلاصته اليومية لشاعر النيل محمد حافظ ابراهيم فيخزه وخزا أليما • وان بدا لأول وهلة مسا رحيما مع أنه فى كتاب (شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى) جعله وسطا فى كل شىء • وسطا بين شاعر القرون الوسطى وشاعر القرن العشرين ، أو بعبارة أخرى بين شاعر المجالس المؤنس بحديثه الفكه ، وشاعر المطبعة الذى يخاطب قراءه من وراء الصحف المطبوعة ، ووسطا بين شاعر الحرية القومية وشاعر الحرية الشخصية ، أما الحرية القومية فتتجلى فى كلامه عن اللغة الفصحى وعن السفور

والحجاب وعن فاجعة دنشواى وعن أزمات المال والسياسة وعن مضاربات الأغنياء فى سوق القطن وأضرار الشركات بالبلاد . وأما الحرية الشخصية فتتجلى فى شكواه وهزله وخمرياته ومساجلاته وما يبدو خلال قصائده الاجتماعية من ميول نفسه وخلجات طبعه . ووسطا بين المطلعين على الآداب العربية وحدها ، والمتوسعين فى قراءة الآداب الأوربية . ووسطا بين مبالغة الأقدمين وقصد المحدثين ولا سيما فى المديح . وهو نقد مبنى على دراسة متأنية واستقصاء لما جال فيه حافظ من مجالات ، ولكنه فى الخلاصة يرميه بالجهل والحرمان من ثمرات الفنون فيقول : « يعجبنى من حافظ جلاله فى شعره ... وان كنت أعتقد أن الجلال الظاهر لا يتطلب من شعرائه سموا فى المشاعر أو أفضليته لها على شعراء الجمال ، فعندى أن ادراك الجمال ينبغى له تهذيب فى النفس ، ودقة فى الذوق لا تكتسبان الا مع العلم ، ومعاينة ثمرات الفنون ، وذلك الى استقامة الفطرة وسلامة الذوق » ومفاد ذلك ــ كما هو ظاهر ــ أن حافظا شاعر ألفاظ وجلجلة يروع ولا يمتع ، فليس له عالم الجمال الذى لا يدخله الا من حمل العلم والفن ، وهى نظرة تتصادم مع نظرته فى كتاب (شعراء مصر) فقد جعله وسطا فى كل شىء كما قدمنا ، أما فى الخلاصة فقد جرده من الشاعرية الممتعة الداعية الى التأمل (١) والاستغراق ، وهو لا يكتفى برأيه هو ، بل يؤيده برأى غيره من النقاد ، فيقول : « شعر حافظ كما قال فيه الدكتور شميل ــ ولم يرد أن يطريه ــ كالبنيان المرصوص متين لا تجد فيه متهدما ، فهو يعتمد على متانة التركيب وجودة الأسلوب أكثر مما يعتمد على الابتداع أو الخيال » وخلاصة (الخلاصة) أن الشعر عند العقاد فن يقتضى من الشاعر وسائل كثيرة من العلوم والفنون والآداب مع الموهبة الملهمة ، والذوق السليم ، وفهم مهمة الشاعر فى العصر الحديث ، فليس الشعر للايناس والمنادمة

---

(١) كان من هنا نظرية « الشعر المهموس » للدكتور مندور .

ولا حديثا عن الحياة اليومية ، وانما هو صورة الكون والحياة كما يعانيهما الشاعر الموهوب الذى يحسن وضع الكلمة .

لقد كان العقاد مجددا من يوم أن أمسك بالقلم الى أن فارقه متشبثا به مرغما على فراقه .

يا ليت (١) كل مجدد
فى هذه الدنيا يجدد

ولكن لا سبيل الى ما نتمنى ، فليكن لنا من آثار قلمه ذكرى وتجديد ؟

السيد حسن قرون

اشتهر أبو علقمة اللغوى النحوى بكنيته حتى جهل اسمه ، كما اشتهر بالتقعر فى كلامه واستعماله غريب الألفاظ حتى عدت أحاديثه من النوادر التى يتفكه بها ، ونقلها الكثيرون فى كتب اللغة ، ونحن نختار منها أقلها غرابة فى اللفظ .

قال أبو علقمة لغلام له : خذ من غريمنا (يعنى مدينا له) هذا كفيلا ، ومن الكفيل أمينا ،ومن الأمين زعيما ، ومن الزعيم غريما ، فقال الغلام للغريم : مولاى كثير الكلام فمعك شىء ؟ فأرضاه ، فخلاه الغلام ، فلما انصرف قال أبو علقمة : يا غلام مافعل غريمنا ؟ فقال : سقع ، قال : ويلك ما سقع ؟ قال : بقع ، قال : ويلك ما بقع ؟ قال : استقلع ، قال : ويلك ما استقلع ؟ فقال انقلع . قال : ويلك لم طولت على ؟؟ قال : منك تعلمت .

وقال يوما لغلامه : أصقعت العتاريف ؟؟ فقال الغلام : زقفيلم . فقال أبو علقمة : وما زقفيلم ؟ فقال الغلام : وما معنى صقعت العتاريف ؟ قال : قلت لك أصاحت الديوك ؟ فقال الغلام : وأنا قلت لك لم يصح منها شىء ؟

(من معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ١٢ ص ٢٠٥) .

---

(١) من شعر محمود عماد فى العقاد لما بلغ السبعين .

من أعلام القضاء فى الإسلام :

بكار بن قتيبة

١٨٢ - ٢٧٠ هـ

للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى

المحتسب الصابر التقى الورع العالم المحدث الثقة الفقيه القاضى بكار بن قتيبة بن عبدالله بن أسد بن أبى بردعة ينتهى نسبه الى أبى بكرة الثقفى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم القاضى البصرى الحنفى أبو بكرة ولد بالبصرة سنة ١٨٢ هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٢٧٠هـ عن عمر ناهز السابعة والثمانين قال فى النجوم الزاهرة : هو أحد الأئمة الأعلام ،كان عالما فقيها محدثا صالحا ورعا عفيفا ثقة مات وهو أعلم أهل زمانه بالديار المصرية •

ولاه المتوكل قضاء مصر فى جمادى الآخرة سنة ٢٤٦ هـ فحل بها يوم الجمعة لثمان خلون من الشهر •

وكان بكار يذهب الى رأى أبى حنيفة ، تعلم الشروط بالبصرة من هلال بن يحيى الرامى (١) وسمع الحديث من أبى داود الطيالسى وأقرانه (٢) • وكان بكار معجبا بأبى ابراهيم المزنى صاحب الشافعى ويحب أن يسمع كلامه وينصت لحجاجه ، فقد روى ابن زدلاق أن بكارا اجتمع والمزنى يوما فى جنازة ، فأشار بكار الى أبى جعفر التل أن يسأل المزنى عن مسألة ، فقال التل موجها حديثه الى المزنى : ما رأيت أعجب من أصحابنا الشافعيين ، لهم أحاديث فى تحريم قليل النبيذ ، ولنا أحاديث فى تحليله •

فمن جعلهم أولى بأحاديثهم منا بأحاديثنا ؟

---

(١) القضاة والولاة ص ١٤٩

(٢) العبر فى أخبار من غبر جـ ٢ ص ٤٤ تحقيق المرحوم فؤاد السيد.

فقال المزنى : ليس يخلو أن تكون أحاديثكم قبل أحاديثنا أو بعدها ، فان كانت قبلها فهكذا نقول ، انهـا كانت محللة ثم حـرمت فمـا نحتـاج الى أحاديثكم ، وان كانت أحاديثكم بعد أحاديثنا فهذا لا يقوله أحد ، لأنهـا كانت حلالا ثم صـارت محرمة ثم حللت . فقال فيه بكار : سبحان الله! ان يكن كلام أدق من الشعر فهذا (١).

وكان القاضى بكار متحريا للعـدل عفيفا جميل الطريقة محمود السـيرة ورعا مستشعرا المسئولية الملقـاة على عاتقه ، وما يترتب على قضائه من نيل الحقوق أو ضياعها ولذلك كان شديد التحرى والمحاسبة لمـا يقول ويفعل ، وكان اذا فرغ من الحكم خلا بنفسه واستعرض وقائع القضايا التى حـكم فيهـا وما حكم به ثم يأخذه البـكاء ويخاطب نفسه قائلا : يابكار تقـدم اليك رجلان فى كذا ، وتقـدم اليك خصـمان بكذا ، وحكمت بكذا ، فما يكون جوابك غدا (٢) » .

وكن اذا تقـدم اليـه الخصـوم وأرادوا اليمين يتلـو عليهم قول الله تعالى : « ان الذين يشترون بعهـد الله وأيمانهم ثمنا قليـلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخـرة ولا يكلمهـم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم (٣) » .

وكان يدقق كثيرا فى أمر الشهود ولايسمح لصلات القربى أو الصداقة والمودة أن يكون لها مجال عند تقديره لعدالة الشهود وجرحهم ، فيروى ابن أخيـه أنه قدم على عمـه من البصرة رجل له علم ونسك وزهادة ، فأكرمه وأدناه وقربه ، وذكر صحبته له فى المكتب ، ثم انقضت فتـرة من الزمن جاء بعدها الرجل للشهادة فى احدى القضايا ومعـه شـاهد آخر ، وكانت دهشة ابن أخى بكار بالغة حينما رآه يرد شـهادة صـديقه ويقبل شـهادة الرجل الآخر ، فأقبل عليه يسـأله : هذا رجل زاهد وأنت تعرفه ؟ فقـال بكار : يا ابن أخى ، مارددت شهادته،

(١) النجوم الزاهدة الهامش جـ ٣ ص ٣٩

(٢) ابن خلكان جـ ٣ ص ٦٥ نشر الرفاعى .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٧٧

الا أنه كنا صغارا ، وكنا على مائدة عليها أرز وفيها حلو ، فنقبت الأرز بأصبعى ، فقال : « أخرقتها لتغرق أهلها » . فقلت له : أتهزأ بكتاب الله على الطعام ؟ ثم أمسكت عن كلامه مدة ، وما أقدر على قبول قوله ، وأنا أذكر ذلك منه (١) » .

حكى جار لبكار اسمه أحمد بن سهل الهروى قال : كنت لا ألازم غريما لى الا بعد صلاة العشاء الآخرة ، وكنت ساكنا فى جوار بكار بن قتيبة ، فانصرفت ليلة الى منزلى فسمعت بكارا يقرأ : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢) » . فوقفت وقوفا طويلا وأنا أسمعه يكررها ، ثم انصرفت فقمت فى السحر على أن أصير الى منزل الغريم فاذا بكار يقرأ الآية ، ويرددها ويبكى ، فعلمت أنه قضى ليله بقراءتها .

وكان بكار بن قتيبة من البكائين التالين لكتاب الله وكان كثيرا مايردد:

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها
لعيبنى فى نفسىعن الناس شاغل(٣)

وكان الى جانب قيامه بالقضاء يعقد مجلسا يحدث الناس فيه بالمسجد ، وكان ابن طولون يعظمه ويعرف قدره ، ويذهب الى حلقته فى المسجد يسمع منه وهو يملى الحديث ومجلسه مملوء بالناس ، ويتقدم الحاجب قائلا لا يتغير أحد من مكانه ، فما يشعر القاضى بكار الا وابن طولون الى جانبه ، فيقول له : أيها الأمير ، ألا تركتنى حتى كنت أقضى حقك ، وأؤدى واجبك أحسن الله جزاءك وتولى مكافأتك (٤) » .

وظل الأمر بين القاضى بكار والأمير أحمد بن طولون يجرى على خير ما يكون من الاجلال والاحترام والمودة والتقدير وكان ابن طولون يجرى عليه مرتبه مضيفا اليه ألف دينار يقدمها له فى كيس كل عام

---

(١) ابن خلكان جـ ٣ ص ٦٦
(٢) سورة ص ، آية رقم ٢٦
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر جـ ٣ ص ٢٨٢
(٤) النجوم الزاهدة جـ ٣ ص ١٩

حتى فسد الأمر بين المعتمد وأخيه الموفق وانحاز ابن طولون الى جانب المعتمد وكان الموفق هو رجل الدولة الفعلى وطلب ابن طولون من العلماء أن يفتوا بخلع الموفق من ولاية العهد، ولكن القاضى بكار بن قتيبه امتنع عن ذلك ، فحاول معه مرات فلم يجد منه استعدادا للاستجابة لرغبته فبدأ الأمر يفسد بينهما •

وهناك روايتان • تقول احداهما ان ابن طولون طلب من القاضى بكار أن يلعن الموفق فتوقف فى ذلك فغضب ابن طولون فلما تبين ذلك بكار من ابن طولون ، وظهرت له موجدته عليه قال له : ألا لعنة الله على الظالمين « فقيل لابن طولون انه انما قصدك بهذا » هذه رواية كتاب القضاة (١) ، أما غيره فيقول : ان ابن طولون جمع القضاة والفقهاء والأشراف وسيرهم الى دمشق فاجتمعوا بها ، وخلع الموفق ، وأن الفقهاء أفتوا بخلعه الا بكار بن قتيبة ، فانه قال له : أنت أوردت على كتابا من المعتمد أن الموفق ولى عهده • فأورد على كتابا منه بخلعه •

فقال ابن طولون : هو الآن مقهور مغلوب ، وأنا أحبسك حتى يرد كتابه بالخلع (٢) •

وسواء كان السبب الرواية الأولى أو الثانية فان ابن طولون أمر بحبس بكار فى دار أعدها له، وطلب إليه أن يعيد الجوائز التى قدمها له خلال السنوات الماضية ظنا منه أنه تصرف فيها وأراد أن يعجزه بردها ولكن بكارا كان يحتفظ بها مختومة كما تسلمها ولذلك كان رده أنها كما تسلمها فى داره وأن ابن طولون يستطيع أن يستعيدها وكان عددها ثمانية عشر كيسا أو ستة عشر فى كل منها ألف دينار ، فاستحيا ابن طولون من استرداد الأكياس ، ولكن ذلك لم يصرفه عن استمرار اعتقال بكار وطلب اليه أن يسلم القضاء الى محمد ابن شاذان الجوهرى ، فكان يتصرف فى القضاء طوال اعتقال بكار كنائب عنه (٣) •

---

(١) القضاة الذين ولوا مصر ص ١٤٩
(٢) ابن خلكان جـ ٣ ص ٦٣
(٣) ابن خلكان ، والنجوم الزاهرة ، وتهذيب تاريخ دمشق .

وكان بكار يتهيأ لصلاة الجمعة كل يوم جمعة فيغتسل عند حلول الوقت ثم يلبس أحسن ثيابه ثم يخرج الى السجان ، فيقول له السجان : الى أين تريد ؟

فيقول بكار : أريد صلاة الجمعة ، فيقول له السجان : لا سبيل الى ذلك فيرجع بكار ويقول : الله المستعان (١)

ولما سجن بكار انقطع مجلس الحديث فضج أصحاب الحديث وشكوا الى ابن طولون انقطاع اسماع الحديث من بكار ، وسألوه أن يأذن لهم فى تلقى الحديث عنه فاستجاب ، وكان بكار يحدث من داخل سجنه من طاق فيه والناس فى الخارج يتلقون عنه ، فيالها من صورة رائعة تجبر الحكام على الخضوع لسلطان العلم والتطامن أمام عظمته وكم شهد تاريخ المسلمين من عظماء أملوا كتبهم من داخل جدران السجون فلم يمنع ذلك طلاب المعرفة أن يسعوا اليهم ويأخذوا عنهم ، وحسبنا أن تعلم فى هذا المقام أن السرفسى أملى كتابه المبسوط على تلاميذه من خلف أسوار السجن فهى وان منعت اتصال الأجسام فلم تمنع نور المعرفة أن ينفذ من خلال جدرانها السميكة فيضىء عقول الطلاب ويهدى قلوبهم .

وقد ظل بكار فى سجنه حتى اعتل ابن طولون ودنا منه الموت فبعث الى بكار يعرض عليه أن يعيده الى أحسن مما كان عليه من المنزلة والجاه والسلطان ، فما كان من بكار الا أن رد عليه رد العالم الوقور الجلد الصبور المؤمن الواثق فى عدل الله سبحانه وكان هذا الرد الذى عبرت عنه كلمات بكار أشد هولا على نفس ابن طولون من كل الشدائد ، فقد قال للرسول الذى جاءه : قل له : شيخ فان ، وعليل مدنف ، والملتقى عن قريب بين يدى الله ، والقاضى الله عز وجل ، فأبلغ الرسول ذلك ابن طولون ، فأطرق ساعة ، ثم أقبل يقول : شيخ فان وعليل مدنف

---

(١) القضاة ص ١٥٠

والملتقى قريب والقاضى الله ، وكرر ذلك الى أن غشى عليه (١) ٠

وفضل بكار بعد موت ابن طولون أن يبقى بالدار التى حبس بها قائلا انه ألفها وتعهد بدفع ايجارها ثم توفى فى نفس العام بعد أربعين يوما من وفاة ابن طولون عن ٨٧ سنة فرحمه الله وأكرم مثواه ؟

د٠ محمد ابراهيم الجيوشي

خلع السلطان نور الدين محمود ابن زنكى على الحسن بن صافى النحوى الملقب بملك النحاة ، خلعة ثمينة ، ونزل الحسن يقصد داره ٠ فوجد فى الطريق جمعا حول رجل معه تيس ٠ ويقول الرجل انه علم التيس استخراج الخبايا ومعرفة ما يقول له من غير اشارة ، فلما وقف عليه ملك النحاة قال الرجل لذلك التيس : فى حلقتى رجل عظيم القدر، شائع الذكر ، ملك فى زى سوقة ، أعلم الناس وأكرم الناس وأجمل الناس ، فأرنى اياه ، فشق ذلك التيس الحلقة وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة ، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلقة ووهبها لصاحب التيس ٠

وبلغ الأمر نور الدين فعاتب ملك النحاة أن استخف بخلعته ووهبها لسوقى ٠ فاعتذر قائلا : يامولاى ، عذرى فى ذلك واضح ، لأن فى هذه المدينة زيادة عن مائة ألف تيس مافيهم من عرف قدرى الا هذا التيس ، فجازيته على ذلك ، فضحك منه نور الدين وسكت ؟

(من معجم الأدباء ج ٧ ص ١٢٥)

---

(١) النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٨

هل فى القرآن حروف زائدة ؟

للدكتور على العمارى

— ٣ —

١١ — الواو فى قوله تعالى : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (١) .

وفى قوله سبحانه : « ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به (٢) .

وفى قوله تعالى : « فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا » (٣)

وفى قوله تعالى : « فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا » (٤)

وممن قال بزيادة (واو النسق) ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن) ومثل ببعض هذه الآيات ، ونقله الطبرى عن بعض نحاة البصرة ، وذكر صاحب المغنى أن زيادة الواو مذهب الكوفيين والأخفش ، وجماعة .

ولكن جرى جمع من المفسرين على أنها غير زائدة فى بعض هذه الآيات التى ذكرت .

ونحن نود بكل ما فى قلوبنا من ايمان ، وبكل ما ندرك من البلاغة العالية فى القرآن الكريم أن نجد وجها للحكم على حرف من القرآن الكريم بالأصالة ، ورفض القول بزيادته لفائدة كما عليه (أكثر أهل العلم) ،ولكننا نرى أن التكلف يفسد أكثر مما يصلح ، وأن القول بالزيادة مع توضيح الفائدة منها أولى من الابعاد فى التأويلات مما يغمض فهم المعانى ، أو مما يجعلها غير مستساغة .

---

(١) الزمر آية ٧١

(٢) آل عمران آية ٩١

(٣) الصافات آية ١٠٣ — ١٠٥

(٤) سورة يوسف آية ١٥

والزيادة وردت فى كلام العرب ، والقرآن جاء بلغتهم ، ونهج نهج أساليبهم فلا ضير أن تكون فيه حروف مزيدة لتأكيد المعنى ، أو حتى لتحسين اللفظ - كما يرى بعض العلماء - .

فقالوا فى آية الزمر ان جواب (اذا) محذوف ، والتقدير : (حتى اذا فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) دخلوها .

ومن هؤلاء الزمخشرى ، ونص عبارته : (حتى - هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية ، الا أن جزاءها محذوف ، وانما حذف لأنه فى صفة ثواب أهل الجنة ،فدل بحذفه على أنه شىء لا يحيط به الوصف ، وحق موقعه ما بعد خالدين ، وقيل : (حتى اذا جاءوها جاءوها وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها) .

فالزمخشرى لم يقدر جواب الشرط ، ولكنه تركه مبهما لما تركته الآية لأنه (شىء لا يحيط به الوصف) هذا فى الجواب الأول ، أما فى الثانى فقد قدره (جاءوها) .

والضعف واضح فى هذا التقدير الثانى .

وتبع الفخر الرازى وأبو السعود الزمخشرى فى الجواب الأول ، الا أن الفخر جوز أيضا أن تكون الواو فى (وفتحت) واو الحال ، كما جوز أن تكون الواو فى (وقال لهم خزنتها) زائدة ، وهذه الجملة هى جواب (اذا) .

وأيد الطبرى (النحاة) فى القول بزيادة الواو فى قوله تعالى : (وناديناه أن يا ابراهيم) وجعل هذه الجملة هى جواب (لما) .

وذهب جماعة من المفسرين فى آية (يوسف) منهم الزمخشرى والرازى مذهبهم فى آية الزمر ، أى أن جواب (لما) فيها محذوف تقديره : فعلوا به من الأذى ما فعلوا .

أما آية (آل عمران) . (ولو افتدى به) ، فقد كفانا مئونة البحث عما قيل فيها فضيلة الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق فى بحث عنوانه : (درء مظاهر من الجرأة فى تفسير الكتاب العزيز) الذى نشرته مجلة الأزهر ابتداء من

عدد شوال سنة ١٣٨٦ هـ الى عدد ربيع الأول ١٣٨٨ هـ وهو بحث جيد، وان كانت لنا عليه بعض ملاحظات •

وقد خص (الواو) التى قيل انها زائدة ببحث ضاف نشر فى ثلاثة أعداد وفيه ذكر ما قاله جمهرة المفسرين فى آية آل عمران ، وقد ناقش هذه الأقوال مناقشة علمية واعية ، وخلص الى ترجيح رأى من الآراء التى ذكرها يخرج الآية الكريمة على أصالة الواو ، بعد أن أبطل كل قول بزيادتها •

نقل عن الفخر الرازى ثلاثة وجوه فى تفسير الآية على أن الواو أصلية ، الثالث منها ، وهو وجه خطر ببال الفخر كما يقول ان سبحانه لا يقبل من الكفار ملء الأرض ذهبا ، ولو كان واقعا على سبيل الفدية تنبيها على أنه لما لم يكن مقبولا بهذا الطريق فبأن لا يكون مقبولا منه بسائر الطرق أولى •

وقد فهم الشيخ أن الفخر يجعل الواو عاطفة ما بعدها على شرط مقدر هو نقيض ذلك المذكور بعدها ، وأولى منه بالحكم المصرح به ، فيكون تقدير الآية أن الكفار الذى ماتوا على الكفر لن يقبل من أحد منهم ملء الأرض ذهبا لو لم يجعله فدية له من العذاب ، بل لو جعله فدية •

وفسر الشيخ عبارة (لو لم يجعله فدية) بأن يكون قد تصدق به ، أو قدمه قربة ، أو وجهه فىأى وجهة من الوجوه غير مريد به الافتداء من العذاب •

والمراد طبعا تقديمه صدقة أو قربة فى الآخرة ، بدليل الآية الأخرى : « ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم (١) •

وبدليل قوله تعالى : « ولو أن للذين ظلموا ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة » (٢) •

فالكفار انما يتطلعون الى تقديم أموالهم يوم القيامة حين يرون العذاب ومن هنا قال ابن جرير فى تفسير آية آل عمران (ولو افتدى به) : (فلن

---

(١) سورة المائدة آية ٣٦

(٢) سورة الزمر آية ٤٧

يقبل ممن كان بهذه الصفة فى الآخرة جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره ، ولا جعل على العفو عنه) .

فالتقديم انما يكون فى الآخرة فاهذه واحدة .

الثانية أن الشيخ تاج ، وهو يمهد لهذا البحث قال ان المقابل المسكوت عنه أولى بالحكم المصرح مع المنطوق من هذا المنطوق نفسه ، وأعاد هذا المعنى نفسه عندما تحدث عن الآية التى معنا حيث قال : (مع ملاحظة أن أحد الطرفين منطوق والآخر مسكوت عنه ثابت له الحكم بالطريق الأولى).

ثم قال فى آخر عبارته التى نقلناها : (فاذا كان لا يقبل منه ملء الأرض ذهبا لو أراد الافتداء به كما صرحت الآية فأولى ألا يقبل منه فى غير ذلك من الوجوه) .

فاذا دققنا النظر وجدنا أن الأمر على خلاف ذلك ، فانه لو كان قدمه صدقة ، أو فى أية قربة ربما كان جديرا بأن يقبل منه ، ذلك أن الحكم المصرح به فى هذه الآية هو (عدم القبول) وليست الصدقة مثلا أولى بهذا الحكم من الفدية ، ولو قيل فاذا لم يقبل منه حين يقدمه صدقة فأولى ألا يقبل منه حين يقدمه فدية ، لأن الفدية أقل عند الله تعالى من الصدقة .

ثم كيف يقدمه يوم القيامة صدقة ، أو قربة ، هل يتصور أن يفعل ذلك هناك ، أو هو مجرد افتراض .

ان الشيخ مشكور أن يبذل أقصى الطاقة ليبعد عن حرف واحد من القرآن شبح الزيادة ، ولكن لابد أن يكون التخريج سليما ، والا وقعنا فيما فررنا منه .

فتخريج هذا الحرف على الزيادة ليس له وجه واضح، وتخريجه على الأصالة ليس له وجه سليم ، فلم يبق الا أن نذكر هنا بكلمة الفخر الرازى التى كتبها ، وهو يفسر قوله تعالى : « ولما أن جاءت رسلنا لوطا » من سورة العنكبوت ، قال الرازى : (ما من حرف ولا حركة فى القرآن الا وفيه فائدة ، ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى أكثرها ، وما أوتى البشر من العلم الا قليلا) .

١٢ ـ من فى قوله تعالى : « ولقد جاءك من نبأى المرسلين (١) وفى قوله

(١) الأنعام آية ٣٤

سبحانه : « ما أريد منهم من رزق » (١) وفى قوله عز قائلا : « وما تسقط من ورقة الا يعلمها » (٢) وقوله عز وجل : « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » (٣) وفى قوله العلى القدير : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله » (٤) .

وقال أبو البقاء فى قوله تعالى : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (٥) من زائدة ، وشىء فى موضع المصدر .

الى آيات آخر حكم فيها بزيادة (من) .

أما الآية الأولى فقد جعل الزمخشرى (من) فيها بمعنى بعض ، وقال : (بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين) . فهى - عنده - أصلية . وكذلك فعل أبو السعود ولكن كان أصرح من الزمخشرى حيث قال : (والجار والمجرور فى محل الرفع على أنه فاعل ، أما باعتبار مضمونه أى بعض نبأ المرسلين ، أو بتقدير الموصوف أى بعض من نبأ المرسلين) .

ورويت الزيادة فى هذه الآية عن الأخفش ، ونظرها بقولهم : أصابنا من مطر ، أى أصابنا مطر . ولكن يبدو أن المفسرين لم يأخذوا بهذا الرأى - وهم يوافقون (سيبويه) الذى لا يجيز زيادة (من) فى الاثبات .

وسكت الزمخشرى عن (من) فى الآية الثانية ، وكذلك فعل أبو السعود والنسفى لأنهما يترسمان كثيرا خطى الزمخشرى ، ويمكن أن نستنتج من صنيع كل هؤلاء أن (من) زائدة ، ولكنهم لم يروا أن يصرحوا بهذا الرأى .

وفى الآية الثالثة يشير صنيع الزمخشرى الى أن (من) زائدة ، وذلك حيث يقول : (وقرىء ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع ، وفيه وجهان : أن يكون عطفا على محل (من ورقة) ، وأن يكون رفعا على الابتداء وخبره الا فى كتاب مبين) . وكذلك فعل أبو السعود ، أما النسفى فقد قال : (من للاستغراق) ويفهم

---

(١) الداريات آية ٥٧
(٢) الأنعام آية ٥٩
(٣) الملك آيه ٣
(٤) المؤمنون آية ٦١
(٥) الأنعام آية ٣٨

من هـذا أنهـا زائدة ، وقد ذكر ابن هشام هذا حين قال فى بيـان أوجه (من) (الرابع عشر التنصيص على العمـوم ، وهى الزائدة فى نحـو : ما جاءنى من رجل ، فانه قبل دخولها يحتمل نفس الجنس ، ونفى الوحدة ، ولهذا يصح أن يقـال : بل رجلان ، ويمتنع ذلك بعد دخول (من) .

وصرح رشيد رضا فى المنار باسقاط (من) ، فقـال : (أى وما تسـقط ورقة) ويبدو أنه ليس هنا وجه للقول بأصالة من فى هذه الآية .

وفى الآية الرابعة ، وقـد دخلت (من) على ما هو مفعول فى الحقيقة . وقـد سـكت كثير مـن المفسرين عنها : الزمخشرى والفخر الـرازى وأبو السعود والنسفى والخازن . كل أولئك سكتوا ولم يشيروا أية اشارة الى (من) فى قولـه سـبحانه (من تفاوت) و (من فطور) .

وقد ذكر ابن هشام فى المغنى أن (من) تزاد فى المنصـوب وفى المرفـوع وذكر أن لزيادتهـا ثلاثـة شروط . أولها : تقـدم نفى أو نهى أو استفهام ، ومثل مع هذا الشرط بهذه الآية الكريمة من سورة تبارك ، والثانى : تنكير مجرورها ، والثالث : كونه فاعلا ، أو مفعولا به أو مبتدأ(١) . وهذه الشروط الثلاثة متوفرة فى هذه الآية الكريمة .

١٣ ـ ما فى قوله تعـالى : « فبما رحمـة من الله لنت لهم (٢) وقوله سبحانه « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله .. » (٣) وقوله جل شأنه: « ممـا خطيـآتهم أغروقوا فأدخلـوا نارا » (٤) .

وذكر ابن قتيبه أن (ما) قد تزاد كقـوله : « عمـا قليـل ليصبحن نادمين » (٥) و « أيا ما تدعـو فله الأسـماء الحسنى » (٦) . (تأومل مشكل القرآن ص ١٩٦) .

وأورد ابن هشام فى المدنى قولـه تعالى : « ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » ونقل عن

(١) المغنى جـ ٢ ص ١٦
(٢) آل عمران آية ١٥٩
(٣) النساء آية ١٥٥
(٤) نوح آية ٢٥
(٥) المؤمنون آية ٤٠
(٦) الاسراء آية ١١٠

الزجاج قوله :(ما حرف زائد للتوكيد عند جميع البصريين ويؤيده سقوطها في قراءة ابن مسعود ،

وذكر لما هذه عدة تخريجات .

قيل (ما) اسم نكرة صفة لمثلا ، أو بدل منه ، وبعوضة عطف بيان على ما والأكثرون على أن ما (ما) موصولة أى الذى هو بعوضه .

واختار الزمخشرى كون (ما) استفهامية ، مبتدأ وبعوضة خبرها ، والمعنى : أى شيء البعوضة فما فوقها في الحقارة . هكذا ذكر ابن هشام في المغنى .

غير أن الزمخشرى اختار هذا الوجه اذا كانت بعوضة مرفوعة ، أما على قراءة النصب فيرى الزمخشرى أن (ما) هذه ابهامية ، قال : وهى التى اذا اقترنت باسم نكرة أبهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما ، وكقولك : اعطنى كتابا ما تريد أى كتاب كان . أو صلة للتأكيد كالتى فى قوله : فبما نقضهم ميثاقهم ، كأنه قيل : لا يستحيى أن يضرب مثلا حقا ، أو ألبته . هذا اذا نصبت .

وكأن الزمخشرى يرى أن ما الابهامية ليست زائدة بدليل عطف كلمة (صلة) عليها ، وهكذا فهم أبو السعود ، فقال : وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا .. كأنه قيل : مثلا ما من الأمثال أى مثل كان فهى صفة لما قبلها .

لكن صاحب (الانتصاف) ناصر الدين بن المنير ، صاحب التعليق على الكشاف يرى أنها حرفية زيدت لغرض الابهام والعموم .

فيلخص أن (ما) فى قراءة نصب بعوضة حرفية مزيدة .

وقد سبق قول الزمخشرى أن (ما) فى (فبما نقضهم ميثاقهم) مزيدة للتوكيد واعترف الرازى بزيادة (ما) فى (فبما نقضهم ميثاقهم) مزيدة (مما) خطيئاتهم) ما صلة ، كقوله « فيما نقضهم » . « فبما رحمة » ،

والمعنى : من خطاياهم أى من أجلها وبسببها) .

وذكر الزمخشرى فى (أيا ما تدعو) أن (ما) صلة للابهام المؤكد لما فى أى ، فصرح هنا بأن (ما) الابهامية صلة ، وهى لاتكون صلة حتى تكون حرفا .

وكذلك عاد أبو السعود هنا وذكر أنها (مزيدة لتأكيد ما فى أى من الابهام) .

وذكر ابن هشام أن (ما) تزاد بعد أداة الشرط جازمة كانت نحو: « أينما تكونوا يدرككم الموت » (١) . « واما تخافن » (٢) أو غير جازمة نحو : « حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم » (٣) .

د . على العمارى

ادعى بعضهم بدين على أحمد بن محمد بن عبد الله بن هارون العسكرى النحوى ، (توفى بعد سنة ٣٦٩ هـ - ٩٧٩ م) ، واختصما عند أحد القضاة ، فقال المدعى عليه : ما له عندى حق ، فقال القاضى : من هذا ؟ فقالوا: ابن هارون النحوى العسكرى .

فقال القاضى : فاعطه ما أقررت له به ، وهذا اعتماد على ما يذكره النحاة أن (ما) فى هذه الحالة ليست نافية ، ولكن بمعنى (الذى) ، فيكون جواب ابن هارون : الذى له عندى حق .

(من معجم الأدباء لياقوت جـ ٤ ص ٢٣١)

---

(١) النساء آية ٧٨
(٢) الأنفال آية ٥٨
(٣) فصلت آية ٢٠

دفع شبهات حول أحاديث صحيحة

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

أولا ـ رهن درعه صلى الله عليه وسلم عند يهودى :

يثير بعض ذوى المقاصد الحسنة من ضيقى الأفق وقليلى البضاعة من علوم السنة شكوكا حول هذا الحديث ، كما يثير ذوو المقاصد الملتوية والضمائر الغوية الزوبعة العاصفة على الحديث بدعوى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن فى حاجة الى استجداء القرض من عدوه اليهودى وعنده خيبر وفدك يؤول اليه ريعهما وكذا كل ما يوجف المسلمون عليه من خيل أو ركاب وأنه كان لا يرضى أن يصلى اماما على من مات مدينا فكيف به وقد مات هو مدينا ليهودى على ثلاثين صاعا . ونعود الى الحديث فنقول : أخرج البخارى والنسائى وابن ماجه وأحمد عن أنس قال: « رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعا عند يهودى بالمدينة وأخذ منه شعيرا لأهله » وأخرج الشيخان من حديث عائشة « أنه صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودى الى أجل ورهنه درعا من حديد » وأخرجا عنها بلفظ « أنه صلى الله عليه وسلم توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بثلاثين صاعا من شعير » وأخرج مثله أحمد والنسائى والترمذى وابن ماجه من حديث ابن عباس . وقد أخرجه الشافعى فى الأم من طريق جعفر الصادق عن أبيه « أن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعا له عند أبى الشحم اليهودى رجل من بنى ظفر فى شعير » .

ومن مجموع هذه الطرق يتبين لنا أن اليهودى المرتهن عنده الدرع اسمه أبو الشحم حليف بنى ظفر قبيلة من العرب للقاعدة المعروفة من حمل المجهول على المعلوم . كما يتبين لنا أن الرهن الوارد فى القرآن لا يكون

الا فى سفر لأنه وثيقة بالدين لعدم وجود الكاتب وذلك فى قوله تعالى : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة » وليس فى القرآن ما يدل على مشروعية الرهن فى الحضر • فجاء هذا الحديث وسجل حكم مشروعيته فى الحضر • قال القرطبى فى جامعه : قال جمهور من العلماء الرهن فى السفر بنص القرآن وفى الحضر ثابت بسنه الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا صحيح وقد بينا جوازه فى الحضر من الآية بالمعنى ، اذ قد تترتب الأعذار فى الحضر ، ولم يرو عن أحد منعه فى الحضر سوى مجاهد والضحاك وداود متمسكين بالآية ، ولا حجة فيها ، لأن هذا الكلام وان خرج مخرج الشرط فالمراد به غالب الأحوال • وليس كون الرهن فى الآية فى السفر مما يحظر فى غيره اهـ وقال ابن حزم فى المحلى : ان شرط المرتهن الرهن فى الحضر لم يكن له ذلك ، وان تبرع به الراهن جاز • وحمل الحديث على ذلك •

على أن الذى نستخلصه من هذا الحديث من كمال التشريع وتمام فقه الأحكام ما يجعل هذه الواقعة كانت ضرورية ليتضح من خلالها ما يلى

١ ـ جواز الرهن لأن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه •

٢ ـ جواز الرهن فى الحضر لأن ذلك تم بالمدينة وكان موطن البنى صلى الله عليه وسلم •

٣ ـ جواز معاملة من فى ماله حلال وحرام اذا لم يعلم عين الحلال والحرام ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم عامل اليهودى ، ومعلوم أن اليهود يستحلون ثمن الخمر ويربون •

٤ ـ عدم انفساخ الرهن بموت الراهن لأن النبى صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة •

٥ ـ أن الابراء يصح وأن يقبل المبرأ ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعدل عن معاملة مياسير الصحابة رضى الله عنهم مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما من أثرياء الصحابة الا لأنه كان يعلم أنه لو استقرض منهم أبرأوه • فلو كانت البراءة لا تصح الا بقبول المبرأ لكان لا تقبل البراءة فعدل النبى صلى الله عليه وسلم الى اليهودى الذى يعلم أنه يطالبه بحقه ، ولأنه وثيقة فى السفر

فجازت فى الحضر كالضمان والشهادة .

ومما تقدم يتضح أن خبر الرهن صحيح من حيث الاسناد ، وصحيح من حيث المتن بل ان الأحكام التى يعطيها هذا من الخصوبة الفقهية والمرونة الانسانية التى يوحيها هذا الخبر بالمكان العظيم .

ثانيا ـ الرقيا بفاتحة الكتاب :

واعترض بعض من لاأنس له بالعلم على حديث الرقيا بفاتحة الكتاب الذى أخرجه البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : «انطلق نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شىء لا ينفعه شىء فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعله أن يكون عند بعضهم شىء فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شىء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شىء ؟ فقال بعضهم : نعم والله انى لأرقى ، والله لقد استضفناكم فلم يضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ : الحمد لله رب العالمين فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشى وما به قلبة قال : فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه فقال بعضهم : اقسموا فقال الذى رقى لا تفعلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر له الذى كان فننظر ما يأمرنا فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم اقسموا واضربوا لى سهما معكم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

وقد أنكر هؤلاء الجاحدون أن يكون للفاتحة أى تأثير فى الشفاء وقالوا كلاما نتنزه الصحائف عن نقله أو الاشارة اليه لما يحمل من سخرية وازدراء بالحديث وأهله ونحن لن ندخل لهم الا من طريق المسلمات عندهم وعندنا فنقول :

ان الفاتحة قراءتها من أجل القربات الى الله تعالى ، وان التوسل الى الله تعالى بالأعمال الصالحة أمر مجمع على جوازه بل استحبابه بين المسلمين ، والصورة التى تمت هى قراءة الفاتحة من صحابى وناهيك بالفاتحة من ثنايا

صحابى ، وفى الصحيح القدسى : « قسمت الفاتحة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل » وهو حين يتمثل باليقين الجازم المطابق للواقع أن الله تبارك وتعالى يبادله الفاتحة ويشطرها معه تشطيرا قدسيا علويا ويكون العبد من الشفافية والسمو والاتصال والقرب فانه اذا توسل اليه بهذا العمل الصالح، لاسيما اذا استهدف مع هذا العمل الدعوة الى الله بترك أثر من بركة القرآن فى نفوس هؤلاء لعل الله أن يشرح بعد ذلك صدورهم فيكونوا من أهل الجود بالروح بعد أن بخلوا باللقم،فان الاجابة محققة لقوله تعالى : « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم » وقوله تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعن » وان قراءة الصحابى الكريم الفاتحة متوسلا بها حين كان يمر يده الشريفة على مكان الداء ، انما كانت أنفاسه الطاهرة تصعد الى السماء تصعد البخور من مجامر الطيب أو العطور من نوافح الروض ، وناهيك بطهر رجل يعطى من المال كل ما يشاء فيتعفف عنه ويتورع أن تمتد يده اليه ، لأن المال الذى وضع يده عليه لم يأت ثمرة معاوضة عينيه وانما هى ثمرة دعاء مستجاب ووسيلة وجيهة عند الذى يخلق ويهدى ويسقم ويشفى حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله (وانما شفاء العى السؤال) فما كان من النبى صلى الله عليه وسلم الا أن أجازهم حتى أمرهم بأن يضربوا له سهما معهم لتقر أعينهم وتطمئن نفوسهم .

وقال العلماء : ان موضع الرقية منها انما هو (اياك نعبد واياك نستعين) وقيل : انها كلها رقية لقوله عليه السلام (وما أدراك أنها رقية ؟) ولم يقل (أن فيها رقية)

وان استجلاب الشفاء واستنزال الغيث بالعبادة والدعاء وصلاة الاستسقاء انما هى من الأمور التى لا يزيغ عنها الاهالك نسأل الله حسن العاقبة .

ثالثا ـ تحاجت الجنة والنار حتى يضع الجبار قدمه على النار الخ :

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تحاجت الجنة والنار فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة مالى لايدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم ، قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار : انما أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادى ، ولكل

واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلىء ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة فان الله عز وجل ينشىء لها خلقا » أخرجه البخارى ومسلم ورواه البخارى عن أبى هريرة وروى آخره عن أنس ورواه مسلم من طرق عدة ورواه أيضا عن أبى سعيد وروى آخر عن أنس ، فهو من حيث ثبوته لاينكره أهل العلم والفهم أما الاعتراضات التى ساقها ذلك البعض فهى :

١ - كيف يصف النبى ربه فيجعل له قدما وليس فى القرآن صفة كهذه .

٢ - كيف يخلق الله تعالى النار أوسع مما هو مطلوب وهو القائل (انا كل شىء خلقناه بقدر) .

٣ - أيخلق الجنة خالية فى بعض أركانها ؟ ويرد عليها ما يرد على خلق النار ؟

فنقول : ليس هناك فرق بين ماأثبته القرآن من اليد والعين وما أثبتته السنة من الأصبع والقدم كلها ألفاظ نفوض أمرها وننزه الله تعالى عن مسمياتها بالنسبة للمخلوقات ، فنحن نؤمن بها كما جاءت فان قلنا من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل فهو مذهب السلف ، وان ذهبنا الى تفسير التنزيه بالتأويل فهو مذهب الخلف (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) ونحب أن نهمس فى أذن أولئك الذين يدعون أنهم أعداء التأويل وأنهم يدينون بمذهب السلف : أليس فى صرف اللفظ عن ظاهره نوع من التأويل ؟ فلم يعادى بعضنا بعضا من أجل خلافات لفظية ؟ . وقال العلامة القسطلانى فى شرحه على البخارى : (القدم والرجل فى هذا الحديث صفات الله تعالى المنزهة عن التكييف والتشبيه ،فالايمان بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب فالمهتدى من سلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زائغ والمنكر معطل والمكيف مشبه (ليس كمثله شىء) .

ثم تنزوىالنار وتجتمع وتلتقى على من فيها ولا يخلق لها خلقا لأنه تبارك وتعالى لا يظلم من خلقه أحدا . أما الجنة فانه سبحانه ينشىء لها خلقا ، فيسكنهم ليعلمنا أن فضله عظيم وأن الثواب ليس موقوفا على العمل فقد يعمل العبد عملا يسيرا ويكون الثواب عليه جزيلا ،وقد لايعمل شيئا - كهذا

الخلق ـ وينزله الله منازل الأبرار فلا معقب لحكمه ،ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

أما الاعتراض بخلو بعض الأماكن واتساع رقعتها فانه سبحانه هو العليم بالحكمة من ذلك والاعتراض عليه افتئات على مقام الألوهية ، فاذا كنا لا نستطيع الاعتراض على خلو القمر من الحياة ، ولا وجود الصحراء الكبرى ، ولا الربع الخالى،ولا صحراء نيفادا ، ولا مجاهل سيبريا ولا كون ثلاثة أرباع الكرة الأرضية بحارا والربع يابسا فكيف نتطاول حتى نصل الى الجنة والنار ؟

وللامام أبى بكر البيهقى بحث فى كلمة القدموقد ذكر الروايات بطرقها المختلفة عن أبى هريرة وأنس وأبى سعيد الخدرى الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من غير اضافة فقال : (حتى يضع فيها قدما) قال : قال أبو سليمان الخطابى رحمه الله فيشبه أن يكون من ذكر القدم والرجل أو ترك الاضافة انها تركها تهيبا لها وطلبا للسلامة من خطأ التأويل فيها .وقال أبو عبيد وهو أحد أئمة أهل العلم : نحن نروى هذه الأحاديث ولا نريغ لها المعانى ثم تكلم عن انقسام أهل العلم بسبب دخول الفلسفة وعلم الكلاموالاعتزال وهؤلاء هم الذين يكذبون العلماء الذين رووا هذه الأحاديث وهم أئمة الدين ونقلة السنن والواسطة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والطائفة الأخرى مسلمة للرواية فيها ذاهبة فى تحقيق الظاهر مذهبا يكاد يفضى الى التشبيه ونحن نرغب عن الأمرين معا ، ولا نرضى بواحد منهما مذهبا ،فيحق علينا أن نطلب لما يرد من هذه الأحاديث اذا صحت من طريق النقل والسند تأويلا يخرج على معانى أصول الدين ومذاهب العلماء ، ولا نبطل الرواية فيها أصلا اذا كانت طرقها مرضية ونقلتها عدولا . قال أبو سليمان : وذكر القدم هنا يحتمل أن يكون المراد من قدمهم الله للنار من أهلها فيقع بهم استيفاء عدد أهل النار .وكل شىء قدمته فهو قدم كما قيل لما هدمته هدم ،ولما قبضته قبض . ومن هذا قوله عز وجل : (وأما الجنة فان الله ينشىء لها خلقا) فاتفق المعنيان أن كل واحد من الجنة والنار تمد بزيادة عدد يستوفى به عدة أهلها فتمتلىء عند ذلك .

قال الشيخ : وفيما كتب الى أبو نصر من كتاب أبى الحسن ابن مهدى الطبرى عن النضر بن شميل أن معنى قوله (حتى يضع الجبار فيها قدمه) أى من سبق فى علمه أنه من أهل النار • قال أبو سليمان : قد تأول بعضهم الرجل على نحو من هذا قال : والمراد استيفاء عدد الجماعة الذين استوجبوا دخول النار • قال : والعرب تسمى جماعة الجراد رجلا كما سموا جماعة الظباء سربا وجماعة النعام خيطا وجماعة الحمير عانة • قال : وان كان هذا اسما خاصا لجماعة الجراد فقد يستعار لجماعة الناس على سبيل التشبيه • والكلام المستعار والمنقول من موضعه كثير ، والأمر فيه عند أهل اللغة مشهور • وفيه وجه آخر وهو أن هذه الأسماء مثل يراد بها اثبات معان لاحظ لظاهر الأسماء فيها من طريق الحقيقة ، وانما أريد بوضع الرجل عليها نوع من الزجر لها والتسكين من غربها كما يقول القائل للشىء يريد محوه وابطاله : جعلته تحت رجلى ووضعته تحت قدمى • وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فقال : (ألا ان كل دم ومأثرة فى الجاهلية فهو تحت قدمى هاتين الا سقاية الحاج وسدانة البيت) يريد محو تلك المآثر وابطالها وما أكثر ما تضرب العرب الأمثال فى كلامها بأسماء الأعضاء وهى لا تريد أعيانها كما تقول فى الرجل يسبق منه القول أو الفعل ثم يقدم عليه : قد سقط فى يده ـ أى ندم ـ وكقوله رغم أنف الرجل ، اذا ذل • وعلا كعبه ، اذا جل • وجعلت كلام فلان دبر أذنى ، وكقول امرىء القيس فى وصف الليل :

فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف اعجازا وناء بكلكل

وليس هناك صلب ولا عجز ولا كلكل • انما أمثال ضربها لما أراد من بيان طول الليل (١) والله تعالى أعلم ؟

محمد نجيب المطيعى

---

(١) راجع الأسماء والصفات للبيهقى •

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٤ —

حينما أردنا أن ندير الحديث عن اسلاميات شوقي ما كان يدور بخلدنا تلك الناحية المحدودة من شعره في المناسبات الدينية ، أو الشخصيات الاسلامية التي سجلها في كتابه « دول العرب وعظماء الاسلام » أو تلك المقطوعات النثرية الرائعة من « أسواق الذهب » كقوله فيها عن الصوم : « حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع ، لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ، يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ، يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ، حتى اذا جاع من ألف الشبع ، وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه اذا لذع » أو قوله في شاهد الزور : « يا شاهد الزور ، أنت شر موزور ، ضللت القضاة ، وحلفت كاذبا بالله ، ونلت الأبرياء بالأذاة ، وحلت بين القصاص والجناة، والله يقول : « ولكم في القصاص حياة » أو قوله في الصلاة : « لو لم تكن رأس العبادات ، لعدت من صالح العادات ، رياضة أبدان ، وطهارة أردان ، وتهذيب وجدان ، وشتى فضائل يشب عليها الجوارى والولدان ، أصحابها الصابرون ، والمثابرون ، وعلى الواجب هم القادرون ، عودتهم البكور ، وهو مفتاح باب الرزق ، وخير ما يعالج به العبد مناجاة الرازق ، وأفضل ما يرود به المخلوق التوجه الى الخالق ، ولهم اليها بعد البكور رواح ، فاذا هي تصرفهم عن دواعي الليل ومغرياته ، وتعصمهم فيه من عوادى الفراغ ومغوياته ، والليل خلوات وشهوات ، وبيت الغوايات ، أنظر جلال الجمع ، وتأمل أثرها في المجتمع ، وكيف ساوت العلية بالرفع ـ الرعاع ـ

مست الأرض الجباه ، فالناس أكفاء وأشباه ، الرعية والولاة ، شرع فى عتبة الله ، خر الجمع للمناخر ، فالصف الأول كالآخر ، لم يرفع المتصدر تصدره ، ولم يضع المتأخر تأخره » وهكذا من الموضوعات التى يظن أنه يقصر جهده عليها ،أو يجعل حديثه لا ينحرف الا اليها •• وانما كنا نعنى تلك الروح الطيبة التى كانت تهيمن على أحاسيسه ووجداناته فى كل غرض يحاوله ، أو هدف يولى وجهه له ، وهى ظاهرة أقل ما تدل عليه من معنى أنه لم يكن يتاجر بهذه العاطفة ، أو يشترى بها ضمائر هؤلاء الملايين من المسلمين الذين يقبلون عليه بقلوبهم وأفئدتهم ، ويرون فى شعره مرآة صادقة لعقيدة المؤمن الذى هذبه الايمان ، وصقله الدين وحلقت روحه فى أفق علوى ، بعيد عن مفاسف الالحاد والزيف ، والشك والتردد ، وغيرها من الأفكار النازلة التى تعودها الناس من هؤلاء الذين يزعمون أنهم يعيشون فى الأبراج العاجية ، أو وادى عبقر الذى ينسبون اليه كل خارج عن طوق الناس وقد كنت أخذت نفسى بمبدأ لا أحيد عنه ــ اذا أردت الكتابة فى موضوع من الموضوعات ــ وهو أن أضع أفكار غيرى جانبا ، وألا ألتزم بأسلوب سبقنى به كاتب أو باحث ، ولهذا لم أجعل المنار الهادى لنفسى سوى النص الذى تدور عليه الرحى ، وأعنى به ديوان الشاعر أتصحفه قصيدة بعد أخرى ، وبيتا فى اثر بيت ، لأرى مدى هذا الاشعاع المنبثق فى نفس هذا الرجل ، وكان دهشى عظيما وأنا أتنقل مع هذا الانسان الكبير ، اذ رأيت « اسلامياته » التى تتناثر منه فى ثنايا شعره فى الأغراض أعظم شأنا ، وأكثر روعة ، وأفخم بيانا ، وأعلى صوتا ، وأنفذ الى الضمائر والأفئدة ، من تلك التى تكون فى هذا الجو الدينى ، أو المناسبة الخاصة ، أو المجال الذى تعارف الناس على ألا يستمعوا الى هذا اللون من الشعر الا فيه ، وما كان يظن أحدا أن قصيدة يستقبل بها الشاعر وطنه الذى أرغمته الظروف القاسية على الارتحال عنه ، والترك له ، وفيه أهله وخلانه ، وآماله وأحلامه ، ومراتع صباه ، وأمجاده وتاريخه ، ما كان يظن أحد أن فرحة اللقاء لهذا الوطن تقترن بها تلك الأحاسيس النبيلة لدينه وهى التى امتزجت به ، وعقيدته وهى التى سيطرت عليه ،الا أن ذلك هو ما كان، وفى مقدمة تلك القصيدة ــ فى الجزء

الأول من الشوقيات ـ « كانت هذه القصيدة فاتحة شعر الشاعر بعد عودته من منفاه ببلاد الأندلس ، وقد أشاد فيها بذكر تلك البلاد شكرا لها ، وعرفانا بجميلها ، ثم انتقل الى استقبال بلاده بعد تلك الغيبة الطويلة ، وعرج على مسألة التموين التى كانت ـ حينئذ ـ شغل البلاد الشاغل ، وقد أنشدت هذه القصيدة فى اجتماع لجان التموين بالأوبرا الملكية سنة عشرين » وأنت ترى أن حديثه عن نفسه ، وارتياحه لعودته من المنفى بعد تلك الغيبة الشاقة ..

ويا وطنى لقيتك بعد يأس
كأنى قد لقيت بك الشبابا

ولو أنى دعيت لكنت دينى
عليه أقابل الحتم المجابا

أدير اليك قبل البيت وجهى
اذا فهت الشهادة والمتابا

وقد سبقت ركائبى القوافى
مقلدة أزمتها طرابا

تجوب الدهر نحوك والفيافى
وتقتحم الليالى لا العبابا

وتهديك الثناء الحر تاجا
على تاجيك مؤتلفا عجابا

فصفحا للزمان لصبح يوم
به أضحى الزمان الى نابا

وحيا الله فتيانا سماحا
كسوا عطفى من فخر ثيابا

ملائكة اذا حفوك يوما
أحبك كل من تلقى وهابا

تلقونى بكل أغر زاه
كأن على أسرته شهابا

ترى الايمان مؤتلفا عليه
ونور العلم والكرم اللبابا

وتلمح من وضاءة صفحتيه
محيا مصر رائعة كعابا

وما أدبى لما أسدوه أهل
ولكن من أحب الشىء حابا

وأنت ترى الكلمات التى تنضح بالتدين ، وتنم عن القلب العامر بالايمان ، وعن الروح المسلمة التى تسيطر عليها نزعة الاعتقاد الصحيح فى رسالة هذا النبى الذى بعث به ربه هاديا ونذيرا ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ولا تكاد تردد قوله : « ولو أنى دعيت لكنت دينى » أو قوله: «ملائكة اذا حفوك» أو قوله : « ترى الايمان مؤتلفا عليه » الا رأيت أنك فى جو مملوء بجلال الشريعة

ونفحاتها ، كأنك فى بيت من بيوت الله تزدحم فيه القلوب بالتقوى ، والأفئدة بالخشوع ، والضمائر بالشوق الى جنة عرضها السماوات والأرض ، فاذا تجاوزت ذلك الى هذا المعنى الذى يأخذ على جماهير المحتشدين تفكيرهم الحاد ، وبلبالهم المتيقظ ، وهمهم الذى كان يقوم بهم ويقعد ، وهو غلاء الأسعار الذى اجتمعوا لدراسته ، ووضع الحلول لمشاكله القائمة ، دوى فى أذنيك هذا الصوت الموسيقى الحلو وهو يقول :

شباب النيل ان لكم لصوتا
ملبى حين يرفع مستجابا

فهزوا العرش بالدعوات حتى
يخفف عن كنانته العذابا

أمن حرب البسوس الى غلاء
يكاد يعيدها سبعا صعابا

وهل فى القوم يوسف يتقيها
ويحسن حسبة ويرى صوابا

عبادك رب قد جاعوا بمصر
أنيلا سقت فيهم أم سرابا

حنانك واهد للحسنى تجارا
بها ملكوا المرافق والرقابا

ورقق للفقير بها قلوبا
محجرة وأكبادا صلابا

أمن أكل اليتيم له عقاب
ومن أكل الفقير فلا عقابا

أصيب من التجار بكل ضار
أشد من الزمان عليه نابا

يكاد اذا غذاه أو كساه
ينازعه الحشاشة والاهابا

وتسمع رحمة فى كل ناد
ولست تحس للبر انتدابا

أكل فى كتاب الله الا
زكاة المال ليست فيه بابا

ولم أر مثل سوق الخير كسبا
ولا كتجارة السوء اكتسابا

ولا كأولئك البؤساء ساء
اذا جوعتها انتشرت ذئابا

وهو فى هذه الأبيات من القصيدة — كما ترى — لا تهزه عاطفة الدين وكفى ، وانما تهزه — كذلك — عاطفة المروءة التى لا تدعه ليغمض عينيه على القذى ، كما يغمض غيره من الناس الذين يعللون أنفسهم بالظاهر من قول الله جل جلاله : « عليكم أنفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم » وانما تلح عليه أن ينصح غير متهيب ما تجره عليه عقبى هذا النصح ، ولا نهاية تلك الجرأة ، والحرب العالمية الأولى كانت

تأكل الأخضر واليـابس ـ حتى من الرجـال والأقوات ـ فى الوقت الذى لم يكن لنـا من وراء ذلك كله مغنـم ولا فائدة ، وانما المغنم والفـائدة لهذا المستعمر الجاثم على صدورنا ، ومثـل هذا القول الذى يقوله الشاعر : « أمن حرب البسوس الى غلاء » والأبيـات بعده التى تجرد الحكم من الصلاحية والحزم والكياسة فى التوزيع العـادل بين الناس : « وهل فى القوم يوسـف بتقيها » وقوله كذلك بعد هذا وهذا :

عبـادك رب قد جـاعوا بمصر
أنيـلا سـقت فيهـم أم سرابا

يدل دلالة واضحة على أن الرجل كان من هؤلاء الأفذاذ الذين لا يتكرر وجودهم ، ولا يجود بهـم الزمن الا قليلا ، ونحن اذا لاحظنـا أن هـذا الموقف الجـرىء لم يقفـه أبطـال السياسة ،ولا صناديد الوطنية ،لم يدر بخلدنا شـك ـ أى شـك ـ فى أن النزعة الدينية وحدها هى التى جعلت منه تلك الصـلابة النـادرة فى اعلان كلمـة الحق عالية مدوية ولا مواربة فيها ولا نفاق ، وكيف ينـافق أمير الشـعراء الذى انتهينـا من التحليـل النفسى له أنه شىء آخـر غير هـؤلاء المعـاصرين له من الأقران والأنداد ، ونعنى بهذا الشىء الآخر ـ فيما نعتقد ـ هذا المخلوق الذى يجعل لنفسه حق الوصاية على سواه ، يتعب له ، ويكد من أجله ويسـهر لراحته ، ويشقى لاسـعاده ، ويسعى بكل ما يملك من جهد ليوفر له العيش الطيب ، والبنو الصالح ، والحيـاة الآمنة المطمئنة ، وهذا هو فرق ما بينه وبين الشعراء ، أو بعبارة أخرى فرق ما بين الشـاعر الخالد ، والشاعر الذى يسحب عليـه الزمن ثوب النسيان ، وشوقى لم يكن من هذا الطراز الذى يعيش لنفسـه ، وانمـا كان من هـذا الطـراز الذى يعيش فى ضمائر الناس وأفئـدتهم ، وربما ملأ هذا المعنى قلبه الى حد أن كان يحمله عـلى الزهو والخيـلاء ، ولذلك تراه يقول فى القصـيدة التى يرد بهـا على وفود الشـعراء الذين اجتمعوا لمبايعتـه على امارة الشعر فى آخر الجزء الثانى من « الشوقيات » :

رب جـار تلفتت مصر توليـ
ـه سـؤال الكريم عن جيرانه

بعثتنى معـزيا بمـآقى
وطنى أو مهنئـا بلسـانه

كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق وكان العزاء فى أحزانه

قد قضى الله أن يؤلفنا الجر
ح وأن نلتقى على أشجانه

كلما أن بالعراق جريح
لمس الشرق جنبه فى عمانه

وعلينا كما عليكم حديد
تتنزى الليوث فى قضبانه

نحن فى الفكر بالديار سواء
كلنا مشفق على أوطانه

واذا كان التدين فى نظر رجل الدين بعد الأخذ بتعاليمه ، والخضوع لأوامره ، والالتزام لحدوده ، والعمل على مقتضى هديه – فى الحلال والحرام – وامتزاج حبه بلحمه ودمه ، وهو يدعو اليه ، ويدافع عنه ، ويجاهد فى سبيل اعلاء كلمته ، فانه هو لا يكتفى بذلك حتى يضيف اليه الاعداد الاجتماعى الواعى الذى يرسم خطوطه بلباقة ومهارة ، وحنكة وكياسة ، وحزم ودهاء ، وذوق وأدب ، حملة الأقلام ، وأرباب البيان ، ودهاقين البلاغة ، من الكتاب أو الشعراء ، الذين يستطيعون بما لهم من القدرة على سحر القول أن يتلاعبوا بالأفئدة ، وأن يقودوها الى شاطىء الأمان ، وبر السلامة ، وهذا هو الذى كان يعمل له مدى حياته ، والذى استطاع به أن يعيش فى قلوب الناس ، وصفحات التاريخ ، ونازع به الدهر الخلود ؟

دكتور/ ابراهيم على ابو الخشب

تنبيه :

وقع سهوا فى عدد المحرم ١٣٩٥ هـ
الجزء الحادى عشر وصحته الجزء الأول

المجلة

صفحات من تاريخ القاهرة

باب اللوق - ابن ثعلب - المدرسة الشريفية

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ٣ —

كلنا نعرف شارع القصر العينى • وهو منسوب الى قصر العينى الذى به الآن جزء من المستشفى الجامعى لكلية الطب بجامعة القاهرة •

فما هو هذا القصر ؟ ؟ ومن الذى أنشأه ؟ ؟

هذا القصر أنشأه سنة ١٤٦٦ م (٨٧١ هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن قاضى قضاة الحنفية بدر الدين محمود العينى • أى منذ أكثر من خمسة قرون •

وجده قاضى القضاة بدر الدين المذكور أصله من عين تاب أو عينتاب (شمال حلب بسوريا وهى من الجمهورية التركية الآن) • ولعل العينى نسبة اليها • ولو أنها نسبة على غير القياس • تولى الحسبة أو قضاء الحنفية بمصر عدة مرات سنة ٨٠١ هـ بدلا من المؤرخ المقريزى • وتبادل تولى الحسبة مع المقريزى أكثر من مرة • وظل يتولى الحسبة أو القضاء حتى سنة ٨٤٦ هـ • وكان يعزر السوقة بذهاب المال (أى المصادرة) فمن وجد فى بضاعته غشا يرسلها الى من فى الحبوس (البحوث) فيأكلها المحبوسون •

والحسبة وظيفة اسلامية هامة • من اختصاصها مراقبة الأسواق والأسعار • وسلامة المعروضات من الغش • وصحة الموازين والمكاييل • والآداب العامة • وغير ذلك • وكانت وظيفة المحتسب أقرب لوظيفة مدير الأمن الآن بالنسبة لهذه الجرائم • ويمتاز عنه بتوقيع العقوبات التى يراها مناسبة فورا • وكان هذا يسمى بالتعزير • وهو غير الحدود المنصوص عنها فى الشريعة •

وتوفى بدر الدين محمـود العينى سنة ٨٥٥ هـ . ودفن فى مدرسته التى أنشأها سنة ٨١٤ باسم المدرسة العينية . ولا تزال المدرسة موجودة للآن بشارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

ولم يذكر المقريزى المدرسةالعينية فى خططه ضمن المدارس والزوايا . مع أن المقريزى توفى سنة ٨٤٥ والمدرسة منشأة من سنة ٨١٤ هـ . ولعل هذا للتنافس بين الاثنين على وظيفة الحسبة . وهى سقطة من المقريزى .

وكانت الحارة التى بها المدرسة تعرف بالعينية : كما ورد فى تاريخ الجبرتى . وكانت تعرف فى عهد المقريزى بحارة كتامة . نسبة الى احدى القبائل التى ناصرت الفاطميين فى المغرب . وكانت عماد الدولة ولها التقدم فى صدر الدولة الفاطمية . حتى نكبها الحاكم بأمر الله بقتل كبيرها ابن عمار . وحل محل ابن عمار فى الوساطة (الوزارة تقريبا) برجوان . وهوخصى من خدم العزيز بالله والد الحاكم كان أوصاه عليه . ثم قتل الحاكم برجوان هذا بعد ذلك وحارة برجوان التى تصل تقريبا بين شارعى مرجوش والخرنفش نسبة اليه حيث كان هناك سكنه .

وممن دفن بالمدرسة العينية مع بدر الدين العينى شهاب الدين أحمد ابن محمد القسطلانى صاحب (ارشاد السارى لشرح صحيح البخارى) توفى سنة ٩٢٣ هـ .

ولبدر الدين العينى من المؤلفات (تاريخ عقد الجمان فى أخبار الزمان) فى عشرين جزءا بعض أجزائه ناقصة. واختصره الى ثمانية. ويعرف بالتاريخ العينى . ولا يزال مخطوطا بدار الكتب . وذكره ابن اياس فى بدائع الزهور باسم التاريخ البدرى . وله (عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى) فى أحد عشر جزءا طبع فى الآستانة سنة ١٣١٠ هـ (١٩٨٢م) و (كشف اللثام فى شرح السيرة النبوية لابن هشام) وشرح لجزء من سنن ابن داود فى الحديث فى جزأين (موجود منه نسخة بخط المؤلف بدار الكتب) . وغيرها كثير من الشروح فى العلوم الدينية واللغوية .

وتزوج ابنه عبدالرحيم بابنة خوند الأحمدية • وهى ربيبة السلطان خوشقدم الذى وصل للسلطنةفمابعد (٨٦٥ - ٨٧٢ هـ) • فولدت له شهاب الدين أحمد منشىء القصر العينى • ولذلك كان يطلق عليه سبط السلطان خوشقدم • والحقيقة أن أمه ربيبة السلطان أى بنت زوجته • وتوفيت أمه سنة ٨٦٧ هـ •

وعلا شأن شهاب الدين أحمد العينى فى عهد السلطان خوشقدم • فأنعم عليه سنة ٨٦٩ بتقدمة ألف • وهى اعلى الرتب العسكرية • ومن حامليها يختار للوظائف الكبرى مثل الاستدارية والجاشنكيرية والنيابة فى الأقاليم مثل نيابة دمشق ونيابة حلب وغيرهما •

والاستدار أصلها - كما ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى - استذار • مركبة من كلمتين : استذ بمعنى الأخذ ودار بمعنى ممسك • وهو الذى يتولى قبض مال السلطان وصرفه وتمثيل أوامره فيه • وذكرت دائرة المعارف الأسلامية أنها من أستاذ • ومعناها الرئيس والمعلم ورب الصنعة • وأن العامة اختصرت لفظ أستاذ الى أوستى أو أسطى بمعنى حوذى • وهذا المعنى من دائرة المعارف غير دقيق فالناس لا يقصدون من لفظ أوسطى الحوذى فقط ولكن يقصدون رئيس الحرفة •

والجاشناكير فارسية مركبة من كلمتين جاشنا بمعنى الذوق وكير بمعنى المتعاطى • وهو الذى يتصدى لتذوق الطعام والشراب قبل السلطان خوفا أن يكون مسموما •

وعين أحمد العينى أميرا للحج • وحجت جدته لأمه -زوجة السلطان- فى هذه السنة فبالغ أحمد العينى فى التجمل والظهور • حتى جعل كراز الماء من الذهب الخالص المرصع بالياقوت والزبرجدوالفيروز (والكراز والكراز القارورة أو الكوز الضيق الرأس والجمع كرزان) • وخرج من القاهرة فى موكب عظيم - وجدته فى محفة زركش - وأمامه الأمراء والمباشرون • وعاد سنة ٨٧٠ هـ من الحج فكان موكبه فى العودة لا يقل عظمة وأبهة عن موكبه فىالخروج • وتوفيت جدته فى نفس السنة بعد عودتها من الحج •

وفى سنة ٨٧١ عين أمير أخور • وهى من الوظائف الكبرى•فهو الذى

يتولى مباشرة اصطبلات السلطان بما فيها من الخيل والابل وغيرها • وهى مركبة فى كلمتين احداهما عربية (أمير) • والثانية (أخور) فارسية ومعناها المعلف أى مكان العلف غذاء الدواب • ونلاحظ التشابه فى اللفظ مع الدلالة على نفس المعنى بين أخور و (ecurie) الفرنسية • وبين اصطبل و (stable) الانجليزية •

وقال ابن اياس فى بدائع الزهور : فتزايدت عظمتـه وأصبحت له حرمة وافرة وكلمة نافذة • وهو الذى أنشأ القصر العظيم المطل على البحر بمنشية المهرانى • ولما كملت عمارة القصر نزل السلطان (أى من القلعة) وأقام هناك الى بعد العصر فتفرج فى ذلك اليوم على البحر • وكان يوما سلطانيا • ا هـ •

ومنشاة المهرانى نسبة الى الأمير بلباى المهرانى فى دولة الظاهر بيبرس (٦٥٨ – ٦٧٦) هـ • وهو أول من عمر بها بعد ظهور أراضيها نتيجة لتحول النيل غربا وكان موقعها ما بين فم الخليج ، والقصر العينى حاليا •

ثم أنعم عليه برتبة الامارة • وأصبح هو القائم بتدبير المملكة مع خير بك •

وتوفى السلطان خوشقدم سنة ٨٧٢ هـ • وتولى بعده الظاهر بلباى المعروف بالمجنون • ثم الظاهر تمر بغا • ومكث كل منهما فى الحكم ما يقرب من الشهرين •

وعين بلباى أحمد العينى أمير مجلس • وأمير مجلس هو من يتولى مجلس السلطان فى ترتيب الدخول والجلوس وغير ذلك •

وكان العينى يطلق عليه لقب عزيز مصر • ووصل الى درجة من الطموح حتى خيل اليه أنه يصل الى السلطنة بعد خلع الظاهر تمربغا •

ولكن ما طار طير وارتفع الا وهبط كما ارتفع • فلما تولى الأشرف قايتباى سنة ٨٧٢ هـ قبض على خيربك وأحمد العينى • وخير بك هذا هو الذى لقب بسلطان ليلة • لأنه لما خلع الظاهر تمر بغا أعلن نفسه سلطانا وعين المقربين اليه فى الوظائف المختلفة • وكان هذا ليلا • فلما أصبح الصباح كان الأمر استقر لقايتباى • وقبض عليه •

وتنكر الحظ للعيني . فتقررت عليه الغرامات . وضربه قايتباى بيده عشرين عصا حتى شق كعبه وأدماه . وأغمى عليه . ونهب بيته أثناء القبض عليه حتى قيل أنه ضاع له من الموجودات ما قيمته أكثر من خمسين ألف دينار .

وأفرج عنه ثم أعيد القبض عليه وتقررت عليه غرامات أخرى . ثم أفرج عنه . وظل بعيدا عن الوظائف ولكن مقربا من السلطان بصفته أحد الأعيان . فسافر معه الى الاسكندرية سنة ٨٨٤ هـ . وهى المرة الثانية التى سافر اليها قايتباى . لمعاينة البرج الذى أقامه فى الميناء . وكان أمر به فى المرة السابقة . وقلعة قايتباى موجودة بالاسكندرية للآن .

وتوفى قايتباى سنة ٩٠١ هـ . وخلفه ابنه الناصر محمد . وكان لأحمد العينى ولد اسمه أيضا الناصر محمد . فعينه السلطان الناصر فى وظيفة نظر الجوالى (والجوالى هى الجزية وهى ما كان يؤخذ من أهل الذمة من ضريبة على كل انسان) . ثم عزله بعد شهرين . وحج الناصر بن العينى سنة ٩٠٢ هـ وعاد فتوفى سنة ٩٠٣ هـ . وأثرت وفاته على والده كثيرا .

واضطرب الحكم بعد قايتباى لطيش ونزق وصغر سن ابنه الناصر محمد . الذى خلع سنة ٩٠٤ هـ . وتولى مكانه خاله الظاهر قانصوه بن قانصوه فأمر بالقبض على أحمد العينى وقرر عليه مبلغا من المال . ولكن أحمد العينى تمكن من الهروب الى مكة .

وتوالى السلاطين فى مصر . فلم يمكث الظاهر قانصوه طويلا وخلع سنة ٩٠٥ هـ . وتلاه الأشرف جان بلاط فخلع وقتل بعدحكم قصير يزيد قليلا عن الستة شهور . وتلاه العادل طومان باى فخلع وقتل بعد حوالى الثلاثة شهور . وتولى بعد الأشرف قانصوه الغورى سنة ٩٠٦ هـ .

وفى سنة ٩٠٨ هـ ثارت فتنة بمكة . ونهبت خلالها دار العينى بمكة فهرب الى المدينة ، وأرسل الغورى مع المحمل قوة لاخماد الفتنة وتأديب العصاة ، وأمرها بالقبض على العينى واحضاره لمصر مقيدا بالحديد .

ولكن الله كان قد أراح أحمد العينى وكفاه شر هذه المحنة الجديدة . فلما عادت القوة فى ربيع الآخر سنة ٩٠٩ هـ أخبروا أن شهاب الدين أحمد ابن العينى توفى بالمدينة ودفن بالبقيع .

وبالبقيع مقابر أهل المدينة ، وبها قبور كثير من الأعلام ، منهم ابراهيم ابن الرسول (صلى الله عليه وسلم) . والعباس بن عبد المطلب عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) . والخليفة عثمان بن عفان ، والامام الحسن ابن على بن أبى طالب ، والامام مالك ابن أنس ، وغيرهم .

وبخروج العينى من مصر ثم بوفاته أصبح قصر العينى من أملاك الدولة . وكان الوالى العثمانى والبكوات المماليك في عهد العثمانيين الذين استولوا على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) يستعملون قصر العينى أحيانا للنزهة ، وأحيانا دارا للضيافة . وأحيانا أخرى عندما يعزل الأمراء الوالى ينزلونه من القلعة الى أحد البيوت بالمدينة أو فى القصر العينى حيث يظل حتى يرد أمر من استنبول بمحاسبته وسفره .

وآخر حكم البكوات المماليك كان ابراهيم بك الكبير ينزل فيه أغلب وقته ، حتى قدم نابليون سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨ م) .

وكان بجوار القصر العينى من جهته الجنوبية تكية ، وهى مكان لخلوة فقراء الصوفية الأعجام ويسمون بالدراويش للتفرغ للعبادة وتجرى عليهم الأرزاق بما يلزمهم من كسوة ومأكل وغيره من أوقاف خاصة .

وقد ذكر على مبارك أنها كانت موجودة فى وقته (طبعت الخطط التوفيقية سنة ١٣٠٦هـ - سنة ١٨٨٨ م) وأنها على شط فم الخليج عند منيل الروضة . وبها قبتان مفروشتان بالرخام الترابيع ، باحداهما سبيل منقوش على رخامه (صاحب الخيرات والحسنات حسين قبودان فى ١٥ رمضان سنة ١١٩٧ هـ) والثانية لعمل الذكر كل ليلة بعد العشاء ، والحضرة (أى اجتماع الصوفية فى شبه حفلة دينية) تعقد كل يوم جمعة . وقال : وبها ضريح الشيخ العينى !! . وبها مساكن علوية لسكنى الصوفية ولها مرتب من الروزنامجة (الخزانة العمومية تقريبا) غير ايراد أوقافها . ولها بستان نضر ، وكانت تعرف بتكية البكتاشية لأنها كانت موقوفة على طائفة الأعجام المعروفة بالبكتاشية .

وقال فى مكان آخر أنه بجوار التكية غيط معروف باسم غيط خيار شنبر . ويفهم من قوله أن مكان هذا الغيط أو الحقل حاليا المبانى بين

شارع كورنيش النيل وشارع القصر العيني والتى منها : مستشفى الأمراض المتوطنة ، ومستشفى فم الخليج ومستشفى الكلب ، ومعهد السرطان وغيرها حتى فم الخليج . وخيار شنبر تمر فى أشجار معمرة أشبه بقرون الخروب ومعروف عند العطارين كعلاج طبى لأمراض الصدر والمعدة.

واستعمل الفرنسيون فترة وجودهم بمصر القصر العينى كمستشفى لجنودهم . ولما قتل كليبر دفنوه فى حديقة القصر . ثم نقلوا جثمانه معهم عند جلائهم عن القاهرة فى ١٥/٧/١٨٠١ م .

وكان من مشروعات محمد على الاصلاحية نشر التعليم بمصر . فأرسل البعثات الى أوربا .منها ٢٨ طالبا من سنة ١٨١٣ – ١٨٢٥ ، ٢٩١ طالبا من سنة ١٨٢٦ – ١٨٤٨ م .

ونبغ من رجال البعثات الأولى فى الفنون الحربية عثمان نور الدين فأنشأ فى القصر العينى سنة ١٨٢٥ المدرسة الحربية . وكان عدد تلاميذها ٥٠٠ ، وهذا علاوة على مدرسة أركان الحرب بالخانكة . وتعين أحد زملائه (أحمد خليل) ناظرا للمدرسة الحربية المذكورة .

وكان عثمان نور الدين عضوا فى اللجنة التى تشكلت سنة ١٨٢٢ لوضع نظام التعليم العسكرى ، وكان من أعضائها أيضا سليمان أغا الفرنساوى (سليمان باشا وكان أصل اسمه الكولونيل سيف) .

وكان التعليم جميعه له الطابع العسكرى ، كما كانت الوظائف الحكومية فى كافة النواحى ذات رتب عسكرية ، وكان النجباء من تلاميذ المكاتب الأهلية بالقرى والمدن ينتحبون ويحضرون الى القصر العينى حيث يمضون عدة سنوات .ثم ينتقلون منها الى مدرسة الطب بأبى زعبل أو المهندسخانة (الهندسة) بأبى زعبل أو – بعد ذلك الى المهندسخانة ببولاق – وينتخب منهم أعضاء البعثات للخارج .

وكان محمد على أنشأ بأبى زعبل مارستان (أى مستشفى) به ١٥٠٠ سرير ، ومدرسة للطب بها ١٠٠ طالب ، وافتتح المدرسة والمستشفى فى ٢٨/٢/١٨٢٧

وفى سنة ١٨٣١ صدر أمر محمد على بالحاق شخصين من أغوات الحريم من ذوى الدراية بالقراءة

والكتابة بمدرسة الطب لتعليمهما الطب والجراحة بمعرفة كلوت بك (وهذا لخدمة سيدات الأسرة الحاكمة) •

وفي نفس الأمر أن تشترى عشر جوار سودانيات صغيرات السن منتخبات بمعرفة كلوت بك واعطاؤهن اليه لتلقى صناعة الطب والجراحة والولادة • وفتحت لهن مدرسة الولادة ، وألحقت بمدرسة الطب البشرى بأبى زعبل •

ولا أريد أن أسترسل في ذكر تقدم حركة التعليم فى مصر • فهو موضوع ليس هنا مكانه ، ولكنى أقصر الكلام هنا على القصر العينى وما مر به من تطورات •

غير أنه قد يكون من الطريف أن أذكر أن أول وصول البنج من أمريكا واستعماله فى العمليات الجراحية فى مصر كان سنة ١٨٤٦ ، فقد استعمله كلوت بك فى عمليتين جراحيتين احداهما سرطان فى العين ، كما استعمله المسيو فرانق (أصلها فرانك وقلبوا الكاف قافا لتصبح عربية !!) حكيم ابراهيم باشا فى حالة بتر رجل، وكتب بهذا تقريرا محمد أفندى الشافعى البكباشى وكيل المدرسة الى ديوان المدارس •

ومحمد الشافعى المذكور هو الدكتور محمد بك الشافعى أصله من طلبة الأزهر • ودرس بمدرسة الطب بأبى زعبل ، وأرسل فى بعثة الى فرنسا سنة ١٨٢٦ ، وعاد سنة ١٨٣٨، فعين مدرسا للأمراض الباطنية بأبى زعبل ، ثم مدرسا للطب فى القصر العينى ، ثم ناظرا عليها ، وهو أول طبيب مصرى تولى رئاستها (افتتحت مدرسة الطب بالقصر العينى سنة ١٨٥٦ كما سيأتى ذكره باذن الله وتولى كلوت بك رئاستها لغاية سنة ١٨٥٨ ، وتلاه الدكتور محمد بك الشافعى ، وتوفى كلوت بك سنة ١٨٦٨ م) •

وتوفى الدكتور محمد بك الشافعى سنة ١٨٦٠ ، وله من المؤلفات العلمية (أحسن الأعراض فى التشخيص لمعالجة الأمراض) و (السراج الوهاج فى التشخيص والعلاج) ، وترجم عن الفرنسية (الدرر الغوال فى معالجة الأطفال) لمؤلفه كلوت بك •

وتوجد حارة صغيرة بالقرب من محلات عمر أفندى بشارع عبد العزيز تصل ما بين شارعى عبد العزيز

والجمهورية ، وتمتد شمال مسرح الجمهورية الحالى ، اسمها حارة شافعى ، حيث كان منزله هناك ، وكان رحمه الله جديرا بمكان أكبر لتخليد ذكراه ، أو على الأقل تذكره اللافتة بلقبه العلمى باسم حارة الدكتور شافعى للتعريف والذكرى .

وتدهورت صحة محمد على فاعتزل الحكم سنة ١٨٤٨ ، وتولى مكانه ابنه ابراهيم باشا ، ولم تطل أيام ابراهيم فتوفى فى نفس السنة (وتوفى محمد على فى سبتمبر سنة ١٨٤٩) ، وتولى بعد ابراهيم عباس حلمى الأول ابن أحمد طوسون بن محمد على بحكمه أكبر أفراد أسرة محمد على سنا .

وكان حكم عباس حلمى الأول نكبة على البلاد وتضييعا لما بذله محمد على فى القيام بمرافقها ، وأخص هذه النكبات كان على التعليم .

فقد ألغى أغلب المدارس وحصرها فى مدرسة واحدة لها ناظر واحد وتجمع هذه المدرسة كل المدارس ، وبلغت نفقات التعليم فى آخر سنة من حكمه ٥٠٠٠ جنيه بعد أن كانت فى آخر عهد محمد على ٨٨٠٠٠ جنيها .

وكان يتصيد الأسباب لالغاء المدارس ورفت المتخرجين منها ، فبعد شهرين تقريبا من ولايته أصدر قرارا بالغاء مدرسة الطب البيطرى ، وهذا نص القرار (مستغن عن التفصيل والبيان أن المتخرجين من مدرسة الطب البيطرى والمعينين فى تفاتيش الحكومة لاصلاح جنس الحيوانات ومداواتها قد تسببوا فى خسارات جسيمة وتلفيات عدة من الحيوانات المودعة تحت أمانتهم ، فضلا عن ذلك تسببوا فى تلف الجوادين الكريمين السقلاوى والأحمرانى الواردين هدية من طرف حضرة شريف مكة لابننا الكبير . كما أنهم تسببوا فى مرض الجواد عسيان الأحمر المقدم لنا من طرف فيصل بمرض السقاوى ، وظهر حقيقة هذا بمشاهدتنا الجواد المريض المذكور ، فبناء عليه ثبت أن كل التعب والمشقة والمصاريف الوافرة التى صرفت لهؤلاء الأطباء البيطريين من صغر سنهم الى اليوم ذهبت هباء . فاستخدامهم اليوم مضر بالخزينة بالنسبة للمرتبات التى يتناولونها ، وبحيوانات التفاتيش بالنسبة لعدم مبالاتهم وعنايتهم بها ، فعندما يصل أمرى اليكم عليكم أن تبطلوا وتلغوا مدرسة الطب البيطرى ، وتنزعوا رتب

ونياشين الحكماء البيطرية المستخدمين في الحكومة كبيرا كان أو صغيرا ، ومن ضمنهم عشماوى أفندى ، وافصلوهم ، واطردوهم من جميع الوظائف الحكومية ، وقد حررنا هذا لكم لتبادروا بتنفيذه) أ هـ •

وفى سنة ١٨٥١ مر بمدينة المنيا فلم يعجبه حال المهندسين فيها فرفتهم جميعا وأمر بنزع نياشينهم ، وحرم شغلهم ثانية بوظائف الحكومة ، وأرسل لمدير المدارس يهدد بالغاء ديوان المدارس كلية (وديوان المدارس كان يقوم مقام وزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالى الحاليتين) •

وفى سنة ١٨٥٤ ألغى مدرسة الألسن ، ونفى ناظرها رفاعة بك رافع الذى ظل ناظرا لها ١٥ سنة وتخرج منها على يديه العشرات من رواد النهضة الحديثة بمصر ، نفاه ليكون مدرسا بمدرسة الخرطوم الابتدائية ، ونفى معه الكثيرين من مدرسى مدرسة الألسن المذكورة وكذلك مدرسين بمدرسة المهندسخانة ليكونوا مدرسين بمدرسة الخرطوم الابتدائية ، وظلوا بالخرطوم حتى استرجعهم سعيد باشا سنة ١٨٥٦

ونفى بعض العلماء المشهود لهم بالنبوغ والصلاح ،بحجة أن من يعهد فيهم الصلاح من ذوى النبوغ سحرة ويخشى منهم •

وقتل عباس حلمى الأول سنة ١٨٥٤ وتولى بعده عمه سعيد باشا ابن محمد على •

وفى سنة ١٨٥٦ صدر قرار بانشاء مجلس خصوصى للطب ، وبعده صدر الأمر بانشاء مدرسة الطب فى القصر العينى ملحقة باستبالية القصر العينى لتعليم الطب والجراحة والعلوم الطبية والاجزائية (الصيدلة) ،وتقرر فتحها فى أول سبتمبر سنة ١٨٥٦ (غرة المحرم سنة ١٢٧٣ هـ) ويكون (تلاميذها ممن يحسنون القراءة والكتابة ، ويعرفون القواعد الأصلية للحساب ، ويكون سنهم نحو ١٥ سنة واذا لم يوجد من يعرف الحساب يرتب خوجه (مدرس) حساب ومبادىء هندسة ، وكذلك خوجه للغة الفرنسية ، وهذا وقتيا لحين انتاج تلامذة من المدرسة التجهيزية بالقلعة لتدريس الحساب والفرنساوى)
وكانت المدرسة التجهيزية بالقلعة قد صدر الأمر بانشائها قبل هذا بشهر تقريبا •

وتقرر أن يكون (تلاميذ) مدرسة الطب بالقصر العينى ٨٠ ، منهم ٦٠ لتعليم (يعنى تعلم) علوم الطب والجراحة ليكونوا حكماء ، و ٢٠ لتعليم العلوم الطبية والأجزاء ليكونوا اجزائية ، (ولا تزال كلمة أجزخانة أى مكان الاجزاء تجرى على ألسنة الناس بمبنى الصيدلية) .

وتوضح بالأمر المذكور كيفية معاملة (التلاميذ) من حيث الكساوى والمأكولات والاقامة والفسحة (الاجازة) والخروج عند انتهاء التعليم بالتدريج على خمس سنين وربط ماهية لكل تلميذ ٧٥ قرشا شهريا ، قابلة للزيادة والترقى ، وسمح لمن يرغب من الأهالى فى الانضمام الى المدرسة زيادة عن العدد المذكور ، ويعاملون نفس المعاملة .

وفى أكتوبر سنة ١٨٥٦ صدر أمر باعتماد لائحة مقدمة من كلوت بك وأقرها مجلس الطب الخصوصى من ٣٩ بندا عن (ترتيب وادارة مدرسة تعليم الطب وضبطها وربطها) .

وتشمل اللائحة على كيفية قبول التلامذة ودخولهم المدرسة وبيان الدروس وتقسيمها على الفصول والأيام والساعات والسنين، ومدتها ، وتنبيهات التعليم ، وما يجب على المعلمين والمساعدين من الملاحظة والمباشرة والدراسة وتحرى أحوال التلامذة ، وتمييز درجاتهم وطبقاتهم ، وحصول الامتحان العمومى السنوى فى النصف الأخير من شعبان (كانت مصالح الحكومة تعطل فى شهر رمضان لغاية بعد أيام عيد الفطر) ليحصل امتياز ذوى الفلاح عمن سواهم ، واجراء ضبط المدرسة على قانون العسكرية ، ووضع حدود للجزاءات المتنوعة حسب الأحوال .

وفيها ما هو مقتضى من الصنايعية والشغالة من ايجاد صانع موكل بحفظ وتصليح الآلات الطبية والكيمياء ، ونفر سكاكينى لحفظ وتصليح آلات الجراحة ، وبخشونجى (جناينى) واثنين مساعدين له لحفظ حديقة النباتات .

وفيها أيضا ما تقرر لكل تلميذ من الكساوى بما يفيد ترتيب كسوة (بدلة) واحدة من جوخ أزرق وكسوتين بفتة لكل تلميذ سنويا وطربوش وحزام ومركوبين وثلاثة ألبسة وثلاث طواقى ويتميز الخوجات (المدرسون) بألوان الرقبة والأكمام .

كما اشتملت على ترتيب الأغذية والنوم ليلا والنظافة • وما تقرر من ايجاد صندوق يدخر فيه خمسة فى المائة من مرتب كل تلميذ ، فضلا عما يتحصل من الغرامات فى المخالفات المختلفة ، ويستعمل هذا المدخر فى شراء كتب أو أشياء مما لا تصرف الا بأثمانها •

كما نصت أن لمجلس الطب الخصوصى الادارة والاشراف على المدرسة والمستخدمين فيها •

ونرى أنها لائحة وافية بالنسبة لأغراضها في ذلك الوقت ولكن شتان بين ما كان وما هو الآن ، فقد رأينا أنه كان يكفى الطالب للالتحاق بمدرسة الطب مجرد معرفة القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، ثم تنفق عليه الدولة وترتب له المسكن والغذاء والكساء والمصروف ، والآن لا يلتحق بكلية الطب الا المتفوقين فى امتحانات الثانوية العامة ، وبينما بدأت دراسة الطب بمائة تلميذ بمدرسة أبى زعبل وبستين تلميذا بمدرسة الطب بالقصر العينى كما ذكرنا نجد الآن أن كليات الطب بها أكثر من ١٥٠٠٠ طالب ، فضلا عن طلبة طب الأسنان والصيدلة ومعاهد التمريض وغيرها •

وخرجت مدرسة الطب بالقصر العينى - على بساطة نظمها - المئات الذين أفادوا وطنهم ومواطنيهم ، ونبغ منهم الكثيرون ، وجمعوا من مهنتهم الثروات الطائلة ، وخلدت لافتات الشوارع أسماء الكثيرين منهم كما ذكرنا وسنذكر باذن الله •

واهتم بعضهم بتأليف وترجمة الكتب الطبية لحاجة التدريس بالمدرسة ، وكانت كتبهم تجمع بين العلم والأدب كروح العصر ، مما نجده واضحا فى أسماء هذه الكتب ، وقد ذكرنا مؤلفات الدكتور محمد بك الشافعى ، ولا بأس أن نورد أيضا بعض الأمثلة الأخرى لهذه الأسماء •

(روضة النجاح الكبرى فى العمليات الجراحية الصغرى) و (غرر النجاح فى أعمال الجراح) لمؤلفهما محمد على البقلى •

وهو الدكتور محمد على باشا البقلى كان طالبا بمدرسة الطب بأبى زعبل ، ثم أرسل فى بعثة الى فرنسا سنة ١٨٣٢ ولما عاد عين حكيمباشى (طبيب أول) (باستالية) القصر العينى • وكانت أنشئت قبل المدرسة ، ثم نقله عباس حلمى الأول الى أحد أثمان العاصمة

(الثمن هو قسم البوليس حيث كانت العاصمة مقسمة الى ثمانية أثمان) • ثم عين مدرسا بالقصر العينى بعد انشاء مدرسة الطب ، ثم ناظرا عليها ، ثم سافر الى الحبشة رئيسا للأطباء فى الحملة التى أرسلها الخديوى اسماعيل بقيادة ابنه عزيز حسن ، واستشهد هناك سنة ١٨٧٦

وابنه أحمد حمدى باشا البقلى تخرج من مدرسة الطب بالقصر العينى سنة ١٨٦١ ، وأتم دراسته فى فرنسا سنة ١٨٦٩ ، وعين رئيسا لقسم الجراحة بالقصر العينى ، ثم مفتشا عاما لمصلحة الصحة (وزارة الصحة أنشئت سنة ١٩٣٥ وكانت مصلحة فقط قبل ذلك ، أما الأصل فقد تأسس مجلس الصحة والاسبتالية سنة ١٨٢٧ وظل بهذا الاسم لغاية سنة ١٨٣٥ حيث تسمى باسم مجلس الصحة العمومية) • وتوفى سنة ١٨٩٩ ، وله مؤلفات بالعربية والفرنسية منها (تحفة الحبيب فى العمليات الجراحية والأربطة والتعصيب) و (الراحة فى أعمال الجراحة) ورسالة بالفرنسية عن (داء الفيل عند العرب) •

وزاوية البقلى قرية بالمنوفية أخرجت العشرات فى العصر الحديث ممن نبغوا فى الطب والهندسة والعلوم العسكرية والدينية • وجميعهم لقبهم البقلى نسبة للقرية • ولكنهم ليسوا من أسرة واحدة • وان كانت تربطهم رابطة القرابة كالمعتاد فى القرى من ارتباط أغلب عائلتها بروابط النسب والقرابة •

ومن الكتب الطبية فى ذلك الوقت (نزهة المحافل فى معرفة المفاصل) و (المنحة لطالبى الصحة) و (ونفحة القلم فى أمراض القدم) تأليف وتعريب الدكتور محمد عبد الفتاح من بعثة سنة ١٨٢٦

وأيضا (الروضة البهية فى الأمراض الجلدية) و النيرين فى مداواة العين) و (بهجة الرؤساء فى أمراض النساء) و (نزهة الأقبال فى مداواة الأطفال) و (عمدة المحتاج فى علمى الأدوية والعلاج) لمؤلفها الدكتور السيد أحمد حسن الرشيدى •

وفى هذه الأسماء ما يدل على أن التخصص فى فرع واحد من فروع الطب لم يكن معروفا • و (الدر الثمين فى فن الأقربازين) للدكتور حسين الرشيدى •

والدكتور أحمد حسن الرشيدى درس بالأزهر . ثم اشتغل مصححا للكتب الطبية بمدرسة أبى زعبل . ثم سافر فى بعثة الى فرنسا سنة ١٨٣٢ – وعاد سنة ١٨٣٨ فعين مدرسا للعلوم الطبية بمدرسة الطب بأبى زعبل الى أن عطلت . وتوفى سنة ١٨٦٥ وله مؤلفات أخرى غير ماذكر .

أما حسين الرشيدى فهو الدكتور حسين غانم الرشيدى كان أيضا من مصححى الكتب بأبى زعبل وسافر لفرنسا فى البعثة المذكورة وعاد لمصر سنة ١٨٤٥

وقد أسمت البلدية شارعا باسم شارع الرشيدى متفرعا من شارع القصر العينى أمام القصر العينى ولا أدرى هل هو تخليد لذكرى الأول أو الثانى .

ولم يكن السجع قاصرا على أسماء الكتب الطبية بل فى كل العلوم . فنجد مثلا فى الهندسة (نزهة الغايات فى حساب المثلثات) لاحمد دقلة . وفى الجيولوجيا (الأقوال المرضية فى علم الطبقات الأرضية) لأحمد ندا . وفى النبات (النور اللامع فى النبات ومافيه من الخواص والمنافع) لأنطون . وغيرها من الأمثلة .

وفى عهد الاحتلال الانجليزى أصبحت اللغة الانجليزية هى اللغة الثانية بجانب اللغة العربية . بعد أن كانت التركية ثم الفرنسية . وبذلك أصبحت الدراسة بمدرسة الطب بالقصر العينى باللغة الانجليزية . وأصبحت مراكز الاستاذية وقفا على الأطباء الانجليز . ولكن جاهد بعض المصريين حتى وصلوا الى مراكز الأستاذية .

وبعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذى اعترفت فيه انجلترا – مع أربعة تحفظات – بمصر دولة مستقلة ذات سيادة – نظم خروج الموظفين الانجليز من خدمة الحكومة المصرية . بتعويضات مبالغ فيها . وكانت دراسة الطب فى مصر قد تقدمت بما سمح للمصريين أن يشغلوا وظائف التدريس محل الانجليز بجدارة واستحقاق .

وفى سنة ١٩٢٥ أعلن انشاء جامعة القاهرة باسم جامعة فؤاد الأول . وكانت الجامعة المصرية موجودة منذ سنة ١٩٠٨ بمجهود واشراف

الأهلين • ولكن للدراسات النظرية فقط • فأصبحت بذلك جامعة رسمية تحت اشراف الحكومة • وانضمت مدرسة الطب بالقصر العينى للجامعة • وأصبحت كلية الطب بجامعة فؤاد الأول •

وفى سنة ١٩٢٩ شعرت الحكومة بعدم كفاية الكلية والمستشفى • فخصصت مساحة ٤٤ فدانا بالجهة البحرية بجزيرة الروضة لأقامة مستشفى وكلية جديدتين • وأسمت المستشفى باسم فؤاد الأول • وكان للمرحوم على باشا ابراهيم أثناء ادارته للجامعة (توفى سنة ١٩٤٧) الفضل فى جعل المستشفى والكلية على أحدث طراز • ولكن لغاية سنة ١٩٥٢ لم يكونا قد تمتا • وتمتا فى عهد الثورة •

وغلب الاسم القديم فأصبحت المبانى الجديدة تعرف بالقصر العينى الجديد

وتوالى انشاء الجامعات • وفى كل جامعة منها كلية للطب • فأنشئت جامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٢ باسم جامعة فاروق • وأنشئت جامعة عين شمس سنة ١٩٥٠ باسم جامعة ابراهيم تملقا للأسرة المالكة وقتذاك • وأنشئت جامعة أسيوط سنة ١٩٥٧ • وتطورت الدراسة بالأزهر بالقانون ١٠٣/١٩٦١ الذى أقره مجلس الأمة فى ٣٠/٦/٦١ فأنشئت كلية الطب بالجامعة الأزهرية كما أنشئت بعدها كلية الطب بطنطا والمنصورة نواة لأنشاء جامعتين بهما •

هذا هو تاريخ قصر العينى • أو القصر العينى • ونحن الآن لا نتذكر شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى • منشىء القصر • وما مر عليه فى حياته من رفقة وخمول • وما كان فيها من عبرة وعظات ولكن اذا ذكرنا القصر العينى فأنما نتذكر الداء والدواء • وأن فيه شفاءا للناس ؟

محمد كمال السيد محمد

الشفعة على أقارب البائع في الشريعة والقانون

للدكتور إبراهيم دسوقي الشهاوي

الشــــفعة على اقارب البــائع فى الشريعة والقانون :

اتفق الفقهاء الذين يعتد باتفاقهـم على ثبوت الشفعة على أقارب البائـع كثبوتها على غير أقاربه •

فاذا باع ابن لأبيه نصيبه في عقار أو باع أب لابنه أو باع زوج لزوجته أو باع أخ لأخته فتثبت الشفعة على المشترى مهما كانت درجة قرابته من تحقـق سبب الشفعة وهو اتصال الملك بالشركة أو الجوار ، وانتقـــال ملك الجار أو حصة الشريك بمعاوضته كالبيع ويدل لذلك عموم النصـوص المثبتة للشفعة فانها تفيد ثبوت الشفعة بدون تفريق بين مشتر قريب ومشترى غير قريب فالمشفوع عليه هو من انتقل اليه الملك بوصف كونه مشتر لا غير •

وخالـــف فى ذلك بعض فقهـاء الاباضية فقالوا: لعدم ثبوت الشفعة فيما يبيعـه الوالد لولده أو الولد لوالده ، أو أحد الزوجين للآخر لاتصال المنافع بين المتبايعين فى هذه الحالة واحتمال تأثير ذلك فى الثمن المحدد للعقار •

وذهب عبد الله حميد بن سلـوم السالمى من فقهاء الاباضية ـ فى كتابه جواهـر النظـام فى علمى الأديـان والأحكام ـ الى ثبوت الشفعة فيما باعه الأب لأبنه والى عدم ثبوتها فيما باعه الابن لأبيه والى عدم ثبوت الشفعة فيما اشتراه الزوج من زوجته أو اشترته الزوجة من زوجها •

الشفعة على أقارب البائع فى الشريعة والقانون الوضعى :

نصت المـادة (٩٣٩) فقرة أولى بند (١) مدنى على أنه « لايجوز لأخـذ بالشــفعة اذا وقع البيع بين الأصـول والفروع ، أو بين الزوجين أو بـين الأقارب لغاية الدرجة الرابعة ، أو بين

الأصهار لغاية الدرجة الثالثة فاذا كان المشترى واحدا من هؤلاء الأقارب المذكورين فى النص فان الشفعة ضده لا تجوز ، والحكمة فى هذا المنع أن البيع الذى يقع لواحدة من هؤلاء تراعى فيه اعتبارات تتعلق بشخص المشترى ، وغالبا ما تكون هذه الاعتبارات هى التى دفعت الى التصرف على نحو معين لهذا الشخص دون غيره من الأشخاص ، الأمر الذى لا يجوز معه أن تباح الشفعة لشخص آخر لا تتوافر بالنسبة اليه هذه الاعتبارات.

ولهذا فان الشفعة لاتجوز فى مثل ذلك البيع .ولو كان طالب الشفعة أقرب الى البائع من المشترى ، ويتضح من النص أن المنع يسرى على البيع الذى يقع بين الأقارب فى الحدود الآتية :

أولا : البيع بين الأصول والفروع حيث لا تجوز الشفعة فى هذا البيع أيا كانت درجة القرابة بين البائع والمشترى ، كما لو باع الأب لابنه أو باع الجد لحفيده ، ويستوى أن يكون البائع هو الأصل أو يكون هو الفرع .

ثانيا : البيع بين الزوجين : فلا تجوز الشفعة فى هذا البيع ما دام يقع أثناء قيام الزوجية: أما البيع السابق على قيام الزوجية أو اللاحق لها فتجوز الشفعة فيه .

ثالثا : البيع بين الأقارب لغاية الدرجة الرابعة : والمقصود بهؤلاء هم الأقارب الذين تجمع بينهم قرابة الحواشى لا القرابة المباشرة ، فهم غير الأصول والفروع وأن هؤلاء ذكرهم النص دون قيد من حيث درجة القرابة ، فلا تجوز الشفعة فى البيع الذى يقع بين الأقارب الحواشى لغاية الدرجة الرابعة ، وتحسب الدرجة طبقا لما تقضى به المادة (٣٦) مدنى بأن تعد الدرجات صعودا من الفرع للأصل المشترك ثم نزولا منه الى الفرع الآخر ، وكل فرع فيما عدا الأصل المشترك يعتبر درجة ، كالبيع الذى يصدر للأخ أو الأخت ، والبيع الذى يصدر لابن الأخ ،أو لابن الأخت أو العم ، أو العمة ، أو للخال ، أو للخالة والبيع الذى يصدر لابن العم أو لابن العمة أو لابن الخال أو لابن الخالة حيث يعتبر البيع الأول بين أقارب فى الدرجة الثانية ، ويعتبر البيع الثانى بين أقارب فى الدرجة الثالثة ويعتبر البيع الثالث بين أقارب فى الدرجة الرابعة ، أما اذا ازدادت

درجة القرابة عن ذلك فان الشفعة تجوز •

رابعا : البيع بين الأصهار لغاية الدرجة الثانية : والأصهار هم أقارب أحد الزوجين بالنسبة الى الزوج الآخر ، فلا تجوز الشفعة فى البيع الذى يقع بين الأصهار لغاية الدرجة الثانية ، وتحسب درجة القرابة بينهم طبقا لما تقضى به المادة (٣٧) مدنى « بأن يعتبر أقارب أحد الزوجين وفى نفس القرابة والدرجة بالنسبة الى الزوج الآخر كالبيع الذى يصدر لأب الزوج أو الزوجة أو لأم الزوج أو الزوجة ،أو لزوج البنتأو لزوجة الابن ، والبيع الذىيصدر لأخ الزوج أو الزوجة ، أو لأخت الزوج أو الزوجة ، حيث يعتبر البيع الأول بين أصهار فى الدرجة الأولى • ويعتبر البيع الثانىبين أصهار فىالدرجة الثانية

أما اذا زادت الدرجة عن ذلك ، كما لو صدر البيع من أحد الزوجين لعمزوج الآخر أو ابنأخيه فانالشفعة تجوز عليه •

هذا : وان المتأمل فيما قرره الفقهاء والقانون الوضعى فى الشفعة للأقارب يتضح له أن القانون الوضعى قد وافق ما ذهب اليه بعض فقهاء الاباضية فى الجملة • وان ما ذهب اليه الفقهاء من ثبوت الشفعة على أقارب البائع مهما كانت قرابتهم هو الراجح لأن عدم جواز الشفعة يوجب التضييق فى رخصة تضييقا لا يدفع الضرر بل يوجبه هذا فضلا عما تفيده النصوص التى يقوى بعضها بعضا من تأكيد القول بعدم الفرق بين الأقارب وغيرهم فى رخصة الشفعة •

الشفعة للذمة على المسلم :

اتفق بعض الفقهاء على ثبوت الشفعة للذمى على الذمى وللمسلم على الذمى كثبوتها للمسلم على المسلم اذا تحقق سببها ، وهو اتصال الملك بالشركة أو الجوار ، وانتقال الملك الى الشريك الحادث أو الجار الحادث ثم اختلفوا فى ثبوتها للذمى على المسلم على قوانين :

القول الأول : تثبت الشفعة للذمى على المسلم ، ذهب الى ذلك الحنفية والمالكية والشافعية وشريح وعمر بن عبد العزيز والنخعى •

القول الثانى : لا تثبت الشفعة للذمى على المسلم ، ذهب الى ذلك الحنابلة والحسن والشعبى وابن أبى ليلى •

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول على ثبوت الشفعة للذمى على المسلم بالسنة والاجماع والقياس .

أما السنة : فعموم الأحاديث الواردة فى ثبوت الشفعة ، كالحديث الذى رواه مسلم عن جابر - رضى الله عنه - أن النبى صلى الله عليه وسلم : « قضى بالشفعة فى كل شركة لم تقسم ، ربعة أو حائط لا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه ، فان شاء أخذ وان شاء ترك فان باعه ولم يؤذنه فهو أحق به »

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن لفظ « شريكه » من صيغ العموم لأنه اسم جنس مضاف الى معرفة ، فيعم كل شريك ، سواء أكان مسلما أم كان غير مسلم فتثبت الشفعة للذمى على المسلم كما تثبت للمسلم على الذمى وللمسلم على المسلم .

وأما الاجماع : فقد روى عن شريح أنه قضى بالشفعة للذمى على المسلم وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فأجازه وكان بمحضر من الصحابة - رضى الله عنهم - ولم ينكر أحد عليه ، فكان ذلك اجماعا على ثبوت الشفعة للذمى على المسلم .

وأما القياس : فقالوا : ان الذمى كالمسلم فى السبب والحكمة وهما اتصال الملك بالشركة أو الجوار ، ودفع الضرر عن الشريك أو الجار ، فكما جازت الشفعة للمسلم على المسلم فكذلك تجوز للذمى على المسلم .

واستدل أصحاب القول الثانى : على عدم ثبوت الشفعة للذمى على المسلم بالسنة والمعقول .

أما السنة : فما رواه الدارقطنى - فى كتاب العلل - عن أنس - رضى الله عنه - عن النبى صلى الله عليه وسلم - أنه قال : «لا شفعة لنصرانى» فهذا الحديث نص فى عدم ثبوت الشفعة للذمى على المسلم فيخصص عموم الأحاديث الواردة فى الشفعة ويقصر ثبوتها للمسلم على المسلم وللمسلم على الذمى ، ويخرج من العموم الذمى فلا يكون شفيعا على مسلم .

ورد هذا الاستدلال بأن هذا الحديث ضعيف لا يصلح حجة على ثبوت الشفعة للذمى على المسلم ، فقد

عده البيهقي في السنن الكبرى من الأحاديث المنكرة فهو لا يصلح مخصصا لعموم الأحاديث الواردة في ثبوت الشفعة للمسلم والذمي على السواء .

وأما المعقول : فهو أن الشريعة انما قصدت الرفق بتشريع الشفعة ، والرفق لا يستحقه الا من أقربها وعمل بمقتضاها ، والذمي لم يقربها ولم يعمل بمقتضاها ، فلا يستحق المقصود بتشريع الشفعة فلا تثبت له الشفعة على المسلم .

ورد هذا الاستدلال : بأن الشريعة جعلت للذميين ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » بمقتضى عقد الذمة ، ما لم يوجد دليل بخلافه ، والشفعة من الحقوق التي تثبت للمسلمين ، فتثبت للذميين اذ لا دليل على اختصاص المسلمين بها ، فتثبت الشفعة للذمي على المسلم كما تثبت للمسلم على المسلم وللمسلم على الذمي .

القول المختار : والمختار هو القول بثبوت الشفعة للذمي على المسلم لقوة دليله ولأن اضرار الذمي بعدم ثبوت الشفعة له على المسلم يتنافى وما التزمناه له بمقتضى عقد الذمة من معاملته معاملة حسنة ما دام يوفي بعهده ، ولأن في الرفق به اظهار لسماحة الاسلام وأنه ليس دين عنف وتفرقة بل هو دين يؤكد الحرية والمساواة ، والوفاء بالعهود والذمم ويمنع من الاضرار بين الناس « لا ضرر ولا ضرار » .

هذا : والقانون الوضعي قد وافق أصحاب القول الأول في ثبوت الشفعة للذمي على المسلم ، لأنه لم يصرح باشتراط الاسلام في الشفيع ، فتثبت الشفعة للشريك أو الجار مطلقا سواء أكان مسلما أم ذميا ، والله أعلم بالصواب ؟

د . ابراهيم دسوقي الشهاوي

آراء الفقهاء فى المرتد عن الإسلام

للدكتور محمد جمال الدين عواد

الاسلام منهج كامل للحياة فهو: دين ودولة ، وعبادة ، وقيادة ، ومصحف وسيف ، وروح ومادة ، ودنيا وآخرة وهو مبنى على العقل والمنطق ، وقائم على الدليل والبرهان، وليس فى عقيدته ولا شريعته ما يصادم فطرة الانسان أو يقف حائلا دون الوصول الى كماله المادى والأدبى ، ومن دخل فيه عرف حقيقته وذاق حلاوته فاذا خرج عنه بعد دخوله فيه وادراكه له كان خارجا على الحق والمنطق متنكرا للدليل والبرهان وحائدا عن العقل السليم والنظرة المستقيمة متمردا على المجتمع والانسان حين يصل الى هذا الحد لا ينبغى المحافظة على حياته ولا الحرص على بقائه لأن حياته ليست لها غاية كريمة ولا مقصدا نبيلا ثم ان الاسلام من حيث أنه منهج عام للحياة ونظام شامل للسلوك الانسانى لا غنى له عن سياج يحميه ودرع يقيه اذ من الواضح أن أى نظام لا قيمة له الا بالحماية والوقاية والمحافظة عليه من كل ما يهز أركانه ويزعزع بنيانه ، ومن المعروف أنه لا شئ أقوى من حماية النظام ووقايته من منع الخارجين عليه لأن الخروج عليه يهدد كيانه ويعرضه للخطر والتداعى بل هو ثورة عليه ليس لها من جزاء الا الجزاء الذى اتفقت عليه القوانين الوضعية فيمن خرج على نظام الدولة وأوضاعها المقررة ومن ثم فانه يصبح متهما بالخيانة العظمى لبلاده والخيانة العظمى جزاؤها الاعدام — وحينئذ فالاسلام فى تقريره عقوبة الاعدام للمرتدين منطقى مع نفسه متفق مع غيره من النظم .

هذا ولقد فصل الفقهاء أمر الاعتداء على الدين فقالوا : انه يكون بالردة عن الاسلام تصريحا أو بلفظ يفيد معنى

الردة أو بفعل يتضمن ذلك،أو بانكار ما علم من الدين بالضرورة أو بارتكاب ما يدل على التكذيب والاستخفاف أو بسب لله تعالى أو الملائكة أو الأنبياء أو بتضليل الأمة أو تكفير الصحابة الى غير ذلك من الأمور التى ذكرها الفقهاء فى كتبهم (١) والاسلام قبل أن يقيم الحد على المرتدين يمنحهم فرصة تقدم فيها الأدلة والبراهين التى تعيد الايمان الى القلب واليقين الى النفس وتريح ما علق بالوجدان من ريب وشكوك ومن ثم كان من الواجب أن يستتاب المرتد ثلاثا ويمهل فترة زمنية قدرها ثلاثة أيام يراجع فيها نفسه ويفند فيها وساوسه وتناقش فيها أفكاره ، فان عدل عن موقفه بعد كشف شبهاته ورجع الى الاسلام وأقر بالشهادتين واعترف بما كان ينكره وبرىء من كل دين يخالف دين الاسلام قبلت توبته والا أقيم عليه الحد (٢) ونقل ابن القاسم عن مالك أن من سب الله تعالى يقتل بدون استتابة (٣) .

ثم ان الذين رأوا تقدير امهال المرتد ثلاثة أيام للتوبة اعتمدوا على ما روى مالك عن عبد الرحمن بن محمد القارى أنه قال : قدم على عمر ابن الخطاب رجل من قبل أبى موسى الأشعرى فسأله عن الناس فأخبره ثم قال له عمر هل كان فيكم من معربة (يعنى عندكم خبر من بلاد بعيدة) .. قال نعم رجل كفر بعد اسلامه فقال عمر ما فعلتم به قال قربناه فضربنا عنقه قال هلا حبستموه فى بيت ثلاثا وأطعمتموه كل يوم رغيفا واستتبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله : اللهم انى لم أحضر ولم آمر ولم أرض اذ بلغنى (٤) وقال صاحب المغنى من الحنابلة:ولو لم تجب استتابته لما برىء من فعلهم لأنه أمكن استصلاحه فلم يجز اتلافه قبل استصلاحه (٥) . وأما من ذهب الى عدم تقدير المدة بثلاثة أيام استدل بما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل أبا موسى على اليمن ثم أتبعه معاذ بن جبل فوجد عنده رجلا مقيدا فى الحديد فقال

(١) حاشيتا قليوبى وعميره على المنهاج جـ ٤ ص ١٧٤ ، ١٧٥
(٢) المغنى جـ ٨ ص ٣٨٥
(٣) تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام جـ ٢ ص ١٨٤
(٤) الزرقانى على موطأ مالك جـ ٤ ص ١٥ ، ١٦
(٥) المغنى جـ ٨ ص ١٢٥

ما هـذا ؟ قال كان يهوديا فأسـلم ثم ارتد • فقـال معـاذ : لا أنزل حتى يقتل : ذلك قضاء رسول‌الله صلى الله عليـه وسـلم ولكن هـذا الحديث لا حجـة فيـه لأنه روى أن أبا موسى استتابه شهرين وجمهور الفقهـاء على الاستتابة على الخلاف فى قدرها،وذهب النخعى الى أن المرتد يستتاب الى آخر حياته • ولكن هذا القول يفضى الى أن لا يقتـل أبدا وهو مخـالف للسـنة والاجمـاع (١) ومع كون هذا الرأى نقل عن النخعى فقد نقـل ابن قدامة فى كتابه المغنى عن النخعى عدم قتـل المرتد حتى يستتاب ثلاثا وعـلى ذلك يكون النخعى متفقا مع سائر الفقهاء فى أن المرتد يقتل متى لم يتب •

ويرى بعض الفقهـاء أن استتابة المرتد لا تجب وانمـا تستحب ومن القـائلين بذلك أحمـد فى رواية عنه وعبيد بن عمير وطاوس ويروى ذلك الحسن رضى الله عنه لقول‌النبى صلى الله عليـه وسـلم : (من بدل دينـه فاقتلوه) ولم يذكر استتابة (٢) • هذا ويرى جمهور فقهـاء الأمصـار أنه لا فـرق بين الرجل والمرأة فى اقامة حد الردة على كل منهما •قال صاحب المغنى : روى ذلك عن أبى بكر وعلى رضى الله عنهما واستدلوا بما يلى : أولا بأن المرأة مكلفة داخلة فى عموم قوله صلى الله عليه وسلم : (من بدل دينه فاقتلوه) ثانيا ـ بأنهـا داخلة فى عموم الحديث المتفق عليـه وهو قوله صـلى الله عليـه وسلم : (لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : الثيب الزانى،والنفس بالنفس ،والتارك لدينه المفارق للجماعة) ثالثا ـ بمـا جاء فى حديث معاذ لمـا بعثه النبى صـلى الله عليه وسلم الى اليمن قال وأيما رجل ارتد عن الاسـلام فادعه فان عاد والا فاضرب عنقه •

وأيما امرأة ارتدت عن الاســلام فادعها فان عادت والا فاضرب عنقهـا وســنده حسن • ويرى أبو حنيفـة وأصحابه أن المرتد يقتل لقوله تعالى : (فاقتلوا المشركين)•• الآية ، وذلك من غير قيد الامهال وكذلك‌لقوله صلى الله عليه وسلم:(من بدل دينه فاقتلوه) ولأن المرتد كافر حربى بلغته الدعوة فيقتل للحال من غير استمهال ـ وأما المرتدة فلا تقتـل وانمـا تحبس أبدا حتى تسـلم أو تمـوت ، ويروى عن أبى حنيفة أنها تضرب فى كل الأيام

(١) المغنى جـ ٨ ص ١٢٦
(٢) المغنى جـ ٨ ص ٢٣

وعن الحسن أنها تضرب كل يوم تسعة وثلاثين سوطا الى أن تموت أو تسلم ــ وقد استدل أبوحنيفة على عدم قتل المرتدة بأن النبى صلى الله عليه وسلم (نهى عن قتل النساء) ولأن الأصل تأخير الأجزية الى الدار الآخرة فالدنيا دار أعمال والآخرة دار جزاء ولكن سائر الفقهاء قد خالفوا ذلك الرأى كما تقدم فى استدلالهم وأجابوا عن دليل أبى حنيفة بأنه خاص بالكافرة الأصلية فانه قال ذلك حين رأى امرأة مقتولة وكانت كافرة أصلية ولذلك نهى الذين بعثهم الى ابن أبى الحقيق عن قتل النساء ولم يكن فيهم مرتد .

رأينا

بعد بسط وجهات النظر فيما تقدم نرى ونرجح ما ذهب اليه جمهور الفقهاء من أن ردة المرأة كردة الرجل سواء وأنها تقتل كما يقتل هو بلا فرق فالاسلام لابد له من سياج يحميه ودرع يقيه فمن خرج عليه فقد استبيح اراقة دمه ــ وان التساهل فى جريمة الردة يؤدى الى زعزعة النظام الاجتماعى ومن ثم عوقب عليها بأشد العقوبات استئصالا للمجرم من المجتمع وحماية للدين والنظام الاجتماعى من ناحية ومنعا للجريمة وزجرا عنها من ناحية أخرى ــ وان الاسلام ليقرر هذا الجزاء الرادع العادل صيانة للدين من الانحدار ومحافظة عليه من الضياع وفتكا بالمجرمين الذين هم جرثومة فى قلب المجتمع فلا استقرار ولا ضمان ولا سلامة له الا ببترهم والقضاء عليهم ــ على أن القرآن الكريم قد ذكر أن المرتدين عن الاسلام يعاقبون بالخلود فى النار ، قال تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (١) وقد ذهب الشافعى مستدلا بهذه الآية على أن الردة تحبط الأعمال اذا مات الانسان عليها (٢) .

وقانا الله واياكم كل سيىء ومكروه وجعلنا من المهتدين بهديه وشريعته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

د . محمد جمال الدين على عياد

(١) سورة البقرة : آية ٢١٧ .
(٢) تفسير الألوسى : جـ٢ ص ٩٥ .

أثر الإسلام في أوربا في العصر الوسيط

للمستشرق مونتجمري وات

عرض وتحليل وتقييم
الدكتور أحمد عبد الحميد غراب

— ٢ —

الفصــل الثالث :

انجازات المسلمين (١)
فى الفلسفة والعلوم

الى أى مدى كان المسلمون مجرد نقلة للتراث اليونانى فى الفلسـفة والعلوم ؟ والى أى مدى أسهموا فيـه اسهاما أصيلا ؟ •

للرد على هـذا السـؤال يعترف المؤلف بأن كثـيرا من المسـتشرقين يعالجون هذا الموضوع بتعصب ضـد المسلمين • بل انه حتى أولئك الذين يثنون على المسلمين فانهم يفعلون ذلك بحقد !! ويضرب مثلا على ذلك بمقال لكارا دى فو عن « الفلك والرياضة » عنـد المسـلمين فى كتـاب « تراث الاسلام » حيث يبـدأ الكاتب مقـاله بتقرير أن العرب (المسلمين) لا تتوقع منهم نفس العبقرية ، ولا نفس موهبة الخيال العلمى ، ولا نفس الحماسة ، ولا نفس الأصـالة الفـكرية ـ التى نجدها عند اليونان !! •• فما العـرب (المسلمون) الا تلاميـذ اليونان ، وما علومهم الا استمرار لعـلوم اليونان . ولكن مؤلف المقال يناقض نفسه بعـد قليل ، فيعترف بأن المسلمين قد حققوا انجازات عظيمة فى العلوم ، وخاصـة فى الجبر وحساب المثلثـات والرياضة والهندسة التحليلية والفلك •

ويمضى الأستاذ مونتجمـرى وات فيقرر أن التعصب ضد العرب مرتبط لا شك بالتعصب ضد الاسلام •

ولأجـل أن يبين مدى انجـازات المسلمين فى الفلسفة والعلوم يستعرض أولا: حركة الترجمة فى العصر العباسى

---

(١) يستعمل المؤلف كلمة العرب ، ومن الواضح ان كلمة «المسلمين» ادق فى هذا المجال ، فهى تشمل العرب وغيرهم من الشعوب الاسلامية التى اسهمت فى تقدم العلوم .

للعلوم والفلسفة اليونانية ، ثم يبين انجازات المسلمين فى مختلف العلوم كما يلى :

الرياضيات والفلك :

الخوارزمى : (ت بعد سنة ٨٤٦ م) ـ يذكر المؤلف انجازاته فى عمل الجداول الفلكية ، وفى وصف الجزء المعمور من الأرض وفى اختراع علم الجبر ، واستعمال الأعداد العشرية • وقد ترجمت مؤلفاته الى اللغة اللاتينية •

وهناك علماء مسلمون آخرون فى الرياضة والفلك ترجمت مؤلفاتهم الى اللاتينية ومنهم :

النيريزى (ت ٩٢٢ م ؟)

وابن الهيثم (ت ١٠٣٩ م) وهو عالم البصريات المشهور ، وصاحب المؤلفات الكثيرة فى هذا الميدان وخاصة كتاب المناظر الذى ترجم الى اللاتينية ، وفيه عارض نظرية أقليدس وبطليموس التى تقول بأن شعاع الابصار ينتقل من العين الى المرئى ، وأثبت أنه ينتقل بالعكس ، أى من المرئى الى العين • وكان يتبع المنهج التجريبى فى بحوثه ، فقام بتجارب كثيرة على المرايا العاكسة للضوء ، وعن طريق انعكاس الضوء فى وسط شفاف استطاع أنْ يصل الى تقرير مدى ارتفاع الغلاف الجوى للأرض ، وكاد يكتشف مبدأ العدسات المكبرة •

ومن انجازات الفلكيين المسلمين أيضا أنهم اكتشفوا ضعف النظام الفلكى البطليموسى وانتقدوه •

ومعظم أعمال الفلكيين المسلمين ترتبط بعمل الجداول الفلكيّة التى كانت أكثر دقة من جداول الاغريق والهنود والفرس • ومن المشهورين فى عمل جداول فلكية فى منتهى الدقة :

البتانى : (ت حوالى ٩٠٠ م) وقد ظلت ملاحظاته الدقيقة عن كسوف الشمس تستعمل فى أوروبا حتى سنة ١٧٤٩ م •

وقد اتصل الأوروبيون بالرياضيين والفلكيين المسلمين فى الأندلس ، ومنهم مسلمة المجريطى الذى عاش فى قرطبة وتوفى سنة ١٠٠٧ م •

وفى النصف الأول من القرن الحادى عشر كان هناك علماء مشهورون فى الفلك والرياضة مثل : ابن السمح ، وابن الصفار ، وابن أبى رجال •

وفى منتصف القــرن الثانى عشر ونهايته ظهر علماء آخرون فى أشبيلية مثل : جابر بن أفلح وهو مشهور فى حساب المثلثـات ، والبطروجى ، وقد انتقد نظريات بطليموس الفلكية •

الطب :

منذ بداية القرن التاسـع الميــلادى (الثـالث الهجرى) أخذ الخلفــاء والوزراء والأغنياء المسـلمون ينشئون المستشفيات وخاصة فى بغداد والرى والقـاهرة وغيرها من حواضر العـالم الاسلامى • وكان بكل مستشفى أطباء متخصصون ،وأجنحة خاصة للأمراض المختلفـة ، وللجراحة ، ولهـا ادارة وسجلات •

ولما درس المسلمون المؤلفــات الطبية لجالينوس وبقراط ظهر منهـم أطباء عديدون بلغوا مستوى أطبــاء اليونان ، ولم يعـــد الطب احتـكارا للنصارى كما كان من قبل • وقد حقق الأطباء المسلمون ذلك بدراسات نظرية وتجريبية واسعة صـاحبتها ممارسـة عملية للطب فى المستشفيات •

وخلال القرون الخمسة ما بين سنة ٨٠٠ ـ ١٣٠٠ م نجد مؤلفـات طبيـة عربية لأكثر من سبعين طبيبا ، معظمهم مسلمون ، وقليل منهم نصارى ويهود ، ومن أشهر أطباء المسلمين :

أبو بكر الرازى : (ولد سنة ٨٦٥ بالرى قرب مدينـــة طهـــران الحالية وتوفى هناك أو فى بغداد ما بين **٩٢٣** و ٩٣٢ م) •

كان أول رئيس لمستشفى بغداد • وقد ألف فى كل فروع الفلسفة وفى كل العـــلوم المعروفة فى ذلك الوقت وخاصـــة فى الطب • وقد بقى مـــن مؤلفاته الطبية أكثر من خمسين مؤلفا، من أهمهـا : مؤلفـات عن الجدرى والحصبة ، وقد ترجمت الى اللغـات اللاتينيـــة واليونانيـــة والانجليـزية والفرنسية • وأعظم مؤلفاته هو كتاب « الحـــاوى » فى الطب وهـــو دائرة معارف طبية واسعة أكملها تلاميذه بعد وفاته • وهو يقـدم لنـا آراء الأطبـاء اليونان والهنـــود والسريان والفرس والعـــرب ثم يتبعهـا بملاحظاته ورأيه الخـــاص وذلك عن كل مرض من الأمراض التى تحدث عنهـا فى هــذا الكتاب •

وقد ترجمت أقسام الكتـاب (التى حفظت من الضياع) الى اللغة اللاتينية فى القرن الثالث عشر •

وهناك كتاب آخر هو كذلك دائرة معـــارف ولكنـــه أكثر تركيزا وأقل تطويلا من كتاب الحاوى ، وذلك هو كتاب الكناش الملكى ، ألفـه الطبيب على بن العبـــاس (ت ٩٩٤ م) وقد ترجم كذلك الى اللاتينية • وكان على ابن العبـاس طبيبـا للسـلطان عضـد الدولة •

ابن سينا : (ت ١٠٣٧ م) •

ألف فى كل العـلوم الموجودة فى عصره وخاصة فى الفلســفة والطب • وكتابه « القانون » فى الطب يعد ذروة المؤلفات الطبية العربيـة • وقد ترجم الى اللاتينيــة فى القـــرن الثانى عشر وسيطر على دراســة الطب فى أوروبا حتى نهاية القـرن السادس عشر على الأقل • وقد طبع الكتــاب ست عشرة طبعــة فى القـــرن الخامس عشر • وعشرين طبعة فى القـــرن السادس عشر ، وأكثر من عشرين طبعــة فى القرن السابع عشر • وكتبت عليه عدة شروح وتعليقات باللاتينية والعبرية •

وفى الأندلس ظهر الطبيب الجراح أبو القاســم الزهــزاوى (ت بعـــد ١٠٠٩ م (ومؤلفـاته فى الجراحة والآلات الجراحية هى اسـهام عربى اسلامى عظيم فى هذا الفرع العـــام من فروع الطب (١) •

وقد كان عدد من الفلاسفة المسلمين فى الأندلس أطبـاء كذلك ومنهـم : الفيلسوف المشـهور ابن رشـد : (ت ١١٩٨ م) وابن زهر الأشبيلى : (ت ١١٦١ م) ، (وقـد تأثر موسى بن ميمون الفيلسـوف اليهودى بفلسـفة المسلمين وعلومهم) •

وحتى القرن الرابع عشر نجد أطباء مسلمين فى أسبانيا يؤلفـون عن الوباء الذى شـــاهدوه فى غرناطة وغيرها ، وهم يدركون تماما طبيعته المعدية •

---

(١) قام الدكتور جفرى لويس الأستاذ بجامعة اكسفورد ، بتحقيق القسم الخاص بالجراحة من كتاب «التصريف» لأبى القاسم الزهراوى ونشرته مطبعة جامعة اكسفورد سنة ١٩٧١

وقد أتيح لى أن أقرأ النص العــربى عن الجراحة قبـل نشره ، والمؤلف المسلم يشرح كلامه برسومات كثيرة لآلات جراحية متنوعة ، لا يكاد الباحث الحديث يصدق أن المسلمين عرفوها منذ أكثر من ألف ســنة .

العلوم الأخـرى :

ومن أهم العـلوم التى أسـهم فيها العرب والمسلمون اسهاما أصيلا العلوم التالية :

الكيمياء : بذل المسلمون محاولات فى هذا العلم لفهم تركيب المادة ــ وقد اعتقد بعض الكيميـائيين المسلمين فى امكانية تحويل العناصر ــ ومهما يكن من أمر فان الكيميـائى المسـلم كان يعالج من حيث الجوهر نفس المسائل التى يعـالجها الكيميـائى الحديث ، وكذلك كان يتبـع نفس المنهـج التجريبى الحديث .

ومن أشهر الكيميائيين المسلمين :

جابر بن حيان : عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، وان كانت بعض المؤلفات الكيميـائية فى القرنين التاسع والعاشر تنسب اليه . وعلى أية حال فان هذه المؤلفات تعالج الكيمياء كعـلم تجريبى له منهجه وله آلاته الخاصـة . وقد ترجمت هـذه المؤلفات الى اللغـة اللاتينيـة ، ومنهـا انتقلت عدة مصطلحات عربية كيمائية الى اللغات الأوروبية .

وقدكان من علماء الكيمياء المسلمين علماء فى علوم أخرى كذلك ، ومنهم أبو بـكر الرازى الطبيب الذى كتب عدة مؤلفات فى الكيمياء .

أما الفرض القائل بتحول العنـاصر فقد رفضه علماء مسلمون مثل: ابن سينا والبيروونى (ت ١٠٤٨ م) . والبيرونى خبير بحضارة الهند وتاريخها الاجتماعى والدينى . وهو كذلك عالم كبـير فى الفلك والكيمياء والجغرافيا والتاريخ .

علوم النبات والحيوان والمعـادن :

ان المؤلفات العربيـة الاسلامية فى هذه العلوم قد وصفت وصنفت مختلف النبات والحيوان والمعـادن والأحجار الكريمة . وبعض هذه العلوم (خاصة علم النبات) له فائدة علمية من حيث : علاقته بالصيدلة والأدوية الطبية .

ومن أعظم المؤلفين فى علم النبـات المؤرخ أبو حنيفة الدينورى : (ت ٨٩٥ م) صـاحب كتاب « النبات » . وقد اقتبس ابن البيطار المـالقى : (ت ١٣٤٨م) فى مؤلفاته الشاملة أهم ما فى كتاب الدينـورى . وكان ابن البيطار عالمـا بالصيدلة ، ولكنه أسـهم كذلك فى علم النبات .

أما مؤلفات المسلمين فى علم الحيوان فانهـا ــ وان كانت أدبيـة الطابع ــ تحتوى على ملاحظات علمية أصيلة .

المنطق والالهيات :

اذا كانت العلوم الطبية والفلكية هى التى حظيت باهتمام المسلمين فى أول الأمر ، فان الموضوعات الفلسفية قد كان لها بعد ذلك الأثر الأكبر فى الفكر الاسلامى .

وقد كان المسلمون يعدون العلوم الفلسفية علوما أجنبية ، ومن ثم لم تدخل ضمن المناهج العادية للتعليم العالى فى العالم الاسلامى .

فالتربية الاسلامية كانت تتألف من دراسة العلوم الدينية وخاصة الفقه والعلوم الاسلامية الأخرى مثل : علوم القرآن والحديث والكلام واللغة والأدب .

أما العلوم الفلسفية فكانت تدرس فى المعاهد العليا كمدارس الطب ، أو تدرس دراسات خاصة (أى دراسات مقصورة على أفراد معينين مثل : الفلاسفة والمفكرين) .

ولهذا فان العالم المسلم العادى — فى رأى المؤلف — لم يكن يعرف الا قليلا عن العلوم الفلسفية ، وذلك فيما عدا بعض الأفكار الفلسفية التى أخذت طريقها الى علم الكلام ، وخاصة على أيدى المعتزلة .

ويقرر المؤلف أن المسلمين قد اقتنعوا بضرورة معرفة الفلسفة اليونانية عن طريق مناقشاتهم ومجادلاتهم الكلامية مع النصارى ، ولهذا بدأ المتكلمون المسلمون يستعملون حججا فلسفية للدفاع عن الاسلام ، وخاصة متكلمو المعتزلة ، مثل ضرار بن عمر الذى عاش فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى (أى قبيل ترجمة الفلسفة اليونانية) .

وهنا يصدر المؤلف حكما غريبا جدا عن المعتزلة ، فيربط بين تأثرهم بالثقافة الهلينية وبين أصولهم الخمسة . مع أنه من الواضح كل الوضوح أن هذه الأصول الخمسة للمعتزلة هى أصول اسلامية بحتة وهى : التوحيد ، والعدل ، والمنزلة بين المنزلتين ، والوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . كما أن منهجهم العقلى يعتمد أساسا على القرآن الكريم : ففى القرآن اتجاه واضح الى استعمال الحجج والبراهين العقلية لاثبات وجود الله ووحدانيته ، ولاثبات صلاحية الاسلام وتشريعاته للانسانية — وفى القرآن كذلك حث واضح للانسان على استعمال العقل والتفكير .

وفى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ظهر أول فيلسوف مسلم وهو يعقوب بن اسحاق الكندى : (ت بعد سنة ٨٧٠ م) •

ولم يتحدث المؤلف عن الكندى وأصالته واسهامه العظيم فى تقدم الفلسفة والعلوم فى عصره ، كما لم يتحدث عن مدرسته وتلاميذه الذين خلفوه • وقد كان الانصاف يوجب على المؤلف أن يوفى الكندى ومدرسته حقهما فى هذا المجال (١) •

وبعد هذا التأثر المبدئى بالفكر اليونانى استقل المتكلمون والفلاسفة كل فريق بطريقته الخاصة ، واستمر ذلك لمدة تبلغ نحو قرنين •

وقد ظهر بعد ذلك فيلسوفان مسلمان يمكن أن يوضعا فى مستوى الفلاسفة العالميين وهما : أبو نصر الفارابى (ت ٩٥٠ م) وابن سينا (ت ١٠٣٧ م) •

وهنا يناقض المؤلف نفسه ويردد حكما طالما ردده المستشرقون وهو أن فلسفة الفارابى وابن سينا انما هى فى جوهرها صورة (لم يقل مشوهة !!) من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة • مع أنه من الواضح أن هذين الفيلسوفين قدما كثيرا من الأفكار والعناصر الجديدة التى لا توجد فى الفلسفة اليونانية القديمة ولا فى الأفلاطونية الحديثة • (وقد وضحت هذا بالتفصيل فى مقالى عن : مفهوم الفلسفة فى الاسلام) (٢) •

---

(١) قام بعض الباحثين بدراسة الكندى ومدرسته وآثاره دراسة موضوعية منصفة ، ومن هؤلاء : الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة الذى نشر « رسائل الكندى الفلسفية » فى جزئين بالقاهرة ١٩٥٠ ــ ١٩٥٣ مع مقدمة قيمة عن حياة هذا الفيلسوف وفلسفته . أنظر أيضا الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى : « الكندى فيلسوف العرب » (سلسلة أعلام العرب رقم ٢٦ ــ القاهرة ١٩٦٤) .

وانظر مقدمتنا لتحقيق كتاب « الأعلام بمناقب الاسلام » لأبى الحسن العامرى (القاهرة ١٩٦٧) ، ومقالنا عن مفهوم الثقافة الاسلامية فى مجلة « المجلة » بالقاهرة يونية ١٩٦٧ ومقالنا بعنوان : « التصور الفلسفى للاسلام عند مدرسة الكندى » •

وما زالت دراسات المستشرقين للكندى تحتاج الى مزيد من الانصاف • انظر • مثلا دى بور : « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » ترجمة الدكتور أبو ريدة ــ القاهرة . ١٩٥٤ م .

وانظر أيضا : Richard Walzer : Greekinto Arabic, oxford; 1962

(٢) كان من الممكن للدارس أن يعطى مختصرا لما وضحه فى مقاله فى مقامنا هذا حتى يستطيع القارىء تحصيل (مفهوم) واضح للأمور دون رده الى مراجع يعثر أولا يعثر عليها المجلة •

وكذلك يردد المؤلف فكرة استشراقية أخرى وهى أن فكر الفيلسوفين قد تأثر بكتب منسوب خطأ الى أرسطو بعنوان : كتاب « الربوبية » أو أوثولوجيا أرسطو طاليس ، وهذا الكتاب فى الحقيقة يرجع أساسا الى أفلوطين . (من الثابت فى تاريخ الفلسفة الاسلامية أن كثيرا من الفلاسفة المسلمين وعلى رأسهم الكندى ومدرسته لم ينسبوا هذا الكتاب قط الى أرسطو) .

ويعود المؤلف فيعترف بأن الفارابى وابن سينا يختلفان عن أفلوطين فى أنهما لم يقبلا قط فكرة تعدد الآلهة ، وانما أصرا دائما على التوحيد .

وقد عدهما بعض أهل السنة ملحدين لقولهما بقدم العالم (قول الفارابى وابن سينا بنظرية الفيض انما يعنى الخلق التدريجى للعالم ولا يعنى قدمه ، وقد قال الفارابى صراحة بحدوث العالم . وكذلك قرر الكندى ومدرسته حدوث العالم وأثبتوا ذلك بالأدلة العقلية) .

ثم يذكر المؤلف دراسة الغزالى للفلسفة دراسة موضوعية (وذلك فى كتابه : « مقاصد الفلاسفة ») ثم هجومه عليها (فى كتابه : « تهافت الفلاسفة ») .

وبعد الغزالى قبل المتكلمون المسلمون منطق أرسطو كمنهج عقلى (وهذا حكم عام غير صحيح ، فكثير من المتكلمين المسلمين ـ قبل الغزالى وبعده ـ انتقدوا منطق أرسطو ، وخاصة الفخر الرازى وابن تيمية وغيرهما (١) .

ثم بدأ اهتمام المسلمين يقل تدريجيا بالفلسفة والعلوم .

ثم يذكر المؤلف ظهور فلاسفة الاسلام فى الأندلس والمغرب وخاصة ابن باجة (ت ١١٣٨ م) وابن طفيل (ت ١١٨٥ م) وابن رشد (ت ١١٩٨ م) .

ويعتبر المؤلف ابن رشد مجرد « شارح عظيم لأرسطو » وأنه حول الفكر الفلسفى الاسلامى من الاتجاه الأفلاطونى الى الاتجاه الأرسطوطاليسى ولكن ابن رشد ظهر متأخرا ، فلم يكن لفلسفته تأثير على المشرق الاسلامى .

(١) وقد زاد الفلاسفة الاسلاميين تعقيبات على منطق أرسطو وغيره أثبتها د/على سامى النشار وحسبنا فى ذلك علم الأصول ـ المجلة .

ويكفى للرد على المؤلف أن نقرر أن ابن رشد فيلسوف له أصالته المستقلة عن أرسطو • وتبدو هذه الأصالة بوجه خاص فى مؤلفاته ذات الموضوعات التى لا علاقة لها بفلسفة أرسطو مثل كتابه : « فصل المقال فى تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الايصال » وكتابه : « مناهج الأدلة فى عقائد الملة » • وفى الكتاب الأول يعالج موضوع العلاقة بين الدين والفلسفة ، وفى الثانى يعالج اثبات العقائد الاسلامية بمنهج قرآنى عقلى واضح •

ويختم المؤلف هذا الفصل بأن يقرر أنه لولا المسلمون لما كان من الممكن أن تتطور الفلسفة والعلوم عند الأوروبيين فى الوقت الذى تطورت فيه •

وأن المسلمين لم يكونوا مجرد نقلة للفكر اليونانى بل حافظوا على هذا الفكر ووسعوا مجالاته •

وعندما بدأ الأوروبيون يهتمون بما عند أعدائهم المسلمين من فلسفة وعلوم كانت هذه قد بلغت قمتها عند المسلمين ،وكان على الأوروبيين ـ قبل أن يستطيعوا احراز أى تقدم فى العلوم ـ أن يتعلموا من أساتذتهم المسلمين •

الفصل الرابع :

حروب الاستعادة والحروب الصليبية

يتحدث المؤلف فى الفصول الثلاثة الأخيرة من الكتاب (الفصول ٤ ، ٥ ، ٦) عن ردود الفعل لدى أوروبا المسيحية عن الوجود الاسلامى فى الأندلس •

وفى هذا الفصل الرابع يتحدث عن رد الفعل الأوروبى من الناحية الحربية •• فيقدم موجزا لحروب استعادة أسبانيا من المسلمين فى الغرب، وكذلك الحروب الصليبية فى الشرق •

ويعتبر المؤلف دوافع حروب الاستعادة بأنها لم تكن ـ فى أول الأمر ـ دوافع دينية مسيحية ، نبعت من حماسة السكان للدفاع عن الكاثوليكية • ويعزز افتراضه هنا بأن المسلمين والمسيحيين واليهود عاشوا جميعا فى سلام حياة مشتركة لفترة طويلة فى الأندلس •

ومما زاد فى ضعف الشعور الدينى ـ فى رأيه ـ التزاوج بين المسلمين

والمسيحيين ، وقبول السكان - على الأقل سكان المدن - للثقافة الاسلامية، واصطباغ هذه الثقافة الى نهاية القرن العاشر بصبغة علمانية دنيوية أكثر من الصبغة الدينية • ومن ثم لم يفكر المسيحيون هناك فى أن يحاربوا هذه الثقافة بعاطفة دينية •

صحيح أن المسيحيين هناك كانوا يعتقدون أنهم مؤيدون بعون الهى فى حربهم ضد المسلمين ، ولكن هذا لا يعنى - فى رأى المؤلف - أنهم كانوا يعتبرون المسلمين أعداء للمسيحية •

ولكن بمرور الزمن ، وبارتباط المقاومة الأسبانية بالدين المسيحى ، اكتسبت هذه المقاومة صبغة دينية • والمؤلف لا يستطيع أن يحدد : متى بدأ اعتبار المسلمين فى أسبانيا أعداء للمسيحية •

ومهما يكن من أمر فانهذا الشعور الدينى « العدائى » ظهر عند المسيحيين أولا ، ثم أدى ذلك الى ظهوره عند المسلمين •

فدوافع المسلمين لفتح أسبانيا لم تكنفى أساسها دوافع دينية ، بلكانت - فى رأى المؤلف - دوافع مادية ، أى للرغبة فى الغنائم (!؟) (أنظر ردنا على هذه النقطة فيما سبق) •

كذلك كان الحكم الأموى فى الأندلس حكما عربيا أكثر منه حكما اسلاميا • فكان الشعر العربى - لا الشعر الدينى الاسلامى - هو السائد، وكان الافتخار بالأصل العربى منتشرا هناك •

واستمر ذلك حتى نهاية القرن العاشر الميلادى، وعندئذ بدأ المسلمون يوجهون اهتمامهم لدراسة العلوم الاسلامية (أى علومالقرآن والحديث والفقه والكلام) • والواقع أن نمو الوعى المسيحى ، وتوسع الدويلات المسيحية - أدى بالعرب الىأن يعتبروا أنفسهم « مسلمين » يدافعون عن « أرض اسلامية » • وبالرغم من ذلك فان المسلمين - الى نهاية الصراع - لم يكونوا جميعا متحدين ضد المسيحيين • وكذلك كان المسيحيون متفرقين • ولكن عندما بدأوا يعتبرون أنفسهم « مسيحيين » يقاتلون « أعداء المسيحية » بدأت جهودهم الحربية ضد المسلمين تتوحد • فلم يعودوا يفكرون فى أنهم مجرد سكان هذه

المدينة أو تلك،هذه الدويلة أو تلك ، وانما على أنهم حماة « الكاثوليكية » . وقد أدى هذا فى النهـايـة الى وحدة أسبانيا السياسية فى ظل الكاثوليكية (كما هو الحال الآن) .

وبالرغم من ذلك فان أسبانيا اكتسبت طابعا عربيـا اسـلاميا ، بالرغم من مسيحيتها ، وبالرغم من انكارها لهـذا الطابع .

وبعد ذلك يقـدم المؤلف موجزا لمجرى الحروب الصليبيـة وما انتهت اليه من فشل ذريع .

اهمية الحروب الصليبية لأوروبا الغربية :

يعرض المؤلف هنا لنقطتين هامتين:

(أ) تشـويه صورة الاسـلام فى أوروبا خـلال الحروب الصـليبية ، وخاصة خـلال الفترة الواقعـة بين القرن الثانىعشر والقرن الرابععشر. وقد استمرت هذه الصورة المشـوهة للاسلام تسيطر على التفكير الأوروبى منذ تلك الفترة حتى الآن .

(وستكون هذه النقطة موضـوع الفصل الأخير من الكتاب) .

(ب) الدوافع التىأدت بالأوروبين الى الاقـدام على الحروب الصليبيـة بالرغم من الأخطـار الجسـام التى اكتنفتها . ومن أهم هـذه الدوافـع مثلا :ـ

١ ـ الحماسة الدينية .

٢ ـ المطامع التجارية لمدنايطاليا.

٣ ـ توجيه البابا لطاقات الاقطاعيين الأوروبيين الذين كان يقاتل بعضهم بعضـا ـ الى عـدو خـارجى وهو الاسلام .

وأهم من هذه الدوافع كلها ـ فى رأى المؤلف ـ أن الاسلام كان يعتبر عدوا لدودا لأوروبا المسيحيـة لقرون طويلة مضت ، فقدكان الاسلام يسيطر علىالبحر المتوسط منأسبانيا الى سوريا كماكان ينتشرشرقا وجنوبا بلاتوقف! وحتى بعـد سنـة ١١٠٠ م كان الأوروبيون يعتقـدون أن الاسـلام يسيطر على أكثر من نصف الـكرة الأرضـية . وكذلك كان كثير منهم يشعر بسمو الثقافة العربية الاسلامية وبثقة المسلمين ثقة قوية ـ ولكنها ثقة هادئة لا استعـلاء فيهـا ـ بأفضـلية دينهم .

وبلختصار فان الأوروبين الغربين كانوا يشعرون تجاه المسلمين بمزيج من الخوف والاعجاب •

وبمجيئى سنة ١٠٩٥ م كان هـذا الشعور بالخوف والاعجاب قد زال ، وذلك بسبب وقوع عدة أحداث هامة قبل تلك السنة ومنها :ـ

١ ـ سقوط طليطلة سنة ١٠٨٥م

٢ ـ فتـح الفرسان النورمانديين لجزيرة صقلية سنة ١٠٩١م •

٣ ـ انتشار فكرة الفارس البطـل « عدو المسلمين » فى الأغانى الشعبية ، وخاصة فى شمال فرنسا •

وأهميـة الحروب الصليبية ـ فى رأى المؤلف ـ هى أنها أدت بأوروبا الغربية الى أن تعثر على روحهـا • وهذا أهم بكثير من الفشل السـياسى والعسكرى الذى أنتهت اليـه • وقد استمر تقدم أوروبا الغربية بالرغم من هذا الفشل • هـذا فى الوقت الذى ضعفت فيه المسيحية الشرقية وانتهت بخضوعها للأتراك العثمانيين •

وهنا يكرر المؤلف ما قرره من قبل من أن التأثير المـادى والعقلى للاسلام على أوروبا انما أتى اليها أساسا عن طريق أسبانيا وصقلية أكثر مما أتى عن طريق الحروب الصليبية •

ولـكن الحـروب الصليبية أثارت روح الاستكشاف عنـد الأوروبين ، ممـا أدى الى اكتشـافهم لأمـريكا ، والوصول الى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح ، كما تحققوا أن هنالك بلادا كثـيرة لا تدين بالاسـلام ولا بالمسيحية !

وبينما كانت الحروب الصليبية ذات أهمية بالغة بالنسبة لأوروبا المسيحية، لم تكن هـذه الحـروب تعتبر عند المسـلمين أكثر من حـوادث على الحدود !!

حدود العالم الاسلامى •••

يتبع

د • احمد عبد الحميد غراب

الشيخ علي الصعيدي

إمام المحققين وعمدة المتقين

للأستاذ أحمد نصار القوصي

العلمـاء في كل جيـل هم خيره ونوره ، يهتدى بهم أهل عصرهم فى كل مكان الى ما فيه خيرهم وصـلاح حالهم ، دنيـا وأخـرى • وهم ان عاشوا فهم أمناء الله على خلقه ، وان تركوا الدنيا فذكرهم باق على مـدى الزمان ، فيمن تعلموا منهم أو نقلوا عنهـم ، وفيمـا نشر بين الأنام من مؤلفاتهم التى يستفيد منها على الدوام الخاص والعـام • وهذا هو ذخرهم النفيس ، ومفخرتهم الحقة ، ومجدهم الباقى بقاء الزمان • وقد صدق الشاعر الذى قال :

العلـم أنفس شىء أنت ذاخـره
من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

وخاصـة العلمـاء هم الأفـذاذ المتميزون ، الذين يتصدرون الأقران، وتحسب بمـآثرهم الأزمـان • وفى المقـدمة من هؤلاء الخالدين ، الامام الهمام شـيخ مشايخ الاسـلام ، علم العلماء الأعلام ، امام المحققين وعمدة المتقين – على ما وصفه به معاصروه – الشيـخ على بن حمد بن مكرم الله الصعيدى العـدوى المـالكى ، رضى الله تعالى عنه •

ولد – كما أخبر عن نفسه – ببنى عدى بمحافظة أسيـوط ، سنة اثنتى عشرة ومائة وألف من الهجـرة ، واشتهر بالشيخ على الصعيدى ، ويقال له أيضا المنسفيسى ، لأن أصوله من منسفيس احدى بلاد محافظة المنيا • وكلا البلدين ينسب اليها جماعة من كبار العلماء والأولياء •

قدم الى القاهرة ، والتحق بالأزهر الشريف كعبة العلم والدين ، والمنفرد فى ذلك الزمـان بالتعليـم فى مصر المحروسة• وحضر الدروس على كبار مشـايخ العصر كالشيخ عبد الوهاب

الملوى ، والشيخ شلبى البرلسى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ عبد الله المغربى ، والسيد محمد السلمونى ، والسيد محمد الصغير ، والشيخ ابراهيم الفيومى الذى بشره بالعلم ـ على ما قال ـ حين قبل يده وهو صغير ، والشيخ محمد ابن ذكرى ، والشيخ محمد السجينى ، والشيخ ابراهيم شعيب المالكى ، والشيخ أحمد الملوى ، والشيخ أحمد الديربى ، والشيخ عيد النمرسى ، والشيخ مصطفى العزيزى ، والشيخ محمد العشماوى ، والشيخ محمد بن يوسف ، والشيخ أحمد الاسقاطى ، والبقرى ، والعماوى ، والسيد على السيواسى ، والمدابغى ، والدفرى ، والبليدى ، وشيخ الاسلام أبو الأنوار الحفنى ، رضى الله عنهم أجمعين .

وكان يحكى عن نفسه ، أنه طالما كان يبيت فى مبدأ اشتغاله بالعلم طاويا ، وكان لا يجد ثمن الورق ، ومع ذلك كان اذا وصله مال تصدق به عن طيب خاطر ، شأنه فى ذلك شأن العلماء المتوكلين ، الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

ولما أكمل دورته ، وانتهى الى آخر الشوط فى التلقى ، وبلغ المقام الشوط فى التلقى وبلغ المقام الملحوظ ، شهد له شيوخه وأجازوه ، فأخذ مكانه وألقى دروسه على طلابه فى الأزهر الشريف وملحقاته .

ومرت الأعوام فثبت قدمه ، وعلا شأنه ، وظهرت مكانته ، وكان له السبق فى العلم والعمل . ثم ولى آخر الأمر وجهه نحو المنهل العذب ، لتصفية النفس وترقية الروح ، ليحصل غاية ما يرجوه من أسباب الكمال ، فتلقن الطريقة الأحمدية ، عن الشيخ على بن محمد الشناوى . وقد بارك الله فى طلابه ومريديه ، فى علوم الشريعة وفى دائرة الحقيقة ، والتفت حوله الجماهير ، لسعة علمه وحق تقواه ، وشدته فى الحق ، وجاهه العريض ، فقد كان مسموع الكلمة عند ولى الأمر ، يخفف عن الناس ، ويقضى مصالحهم ، ويرفع عنهم المظالم .

وكان الشيخ على الصعيدى ممن لهم البشرى فى الحياة الدنيا قبل الآخرة ، وقد تكرر له ذلك ، فكان يرى الرؤيا بنفسه ، ويراها له غيره من خيرة العلماء . وكان اذا حكى شيئا منها اعتذر بقوله : هكذا كان الامام مالك يخبر أصحابه بالرؤيا ويقول : الرؤيا تسر ولا تضر .

قال العارف بالله الشيخ محمود الكردى : أنه رأى النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى المنام يثنى على الشيخ الصعيدى • ورأى غيره النبى ، صلى الله عليه وسلم ، يأمره بالحضور عليه ، ورأى آخر مالكا والشافعى فى مجلس تدريسه •

ورأى بعض الصلحاء من معاصريه النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى المنام ، فى محراب الأزهر ، والطلبة تعرض عليه تقايید الأشياخ ، فلما رأى ما قيد عن الشيخ صار يقول معجبا : يا على ويكررها •

ورأى الشيخ نفسه فى المنام يقول للنبى ، صلى الله عليه وسلم ، أجزنى ، فقال له أجزتك • وأمثال هذا كثير •

وشهد له بالتفوق جمهرة العلماء فى عصره • وقال العلامة الشيخ محمد الأمير : « سمعت شيخنا عبد الوهاب العفيفى ، رضى الله عنه ، فى مرض موته يقول : الشيخ ناج والذى يحضر عليه ناج ، أو كلاما هذا معناه » •

وخلف الشيخ جلة من أفاضل العلماء من تلاميذه ، فى مقدمتهم أبو البركات الشيخ أحمد الدردير الغنى عن التعريف ، خليفته على امامة المالكية ومشيخة رواق الصعايدة بالأزهر الشريف ، وكذلك الشيخ محمد الأمير ، وهو من هو فى العلم والفضل ، ومن ترك لنا تراثا عظيما مفيدا فى علوم الشريعة ولغة القرآن الكريم •

وللشيخ على الصعيدى مؤلفات كثيرة ، تدل على فضله وسبقه وعلو كعبه ، منها : فى فقه المالكية : حاشية على ابن تركى ، وأخرى على الزرقانى على العزية ، وأخرى على شرح أبى الحسن عى الرسالة فى مجلدين ضخمين ، وأخرى على الخرشى ، وأخرى على شرح الزرقانى على المختصر ، وأخرى على الهدهدى على الصغرى •

وفى التوحيد : حاشيتان على عبد السلام على الجوهرة كبرى وصغرى •

وفى مصطلح الحديث : حاشية على شرح شيخ الاسلام على الفية المصطلح للعراقى •

وفى المنطق : حاشية على الأخضرى على السلم •

وله حاشية على ابن عبد الحق على بسملة شيخ الاسلام ، وغير ذلك •

وهذا غير ما كتبه عنه بعض تلاميذه في مسائل متفرقة •

ولم تكن المالكية تعرف الحواشي على شروح كتبهم الفقهية ، فهو أول من خدم تلك الكتب بها •

وكان ، رضي الله عنه ، شديد الشكيمة في الدين ، يصدع بالحق ، ويأمر بالمعروف ، واقامة الشريعة ، ويحب الاجتهاد في طلب العلم ، وكان قاسيا في النهي عن شرب الدخان وخصوصا في حضرة أهل العلم تعظيما لهم ، وكان لا يجرؤ أحد مهما علا شأنه ولو كان الوالي على أن يشرب الدخان في مجلسه ، فكانوا عندما يرونه مقبلا من بعيد ينبه بعضهم بعضا ويرفعوا شبكاتهم واقصابهم التي كانوا يشربون فيها الدخان أو يخفوها عنه، حتى أن الوالي على بك الكبير في أيام امارته ، كان اذا دخل عليه الشيخ في حاجة أو شفاعة اخبروه قبل وصوله الى مجلسه ، فيرفعوا الشبك من يده ويخفوه ، وذلك مع عتوه وتجبره وتكبره •

واتفق أن الشيخ دخل على على بك الكبير في وقت ما ، فتلقاه على عادته وقبل يده ، وجلس الشيخ فسكت الأمير مفكرا في أمر من الأمور ، فظن الشيخ اعراضه عنه ، فأخذته الحدة وقال مخاطبا للأمير في غلظة : يا من هو ، غضبك ورضاك على حد سواء ، بل غضبك خير من رضاك ، وكرر ذلك وقام لينصرف • فأخذ الأمير يطيب خاطره ويقول : أنا لم أغضب من شيء ويستعطفه والشيخ لا يجيب ، ولم يجلس ثانيا وخرج • ثم سأل الأمير بعد ذلك عن القضية التي أتى الشيخ بسببها فأخبروه ، فأمر بقضائها

واستمر الشيخ مقاطعا للأمير ، حتى مر على منزل على بك مصادفة مع أحد شيوخه الذين لا تسعه مخالفتهم ، فعرج الأستاذ ليدخل منزل الأمير وطلب من الشيخ أن يصحبه فقبل بعد رجاء استاذه وتشدده ، فسر الأمير تلك الليلة بلقائه سرورا عظيما •

ولما استقل محمد بك أبو الدهب بامارة مصر بعد على بك ، كان يجل الشيخ ويحبه ولا يرد شفاعته في شيء أبدا • وشاع في الناس ذلك ، فكل من تعسر عليه قضاء حاجته ذهب الى الشيخ وأنهى اليه قصته ، ثم يجمع الشيخ قائمة بمطالب الناس ، ثم يذهب الى الأمير ، وعندما يستقر في المجلس

يخرج القائمة من جيبه ، ويسرد ما فيها على الأمير واحدة بعد واحدة ، ويأمره بقضائها ، فلا يسع الأمير الا قضاؤها . وفى أثناء ذلك يذكره الشيخ بالموت ويوم القيامة ، ويقول : يسألنا الرب عن تأخرنا عن نصحك ، وها نحن قد نصحناك وخرجنا من العهدة . واذا تلكأ فى شىء صرخ وقال له : اتق النار وعذاب جهنم ، ثم يمسك يده ويقول له أنا خائف على هذه اليد (الكويسة) من النار وأمثال ذلك .

وكان الشيخ على قدم السلف فى الاشتغال والقناعة ، وشرف النفس ، وعدم التصنع ، والتقوى ، ولا يركب الا الحمار تواضعا ، ويواسى أهله وأقاربه ، ويرسل اليهم فى بلده الصلات والأكسية بأنواعها للرجال والنساء فى المواسم وغيرها من المناسبات .

ولم يزل مواظبا على الاقراء والافادة وقضاء الحاجات محافظا على شدته على الولاة والأمراء ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا سطوة جبار ، حتى مرض بخراج فى ظهره ، لم يمهله الا أياما قليلة ، توفى بعدها فى العاشر من رجب من سنة ١١٨٩ هـ وصلى عليه بالأزهر الشريف بمشهد عظيم ، ودفن بالقرافة الكبرى قريبا من قبة قايتباى ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه ، ونفعنا بعلمه وتقواه ، انه سميع مجيب .

أحمد نصار القوصى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

— ٧ —

٦٠ ـ وقد شاع على ألسنتهم وأسلات أقلامهم قولهم : ان جنودنا الشجعان تكاتفوا على صد الأعداء عن ديارنا ، وهؤلاء العمال يتكاتفون تكاتفا مذهلا على تطهير قناة السويس مما وضعه الأعداء فيها من وسائل الدمار ، يعنون التعاون والمؤازرة بين كل من هؤلاء وأولئك ، وهذا خطأ ، اذ لم يرد فى لغتنا العربية تفاعل ولا يتفاعل من الكتف أما ما ورد عن العرب منها (١) فهو قولها : كتف الرجل خادمه اذا ضرب كتفه ، وكتف السرج الدابة اذا جرح كتفها ، وفلان أكتف اذا كان عظيم الكتف ، والأنثى كتفاء والكتاف بضم الكاف هو وجع الكتف .

وقولها أيضا : كتفه كتفا من باب ضرب اذا شد يديه الى خلف كتفيه بالكتاف ، فهو مكتوف ، والكتاف بالكسر هو الحبل تشد به اليدان على النحو المذكور .

ويشدد الفعل للمبالغة فيقال : كتف الجنود اللصوص تكتيفا فهم مكتفون ، ويقال فى هذا المعنى : شدوهم كتافا .

ومن المجاز قولك : كتف الخادم الباب اذا ضببه ، فهو مكتوف بالكتيفة وهى الضبة ومن مجاز المجاز قولهم : فى قلب فلان كتيفة وكتائف أى حقد وأحقاد .

ومما لا صلة له بالكتف قول العرب : ان الكتف وزان العدل هو المشى الرويد يحرك الانسان فيه منكبيه ، تقول : كتف الولد كتفا اذا مشى رويدا ، وكذلك هو الرفق فى الأمر ، تقول : كتف القاضى كتفا اذا كان رفيقا فى أموره .

(١) منها : اى من الكتف لأنها أنثى .

أما الكتفان بالتحريك فهو سرعة المشى ، وأما الكتفان وزان عثمان ويكسر فهو الجراد حينما يطير أول طيرانه ، الواحدة كتفانه بالهاء ، وسمى بذلك لأنه يتكتف فى مشيه أى ينزو ويثب •

٦١ ــ ويقولون : العقاب قاصر على المذنبين ، والمكافآت قاصرة على المجدين بصيغة اسم الفاعل فيهما ، والصواب أن يستبدل باسم الفاعل اسم المفعول فيقال : العقاب مقصور على المذنبين ، والمكافآت مقصورات على المجدين ، لأن أصل التعبير الأول : قصر القاضى العقاب على المذنبين فالقاضى قاصر والعقاب مقصور ، وأصل التعبير الثانى : قصرت الحكومة المكافئات على المجدين ، فالحكومة قاصرة والمكافئات مقصورات وفى التنزيل : « حور مقصورات فى الخيام » أى محبوسات وتقول : قصرت نفسى على هذا الأمر اذا لم تطمح الى غيره فأنت قاصر ، وقصرت الطرف اذا لم ترفعه الى ما لا ينبغى ، فأنت قاصر وهى قاصرة وهن قاصرات الطرف اذا قصرنه على أزواجهن قال تعالى : « وعندهم قاصرات الطرف عين » ، وتقول : قصرت الصلاة ومن الصلاة فأنت قاصر وهى مقصورة ، وقصر عنى الوجع أو الغضب اذا سكن فهو قاصر ، وأقصر أخى عن الباطل اذا كف عنه وهو يقدر عليه فهو مقصر ، وقصر عنه قصورا اذا عجز عنه ولم ينله فهو قاصر •

ويقال : أقصرت المرأة اذا ولدت قصارا فهى مقصر ، وفى الحديث : « ان الطويلة قد تقصر وان القصيرة قد تطيل » •

٦٢ ــ ويقولون : أثرنا على فلان ، ولنا عليه تأثير عظيم ، وهذا خطأ ، لأن هذا الفعل لا يتعدى بعلى ، وانما تعديته لا تكون الا بفى ، تقول : أثرت فى الشىء تأثيرا ، أى جعلت فيه أثرا وعلامة ، فتأثر هو أى قبل الأثر ، قال تعالى : « كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض » ومثل أثر فى معناه الفعل حاك ، تقول : ضربته بالسيف فما حاك فيه ، أى ما أثر فيه ، وكلمته فما حاك فيه كلامى ، وفلان لا يحيك فيه النصح ، ولا يحيك فيه الملام ، أى لم يؤثر فيه ، قال عليه الصلاة والسلام : « البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى نفسك » أى أثر فيها •

٦٣ ــ ويقولون : هذه امرأة شيباء ، قياسا منهم على قول العرب : رجل أشيب والفصيح أن توصف المرأة بالشمط وهو بياض شعر الرأس

يخالط سواده ، فيقال : امرأة شمطاء وقالوا ان شمط الرجل فى لحيتـه ، وشمط المرأة فى رأسها .

أما أشيب فقد ورد هكذا عن العرب على غير قياس ، لأن الوصف على أفعل انما يكون من فعل بزنة فرح بشرط أن يكون دالا على العيوب أو الألوان ، كأعمى وأعرج ، وأحمر وأخضر . قال الشهاب الخفاجى ـ تعليلا لصحة أشـيب ـ انه عـلى وزن الوصف من المصائب الخلقية فعدوه من العيـوب ، وقال الزوزنى :

كفى الشيب عيبـا أن صـاحبه اذا
أردت به وصــفا قـلت أشـيب

وكان قياس الأصل لو قلت شـائبا
ولكنـه فى جملـة العيب يحسب

وكلمـة شـائب قليلـة جدا ولم يستعملها بالمعنى المعـروف الا مختـار الصحاح ، وانما تستعمل فى المبالغة ، تقول : شيب شـائب ، كليـل لائل ، وشغل شاغل ، قال :

عجـائز يطلبن شـيئا ذاهبـا
يخضبن بالحنـاء شـيبا شـائبا
يقلن كنـا مرة شـبائبا

وجمع الأشيب شيب بالكسر كمـا فى قوله تعالى : « يوما يجعل الولدان شيبا » ويجمع أيضـا على شيب وشيب ككتب ، ولا يقال للمرأة شائبة ، وانما هى واحدة الشوائب ، ومعناها الأقذار والأدناس تقول : شاب الرجل يشيب شيبا ، وشيبة : قال تعالى : « واشـتعل الرأس شيبا » وقال : « ثم جعـل من بعد قوة ضعفا وشيبة » .

٦٤ ـ ويقـولون لأولادهم خـوفا عليهـم ونصحا لهـم : لا تسـيروا فى الطريق الا على الرصيف والفصيح أن يقـال : الا على الطوار ، بفتـح الطاء وكسرها ، وطوار الطريق هو ما انقاد معه من طوله ، وللطـريق طواران : أحدهما : عن يمين السائر فيه والآخر : عن يساره ، وطوار الدار ما يمتد معها من فنائها .

أما الرصيف : فله معنى آخر لا صلة له بهذا المعنى ، تقول : فلان رصيف اذا كان محـكم الأعمـال ، وجواب رصيف ، وعمل رصيف أى محـكم رصين ، جمعه رصف بضمتين .

٦٥ ـ ويقولون : حل المحـرم من احرامه يحل حلا بكسر الحاء فى كل من المضارع والمصدر اذا خرج منه ،

فهو حال بصيغة اسم الفاعل ، وعلى الرغم من أن هذا هو القياس فلم يسمع من العرب ولم ينقلعنها ، وانما قالت : حل المحرم من احرامه فهو حلال ، أى صار خروجه من الاحرام حلالا ،وقالت أيضا فهو حل بالكسر ، كما قالت فهو حرم وحرام اذا كان محرما •

وكذلك يقال : حلت المرأة للزواج اذا زال المانع الذى كانت متصفة به ، كانقضاء العدة ، فهى حلال ، أى صار زواجها حلالا •

ويقال : أحل المحرم بالألف فهو محل بصيغة اسم الفاعل ، وحل أيضا تسمية بالمصدر ، وحل لفلان الافطار فى رمضان فهو حل وحلال •

أما الذى يقال فيه حال فنوعان : أحدهما : الدين ، تقول : حل الدين يحل حلولا اذا انتهى أجله فهو حال ، والنوع الآخر: النزول بالمكان، تقول : حل فلان بديارنا ،أو حل ديارنا يحل ويحل بضم الحاء وكسرها حلا بالفتح، وحلولا بالضم اذا نزل بها فهو حال •

ويقال : حل العذاب يحل بكسر الحاء حلولا اذا وجب ، ويحل بضمها حلولا اذا نزل ، وقرىء بهما قوله تعالى : « فيحل عليكم غضبى » وأما قوله سبحانه : « أو تحل قريبا من دارهم » فبالضم أى تنزل • وحل الهدى يحل حلة بكسر الحاء فيهما ، وحلولا اذا وصل الى الموضع الذى يحل فيه نحره ، ومن ذلك قوله جل شأنه : « حتى يبلغ الهدى محله » •

ويقال : هؤلاء حى حلة بكسر الحاء أى حالون نازلون فى مكان ، ومن ذلك قول الشاعر :

لقد كان فى شيبان لو كنت عالما
قباب وحى حلة ودراهم

ومثل ذلك قولهم : حى حلال بالكسر أى حالون كما فى قول زهير ابن أبى سلمى :

لحى حلال يعصم الناس أمرهم
اذا طرقت احدى الليالى بمعظم

٦٦ – ويقولون : تأكد الطالب من نجاحه تأكدا ، وهذا التعبير فاسد ، لأنهم جعلوا الطالب فاعلا للتأكد وهو لم يفعله ، ووجه الكلام أن يقال : تأكد نجاح الطالب ، اذ أنك تقول : أكدت نجاح الطالب تأكيدا ، فتأكد نجاحه تأكدا ، وتأكد فعل مطاوع لأكد ، ومن هذا استبان أن فاعل أكد

المتعــدى هو المتــكلم ، أما فاعل تأكد المطاوع فهو النجاح •

والتوكيد والتأكيد معنــاهما واحد هو التقوية ، وتوكد وتأكد المطاوعان بمعنى واحد هو تقـــوى ، أى قويت الشيء فتقوى ، بيد أن الواوى أفصح فى الاستعمال من أخيه المهموز فى كل ما ذكرنا •

٦٧ – ويقولون : ليهنك الفارس ، والصــواب أن يقال : ليهنئك الفارس بهمزة ســاكنة ، أو ليهنيــك الفارس بابدال الهمــزة ياء ، أما حذفهــا فهو عامى كما قال صاحب المصباح •

والمعنى : سرنى الفــــارس ، فهو هانيء •

وتقول : هنــأت فلانا بالنجاح تهنئة وتهنيئا ، وهنأته هنئا بالفعل الثلاثى اذا قلت له : ليهنئك •

عباس أبو السعود

كان الخليــل بن أحمــد اماما فى اللغــة والنحو ، أخذ عنــه الأصمعى وســيبويه وغيرهما ، عالمـا بالحــديث والسنة • ومن الزهاد المنقطعين الى الله تعالى ، يحج سنة ويغــزو سنة ، وهو الذى وضــع قواعد علم العــروض ، روى عنه أنه كان يقطع بيتا من الشعر ، فدخــل عليــه ابنــه فى تلك الحالة ، فخــرج الى الناس وقال : ان أبى قد جن ، فدخل الناس عليــه وهو يقطع البيت فأخبروه بما قاله ابنه ، فقال له :

لو كنت تعــلم ما أقول عذرتنى
أو كنت تعــلم ما تقــول عذلتكا
ولــكن جهلت مقــالتى فعذلتنى
وعلمت أنك جــاهل فعــذرتكا

توفى الخليل بن أحمــد سنة ١٦٠ أو ١٧٠ هـ وله من العمـــــر أربــع وسبعون سنة ؟

(من معجم الأدباء ليــاقوت جـ ١١ ص ٧٥) •

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● التسعير فى الاسلام :
للأستاذ البشرى الشوربجى

هـذا الكتـاب الذى نشرته دار المعارف يقع فى أكثر من مئة وخمسين صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة وتأصيل لقضـية التسـعير الجبرى فى الفقه الاسلامى ، مع اشارات مقـارنة بالقانون الوضعى ، والمؤلف وكيـل أول للنيابة المالية بمحافظة الاسكندرية ومن المهتمين اهتماما كبيرا بالدراسـات المقـارنة بين التشريع الاسـلامى والتشريعات الوضعية ، وهذه الدراسة القيمة التى بين أيدينا تقع فى فصلين ، عرض فى الفصل الأول للتسـعير بين التحريم والوجوب مشيرا الى آراء كل فريق ، من حيث الاستناد الى الكتاب والسنة وآراء الفقهـاء ، ثم فى نهـاية الفصل بحث تضمن الموازنة والتقريب بين الرأيين المتقابلين ..

أما الفصل الثانى : فقد عرض فيه لتنظيم التسعير فى الفقـه الاسـلامى : متى يجب التسعير ؟ وماذا يجب فيه ؟ وكيف ينبغى أن يكون ، كما عرض لرقابة الأسعار فى الاسلام ، وأشار الى أن المحتسب رقيب على الأسعار ، كما أشار الى التقرير على مخالفة الأسعار ، ومقداره ، وفى نهاية الفصل بحث عن أخبار المحتسب فى مصر مستعينا بمـا أورده الجبـرتى فى تاريخـه عن المحتسب فى مصر فى أوائل القـرن المـاضى ...

يرى المـؤلف : أن للدراسـة الشرعية لهـذا الموضـوع ، ولسـائر الموضـوعات التى تعـرض التنظيـم القانونى أهمية لا تخفى ، بل ان أهمية الدراسة على بساط البحث الاسـلامى لتزداد بعـد أن أصبحت مبـادىء الشريعة الاسـلامية مصـدرا رئيسيا للتشريع فى مصر وغيرها من البـلاد العربية ، كما يرى أن الكتاب والسنة

وما فيهما من أصول ومبادىء ، يواجهان الحياة العامة للاسلام فى كل عصوره .. وعندما كان القرآن دستور المسلمين فى العصر الأول ، كان المسلمون أولى قوة وأولى بأس ، وذوى مدنية راقية ..

والمؤلف من خلال هذه الدراسة يقف الى جانب الرأى القائل بجواز التسعير تحقيقا للنفع العام ، وقد ناقش أدلة المانعين مرتئيا أنها لا تنقض المبادىء العامة فى الشريعة ، لذلك يرجح الرأى القائل بالجواز ، بل الوجوب عند الضرورة .

وبعد .. فالحق أن المؤلف بذل جهدا طيبا فى هذه الدراسة القيمة ، وعرض لشتى الآراء الفقهية فى دقة وأمانة ، الا أننا كنا نود أن يعنى بتخريج الأحاديث النبوية مع بيان درجاتها ، غير مكتف بالاشارة الى مصادرها فى أمهات المراجع ، كذلك كنا نود أن لا يقف فى أخبار المحتسب فى مصر عند أوائل القرن الماضى ، تاركا أخباره فى العصور الاسلامية السابقة .. ويبقى بعد ذلك تقديرنا للمؤلف الشاب الذى اتجه الى القضايا المهمة يعرضها من وجهة الشريعة الاسلامية والتشريعات الوضعية ، ليتضح لأولئك الذين لا يهتمون بالتشريع الاسلامى ، قيمة هذه الشريعة التى جعلناها اليوم خلف ظهورنا .. !

● **مع الالحاد وجها لوجه**
للدكتور عبد الرحمن عميرة
مدرس بجامعة الأزهر ـ أسيوط

هذا كتيب صغير فى كمه اذ يقع فى زهاء أربعين صفحة من القطع المتوسط ، لكنه والحق يقال : كبير فى قدره ، فهو يتناول ـ على ايجازه ـ قضية كبرى من القضايا المعاصرة ، والخطيرة التى تواجه الاسلام نظاما وفكرا ، فالالحاد التى هبت أعاصيره على العالم الاسلامى مع المبادىء الزائفة المستوردة ، يسعى جاهدا الى استقطاب شبابنا المسلم ولا سيما المثقف بين جدران الجامعات ..

والمؤلف يناقش الالحاد ليضيق عليه الخناق ، بمنطق وفكر ، لم يجنح الى أسلوب الوعظ والخطابة .

يعرض المؤلف هذا السؤال : أين الله ؟ ثم يجيب : هل الله غائب حتى نفتش عنه ؟ وهل هو بعيد عنا حتى نقطع الأميال سعيا اليه ؟ ان الله معنا دائما ، نحسه فى داخل شعورنا ، وفى داخل كياننا .. أم أننا نريد أن نعرف

كنه ذاته وحقيقة صفاته ؟ ان كان ذلك كذلك فالرسول عليه السلام يقول : تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا ..

لقد طاف بنا المؤلف فى جولة ممتعة مع الفلاسفة الاسلاميين ، ومع الفلاسفة والمفكرين من غير الاسلاميين الذين عرفوا الحق عن طريق المعرفة الأصيلة ، كذلك مع الفلاسفة والمفكرين الذين انحرفوا عن الجادة. يفند آراءهم ويتعقب أفكارهم ، وفى نهاية البحث تساءل المؤلف فى مرارة وأسى ، وذلك بعد أن أبرز قيمة المبادىء الاسلامية : اذا كانت مبادىء الاسلام بهذه السماحة . فلماذا ابتعد الاسلام عن موضع الصدارة ؟ ومن المسئول عن تنحيته عن حقل الحياة ؟ أهم الشباب ؟ أهم الحكام ؟ أهم علماء الدين ؟ ثم قال : نحن الآن فى دولة العلم والايمان .. لن يكون للمعوقين فيها موضع ، ولا للملحدين مكان .. دولة العلم والايمان كفيلة بنقل الشاردين الى مرفأ الايمان ، وأن تعيد التائهين الى واحة الاطمئنان ..

والذى أود أن أقوله مع المؤلف : انه لا معنى لدولة العلم والايمان .. بلا رجال رواد من العلماء والمفكرين العاملين ...!!

● **المسلم المعاصر :**

هذا هو العدد الأول من مجلة .. المسلم المعاصر . . صدر فى بيروت منذ اسابيع ، وصاحب الامتياز ورئيس التحرير هو الدكتور جمال الدين عطية المحامى ، وسوف تصدر المجلة ان شاء الله تباعا كل ثلاثة شهور .. اذن فالمجلة فصلية فكرية ، تعالج شئون الحياة المعاصرة على ضوء الشريعة الاسلامية ، ورئيس التحرير يشير فى مقدمة العدد الى منهج المجلة التى ستسير عليه ، فهى تعمل فى ميادين ثلاثة : الفكر ، والاصلاح ، والسياسة ، ويعنى بالميدان الفكرى أوجه النشاط العلمى والفكرى سواء فى ذلك البحوث النظرية أو التطبيقية ، كما يعنى بالميدان الاصلاحى أوجه النشاط الاعلامى والتربوى والاجتماعى ، وما الى ذلك مما يستهدف نقل الافكار الى حيز التطبيق ، كذلك يعنى بالميدان السياسى تطوير النظم السياسية والقانونية من حين الى آخر لتكون محققة لما تتبناه القاعدة الشعبية التى هى مصدر السلطات ...

فى هـذا العـدد بحـوث جديرة بالتقـدير منها : السنة التشريعية وغير التشريعية للدكتور محمد سليم العوا ، ونظرة عابرة على حقـوق الانسـان الأسـاسية للمودودى ، وفي التفسـير الاسلامى للتاريخ للدكتور عماد الدين خليل ، ثم المسـلم في عالم الاقتصـاد للدكتور جمـال الدين عطية ، كذلك فى المجلة باب «خدمات مكتبية» والحق أنه باب جديد له أهميته ..

وبعـد : فنحن نرحب بمجـلة « المسلم المعاصر » لأنها مجلة فـكرية على مستوى رفيع ، والحق أنها سدت فراغا فى مجال الفـكر الاسـلامى ، وأرجو أن تهتم المجلة مستقبلا بنوع من الدراسـات جدير بالعنـاية كل العناية ، أقصد الدراسـات المقـارنة ، وبنوع آخر لايقل عن سابقه ، وأقصد الدراســات التى تواجه التحـديات العنيفـة التى تصوب على الاسلام من الشرق والغرب ، يروج لهـا كتـاب مسلمون بحكم شـهادات مواليدهم ، فلسنا فى حاجة الى مجلة أكاديمية ، ولا الى مجلة وعظية ، وانما نحن فى أمس الحاجة الى مجلة حركية تعرض الاسلام عرضا سليما من ناحية ، ومن ناحية أخرى تتصدى لتيارات الالحاد التى أصحبت تتحدى الاسلام فى عقر دياره فى غير ما خوف ولا حياء ..

نحن نعلم أن صـاحب هذه المجلة جندى من جنود الفكرة الاسـلامية ، الذين أبلوا فى سبيلها بلاء حسـنا ، وله من قدراته الثقافية ، ما يؤهله لأن يخرج للمكتبـة الاسـلامية شـيئا له قيمته ، ان شاء الله تعالى .. !

قراءات :

« أما بعـد ـ فانى أوصيك بتقوى الله الذى لابد لك من تقاته .. وأتقدم اليك عن الله عز وجل ، وأذكـرك مكر الله فيمـا دبت به اليك سـاعات الليـل والنهـار .. فلا تخدعن عن دينك ، فانهـا لو ظفرت بذلك منك وجـدت الله عز وجل أسرع فيـك مكرا ، وأنفذ فيك أمرا .. ووجدت ما مكرت به فى غير ذات الله غير راد عنك يد الله .. ولا مانع لك من أمر الله » ..

« من كتاب أبى العتاهية الى سـهل ابن هارون » ..

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى[١]

للأستاذ محمد أبو شادي

الزكاة فى الأسهم والسندات

السـؤال :

ما مقدار الزكاة فى المسائل الآتية :

اسهم جمعية البترول التى تحولت الى شهادات استثمارية متزايدة القيمة واشترط ألا تسـدد قيمتهـا الا فى حدود ٥٠ جنيها لمدة ثلاث سنوات يمكن بعـدها الاسترداد بلا شروط وكذلك أسهم الشركة القومية لانتاج الأسمنت التى تحولت الى شـهادات استثمار والمدخرات بكل من صندوق التوفير والمدخرات النقدية •

الجـواب

ان الزكاة فى أسهم كل من جمعية البترول والشركة القـومية للأسـمنت واجبة وقيمتها ربع العشر عن سـنة واحدة فقطفيما مضى ، وأما المدخرات من صندوق التوفير فتجب الزكاة فيها عن سنة واحدة فقط وقيمتها كما تقدم من أصل المبلغ المدخر •

أما المدخرات فتجب فيهـا الزكاة عن المدة كلها لأن المـال لا يعتبر دينا بل هو مال مقدور عليه فى كل وقت •

السؤال من السيد / الدكتور محمد ابراهيم رجب

هل من الأفضل اقامة مسجد بقرية رغم ما يكفى سكانها من مسـاجد أم اقامة مصنع يضم أبناء الشهداء ، حيث أن أبنـــاء الشهداء يزيد عددهم عن مائتين ويستحقون الرعاية والنفقة ؟

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على سيد المرسلين سـيدنا محمـد وعلى آله وصـحبه أجـمعين أما بعد : فنفيد بأن اقامة مصنع لايواء

أولاد الشهداء وتعليمهم من الصناعات مايضمن لهم الحياة الطيبة فيحاضرهم ومستقبلهم ونظرائهم المحتاجين الى العون والرعاية اذا اتسع دخل المصنع لذلك أفضل من انشاء مسجد فى بلدة بها من المساجد ما يكفى أهلها • والله تعالى أعلم •

السؤال من الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد القادر مأذون كفر دميرة القديم دقهلية •

عقدت عقدا وجعلت العصمة بيد الزوجة ثم حدث الطلاق الرجعى ، فهل للزوج الحق فيمراجعة زوجته؟ أم ما زال الحق فى يد الزوجة كما كان • أم لا تجوز الرجعة اطلاقا ؟

الجواب

نعم يجوز للزوج مراجعة زوجته اذا كان قد فوض اليها أمر طلاق نفسها اما اذا كان قد وكلها فى طلاق أمر نفسها فتكون مطلقة طلاقا بائنا وحيث أنها طلقت نفسها طلقة رجعية فللزوج مراجعتها • والله أعلم •

السؤال من السيد / عثمان درامى (من غينيا) :

من العرف فى بلدنا أنه اذا حان وقت حصاد الزرع ، يتقدم بعض الناس لمعاونة الزراع فىنظير جزء من المحصول يقدمه صاحب الزرع لهذا المعاون من غير أن يطلبه المعاون وقد أصبحت هذه العادة ضرورية وصارت تشبه الأجرة •

فهل يجوز احتساب هذه الهدية التى من المحصول للمعاون من الزكاة المستحقة على صاحب الزرع ؟

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد بأنه ما دام العرف قد جرى على أن ما يأخذه المعاون من المحصول فى نظير معاونته فى الحصاد فيكون أجرة ولا يجوز اعتباره من الزكاة والله تعالى أعلم •

السؤال من السيد / على الحصنى (سوريا)

تاجر عليه ديون تجارية ، وله ديون على الغير ، وعنده سلع هى رأسماله التجارى • فكيف يخرج الزكاة المستحقة عليه ؟

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على سيد المرسلين سـيدنا محمـد وعلى آله وصـحبه أجمعين

أما بعد : فنفيد بأنه أولا يخصم الدين من رأس المـال الذى هو السـلع والدين الذى له عـلى غـيره ويزكى الباقى منهما •

وكيفية زكاة السـلع أنهـا تقـوم ويخـرج عن القيمـة ربع العشر ، **وكيفية زكاة الدين الذى له على الغير** أنه يؤدى عن كل قسط يقبضه الزكاة بمقدار ربع العشر •

أما الموجودات من بيوت أو عقـار فلا زكاة عليها لذاتها وانما تكون على ما ينتـج منهما فالبيوت المؤجرة اذا تجمـع من الأجرة نصـاب يزيد عن حاجته ويحول عليه الحول فانه يزكى عنـه والأرض المؤجـرة كالبيـوت المؤجرة •

أما الأرض المزروعة فيخرج عنها زكاة الزروع •

والله تعالى أعلم •

السؤال من السيدة / الحاجة فاطمة حسين عبد الغنى

عند عودتى من الأراضى الحجازية ، أعطتنى زميلة لى ٢٧ دولارا ذهبيـا ، لتوصيلهم الى أحد أقاربها أو الاحتفاظ بهم لحين حضـورها الى القـاهرة ، وعند وصولى الى مطار القاهرة ، قام المسئولون بمصادرة هـذه الدولارات بجانب مصادرة أمتعتى ، وقيدت جريمة تهـريب ، انتهت الى أن أدفع مبـلغ ١٩٨ جنيها عن الدولارات و١٠٠ جنيه عن أمتعتى ، ولما كنت فى ضـائقة مالية قمت ببيع هذه الدولارات بسعر ٣٦ جنيها كل واحد وكان ثمنـه فى السعودية ٢٢ جنيهـا و ٥٠٠ مليما • وأرجو بيان مايجب على أداءه لصاحبة هذه الدولارات ؟

الجـواب

ان مقـدار الدولارات الذهبية التى حملتها السيدة المسـافرة الى القاهرة لتوصـيلها الى أقـارب المرسـلة أو تحفظها عندها حتى تسلمها المرسـلة نفسها هى وديعة كان واجبا عليها أن

تحفظهـا كمـا هى حتى توصلها الى محلها وحيث اضطرت فى أثناء طريقها الى صرف بعض المـال للمحافظة عليها والى أن تستبـدلها من عملة القاهرة فان كل هذا لا يعطيها الحق فى أخذ شىء من فرق العملة ويجب عليها أن ترد الباقى من الثمن الذى باعت به فى القاهرة بعد خصم ما صرفته على الوديعة من رسوم جمركية وغرامات ومصاريف انتقال والله تعالى أعلم .

سطور من كتب التراث

كان أحمـد بن محمـد النحاس المصرى من علماء اللغة ، له مؤلفـات عديدة تقرب من العشرين وكان لئيم الطبع بخيلا شديد التقتير على نفسه . وجلس يوما على درج مقياس النيـل بجزيرة الروضة ـ والنيـل فى أيام زيادته ـ وهو يقطع بالعروض شيئا من الشـعر . فرآه بعض العـوام ، فاعتقد أنه يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسعار ويسوء الحال ، فدفعـه برجله فى النيـل فلم يوقف له على خبر .

وكان هـذا فى سـنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) فى دولة بنى الأخشيد .

ويشـبه هـذا ما ذكر عن الحاكم بأمر الله الفاطمى ما بلغه عن جنـادة ابن محمد الهروى اللغوى النحوى ـ وكان يقرأ بجامع المقياس ، اذ توقف النيـل عن الزيادة فى بعض السنين ، فقيل للحاكم ان جنادة رجل مشؤوم ، يقعد بالمقياس ويلقى النحو ويعزم على النيل . فلذلك لم يزد . فأمر الحاكم بقتله فى ذى الحجة سنة ٣٩٩ هـ ؟

أنبـــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

● **بيان شيخ الأزهر في عيد الهجرة :**

أعلن فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر بيانا **بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة قال** فيــه :

(••• ان الهجرة الى الله سبحانه وتعالى ، والى رسوله صلى الله عليه وسلم لم تنته •• ولن تنتهى •• ذلك أن واجب المسلم أن يكون فى هجرة دائمة الى الله تعالى ، والى رســوله صلى الله عليه وسلم •••) •

ثم قال فضيلته :

(••• وما من شك أيضا فى أن من ألوان الهجرة الحتمية المفروضــة **فى عامنا الجـديد أن نستخلص بيت** المقـــدس ، ان ذلك فرض على كل الأقطار الاســـلامية ، البعيـــد منها **والقريب ، انه فرض على الأفراد وعلى** **الجماعات ، انه فرض لاتزول فرضيته** بالبعـــد عن مكان المعـــركة ، فرض بالأمـــوال وبالأنفس ، انه الجهـــاد المقدس •••) •

● **رائد الفضاء الامريكى يقول لشيخ الأزهر :**

قال جيمس ايروين رائد **الفضـــاء** الأمريكى فى رحلة **أبوللو ١٥ لفضيلة** الامام الأكبر الدكتـــور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ــ **أثنـــاء** الزيارة التى قام بهـــا **لفضيلته بمكتبـــه** بادارة الأزهر يوم السبت **٢٨** من ذى الحجة **١٣٩٤** هـ ــ **١١** من يناير **١٩٧٥** م ــ :

(اننى سعيد بلقـــاء شيخ الأزهر ورؤية المسلمين) ••

ثم قال :

(اننى صعدت على سطح القمـــر وشعرت بوجود الله •• ورأيت أشياء كثـيرة تدل على وجـود الله وقدرته

وعظمته ... ان ايمـــانى بالله ازداد وقوى بعد صعودى للقمر وهبــوطى على سطحه ... اننى أتمنى أن يصل كل انسان الى القمر ليزداد ايمـــانه بقدرة الله) .

وعرض على فضيلته ـ أثناء الزيارة ـ مجموعة من الصور لسطح القمر ، وصخرة طبيعية من صخور القمــر ، واستمع فضيلته للشرح الذى قام به الرائد على الصــور ، ثم أكد فضيلته له : أنه لا تعــارض فى الاســلام بين العــلم والدين بل ان الاســلام يدعو للعلم ويحرض عليه .

وفى ختـــام الزيارة أهدى الرائد لفضيلة الامام الأكبر صــورة كبـيرة بالألوان من صور الرائد على سـطح القمر ...

● **فروع للأزهر بالولايات المتحدة :**

وافق فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمــود شيخ الأزهر على انشاء فروع للأزهر بالولايات المتحدة الأمريكيــة التى توجد بهــا جاليــات اســلامية على أن تقــوم الجاليــات الاسـلامية بالتمـويل ويقـوم الأزهر بالاشراف على الناحية الفنيــة ، وذلك بامداد الفــرع الذى ينشأ بالمدرسـين والمؤلفات العلمية والكتب .

وقد بحث هذا فضيلة الامام الأكبر مع الدكتــور أحمــد الأبيض أستاذ الهندســـة بجامعـــة بردو بالولايات المتحدة الأمريكية أثنــاء الزيارة التى قام بها لفضيلته بمكتبـه بادارة الأزهر يوم الاثنــين ٢٣ مــن ذى الحجـة ١٣٩٤ هـ ـ ٦ من يناير ١٩٧٥ م .

● **مؤتمر علماء مصر من الآن حتى سنة ٢٠٠٠ :**

عقد بالقاهرة فى شـــهر ديسمبر المــاضى مؤتمر علمــاء مصر من الآن حتى سنة ٢٠٠٠ واشـترك فيه ٤٠٠ عالم مصرى منهم من يعمل فى مصر ومنهــم من يعمـــل فى الخارج وقد حضروا خصيصـا للاشـتراك فى هذا المؤتمــر وعرض بحوثهم ، ومناقشـة مشــكلات مصر ومسـتقبلها حتى سنة ٢٠٠٠ .

ومن الموضوعات الهامة التى كانت موضع مناقشة المؤتمــر : الاسـكان والصحة ، والعلوم، والطبيعة ،والتعليم والغذاء ،والزراعة ،وموضوعات الطاقة والبيئــة ، والتنميــة الاقتصــــادية ، وتكنولوجيا الحاسبات الالكترونية .

ومن أهم التوصيات التى أصدرها المؤتمر : بحث الطرق المختلفة لاستمرار الاتصال المنظم مع العلميين بالخارج ـ تزويد العلميين بالخارج بالخطوط الرئيسية لخطة التنمية حتى يمكن فى ضوئها القيام بدراسة فعالة تخدم هذه الخطة ـ توجيه الشركات الأجنبية والهيئات الدولية الى تفضيل الاستعانة بالعلميين المصريين بالخارج ـ تشجيع العملين المصريين على تكوين روابط جمعيات علمية •

● مسجد قرطبة :

عزمت أسبانيا مع الرياسة الدينية فى البلاد على اعادة الصيغة الاسلامية لمسجد قرطبة الشهير •

وينتظر أن يقام احتفال كبير يدعى اليه رجال الديانتين الاسلامية والمسيحية لتسليم المسجد ورده الى أصله •

● القدس مفتاح السلام فى الشرق الأوسط :

من بيروت قال اللورد كارادون مندوب بريطانيا فى الأمم المتحدة وصاحب القرار الشهير رقم ٢٤٢حول قضية الشرق الأوسط عام ١٩٦٧ :

(ان مدينة القدس تعتبر فى رأيه مفتاح السلام فى الشرق الأوسط ، لأنه بدون حل لها فلن تكون هناك جدوى من مؤتمر جنيف أو أى مؤتمر آخر) •

● متحف لأمجاد الاسلام منذ غزوة بدر حتى معارك العبور :

سيقام أكبر متحف فى مصر الى جانب مسجد الفتح فى ميدان رمسيس بالقاهرة •

وسيضم المتحف نماذج من التراث الاسلامى تمثل أمجاد الاسلام منذ غزوة بدر حتى معارك العبور فى ١٠ من رمضان المبارك عام ١٣٩٣ هـ ـ ٦ من أكتوبر المجيد عام ١٩٧٣ م •

كما سيضم مكتبة صوتية عن علوم القرآن والحديث والفقهومكتبة أخرى تضم زخائر الكتب والمراجع الأساسية الاسلامية ونسخا نادرة من المصحف الشريف فى العصور المختلفة •

● الاعتراف بالدين الاسلامى رسميا فى بلجيكا :

تم الاعتراف رسميا فى بلجيكا بالدين الاسلامى وقد نشر فى الصحيفة الرسمية لبلجيكا وهى صحيفة « مونيتار » مشروع قانون الاعتراف بالدين الاسلامى الذى صوت عليه البرلمان البلجيكى بالموافقة فى وقت سابق •

● **المركز الاسلامى بلندن :**

يجرى العمل الآن فى اقامة المبنى الجديد للمركز الاسلامى بلندن ، وسيتكلف مليون ونصف مليون جنيه استرلينى ويضم مسجدا كبيرا وقاعة للمكتبة والمحاضرات .

ويعمل مجلس ادارة المركز ـ وهو مكون من سفراء الدول ـ على أن يتم افتتاح المبنى فى العام القادم فى الموعد الذى حدد لاقامة المهرجان الاسلامى الأول بلندن .

● **مكافآت مالية لحفظ القرآن الكريم :**

قررت وزارة الأوقاف المصرية منح مكافآت مالية لحفظة القرآن الكريم فى حلقات حفظ القرآن التى تقيمها الوزارة بمساجدها بمختلف أنحاء الجمهورية .

وسيعقد امتحان بين أعضاء هذه الحلقات يمنح الممتازون فى القراءة هذه الجوائز ...

● **فى جامعة الأزهر :**

وافق مجلس جامعة الأزهر فى اجتماعه برياسة الدكتور محمد حسين فايد رئيس الجامعة على ترشيح الدكتور أحمد خيرى كاظم عميد كلية التربية لحضور اجتماعات المجلس القومى للعلوم التربوية وتعيين الدكتور عبد العزيز السيد أستاذا غير متفرغ بكلية التربية واعتماد منح ١٣ درجة دكتوراه بكليات الجامعة و ٢٥ درجة ماجستير ، وتغيير قسم الفسيولوجيا بكلية الطب الى قسم الفسيولوجيا والفسيولوجيا التطبيقية ..

ابرهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول
رئيس مجلس الادارة
على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٥/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
٦٠٠٢-١٩٧٥س/١١٤٥

the Holy Quran), and he used to wrtie the Holy Quran for the Holy Prophet. He then went over to Christianity again, and he used to say, Muhammed does not know anything except what I wrote for him. Then Allah caused him to die and they buried him" (Bu. 61 : 25). The hadith goes on to say how his body was thrown out by the earth. This was evidently at Madina after the revelation of the second and third chapters of the Holy Quran, when a Muslim state was well-established, and yet the man who apostatized was not even molested, though he spoke of the Holy Prophet in extremely deroagtory terms and gave him out as an impostor who knew nothing except what he (the apostate) wrote for him.

It has already been shown that the Holy Quran speaks of apostate joining a tribe on friendly terms with the Muslims, and of others who withdrew from fighting altogether, siding neither with the Muslims nor with their enemies, and it states that they were to be left alone (4 : 90). All these cases show that the hadith relating to the killing of changers of religion applied only to those who fought against the Muslims.

Turning to Fiqh, we find that the jurists first lay down a principle quite opposed to the holy Quran, namely that the life of a man may be taken on account of his apostasy. Thus in the Hidaya : "The murtadd (apostate) shall have Islam presented to him whether he is a free man or a slave ; if he refuses, he must be killed" (H.I., P. 576). But this principle is contradicted immediately afterwards when the apostate is called "an unbeliever at war" whom the invitation to Islam has already reached" (H.I., P. 577). This shows that even in Fiqh, the appostate forfeits his life because he is considered to be an enemy at war with the Muslims. And in the case of an apostate woman, the rule is laid down that she shall not be put to death, and the following argument is given : "Our reason for this is that the Holy Prophet forbade the killing of women, and because originally rewards (for belief or unbelief) are deferred to the latter abode, and their hastening (in this life) brings disorder, and a departure from this (principle) is allowed only on account of an immediate mischief and that is hirab (war), and this cannot be expected from women on account of the unfitness of their constitution" (H.I, P. 577).

(to be concluded)

with the Muslims. It is only by placing this limitation on the meaning of the hadith that it can be reconciled with other hadith or with the principles laid down in the Holy Qur'an. In fact, its words are so comprehensive that they include every change of faith, from one religion to any other whatesoever ; thus even a non-Muslim who becomes a Muslim, or a Jew who becomes a Christian, must be killed. Evidently, such a statement cannot be ascribed to the Holy Prophet. So the hadith cannot be accepted, without placing a limitation upon its meaning.

Another hadith relating to the same subject throws further light on the significance of that quoted above. In this hadith it is stated that the life of a Muslim may only be taken in three cases, one of which is that "he forsakes his religion and separates himself (al-tarik) from his community (li-l-jama'a)" (Bu. 87 : 6). According to another version, the words are "who forsakes (al-mufariq) his community." Evidently separation from the community or the forsaking of it, which is here added as a necessary condition, means that the man leaves the Muslims and joins the enemy camp.

Thus the words of the hadith show that it relates to war time ; and the apostate did not forfeit his life for changing his religion, but for desertion.

An instance of a simple change of religion is also contained in the Bukhari. "An Arab of the desert came to the Holy Prophet and accepted Islam at his hand ; then fever overtook him while he was still in Madina ; so he came to the Holy Prophet and said, Give back my pledge ; and the Holy Prophet refused ; then he came again and said, Give me back my pledge ; and the Holy Prophet refused; then he came again and said, Give me back my pledge; and the holy Prophet refused ; then he went away" (Bu. 93 : 48). This hadith shows that the man first accepted Islam, and the next day on getting fever he thought that it was due to his becoming a Muslim, and so he came and threw back the pledge. This was a clear case of apostsy yet it is nowhere related that anyone killed him. On the other hand, the hadith says that he went away unharmed.

Another example of a simple change of religion is that of a Christian who became a Muslim and then apostatized and went over to Christianity, and yet he was not put to death ; "Anas says there was a Christian who became a Muslim and read the Baqara and Al Imran (2nd and 3rd chapters of

these headings speak for themselves. The heading of the first book clearly shows, that only such apostates are dealt with in it as fight against the Muslims, and that of the second associates the apostates with the enemies of Islam. That is really the crux of the whole question, and it is due to a misunderstanding on this point that a doctrine was formulated which is quite contrary to the plain teachings of the Holy Qur'an. At a time when war was in progress between the Muslims and the unbelievers, it often happened that a person who apostatized went over to the enemy and joined hands with him in fighting against the Muslims. He was treated as an enemy, not because he had changed his religion but because he had changed sides. Even then there were tribes that were not at war with the Muslims, and if an apostate went over to them, he was not touched. Such people are expressly spoken of in the Holy Qur'an : "Except those who reach people between whom and you there is analliance, or who come to you or fighting their own people shrinking from fighting you, or fighting their own people; and if Allah has pleased He would have given them power over you so that they should have fought you ; therefore if they withdraw from you and do not fight you and offer you peace, then Allah has not given you a way against them" (4:90).

The only case of the punishment of apostates, mentioned in trustworthy hadith, is that of a party of the tribe of 'Ukul, who accepted Islam and came to Medina, but found that the climate of the town did not agree with them; so that Holy Prophet sent them to a place outside Madina where the state milch-camels were kept, so that they might live in the open air and drink of milk. They got well and then killed the keeper of the camels and drove away the animals. This being brought to the knowledge of the Holy Prophet, a party was sent in pursuit of them and they were put to death (Bu 56:152).

The report is clear on the point that they were put to death not because of their apostays, but because they had killed the keeper of the camels.

Much stress is laid on a hadith which says : "Whoever changes his religion, kill him" (Bu. 88 : 1). But in view of what the Bukhari itself has indicated by describing apostates as fighters or by associating their name with the name of the enemies of Islam, it is clear that only those changers of faith are meant, who join hands with the enemies of Islam and fight

The third chapter, revealed in the third year of Hijra, speaks again and again of people who had reverted to unbelief after becoming Muslims, but always speeks of their punishment in the Hereafter : "How shall Allah Guide a people who disbelieved after their believing and after they had borne witness that the Apostle was true» (3:85) ; "Their reward is that on them is the curse of Allah" (3:86) ; "Except those who repent after that and amend" (3:88) ; "Those who disbelieve after their believing, then increase in disbelief, their repentance shall not be accepted" (3:89).

The most convincing argument that death was not the punishment for apostasy is contained in the Jewish plans, conceived while they were living under the Muslim rule in Madina : "And a party of the followers of the Book say, Avow belief in that which has been revealed to those who believe, in the first part of the day, and disbelieve at the end of it" (3:71). How could people living under a Muslim government conceive of such a plan to throw discredit on Islam, if apostasy was punishable with death? The Maida is one of the chapters revealed towards the close of the Holy Prophet's life, and yet even there the murtadd is free from any punishment in this life : "O you who believe ! should one of you turn back from his religion, then Allah will bring a people whom He shall love and they too shall love Him (5:54). Therefore as far as the Holy Qur'an is concerned, there is not only no mention of a death — sentence for apostates but such a sentence is negatived by the verses speaking of apostasy, as well as by that magna charta of religious freedom, the 256th verse of the second chapter, la ikraha fi-l-din, "There is no compulsion in religion".

Let us now turn to Hadith, for it is on this authority that the fiqh books have based their death-sentence for apostates. The words in certain hadith have undoubtedly the reflex of a later age, but still a careful study leads us to the conclusion that apostasy was not punishable unless combined with other circumstances which called for punishment of offenders. Bukhari, who is undoubtedly the most careful of all collectors of Hadith, is explicit on this point. He has two "Books" dealing with the apostates, one of which is called 'Kitab al-muharibin min ahl alkufr wa-l-ridda or "the Book of those who fight (against the Muslims) from among the unbelievers and the apostates", and the other is called Kitab istitaba al-mu'anidin wa-l-murtaddin wa quitalihim, or "The book of calling to repentance of the enemies and the apostates and fighting with them." Both

not allow the taking of life of a person on the score of religion, and this had already been shown to be the basic principle of Islam, it is immaterial whether unbelief has been adopted after being a Muslim or not, and therefore so far as the sacredness of life is concerned, the unbeliever (kafir) and the apostate (murtadd) are on a par.

The Holy Quran is the primary source of Islamic laws and therefore we shall take it first. In the first place, the Holy Qura'n speaks nowhere of a murtadd by implication. Irtidad consists in the expression of unbelief or in the plain denial of Islam, and is not be assumed, because a certain person who professes Islam, expresses an opinion or does an act which in the opinion of a learned man or a legist, is un-Islamic. Abuse of a prophet or disrespect towards the Holy Qura'n are very often made false excuses for treating a person as murtadd, though he may avow in the strongest terms that he is a believer in the Qura'n and the Prophet. Secondly, the general impression that Islam condemns an apostate to death does not find the least support from the Holy Qur'an. Heffeming begins his article on murtadd, in the Encyclopedia of Islam, with the following words : "In the Kur'an the apostate is threatened with punishment in the next world only". There is mention of irtidad in one of the late Makka revelations : "He who disbelieves in Allah after having believed, not he who is compelled while his heart is at rest on account of faith, but he who opens his breast for disbelief — on these is the wrath of Allah, and they shall have a grievous chastisement" (16: 106). Clearly the murtadd is here threatened with punishment in the next life, and there is not the least change in this attitude in later revelations, when Islamic government had been established, immediately after the Holy Prophet reached Madina. In one of the early Madina revelations, apostasy is spoken of in , connection with the war which the unbelievers had waged to make the Muslims apostates by force : "And they will not cease fighting with you until they turn you back from your religion, if they can : and whoever of you turns back from his religion (yartadda from irtidad), then he dies while an unbeliever — these it is whose works shall go for nothing in this world and the Hereafter, and they are the inmates of the fire : therein shall abide" (2 : 217). So if a man becomes apostate, he will be punished-not in this life, but in the Hereafter on account of the evil deeds to which he has reverted, and his good works, done while he was yet a Muslim, become null because of the evil course of life which he was adopted.

empire under the Caesar. Evidently the concluding words "And he called war a deception" explain how the Chosroes and the Caesar shall perish. War is a deception, in the sense that sometimes a great power makes war upon a weaker power thinking that it will soon crush it, but such war proves a deception and leads to the destruction of the great aggressive power itself. This was what happened in the case of the wars of Persia and Rome against the Muslims. They both had entered upon an aggressive war against the Arabs, thinking that they would crush the rising power of Arabia in a little time. They began by helping the tribes on the frontiers of Arabia to overthrow the Muslim power, and were thus drawn into a war with the Muslims which ultimately crushed their own power. This is the explanation given in Bukari's famous commentary, the 'Aini : "Whoever is deceived in it once (i.e. overthrown or defeated), he is exhausted and perishes and is unable to return to his former condition". Ibn Athir gives three explanations, according as the word is read 'khad'a or khud'a or khuda'a, and in all three cases the meaning is almost the same as given in 'Aini. Taking the first reading which it calls the most correct and the best, the significance is thus explained: "In the first case the meaning is that the affair of the war is decided with an overthrow ; when the fighter is overthrown once, then he finds no respite". In the case of the third reading "the meaning is that war deceives people ; it gives them hopes but does not fulfil them". It is only imperfect knowledge of the Arabic language which was led some people to think that the hadith means that it is lawful to practise deception in war. The Islamic wars were in fact purified of all that is unworthy when the Muslims were plainly told that a war fought for any gain (which includes acquisition of wealth or territory) was not in the way of Allah (Bu 56:15). The Holy Qur'an puts it more clearly still: "Let those fight in the way of Allah who sell this world's life for the Hereafter" (4:74).

The word 'irtidad' is the measure of ifti'a'l from radd which means turning back. Ridda and irtidad both signify turning back to the way from which one has come, but ridda is specially used for going back to unbelief, while irtidad is used in this sense as well as in other senses, and the person going back to unbelief in Islam is called murtadd (apostate). There is as great a misconception on the subject of apostasy as on the subject of jihad, the general impression among both Muslims and non-Muslims being that Islam punishes apostasy with death. If Islam does

It will be seen from what has been stated above concerning the injunctions relating to war and peace, that war is recognized by Islam as a struggle between nations — though a terrible struggle — which is sometimes necessitated by the conditions of human life ; and when that struggle comes, a nation is bound to acquit itself of its responsibility in the matter in an honourable manner, and fight it to the bitter end whatever it is. Islam does not allow its followers to provoke war, nor does it allow them to be aggressors, but it commands them to put their whole force into the struggle when war is forced on them. If the enemy wants peace after the struggle has begun, the Muslims should not refuses, even though there is doubt about the honesty of his purpose. But the struggle, so long as it exists, must be carried on to the end. In this struggle, honest dealing is enjoined even with the enemy, throughout the Holy Quran : "And let not hatred of a people — because they hindered you from the Sacred Mosque —incite you to exceed the limits; and help one another in goodness and do not help one another in sin and aggression" (5 : 2) ; "And let not hatred of a people incite you not to act equitably ; act equitably, that is nearer to piety" (5:8). This is in a chapter which was revealed towards the close of the Holy Prophet's life., Hadith too enjoins honest dealing in war : "Fight and do not exceed the limits and be not unfaithful and do not mutilate bodies and do not kill children" (M 32:2). Such are some of the directions given which purify war of the elements of barbarity and dishonesty in which warring nations generally indulge. Neither inhuman nor immoral practices are allowed.

A hadith is sometimes cited as allowing deceit in war. This is due to misinterpretation of the words of the hadith. Deceit and lying are not allowed under any circumstances. The hadith runs thus :

"The Holy Prophet said, Chosroes shall perish and there shall be no Chosroes after him, and the Ceacer shall perish and there shall be no Ceacer after him, and their treasures shall be distributed in the way of Allah, and he called war a deception (khad at-an)" (Bu. 56 : 157). These words were uttered by the Holy Prophet, when he received the news that the Chosroes had torn his letter to pieces and ordered his arrest; and the words contain a clear prophecy that the power of both the Chosroes and the Caesar shall depart in their wars with the Muslims, so that there shall be neither a Persian empire under the Chosroes, nor a Roman

JIHAD-ITS MEANING AND SIGNIFICANCE—V

By

Maulana Muhammad Ali

The name applied to prisoners of war is 'ma malakat aimanukum', lit., what your right hands possess. What one's' right hand possesses means that which one has obtained by superior power, and prisoners of war given this name because it was by superior power in war that they were reduced to subjection. The name 'abd (slave) was also applied to them, because they had lost their freedom. Slavery may have been abolished by civilization in name but, in fact, it exists even to-day, for nations which are subjugated and ruled by other nations are as a matter of fact in a state of slavery. The treatment accorded to prisoners of war or slaves in Islam is unparalleled. No other nation or society can show a similar treatment even of its own members when they are placed in the relative position of a master and a servant. The slave or the prisoner was, no doubt, required to do a certain amount of work, but the condition in which it was ordained that he should be kept, freed him of all object feelings. The golden rule of treating the slave like a brother was laid down by the Holy Prophet in clear words : "Ma'rur says, I met Aba Tharr in Rabdha and he wore a dress and his slave wore a similar dress. I questioned him about it. He said, I abused a man (i.e. his slave) and found fault with him on account of his mother (addressing him as son of a Negress). The Holy Prophet said to me, O Aba Tharr ! thou findest fault with him on account of his mother, surely thou art man in whom is ignorance ; your slaves are your brethren, Allah has placed them under your hands ; so whoever has his brother under his hand, let him give him to eat whereof he himself eats, and let him give to wear what he himself wears, and do not impose on them which they are not able to do, and if you give such a work, then help them in the execution of it" (Bu. 2:22). The prisoners were distributed among the various Muslim families because no arrangements for their maintenance by the state existed at the time, but they were treated honourably. A prisoner of war states that he was kept in a family whose people gave him bread while they themselves had to live on dates. Prisoners of war were therefore not only set free but so long as they were kept prisoners, they were kept honourably.

It is a recognized fact that the food which a man uses, nay even his dress, effects not only his constitution but also the building of his character. Hence, in a complete code of life, it was necessary that people should be taught ways of clean eating, clean drinking, clean dressing and clean habits of all kinds, through recommendatory and often obligatory regulations.

tain course for spiritual development.

Prohibition of pork comes under dietary instructions. The more they follow those instructions the greater will be their spiritual progress.

The advance of human nature into its purest form does not end in the abstinence from eating pork. The eating of flesh of creatures which die a natural death or in the course of fighting, be it a cow, a goat or hen, is equally forbidden by Islam. Scientifically, the flesh or the dead animals may be harmful. The muslims also do not eat the flesh of animals of prey such as the lion, the tiger, the leopard, the snake, the cat, the dog, and the rat, etc. This prohibition is based on the fact that when the food is consumed, it does not only enter the intestines and later is excreted, it is also absorbed into the blood system and circulated to all parts of the human body, including the brain.

As we have said before, even the Westerners have come to know of the dangers and illnesses and diseases the flesh of the swine causes in man's body. In a recent issue ot The "Washington Post" of Washington, America, Dr. Glen Shephard wrote the following :

'One in six people in the United States of America and Canada have germs in their muscles from eating pork, and that is the Trichinosis, which infects the human body with worms. Many people so infected show no symptoms. Most of those who do have the symptoms recover slowly ; some others die, and some are reduced to permanent invalids. All were careless pork eaters. No-one who eats pork is immune from this disease and there is no cure. Neither antibiotics nor drugs nor vaccines effect these tiny deadly worms. The worms remain alive in the human body for up to 40 years, curled up, in lemon Shaped indivisible tiny capsules between muscle fibres".

That which dies of itself and that which was torn by beasts was also forbidden by the law of Moses ; so was blood and the flesh of swine. The Jews held the swine in great detestation, and the mention of the animal in the Gospels shows that Jesus Christ held it in equal abhorrence which proves that he too regarded the animal as impure. Neither does he appear to have broken the Jewish law in this respect. However, the uncleanness of the swine consists in its pernicious effect upon the intellectual, the physical, and the moral systems of human body.

Jaundice of the pig is due to a number of causes - mechanical obstruction in the bile ducts, and various infections which prevent the gall bladder or liver from working properly. Obstruction in the bile-ducts is often due to worms.

When pigs are between 6 and 16 weeks old, they are most commonly affected with paratyphoid. They fail to grow, become scruffy, with wrinkled skins and large heads. There is generally diarrhoea, and when opened at post-mortem the bowel is lined with thick layer of caseous (cheese-like) material.

It is admitted that the pig is a constant victim to various ills and diseases more than any other animal. To quote the words of 'Black's Veterinary Dictionary" : "The pig, as seen by research workers, is the fastest growing of the animals prone to heart troubles, parasital ills and diseases of the arteries, greatly affected in body by mental stress."

The universal aversion of the Muslim world against the eating of pork is well-known. Right from the cradle, a Muslim child is conditioned by his society to dislike it. In the Muslim countries there is no need..to convince them of the de-merits of the flesh of swine for human consumption. They are already convinced of it.

It is very significant to note that all religions before Islam had stretched the list of the do's and dont's to such lengths that life had become miserable for the adherents of those religions. Islam has redeemed humanity by assuring that "God desires ease for you, and He desires not hardship for you" (2 : 185) and by declaring "This day (all) good things are made lawful for you. And the food of those who have been given the Book is lawful for you and your food is lawful for them" (5 : 5).

What Muslims have been told in Islam, is that the eating of pork is not good for their health and, therefore, not conductive to their spiritual well-being". Incidentally, there is nothing to show that Muslims should hate the animal in the same way as, for example, the Jews do.

Apart from the above mentioned medical reasons, there is one very great reason why Muslims do not eat pork. By declaring themselves as Muslims they accept a certain discipline. No doubt it is a self-imposed discipline. But it does not mean that they are entitled to accept that part of the discipline which suits their whim and reject that part which does not.

Is is very much like a sick person who is prescribed a medicine by a doctor with certain dietary instructions. Islam has prescribed a cer-

as "Unclean" for human consumption. It says :

قل لا اجد فى ما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس ٠٠ (الانعام ١٤٥)

It means : "Say : I find not in that which is revealed to me, ought forbidden for an eater to eat thereof, except that it be what dies of itself, or blood poured forth, or flesh of swine, for that surely is unclean" (6 : 146).

According to the Quran, there are animals suitable for eating. Likewise, there are others which are neither suitable nor beneficial for man's eating.

The pig has been emphatically stated as unfit. This uncleanliness spoken of is not surprisingly consistent with a modern scientific study of the pig. We are astonished even further when we note that the Quran proclaimed this truth, not today, or yesterday, but fourteen centuries ago.

The "Black's Veterinary Dictionary" has this to say about pigs : "Half the bacon pigs examined at an abattoir were found to have external parasites - mange, ites, lice, or forage mites; and a recent survey made at the Department of Veterinary Medicine University of Edinburgh suggests that 29% of pedigree pigs and piggeries in Britain are infested with Sarcoptic mange mites."

To trace the life of a pig is like treading on a path of disease. For right from the days pigs are born, the poor animals are attacked by such ugly diseases as Septic Arthritis, Necrotic Enteritis, Canker (the blockage of ears with bacteria), Haematoma, which is the interior bleeding of the ears. There is Agelactia, Anaemia, Anthrax, Anjesky's, Brine Poisoning, Clostridial Enteritis Encephalonyelites of pigs, and lens of other dangerous diseases.

A description of a few of the diseases which this filthy and unfortunate animal suffers from will give us a glimpse into their true nature.

Septic Arthritis "Is not a new condition. It is only recently that it has been associated with Streptococcus. The source of infection of this disease is not known for certain."

Head shaking another disease, is a "condition which occurs when the mange or lice parasites have got deep into the pig's ear, thus causing irritation."

Gastric Enteritis occurs when "the surface of the pig's stomach and bowels become congested with blood. Germs are then able to penetrate into the blood system and cause what is known as Septicaemia. Some germs of this disease will respond to treatment and the animal will recover. At other times no cure is possible."

a lower type of people. The European reformers have already realised that alcohols are their worst enemy and they are continually warning their people against their danger. A large number of people die of alcohol in these countries and even their womenfolk have become addicted.

In a lecture delivered at the Albert Hall in London, in 1945, Miss. Muriel G. Heath, a famous British social worker, said : "The pest of modern civilisation is alcohol. He that abondons himself to drink is like a car broken from its fastening which no longer obeys; it can neither control nor be controlled. He is like a house without a beam; the main support is being missing. In the last fifty years, the relationship between men and women has undergone a change, and in most countries, there is a partnership between the sexes in work, in sport, and war. Many of the old retraints have been removed thereby, and men and women may be seen drinking together in public. While millions of people go to bed hungry every night, the destruction of food goes on to make wines, beer and spirits. The idea fostered by the manufacturers of alcohols that alcoholic drinks are nourishing is totally false. Alcohol is a cell of poison for human beings; it first destroys every organ of the body which becomes less healthy throughout the taking of even a small dose; larger repeated doses may couse complete breakdown, severe, even fatal illness". Continuing, Miss Heath said, "Alcohol is responsible for 23 to 30% of male admission to mental hospitals. Dr. Herlich, of Lausanne, found that out of 86 epilepsy cases, 50 had alcoholic heredity; 60% of all motor accidents admitted into larger hospitals during the evening and over the weekend involved drivers who had taken alcohols. Cells of the brain which are effected by alcohol shrink 20% of their normal size." No statement is more convincing.

No worries are overcome by drinking alcohols. On the contrary, they increase them and deprive man of every power to make sound thinking. Alcohols effect the mind and in most cases give man or woman false courage and make anyone of them wrong approaches. Islam wanted tc inspire true courage into its followers and disliked the reckless daring which man shows under the influence of intoxicating liquors and which has so often led to acts of crimes.

Eating Of Pork :

The flesh of the pig is one of the specifically mentioned forbidden foods in the Quran, be it under the brand of bacon, pork or ham. It is declared by the Quran

It is further related in a Hadith, reported by Imam Muslim that :

كل مسكر خمر وكل خمر حرام

(every intoxicant is Khamr and every Khamr is prohibited). The second point is that when a beverage or any other thing becomes intoxicant, even a small quantity of it, that could not intoxicate, is not allowed. It is reported in a Hadith quoted by Abu Dawud in his 'Sunan' :

ما اسكر كثيره حرم قليله

(That of which a large quantity intoxicates, even a small quantity of it is prohibited).

The change which the prohibition of intoxicants brought about in Arabia, will always remain a riddle to the social reformer. The constant fighting of Arab tribes, one against the other, had made the habit of drink second nature to the Arab, and wine was one of the very few objects which could furnish a topic to the mind of an Arab poet. Intoxicating liquors were the chief feature of their feasts, and the habit of drink was not looked upon as an evil, nor had there ever been a temperance movement among them, the Jews and the Christians being themselves addicted to this evil. Human experience with regard to the habit of drink is that of all evils it is the most difficult to be uprooted. Yet but one word of the Holy Quran was suffiecient to blot out all traces of it from among a whole nation, and afterwards from the whole of the country as it came over to Islam. History cannot present another instance of a wonderful transformation of this magnitude brought about so easily, yet so thoroughly. It is to be added here that the remark that the moderate use of wine is allowed and wholesome and that only drinking to excess is prohibited, according to some people, is absolutely without foundation. The Prophet's Companions never made use of a drop of wine after the prohibition was made known, and the Prophet is reported to have said : "A small quantity of anything of which large quantity is intoxicating is prohibited."

Some people may pretend that intoxicants warm up the body in cold climates. The intoxicants may warm the body but for a short period after which the body returns to its normal temperature. The temperature goes up as a result of the alcohol contained in the liquor and no-one can run temperature unless he is ill.

There is no doubt that alcohols are the main cause of all sins and crimes. The civilised world had come to realise this fact, and a glimpse on the advanced countries will show how the spirits have degenerated the society there and how their nations have sunk from former excellence and reverted to

'Khamr' was forbidden when there was not in Madina any 'Khamr' of grapes. The beverage of its inhabitants being prepared only from dates, and it is sometimes prepared from grains. The wider sense of 'Khamr', as prepared from other things besides grapes, is clear from the 'Hadith' quoted by Al-Bukhari (4 : 74) from Umar (May God be gracious to him) which says : "........................ Khamr, when prohibited, was made of five things; grapes, dates, wheat, barley and honey".

The prohibition of intoxicants came in four stages : In the first stage it was spoken of in deprociatory terms towards the close of the Makka Period, when the Quran stated :

ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ... (النحل ٦٧)

It means : "And from the fruits of the date palms and the grapes you obtain intoxication and goodly provision" (16 : 67). Intoxication is here spoken of in contrast with goodly provision.

The second stage in the prohobition, contained in the first long chapter revealed at Madina :

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما . (البقرة ٢١٩)

It means : "They ask you about intoxicating liquors and games of chance. Say, in both of them is great sin and some advantages for people, and their sin is greater than their advantages" (2 : 219). It was more of a recommentatory nature as it only says that the advantages of the use of intoxicating liquors preponderate over their advantages.

The third stage was that in which the Muslims were prohibited from going to prayer while drunk. On this point the Quran says :

ياايها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ... (النساء ٤٣)

It means : "O you who believe ! Do not approach the prayer when you are intoxicated until you know what you say ......" (4 : 43).

In the fourth and the final stage intoxicating liquors were definitely and totally forbidden, by the proclamation quoted in the first paragraph of this article. (5 : 90). It is reported by 'Bukhari' that the people who heard the proclamation emptied their stores of liquors immediately, so that liquors flowed in the streets of Madina.

Hence, there are two important points to be cleared in this connection : The first point is that Khamr is prohibited on account of its intoxication, and other intoxicating things are therefore also forbidden. It is stated in a 'Hadith', reported by Bukhari :

كل مسكر حرام :

(every intoxicant is prohibited).

MAJALLAT'UL AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

SAFAR 1395	ENGLISH SECTION	MARCH 1975

ISLAM PROHIBITS INTOXICANTS AND EATING OF PORK

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

Proclaiming the definite and final prohibition of intoxicants and alcoholic drinks the Holy Quran says :

يا ايها الذين آمنـوا انمـا الخمر والميسر والأنصـاب والأزلام رجس من عمل الشـيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمـر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون (المائدة ٩٠ ـ ٩١)

It means : "O, you who believe ! Intoxicants and gambling (games of chance), and sacrificing to stones set up and dividing by arrows are only an uncleanness, the devil's work; so shun it that you may succeed. The devil wants only to create enmity and hatred among you by means of intoxicants and gambling (games of chance), and hinder you from the rememberance of Allah and from prayer. Will you not then abstain ?" (5 : 90-91).

The forbidden intoxicants and alcoholic drinks spoken of here as 'khamr'. According to Arabic lexicology the root word of 'Khamara' means 'veiled' or covered or concealed a thing. From the same root is 'Khimar' which means a woman's head-covering. The intoxicating liquor is called 'Khamr' because it veils the intellect. It has a common application to any fermented juice of anything, and by further analogy it applied to any intoxicating liquor or drug that clouds or obscures the intellect.

The intoxicating liquor prohibited in the Holy Quran allows no distinction between the wine or the fermented juice of the grapes, and the intoxicating expressed juice of anything, or any intoxicating thing that obscures the intellect. Because

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ٩٠٥٥٠٩

الجزء الثالث ـ السنة السابعة والأربعون ـ ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ ـ إبريل سنة ١٩٧٥م

١٢٨
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك أيها النبي

للأستاذ عبد الرحيم فودة

١ ـ بهذه التحية الزكية يتجه المسلمون بمشاعرهم الى محمد صلى الله عليه وسلم فى كل صلاة يؤدونها لله ، ويخاطبونه حاضرا غير غائب ، وحيا فى قلوبهم وفيما بعد هذه الحياة من حياة أخرى كبرى أعظم وأكرم ، لأن الله أمرهم بذلك ، وأخبرهم أنه وملائكته يصلون عليه ، فقال تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ، وبذلك يجتمع على الثناء عليه والاشادة به ، وتعظيم قدره ، كل عاقل مؤمن في السموات والأرض من الملائكة والانس والجن ، وفوق هؤلاء وهؤلاء ثناء من خلقه •وخلقهم جميعا • وقال له ، وقوله الحق : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » •

٢ ـ وقد اقترن مولده ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأحداث وأحاديث كثيرة ، فصلتها كتب السيرة ، ثم

فسرتها وقائع التاريخ فيما بعد بما يؤكد يمن مولده على العرب وعلى الناس جميعا ، ويؤيد أنه كان كما قال لمن سأله عن مبدأ أمره : «دعوة أبى ابراهيم • وبشرى عيسى بى • ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام » أما دعوة ابراهيم فنطالعها فى قول الله يحكى دعاءه ودعاء ابنه اسماعيل عند بناء البيت : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » ، وأما بشرى عيسى به فنطالعها فى قوله تعالى : « واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » ، وأما النور الذى رأته أمه قبل مولده يتألق ويشرق فوق ربوع الشام ، فهو الاسلام الذى بعث به عليه الصلاة والسلام • كما يفهم من قوله تعالى :« أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » وقوله جل شأنه : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » وقوله سبحانه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » •

٣ ـ وكانت حياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخصب حياة فى تاريخ الوجود والأحياء فاتسعت لمختلف ألوان النشاط المحمود والعمل الصالح بحيث يجد فيه الناس على اختلاف مراتبهم ومناصبهم وأعمالهم القدوة الطيبة والأسوة الحسنة ، ومن ثم وضعه الله منهم حيث يقول فيه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ، وحيث يقول جل شأنه : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » بل انه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان فى كل ما يصدر عنه من أقوال وأعمال ، وفى كل ما كان يتصف به من سجايا وأخلاق التطبيق الحى الدقيق لما فى القرآن من توجيه وارشاد ، حتى ليمكن أن يقال ان حياته نفسها معجزة أخرى كبرى تضاف الى أوجه الاعجاز فى القرآن ، ولا يبعد ذلك

عن بعض ما يفهم من قول الله فيه : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » •

٤ ــ فاذا حرص المسلمون على الاحتفال بذكرى مولده فى شهر ربيع الأول من كل عام فذلك تقليد حميد يمليه عليهم إيمانهم به • وحبهم له • وشعورهم بشرف الانتماء اليه والى الدين الذى بعثه الله به ، واذا شاركهم فى الاحتفال به غيرهم ممن لا يدينون بدينهم فذلك انصاف تمليه الطبائع السوية ، والفطر النقية ، والفضائل الانسانية ، لأنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان ــ كما يقول العقاد رحمه الله : وحسبنا من كتاب « عبقرية محمد » أن يقيم البرهان على أن محمدا عظيم فى كل ميزان ، عظيم فى ميزان الدين ، وعظيم فى ميزان العلم ، وعظيم فى ميزان الشعور ، وعظيم عند من يختلفون فى العقائد ، ولا يسعهم أن يختلفوا فى الطبائع الآدمية الا أن يرين العنت على الطبائع فتنحرف عن السواء وهى خاسرة بانحرافها ولا خسارة على السواء •

٥ ــ السلام عليك أيها النبى فى ذكرى مولدك ، وفى كل يوم وساعة من الأيام والساعات التى مرت بك وتمر بعدك حتى نحظى بلقائك فى دار السلام •

وصلى الله عليك وعلى أنبيائه ورسله من قبلك ، وعلى آلك وأصحابك وكل من اتبعك • وانتفع بهديك ــ يا رسول الله وخاتم النبيين؟

عبد الرحيم فودة

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بشأن اضطهاد علماء المسلمين فى الصومال

اجتمع مجلس مجمع البحوث الاسلامية بتاريخ ٢٥ من المحرم سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ٦ من فبراير سنة ١٩٧٥ م ٠

ونظر أحداث الصومال الأخيرة وما يسام به علماء المسلمين من تعذيب وتشريد وازهاق لأرواحهم ، لدفاعهم عن الحق والدين ولمعارضـتهم الدعـوة الى اهـدار أحكـام الشريعة الاسلامية ٠

ونسخ القرآن ومساواة المرأة بالرجل فى الميراث وقد ترتب على معارضتهم هذه أن نفذت الحكومة القائمة هناك حكم الاعدام فى عدد كبير منهم ٠

وقد أصدر المجمع البيان التالى :

بيـــــان

ان مجمـــع البحوث الاســـلامية بالأزهـر الشريف ليهولنه أن يوجد فيمن ينتسب الى الاسلام من يطعن فى كتابه فيزعم فى خطبة علنية أن نصفه منسوخ أومتناقض وقد بطل العمل به وانه لم يعرف للمرأة حقـوقها فحال دون مســاواتها بالرجل فيما يجب للانسان من حقوق ، ولم يسو بينها وبين الرجل فى الميراث •

وزعم أن ما نزل به القرآن انما رؤى فيه بيئة نزوله بما كان فيها من مشاكل •

تلك هى الصيحة الآثمـــة الباطلة التى رمى بها الاسلام وكتـابه ، وهو الكتاب الحق الذى يقـول الله فيه : « ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق•• آية ١٧٦ من سـورة البقرة ، وهـو الكتاب الذى أحـكم بيـانه وفصلت أحكامه » « كتاب أحـكمت آياته ثم فصلت ••• آية ١ هود ، وانه الحق الذى لا مرية فى صدقه ولا اعتراض عليه » « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » •• آية ٢ البقـــرة ، وان اللجـــاجة صفة الجـــاحدين له مع علمهم بصدقه » « فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون»•• أية ٣٣ الأنعام •

ولقد نفى الله الايمـــان عمن لم يؤمن به ويحتـكم لما جاء فيه ولقـد أقسم رب العزة على ذلك اذ يقـول . « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شـــجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفســهم حرجا ممـا قضيت ويسلموا تسليما » ٦٥ ـ النساء ، فمـا يدعيـه الكافرون به والجاحدون له من نسخ وتغيير وتبديل لكلمات الله وتكذيب لقول الله تعالى : « لا تبديل لكلمات الله » •

ان هـذه الدعوة كفر بكتـاب الله وكفـــر ببعض ما أشـارت اليه آياته الكريمة والله يقول : « أفغير دين الله يبغـون » •• الآية ٨٣ من ســورة آل عمران ، ويقـول : « ومن يبتـغ غير الاسلام دينا فلن يقبـل منه وهو فى الآخـرة من الخاسرين » آية ٨٥ من سورة آل عمران •

ان الاسلام بما جـاء به كتابه من آيات بينات ليكرم الانسان من حيـث هو انســـان دون تفـرقة بين رجاله ونسائه • ذلك مصداق قوله تعـالى : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملنـاهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبـــات

وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » آية ٧٠ من سورة الاسراء ، ويسوى بين الرجال والنساء فيقول : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » أية ٩٧ من سورة النحل ٠

كما سوى بينهم في جميع الحقوق تسوية راعى فيها طبيعة كل من النوعين ، وما لكل منهما من قدرة وكفاية ، وما تتطلبه الحياة من مهام وزعت بينهما على حسب خلقتهما وطبائعهما ٠

وتلك هى المساواة الحقة المثمرة لما يطلب منها من ثمرات جنية وعيشة راضية ، وحياة سليمة مرضية ، وليست التسوية مع اختلاف الطبائع والقدرات الا ظلما وجورا يتمثل فى اعطاء الانسان مالا يحسن ومطالبته بما لا يستطيع والا انحرافا ونكوصا عن سبل الهدى ووسائل العمل المثمر والاحسان ، وتفرقة ينأى عنها الوزن السليم والنظر الراجح ٠ لذلك لم يسو بينهما فى الميراث والنفقة مما يتصل بالتفرقة بين طبيعة كل منهما ومهمته فى الحياة ٠

وان علماء الاسلام فى الصومال حين يعارضون تلك الدعوة الأثيمة ويناهضون من يدعو اليها ويقتلون فى سبيلها انما يقاتلون أعداء الله ويدافعون عن دين الله ويستشهدون فى الدعوة الى الله ٠

وان مشيخة الأزهر لتهيب بالعالم الاسلامى بل بكل مسلم ان ينصب نفسه لاتقاء هذه الآثام ومدافعة هذه الشرور وانقاذ أرواح علماء الصومال الذين يسامون الخسف فى الدفاع عن دينهم وأرواحهم ٠٠ وانا لنشهد ونشهد الله أن موقفهم فى ذلك لهو الجهاد المقدس ، وان نصرتهم لواجبة على المسلمين أفرادا وجماعات شعوبا وحكومات » والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ٠

الامام الأكبر
شيخ الأزهر ورئيس المجمع
(دكتور عبد الحليم محمود)

دراسات قرآنية :

الخلق العفيف والمسلك النظيف في الإسلام

للأستاذ مصطفى محمد الطير

قال الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

سورة الأحزاب : ٢١

البيان :

ان للاسلام فضلا على البشرية فيما غرس فيها من مكارم الأخلاق ومعالى السجايا .

ومن أكرمها وأعمها نفعا صفة التسامح والتعايش السلمى مع جميع الخلائق ، مؤمنهم وكافرهم ، ولقد اعترف المنصفون من فلاسفة الأديان المخالفة ، اعترفوا بذلك فيما ألفوه من كتب .

ومن ذلك ما قاله القس ميشون الفرنسى : ان المسيحين تلقوا عن المسلمين روح التسامح ، وفضائل حسن المعاملة ، وهى أقدس قواعد الرحمة والاحسان عند جميع الشعوب :

أجل : لقد تعلم المسلمون عن دينهم صفة التسامح ، وطبقوها جيدا فى معاملاتهم مع من يخالفونهم فى دينهم ، عند حكمهم لهم ، فقد تركوهم أحرارا فى معابدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأموالهم وأولادهم ، ولم يفرضوا عليهم من الضرائب - اذا كانوا تحت حكمهم - أكثر مما يفرضونه على المسلمين ، ولو أنك قارنت بين الزكاة المفروضة على المسلمين ، وبين الجزية المفروضة عليهم دفاعا عنهم ، لوجدت أن الجزية أقل كثيرا من الزكاة التى يدفعها المسلمون ، والله سبحانه قد بسط أكناف العفو ولم يخصه بالمسلمين يقول الله تعالى : « والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فالله جل جلاله أطلق فى هذا الدستور - العفو والاحسان - فجعلهما شاملين لجميع

الناس ، بدون فرق بين الأجنـــاس ، كمــا أطلق العفو والصـفح فى قوله تعالى : « وليعفوا وليصفحوا ألاتحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

التسامح مع المشركين

يقول الله تعالى فى اسداء المعروف للوالدين المشركين : « وان جـاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهمـا وصـاحبهما فى الدنيـــا معروفا » .

ولمـــا حـدثت المجـــاعة لقريش التى أخرجت الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه من مكة ، وآذتهم وصادرت حريتهم وهم بمكة مقيمون، وصـــادرت أموالهم وهم بالمدينـــة مهـــاجرون ، لمـا حـدثت المجـاعة لقريش بعد الهجرة ، بعث النبى صلى الله عليـــه وسـلم الى أبى ســـفيان بخمسمائة دينار ، ليفرقها على فقراء المشركين الجائعين ، كى يشتروا بها طعاما يســد رمقهم ، ولمـا فتح مكة عفا عن أهلها ، وقال كلمته المشهورة : أذهبوا فأنتم الطلقاء .

التسامح مع أهل الكتاب

يقول النبى صلى الله عليه وســلم : « من آذى ذميا فقد آذانى » ويقول : « لهم مالنا وعليهم ما علينا » ويقــول الله تعالى فى الحــكم بينهم : « وأن أحكم بينهم بما أنزل الله » ويقــول فى حريتهم الدينية : « ولا تجـادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » .

وجاء أحد بنى سالم بن عـوف ـ واسمه الحسين ـ وقال : يارســول اللــه ان لى ولدين نصرانيين يأبيان الدخول فى دين الله ، وانى لمجبرهما على ذلك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

ومن الحقائق التاريخية أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أعطى وفـد نجران المسيحى حين قدم المدينـة . نصف مسجده ليقيموا فيه شعائرهم الدينية ، وهذا أمر لايحدث مثله فى أى دين آخر .

تطبيق الأمراء للتسامح والاحســان

اقرأوا وصية أبى بكر ـ وهـو يزود جيش أسامة بن زيد بالنصائح ، حين بعث به ليـؤدب قبائل قضـاعة الضـــاربين بالشام ممـــا يلى مؤتة ، لمظاهرتهم الروم على جيش المسلمين المحـارب للروم فى غـزوة مؤتة ،

بقيادة أبيه زيد بن حارثة ـ وقد قتل زيد فى هذه الغزوة .

قال أبو بكر رضوان الله عليه فى وصيته : لا تخونوا ولا تغدروا ، ولا تغلوا ولا تمثلوا ، ولاتقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكل ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم للصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم فحصوا أوساط رءوسهم ، وتركوا حولهامثل العصائب ، فاخفقوهم بالسيف خفقا : ثم قال : اندفعوا على اسم الله .

فانظر يارعاك الله الى أبى بكر ، وهو يوصى بما أوصى به الاسلام ، من عدم الخيانة والغدر ، والابقاء على الشيوخ والأطفال من أعدائهم ، وعدم الافساد فى أرض العدو بالاحراق وقطع الأشجار وذبح الأنعام ، ومن ترك العابدين فى صوامعهم بلا ايذاء ولا ازعاج ، وعدم التعرض الا لمن يناجزونهم من أهل الشر والبغى والعدوان .

وقارن بين هذا وما يصنعه المستعمرون من أهل الكتاب ، من القاء القنابل والصواريخ المدمرة ، والقذائف المحرقة ، وغيرها من أسباب الدمار ، بين الوادعين الآمنين ، فى قديم الزمان وحديثه .

وانظر الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ اذ ينصف مسيحيا من مصر ، من ابن أمير البلاد ، روى أنس قال : بينما أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب قاعدا ، اذ جاءه رجل من أهل مصر ، فقال ياأمير المؤمنين : هذا مقام العائذ بك ، فقال عمر : لقد عذت بمجيب فما شأنك ؟ قال : سابقت على فرس ابنا لعمرو بن العاص ـ وهو يومئذ أمير على مصر ـ فجعل يقمعنى بسوطه ويقول : أنا ابن الأكرمين ، فبلغ ذلك عمرا أباه ، فخشى أن آتيك ، فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان ، وقال للمصرى أقم حتى يأتيك ، فقدم عمرو فشهد الحج ، فلما قضى عمر الحج ـ وهو قاعد مع الناس وعمرو ابن العاص وابنه الى جانبه ـ قام المصرى ، فرمى اليه عمر رضى الله

عنه بالدرة (١) قال أنس : ولقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول له : اضرب ابن الأكرمين ، قال : ياأمير المؤمنين : قد استوفيت واشتفيت ، قال : ضعها فى صلعة عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين: ضربت الذى ضربنى ، قال : أما والله لو فعلت لما منعك أحد ، حتى تكون أنت الذى تنزع ، ثم قال : ياعمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : انى لم أشعر بهذا » .

فهل ترى حاكما فى أمة غير مسلمة يطبق العدالة والتسامح والاحسان ، مع من يخالفه فى الدين ، بمثل هذا الأسلوب الذى عالج به عمر تلك المشكلة الصغيرة التى لا يلقى بالـه لمثلها حاكم اقليم صغير ، لقد عالجها أمير المؤمنين بنفسه ، وهو أمير للمسلمين جميعا ، وبطريقة عديمة النظير ، ولا غرابة فهو ربيب المدرسة المحمدية ، رضيع لبان القرآن والسنة، انه عمر الفاروق ، والصورة الوضاءة للحاكم المسلم .

أنصف الناس من نفسك

على المسلم أن ينصف الناس من نفسه ، حاكما كان أو محكوما ، فكما تحب من غيرك أن يكون معك منصفا ، فأحبب من نفسك أن تكون منصفا مع الخلائق ، ففى الحديث الشريف: « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الانفاق من الاقتار، والانصاف من نفسه ، وبذل السلام ».

وذكر صاحب العقد الفريد للملك السعيد أن أحمد بن طولون كان يأخذ نفسه بالانصاف مع شدة جبروته فى تنفيذ ما يراه حقا ، وكان يجلس للمظالم ويحضر مجلسه القاضى بكار بن قتيبة ، والربيع بن سليمان صاحب الامام الشافعى ، وغيرهما من الفقهاء وأهل العلم ، وكان يمكن للمظلوم من أن يتحدث بحريته عن ظلامته ، ويجلسه بين يديه مقربا له.

قال أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الفقية : اعترضت لنا ضيعة بالصعيد من ضياع جدى سلامة ــ يقصد أن هذه الضيعة صودرت ــ فخاطبت أحمد بن طولون فى شأنها ،

---

(١) الدرة عصا صغيرة .

فاحتج على بحجج كثيرة ، واجبته بما لزمه الرجوع اليه ، ثم ناظرنى مناظرة الخصوم بغيرانتهار وأنا أجيبه، حتى اذا لم تبق له حجة قال : ان الحجة قد ظهرت لك ولكن أمهلنى ثلاثة أيام لعلى أجد حجة لى والا سلمتك ضيعتك فقمت منصرفا فلما خرجت قال ابن طولون للحاضرين : ما أقبح ما أشهدتكم على نفسى ، أقول لرجل من رعيتى . ظهرت حجتك فأمهلنى ثلاثة أيام حتى أجد لى حجة ، من يمنعنى اذا وجبت لى حجة أن أحضره وألزمه اياها ؟ هذا والله الغصب ، وأنتم رسلى اليه بأنى قد ألزمت حجته ، وأزلت الاعتراض عن ضيعته ، وقد قال رسول الله عليه وسلم (ان الله لا يقدس أمة لا يؤخذ الحق لضعيفها من قويها) فعلم الطحاوى من الحاضرين ذلك ، وأخذ كتابا من الديوان ، يزيل الاعتراض عن ضيعته، ثم ذهب وتسلمها وكانت هذه من مناقبه .

تباعد عن مواطن التهم

على المسلم أن يتقى مواطن التهم ، فقد أخرج الشيخان وغيرهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه ، فمر به رجل ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يافلان . هذه زوجتى صفية ، فقال : يارسول الله ، من كنت أظن فيه ، فانى لم أكن أظن فيك ، فقال : ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم » وكانت صفية تزوره بالمسجد وهو معتكف فى العشر الأخير من رمضان .

وقال عمر : من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن ، ومر برجل يكلم أمرأة على ظهر الطريق ، فعلاه بالدرة (١) ، فقال : ياأمير المؤمنين انها أمرأتى ، فقال هلا حيث لا يراك أحد من الناس .

تودد الى الناس واصطنع المعروف معهم

ومن الأخلاق الكريمة . أن تتودد الى الناس ، وتصنع المعروف معهم ، قال صلى الله عليه وسلم : « رأس العقل بعد الدين ، التودد الى الناس . واصطناع المعروف الى كل بروفاجر » وقال « ان الله يحب السهل الطلق الوجه » .

---

(١) أى أراد أن يضربه بها .

ومن ذلك اكرام كريم القوم • روى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته،فدخل عليهأصحابه حتى دحس وامتلأ ، فجاء جرير بن عبد الله البجلى ، ولم يجد مكانا فقعد على الباب ، فلف النبى صلى الله عليه وسلم رداءه الشريف فألقاه اليه ، وقال له اجلس على هذا ، فأخذه جرير ووضعه علىوجهه وجعل يقبله ويبكى ، ثم لفه ورمى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى ، فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال : (اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) •

ومن ذلك اكرام من له حق قديم عليك : روى أن ظئر (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته ، جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال : مرحبا بأمى ، ثم أجلسها على الرداء ، ثم قال لها : اشفعى تشفعى وسلى تعطى ، فقالت قومى (٢) فقال لها : أما حقى وحق بنى هاشم فهو لك ، فقام الناس من كل ناحية وقالوا : وحقنا يا رسول الله (٣) : ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهمانه بخيبر (٤) ، فبيع ذلك من عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه ــ بمائة ألف درهم (٥) •

وروى أن خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، أغارت على هوازن، فأخذوا الشيماء بنت حليمة ، وكانت أخته من الرضاع ، فقالت أنا أخت صاحبكم ، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا محمد أنا أختك ، فرحب بها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه ، وقال لها : ان أحببت فأقيمى عندى مكرمة محببة ، وان أحببت أن ترجعى الى قومك وصلتك ، قالت : بل أرجع الى قومى ، فأسلمت وأعطاها النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء (٦) •

---

(١) أى مرضعة ، وهى حليمة السعدية .
(٢) هم بنو سعد بن هوازن ، وكانت خيل النبى صلى الله عليه وسلم قد أغارت عليهم .
(٣) أى وحقنا هبة لها أيضا .
(٤) أى أسهمه فى مغانم خيبر ، وكانت أرضا .
(٥) بيعت له فى أيام خلافته .
(٦) الشاء بالهمز الغنم .

ومن ذلك اصطناع المعروف الى أهل الشر والفجور ، بالبشاشة ، والقول اللين ، اتقاء لشرهم ، وتليينا لطباعهم ، قال تعالى : « ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وقال : « ويدرأون بالحسنة السيئة » أى يدفعون بالسلام والمداراة الشر والأذى - كما فسرها ابن عباس وفى الأثر : (خالطوا الناس بأعمالكم ، وزايلوهم بالقلوب) أى خالطوهم باحسان العمل معهم واتركوهم بقلوبكم نحوهم ، فان كانوا خيرين ارتضيتم خيرهم ، وان كانوا شريرين دعوتم الله بهدايتهم وقلوبكم مبغضة لهم من أجل شرهم لا لذاتهم .

وقال محمد بن الحنفية : ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدا ، حتى يجعل الله له منه فرجا : وقال عبد الله بن عمران : البر شيء هين ، بشاشة وقول لين .

فاصطناع المعروف الى الشرير من الحكمة : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » ولذا قال أبو الدرداء : انا لنبش فى وجوه القوم وان قلوبنا تلعنهم - أى تبغضهم لشرهم - وفى هؤلاء يقول النبى صلى الله عليه وسلم (ان شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه) .

ومن اصطناع المعروف مخالطة المساكين ،حتى لا يشعروا بانحطاطهم عن المجتمع ، كما أنه يحسن اليهم - ويعطيهم حقهم عنده ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين) .

ومنه أيضا التلطف بالصغار ،وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفره ، يتلقاه الصبيان ، فيقف لهم ، ويأمر بهم فيرفعون اليه ، فيجعل منهم بين يديه ومن خلفه ، ويأمر بأصحابه أن يفعلوا مثل ذلك .

ومن الأخلاق الكريمة الائتمار بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى الله عنه ، والتمسك بسنة النبى صلى الله عليه وسلم .

الوفاء بالوعد

ومن الأخلاق الكريمة الوفاء بالوعد ، قال صلى الله عليه وسلم :

« العدة عطية » وقال : « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان » .

المسلم من سلم المسلمون منه

ومن الأخلاق الكريمة أن تكف أذاك عن أخيك ، قال صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وينبغى أن تزيل من طريقه ما يؤذيه من ممتلكاتك أو غيرها ، ففى الحديث : « رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة - أى بسبب شجرة - قطعها عن الطريق كانت تؤذى المسلمين » .

وقد كان السلف الصالح يصلون فى هذا الى حد بعيد ، فقد كان فى بيت بعضهم فيران ، فأشار بعض أصحابه أن يقتنى هرة ، فقال : أخشى أن تهرب الفيران من الهرة الى بيوت الجيران ، فأكون قد أحببت لهم ما كرهت لنفسى .

ومن ايذاء أخيك أن تهجره فوق ثلاثة أيام ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

واذا التقى المسلمون بآلات الحرب فخير الفريقين من يبدأ بالمصالحة وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ، حفاظا على وحدة المسلمين ، ومنعا لتمزقهم وضعفهم ، وطمع الأعداء فيهم ، فما أصاب الأندلس من الكارثة الكبرى ، الا بسبب تمزق المسلمين فيها شيعا وأحزابا ، ومحاربة دويلاته - بعضهم لبعض - واستعانة بعضهم على بعض بأعداء الاسلام ، حتى حدثت تلك المحنة الكبرى التى يدمى لها قلب كل مسلم ، وكذلك ما أصاب الأمم الاسلامية من غزو الدول الاستعمارية واحتلالها ، الا بسبب هذا التمزق وعدم تعاونهم وتماسكهم .

نبذه من أخلاق الرسول

وانى أعطر هذا المقال ، بزهرات من روضة أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم ، أختتم بها حديثى هذا مع القراء الكرام .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعف الناس ، لم تمس يده يد امرأة ، الا من ملك عصمتها أو رقها ،

وكان يبايعهن بالكلام بدون مس ، وكان أسمى الناس ، ولهذا كان يبيت وليس عنده دينار ولا درهم ، وان فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل ، لم يأو الى منزله حتى يعطيه الى من يحتاج اليه ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، يأكل مما حضر ، ان وجد تمرا دون خبز أكله ، أو وجد خبز بر أو شعير أكله ، وان وجد حلوا أو عسلا أكله ، ولا يأكل متكئا ولا على خوان ، ولم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى، ايثارا لغيره على نفسه وزهدا ، ولو أراد لفعل ، لأن الله فتح عليه من الأموال آخر عمره مالا يحصى ، وأخرجها كلها فى سبيل الله ، يعود المرضى ويشهد الجنائز ، ويمشى وحده بين أعدائه بلا حارس ، أشد الناس تواضعا وأسكنهم فى غير كبر ، حج على رحل عليه قطيفة رثة لاتساوى أربعة دراهم ، وقال : اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة ، وفى فتح مكة دخل ساجدا على ناقة ، ولم يدخل مزهوا بانتصاره على أعدائه ، ولما بايعه رجل وكانت فرائصه ترتعد ، قال له : هون عليك ، فما أنا الا رجل من قريش ، أمه كانت تأكل القديد بمكة .

أيها المسلم الكريم : تلك طائفة من اخلاق الرسول الشذية ، فاقتد به فيما استطعت منها : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .

مصطفى محمد الحديدى الطير

من هدى السنة :

الرحمة بالحيوان

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر فملأ خفيه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر » . متفق عليه

راوى الحديث

سبق التعريف به فى عدد ربيع الآخر من العام الماضى .

اللغة :

(بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش) (بين) ظرف زمان متعلق ب (اشتد) و (ما) زائدة و (رجل) وصفه محذوف ، تقريره : ممن قبلكم ، وحذف لعلمه من السياق ، لأنه فى مقام القصص ، والباء فى (بطريق) بمعنى فى ، والطريق يذكر فى لغة نجد ، وبه جاء القرآن الكريم فى قوله تعالى : « فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا » (١) ويؤنث فى لغة الحجاز ، والجمع طرق بضمتين ، وجمع الطرق طرقات وقد جمع الطريق على لغة التذكير أطرقة، وتقدير الجملة : اشتد العطش فى وقت على رجل ممن قبلكم يمشى فى طريق .

---

(١) سورة طه آية رقم ٧٧ .

(كلب يلهث) يخرج لسانه من شدة العطش ، وهذا أمر خاص بالكلب دون غيره من الحيوان ، يقال : لهث بفتح الهاء كفتح ، وكسرها كعلم يلهث بفتحها لهثا ، والاسم اللهاث بضم اللام ، ورجل لهثان ، أى عطيش ، وامرأة لهثى أى عطشى .

(يأكل الثرى) أى التراب الندى ، فان لم يكن نديا فهو تراب ، ولا يقال حينئذ ثرى ، وأل فى (الثرى) للعهد العلمى ، والمراد الثرى الذى حول البئر ، لأن التراب لايكون نديا عادة فى مثل تلك الأماكن الموحشة الا حول البئر - ويدل على هذا رواية أخرى للحديث جاء فيها : (بينما كلب يطيف بركية قد كان يقتله العطش) ومعنى (يطيف) يدور ، و (الركية) البئر ، أى يلف ويدور حولها محاولا تسكين ظمئه .

(لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى) أى أن هذا بلغ بسبب العطش الى حالة أليمة قاسية مثل التى كنت أعانيها قبله ، (رقى) أى صعد ، يقال : رقى بكسر القاف على اللغة الفصيحة يرقى من باب تعب رقيا على وزن فعول ، ورقيا أيضا مثل فلس ، ويقال فى الماضى أيضا : رقى بفتح القاف ، وهى لغة طىء .

(فشكر الله له) الشكر من الله لعبده بمعنى القبول ، فمعنى (شكر الله له) قبل عمله ، وأثابه بالجنة عليه .

(وان لنا فى البهائم أجرا ؟) أى بسبب البهائم،والبهائم جمع بهيمة ، وهى كل ذات أربع من دواب البحر والبر ، وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة ، (فى كل كبد رطبة أجر) يقال : رطب الشىء بضم الطاء رطوبة ندى ، وهو خلاف اليابس الجاف ، والرطب أيضا الشىء الرخص أى اللين من الغصن وغيره ، وشىء رطب ورطيب اذا كان مبتلا ، أو رخصا لينا - ورطوبة الكبد كناية عن الحياة ، فان الميت يجف جسمه فالمراد بالجملة : فى سقى كل حيوان حى ثواب وجزاء .

البيان :

المؤمن ينبغى أن تعمر الرحمة قلبه ، وأن تظهر آثار هذه الرحمة فى سلوكه وتصرفاته بالنسبة لخلق الله جميعا ، فان هذا وسيلة لأن يظفر برحمة الله ورضوانه ، ومن لايرحم

خلق الله فليس أهلا لأن تناله رحمة الله ، قال عليه الصلاة والسلام : (من لا يرحم لا يرحم) (١) وليست الرحمة مقصورة على الولد والزوجة والأهل والأحبة ، بل ليست مقصورة على الناس ، وانما هي واسعة الأفق ، فسيحة المجال ، شاملة لجميع الخلق ، فتعم البهائم والدواب .

والحديث الشريف يقص علينا واقعة ممن قبلنا كان يسير في طريق فاشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل اليها ، وشرب منها ، ثم خرج ففوجىء بكلب تبدو عليه أعراض الظمأ الشديد ، يخرج لسانه ، يأكل الثرى الذى حول البئر بسبب العطش ، محاولا أن يطفىء نار ظمئه ، ولكن لم يغن عنه ذلك شيئا ، فتذكر الرجل حالته التى شعر فيها بقسوة العطش ، وهياج ثورته ، وأنه لم يطق الصبر عليها ، فعرف أن الكلب يعانى مثل الحالة التى مر هو بها ، فعزم على أن يخلصه منها بسقيه مهما كلفه ذلك من جهد ومشقة ، وأدرك أن الوسيلة الى تحقيق هذه الغاية انما تكون بنقل الماء من البئر الى الكلب ، ولما لم يتيسر له اناء يحمل فيه الماء أسرع نازلا الى البئر ومعه خفه ، فملأه ، ثم أمسكه بفمه ، ثم رقى فسقى الكلب ، ويكفى لتصور مشقة هذا الصنيع أن الرجل لم يكن معه غير خفه الذى يلبسه فى رجله ، وملؤه بالماء يحدث فيه شيئا من التلف ، ومع هذا نزعه من رجله ليملأه ماء للكلب ، ثم ان امساكه بفيه حين صعوده يدل على عسر المرتقى ، لأنه لم يحتج الى امساكه بفيه الا ليساعد نفسه بيديه عند الصعود ـ وتحمل الرجل هذا كله رحمة بكلب ضال لا صاحب له فلم يفعل ما فعل مجاملة لصاحب الكلب ، أو رئاء الناس ، لأنه فى موضع لا يطلع عليه فيه الا علام الغيوب .

لهذا استحق هذا الرجل أن يشكر الله له حسن صنيعه ، ويجزيه عليه أكرم الجزاء ، فيدخله الجنة ، وكفى بها جزاء للرحماء المحسنين .

بعد أن عرف الصحابة رضوان الله عليهم جزاء هذا الرجل خاطبوا

---

(١) رواه البخارى .

الرســـول صـلى الله عليـه وسـلم مسـتفهمين عن اسـتحقاق الأجر لهم بسبب البهائم ، فأجابهم بثبوت الأجر بارواء كل حيوان حى .

وينبغى أن يعـــلم ـ أخـذا من نصـــوص الشريعة ـ أن هذا خاص بالحيـــوان الذى لا ضرر منه ، ولم نؤمر بقتله ـ فكل حيـوان غير ضـار يحصل بسقيه والاحسـان اليه الأجر والثواب .

وأما الحيـــوان الضـار كالثعبـان والعقرب ، والكلب العقور فانه يقتل دفعـــا لأذاه ، ووقـــاية من شره ، واستجابة لتوجيه الشارع الحكيم .

روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت :

(أمر رسول الله صلى الله عليـه وسـلم بقتل خمس فواسـق (١) فى الحل والحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلبالعقور) وذكر الخمسـة فى هذا الحديث لا يدل على نفى القتل عما سواها فقد ثبتت زيادة الحيـة فى حـديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وفى حديث رواه مسلم أيضـا عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وفى حديث رواه الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وثبتت أيضا زيادة الذئب فىحديث مرسل أخرجه ابن أبى شيبة وسعيد ابن منصـور وأبو داود من طـريق سعيد بن المسيب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : (يقتل المحرم الحية والذئب) .

ورجاله ثقات (٢) .

لذا كان الحكم المقرر عند محققى العلماء ثبوت القتل فى كل حيـــوان يتأتىمنه الافساد والايذاء والاضرار .

واليك ما ذكره الحافظ ابن حجر فى هذا الموضوع عند شرحه للحديث

---

(١)) أصل الفسق لغة : الخروج ، ومنه فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ، وسميت الفواسق بذلك لخروجها عن غيرها من الحيــوان بالايذاء والافساد .

(٢) نيل الأوطار للشوكانى جـ ٥ مع اختصار .

الذى رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور)

قوله : (خمس) التقيد بالخمس وان كان مفهومه اختصاص المذكورات بذلك ، لكنه مفهوم عدد ، وليس بحجة عند الأكثر ، وعلى تقدير اعتباره فيحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم أولا ، ثم بين بعد ذلك أن غير الخمس يشترك معها فى الحكم •

ثم ساق ابن حجر من الروايات ما يفيد الزيادة على الخمسة ، فقد جاء فى رواية زيادة الحية ، وفى رواية زيادة الأفعى ،وفى رواية زيادة السبع ، وفى رواية زيادة الذئب والنمر •

وقال عند ايضاح المراد بقوله عليه الصلاة والسلام : (من الدواب) بتشديد الموحدة ، جمع دابة ، وهو مادب من الحيوان ، وقد أخرج بعضهم منها الطير ، لقوله تعالى : « وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه » الآية (١) وهذا الحديث يرد عليه ، فانه ذكر فى الدواب الخمس : الغراب والحدأة ، وذكر عند بيان العلة فى الحاق غير الخمسة بها فى الحكم ـ اختلاف العلماء فى هذا ، فبين أن بعضهم يقول : لكونها مؤذية ، فيقتل كل مؤذ ، وبعضهم يقول : لكونها مما لا يؤكل ، فيلحق بها غيرها مما لا يؤكل ، ثم نقل عن ابن دقيق العيد ـ فى ترجيح التعليل بالأذى ـ قوله : والتعدية بمعنى الأذى الى كل مؤذ قوى بالاضافة الى تصرف أهل القياس ، فانه ظاهر من جهة الايمان بالتعليل بالفسق ، وهو الخروج عن الحد ، وأما التعليل بحرمة الأكل ففيه ابطال لما دل عليه ايماء النص من التعليل بالفسق ، ا هـ (٢) •

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٣٨ .

(٢) فتح البارى باختصار وتصرف ج ٤ من ص ٣٥ الى ص ٤٠ ط السلفية .

وبعد ما تقدم يظهر لنـا رجحان التعليل بالايذاء ، فان النبى صلى الله عليه وسلم رتب حـكم القتـل على الفسـق ، وهو الخـروج عن الحد ، والفسق وصف مناسب لتشريع القتل، فيكون علة له ، اذ العلة ـ كما يقول الأصـوليون : هى الوصف المنضـبط المشـتمل على المعنى المناسب لتشريع الحكم •

فكل حيوان حصل منه ايذاء يلحق بهذه الخمسة فى استحقاق القتـل ـ كما ذكرنا سابقا ـ

الحديث موصول

منشاوى عثمان عبود

من خير معايش المسلمين

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من خير معايش الناس لهم ، رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغى القتل أو الموت مظانه أو رجل في غنيمة فى شعفة من هذه الشعاف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا فى خير . أخرجه البخارى .

الهيعة : الصوت الذى تفزع منه وتخافه من عدو . عنان الفرس : لجامه ومتنه ظهره . الشعاف جمع شعفة وشعفة كل شىء أعلاه . الغنيمة تصغير غنم والمراد الطائفة القليلة منه . واليقين هنا الموت .

تختلف الأحوال بالجماعات والأمم كما تختلف بالأفراد ، فرخاء وشدة وفرج وضيق وأمن وخوف ، وقلق واستقرار ، وتلك نتيجة لتصارع الناس وتنازعهم فى الحياة بباعث الهوى والطمع والتنافس على الجاه والنفوذ والسيادة وهذا واقع الحياة وسنة الوجود فى كل الأمكنة وفى جميع العصور ، وقد حكم الله بأن الناس لا يزالون مختلفين الا من رحم ولذلك خلقهم ، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه .

تتصارع الأمم وتتصارع الجماعات وينبغى أن يكون للمسلم موقفه من هذا التصارع سواء كان التصارع عاما بين أمته وأعداء أمته ، أم خاصا بين جماعته وأعداء جماعته من أمته ، فقد تختلف الأمة الواحدة جماعات لكل منها هدفه وغايته ورأيه واتجاهه ويدفع كلا منها الحرص والطمع الى سلوك ما يمكن من الطرق واتخاذ ما يتاح من الوسائل ليبلغ غايته وينال طلبته وفى غمار هذا تتأزم الأمور

وتلتبس وجـــوه الصـــواب وتلبس الخلافات أثواب الفتن ، والفتنـــة بين جمـــاعات الأمة أبغض ما تكون الى الاسلام لأنها تقوض أركانها وتزلزل بنيـانها وتستنزف حولهـا وسـلطانها وتوهنهـا أمام أعدائهـا ، وقد شـدد الاسلام فى علاج الفتنة بين الجماعات ودعـا الى أخـذ المعتـــــدى بأقصى العقوبات •

وقد رسم الاسلام للمسلم موقفـه من كلتا الفتنتين العامة والخاصة أعنى فتنـــة الأمـة عامة بأعدائهـــا الذين يتربصون بها ويهددونهـا فى دينهـا وكيانها ، وفى ديارها وأموالها والفتنة الخاصة أعنى الفتنة باختلاف جماعات الأمة وتصارعهم ، ففى حال فتنة الأمة بأعدائها أوجب الاسلام على المسلم أن يكون متأهبـا لملاقاة الأعداء وجنـديا مستعدا بما يتاح من السلاح لا يشغله عن هذا الواجب شـاغل ، وأن يكون قوى الايمان بالنصر والظفر بالأعداء واستلاب ما يمكن استلابه من معداتهم وأحوالهم ويكون ثقته بالنصر كأنه ضامن للحصول على مغانم يتمون بهـا ويعيش عليها ، وكلما لاحت فى الأفق بوادر الخطر ، استكمل اسـتعداده واسـتبق الى المعركة متعرضـا لأحد احتمالين كلاهما خير له وأبقى عند ربه ، فاما قتل فى سبيل الله هو شهادة قاطعـة بالجنـة وانخراطه فى زمرة الأبرار والصديقين والشهداء واما ظفر بالأعداء يدفع عن الاســلام والوطن الاسلامى خطرهم وكيدهم ليبقى الدين خالصا لله ويبقى الوطن بما ميزه الله به من النعم خالصا للمسلمين ، وظاهر الحديث يجمل موقف المسلم من قتال أعداء الاسلام اجمالا يوحى بالتراخى فى قتالهم ومجاهدتهم فعبارة : من خير معاش الناس لهم رجل ••• الخ وان كانت تدل على تمام اسـتعداد المسـلم لجهاد الأعداء والحرص على مواجهتهم وملاقاتهم الا أنهـا لاتوحى بفـرضية الجهاد وتأكيده على المسلم كما تنص على ذلك الآيات والأحاديث المستفيضة •

فمـوقف المسلم فى فتنـة الأمة عامة بقتال أعدائها يجب أن يكون موقفـا ايجابيا ذا قيمة مؤثرة ، هـو موقف الاسـهام والمشـــاركة وهـو موقف العزة التى ارتضـــاها الله للمؤمنين أما موقف المســـلم تجـــاه فتنـــة جماعات المسلمين بعضهم ببعض وهو الأمر الثانى الذى تناوله الحديث فانه يخالف الموقف الأول وتوحى عبارته لأولى النظر باسـتنكار هـذه الفتنـة واعتزالها واتقاء الخوض فى غمارها ،

لأن الاشتراك فيها يؤجج نارها ويزكى أوارها ويجلب على المسلمين الضر والشر والبوار والدمار ، وقد حرص الاسلام على وجوب الاسراع باطفاء نار الفتنة بين جماعات المسلمين تقديرا لمغبتها وتلافيا لأخطارها فأمر الله تعالى بالاصلاح بينها فقال : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين. انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون »

فموقف المسلم من الفتنة الخاصة وجوب الاسهام فى المصالحة بينها والوقوف بجانب الحق والعدل كما رسم الاسلام وذلك ان كان ذا رأى وخطر يمكن أن يكون له أثر فى توجيه الأمور واستقرار الأحوال وهذا أحد وجهى موقف المسلم فيها كما قرره القرآن ، أما الوجه الآخر، فان على المسلم حين تتقد نار الفتنة بين جماعات المسلمين ويحس من نفسه العجز عن أن يكون ذا أثر فى علاجها، أن يفر منها بدينه ونفسه فيرتاد المواطن البعيدة عنها سواء فى أعلى جبل من الجبال أو فى بطن واد من الأودية يقوم بفرائض الله من صلاة وصيام وزكاة ويتخذ له بعض أغنام يقتات بألبانها ولحومها ويكتسى بأصوافها ويظل على ذلك حتى ينقضى أجله خشية أن تلفحه بشرورها وشررها ، ولقد انتهج هذا النهج بعض الصحابة والتابعين حين نزلت بالمسلمين الفتن الشهيرة عبر تاريخهم وشوهت بمآسيها وما جرى فيها أمجادهم ومناقبهم وكانت موضع الطعن والمؤاخذة من أعداء الاسلام ولم يقو الزمن على محو آثارها وطى صفحاتها ، ويرى بعض السلف من المسلمين وخاصة المتصوفين أن العزلة عن الناس هى الموقف الملائم للمسلم دائما لما فيها من السلامة من الآفات فى الدنيا والدين وفارس الميدان فى الحديث عن موضوع العزلة والاختلاط هو الامام الغزالى فى كتابه احياء الدين وهو فيه مشبع ممتع ؟

أبو الوفا المراغى

العلل القادحة في الحديث

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

لم يدع علماء هذا الفن الجليل ـ أعنى فن التحديث ـ فى منهجهم ثغرة ينفذ منها الطاعن أو نقطة ضعف يرتكز عليها أو يتمحك بها شانىء أو مخالف، فقد نهضوا بهذا العلم بكل وسيلة تصونه عن دواعى الخلل ، أو بواعث الزلل • وكان من أهم ما عنوا به العلل الخفية التى تنتاب الحديث من جهتيه أو احداهما : المتن أو السند •

وأول ما نبدأ به ما استدركوا على أنفسهم أن يتسرب اليهم خطأ لغوى فى اطلاق كلمة معلول على الحديث الذى به علة قادحة • فنبه الى ذلك الامام تقى الدين أبوعمرو الشهرزورى المعروف بابن الصلاح صاحب المقدمة المتوفى سنة ٦٤٥ فقال (النوع الثامن عشر معرفة الحديث المعلل) ويسميه أهل الحديث المعلول وذلك منهم ومن الفقهاء فى قولهم فى باب القياس : العلة والمعلول مرذول عند أهل العربية واللغة ١٠ هـ •

وعندما نظم الحافظ زين الدين العراقى ألفيته فى الحديث قال نظما لهذه العبارة :

ورسم ما بعلة مشمول
معللا ولا تقل : معلول

ولم يمنعهم عن هذا الاستدراك أن يكون الامام حافظ الأمة وحبر الأئمة محمد بن اسماعيل البخارى أو الامام الحافظ أبو عيسى الترمذى صاحب الجامع وكذا الأصوليون فى باب القياس حيث قالوا : العلة والمعلول والمتكلمون بل وأبو اسحق الزجاج فى المتقارب من العروض • لأن المعلول من : عله بالشراب ، اذا سقاه مرة بعد أخرى • ومنه : من جزيل عطائك المعلول وقد يعتذر عن صنيع البخارى والترمذى والأصوليين والمتكلمين بما فعله الزجاج باستعماله له وهو العالم اللغوى • ونص جماعة كابن القوطية فى الأفعال على أنه ثلاثى فانه قال :

عل الانسان الانسان علة مرض • والشيء أصابته العلة ، قال الحافظ السخاوى : ومن ثم سمى شيخنا كتابه الزهر المطلول فى معرفة المعلول،ولكن الأعرف أن فعله من الثلاثى المزيد تقول : أعله الله فهو معل ، ولا يقال معلل ، فانهم انما يستعملونه من علله بمعنى ألهاه بالشيء وشغله به ، ومنه تعليل الصبى بالطعام وما يقع من استعمال أهل الحديث له حيث يقولون علله فلان فعلى طريق الاستعارة • وكذلك وجهها قطرب فيما حكاه اللبلى والجوهرى فى الصحاح والمطرزى فى المغرب وقد أنكره غير واحد من أهل اللغة كابن سيده والحريرى فى درة الغواص • ويقول الحافظ العراقى فى شرح المقدمة :

والتعبير بالمعلول موجود فى كلام كثير من أهل الحديث فى كلام الترمذى فى جامعه ، وفى كلام الدارقطنى وأبى أحمد بن عدى وأبى عبد الله الحاكم وأبى يعلى الخليلى ، ورواه الحاكم فى التاريخ وفى علوم الحديث أيضا عن البخارى فى قصة مسلم مع البخارى وسؤاله عن حديث ابن جريج عن موسى بن عقبة عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة مرفوعا « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه » الحديث فقال البخارى : هذا حديث مليح ولا أعلم فى الدنيا فى هذا الباب غير هذا الحديث الواحد الا أنه معلول حدثنا به موسى بن اسماعيل حدثنا وهيب حدثنا سهيل عن عون بن عبد الله قوله •

قال البخارى:هذا أولى فانه لا يذكر لموسى بن عقبة سماع من سهيل • فقام اليه مسلم وقبل يده • وهكذا أعل الحاكم فى علومه هذا الحديث بهذه الحكاية قال الحافظ العراقى : والغالب على الظن عدم صحتها ، وأنا أتهم بها أحمد بن حمدون القصار راويها عن مسلم فقد تكلم فيه ، وهذا الحديث قد صححه الترمذى وابن حبان والحاكم ويبعد أن البخارى يقول : انه لا يعلم فى الدنيا فى هذا الباب غير هذا الحديث مع أنه قد ورد من حديث جماعة من الصحابة غير أبى هريرة وهم أبو برزة الأسلمى ورافع ابن خديج جبير بن مطعم والزبير ابن العوام وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك والسائب بن يزيد وعائشة • قال

العراقى : وقد بينت هذه الطرق كلها فى تخريج أحاديث الاحيـاء للغزالى والله أعلم .

والعلة القادحة فى الحديث هى التى تخفى لسلامة ظاهره . فقد تكون العلة فى الاسناد الجامع لشروط الصحة مع عدم القـدح فى المتن . ومن أمثلة ما وقعت العلة فى اسناده من غير قدح فى المتن ما ضربه ابن الصـلاح مثلا بقوله : ما رواه الثقة يعلى بن عبيد عن سفيان الثورى عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البيعان بالخيار » الحديث . فهـذا الاسناد متصل بنقل العدل عن العدل وهو معلل غير صحيح والمتن على كل حال صحيح والعلة فى قوله عن عمرو بن دينار انما هو عن عبد الله ابن دينار عن ابن عمر . هكذا رواه الأئمة من أصحاب سفيان عنه فوهم يعلى بن عبيد وعدل عن عبد الله بن دينـار الى عمرو بن دينـار وكلاهما ثقة وقد نظمها العراقى فقال :

وهى تجىء غالبا فى السـند
تقدح فى المتن بقطع مسـند
أو وقف مرفوع وقد لا تقدح
كالبيعـان بالخيـار صرحوا
بوهم يعلى بن عبيد أبدلا
عمرا بعبـد الله حين نقـلا

وقـد تكون العلة فى المتن ومثاله ما انفرد مسلم باخراجه من حـديث أنس من اللفظ المصرح بنفى قـراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) فعلل قوم رواية اللفظ المذكور لما رأوا الأكثرين انما قالوا فيه فكانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين من غير تعرض لذكـر البسـملة وهـو الذى اتفق البخـارى ومسـلم على اخـراجه فى الصحيح . ورأوا أن من رواه باللفظ المذكور رواه بالمعنى الذى وقع له . ففهم من قـوله : كانوا يسـتفتحون بالحمـد لله أنهم كانوا لا يبسـملون فرواه على ما فهم وأخطأ لأن معناه أن السورة التى كانوا يفتتحون بها من السور هى الفاتحة وليس فيه تعرض لذكر البسملة . قال الشافعى رضى الله عنـه : يعنى يبـدأون بقراءة أم القرآن قبل ما يقرأ بعدها ولا يعنى أنهم يتركون بسم الله الرحمن الرحيم .
وقد نعى الحافظ العراقى على ابن الجوزى قوله : ان الأئمة اتفقوا على صحته وقال : أفلا يقدح كلام هؤلاء فى الاتفـاق الذى نقله . ثم سـاق

الحافظ العراقى بيان علل الرواية التى فيها نفى البسملة من حيث صيغة الاسناد .

وقد أفردت كتب برمتها فى بيان علل الحديث ، وهو فن من أعظم فنونها وأجلها خطرا وأعلاها موضعا . وأول من صنف فى علل الحديث الامام مسلم بن الحجاج القشيرى صاحب الجامع المتوفى سنة ٢٦١ ثم جاء بعده الحافظ عبد الرحمن بن أبى حاتم المتوفى سنة ٣٢٧ فمحص علل نحو ثلاثة آلاف حديث ذاكرا فى كل واحد منها اسم الراوى الذى جاءت علة الحديث من ناحيته ، وقد أخذ ذلك عن الحافظين الكبيرين والده أبى حاتم وشيخه أبى زرعة الرازى ، وممن ألف بعدهما فى العلل الامام الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ والامام الدار قطنى المتوفى سنة ٤٨٥ قال المرحوم العلامة محب الدين الخطيب فى مقدمته على كتاب علل الحديث لابن أبى حاتم :

قال شيخنا العلامة الشيخ طاهر الجزائرى فى جزء شعبان سنة ١٣٣٣ من تذكرته الشهيرة « كتاب العلل للحافظ أبى الحسن على بن عمر الدراقطنى فى خمس مجلدات وسطى ، اطلعت عليه فرأيته جمع الفائدة ، الا أن كتاب العلل لابن أبى حاتم أحسن ترتيبا وأقرب لاستفادة أكثر الناس منه ثم ان هناك كتبا فى شرح أحاديث الأحكام تعد ــ لتوفرها على ايضاح علل الأحاديث ــ من كتب العلل . ومنها كتاب المجموع شرح المهذب الذى صنف الامام النووى ٩/٢٠ منه والامام تقى الدين السبكى ٢/٢٠ والفقير كاتب هذا ٩/٢٠ مجموعها عشرون مجلدا ، ولا يعتد بما زيفه الناشرون من طبعات ، فيها حشو وزيف واحتيال . وما الى نسب منه فأنا منه برىء .

وابن أبى حاتم الرازى صاحب كتاب علل الحديث ولد سنة ٢٤٠ بدرب حنظلة بمدينة الرى ومن ثم كان نسبه الى الرى (الرازى) وهكذا النسبة الى الرى بزيادة الزاى كالنسبة الى (مرو) مروزى الا أن هذه الأخيرة لا ينسب اليها هكذا الا الانسان أما الأشياء فبغير زاى فيقال : ثياب مرويه وخيل مرويه وسيوف مرويه .

ومن الأمثلة على عظمة فن العلل وتكاثر خطره واحتياج دارس

الحديث الى الأخذ به والتمرس عليه ما نهجه ابن أبى حاتم قال :

سألت أبى عن حديث رواه شادان عن أبى بكر بن عباس عن عبد الملك عن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حى ستير فاذا اغتسل أحدكم فليستتر • قلت لأبى وقد رأيته عن أحمد عن يونس عن أبى بكر عن عبد الملك عن عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا قلت لأبى : هذا المتصل محفوظ قال • ليس بذاك •

ومعنى هذا أن أبا حاتم يرى ترجيح رواية الارسال على رواية الاسناد ويرى أنها المحفوظة وأن المتصلة شاذة بروايتها من طريق شادان وأن المرسلة محفوظة من رواية أحمد بن يونس • والقاعدة أنه اذا تفرد راو برواية تخالف رواية من هو أوثق منه وأحفظ كانت الأولى شاذة والأخرى محفوظة فالشاذ ضده المحفوظ ، كما أن الحديث المعروف ضده الحديث المنكر ويقول :

سألت أبى وأبا زرعة عن حديث رواه مصعب بن المقدام عن الثورى عن أبى الزبير عن جابر قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يمس الرجل ذكره بيمينه فقالا : هذا خطأ انما هو الثورى عن معمر عن يحيى بن أبى كثير عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قلت : الوهم ممن هو ؟ قالا : من مصعب بن المقدام • ويقول :

سألت أبى وأبا زرعة عن حديث رواه سعيد بن مسروق وسلمه بن كهيل ومنصور بن المعتمر والحسن ابن عبيد الله كلهم روى عن ابراهيم التيمى عن عمرو بن ميمون عن أبى عبد الله الجدلى عن خزيمة بن ثابت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى المسح على الخفين • ورواه الحكم بن عتيبة وحماد بن أبى سليمان وأبو معشر وشعيب بن الحبحا والحارث العكلى عن ابراهيم النخعى عن أبى عبد الله الجدلى عن خزيمة عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحيح من حديث النخعى عن أبى عبد الله الجدلى بلا عمرو بن ميمون • قال أبى عن منصور مختلف ، جرير الضبى وأبو عبد الصمد يحدثان به يقولان عن ابن التيمى عن عمرو بن ميمون

عن أبى عبد الله الجدلى عن خزيمة ، وأبو الأحوص يحدث به لا يقول فيه عمرو بن ميمون •

ومن الصور التى يحكم فيها الناقد التاريخ وهو الدليل المادى الذى ينضبط به الاتصال والافتراق واللقاء واستحالته فيقول :

سألت أبى عن اختلاف حديث عمار ابن ياسر فى التيمم وما الصحيح منها فقال رواه الثورى عن سلمة عن أبى مالك الغفارى عن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن عمار عن النبى صلى النبى صلى الله عليه فى التيمم ، ورواه شعبة عن الحكم عن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن عمار عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه شعبة عن سلمة عن ذر عن ابن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن عمار عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه حصين عن أبى مالك قال : سمعت عمارا يذكر التيمم موقوف • قال أبى : الثورى أحفظ من شعبة • قلت لأبى فحديث حصين عن أبى مالك ؟ قال : الثورى أحفظ ويحتمل أن يكون سمع أبو مالك من عمار كلاما غير مرفوع ويسمع مرفوعا من عبد الرحمن بن أبزى عن عمارعن النبى صلى الله عليه وسلم القصة • قلت : فأبو مالك سمع من عمارشيئا ؟ قال : ما أدرى ما أقول لك قد روى شعبة عن حصين عن أبى مالك سمعت عماراً ولو لم يعلم شعبة أنه سمع من عمار ماكان شعبة يرويه وسلمة أحفظ من حصين • قلت : ما تنكر أن يكون سمع من عمار وقد سمع من ابن عباس ؟ قال : بين موت ابن عباس وبين موت عمار قريب من عشرين سنة •

ان مدرسة الحديث ولا سيما الاشتغال بعلله الخفية من أجل الفنون وأدقها وأصعبها على فئة العطلة الكسلة الذين يكتفون بالتطاول على السنة بغير علم أو دراية أو كتاب منير

محمد نجيب المطيعى

تربية المراهق فى المدرسة الإسلامية (٤)

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

من دراستنا النفسية لمرحلة المراهقة عرفنا أنها هى المرحلة الحرجة والأوان الحقيقى للجهد الواعى والمستنير من جانب الآباء والمربين والمصلحين للتربية الدينية والخلقية وتكوين الاتجاهات القومية لدى شبابنا ووقايتهم من الانحراف بكل أشكاله •

وأهم ما يجب على المربى أن يضعوه فى اعتبارهم وهم يخططون لتلك المهمة العظمى أن يذكروا أمرين ، الأول أنهم يواجهون تحدى خصائص المراهقة بفورة غرائزها وعنادها والميل الى مقاومة توجيه الآباء والمربين والنزعة الاستقلالية والميل الى المناقشة والجدل وخاصة فى مسائل الدين الى حد الشك ، والثانى أنهم يواجهون مع هذا تحدى الجانب الذى يعمل فى الاتجاه المضاد ويحاول جذب المراهق بعيدا عن الدين والقيم والتقاليد مستخدما من أساليب التشويق ما يسحر ألباب الناشئين الغضة ويزين لها طريق الغواية والانحراف •

ومن ثم يقوم التخطيط لهذه المهمة على أساس العمل لمواجهة التحدى فى هذين الجانبين •

ولعل أول ما يهتم المربون بتحقيقه هو توليد الرغبة والدافع وتحرى الاقناع والحلم وسعة الصدر وترك المجاهرة بالتوبيخ ، فلقد عرف الشباب من قديم برقة الدين ، واحتمل ذلك منه ، ألا ترى الحديث الشريف كيف عد الشاب الذى نشأ فى عبادة الله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل الا ظله ، وما ذلك الا لندرة هذا النمط فى الشباب وخروجه على المعتاد من جنسه ، ويؤكد هذا المعنى أيضا ما جاء فى حديث آخر « عجب ربك من شباب ليس له صبوة » ومن أجل هذا كان الشباب فى كل المجتمعات وفى العصور دائما موضع الملاحظة بالنظر الى ظروفه النفسية والعقلية فى فورة

النضج التى أشرنا اليها حتى قال الشاعر :

فان يك عمر قد قال جهلا
فان مطية الجهل الشباب

وقد روى أبو أمامة أن غلاما شابا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يانبى الله أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قربوه ، أدن . فدنا حتى جلس بين يديه فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتحبه لأمك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، وقال كذلك الناس لا يحبونه لا مهاتهم ، أتحبه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلنى الله فداءك ، قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم ، اتحبه لأختك ؟ وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول فى كل واحدة لا، جعلنى الله فداءك ، فوضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، وأغفر ذنبه وحصن فرجه ، فلم يكن شىء أبغض اليه منه ، يعنى الزنا .

فهذه هى الحكمة فى الدعوة وبها تجب القدوة . قال تعالى : « قل ان كنتم تحبون الله فتبعونى يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وانا لا نكون متبعين له صلوات الله وسلامه عليه حتى نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر على سنته وطريقته فى اللطف وتحرى الاقناع بالرفق واللين.، ومن أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة ، ومن هنا نعلم السر فى جعل الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أكمل الناس عقولا ، وأصفاهم أرواحا وأحسنهم أخلاقا .

والقرآن الكريم يرشد الى التلطف فى القول والرفق فى المعاملة مع تحرى الاقناع قال تعالى : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » . وهناك قصة رمزية تحكى عن جدل دار بين الريح والشمس أدعت فيه كل منهما أنهاأقوى من الأخرى وفى تلك الأثناء كان هناك رجل يسير فى الطريق فاتفقتا على أن من تجعل منهما ذلك الرجل يخلع سترته تكون هى الأقوى وبذلك يحسم الجدل . فبدأت الريح تهب شديدة قاسية لكن الرجل لما هبت الريح أخذ بأطراف السترة ولفها حول نفسه، وكلما اشتد الريح كلما زاد تمسكا بأطرافها .. وهكذا فشلت الريح وجاء دور الشمس فسلطت

أشعتها الحارة نحو الرجل حتى اذا سرت حرارتها فى جسده وتصبب منه العرق خلع سترته وهكذا نرى الرجل قد قاوم أسلوب العنف والارغام الذى مثلته الريح ، بينما استجاب لاقناع الشمس بأن الجو حار فخلع سترته بمحض ارادته وحده .

ان حرية الانسان هى حق طبيعى وحيوى وحقيقة بداهية فى المدرسة الاسلامية ،وقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى بأن تكون للانسان الحريةفى التفكير، لأن تعطيل حريته أو مصادرتها يتناقض مع مصلحته فى الحياة ومع معنى العبادة التى خلقه لأجلها ومع التكاليف التى أمره بها ولا سيما فى اتباع مكارم الأخلاق واجتناب مساوئها.قال تعالى : «لااكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » وقال جل شأنه مخاطبا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

وقال تعالى : « قل يا أيهاالناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل » .

والأمر الجدير بالتأمل حقا والذى لا يصح ألا يخفى علينا هو أن دعاة الالحاد والتحلل من التقاليد والقيم ينفثون سمومهم الفكرية بدعوى الحرية والتحرر والاستقلال فى الرأى تلك المعانى التى تصادف هوى لدى المراهق على وجه الخصوص وتتفق تماما مع حاجاته النفسية لتأكيد ذاته فنراه ـ لأن نضجه العقلى والنفسى لم يكتمل بعد ـ يستجيب لها بسرعة كما قال الشاعر .

انما تنجح المقالة فى المرة
اذا صادفت هوى فى الفؤاد

فيجدر بالمصلحين والمربين أن يجعلوا أسلوبهم فى التربية الدينية منسجما ومؤكدا لمعنى حرية الانسان التى قال الله تعالى فيها : « وهديناه النجدين » وقال : (انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا) .

وعليهم بالحلم وسعة الصدر وهم يناقشون الشباب فيما يعرض لهم من قضايا ذهنية تتعلق بالحياة والموت والجبر والاختيار والفناء والخلود والمادة والروح والبعث والجزاء وبالرسالات السماوية وشرائعها والتطور البشرى ومقتضياته ، والنظم

الاجتماعية والسياسية وفلسفتهاالى غير ذلك ، فان كمال العلم فى الحلم ، ولين الكلام مفتاح القلوب فيستطيع المربى أن يعالج أمراض النفوس وهو هادىء النفس مطمئن القلب لا يستفزه الغضب ولا يستثيره الحمق وحسبنا فى هذا قول الله تعالى لامام الداعين المربين صلوات الله وسلامه عليه : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

فالداعى والمصلح الذى يضيق صدره بأسئلة الشباب ومناقشاتهم الساخنة سوف يدفعهم الى الانصراف من حوله ويضيع عليهم فرصة الهداية بأنوار دينهم ويعرضهم للوقوع فى براثن أعداء الدين والأخلاق .

ولو تأملنا فى أسلوب القرآن فى الترغيب والترهيب لوجدنا خير المناهج على الاطلاق فى التربية الدينية قال تعالى: « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » .

ففى هذه الآية بيان لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ، فالترغيب بوعد الطائعين الحافظين لحدود الله تعالى بعظيم الخير ، وتبشيرهم بحسن المثوبة ، والترهيب بوعيد المخالفين الذين تعدوا حدود الله تعالى ، وانذارهم بشديد العذاب وسوء العاقبة ، ثم ان الوعد بالخير يعم نعم الدنيا والآخرة وسعادتهما ، والوعيد كذلك يشمل نفسهما وشقاءهما .

فبالوعد ساق الطائعين الى الجد فى الطاعة ، وبالوعيد وقف العاصين عند حدود الأدب .

قال تعالى ترغيبا في جنس الطاعات: « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

وقال جل شأنهم ترغيبا فى صالح العمل : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وقال ترغيبا فى التقوى : « يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم » .

وقال ترغيبا فى التمسك بالدين : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » — « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » أى يحبهم الله ويحببهم الى خلقه .

وفى صحيح البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، اذا أحب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام : انى أحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له المحبة فى الأرض » . وقال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أكثر ما يدخل الجنة : « تقوى الله وحسن الخلق » ولسنا هنا بصدد ذكر ما جاء فى القرآن والسنة من آيات وأحاديث فى الترغيب فى جنس الطاعات أو أنواعها أو الأخلاق الفاضلة وانما سقنا أمثلة لبيان الأسلوب ومغزاه الجذاب الذى يولد الدافع النفسى الى الطاعة ولنقرأ قول الله تبارك وتعالى ترغيبا فى الصدقة : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » وقوله سبحانه : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

أما عن الترهيب الذى جمع القرآن بينه وبين الترغيب لما جبلت عليه النفس البشرية من الرجاء والخوف ، فان الله تعالى حذر عباده من معصيته بما أعلمهم به من نواميس ربوبيته ، وأقامه من سطوات قهره وجبروته ووحدانيته وجعل النفوس المدنسة بالعقائد الفسدة والأخلاق المذمومة محل سخطه وموضع انتقامه فى الآخرة والأولى ، وهو فى كل حال حاكم عادل « ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » .

قال تعالى: «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » وقال جل شأنه: « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » ومن أساليب الترهيب أن يقرر المربى فى أذهان الشباب أن تعجيل العقوبة فى الدنيا متوقع على الذنوب ، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب والبلايا فهو بسبب جناياته التى صدرت منه ، فالشباب ونضجه العقلى لم يكمل بعد

قد يتساهل فى أمر الآخرة ويستخفه ويخاف من عقوبة الله فى الدنيا أكثر وخاصة انه يخطو خطواته الأولى نحو بناء مستقبله ، فينبغى أن يخوف بعقوبة الله فى الدنيا وبأن الذنوب يعجل شئومها فى الدنيا غالبا ، قال تعالى : «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون » وقال جل شأنه : « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » وقال عليه الصلاة والسلام : « خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : البغى ، والغذر ، وعقوق الوالدين ، وقطعية الرحم ، ومعروف لا يشكر » .

وروى الحاكم باستناد صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ». وقد يتفق مع طبيعة المراهقة من حيث الرغبة فى تأكيد الذات المجاهرة بالمعاصى أمام أقرانه من قبيل المباهاة وعدم المبالاة وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من ذلك حين قال: « كل أمتى معافى الا المجاهرين ، وان من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يافلان ، عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله ويصبح يكشف ستر الله عنه » رواه البخارى ومسلم.

فى هذا الحديث يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يمن بفضله ومغفرته على من يخطىء من أتباعه وأمته ، سوى أولئك الذين يتوقحون فاذا ارتكبوا معصية لم يكتفوا بما ارتكبوا بل راحوا يعلنون عما ارتكبوا ، كأنهم لا يعنيهم حساب ، ولا يخيفهم عقاب ، ولا يردعهم وازع من خلق أو حياء .

ولا شك أن الانسان اذا زلت قدمه بهفوة ثم سترها وخاف من اعلانها ، دل بهذا على وجود الحياء عنده ، فهو يستحى أن يظهرها ، وهذا يستتبع أنه يعدها شئيا قبيحا لا يليق به ولا يجمل منه وهذا يستدعى أن يفكر فى الاقلاع عنها والفرار منها فكأن ستر المعصية أو عدم المجاهرة بها أسلوب من أساليب مقاومتها فى نفس صاحبها .

وهو فى الوقت نفسه أسلوب من أساليب حصر المعصية فى أضيق نطاق ، لأن سترها عند الذين وقوعوا فيها

بالفعل لا يجعل الكثيرين يطلعون عليها ، ولو أطلعوا عليها لاستمرأها منهم من يستمرىء وتجرأ عليها من يتجرأ ، فتشيع الفاحشة بين المسلمين ، والقرآن المجيد يقول : « ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون».

وينبغى أن يفهم شبابنا أن الله تبارك وتعالى انما يعفو عن مرتكب الخطيئة المستورة اذا ندم عليها ، وتاب منها واستغفر ربه بعدها ، واستشعر أنه قد أخطأ فى ارتكابها ، وأما اذا أتاها متعمدا لها ، وعاودها مصرا عليها ، فانه لا يكون معافى ، حتى ولو كانت معصيته مخفية مستورة عن عيون جميع الناس

محمد جمال الدين محفوظ

سطور من كتب التراث

تزوير اليهود .. من قديم :

افتعل بعض اليهود كتابا نسبوه الى الرسول عليه الصلاة والسلام باسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادات الصحابة ، وأنه بخط على بن أبى طالب .

وعرض الكتاب على أبى بكر الخطيب البغدادى (مؤلف تاريخ بغداد وخمسة وخمسين مؤلفا غيره . توفى سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م) فقال هذا مزور . فقيل له من أين لك ذلك ؟ قال : فى الكتاب شهادة معاوية ابن أبى سفيان ، ومعاوية أسلم يوم الفتح (سنة ٨ هـ) ، وخيبر كانت فى سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وكان قد مات يوم الخندق فى سنة خمس هجرية .

فتزوير اليهود للتاريخ قديم ؟

(من معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ ٤ ص ١٨) .

اليتيم .. الرحمة المهداة

للأستاذ عبد الغنى أحمد ناجى

شاء الله لقلب الصغير أن يعتصره ألم اليتم ، وشاء له أن يأسى كما يأسى سائر الناس بالرغم من أنه أحب خلقه ومصطفاه وكان المتوقع فى معايير الناس ومقاييسهم العابرة غير الفاحصة - أن يعيش أحب خلق الله الى الله بمنأى عن الأسى والالتياع ، وأن يحيا حياة مترفة باذخة لاتشوبها شائبة ألم أو شظف ، ولكن ذلك لم يكن لأن هذا المصطفى من خلق الله سيغدو الرحمة المهداة ، والأسوة الحسنة ، والسراج المنير لأمة سيكون من بينها - شأن سائر الأمم - من ستضغط عليهم بأساء الحياة وضراؤها ، وهم فى بأسائهم تلك سيتطلعون الى من يمسح على قلوبهم بيد رحيمة ، ولا يفعل ذلك الا من عاش ظروفهم وأسى كما يأسون، ولقى ما يلقون من كل ما يصيب النفس البشرية عبر حياتها بشىء من الأسى والألم .

وليس آلم لنفس غضة كبرعم صغير - من فقد الوالد أو الوالدين ، فبفقدهما يشعر الصغير كأن منافذ الرحمة فى الوجود قد أوصدت أمامه : « ...

« هذان فى الدنيا هما الرحماء » .

وشاء الله تعالى أن يجمع لديه فقد الأب والأم ، وهو بعد غض نضير لا يقوى على تحمل الأسى ، ولا يطيق فؤاده فراق مصادر الرحمة والحنان ، ولكن الله الذى شاء له ذلك كان يهيئه تهيئة جذرية - ان صح هذا الاستعمال - لأجل رسالة ، وأعظم عمل ؛ ليكون هداية ورحمة للعالمين ، فالعمل من الخطورة بحيث يستدعى التهيئة المبكرة ، حتى لكأنه بيتمه فى صغره يوضع مواضع الرجال ، بحيث يواجه مآسى الحياة من فجر وعيه حتى يستجمع طاقاته الموهوبة ،وحتى يحصر استعانته على الخطوب فى الله وحده : « ... واياك نستعين » فاليتم

المبكر كما أشعره بالأسى ليكون رحمة للعـالمين ـ مرنه على ان يتجـه فى اسـتقامته الى الله وحده ، اذ لا والد ولا والدة منذ نعـومة الظفر ، وحتى لا يذكر فى كبره عندما يجابه اعراض المعارضين أو صد الصادين ـ معـونة أب أو أم ، فلكم سـمعنا ، ونسـمع كبارا يقولون فى معترك الحياة ، وعند ضغط الشـدائد والخطـوب : « أين أبى ، وأين أمى ؟ » ان من يقـول ذلك ـ ولو كان رجـلا كبـيرا ـ هو قطعا انسـان عاش فى كنف الوالدين بين الترف والتدليـل ، وكان دائمـا يهرع الى الوالدين كلمـا حزبه أمر من أمور حيـاته الصـغيرة ، فنشـأ لا يعـرف ملجـأ وملاذا الا هـذين الوالدين .. وشاء الله أن يكون فقد الوالد قبـل أن يرى الصـغير النور ، ربمـا ـ والله أعـلم ـ ليعيش فجـر عمره فى كنف ينبوع الرحمـة ... فى كنف الأم ؟ اذ أنه يعـد ليـكون رحيما : « .. وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

ثم نخطو معه بعض مراحل عمره بما كان فيهـا من صبر على الشـدائد ولجوء الى الله ، وانقطـاع اليـه فى أيام تحنثه وتعبده الليالى ذوات العدد ـ حتى نقف لدى رحمتـه المنداحة التى تفجرت ينابيعها بصورة لم يعهدها تاريخ البشرية من قبـل ؛ لندرك ان مراحله الأولى بما اكتنفها من صنوف الأسى ، وبخـاصة اليتم ـ لم تكن الا تهيئة لتلك الرحمـة الشـاملة التى لم تدع ذا كبد رطبة الا عمته فى رحابها الفسـيحة النـدية ، فهـو الذى كان يمسح على رأس اليتيم ـ أى يتيم ـ ثم يقول : « أنا وكافل اليتيم كهذين فى الجنـة » ويشـير الى السـبابة والوسـطى ، لأنه كابد ألم اليتـم ، فوجه رحمتـه الى من شـاركه هذا الأسى ، وهو الذى كان يغسل الطفل الصغير بيديه الشريفتين ، ثم يرفعـه الى صدره ، ويقبله فى عطف غامر ، وحنان دافق لا يعدلهما الا حنان الأم وعطفها ، ثم يقول لمن يعجب من ذلك (وهو الأقـرع بن حابس) : « من لا يرحـم لا يرحـم » . حتى أدنى الأذى يصاب به المسلم فيحسه رسول الله الرحيم ، ويألم له ، وينهى عنه ، وكأنه ذاق منه ، فلقـد كان أصحاب النبى صلى الله عليـه وسلم فى سـفر معه ، فأخذ بعضهم من أخيـه حبـلا وهو نائم ، فاستيقظ ، ففزع ، فقـال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : « .. لا يحل لمسلم أن يروع مسلما »

وينظر صلى الله عليه وسلم فيرى نماذج من الناس غير اليتيم والصغير وضعتهم ظروف الحياة مواضع تستدعى البر والرحمة فيفيض عليهم من رحمته توجيها وعملا ، انهم الخدم الذين تكاد نفوسهم تنفطر ، وقلوبهم تتقطع أسى ولوعة حينما يجدون بشرا مثلهم فى قمة الحياة بذخا ونعيما ، وهم دونهم بمراحل ولن يسرى عنهم ، أو يرضيهم بمكانتهم الا يد رحيمة تمسح على قلوبهم ، وبسمة ندية ترف على ثغر انسان رحيم يفتح لهم صدره ، ويشعرهم بانسانيتهم ، اذ ما ذنبهم فى وضعهم ، وهنا نجد اليتيم الرحيم ـ محمدا صلى الله عليه وسلم ـ يولى هذه الطوائف من البشر رحمة وعناية ترتفعان بهم الى مصاف اخوانهم الذين يفوقونهم فى حظوظ الحياة ، فعن أبى ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : « سابت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ؟! انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » • ونجده صلى الله عليه وسلم لا يدع نمطا من البشر يحتاج الى الرحمة الا رحمه ، وأوصى برحمته والبر به ، فالنساء قديما ، وقبل الاسلام كن يعاملن فى مجتمعهن معاملة تدعو الى الرحمة التى تنقذهم من هذا الجور والاعنات ، وهن مخلوقات ضعيفات ، فكانت وصاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهن نداء نديا : « استوصوا بالنساء خيرا » ، ويقول : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » • ورحمته صلى الله عليه وسلم رحمة انسانية لا تفرق بين جنس وجنس ، أو لون ولون ، ومن ثم لم يحرمها أصحاب الديانات الأخرى حتى ولو كانوا من الأعداء ما داموا فى وضع يستدعى العطف والاشفاق ، فلقد كان يوصى جنده بالأسرى خيرا ، حتى لقد كان ينهاهم عن أن يأسروا الأم دون الولد ، أو الولد دون الأم حتى لا يسبب لقلبيهما حزنا أو أسى ، وهو القائل فى هذا المجال : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة !! » • وتتداح رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتبسط جناحيها على كل ذى كبد رطبة ، فالحيوان الأعجم له فى رحمته أوفى نصيب ، فعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فاذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يارسول الله ، وان لنا فى البهائم أجرا ؟ ، فقال : نعم ، فى كل ذات كبد رطبة أجر » (رواه الشيخان) .

والأم من الطير تهز رحمته فيحس أساها حينما يعتدى صحابى على فراخها ، فيأمر برد فراخها اليها ، وكأنه يذكر ألم الفراق بين أشد المخلوقات تعلقا والتصاقا : بين الوالدين والأبناء ، فيستشعر أسى عصفورة خطف فرخاها ،فعن عبد الله (رضى الله تعالى عنه) قال : « كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى سفر ، فانطلقت لحاجتى ، فرأيت حمرة معها فرخان ،فأخذت فرخيها ، فجاءت الحمرة ، فجعلت تعرش فجاء النبى – صلى الله عليه وسلم – فقال : من فجع هذه بولدها ؟ ، ردوا ولدها اليها .

من هذا التطواف العابر السريع فى رياض رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن تذكر تاريخ مولده وأحواله فى نشأته – ندرك أن الله سبحانه وتعالى وضع نبيه ومصطفاه فى ظروف من الحياة تجعله يحس – حينما يقوى على العمل – مآسى من وضعوا فى ظروفه ، أما كونه – صلى الله عليه وسلم – رحمة للعالمين من جهة مجيئه بخير دين أضاء ظلام النفوس ، وأنقذ من آمن به الى الشاطىء الأمين فى خضم الحياة – فهذا أمر معروف من الدين بالضرورة من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا يفى بتجليته مقال .

وبعد ، فما أحرانا – نحن المسلمين – أن نسير على نهج النبى الرحيم فى جانب رحمته وأريحيته ، ذاكرين أن التراحم أقوى دعائم السعادة التى كان ينشدها الرسول الكريم لأمته : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

عبد الغنى أحمد ناجى

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزي (٤)

للأستاذ حسن حسب الله

انتهينا في العدد الماضي من الكلام عن المصادر التي نلجأ اليها للتعرف على الأحكام الموضوعية لكل من الشريعة الاسلامية والقانون الانجليزي وقبل أن ندخل في تفاصيل هذه الأحكام نتكلم في هذا العدد عن المعالم الرئيسية التي تميز كلا من الشريعة الاسلامية والقانون الانجليزي عن باقي الأنظمة القانونية المعروفة .

نستطيع أن نقول : ان القوانين عموما تنقسم الى قسمين رئيسيين : قوانين تحكم عمل وعلاقات كل الكائنات فيما عدا الانسان ، وقوانين تحكم الانسان وعلاقاته بغيره . وكل هذه القوانين وضعها الله لينظم بها حياة الانسان في الدنيا وفي الآخرة وما حدث هو أن الانسان لا يستطيع أن يغير أو يبدل في القوانين الأولى والتي يطلق عليها علماء الغرب اصطلاح « قوانين الطبيعة »

Laws of ratuze

فلم يملك الانسان الا الخضوع والاستسلام لها ، ولم يتمكن من الخروج عليها أو تطويعها وفق ارادته ، ولكنه استطاع بانحرافه وجهله وهواه أن يخرج على القوانين الثانية التي فرضها الله لصالحه فمقدار غاز الأوكسجين الموجود في الهواء مثلا أوجده الله بنسبة معينة الى باقي عناصر الهواء . ولا يستطيع الانسان أن يزيد أو ينقص من هذه النسبة لأن الله خلق كل شيء بتقدير وحساب ، ولو فرضنا جدلا أنه أمكن للانسان زيادة هذه النسبة لترتب على ذلك عدم اطفاء أي حريق ينشب ولقد أثبت الطب الحديث أن المريض اذا زادت نسبة ما يعطى له من غاز الاكسيجين عن قدر معين فان ذلك يصيب عدسة العين فلا تبصر .

وأظهر خصائص القانون الاسلامي أنه من صنع الله صانع الانسان والعليم الخبير بعباده ، وهو قانون لا يتغير ولا يتبدل وفق المصالح الشخصية والأهواء المختلفة لأنه قد تكفل مقدما بتحقيق كل المصالح الحقيقية لكل فرد ولكل جموع المسلمين بل ولكل بني

الانسان والقانون الاسلامى هو أكمل الشرائع الالهية التى نزلت لأن القرآن الكريم هو خاتم كتب الله وأى عاقل يتبع احدث طبعة من الكتاب ولا يأخذ بأول طبعة له ولذلك كان لا بد من طرح كل ما سبق على القرآن جانبا واتباع ما ورد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وتطبيقه على الجميع بما فيهم من كانوا يدينون بالكتب الأولى • وكون القانون الاسلامى من صنع الله يخضع له جميع بنى الانسان يجعل النفس تطمئن الى العدالة المطلقة التى يتسم بها هذا القانون والتى تكفل للجميع حياة كريمه مطمئنة وينأى بالبشر عن هذا التناحر وهذه الانقسام الى رأسمالية وشيوعية ودكتاتورية وديمقراطية وغير ذلك من المذاهب الفردية والجماعية التى تسعى فيها كل فئة الى الاستيلاء على الحكم باية صورة وبأى أسلوب لتحقيق ما ترى أنه فى مصلحة المجموع ، ولكن تكون النتيجة العملية تحقيق مصالح العدد المحدود الذى يسيطر على الحكم ، والحروب التى نشبت والدماء التى سفكت والمظالم التى ارتكبت أكبر دليل على فساد كل ما انفرد بوضعه الانسان من نظم وقوانين فلم يسعد العالم فى ظل القانون الرومانى ، ولافى ظل القانون الفرنسى ، ولا فى ظل القانون الانجليزى كما لم يستقر العالم فى ظل النظام الملكى ، ولا فى ظل النظام الجمهورى ، ولا فى ظل النظام النازى ، ولا فى ظل النظام الفاشى ، ولا فى ظل النظام الرأسمالى ، ولافى ظل النظام الشيوعى ، ولا فى ظل النظم الاشتراكية التى تعددت بتعدد الحكام ولم تصل الى مدلول محدد لها حتى الآن ، ولذلك كانت حكمة الله سبحانه وتعالى فى أن يضع بنفسه قانونا واحدا أبديا لحكم الناس حتى لا ينشأ بينهم هذا الخلاف وحتى لا يصاب الناس بالجمود ان وضعوا قواعد وظلوا خاضعين لهارغم تطور وتغير الظروف التى يعيشون فيها واختلافها عن الظروف التى وضعت فيها تلك القواعد كما هوظاهر حاليافى القانون الفرنسى • وكذلك حتى لا يكون التطور المتلاحق السريع فى القواعد القانونية مدعاة لعدم الاستقرار وما ينتج عن ذلك من آثار نحن فى غنى عن ذكرها فالكل يلمسها والكل قاسى منها • والنتيجة الأولى لظاهرة أن القانون الاسلامى هو قانون من صنع الله خالق الانسان وصانعه أن هذا القانون أتى بأحكام لا

تتعارض اطلاقا مع غرائز الانسان وفطرته ، ولذلك نجد أن القانون الاسلامى لم يحرم شيئا من الطيبات وانما حرم الخبائث وهى محدودة جدا وقد أباح بعضها عند الضرورة بالقدر الذى يحفظ على الانسان حياته وأباح القانون الاسلامى الطلاق وتعدد الزوجات لان حظر الطلاق ومنع تعدد الزوجات لا يتفق مع غرائز بعض الناس ومع ما يطرا على حياتهم من ظروف تحتم ذلك ، فالقانون الاسلامى يتفق مع الواقع العملى للحياة الانسانية ويفرض من القيم والأنظمة ما يستطيع التقيد به أى انسان فى أية بيئة ولا يفرض نظما تهدف الى تحقيق قيم أو مثل خيالية لا يقوى على الالتزام بها بعض الناس ، ولذلك لم يحرم الاسلام الزواج على رجال الدين ولم يمنعهم من تملك الأموال. ولم يجعل من حرم نفسه من ملذات الحياة فى درجة أفضل ممن تمتع بها وكل ما اشترطه القانون الاسلامى فى هذه الحالة أن يتم اشباع حاجات الانسان بطريقة مشروعة تتفق مع أحكام القانون الاسلامى فقط .

وينفرد القانون الاسلامى دون سائر النظم القانونية بما فيها القانون الانجليزى بأنه القانون الوحيد الذى يحقق المساواة الكاملة بين الخاضعين له ، فلا فرق بين رئيس الدولة وبين أقل فرد فيها ، ونقصد بالمساواة هنا المساواه فى القيمة الانسانية للفرد وكيانه لا ما يعطى له كغذاء أو كساء فالمساواة فى الغذاء والكساء أن تحققت مع أهدار الكرامة الانسانية أصبحت مساواة بين الانسان والحيوان ولم تصبح مساواة انسان بانسان . فالقانون الاسلامى لايعرف لرئيس الدولة ذاتا مصونة لا تمس كما تنص على ذلك دساتير كل الدول الملكية ، ولا يمنح حصانة معينة لأى شخص يمتاز بها عن غيره مهما كانت الوظيفة التى يشغلها ومهما كان مركزه الاجتماعى ، ولا يفرق فى العقوبة بين الجريمة التى تقع من أو على شخص يقال أنه عظيم وشخص لا يتصف بذلك الوصف ، ولا يفرق فى التعويض عن قتل النفس بين قتيل وقتيل فالكيان الانسانى واحد بالنسبة للجميع لا يمتاز فيه شخص عن آخر والمخالفة واحدة بالنسبة للجميع لا تصغر ولا تكبر حسب من ارتكبها أو من ارتكبت ضده ، ولايضاح هذا المبدا السامى الذى لم يصل ليه ولن يصل اليه أى

تشريع آخر نسوق بعض الأمثلة وهى قليل جدا من كثير .

قتل أمير المؤمنين وفارس الاسلام على بن أبى طالب فلم يعاقب على هذه الجريمة غير قاتله ولم ينفذ فيه حكم الاعدام الا بعد أن مات أمير المؤمنين فعندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم قال الامام على لولده الحسن « احسنوا اساره فان عشت فأنا ولى دمى وانمت فضربة كضربتى » ولقد كان رضى الله عنه هو ومن سبقه من الخلفاء الراشدين يستمعون الى نقد الناقدين ولومهم فلا ينتقمون منهم لأنهم لم يجعلوا لأنفسهم منزلة فوق منزلة الناس ولم يجعلوا أنفسهم فوق النقد واللوم .

وشهد عمر بن الخطاب وقت أن كان أميرا للمؤمنين رجلا يرتكب الفاحشة ، ولم يشهد ذلك معه أحد وعرض الأمر على الحاضرين بعد خطبة الجمعة فقيل له أن لم تأت معك بثلاثة شهود أقيم عليك الحد تنفيذا للآية الكريمة : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة – النور ٤ » فلم يجعلوا شهادة أمير المؤمنين مميزة عن شهادة أى فرد آخر من عامة المسلمين .

وعندما سرقت المرأة المخزومية واستجار قومها بأسامة بن زيد ليشفع لها عند رسول الله غضب النبى صلى الله عليه وسلم من أسامة وقال قولته المشهورة : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » .

كذلك ينفرد القانون الاسلامى دون غيره من الشرائع بأنه يقوم على أساس العقيدة الاسلامية وحدها دون مراعاة للجنس أو اللون أو اللغة أو الاقليم فالقانون الاسلامى يخضع له المسلم التركى والعربى والعراقى والايرانى والصينى والهندى والمصرى ... الخ ويخضع له المسلم الأبيض والمسلم الأسود والمسلم الأصفر فالقانون الاسلامى قانون مفتوح لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات ولقد سبقت تجربة ذلك من الناحية العملية وساهم الجميع فى انتصار

الاسلام وفى بناء الحضارة الاسلامية ، ولم توصف هذه الحضارة يوما بأنها عربية أو تركية أو مصرية وانما كانت دائما اسلامية كما لم يشعر أى منهم بأنه أقل مكانة من أى عربى ، والتقسيم الذى ينبنى عليه القانون الاسلامى هو تقسيم الناس الى ثلاثة أقسام : يضم القسم الأول المسلمين ، ويضم القسم الثانى أهل الذمة أى المسالمين للمسلمين، ويضم القسم الثالث أعداء الاسلام والخائفين منه ولذلك تنقسم الأرض فى نظر الاسلام الى دار اسلام تضم أهل القسمين الأولين ودار حرب تضم أهل القسم الثالث ، ويطبق القانون الاسلامى بطبيعة الحال فى دار الاسلام دون دار الحرب ، ودار الاسلام هى المكان الذى تقوم فيه الدولة الاسلامية الخاضعة لشريعة الله وحده ولا يشترط أن تكون دولة واحدة أو أن يكون لها حاكم واحد بالمعنى الحديث ، لأن الوحدة هنا تتحقق بوحدة التشريع ويكفل تحقيق هذه الوحدة القانون الاسلامى فحيثما اتجه المسلم أو الذمى من اقليم اسلامى الى اقليم اسلامى آخر سيجد الحكم واحدا وهو حكم الله وان اختلف الاقليم واختلفت اللغة واختلفت الألوان والأجناس ، فهو فى كل مكان اسلامى آمن على نفسه وماله ضد طغيان الحكام وأهوائهم وما يشرعونه من تشريعات تخضع لهذه الأهواء ويقدمونها باسم بعض النظريات ، وهذه الوحدة فى القانون الذى يخضع له الأفراد على اختلافهم فى الجنسية أو الموطن هو ما بدأت تسعى اليه المجتمعات الحديثة وخاصة الأوروبية منها ولم تصادف فى تحقيق هذا الهدف نجاحا يذكر رغم كل الجهود ورغم وحدة الجنس ووحدة الدين ووحدة اللون وتقارب اللغات والعادات والتقاليد ، اذ أن وحدة القانون هى مصدر الأمان والاستقرار لكل تعامل وما يترتب على ذلك من توفير الرخاء الاقتصادى نتيجة انتقال الأفراد والخبرات ورءوس الأموال من مكان الى مكان وهى لا تنتقل الا اذا عرفت مقدما أى قانون تخضع له وضمنت مقدما عدم تغير هذا القانون ولذلك كانت حكمة الله سبحانه وتعالى فى أن يشرع للناس جميعا تشريعا كاملا ملائما لحاجاتهم فى كل زمان ومكان ولو طبق القانون الاسلامى لما كانت هناك حاجة الى كل هذه الجهود التى بذلت وباءت بالفشل لحل المشاكل الناتجة عن تنازع القوانين واختلاف التشريعات الوضعية من بلد لآخر

الأمر الذى ما زال يعوق حركة الانسان من بلد لآخر وما ترتب على ذلك من احتكار بعض الشعوب للثراء واختصاص بعض الشعوب بالفقر رغم وحدة دينها ولغتها وغير ذلك من مظاهر الوحدة التى تدعيها هذه الشعوب .

كذلك من خصائص القانون الاسلامى أنه لا يسير وفق نظريات معينة تدور فى إطارها كل أحكامه مثل الشرائع الوضعية التى تتقيد مقدما فى كل ما يصدر من قوانين بالشيوعية أو الرأسمالية أو الاشتراكية أو بنظام الحزب الواحد أو الأحزاب المتعددة وقد تقف هذه النظريات ضد أى تعديل ولو كانت حاجة الاصلاح تدعو اليه بالحاح . وانما يراعى الاعتبارات العملية والظروف التى يعيش فيها الانسان وغرائزه وفطرته فلا ينكر القانون الاسلامى الملكية ولا يطلب الحجر على الحرية الشخصية والفكرية ولكنه فى نفس الوقت لا يقبل الحرية المطلقة الخالية من أى تنظيم ، وفى سبيل ذلك لا يفرض من القيود الا أخفها وأيسرها فلا يفرض قيدا لا تحتمله النفس ، كما نرى فى المذاهب الجماعية الحالية وما تحمله قوانينها من قسوة وارهاب وجاسوسية ولا يطلب من الانسان أن يحيا فى ظل نظم وقواعد مثالية لا تتفق مع غرائزه وفطرته فالقانون الاسلامى محوره الانسان فى حياته الواقعية الفعلية ، ولذلك لن نجد فى القانون الاسلامى حكما لحالة لم تحدث فعلا ولا حكما لفرض لا يتحقق ، فالقانون الاسلامى أحكامه الموضوعية عبارة عن نصوص مكتوبة واردة فى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وهذه النصوص عبارة عن قواعد محددة لمواجهة حركة الانسان وأفعاله فى هذه الحياة الدنيا وهذه القواعد لم تتم صياغتها وفقا لنظريات معينة ، انما هى منهج شامل وكامل ومستقل بذاته ولذلك فمن الخطأ الفاحش ما حاوله البعض من القول بأن الاسلام دين الاشتراكية أو أن هناك نظريات جديدة وصل اليها علماء القانون وصل اليها الاسلام قبلهم مثل نظرية الاثراء بلا سبب أو الفضالة أو مبدأ سلطان الارادة ... الخ فالواقع أنه لا يمكن الحاق النظام القانونى الاسلامى فى أحكامه الموضوعية بأى نظام سياسى أو اقتصادى من الأنظمة الحديثة مهما ظهر فيها من محاسن ومهما دافع عنها المدافعون وهيأوا لها من فرص النجاح

فجميع هذه النظم قد فشلت فشلا ذريعا فى تحقيق الحياة الطيبة لمجموع بنى الانسان وان نجح بعضها فى تحقيق جزء ظاهرى من الحياة الطيبة لعدد محدود جدا من الشعوب وكان هذا النجاح نتيجة اباحتهم ظلم وسرقة واستغلال باقى الشعوب وهذه النظرة تختلف اختلافا كليا عن نظرة القانون الاسلامى الذى يمنع الظلم والسرقة والاستغلال والمصادرة فى كافة صورها بل يمنع الاستيلاء على أموال الناس بمقابل أقل من قيمتها الحقيقية مهما كان سبب الاستيلاء •

وتتميز أحكام القانون الاسلامى بأنها تأخذ بالنزعة الموضوعية تحقيقا للاستقرار ولذلك يهتم القانون الاسلامى بالأعمال الظاهرة فعلا ولا ينظر الى البواعث والحوافز والنوايا غير الظاهرة لأنها مسائل لا يعلم حقيقتها الا الله فمن ضرب شخصا بآلة تستخدم للقتل حوسب على أنه كان قاصدا قتله لأن النية الحقيقية لا يمكن للبشر الكشف عنها ولا يمكن لأحد أن يتحلل من بيع أبرمه بحجة أنه كان هازلا أو غير جاد فى هذا البيع •

ويأخذ بهذه النزعة الموضوعية أيضا كل من القانون الانجليزى والقانون الألمانى والاستقرار فى التعامل التجارى فى هذين البلدين نتيجة الأخذ بهذه النزعة الموضوعية ليس فى حاجة الى تعليق على عكس البلاد التى تأخذ بالنزعة الذاتية التى تقضى بضرورة التحرى عن الارادة الحقيقية للفرد واتباعها والحكم بمقتضاها ،وهى أمور يصعب الوصول الى حقيقتها مما يسهل لكل متعاقد طريق التنصل من التزاماته بحجة أن ارادته الحقيقية تخالف أعماله الظاهرية أو أنه لم يحسن التعبير عن ارادته الباطنة وسنعرض لذلك تفصيلا عند الكلام على « العقد » فى المقالات القادمة •

اذا ما انتقلنا بعد ذلك الى القانون الانجليزى فاننا نجد أنه يتميز أيضا ببعض الخصائص التى لا يشترك معه فيها غيره من الأنظمة القانونية الوضعية المعاصرة •

فالقانون الانجليزى ينفرد بأنه قانون من صنع القضاة وقد سبق لنا شرح معنى ذلك تفصيلا فى المقالات السابقة • ونتيجة لأن هذا القانون من صنع القضاة فان القاعدة القانونية

توضع على مستوى القضية أو النزاع المطروح وهذا مما يجعله قانونا منبثقا من الواقع العملى ومرتبطا ومتلائما مع الأحداث الجارية فعلا طبقا لعادات وتقاليد القوم ، ولذلك لا نجد فى القانون الانجليزى أثرا للتجريد أو المذاهب الفلسفية أو النظريات العامة التى يصل اليها الفقهاء فى الأنظمة الأخرى ، وذلك لأن القاضى الانجليزى لا تقتصر مهمته على مجرد تطبيق نص قانونى ولو أدى ذلك التطبيق الى نتائج غير معقولة وانما مهمته الأولى هى الوصول الى حل عادل ومعقول للنزاع المطروح والتشريع الذى يصدر لا يطبق الا وفقا للمعنى الذى يعطيه له القاضى فالقانون الانجليزى فى بنائه الأساسى مشيد حكما حكما بواسطة المحاكم وهو بذلك يعتبر أساسا عملا عقليا معبرا عن فكرة العدالة والملائمة فالقانون الانجليزى نظام مفتوح وليس مجرد قواعد موضوعية يجب فى كل الأحوال ن تطبق بصرف النظر عن نتائج التطبيق ولة كانت ظالمة أو غير معقولة أو لم تعد ملائمة بسبب تغير الظروف التى وضعت فيها .

ومن نتائج صياغة القانون الانجليزى بهذا الشكل أن الانجليز يكونون دائما فى مأمن من انحرافات الحكام أو المفكرين واستغلالهم القانون كأداة لتحقيق أهدافهم وعقائدهم الشخصية كما حدث لكثير من شعوب شرق أوروبا وغيرها وبذلك يقترب القانون الانجليزى من القانون الاسلامى فى هذه الناحية التى لا تجعل القانون مجرد وسيلة للتعبير عن رأى الحاكم سواء كان شخصا أو حزبا واملاء ارادته على الجماهير ولو كانت غير راضية والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصر وفى أكثر من دولة وفى أكثر من عصر فكم قاست شعوب بأكملها من انحرافات حكامها واستغلالهم وظلمهم لها وكانت وسيلتهم فى ذلك هى اصدار قوانين تحمل الأفراد على تنفيذ ما يشاءونه هم ولو كان غير ملائم أو غير معقول فى نظر الجماهير والويل لمن لا يطيع لأنه فى هذه الحالة قد خرج على « القانون » واستحق العقاب القاسى بموجب « القانون » .

والقانون الانجليزى لا يعرف هذه التقسيمات السائدة حاليا الى قانون عام وقانون خاص ولا يعرف التقسيمات

الفرعية الى قانون مدنيوقانون تجارى وغيرها ولا يمكن جمعه فى تقنينات على الطريقة الفرنسية فالتقسيم الأساسى فى النظم القانونية السائدة الى قنون عام وقانون خاص لا وجود له فى انجلترا والمراجع القانونية فى انجلترا لا تتضمن مرجعا يعالج القانون المدنى أو القانون الادارى أو المرافعات المدنية أو الاجراءات الجنائية أو القانونالتجارى أو القانون البحرى وانما نجد هذه المراجع تحمل عناوين مثل: العقد ــ الترست ــ بيع البضائع ــ الافلاس ــ السيد والخادم ــ الأخطاء ــ الملكيةالشخصية ... وهكذا .

وأمر آخر يتميز به القانون الانجليزى وهو أنه لا يمكن ترجمة المصطلحات القانونية الانجليزية الى أية لغة أخرى ولو أجريت أية ترجمة حرفية لها لنتج عن ذلك معنى مشوها تماما فمثلا الاصطلاح الانجليزى Trust يعبر عن نظام فى الملكية شبيهه بنظام الوقف فى القانون الاسلامى والترجمة الحرفية لهذه الكلمة لأية لغة لا يمكن أن تؤدى اطلاقا الى هذا المفهوم ولا الى أى مفهوم قريب منه فمعناها الحرفى باللغة العربية مثلا « ثقة » وشتان بين هذا المعنى وبين المعنى الحقيقى لهذا الاصطلاح .

ويمتاز القانون الانجليزى عن كثير من النظم القانونية المعاصرة بهذا المستوى الرفيع من مراعاة الجانب الخلقى فى مسائل المعاملات فمثلا اذا استغل أحد الأفراد الظروف السيئة التى وجد فيها فرد آخر وحقق من وراء ذلك نفعا خاصا له ما كان يمكنه الوصول اليه لولا وجود الطرف الآخر فى هذه الظروف كما لو اشترى بعض حاجياته منه بثمن بخس لا يتفق مع قيمتها الحقيقية فان معظم التشريعات الحديثة كالقانون المصرى والقانون الفرنسيوالقانون السويسرى والقانون الايطالى تعتبر ذلك مجرد عيب فى رضاء البائع فى هذه الحالة وترتب على ذلك امكان قيامه برفع دعوى لطلب ابطال هذا العقد وتترك له زمنا قصيرا لرفع هذه الدعوى والا سقط حقه فى طلب الابطال ويظل العقد صحيحا وملزما له حتى صدور الحكم بابطاله أما القانون الانجليزى فالحل فيه مختلف تماما فهو يعتبر الطرف الذى استفاد من الظروف

السيئة التى وجد فيها الطرف الآخر قد ارتكب عملا مخالفا للأخلاق ويعتبر هذا العقد باطلا من أصله وغير ملزم للطرف المغبون دون حاجة لرفع دعوى لطلب الأبطال وذلك عقابا للمستغل على سوء نيته وعدم نقاء سريرته ومخالفته لقواعد الأخلاق والضمير النقى • كذلك يقضى القانون الانجليزى بحبس المدين المماطل والقادر على سداد دينه على عكس جميع التشريعات وهو فى هذا يماثل القانون الاسلامى تمام المماثلة •

هذه هى الملامح الرئيسية التى تميز القواعد الموضوعية لكلا القانونين الاسلامى والانجليزى عن غيرهما من النظم القانونية والتى تشير بوضوح الى سر عظمتها وتحقيقهما لأكبر قدر من العدالة والاستقرار وما ترتب على ذلك من تقدم وعزة ورخاء عاش فى ظلالها المسلمون الأوائل واستمتع بالعيش فى ظلالها أيضا الشعب الانجليزى •

والى اللقاء فى العدد القادم انشاء الله حيث نبدأ الكلام عن (العقد) فى كل من القانون الاسلامى والقانون الانجليزى •

حسن حسب الله

الإيمان باليوم الآخر وأثره فى السلوك

للأستاذ عنتر أحمد حشاد

الايمان باليوم الآخر أصل من أصول الايمان ، وركن من أركان السعادة ، وأساس من أسس الخير والبر والفلاح ، لقد سأل جبريل عليه السلام — رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشهد من الصحابة رضوان الله عليهم — عن الايمان ، فأجابه صلوات الله وسلامه عليه بقوله : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره (١) » فلا يصح ايمان العبد ، ولا يعتد به عند الله تعالى حتى يعتقد اعتقادا جازما بأن وراء الموت بعثا ونشورا ، وسؤالا وحسابا ، وثوابا وعقابا .

وفى منطق الحق أن الموت ليس نهاية المطاف ، ولا خاتمة الطريق ، ليس الموت فناء محضا ، ولا عدما مطلقا ، وانما هو انتقال من دار الى دار ، وتحول من حال الى حال .

لا يقبل الله ايمانا من أحد حتى يعتقد موقنا من قلبه اعتقادا لا يداخله شك ولا ريب — أن الله يجمع الأولين والآخرين ، والجن والانس ، والخلائق جميعا فى يوم عظيم ، وموقف رهيب (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم (٢)) (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (٣)) وهنالك يحاسبهم الله على أعمالهم ، ويجازيهم على أفعالهم التى قدموها فى الحياة الدنيا ، ان خيرا فخير ، وان شرا فشر « فأما من طغى .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الآيتان ٨٨ و ٨٩ من سورة الشعراء .

(٣) من الآية ٣٠ من سورة آل عمران .

وآثر الحياة الدنيا • فان الجحيم هى المأوى •وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهـــوى فإن الجنـة هى المـأوى (١) » •

ان عقيـدة البعث والجزاء ، والثواب والعقاب ـ هى عقيدة الحق والعـدل والانصاف ، هى العقيدة التى يشــهد لها العقل ، ويوحى بها الفكر ، وتنطق بها الفطرة ، ان هـذا الذى يجحد البعث ، وينكر يوم الدين ـ انما يجعل الحياة (عبثا) لا معنى لهـا ، ليست فى نظره غير اخلاد للشهوات، ولونا من ألوان معيشـة الحشرات ؛ أكل وشرب ، وبغى من القـوى على الضعيف ، ثم فناء ، وكأن لم يكن بنو الانسان شيئا مذكورا « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون • فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم (٢) » •

لا • لا • ان نتيجة الجحود بيوم الجزاء لأشد فسادا من هـذا ، فهى تجعل الحيوان والحشرة أسعد حالا من الانسان ؛ اذ ليس للحيوان فكر ، ولا تأمل ، ولا عقـل يشـقى به ، ولو تسـاوى الانســـان والحيوان والحشرة ، وانتهت جميعا الى الفناء ـ لكان الانسان أشقى من الحيوان بعقله، وأتعس من الحشرة بتأمله وفكره •

اننا نرى كثيرا من المصـلحين يلاقون فى الدنيـــا أنواعا من الأذى والاضطهاد ، ونرى كثيرا من الأبرياء، بل من الأنبياء والمرسلين ـ قـد قتل بغير ذنب، واضهد بغير جرم، وعذب بدون جريرة ، فأين يلقى المجرمون جزاءهم ـ ان لم يكن بعث ولا جزاء؟ كيف يفلت السـفاحون والقتلة والظالمون من العدل الالهى ان لم يلقوا جزاءهم فى الحياة الأخرى ؟ « أفنجعل المسـلمين كالمجرمين • ما لكم كيف تحكمون (٣) » « أم حسـب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنو وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمـون (٤) » « أم

(١) الآيات من ٣٧ الى ٤١ من سورة النازعات •
(٢) الآيتان ١١٥ و ١١٦ من سورة المؤمنون •
(٣) الآيتان ٣٥ و ٣٦ من سورة القلم
(٤) آية ٢١ من سورة الجاثية •

نجعل الذين آمنو وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجر (١) » •

ان الحياة الدنيا لا تصلح أن تكون دار جزاء ؛ فهى دار زوال وفناء ، بمالها وما عليها ، والآخرة هى دار الدوام والبقاء ، وبذا كانت الدنيا دار العمل ، والآخرة دار الجزاء ، كانت الدنيا دار زرع ، والآخرة دار حصاد؛ فمن يزرع اليوم يحصد غدا ، ومن يزرع وردا يقطف وردا ، ومن يزرع الحنظل لا يجنى سوى المر والعلقم•

من يزرع الشر يحصد فى عواقبه
ندامة ، ولحصد الزرع ابان

لقد أجمعت الشرائع الالهية كلها على تقرير عقيدة البعث والجزاء ، فليست تلك العقيدة بدعا فى شرعة الاسلام ، وانما هى شريعة الله التى أوحاها الى أنبيائه ورسله من قديم الزمان •

لما أهبط الله آدم وزوجه من الجنة قال لهما ما حدث به القرآن الكريم : « قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى • ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (٢) » •

ومن قول ابراهيم عليه السلام ــ لقومه ــ فى ثنائه على ربه : « والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين (٣) » •

وهكذا نجد أن هذه العقيدة تغلغلت فى الناس جيلا بعد جيل ، وقررتها شرائع السماء شريعة بعد شريعة ، حتى من الله على العالم ببعثة خاتم الأنبياء ، وسيد الرسل : سيدنا محمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فكان من أول المبادىء التى دعا الى الايمان بها توحيد الله تبارك وتعالى ، والايمان بجميع الأنبياء والمرسلين،والتصديق بالبعث والجزاء، كما عنى به القرآن الكريم ؛ فقد أشار القرآن الى سر البعث وحكمته ،

(١) آية ٢٨ من سورة ص •
(٢) الآيتان ١٢٣ و ١٢٤ من سورة طه •
(٣) الآية ٨٢ من سورة الشعراء •

كما أشار الى يسره على الله وسهولته، وأقـام من البراهين ما فيـه اقنـاع للعاقلين ، وكفاية للمنصفين .

لقـد أفاض القـرآن الـكريم فى ذكر مشاهد القيامة ، وأهوال الحشر والنشر، وصور العذاب الأليم ، والنعيم المقيـم ، حتى لا يذهـل البشر وراء مأربهم ومطالبهم عن يوم الحساب ، وحتى لا يستغرقوا فى آلامهم وآمالهم، فينسوا المستقبل الضخم الذى ينتظرهم عند الله ؛ فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم الجنة بما فيها من نعيم مقيم ، وأما الذين كفروا وكذبوا بلقاء الله فلهم النار بما فيهـا من جحيم ، وعذاب اليم ، ولا شـفاعة هنـاك ، ولا فدية من العذاب ، ولا اختلال قيد شـعرة فى ميزان العـدالة الدقيق ، ويومئذ لا يمكن تـدارك ما فـات ، ولا ينفع بيع ولا شراء ، ولا حسب ولا نسب ، ولا صـداقة ولا محبـة « يأيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة (١) » وانما هى الحسنات والسيئات « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمـل مثقال ذرة شرا يره (٢) » يوم «لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جـاز عن والده شيئا (٣) » .

ولـما دعـا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم ــ الى تلك العقيدة ــ قابله المشركون بالسخرية والاستهزاء ، ولم يكن أمامهم من دليل الا مجرد الاستبعاد ، أو حب التمرد والعناد ، فكانوا يقولون : « أئذا متنا وكنا ترابا وعظـاما أئنـا لمبعـوثون . أو آباؤنا الأولون (٤) » ؟ كيف نعود الى الحياة بعد أن صرنا ترابا ، وبليت أجسامنا ؟ وتفرقت أجزاؤنا ، وتفتت عظامنا ، أئذا متنا وكنا ترابا نرجع الى الحياة مرة أخرى ؟ ذلك رجع بعيد ، فرد الله عليهم بأن الذى خلقهم أول مرة قادر على اعادتهم مرة أخـرى ، فان الاعادة ــ فى نظر العقل ــ أسهل من البدء ، « وهو الذى يبـدأ الخلق ثم

(١) من آية ٢٥٤ من سورة البقرة .
(٢) الآيتان الأخيرتان ٧ ، ٨ من سورة الزلزلة .
(٣) من آية ٣٣ من سورة لقمان .
(٤) الآيتان ٤٧ و ٤٨ من سورة الواقعة .

يعيـــده وهو أهون عليـه وله المثـل الأعلى فى السـموات والأرض وهـو العزيز الحكيم (١) » .

جاء المشرك أبى بن خلف ـ الى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ـ بعظم بال ، وجعل يفته بيده ، ويقول: يا محمد ، أترى الله يحيى هذا بعد مارم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، ويبعثك ويدخلك جهنم، ونزل قول الله عز وجل : « أو لم ير الانسـان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين • وضرب لنـا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم• قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم • الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نـارا فاذا أنتم منـه توقدون•أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقـادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم • انمـا أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون• فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون (٢) » .

كذلك وضح القرآن العظيم أن الله تعالى القـادر على احياء الأرض الميتة بالنبـات ـ قادر على احيـاء الأموات « ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد•والنخل باسقات لها طلع نضيد • رزقا للعبـاد وأحيينا به بلدة ميتـا كذلك الخـروج (٣) » « والله الذى أرســل الرياح فتثير سحابا فسـقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعدموتها كذلك النشور (٤)» « وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمتــه حتى اذا أقلت سـحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنـا به المـاء فأخرجنا به من كل الثمـرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون (٥) » .

سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، كيف يحيى الله الموتى ؟ وما آية ذلك فى خلقه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أما مررت بوادىقومك ممحلا (جدبا)؟ قال : بلى ، قال : ثم مررت به يهتز خضرا ؟ قال : بلى ، قال : فكذلك

(١) آية ٢٧ من سورة الروم .
(٢) الآيات من ٧٧ ـ الى ٧٧ ـ الى ٨٣ من آخر سورة يس .
(٣) الآيات من ٩ الى ١١ من سورة ق .
(٤) الآية ٩ من سورة فاطر .
(٥) الآية ٥٧ من سورة الاعراف

يحيى الله الموتى ، وذلك آيتـه فى خلقه •

نرى فى القرآن الكريم ــ وبخاصة فى الآيات والسـور المكية ــ أن الله تعالى يلفت أنظارنا فى الكون الى آيات قدرته ، وأدلة علمه وحكمه ورحمته؛ ان الله تبارك وتعالى يوجد أمام أعيننا فى كل ساعة خلقا جديدا من النبات والانســان والحيوان ، فكيف يرى العاقل ذلك ، ثم يتردد فى أمر البعث؟ « أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديدة (١) » ان أمامنا فى واقع الحيـاة ما هو أعظم من احيـاء الموتى ، ألا وهو خلق السـموات والأرض ، فكيف يسلم المنصف بقدرة الله على ذلك ، ثم يجادل فى شـأن البعث • « لخلق السموات والأرض أكبر من خـلق النـاس ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢) » •

ان الايمان بالبعث والجزاء،والثواب والعقـاب ــ يدفع العبـد الى عمـل الخيرات ، ويحول بينه وبين ارتكاب المنكرات ، ان هذه العقيدة هى مفتاح كل خير ، ومصدر كل سعادة ، وسبب لهداية الأفراد والجماعات ؛ لأنها تدفع المؤمن الى أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسـب ، وأن يزن عمله قبل أن يوزن عليـه ، انهـا تجعل فى قلب المؤمن ، رقابة دائمة ، وضميرا يقظا ، وأملا واسعا ، وحذرا مستمرا ، انها تدفعه الى العلم النافع ، والعمل الصالح « أم من هو قانت آناء الليـل سـاجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمـة ربه قل هل يسـتوى الذين يعملون والذين لا يعلمون انمـا يتذكر أولو الألباب (٣) » •

لا شـك أن هـذه العقيـدة تهب المؤمنين سموا فى المقاصد ، وفناء فى سـبيل المجـد ، وتعـلمهم الصـبر والاحتمال ، وتدفع بهم فى صـدور الأحداث •

لقد انتصر المسلمون على أعدائهم بفضـل هـذا الايمان والاعتقاد ، مع ما كان عليـه أعداؤهم فى كثير من الغزوات والحروب من كثرة،أو قوة،

---

(١) الآية ١٥ من سورة ق .
(٢) الآية ٥٧ من سورة غافر •
(٣) آية ٩ من سورة الزمر •

فالأمر الذى كان للمسلمين وحدهم وقد فقده أعداؤهم ـ قد كان مركزه فى قلوبهم ، فى ايمانهم،فى عقائدهم: عقائد تهيب بهم الى احدى الحسنيين: اما حياة ماجدة عزيزة ، واما موت ، فلقاء لربهم ، واستبشار بما أعده لهم فى جناته •

ولننظر ما خلقت العقيدة الصالحة من «عمر بن الخطاب رضى الله عنه»• نقد كان ناشئا على القسوة والعنف ، حتى لقد وأد بنتا من بناته فى الجاهلية، فلما أسلم ، وخالطت العقيدة شغاف قلبه صار من أرأف الناس، وأرحمهم بعباد الله ، فهو ينضج الطعام للأطفال الجياع ، وينفخ النار لامرأة فقيرة •

أما الذين لا يؤمنون بالآخرة فانهم يكونون مصدرا للشر والبلاء فى هذا العالم ، فهم لا يعطفون على أحد ، ولا يرحمون أحدا ، ولماذا يعطفون على البائسين ، أم لماذا يرحمون المساكين ؟ أيخافون من لقاء الله وهم يجحدونه ، أم يطمعون فى رحمة الله وهم ينكرونها ؟ « أرأيت الذى يكذب بالدين • فذلك الذى يدع اليتيم • ولا يحض على طعام المسكين (١) » انهم يكفرون بربهم ؟ اذ يتهمونه بالعجز والقصور ، ويتخبطون فى حياتهم ، فيرون الباطل حقا ، والحق باطلا « ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون • أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون (٢) » •

انهم لا يصدقون فى قول ، ولا يخلصون فى عمل، أو لا يؤتمنون على وظيفة ، ولا يصلحون لبيع ولا شراء ، ولا أخذ ولا عطاء « ويل للمطففين • الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون • ليوم عظيم • يوم يقوم الناس لرب العالمين (٣) » •

---

(١) الآيات الثلاث الأولى من سورة الماعون .
(٢) الآيتان ٤ ، ٥ من سورة النمل .
(٣) الآيتان الست الأولى من سورة المطففين .

ألا انهـا العقـائد والايمان تذكى النفوس ، وتشفى العالم من أمراضـه الاجتماعية ، وتدفع أصحابها الى حيث معاقل المجـد ، الى حيث العزة التى عبر عنها القرآن الكريم بقوله : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (١) » .

ان صاحب العقيدة ليرسل عقيـدته فى أقطار الدنيا ، وهو يهتف :

ولست أبالى حين أقتـل مسـلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

وان صاحب العقيدة ليأتى بجلائل الأعمـال ، ويقتحم ميادين البطولة ، وهو يرتل :

« قـل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنـا هو مولانا وعـلى الله فليتـوكل المؤمنون (٢) » ؟

عنتر احمد حشاد

---

(١) من آية ٨ من سورة المنافقون .
(٢) آية ٥١ من سورة التوبة .

الشــرك الخــفى

للأستاذ على عبد العظيم

ان الديانات الســماوية جميعهــا جاءت للقضــاء على عبادة الأصــنام والأوثان ، وللدعوة الى عبــادة الله الواحد القهار ، دون شريك أو مثيل؛ ولمــا جاء الاســلام بقوته الروحيــة وحيويته الدافقة ، وحجته الدامغــة قضى القضاء الأخير على عبادة الأصنام، وأعلن الوحدانيــة فى أسمى معانيها وأنقى مجاليها ، وأروع صــورها ، فأعلن تنزيه الله عن الشريك والمثيل ، وعن الوالدية والولد ؛ فانه سبحانه « ليس كمثلــه شيء وهو الســـميع البصير » وهو جل وعلا الصمد الذى « لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد » •

والتوحيد لا يتم الا بالاعتقاد الصادق بأن الله وحده هو القائم على كل نفس بما كسبت ، وأن بيده النفع والضر والموت والحياة • وأن زمام الكائنات جميعها بيده • فهى منه واليه ، وأنه لا حول الا حوله • ولا قوة الا قوته ، ولا طول الا طوله ، وأنــه يــولج الليــل فى النهــار ويولج النهــار فى الليـــــل ويخــــرج الحى من الميت ويخــرج الميت من الحى ويرزق من يشــاء بغير حساب وأنه لا مانع لمـــا يعطى ولا معطى لمـا يمنع ، وأنه عنده « مفـــاتح الغيب لا يعلمهـــا الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تســقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتــاب مبين » ؛ « ذلك بأن الله هو الحــق وأنه يحيى المــوتى وأنه على كل شيء قــدير وأن الســـاعة آتية لا ريب فيهـــا وأن الله يبعث من فى القبور » •

واذا امتــلأ قلب المــؤمن بعقيــدة التوحيــد وجــه عبادته الى الله وحده هاتفا بقلبه ولســانه : « ان صــلاتى ونسكى ومحيـــاى وممــاتى لله رب

للعالمين • لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين » •

وكما تتسلل الجراثيم الفتاكة الى الجسم فتسلبه صحته ،تتسرب الأوهام الخداعة الى النفس فتفسد عليها عقيدتها ، وتشوب ايمانها بالضعف ، واخلاصها بالريب والشكوك الا من عصم الله والايمان الصادق العميق لا يتم الا بمحبة الله والاخلاص له وحده بحيث لا يماذج حبه لله حب الدنيا أو السلطة والجاه أو المال والزوجة والأبناء قال تعالى : « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين »ومحبة الله تستدعى محبة رسوله الذى أرشدنا اليه وبلغنا عنه ، وعلمنا كيف نعبده ونستعين به ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين » رواه الشيخان كما رويا عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان فى قلبه : أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله ، وأن يكره أن يعود فيالكفر بعد اذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار » • ومن تمام محبته لله أن يحب اخوته فى الايمان فقد ورد فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ؛ وبهذا تكون محبة الله مصدر كل حب ، ومنبع كل عاطفة روى أبو داود والضياء عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان » •

وعلامة الايمان الكامل أن ينتج عملا صالحا ، فان العمل الصالح هو ثمرة الايمان الصادق ، ولهذا جاءا متلازمين فى معظم آيات القرآن ، قال تعالى : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وقالجل شأنه : « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين » وقال عز من قائل : « والعصر•ان الانسان لفى خسر • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » •

فاذا تسلل حب الذات أوحب المال الى قلب المؤمن ذكر قول الله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » وملك عليه عقله ووجدانه قوله تعالى : « انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون » ، واذا شغلته أمواله وأولاده عن أداء حق الله ذكر قوله تعالى :« يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم » وتدبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصيته لابن عباس : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك. واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وعلى المؤمن أن يعلم أن الايمان لابد أن يتعرض للفتنة والاختبار فاذا ثبت أمام الشدائد والمحن كان قويا عميقا مباركا فيه ، واذا انهار أمام الفتن والأحداث كان ايمانا مدخولا وعقيدة مدعاة ، قال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

ولقد أعطانا القرآن الكريم أمثلة رائعة للايمان الصادق القوى العميق فيما سرده علينا من تاريخ الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . ومن هذه الصور المثالية العليا موقف ابراهيم عليه السلام حينما رزقه الله على الكبر بابنه اسماعيل عليه السلام فانشرح به صدره ، وقرت به عينه ، ورأى فيه امتدادا لحياته ، وذكرا باقيا بعد وفاته ، واذا بأمر من العلى الأعلى يدعوه الى أن يحمل ابنه وزوجته ـ وهما أحب اليه من نفسه ـ ويضرب بهما أشهرا فى جوف الصحراء حتى يلقى بهما فى واد غير ذى زرع لا طعام فيه ولا ماء ولا أى مصدر من مصادر الحياة ، فلم يتردد ، ولم يتلكأ ، ولم يراجع ربه فيما أمره

به ، بل نفذ أمر ربه ، وتركهما فى هذا المكان المقفر عرضة للموت ظمأ وجوعا . أو لافتراس حيوان كاسر أو وحش ضار وهما الضعيفان المستضعفان . وبعد سنوات أمره الله أن يعود ليراهما وقد هيأ الله لهما سبل الحياة والأمان فأطعمهما من جوع ، وآمنهما من خوف ، فى ظل قبيلة جرهم التى استبشرت بهما خيرا بسبب تفجير بئر زمزم تحت قدمى الطفل النجيب فأقامت الى جوارهما فى هذا المكان ، ثم صدر توجيه آخر من العلى الأعلى يوحى الى ابراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه بيديه ليفصل رأسه عن جسمه فما تردد ولا تلكأ ولا راجع ربه وأعد السكين والحبل وأسرع لينفذ أمر ربه ،وكاد يذبح ابنه دون مراجعة أو اشفاق ، ومن العجيب أن يوصى الطفل أباه بتنفيذ مشيئة الله هاتفا به : « يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » . والتزم الأدب فعلق وقوع الصبر بمشيئة الله .

وهكذا نجد فى حياة كل رسول مواقف رائعة فى رسوخ العقيدة وقوة الايمان « أولئك الذين هدى فبهداهم اقتده » . وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه البخارى وأحمد والنسائى وابن ماجه : « أشد الناس بلاء الأنبياء فالأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه ، فان كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وان كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة » .

وعلى المؤمن أيضا أن يعرف أن الذنوب تتراكم على القلوب فاذا لم يبادر أصحابها بالتوبة والانابة وتطهير النفوس انطمست معالم الايمان فى قلوبهم وران عليها الضلال فيصبحون ممن قال الله فيهم : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم . ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون » روى أحمد والترمذى والنسائى وغيرهم عن النبى صلى الله عليه وسلم: « ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء ، فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وان عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه ، وهو الران الذى ذكر الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

واذا كان المرض يتسلل الى الصحيح ، والضعف الى القوى ، والخطأ الى الذكى فان ظلال الشرك وسحب الضلال قد تتسرب الى ضياء الايمان فتحجبه وتتراكم فتبدده ، ولما نزل قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » فزع الصحابة الى الرسول صلى الله عليه وسلم قائلين : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «ليس بالذى تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (ان الشرك لظلم عظيم) انما هو الشرك » فالشرك اذا تسلل الى الايمان عاث فيه وأفسده ، ومن هنا كان الايمان فى النفوس الضعيفة كثيرا ما يلتبس بالشرك كما قال تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون » فمن المؤمنين من يصلى ومن يصوم ومن يزكى ويحج ولكن أهواءه تتغلب على ايمانه ، وشهواته تفسد عليه يقينه ، وحب الدنيا ومتاعها يضعف عقيدته ، ولهذا نبهنا القرآن الكريم فى كثير من آياته البينات الى أن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى قال تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » ـ « والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا » .

ولقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من تسلل الشرك الخفى الى ايماننا فقال ـ فيما رواه الامام أحمد والطبرانى ـ : « يأيها الناس اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل » وروى ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ان أخوف ما أخاف على أمتى الاشراك بالله ، أما انى لست أقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ، ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية » وروى أحمد والبيهقى وابن أبى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم : « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر : قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء ، يقول الله عز وجل : اذا جزى الناس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا » وروى ابن ماجه والحاكم والبيهقى عن النبى صلوات الله وسلامه عليه « اليسير من الرياء شرك » وتذاكر بعض الصحابة أمر المسيخ الدجال فقال صلى الله

عليه وسلم : « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيخ الدجال ؟ » فقلنا بلى يارسول الله فقال : « الشرك الخفى ، أن يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل اليه » رواه ابن ماجه والبيهقى •

واذا كانت الأصنام قد انتهى زمانها فقد بقيت لدينا أصنام عديدة تستهوى ضعاف الايمان فتفتنهم وتخرجهم من ربقة الايمان الصادق العميق ، ولا يزال يصدق فيهم ما حكاه القرآن الكريم : « أافكا آلهة دون الله تريدون » ؟ فهناك صنم اسمه : المال : وصنم اسمه : المنصب والجاه ، وصنم اسمه المرأة ، وصنم اسمه حب الشهرة ، وهناك من يعبد ذاته ، ومن يعبد جماعته ، ومن يعبد رؤساءه ، ومن يعبد لذاته وشهواته ،ومن يعبد مذهبا من المذاهب الهدامة ، أو جماعة من الجماعات المنحلة ، وسنتحدث عن بعض هذه الأصنام المعبودة والآلهة المزعومة فى الأحاديث التالية ان شاء الله ؟

للحديث بقية •

على عبد العظيم

هل فى القرآن حروف زائدة ؟ (٤)

للدكتور على حسن العمارى

١٤ ـ اللام (لام الجر) تزاد هذه اللام فى مواضع جاء منها فى القرآن الكريم قوله تعالى « ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون » (١) .

ويسمون هذه اللام (لام التقوية) فهى مزيدة لتقوية عامل ضعف بتأخره ومن هذا القبيل اللام فى قوله تعالى : « ان كنتم للرؤيا تعبرون » (٢) .

وقد تزاد لتقوية عامل ضعف بسبب كونه فرعا فى العمل نحو قوله تعالى : « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم » (٣) ونحو قوله سبحانه « نزاعة للشوى » (٤) وقد اجتمع التأخر والفرعية فى قوله تعالى : « وكنا لحكمهم شاهدين » (٥) .

واختلف فى قوله تعالى : « أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . هيهات هيهات لما توعدون » (٦) فقيل : اللام زائدة وما فاعل : وقيل : الفاعل ضمير مستتر راجع الى البعث أو الاخراج فاللام للتبيين ، وقيل : هيهات مبتدأ بمعنى البعد والجار والمجرور خبر (٧) .

---

(١) الاعراف ١٥٤
(٢) يوسف من آية ٤٣
(٣) البقرة ١٠١
(٤) المعارج ١٦
(٥) الأنبياء من آية ٧٨
(٥) المؤمنون ٣٥ ـ ٣٦
(٧) مغنى اللبيب ج ١ ص ١٨٥

كمـا اختلف فى اللام فى قـوله تعالى : « قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون » (١) فقـال المبرد ووافقه على رأيه جماعة : أنها زائدة •وخالفه الجمهور• المبرد فسر (ردف) بتبـع ولحق ، والآخـرون ضمنوا ردف معنى اقترب •

وقد ذكر الزمخشرى الوجهين فى هذه الآية ، قال : (ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء فى (ولا تلقـوا بأيديـكم) ، أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم ، وأزف لكم ، ومعناه تبعـكم ولحقكم •

ولم يرجح أحـد الوجهـين على الآخر •

وعبارة ابن هشام فى المغنى تفيـد أنه لا يقـــول بالزيادة ، وهو رأى حسن ، فطالمـا أمكن تخـريج الآية على أصالة الحرف فان المصير الى ذلك أولى وأجمل •

وذكر الزمخشرى فى قوله تعالى : (ان كنتم للرؤيا تعبرون) وجوها :

١ ـ أن تـكون اللام زائدة (لأن العامل اذا تقدم عليه معمـوله لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تأخر عنه ، فعضد بهـا كمـا يعضدد اسم الفـــاعل اذا قلت هو عـابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل فى القوة •

٢ ـ يجـوز أن يكون (للرؤيا) خبر كان ، كمـا نقـول : كان فلان لهذا الأمر، اذا كان مستقلا به متمكنا منه ، وتعبرون خبر آخر ، أو حال •

ويبدو أن هـذا التوجيـه يجعـل العبـارة مفككة ، فالذى يتبـــادر الى الذهن منهـا ، هو تعبير الرؤيا ، وأما ان كنتم للرؤيا ، فغير معهـود ، ولا سيما أن الكلام لو اقتصر عليه لم يفد المـراد منـه ، فـكان الخبر الثـانى ضرورى وليس كذلك الـكلام اذا تعـددت فيه الأخبـــار فمن التكلف الشديد قبول هذا الوجه •

٣ ـ أن يضـمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيـل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا •

وهذا الوجه أيضا ظاهر التكلف •

---

(١) النحل ٧٢ .

٤ ـ أن تكون (للرؤيا) للبيان كقوله : « وكانوا فيه من الزاهدين »

واقتصر الفخر الرازى على وجهين من هذه الوجوه : نسب الى البعض القول بزيادة اللام ، ونقل عن الزمخشرى القول بأن (الرؤيا) خبر كان ونظر بقولهم : كان فلان لهذا الأمر اذا كان مستقلا به ، متمكنا منه .

ومع ذلك فهذا الوجه غير مقبول لما ذكرته آنفا .

والقول بالزيادة فى مثل هذا التعبير لا ينشأ عنه أى محذور ، فهذا صنيع العرب فى كلامهم ، وتقوية العامل اذ ضعف بحرف الجر مما يحفظ على العامل قدرته على العمل .

وعلى هذه الآية يقاس : (هم لربهم يرهبون) ولم يذكر فيها الزمخشرى وجها غير القول بزيادة اللام ، ومن عجب أنه قال : ونحوه للرؤيا تعبرون أى فى دخول اللام لتقدم المفعول ، لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا (وهذه عبارته) .

وزاد أبو السعود أن تكون لام العلة ، والمفعول محذوف ، أى يرهبون المعاصى لأجل ربهم لا للرياء والسمعة .

وهو أيضا من باب التكلف ، لأن (يرهبون) فعل متعد ، ومفعوله موجود ، فما معنى أن نبحث عن مفعول آخر ، ونحمل الكلام على معنى يبدو أنه لم يسق لأدائه .

١٥ ـ لا ـ قال ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن) : (وقد تزاد لا فى الكلام ، والمعنى : طرحها لاباء فى الكلام أو جحد ، كقول الله عز وجل : « ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك » (١) أى ما منعك أن تسجد فزاد فى الكلام (لا) لأنه لم يسجد .

وقوله سبحانه : « وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون » (٢) يريد : وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون ، فزاد (لا) لأنهم لا يؤمنون اذا جاءت .

ومن قرأها بكسر (ان) فانه يجعل الكلام تاما عند قوله : (وما يشعركم) ثم يبتدىء فيقول : « انهم لا يؤمنون »

---

(١) الاعراف ١٢ .
(٢) الأنعام ١٠٩

وقوله سبحانه : « وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون » (١) يريد : أنهم يرجعون ، فزاد (لا) لأنهم لا يرجعون .

وقوله سبحانه : « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله » (٢) يريد : ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون ، فزاد (لا) فى أول الكلام ، لأن فى آخر الكلام جحدا .

وأما زيادة (لا) فى قوله : « لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة » وقوله : « فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق » و «لا أقسم بهذا البلد » فانها زيدت فى الكلام على نية الرد على المكذبين ،كما تقول : لا ، والله ، وما ذاك كما تقول ، ولو قلت : والله ما ذاك كما تقول لكان جائزا غير أن ادخالك (لا) فى الكلام أولا أبلغ فى الرد .

وكان بعض النحويين يجعلها صلة ، ولو جاز هذا لم يكن بين خبر فيه الجحد ، وخبر فيه الاقرار فرق .

وقد اختلف العلماء كثيرا فى القول بزيادة (لا) وبخاصة فى هذه الآيات التى ذكرتها ، وقد نسب القول بالزيادة الى الكسائى والفراء والزجاج وأكثر النحاة .

وفيما نقلته عن ابن قتيبة ما يشير الى هذه الخلافات .

والقائلون بالزيادة وأكثرهم من علماء النحو يرون أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، والعرب يفعلون ذلك ، ودائما يلتمسون معنى للحرف الزائد لأنه لا قائل منهم بأن فى القرآن حرفا جىء به لغير فائدة .

والذين يمنعون الزيادة بعامة يرون أن هذا صنيع ينبغى أن ينزه عنه القرآن الكريم .

والذين يمنعونها فى لا ، وخاصة فى بعض المواضع التى قيل بالزيادة فيها يقولون انه ينبغى أن ننزه القرآن أن يذكر حرف الجحد ، وهو يريد الاثبات .

(١) الأنبياء ٩٥

(٢) الحديد ٢٩

وقد خصص الشيخ تاج **أكثر** بحثه الذى أشرت اليه آنفا لنفى زيادتها ، **وذكر فيه أكثر ما قاله** النحاة والمفسرون ، وناقش أقوالهم مناقشة جادة مفيدة ، ولكن أحببت ـ هنا ـ أن أقف فى موضعين :

الموضع الأول :

فى الكلام على زيادة (لا) فى **قوله** تعالى : « قال ما منعك ألا تسجد » .

١ ـ فقد ذكر تخريج الطبرى وجماعة من المفسرين **وهو أن هنا** فعلا محذوفا يصح معه المعنى ، ويدل عليه المقام ، والتقدير : ما منعك من السجود فأحوجك ألا تسجد .

٢ ـ والفخر الرازى أطال القول فى زيادة هذا الحرف ، وقد قال عند النظر فى هذه الآية : **(ظاهر الآية** يقتضى أنه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود ، وليس الأمر كذلك ، فان المقصود طلب ما منعه من السجود ،وقد عبر الرازى عن هذا بأنه اشكال اختلف **فى طريق** حله العلماء .

وحل الرازى لهذا الاشكال أن (منع هنا بمعنى (دعا) ، فكأنه قيل : **(ما دعاك الى أن لا تسجد)** .

وهذا ما ردده السكاكى فى باب المجاز المرسل حيث قال : (**وللتعلق** بين الصارف عن فعل الشىء وبين الداعى الى تركه يحتمل عندى أن يكون « منعك » فى قوله علت كلمته : « ما منعك ألا تسجد » مرادا به : ما دعاك الى أن لا تسجد وأن يكون (لا) غير صلة ، قرينة للمجاز ، ونظيره : « ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى » (١) .

ووضح ذلك المفسر أبو السعود حين قال : وقيل الممنوع عن الشىء مصروف الى خلافه ، فالمعنى : ما صرفك الى أن لا تسجد .

وواضح أن الكلام حينئذ من قبيل المجاز المرسل الذى علاقته الضدية .

واختار الشيخ تاج هذا الوجه غير أنه رأى العدول عن القول بالمجاز الى القول بالتضمين الذى هو ـ فى رأيه ـ من أقوى ما امتازت به بلاغة القرآن وأجمله وأبرعه .

---

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٦ .

فالفعل (منع) أشرب معنى الفعل حمل أو بعث .

وبهذا الذى سماه الشيخ التضمين، وكان يسميه من قبله المجاز حل الاشكال فى آية : « ما منعك ألا تسجد » . وفى آية : « ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن » .

ولكن ألا يمكن أن يقال : ان القول بأن (منع) بمعنى (حمل) سواءكان مجازا أو تضمينا لا يخرجنا من الاشكال ؟!

ذلك أن الذين رفضوا القول بالزيادة احتجوا بأنه لا يمكن أن يجىء الاثبات فى صورة النفى ، فيقال لهم : وهل يصح أن يذكر الفعل الذى يدل على النفى ، ويراد به الفعل الذى يدل على الاثبات .

واذا سلمنا لكم أن منع هنا معناها حمل أمكننا أن نأتى لأى فعل فى القرآن فنقول : المراد به ضده ، ويكون قولنا هذا كقولكم .

وأيضا . نسأل : ما الحكمة فى هذا المجاز ؟ أو فى هذا التضمين ؟ ولماذا لم يقل القرآن الكريم : (ما حملك) ، وهل هناك سر بلاغى لهذا العدول عن اللفظ الى ضده .

ان السكاكى نفسه حين ذكر الاستعارة ، والتشبيه اللذين يستعمل فيهما اللفظ فى ضده من مثل قول الشاعر :

نقربهم لهذميات تقد بها
ما كان خاط عليهم كل زراد

وفى قول الآخر :

تحية بينهم ضرب وجيع .

ذكر أن هذا يقصد به التهكم .

فما الذى قصد من المعانى البلاغية باستعمال (منع) مكان (حمل) ، سواء كان ذلك من قبيل المجاز أم من قبيل التضمين ؟

ثم ان الذى نعرفه فى أساليب التضمين التى جاءت فى كلام العرب أو فى القرآن الكريم أن الفعل يضمن معنى فعل يناسبه ـ كتضمين (يخالفون) معنى يخرجون فى قوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

والمخالفة والخروج معنيان متلازمان .

اما أن يضمن الفعل معنى فعل مضاد له فلا نكاد نعرفه .

هذا . وقد ذكر الخطيب القزوينى فى الايضاح بعد أن نقل كلام السكاكى هذا – نقلا عن الراغب الأصفهانى – أن بعض المفسرين قال : ان معنى « ما منعك » ما حماك ، وجعلك فى منعة منى فى ترك السجود ، أى فى معاقبة تركه .

قال : وقد استبعد ذلك بعضهم بأن قال : لو كان كذا لم يكن يجيب بأن يقول أنا خير منه ، فان ذلك ليس بجواب على ذلك الوجه ، وانما هو جواب من قيل له : « ما منعك أن تسجد » .

ويمكن أن يقال فى جواب ذلك : ان ابليس لما كان ألزم ما لم يجد سبيلا الى الجواب عنه ، اذ لم يكن له من كالىء يحرسه ويحميه عدل عما كان جوابا كما يفعل المأخوذ بكظمه فى المناظرة (١) انتهى كلام الراغب .

قلت : ورأى هذا المفسر وجيه ، والاعتراض عليه محل نظر ، والاجابة عنه مجرد محاولة فيها بعض الطرافة .

وما المانع أن نقول أن قول ابليس : (أنا خير منه) جواب عن سؤاله (ما حماك) ؟ .

وكأنه قال : ان اعتقادى فى فضلى عليه جعلنى فى منعة وعزة ، والاعتزاز بالنفس ، والكبرياء ، واعتقاد التفرد عند الانسان تحميه فى ظنه من أن يخضع لعدوه ، فهى – فى نظره – سلاح قوى ، يحارب به فى ميدان (الحروب النفسية) .

فاذا كان لابد من القول بأصالة (لا) فى هذا الموضع فأحسن ما يقال – فى رأيى – هو تخريج هذا المفسر ذلك لأنه يتمسك بمعنى لغوى صحيح متجنبا المجاز والتضمين ، وما يوجه اليهما من سؤالات .

الموضع الثانى :

الذى أحببت أن أقف فيه مع الشيخ تاج هو حديثه عن زيادة لا وعدم زيادته فى قوله تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن » .

فقد قال كثير من العلماء بزيادة (لا) الثانية فى هذا الموضع ، وقد

---

(١) الايضاح فى علوم البلاغة ص ٢٧٦ جـ ٢ مطبعة السنة المحمدية .

استعرض فضيلة الشيخ تاج أقوال العلماء فى ذلك ، ثم وقف عند رأى للزمخشرى يقول بأصالتها وخلاصته أن المراد بالحسنة ـ هنا ـ الجنس ، وكذلك المراد بالسيئة ، فكأن القرآن الكريم يقول : ولا تستوى الحسنات، ولا تستوى السيئات ، أى أن الحسنات فى ذاتها متفاوتة ، وكذلك السيئات متفاوتة فى ذاتها ،ويجىء بالأولى عدم تساوى الحسنات والسيئات •

وهو ملحظ قد يلحظ ، ولكنه غير المتبادر من التعبير ، فان الذى يسمع هذه العبارة من أرباب اللغة يتبادر الى فهمه أن المراد نفى استواء الحسنة والسيئة •

وقد يقال : من أين حكم أن نفى استواء الحسنات فى ذاتها ، ونفى استواء السيئات فى ذاتها ، يتبعه بالأولى نفى استواء الحسنة والسيئة ؟ ان هذا الأولى نفهمه نحن استنادا الى ما يتبادر الى أذهاننا من التعبير •

فمثلا : لو قال انسان : لا يستوى الطلاب ولا تستوى الطالبات على معنى أن الطلاب فى ذواتهم متفاوتون ، والطالبات فى ذواتهن متفاوتات • هل يفهم من ذلك أنه لا يستوى الطالب والطالبة ؟

ان التعبير فى ذاته اذا أريد منه ما قاله الزمخشرى ، وأيده فيه الشيخ تاج لا يعطى هذه الأولوية ، وانما يعطى حكمين منفصلين : الحسنات متفاوتة ، والسيئات متفاوتة • فاذا أردنا الحكم بأفضلية الحسنة على السيئة لزمنا تعبير آخر •

ثم ان الشيخ رأى أن يستعين بهذا الفهم فى قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير • ولا الظلمات ولا النور • ولا الظل ولا الحرور • وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (١) •

فرأى أن (لا) لم تكرر فى الجزء الأول من الآية لأنه لا يراد نفى استواء الأعمى فى نفسه ، ولا نفى استواء البصير فى نفسه ، ولذلك لم يصرح بالنفى فى المقابل مادام المقصود هو مجرد نفى التساوى بين الأمرين المتقابلين •

---

(١) فاطر ١٩ ـ ٢٢ •

أما بقية هذه الآيات فهى على نحو ما قيل فى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) .

وذلك أنه اذا كان فيها تقابل بين الظلمات والنور ، وبين الظل والحرور ، وبين الأحياء والأموات ، وكان مرادا أن ينفى الاستواء بين كل متقابلين ، فان هناك معنى آخر يقتضيه التصريح بالنفى فى ثانى المتقابلين ، وهو معنى لا يعارض ذلك المراد ، بل يتبعه بالطريق الأولى .

وذلك أن الظلمات الحقيقية الحسية متعددة متفاوته بالقوةوالضعف والشدة والخفة ، وكذلك الظلمات المعنوية التى جعلت تلك تمثيلا لها ـ وهى الضلالات هى أنواع متفاوتة من غير شك .

وكل من النور الحسى المعهود ، والمعنوى الذى هو الهداية والرشاد له أفراد متفاوتة أيضا بالقوة والضعف .

ومثل ذلك يقال فى الظل والحرور ، وهما تمثيل للثواب والعقاب ، وكذلك الحال فى الأحياء والأموات ،وما جعل الأحياء والأموات تمثيلا لهم ، وهم المؤمنون والكفار .

واذن فالمراد نفى استواء كل واحد من هذه المتقابلات فى نفسه ، ثم نفى استوائه ومقابله بالأولى .

وقد عاب الشيخ على الزمخشرى أنه لم يعرض هنا لرأيه الذى ذكره فى آية : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة » .

والزمخشرى أدق نظرا من الشيخ .وهو رجل ذو ذوق وبيان فى العربية ولعله أدرك أن ما صار اليه الشيخ مزق الآيات تمزيقا فجعل المراد من الأولى نفى الاستواء بين المتقابلين ، وفى باقى الآيات نفى تساوى كل من المتقابلات فى ذاته أولا .

واذاكان الأعمى والبصير لا تتفاوت أفرادهما الحسية ، فان أفرادهما المعنوية متفاوتة ، فعلى طريقة الشيخ : المراد من الأعمى هنا الضال ، ومن البصير المهتدى ، ولا شك أن أفراد الضال والمهتدى متفاوتة .

وهل لو قيل لا يستوى العميان ولا يستوى البصراء يعجزنا القول ان أفراد كل منهما متفاوتة .

والعمى أنواع ، وكذلك البصر أنواع .

أعمى ضعيف الاحساس بالأشياء ، وأعمى قوى الاحساس وبينهما درجات فى القدرة على الاحساس بالحياة .

وفى البصراء الأعشى والأعور وزرقاء اليمامة .

وكذلك فعل الشيخ فى قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء » فقد جعل نفى التساوى فى أول الآيتين بين المتقابلين ، ثم جعله بين كل من المتقابلين فى النفى ، فعرض الآية للتمزيق ، وهو ما يأباه الذوق العربى .

وعندى أن القول بزيادة الحرف أولى من هذا التكلف الذى يفتح أبوابا للاعتراض .

هذا . ولعلنا من هذا العرض قد وضح لدينا آراء بعض العلماء فى القول بالزيادة وعدمها ، ومع ذلك نزيد الأمر ايضاحا فنذكر ما وقفنا عليه من وجهات نظر بعض العلماء فى هذه القضية .

د . على حسن العمارى

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

٦١ ـ ولا يفرقون بين البغاء بضم البـاء ، والبغـاء بكسرها ، والبغى بفتحها ، وكلها مصادر للفعل بغى .

فالأول معناه : الطلب ،تقول : بغيت الشيء أبغيه بغاء ، وبغية بضمهما ، وبغية بالكسر اذا طلبته ، فأنت باغ ، وهم بغاة ، وبغيان بضمهما ، كراع ، ورعاة ، ورعيان ومنه قوله جل شأنه: « قل أغير الله أبغى ربا » .

أما الثانى فمعناه : الفجور والزنى: تقـول : بغت الجارية تبغى بغـاء فهى بغى وزان غنى اذا كـانت طلـوبا للرجال ، وهن بغايا ،ومنه قوله تعالى : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء » .

وأما الثالث فهو : الاستطالة والظلم والعـدول عن الحق ، ومنـه قوله سـبحانه : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهـم » وقوله : « انمـا بغيكم على أنفسكم » .

٦٢ ـ ولا يفـرقون بين السـين وسوف ، وكلتاهما مختصة بالدخول على المضارع ، وتخلصه للاستقبال .

والفرق بينهما هو أن سوف تنفرد عن السين بدخول اللام عليها ، تقول : لسـوف أقابلك وقتما تعـود من بلاد الحجـاز ، ومن هـذا قوله تعـالى : « ولسـوف يعطيـك ربك فترضى » وقـوله : « انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون » .

وتنفرد أيضا بأنها قد تفصل بالفعل الملغى كما فى قول زهير :

وما أدرى وسوف اخال أدرى
أقـوم آل حصـن أم نسـاء ؟

قال صاحب الصحاح : ولا يفصل بينها وبين الفعل ، لأنها بمنزلة السين فى سيفعل، ولهذا لا يجوز أن يقال : سوف لا أفعل كذا كما يقول كثير من الخاصة .

ولاصلاح هـذا التعبير يجب أن يقال : لن أعمـل كذا ، أو لا أعمـل كذا ،لأن المضارع يتخلص بعد (لا) للاستقبال عند الأكثرين •

٦٣ ـ ولا يفـــرقون بين ترب الثـــلاثى ، وأترب الرباعى ، وبين معنييهما تنـاقض وتضـاد ، تقول من الأول : ترب الرجل من باب تعب اذا افتقر ، كأنه لصق بالتراب ، فهو ترب وقوله عليه السلام لمن استشاره فيمن تصـلح للنـكاح « عليك بذات الدين تربت يداك » فيه جملـة تربت يداك من الجمـل التى وردت عن العرب صورتها دعاء ، ولا يراد بها الدعاء ، بل المراد الحث والتحريض •

وتقـول من الثانى : أترب الرجل اذا استغنى ، كأنه صار له من المـال قدر التراب •

ويقال لمن افتقر بعد الغنى : ترب فلان بعد ما أترب •

٦٤ ـ ولا يفرقون بين أبصر المزيد بالهمـز ، وبصر وزان كرم ،وبصر المزيد بالتضـعيف وتبصر بتشـديد الصاد •

والحق أن لكل منها معنى خاصـا به فمن الأول تقـول أبصر فـلان الشيء اذا رآه بالبصر وهو حس العين، ومنه قوله تعالى : « فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » ، وقد يأتى لازما على سبيل المجاز كمـا فى قولك : أبصر الطريق اذا استبان ووضح •

ومن الثـانى نقـول : بصر بالشيء وبصـارة من باب ظرف اذا علم به ، فهـو بصـير به ، وهم بصراء ، وفى التنزيل : « انه كان بعبـاده خبـيرا بصيرا » ، وهذا الفعل يتعدى بالبـاء فى اللغة الفصحى كما فى قوله عز شأنه : « بصرت بما لم يبصروا به » ، وقوله : « فبصرت به عن جنب » •

وتقول : اجعلنى بصيرا على هؤلاء القوم أى رقيبـا ، كقولك فلان عين عليهم •

والبصيرة العبرة كمـا فى قولك : أما لك بصيرة فى هـذا ؟ أى عبرة ، جمعها بصـائر ، قال قس بن ساعدة الأيادى :

فى الذاهبـين الأولـــ
ين من القـرون لنا بصـائر

وهى أيضـا الحجة كمـا فى قوله تعالى : «بل الانسان على نفسه بصيرة» قال الأخفش : جعله هو البصيرة كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك

ومن المجاز قولك : لفلان فراسة ذات بصيرة أى فراسة صادقة •

ومن الثالث نقول : بصره بكذا تبصيرا اذا عرفه به وعلمه اياه ، وقد يأتى لازما كما فى قولك بصر الرجل تبصيرا اذا أتى البصرة بفتح الباء وتكسر ، كما تقول : كوف اذا أتى الكوفة ، قال ابن أحمر :

أخبر من لاقيت أنى مبصر
وكائن ترى من الناس بصرا

ومن معانى التبصير الضرب بالسيف ، تقول : بصرته بالسيف اذا ضربته فبصر بحاله وعرف قدره ، قال :

فلما التقينا بصر السيف رأسه
فأصبح منبوذا على رأس صفصف(١)

ومن الرابع تقول : تبصر فلان اذا فكر وتأمل، ومن هذا قول زهير :

تبصر خليلى هل ترى من ظعائن
تحملن(٢) بالعلياء من فوق جرثم (٣)

٦٥ — ولا يفرقون فى المعنى بين التعبيرين : بخرت لنا ، وبخرت علينا تبخيرا ، كلاهما بالفعل المضعف فالتعبير الأول معناه أنه طيب لهم الجو برائحة البخور ، أما الثانى فمعناه أنه أنتن الجو برائحة البخر الذى يخرج من فمه ، والبخر بالتحريك هو الرائحة النتنة التى تخرج من الفم ، ولذا يقال : أردت أن تبخر لنا فبخرت علينا ، تقول : بخر الفم يبخر بخرا من باب تعب اذا أنتنت ريحه ، فالذكر أبخر والأنثى بخراء والجمع لهما بخر بالضم ، ومن كلام الدؤلى : لا يصلح للخلافة من لا يصبر على سرار (٤) الشيوخ البخر •

٦٦ — ولا يفرقون بين السكر بفتحتين ، والسكر وزان الضرب ، والسكر وزان العلم ، والسكور بالضم ، والتساكر ، والتسكير •

فهو بالتحريك قد يكون مصدرا معناه زوال العقل وغيابه ، تقول :

---

(١) الصفصف : المستوى من الأرض •
(٢) تحملن : ارتحلن •
(٣) جرثم وزان قنفذ : علم على ماء •
(٤) السرار بالكسر : المسارة ، تقول سارة مسارة وسرارا اذا تحدث اليه سرا •

سكر من الشراب يسكر سكرا من باب طرب اذا غاب عقله ، والاسم السكر بالضم ، فهو سكر كطرب ، وسكران ، وهو سكير بالكسر ، وسكور بالفتح اذا كان كثير شرب الخمر ، وهو سكير بكسرتين ثانيتهما مشددة اذا كان دائم السكر •

ويقال : هى سكرى ، وفى لغة بنى أسد سكرانة ، وهم وهن سكارى بفتح السين وضمها ، وفى التنزيل : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »

والسكر قد يكون اسما لشراب يتخذ من التمر والعنب ، ومنه قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا » فالسكر الخمر ، والرزق الحسن هو التمر والزبيب •

وقد يكون اسما للغضب الشديد والغيظ كما فى قول الشاعر :

فجاءونا لهم سكر علينا
فأجلى اليوم والسكران صاحى

وأما السكر وزان الضرب فهو السد ، تقول : سكرت النهر من باب نصر سكرا اذا سددت فاه ، وكل شق سد فقد سكر •

وأما السكر بالكسر فهو اسم ذلك السداد •

وأما السكور بالضم فمعناه السكون والفتور كالسكران بالتحريك ، تقول سكرت الريح تسكر سكورا وسكرانا اذا سكنت بعد الهبوب ، وليلة ساكرة أى ساكنة الريح ، قال أوس بن حجر :

تزاد ليالى فى طولها
فليست بطلق ولا ساكرة

ويقال : سكر الحر اذا فتر ، وكذلك الطعام ، والماء الحار اذا سكنت فورته ، تقول : اصبر حتى يسكر ، وسكر الماء سكورا فهو ساكر أى ساكن لا يجرى ، قال :

أأن غردت يوما بواد حمامة
بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر

تغنى الضحى والعصر فى مرجحنة(١)
نياف (٢) الأعالى تحتها الماء ساكر

---

(١) المرجحنة : السحابة الثقيلة •

(٢) نياف الأعالى : طويلة فى ارتفاع ، والأصل نواف ، قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها .

وأما التساكر فهو أن يرى الانسان من نفسه أنه سكران ، وليس به سكر ، أنشد سيبويه للفرزدق :

أسكران كان ابن المراغة اذ هجا
تميما بجوف الشام أم متساكر

وأما التسكير فهو الحبس كما فى قوله تعالى : « انما سكرت أبصارنا » أى حبست عن النظر وحيرت ، وقيل غطيت وغشيت ، وقرأها الحسن مخففة ، وفسرها بقوله سحرت ، ويؤيد هذا كلمة مسحورون فى آخر الآية .

٦٧ – ولا يفرقون بين المنى بفتح الميم والنون ، والمنى بضم الميم وفتح النون ، ومنى بالكسر مع التنوين ، فالأول معناه القدر ، تقول : منى الله الخير اذ قدره ، وأنا راض بمنى الله أى بقدره ، وما تدرى ما يتمنى لك المانى ، أى ما تدرى ما يقدر لك الله ، قال :

ولا تقولن لشىء لست أفعله
حتى تبين ما يمنى لك المانى

ويقال : ساقه المنى الى درك المنى ، قال :

لعمر أبى عمرو لقد ساقه المنى
الى جدث(١) يزوى له بالأهاضب(٢)

وقال :

سأعمل نص العيس(٣) حتى يكفنى
غنى المال يوما أو منى الحدثان

والمنى أيضا الابتلاء والاختبار ، تقول : مناه يمنوه اذا ابتلاه واختبره والمنى كيل أو ميزان ، ويقال فى تثنيته منوان ومنيان ، وجمعه أمناء .

ويقال : البيت المعمور منى مكة أى بحذائها .

أما الثانى فهو جمع منية بالضم ، وهى ما يتمناه الانسان كالأمنية وجمعها الأمانى ، والأمانى بالتخفيف والتشديد ، ومن الأخيرة قوله تعالى : « تلك أمانيهم » .

وأما منى بالكسر فاسم لموضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال ، وهو مذكر

(١) الجدث : القبر .
(٢) الأهاضيب : جمع أهضوبة وهى المطرة .
(٣) العيس : الابل البيضاء .

مصروف ، وسمى بهذا الاسم لما يمنى فيه من الدماء ويراق ، وقيل لأن جبريل عليه السلام لما أراد أن يفارق آدم ،قال له : تمن قال : أتمنى الجنة ،فسمى منى لأمنية آدم ، تقول : أمنى فلان ، وامتنى اذا أتى منى أو نزله .

٦٨ ـ ولا يفرقون بين التعبيرات الأربعة الآتية ، وكلها يفيد معنى الموت :

١ ـ خفت فلان خفوتا ، وخفاتا بضمهما .

٢ ـ قضى الرجل نحبه .

٣ ـ احتضر الشاب بالبناء للمجهول .

٤ ـ مات الجندى حتف أنفه .

فالتعبير الأول : يفيد أنه مات فجأة ، مأخوذ من خفت اذا سكت فلم يتكلم وأخذ السكات والخفات ، وذلك اذا سكن وانقطع كلامه .

والثانى يفيد أنه مات أو قتل فى سبيل الله ، وأصل النحب النذر ، تقول : هو نحب عليه أى نذر ، قال حسان بن ثابت :

مساميح أبطال يرجون للندى
يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

وفى التنزيل : « فمنهم من قضى نحبه » أى مات فى سبيل الله فجأة ، كأن الموت نذر فى عنقه .

والثالث : يشير الى أنه مات فتيا ، مأخوذ من قولهم : اختضر النبات اذا أكل أخضر ، واختضرت الفاكهة اذا أكلت قبل ادراكها ، واختضر الرجل الشجر اذا قطعه أخضر .

وأما الرابع : فانه يدل على أنه مات على فراشه من غير قتل ، ولا ضرب ، ولا غرق ، ولا حرق ، وانما خص الأنف بذلك ، لأنهم أرادوا أن روحه تخرج من أنفه بتتابع نفسه ، أو لأنهم كانوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه ، والجريح من جراحته .

٦٩ ـ ولا يفرقون بين العرف بفتح العين ،والعرف بضمها ، والعرف بكسرها فمعناه بالفتح : الريح طيبة أو منتنة ، وأكثر استعماله فى الطيبة .

تقول : لهذه الزهرة عرف ذكى ، وما أطيب عرف هذه الوردة .

وكذلك هو مصدر عرف فى قولك : عرف الرجل الفرس عرفا اذا جز عرفه .

ومعنـاه بالضم : الجود والمعروف كالعارفة ، تقـول : أوليت فلانا عرفا أى معـــروفا ، وهو كذلك اسم من الاعتراف ، تقول : لفـلان على ألف عرفا أى اعترافا ، وهو أيضا التتابع ، تقـول : طار القطـا عرفا أى بعضهـا خلف بعض ، وجاء القـوم عرفا عرفا أى متتابعين ، ومنه قوله جل شـأنه : « والمرسلات عرفا » •

وعرف الديك لحمة مسـتطيلة فى أعلى رأسـه ، وعرف الفـرس هو الشعر النابت فوق رقبته ، وقد تضـم راؤه •

وأما مكسور العين فمعناه الصبر ، تقول : يمتاز فلان بحسن العرف أى الصبر ، قال :

قل لابن قيس أخى الرقيـات
ما أحسن العرف فى المصيبـات

وهو أيضا المعرفة ،ومنه قول بعض العرب : ما عرف عرفى الا بأخرة أى ما عرفنى الا أخيرا •

٧٠ ـ ولا يفرقون بين الاعتراف ، والاستعراف ، والتعريف ، والتعارف فالأول معناه : الاستخبار،تقول : اذهب الى هؤلاء فاعترفهم أى استخبرهم ، قال بشر :

أسـائلة عمـيرة عن أبيهـا
خلال الجيش تعترف الـركابا

أى تستخبرهم وتسألهم عن أبيها •

وكذلك هـو الاقــرار بالشىء ، تقول : اعترف فلان بذنبه ، أو بمـا عليه من الدين اعترافا اذا أقر به •

أما الثانى فمعناه : تعريف الانسان بنفسه ، تقـول : أتيت فلانا متنكرا ثم استعرفت ، قال مزاحم العقيلى :

فاســتعرفا ثم قـولا ان ذا رحـم
هيمان (١) كلفنا من شـأنكم عسرا
فان بغت آية تســتعرفان بهـا
يوما فقولالها العود الذىاختضر(٢)

وأما الثالثفمعناه : الاعلام ،وانشاد الضالة ، والتطييب من العرف ، وقيل

---

(١) الهيمان : العطشان ، تقول : جمل هيمان وابل هيام بالكسر أى عطاش ، وقوم هيم بالكسر عطاش أيضا •
(٢) اختضر : تقول : اختضر العود او النبات بالبناء للمجهول اذا اخذ او اكل طريا غضا

فى قوله تعالى : « ويدخلهم الجنة عرفها لهم » أى طيبها لهم .

والتعريف أيضا الوقوف بعرفات ، تقول : عرف القوم تعريفا اذا وقفوا بعرفات كما يقال : عيدوا تعييدا اذا حضروا العيد ، وجمعوا تجميعا اذا شهدوا الجمعة .

وأما التعارف فهو أن يعرف بعض الناس بعضا كما فى قوله تعالى : « وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وقوله : « كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار يتعارفون بينهم » .؟

عباس أبو السعود

حفص بن غياث أبو عمر النخعي الكوفي القاضي

١١٧-١٩٤ هجرية

للدكتور محمد ابراهيم الجيوشي

ولد حفص بالكوفة سنة ١١٧ هـ ونشأ وتربى بها وتعلم أولا بها وتلقى عن رجالها ثم أخذ العلم عن شيوخ عصره وأعلامه الثقات من أمثال هشام ابن عروة واسماعيل بن أبي خالد وسليمان الأعمش وأبي اسحاق الشيباني وجعفر بن محمد بن على وسفيان الثورى ومن فى طبقتهم .

وتلقى عنه أعلام مشهود لهم بالورع والتقى والصلاح والاستقامة ، من أمثال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى بن المدينى واسحاق بن راهويه وعامة الكوفيين .

وكان حفص كثير الحديث حافظا له ، ثبتا فيه ، وكان مقدما عند المشايخ الذين سمع منهم الحديث ، وكان يحدث بالكوفة وبغداد من حفظه لم يخرج كتابا وكتبوا عنه أربعة آلاف حديث من حفظه .

وكانت تربطه صداقة ومودة وزمالة علمية بكل من عبد الله بن ادريس ووكيع بن الجراح وقد بلغ ثلاثتهم فى العلم والعمل شأوا بعيدا حتى أصبحوا ممن يشار اليهم بالبنان ، وكان ثلاثتهم ممن وقع عليهم اختيار الرشيد من رجال دولته ليسند اليهم القضاء ، أما صاحباه فاحتال كل منهما للتخلص من مسئولية القضاء وأما غياث فأسند اليه القضاء أما قصة عرض القضاء عليهم فيوردها ابن الجوزى فى صفوة الصفوة عن بعض المحدثين قال : سألت وكيعا عن مقدمه هو وابن ادريس وحفص على هارون الرشيد فقال : كان أول من دعى به أنا ، فقال لى هارون : يا وكيع : ان أهل بلدك طلبوا منى قاضيا ، وسموك لى فيمن سموا ، وقد رأيت أن أشركك فى أمانتى .

فقلت : يا أمير المؤمنين أنا شيخ كبير واحدى عينى ذاهبة والأخرى ضعيفة .

فقال هارون : اللهم غفرا ، خذ عهدك أيها الرجل وامض .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، والله لئن كنت صادقا انه لينبغى أن يقبل منى ، ولئن كنت كاذبا فما ينبغى أن تولى القضاء كذابا .

فقال : أخرج . فخرجت .

ودخل ابن ادريس ، فسمعنا وقع ركبتيه على الأرض حين برك ، وما سمعناه يسلم الا سلاما خفيا .

فقال له هارون : أتدرى لم دعوتك ؟

قال : لا .

قال : ان أهل بلدك طلبوا منى قاضيا وأنهم سموك فيمن سموا ، وقد رأيت أن أشركك فى أمانتى وأدخلك فى صالح ما أدخل فيه من أمر هذه الأمة فخذ عهدك وامض .

فقال له ابن ادريس : لست أصلح للقضاء .

فنكث هارون بأصبعه وقال : وددت أنى لم أكن رأيتك .

فقال له ابن ادريس : وأنا وددت أنى لم أكن رأيتك . فخرج .

ثم دخل حفص فقبل عهده . وكان ذلك عام ١٧٧ وكانت سنه ستين سنة .

فأتى خادم معه ثلاثة أكياس فى كل كيس خمسة آلاف .

فقال لى : ان أمير المؤمنين يقرئك السلام ، ويقول لكم ، قد لزمتكم فى شخوصكم مئونة ، فاستعينوا بهذه فى سفركم .

قال وكيع : فقلت له : اقرىء أمير المؤمنين السلام ، وقل له : قد وقعت منى بحيث يحب أمير المؤمنين ، وأنا مستغن عنها .

وأما ابن ادريس فصاح به : مر من ها هنا ، وقبلها حفص

وخرجت الرقعة الى ابن ادريس من بيننا : عافانا الله واياك ، سألناك أن تدخل فى أعمالنا فلم تفعل ، ووصلناك من أموالنا فلم تقبل ، فاذا جاءك ابنى المأمون فحدثه ان شاء الله .

فقـــال للرســـــول : اذا جاءنا مع الجمـــاعة حدثنـــاه ان شاء الله ، ثم مضينا فلمـــا صرنا الى الياسرية التفت ابن ادريس الى حفص فقـــال : قد علمت أنك ستبلى ، والله لا أكلمك حتى تموت فما كلمه حتى مات (١) .

وكان ابن ادريس قد لاحظ وهم فى طريقهم الى بغداد لملاقاة الخليفـة أن حفصا قد طرى خضابه حين قرب من بغداد ، فالتفت الى وكيع وقال: أما هذا فقد قبـل (٢) وقد كان من دأب الصـالحين أن يتحرزوا عن قبـــول القضاء ما كانت لهم مندوحة ويبـدو أن حفصا لم يقبل القضـاء راغبـا فيه ولا متطلعا الىمكانة أو رياسة أو جاه ، وانما ألجأه الى ذلك قسـوة الحيـــاة وثقل تبعـــاتها وحاجة أهله وولده ، ولذلك يروى عنه أنه قـال : ما قبلت القضاء حتى حلت لى الميتـة .. يعنى أنه كان مضطـرا الى ذلك ، وقـال : لولا غلبة الدين والعيال ما وليت (٣) وكان يقول : لو رأيت أنى أسر بما أنا فيه لهلكت ، وجاء رجل يسأله عن مسائل القضاء ، فقال له : لعلك تريد أن تكون قاضـيا ؟ لأن يدخل الرجل اصبعه فى عينه فيقتلعها فيرمى بها خير له من أن يكون قاضيا (٤) .

ولا تصـدر هذه الكلمـات الا عن رجل يسـتشعر مســئوليته أمام ربه ويدرك عظم الخطر الذى أقدم عليـه من توليه مثل هذا المنصب الخطـير ، ولذلك كان ادراكه هذا حاجزا له أن ينغمس فيما ينغمس فيه طلاب المجـد والشهرة والجاه أو أن يبالى على من يحكم ما دام قد وضح الحق أمامه .

ولعلنا ندرك مدى ما امتاز به حفص طوال مدة قضائه من النزاهة وتحرى الحق والقيام بالعدل حينما نستحضر ما روى منســوبا الى أبى يوسف من أنه قال لأصـحابه حين ولى حفص : تعالوا نكتب نوادر حفص، فلما وردت أحكامه وقضـــاياه على أبى يوسف ، قال له أصـحابه : أين النـوادر التى زعمت نكتبها ؟

قال : ويحكم ، ان حفصا أراد الله فوفقه ، وفى رواية أخرى ما أصنع بقيام الليل ، يريد أن الله وفقه ببركة قيام الليل فى الحكم .

(١) صفوة الصفوة جـ٣ ص ١٠٠
(٢) تاريخ بغداد جـ٨ ص ٨٩
(٣) تاريخ بغداد جـ ٨ ص ٨٩
(٤) تاريخ بغداد جـ٨ ص ٨٩

ويبدو أن حفصا كان شديد المراقبة لنفسه مستشعرا لخطر ما هو فيه ، ولذلك كان واثقا من اكرام الله له ، وكان لا يبالى على من يقع حكمه ، فيروى ابنه وكان صالحا عالما فيقول : لما حضرت أبى الوفاة أغمى عليه ، فبكيت عند رأسه ، فأفاق ، فقال : ما يبكيك ؟ .

قلت أبكى لفراقك ، ولما دخلت فيه من هذا الأمر - يعنى القضاء - .

فقال : لا تبك ، فانى ما حللت سراويلى على حرام قط ، ولا جلس بين يدى خصمان فباليت على من توجه الحكم منهما (١) .

وولى حفص قضاء بغداد عامين ثم ولى قضاء الكوفة ثلاثة عشر عاما كان فيها مثال النزاهة والاستقامة والحرص على اقامة العدل وحفظ كرامة القاضى ونزاهة القضاء ، وقد روى أنه كان جالسا فى الشرقية (شرق بغداد) للقضاء ، فجاء اليه رسول الخليفة يدعوه ، فقال له : حتى أفرغ من أمر الخصوم اذ كنت أجيرا لهم ، وأجير الى أمير المؤمنين ، ولم يقم حتى تفرق الخصوم (٢) وكان يرى أنه لا يستحق مرتبه اذا لم يجلس للقضاء حتى ولو كان امتناعه عن الجلوس للقضاء بسبب المرض ، فقد حدث غنام بن حفص قال : مرض حفص بن غياث خمسة عشر يوما ، فدفع الى مائة درهم ، فقال : امض بها الى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوما لم أحكم فيها بين المسلمين لاحظ لى فيها (٣) .

ووقف حفص منتصرا لرجل من خراسان ضد وكيل أم جعفر زوج هارون الرشيد وألقى به فى الحبس حتى يعطى للرجل حقه ولم يبال اذا كان حكمه هكذا سيجر عليه غضب الخليفة أولا بل أنه تعمد أن ينتهى من انفاذ الحكم قبل أن يتخذ الخليفة أمرا بعزله أو نقله الى مكان آخر ، وقصة هذا الحكم الذى وقف فيه حفص وجها لوجه يتحدى مكانة زوج الرشيد بحبس وكيلها تتلخص فى أن رجلا من خراسان باع جمالا بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسى وكيل أم

(٣،٢،١) تاريخ بغداد جـ ٨ ص ١٩٠

جعفر ، فمطله بثمنها وحبسه فطال ذلك على الخراسانى ، فأتى ببعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره .

فقال : اذهب اليه ، فقل له اعطنى ألف درهم وأحيل عليك بالمال الباقى وأخرج الى خراسان ، فان فعل هكذا فالقنى حتى أشير عليك ، ففعل الرجل ، وأتى مرزبان ، فأعطاه ألف درهم ، فرجع الى الرجل فأخبره ، فقال : عد اليه ، فقل له : اذا ركبت غدا فطريقك على القاضى تحضر وأوكل رجلا يقبض المال وأخرج .

فاذا جلس القاضى ، فادع عليه ما بقى لك من المال .

فاذا أقر ، حبسه حفص وأخذت مالك .

فرجع الى مرزبان فسأله ، فقال : انتظرنى بباب القاضى ، فلما ركب من الغد وثب اليه الرجل ، فقال : ان رأيت أن تنزل الى القاضى حتى أوكل بقبض المال وأخرج .

فنزل مرزبان ، فتقدما الى حفص ابن غياث ، فقال الرجل :

أصلح الله القاضى لى على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم .

فقال حفص : ما تقول يا مجوسى ؟

قال : صدق ، أصلح الله القاضى .

قال : ما تقول يارجل ، فقد أقر لك ؟

قال : يعطينى مالى ، أصلح الله القاضى .

فأقبل حفص على المجوسى فقال : ما تقول ؟

قال : هذا المال على السيدة .

قال : أنت أحمق ، تقر ثم تقول على السيدة .

ما تقول يارجل ؟

قال أصلح الله القاضى ، ان أعطانى مالى والا حبسته .

قال حفص : ما تقول ، يامجوسى ؟

قال : المال على السيدة .

قال : حفص ، خذوا بيده الى الحبس .

فلما حبس بلغ الخبر أم جعفر فغضبت ، وبعثت الى السندى وجه الى مرزبان ، وكانت القضاة تحبس الغرماء فى الحبس ، فعجل السندى باخراجه ، وبلغ حفصا الخبر .

فقـــال : أحبس أنـا ، ويخرج السندى ؟ لا جلست مجلسى هذا أو يرد مرزبان الى الحبس •

فجاء السندى الى أم جعفر فقال : الله الله فى أنه حـفص بن غيـاث ، وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لى بأمر من أخرجته ؟ رديه الى الحبس ، وأنا أكلم حفصا فى أمره •

فأجابته فرجع مرزبان الى الحبس•

فقـالت أم جعفـــر : يا هارون ، قاضيك هذا أحمق ، حبس وكيلى ، واسـتخف بـه ، فمره لا ينظر فى الحكم ، وتولى أمره الى أبى يوسف •

فأمر لها بالكتاب •

وبلغ حفصا الخبر ، فقال للرجل، أحضر لى شهودا ، حتى أسجل لك على المجوسى بالمـال ، فجلس حفص فسجل على المجوسى •

وورد كتاب هارون مع خادم له •

فقال : هذا كتاب أمير المؤمنين •

قال : مكانك ، نحن فى شىء حتى نفرغ منه •

فقال : كتاب أمير المؤمنين •

قال : انظر ما يقال لك •

فلما فرغ حفص من السجل أخذ الكتاب من الخادم فقرأه •

فقـــال : اقرأ على أمير المؤمنـين السلام ، وأخبره أن كتابه ورد وقد نفذت الحكم فقال الخادم : قد والله عرفت ما صنعت ، أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ ممـا تريد ، والله لأخبرن أمير المؤمنين بما فعلت •

فقال حفص : قل له ما أحببت •

فجـاء الخـادم ، فأخبر هـارون فضحك ، وقال للحاجب : مر لحفص ابن غياث بثلاثين ألف درهم •

فركب يحيى بن خالد ، فاسـتقبل حفصـا منصرفا من مجلس القضـاء فقال : أيها القاضى ، لقد سررت أمير المؤمنين اليوم ، وأمر لك بثلاثين ألف درهم ، فما كان السبب فى هذا ؟

قال : تمم الله سرور أمير المؤمنين ، وأحسن حفظه وكلاءته ، مازدت على ما أفعل كل يوم ، ثم قال : على ذاك ما أعلم الا أن يكـون سـجلت على مرزبان المجوسى بما وجب عليه •

فقال يحيى بن خالد : فمن هـذا سر أمير المؤمنين •

فقال حفص : الحمد لله كثيرا (١).

وهذا موقف محمود من حرصه على اقامة العدل ورد الحقوق الى أصحابها مهما كان الغريم صاحب سلطان وجاه ، والموقف الأكثر نبلا هو موقف هارون الذى أعجبه تمسك قاضيه بالعدل وحرصه على نزاهة الحكم واستقلاله فلم تأخذه العزة بالاثم ولم تغلبه نشوة السلطان حين تجرأ قاض فأخر استلام كتابه حتى ينفذ حكمه وهو يعلم أن كتابه هذا يتعلق بالحكم الذى قام القاضى بتسجيله متحديا بذلك رغبة الخليفة غير مبال بسلطان أم جعفر ، أعجب هذا الموقف الشجاع هارون وسره أن يكون فى دولة الخلافة من يصرح بكلمة الحق حتى ولو كانت ضد بيت الخليفة نفسه ، وعبر عن سروره هذا بالمكافأة السخية التى صرفها الى القاضى المعتز برأيه المتمسك بحقه فى الاستقلال واصدار الرأى وجن جنون أم جعفر ، وزاد حنقها على حفص وألحت على هارون فى عزله ، وهددته بفساد العلاقة بينهما ان لم يعزله قائلة : لا أنا ولا أنت الا أن تعزل حفصا ، وهو يأبى عليها وهى تلحف عليه .

ولكن جعفرا لايريد أن يحرم دولته من رجل له كفاءة حفص وشجاعته وقدرته على الجهر بالحق ، فأسند اليه قضاء الكوفة حيث بقى قاضيا بها ثلاثة عشر عاما حتى لقى ربه راضيا مرضيا .

وقد استحوذ حفص على اعجاب رجال الدولة بما طبع عليه من أدب راق وتعبير نقى وحسن بصر بالأمور، فهذا معاذ بن معاذ يقول مثنيا عليه : ما كان أحد من القضاة يأتينى كتابه أحب الى من كتاب حفص بن غياث ، كان اذا كتب الى كتابا كان فى كتابه : أما بعد : أصلحنا الله واياك بما أصلح به عباده الصالحين ، فانه هو الذى أصلحهم ، وكان ذلك يعجبنى منه .

ومات يوم مات ولم يخلف درهما ، وخلف عليه تسعمائه درهم دينا ، وكان يقال ختم القضاء بحفص ابن غياث .

ولما مات زميله بن ادريس أصيب بالفالج ثم لم يلبث أن توفى فى عشر ذى الحجة سنة ١٩٤ هـ فرحمه الله رحمة واسعة ؟

د . محمد ابراهيم الجيوشى

---

(١) تاريخ بغداد جـ٨ ص١٩١ ــ ١٩٢

صفحات من تاريخ القاهرة (٤)

جاردن سيتى - الإسماعيلية - قصر النيل - الزمالك

للأستاذ محمد كمال السيد

ذكرنا فى مقال سابق أن لما انحسر النيل غربا فى القرنين السادس والسابع الهجريين (= ١٢ - ١٣ م) ظهرت أراضى نعرفها الآن بأسماء باب اللوق وفم الخليج والمنيرة وجاردن سيتى وميدان التحرير وشارع سليمان باشا وشارع قصر النيل وغيرها ٠

كما ذكرنا أن أرض اللوق كانت تغطى مساحة فى عابدين شرقا الى مجرى النيل الحالى غربا ٠ ومن حى المنيرة جنوبا الى موقع شارع ٢٦ يولية شمالا (فؤاد الأول سابقا) ٠

كما ذكرنا أن الصالح نجم الدين أيوب أنشأ سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) ميدانا للعب الأكره وألعاب الفروسية والرماية وما أشبه ذلك ٠ محله الآن تقريبا ميدانا باب اللوق والأزهار الحاليان ٠ وكان لهذا الميدان سور وباب ٠ ومن هنا جاء اسم باب اللوق٠

ثم ألغى الظاهر بيبرس (حكم فى ٦٥٨- ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ -١٢٧٧م) هذا الميدانوأنشأ آخر غربا منه موقعه الآن ميدان التحرير والجزء الشمالى من جاردن سيتى ٠ وظل هذا الميدان الأخير حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون (حكم فى ٦٩٣ - ٧٤١ هـ خلع فى فترتين كل منها مدتها خمس سنوات تقريبا) ٠

وحين استتب الأمر للناصر محمد ابن قلاوون فى سلطنته الثالثة (٧٠٩ - ٧٤١ هـ) ألغى هذا الميدان الذى أنشأه الظاهر بيبرس ٠ وجعل مكانه بستانا زرع فيه متنوع الأصناف من الفواكه والزهور ٠ وجلب كثيرا من الأصناف من الشام ٠ وكان البستان يشرف على النيل غربا ٠

ولما زادت مكانة الأمير قوصون (منشىء الجامع بشارع القلعة أمام

الحلمية الجديدة الذى تحرف العامة اسمه الى جامع قيسون) أقطعه الناصر هذا البستان • فأنشأ فيه زريبة تطل على النيل • وعرف المكان باسم خط زريبة قوصون •

والزريبة مكان لتربية الخيول والماشية • وكان يحاط بزربى من البوص أو الغاب ويشد بالحبال • ثم يطين بالطين ليزداد تماسكا •

وظهرت فى ذاك الوقت فى النيل شمال جزيرة الروضة جزيرة عرفت باسم جزيرة أروى • بنت فيها الناس الدور • وكانت من متنزهات القاهرة• وكان الفرع الشرقى جنوبى موقع كوبرى قصر النيل وغربى جاردن سيتى والقصر العينى يجف أحيانا فينحسر الماء عن جزيرة أروى فتتصل أرضا بخط زريبة قوصون • وفى أيام الفيضان كانت المياه تغمر شوارع الجزيرة فتنتقل المراكب الصغيرة بين الدور ـ مثل البندقية •

ثم ظهرت جزيرة أخرى شمال جزيرة أروى سنة ٧٣٤ هـ (١٣٧٢م) عرفت بجزيرة حليمة • وعرفت جزيرة أروى عند ذلك بالجزيرة الوسطى • وأقبل الناس على جزيرة حليمة•فبنوا الأخصاص وتأنقوا فيها• فيها • وزرعوا حولها الزهور والمقاتى (البطيخ والشمام والخيار والقثاء ونحوها) واتجه أرباب الخلاعة والمجون اليها • وتهتكوا بأنواع المحرمات • فارتفعت قيمة الأرض حتى بلغت أجرة القصبة الرابعة (١٢ر٦ متر مربع تقريبا) عشرين درهما • فكان ايجار الفدان ٨٠٠٠ درهم (الفدان وقتذاك كان ٤٠٠ قصبة والآن ٣٣٣ قصبة وثلث مع الاختلاف فى طول القصبة) وهذا عن ستة شهور فقط هى التى ينحسر فيها الماء تماما عن الجزيرة •

ولما زاد التهتك والفساد أمر السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون (حكم ٧٤٦ ـ ٧٤٧ هـ) بحرق الأخصاص واراقة الخمور واتلاف ما بها من موجودات•

واتصلت الجزيرتان ـ أروى وحليمة ـ وأصبحتا جزيرة واحدة اسماها الفرنسيون عند دخولهم مصر جزيرة بولاق وأيضا جزيرة القرطية ونعرفها الآن باسم جزيرة الزمالك •

والزمالك أعجميةمعناها الاخصاص وهى بيوت من غاب • والقرط هو البرسيم الأخضر الذى ترعاه الماشية •

فلعل اسم القرطية منه أو هو منسوب الى محمد باشا قورط الوالى العثمانى (تولى على مصر ١٠٠٣ - ١٠٠٤ هـ = ١٥٩٥ - ١٥٩٦ م) •

وأنشأ الناصر محمد بن قلاوون - بدلا من ميدان الظاهر الذى ألغاه وتحول الى زريبة قوصون كما ذكرنا ميدانا آخر موقعه كان بالجزء الجنوبى من موقع جاردن سيتى وبموقع القصر العينى • وأنشأ بجانبه زريبة حفر لأجلها البركة الناصرية (موقعها بحى الناصرية غربى حى الحنفى بالقرب من السيدة زينب) لاستعمال طينها فى عمل الزريبة والبناء •

ولما حفر الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى (كان يبدأ من النيل شمال موقع القصر العينى ويسير فى اتجاه شارع القصر العينى وسليمان باشا حتى ميدان رمسيس ثم فى حى الفجالة والظاهر حتى يلتقى مع الخليج المصرى عند غمره) ازداد عمران هذه الجهة • وأصبحت عامرة بالدور والقصور • وتسير المراكب فى مجرى الخليج الناصرى مزينة بالنهار•مشعة فى الليل بالأنوار • تتجاوب فيها أصوات الموسيقى والغناء • وظلت هكذا حتى القرن التاسع الهجرى (١٥ م) فأصابها ما أصاب العاصمة من تدهور • وخربت الدور وتداعت القصور • وأصبحت خرائب وكيمان واستمر خرابها حتى العصر الحديث•

وفى عهد الخديوى اسماعيل شرع فى تنظيم منطقة الاسماعيلية •

والاسماعيلية اسم كان يطلق على مساحة واسعة حددها على مبارك بأن الحد البحرى شارع بولاق (الذى سمى بعد ذلك فؤاد الأول ثم أخيرا ٢٦ يولية) والقبلى شارع القصر العالى والخليج المصرى (أى تصل جنوبا لفم الخليج) والغربى بعض ساحل النيل وبعض ترعة الاسماعيلية (عند ما كان فمها شمال قصر النيل عند فندق هيلتون تقريبا) والشرقى سور البلد القديم •

وهو يعنى السور الغربى لمدينة مصر القاهرة الذى بناه قره قوش الأسدى فى عهد صلاح الدين الأيوبى عندما أراد عمل سور يحتوى القاهرة الفاطمية والفسطاط وما بينهما بمافى ذلك القلعة • وهذا السور الغربى قد اندثر تماما الآن ولكن يمكن أن نقول فى المراجعات المختلفة أنه كان يبعد

عن النيل الحالى بحوالى ألف متر تقريبا •

وهذه المساحة التى حددها على مبارك طولها فى أبعد مسافاتها ٢٥٠٠ متر وعرضها ١٠٠٠ متر تقريبا وتساوى ٦٠٠ فدان اذا أخذنا بالأقصى فى الحدين المذكورين • ولكن على مبارك ذكر أن مساحة الاسماعيلية ٣٥٩ فدانا •

وكان ميدان التحرير الحالى اسمه لغاية ثورة سنة ١٩٥٢ ميدان الاسماعيلية •

هذه المساحة بعد أن ازدهرت فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ومن تلاه من السلاطين المماليك البحرية أخذت تتدهور ويلحقها الخراب حتى أصبحت كيمانا وبركا ومستنقعات وبعض المزارع هنا وهناك •

فأعيد تخطيطها فى شوارع مستقيمة متقاطعة على زوايا قائمة • فى أغلب الأحيان • وأنشئت فيها عدة ميادين • وجعل على جانبى الشوارع والحارات استطراقان (تلتواران) للمارة • وجعل الوسط للعربات والحيوانات • ومدت فيها مواسير المياه لرش أرضها وسقى بساتينها • ونصبت فيها فنارات الغاز لانارتها واضاءتها فسكنها الأمراء والعظماء والأعيان •وأصبحت ولا تزال ـ سرة المدينة وبها أهم مرافقها من دور الحكومة والبنوك والشركات وكبرى المحلات التجارية وغيرها •

وما كان شرقى شارع القصر العينى عرف أخيرا بالانشاء والمنيرة (وتتكلم عنهما فى قال آخر بأذن الله) وماكان غربى شارع القصر العينى عرف أخيرا بجاردن سيتى والقصر العينى •

جاردن سيتى ـ مدينة الحدائق :

وأنشأ أعضاء أسرة محمد على في موقع جاردن سيتى القصور •

فبنى ابراهيم باشا بن محمد على القصر العالى • وكان يطل غربا على النيل ويصل جنوبا الى الطريق بينه وبين القصر العينى • وشمالا الى الحى المعروف باسم الشيخ يوسف بجاردن سيتى (سيرد ذكره فيما بعد) وشرقا الى شارع القصر العينى الحالى تقريبا •

وفى أواخر سنة ١٨٦٣ م (١٩ رجب سنة ١٢٨٠ هـ) تنازل الخديوى اسماعيل بن ابراهيم لوالدته عن القصر العالى المذكور والأراضى والابنية الملحقة به • وهو محدود فى التنازل المذكور : غربا ساحل النيل • وشرقا بالطريق الموصل الى بولاق ومصر القديمة (أى شارع القصر العينى الحالى) وجنوبا الطريق الفاصل أرض القصر العالى عن القصر العينى وشمالا قصر أخيه أحمد باشا (توفى فى حادث انقلاب قطار السكك الحديدية عند كفر الزيات قبل تولى اسماعيل الحكم) •

وفى أغسطس سنة ١٨٧١ (٦ جمادى الآخرة سنة ١٢٨٨ هـ)صدر أمر اسماعيل : قد اقتضت ارادتنا أن الأراضى والأملاك التى صار مشتراها بجزيرة العبيط التى حدها البحرى طريق كوبرى قصر النيل (كان العمل بالكوبرى على وشك الانتهاء وافتتح رسميا للمرور ١٨٧٢/٢/١٠ والقبلى جنينة المرحوم أحمد باشا • والشرقى طريق الشيخ يوسف الموصل للقصر العالى ومصر القديمة• والغربى البحر الأعظم (أى نهر النيل) • جميع ذلك يكتب به حجة (اى مستند تمليك) باسم ٣ جى (أو جينجى) حرمنا (أى زوجته رقم ٣) ويجرى بناء السراى المستجدة هناك •

ومن الأمرين المذكورين يتضح أن قصر أحمد باشا أخى اسماعيل كان بين سراى الاسماعيلية والقصر العالى •

يعنى أن جاردن سيتى كانت عبارة عن ثلاثة قصور كبيرة • جميعها تطل غربا على النيل • ولكل منها حديقة كبيرة : القصر العالى ويصل جنوبا الى الطريق بينه وبين القصر العينى • ثم شمالا منه قصر أحمد باشا أخى اسماعيل •ثم الثالث سراى الاسماعيلية وكانت تصل شمالا الى كوبرى قصر النيل • وأن الأرض مكان سراى الاسماعيلية كانت تعرف بجزيرة العبيط • وان كان بالجانب الشرقى من سراى الاسماعيلية الحى المعروف بالشيخ يوسف •

وذكر على مبارك أنه بعد شراء ما كان بجزيرة العبيط من المنازل والقصور • شرع فى بناء سراى الاسماعيلية الكبيرة • وقد كان فى نية اسماعيل بناء قصرين • ثم اكتفى

بواحد . فأوقف العمل فى السراى الكبيرة بعد أن صرف على جدرانها ٣٨٨٢٠ جنيها . وتكلفت سراى الاسماعيلية الصغيرة ٢٠١٢٦٠ جنيها.

ونعجب كيف تكون صغيرة وقد تكلفت هذا المبلغ مع رخص الأسعار فى ذلك الوقت . ويزول العجب ونفهم معنى الوصف اذا قارنا هذا المبلغ بما تكلفته باقى السرايات التى أنشأها اسماعيل . فقد تكلفت سراى الجيزة ١٣٩٣٣٧٤ جنيها . وسراى الجزيرة ٨٩٨٦٩١ جنيها . وسراى عابدين ٦٦٥٥٧٠ جنيها . وباقى السرايات ٢٣٣١٦٧٩ جنيها الجملة ما يقرب من الخمسة ملايين من الجنيهات .

وذكر علىمبارك أن جزيرة العبيط هى جزيرة أروى . وأعتقد أن أروى هى الجزء الجنوبى من جزيرة الزمالك الذى عرف بالجزيرة الوسطى ــ لتوسطها بين جزيرة الروضة وجزيرة حليمة السابقة . قبل أن تتصل جزيرة أروى بجزيرة حليمة وتكونان جزيرة الزمالك الحالية . وأن جزيرة العبيط سميت جزيرة تجوزا لانحصارها بين مجرى النيل ومجرى الخليج الناصرى. كما نقول الجزيرة العربية وهى فقط شبه جزيرة .

وموقع سراى الاسماعيلية منه الآن المجمع لمصالح الحكومة بميدان التحرير وما أمامه من فضاء ومتنزهات حتى الشارع المؤدى الى كوبرى قصر النيل .

وذكرنا على مبارك أنمسجد الشيخ العبيط من داخل السور الغربى لسراى الاسماعيلية الصغرى (قرب قناطر النيل المسماه بالكوبرى) فى شرقى الجامع الطيبرسى المعروف الآن بالأربعين . وليس به (يعنى جامع العبيط) مطهرة . وقال وبه ضريح الشيخ العبيط والشيخ زيدان ولم يترجمهما .

وموقع جامع العبيط الآن هو جامع عمر مكرم والشارع غربى الجامع كان اسمه شارع الشيخ العبيط والآن اسمه جامع عمر مكرم .

وغربى الشارع المذكور سراى وزارة الخارجية . التى كان أصلها قصر كمال الدين حسين بن السلطان

حسين كامل بن اسماعيل • وقد ضمت وزارة الخارجية الى القصر المذكور قصرا آخر فى الجهة الغربية منه كانت تملكه السيدة قوت القلوب بنت عبد الرحيم باشا الدمرداش • وكان هذا القصر الأخير بميدان كوبرى قصر النيل الذى كان اسمه ميدان الهامى (نسبة الى الهامى بن عباس حلمى الأول وهو جد عباس حلمى الثانى لوالدته) • كما أن الشارع غربى وزارة الخارجية بوضعها المذكور أى بينها الآن وبين فندق سميراميس كان اسمه الشيخ بركات والآن اسمه كمال الدين صلاح •

وسنعود لذكر كلمات عن هذه الأسماء باذن الله •

وكان جنوبى وزارة الخارجية على يمين المار بشارع الشيخ بركات المذكور متجها الى ميدان كوبرى قصر النيل جامع الشيخ بركات • ولم يذكره على مبارك ضمن المساجد أو الزوايا • وعلى يسار المار بالشارع المذكور خلف فندق سميراميس الجامع الذى ذكره على مبارك باسم جامع الطيبرسى وقال عنه أنه المعروف الآن بالشيخ الأربعين •

ورفض الناس تسميته الجامع المذكور بالطيبرسى سليم • فهذا الموقع كان من ميدان الظاهر بيبرس الذى ألغاه الناصر محمد بن قلاوون وحوله الى بستان ثم أصبح زريبة قوصون كما ذكرنا • أما جامع الطيبرسى فقد كان جنوبى القصر العينى كما يفهم من وصف المقريزى لموقع الجامع المذكور • وجنوبى القصر العينى الآن شارع أسمه جامع الطيبرسى فى موقع الجامع المذكور تقريبا يصل بين شارعى القصر العينى وكورنيش النيل •

ترجمة الطيبرسى :

والطيبرسى المذكور هو طيبرس بن عبد الله الوزيرى أحد المماليك رأى مناما للسلطان لاجين أنه سيصير سلطانا على مصر (حكم فى سنة ٦٩٦ ـ سنة ٦٩٨ هـ) أنه سيصير سلطانا على مصر • وكان لاجين وقتها نائبا على الشام • فوعده ان تحقق هذا أن يقدمه ويرقيه • فلما تملك لاجين فيما بين سلطة الناصر محمد بن قلاوون الأولى والثانية ـ ولاه نقابة الجيش

سنة ٦٩٧ (١٢٩٨ م) فباشرها بأمانة زائدة وعفة مفرطة مع التزام الديانة والمواظبة على فعل الخير • وكان واسع الغنى • وله فى الآثار الجامع والبستان بأراضى بستان الخشاب المطله على النيل خارج القاهرة • (بستان الخشاب كان جنوبى القصر العينى بالقرب من فم الخليج وهناك الآن شارع متفرع من القصر العينى بهذا الاسم) • وهو أول من عمر ببستان الخشاب • ومن آثاره أيضا المدرسة بجوار الجامع الأزهر وهى المدرسة التى أدخلها عبد الرحمن كتخدا مع المدرسة الأقبناوية فى أواخر القرن ١٢ هـ (١٨ م) ضمن الجامع الأزهر والأولى على يمين الداخل من باب الأزهر الكبير والثانية على يساره وبها الآن مكتبة الجامع الأزهر •

ولم يزل طيبرس فى نقابة الجيش حتى توفى سنة ٧١٩هـ ودفن بمدرسته المذكورة •

ومما قيل عنه أنه لما أحضرت اليه أوراق حساب هذه المدرسة بعد اتمامها أمر بطست ماء وأسقط فيه الأوراق ليمحو الكتابة عليها دون أن يطلع عليها • وقال : شىء خرجنا عنه لله تعالى فلا نحاسب عليه •

وقال المقريزى أن الطيبرس هذا كان يعتريه الجنون • ولا يفهم هذا من هذه الترجمة •

الشيخ الأربعين :

ولكن تسميته الأربعين تستوقف النظر • فنجد اسم الأربعين لكثير من الأضرحة فى أنحاء العاصمة وفى بلدان الجمهورية • وقد ذكر على مبارك فى الجزء السادس من خططه أربعة عشرة ضريحا وزاوية باسم الأربعين فى أنحاء القاهرة وحدها • وربما أغفل ذكر البعض كما أغفل ذكر بعض المساجد وهى أكبر شأنا من الزوايا والأضرحة • وربما جد بعده غيرها •

ولى رأى فى هذا لعله لا يكون بعيدا عن الصواب •

فتسميته الأربعين ترجع الى الطرق الصوفية • فمراتب الوصول عند الصوفية درجات • فقالوا ان لكل بلاد رجال • ولكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله • وقالوا ان النقباء

ثلثمائة • والنجباء سبعون • والأبدال أربعون • والأخيار سبعة • والعمد أو الأقطاب أربعة • والغوث واحد •

وقالوا ان الأخيار سياحون فى الأرض وأن الأقطاب الأربعة فى زوايا الأرض الأربع • وأن الغوث مقره مكة •

والشائع بين عامة الصوفية فى مصر أن الأقطاب الأربعة هم : السيد أحمد الرفاعى (٥٠٠ – ٧٥٠ هـ) توفى ودفن بأم عبيد بالعراق ، السيد عبد القادر الجيلى (٤٧٠ – ٥٦١ هـ) مدفون ببغداد ، السيد أحمد البدوى مدفون بطنطا ،السيد ابراهيم الدسوقى (٦٣٣ – ٦٧٦ هـ) مدفون بدسوق•

فكلما توفى من تعتقد فيه الولاية أو الوصول اعتبر من الأبدال الأربعين وبنوا له ضريحا ينتفع من نذوره الأقربون له الىالتنبيه اليهورفع مقامه•

قصر الدوبارة :

وقصر الدوبارة كان قصرا للأميرة أمينة بنت الهامى بن عباس حلمى الأول – وهى زوجة الخديوى توفيق ووالدة عباس حلمى الثانى • وكانت تعرف بأم المحسنين وهى من ضمن من أقيمت لزفافهم أفراح الأنجال – يعنى أنجال اسماعيل – وسنتكلم عن هذه الأفراح فى مقال لاحق باذن الله •

وكان موقع القصر المذكور المربع الذى فيه فندق شبرد الحالى ووزارة الصناعة • يطل غربا على النيل وجنوبا على الشارع بينه وبين السفارة الانجليزية • وكان يعرف بشارع لاظ أوغلى (سنذكر ترجمته فيما بعد) وشرقا فى المربع المذكور الشارع الذى يفصله عن السفارة الأميريكية • وكان اسمه شارع الوالدة – يعنى والدة عباس حلمى الثانى – وأصبح اسمه الآن شارع أمريكا اللاتينية • لتكون الصلة مرتبطة بينه وبين ميدان سيمون بوليفار (ميدان قصر الدوبارة سابقا) الذى ينتهى اليه الشارع المذكور • وشمالا الشارع الآن بين فندقى شبرد وسميراميس •

وبيعت منقولات قصر الدوبارة فى الأربعينات من هذا القرن فى مزاد • وقسمت أرضه فبنيت فيه عمارتا ايزيس وأوزوريس فى الجزء الجنوبى منه • كما أنه بعد حريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ بنىء فى

الجزء الغربى منه على النيل فندق شبرد الحالى • بعد أن احترق فندق شبرد القديم وكان على ناصيته شارعى الجمهورية والألفى • ثم بنيت وزارة الصناعة شرقا من الفندق المذكور •

وكان بجاردن سيتى شارع اسمه شارع الوالدة باشا تمييزا له عن شارع الوالدة المذكور • والوالدة باشا المقصود بها والدة الخديوى اسماعيل واسم شارع الوالدة باشا الآن شارع عائشة التيمورية • وربما كان هذا الشارع هو الحد الفاصل بين القصر العالى وقصر أحمد أظى اسماعيل •

ولكن لما توفى اسماعيل فى ١٢ مارس سنة ١٨٩٥ فى استنبول (ثم نقل جثمانه الى القاهرة حيث دفن فى مسجد الرفاعى بالقرب من القلعة) ظهر فى وصيته أن القصر العالى •وان كان باسمه • ولكنه ملك لزوجاته الثلاث : شهرت ، وجنانير ، وجشم آفت • كما أنه أوقف عليهن تفتيش حلوان • وكانت هذه الوصية سببا لخلاف بين ورثته •

وكان لاسماعيل زوجة رابعة اسمها تريمى • وكان يستعمل الرمز بالأرقام فى ذكرهن • فمثلا فى أمر منه فى جمادى سنة ١٢٨٨ هـ(يقتضى أن تربتوا (أى تربطوا) الى كلا (كل) من الهوانم حرمنا الأربعة برنجى وايكنجى واوجينجى ودورتينجى (أى الأولى والثانية والثالثة والرابعة) ٣٠٠٠ كيسة سنويا) أى ١٥٠٠٠ جنيه لأن الكيسة كانت خمسة جنيهات •

عائشة التيمورية :

والسيدة عائشة التيمورية التى أطلق اسمها على شارع الوالدة باشا هى الشقيقة الكبرى للمرحوم العالم أحمد باشا تيمور المعروف بتحقيقاته الأسلامية والتاريخية وصاحب المكتبة العظيمة بدار الكتب • وعمة الأديبين الكبيرين المرحومين محمد تيمور ومحمود تيمور • أديبة وشاعرة بالعربية والتركية والفارسية • ولدت سنة ١٨٤٠ • تزوجت المرحوم توفيق الاسلامبولى • وسافرت معه الى استانبول • ثم عادت لمصر بعد وفاته • ولها ديوان بالعربية اسمه حلية الطراز وتوفيت سنة ١٩٠٢

سمون بوليفار :

وسيمون بوليفار الذى أطلق اسمه على ميدان الهامى سابقا هو أحد المناضلين فى سبيل الحرية عاش من ١٧٨٣ – ١٨٣٠ • وحارب اسبانيا لتحرير أمريكا اللاتينية • وأمكنه تحرير كولومبيا وفنزويلا واكوادور وبنما • وجعل من الأربعة جمهورية واحدة باسم كولومبيا العظمى • كما سعى فى تنظيم بيرو وبوليفيا • وكانتا تحررتا أيضا فى الحكم الأسبانى • ثم طغى وأنشأ حكما ديكتاتوريا • فاضطرب الحكم واضطر للاستقالةفى سنة ١٨٣٠ • ومات بعد قليل فى آخر السنة وحيدا مكروها لطغيانه • ثم تنوسى طغيانه • وأقيم له تمثال سنة ١٨٤٠ فى بوجوتا عاصمة كولومبيا • تذكارا لمن أقام استقلالها • وأصبح ينظر اليه كمحرر لأمريكا اللاتينية •

ومع احترامى لنضال الثائر • ومع الاغضاء عما نسب اليه من طغيان فانى أرى فى أبطال تاريخنا وأمجادنا الاسلامية والعربية والفرعونية من هم أجدر بأسماء شوارع وميادين عاصمتنا خصوصا فى مكان له حساسيته بجوار وزارة الخارجية وجامعة الدول العربية والسفارات الأجنبية • وحبذا لو اخترنا أسماء من أمجاد العرب فى أسبانيا مثل طارق بن زياد – أو قرطبة أو غرناطة – أو عبد الرحمن الناصر أو ابن رشد – أو ابن زهر – أو غير ذلك من الأمجاد التاريخية والعلمية • فمن نافذة الأندلس أطلت الحضارة العربية الاسلامية على أوربا وكانت هى الدعامة الأولى فى تقدمها •

وما أرخص هذا الثمن – أى اطلاق الأسماء على الشوارع – اذا كنا نظن أنه يكسبنا ولاء وصداقةدول أمريكا اللاتينية فى معترك السياسة الدولية المبنى على المصالح فقط •

كمال الدين صلاح :

وكمال الدين صلاح الذى حل اسمه محل شارع الشيخ بركات هو الشهيد المجاهد الذى اغتالته يد أثيمة مأجورة فى الصومالفى ١٦/٤/١٩٥٧

وذكر الأستاذ أبو الحجاج حافظ فى ترجمته له أن أباه كان قاضيا شرعيا عرف بالعدل والتقوى والأفق الواسع • وأنه كانت له مكتبة تحوى أكثر من ألفى كتاب مكنت ابنه كمال

الدين من الاطلاع وتنمية معلوماته • وكان أبوه قدوة صالحة فى حسن السلوك •

وتنقل كمال الدين فى المدارس مع تنقل والده تبعا لوظيفته – بين الخديوية الثانوية ثم بنى سويف الثانوية ثم المنصورة الثانوية • حيث حصل على البكالوريا (كانت تعادل الثانوية العامة) • وكان ترتيبه الثانى• وكان أول دفعته زميله وصديقه الأستاذ فتحى رضوان المحامى والوزير السابق والأديب المعروف •

والتحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة • وظل يمارس هواياته من الرماية والركوب وحب الرحلات •

وكان وزميله فتحى رضوان أثناء الدراسة يدعوان الى عقد مؤتمر للطلبة الشرقيين – ولم تكن فكرة القومية العربية نبتت بعد • فتألفت لجنة تحضيرية من أعضائها الزعيم السورى شهبندر • عبد الحميد الثعالبى التونسى ومنصور باشا فهمى وعبد الرزاق باشا السنهورى وفتحى رضوان وكمال الدين صلاح • وسافر الأخيران بتكليف اللجنة الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين يلقيان الخطب منددين بالاستعمار الانجليزى والفرنسى •

وعين سكرتيرا لمشروع القرش •وهو من المشروعات الوطنيه الناجحة • دعا اليه الأستاذ أحمد حسين المحامى • وكان طلبا بالحقوق وقتذاك • وكان قوام المشروع أن يتبرع كل مواطن بقرش واحد • ومن حصيلة هذه القروش أمكن انشاء مصنع للطرابيش وكانت تستورد من النمسا – ومن أرباح مصنع الطرابيش أنشىء مصنع لنسيج الصوف •

كما اشترك مع جماعة المنديل المحلاوى بالجامعة • وكانت تدعو لاستعمال المنديل المحلاوى لربطة العنق (كرافات) • والمحلاوى نسبة الى المحلة الكبرى التى كانت لها شهرة – (من قبل انشاء شركة مصر للغزل والنسيج) – فى صناعة النسيج على أنوال يدوية • وكان للمنديل المحلاوى شهرة شعبية •

وتخرج كمال الدين من مدرسة الحقوق سنة ١٩٣٢ • واشتغل بالمحاماة • ثم التحق بالسلك السياسى

فعين بالقدس سنة ١٩٣٦ وكانت الثورة الفلسطينية ضد الاحتلال الانجليزى الذى يمكن لليهود فى أعلى مراحلها • فشارك فيها بوجدانه وخطاباته • فنقل الى اليابان • ثم الى بيروت أثناء الحرب العالمية الثانية • وكانت انجلترا وفرنسا الحرة (بقيادة دى جول) تتهيآن لغزو لبنان المحتل بجيش حكومة فيشى الفرنسية ـ الخاضعة للألمان • فعمل على توحيد الأحزاب فى لبنان فنقل الى القاهرة • ثم أريد به الصاق تهمة الاشتراك فى اغتيال أحمد ماهر (رئيس الوزارة الذى اغتيل فى مجلس النواب ـ مجلس الشعب حاليا ـ فى ١٩٤٥/٢/٢٤ ولم تثبت عليه التهمة فأفرج عنه • رعين فى اليونان ـ ثم فى الأردن ليشهد من هناك الحرب الأولى بين العرب واسرائيل • ثم نقل الى تشيكسلوفاكيا ليشهد بها الانقلاب الى الشيوعية • ثم الى دمشق ليشهد حكم الششكلى • ثم الى استكهلم • حتى قامت ثورة سنة ١٩٥٢ بمصر • فعين قنصلا فى مرسيليا • وكانت مركزا هاما للثوار الجزائريين • ثم نقل الى الصومال سنة ١٩٥٤

وكان تقرر بعد الحرب تصفية الامبراطورية الايطالية التى أنشأها موسولينى • ثم رأت الدول الغربية أن تستعمل بعض الاعتدال مع ايطاليا لما بدأت روسيا تظهر العداء للغرب • فقررت وضع الصومال الايطالى تحت وصاية الامم المتحدة وادارة ايطاليا له لمدة عشر سنوات نهايتها ١٩٦٠/١٢/١ مع انشاء مجلس استشارى من مصر وكولومبيا والفلبين • ومجلس اقليمى يستشيره الحاكم الايطالى •

وكانت الدول الاستعمارية تتمنى فشل الوصاية فى فترة الانتقال • ليعوق هذا الفشل استقلاله • فأخذ كمال الدين يجوب القرى والمدن ويخطب فى المجتمعات منددا بخطط الاستعمار • كاشفا أساليبه • ثلاث سنوات أحرج فيها المستعمرين • حتى انتهى الأمر باغتياله فى ١٩٥٧/٤/١٦ اذ طعنه شاب صومالى مأجور بسكين عدة طعنات • فسقط صريعا • ونقل الى المستشفى حيث أسلم الروح • وذهب مع الشهداء • رحمه الله •

الشيخ يوسف ـ الشيخ صالح أبو حديد :

ذكرنا أن الحد الشرقى للقصور الثلاثة بجاردن سيتى : القصر العالى

وقصر أحمد باشا سراى الاسماعيلية كان بعض طريق بولاق – مصر القديمة . وبعض الحى المعروف بالشيخ يوسف .

ولا بأس ان نذكر هنا حكاية رواها على باشا مبارك عن الشيخ يوسف الذى ظل اسمه علما على المكان . وكان له شارع كبير باسمه أصبح اسمه الآن شارع عبد القادر حمزه باشا .
فقال على مبارك فى ترجمة الشيخ صالح أبى حديد المنسوب له الجامع بالقرب من جامع الحنفى بحى الحنفى والناصرية غربى الخليج ما ملخصه :

أنهم كانوا ثلاثة لصوص وقاطعى طريق . أحدهم كان بدرب سعادة بقرب باب الخلق وكان يرتدى زى الدراويش وللناس فيه اعتقاد كبير ويقبلون يده . وكان يجلس هناك على شاطىء الخليج الى الليل . فاذا مر شخص بمفرده . قال : ياواحد !! فيخرج أنصاره ويحيطون بالمار ويدخلونه المنزل قسرا . ويسلبون ما معه . ثم يقتلونه .

وظلوا هكذا مدة طويلة حتى اكتشف أمرهم . وأمكن الشرطة بكمين دبروه أن يقبضوا عليه وعلى بعض أنصاره متلبسين . ولما عذبوهم أقر الشيخ على زميليه : الشيخ يوسف والشيخ صالح أبى حديد .

اما هذا الشيخ بدرب سعادة فقد قتل .

وكان الشيخ يوسف يلوذ بلاظ أوغلى كتخدا مصر فى عهد محمد على فوقع عليه . فعفا عنه .

وأما الشيخ صالح أبو حديد فقد احتمى بامرأة مغنية مشهورة فى ذلك الوقت . فادعت أنه مجنون . ووضعت فى رجليه قيدا . وكان الرجل فعلا قد عقل لسانه من الخوف . فتركوه ثم شاع أن ينبىء بالمغنيات بنطق وتعبير من حوله . فقصده الأمراء والأعيان والنساء . وازدحم بيته بالزوار . وأتحفوه بالهدايا والنذور . وهو ملقى على الفراش لا يتكلم . وفى رجليه قيود الحديد . وعند رأسه امرأة بمروحة تروح بها عليه . ويخرج من فيه أصواتا غريبة ليست مفهومة . فتقول المرأة للحاضرين : الشيخ يقول كذا كذا .. فلانة تتزوج الغائب يحضر . القضية تكسب أو تخسر وغيرها هذا مما يفسره كل انسان من الحاضرين اجابة لمضمون نفسه . واستمروا كذلك الى أن مات .

وبنى له الخديوى اسماعيل هـذا الجامع • وهو جامع عظيم لـم يبنى لغـيره من الأفاضـل ذوى العـلوم والمعارف الذين انتفع الكثيرون بعلومهم ومعارفهم (وهذه غمزة من على مبارك ولعـله يعـنى نفســه) كما أوقف اسماعيل سنة ١٨٧١ على هذا الجامع ومدرسة بجواره ٤٠٠ فدان بمديرية (محافظة) الجيزة • وعدة دكاكـين أنشأها بجوار الجامع •

ولما خططت أراضى جاردن سيتى للبناء • وأطلق الانجليـز على هـذا التقسيم اسم جاردن سيتى – أى مدينة الحدائق • جعل ميـدان باسم الشيخ يوسف حده الشرقى شـارع القصر العينى • وكان بالميدان ضريح الشيخ يوسف قريبا من شارع القصر العينى ثم بنى فى الفـراغ حـول الضريح عمارتان تطـلان على شـارع القـصر العينى هما بالتحديد رقما ٩٨ و ١٠٠ من الشارع المذكور • وترك فـراغ بين العمارتين به مدخل الى الضريح فتحول الميدان الى ثلاثة شوارع تحيط بالعمارتين بخلاف شارع القصر العينى ومع ذلك احتفظت الشـوارع الثلاثة باسم ميدان الشيخ يوسف •

ويوجد مع ضريح الشيخ يوسف ضريح لاظ أوغلى •

محمد بك لاظاوغلى وتمثاله :

محمد بك لاظ أوغلى كتخدا مصر فى عهـد محمـد على • وأوغـلى معناها آل (أى من أسرة) •وكتخدا معنـاها الوكيل وقد حرفتها العامة الى كخيا • وكان لـكل أمـير كتخـدا • وكان وكيل الباشـا الوالى العثمانى يقال له كتخدا بك• واختصاصه قريب من وظيفة رئيس الوزراء حاليا •

وكان محمد لاظ أوغلى من أقرب المقربين الى محمد على وموضع سره • وهو الذى أسس الدواوين ومصالح الحكومة • وكان مطلق التصرف فى الشؤون الادارية •

وذكر أمين باشا سـامى صـاحب تقويم النيل أنه كان يرتب الجواسيس يدخلون المقاهى وبيوت الأعيان بأزياء وحجج مختلفة وينقلون اليه الأخبار • فى رسائل يضعونها فى فتحة باب بيت بجهة السيدة زينب • كل منهم يضع رسالته فى وقت معين •

وكانت تقيم فى هذا البيت سـيدة تعرف العربية والتركية كان أحضرها

محمد على لتعليمه مبادىء اللغة العربية والقراءة والكتابة • فتحمل الخطابات الى القلعة • فتجد الشيخ يوسف فتسلمها له • ويسلمها الشيخ يوسف للاظ أوغلى •

ولما أرادت الحكومة اقامة تماثيل لمحمد على وابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوى ومحمد لاظ أوغلى• لم تجد صورة للاظ أوغلى • فحتمت على محافظ القاهرة أحمد باشا الدرملى سنة ١٨٦٩ ايجاد صورة له فتصادف وجود المحافظ ومحمد باشا ثابت — (وصل الى نظارة المعارف والأوقاف سنة ١٨٧٥ واليه تنسب قنطرة ثابت باشا كانت على الخليج المصرى بالقرب من باب الخلق أمام بيته شمال دار الكتب العمومية) ، ذات يوم بخان الخليلى فوجد سقاءحريم بشبه محمد بك لاظ أوغلى كل الشبه • فكلفه المحافظ بالحضور للمحافظة فى اليوم التالى • وفصلوا له بدلة وقلدوه السيف • وأخذ له صورة فوتوغرافية عمل التمثال على مقتضاها • فالتمثال الموجود الآن بميدان لاظ أوغلى هو تمثال السقاء المذكور •

كوبرى قصر النيل :

ذكرنا أن الحد الشمالى لسراى الاسماعيلية كان الطريق الى كوبرى قصر النيل • أو كتعبير على مبارك قناطر النيل المسماة بالكوبرى • فيحسن أن نذكر شيئا عن كوبرى قصر النيل فهو أقدم الكبارى التى أنشئت فى العاصمة على النيل •

وقد تم العمل فى كوبرى قصر النيل القديم وافتتح رسميا للمرور فى عهد اسماعيل فى ١٠/٢/١٨٧٢• وكان عرضه ١٠ أمتار منها ٣ أمتار للأفريزين • وحمولته ٦ أطنان • وبلغت تكاليفه ١١٣٨٥٠ جنيها وأقيم على مدخليه أربعة سباع من البرونز بلغ ثمنها وتكاليف نقلها من أوربا للاسكندرية ٨٤٢٥ جنيها •

رسم الكوبرى سنة ١٩٢٠

وفى أول أبريل سنة ١٩٣١ منع المرور عليه لخلله وعدم كفايته لحاجة المدينة • وأنشىء بدله الكوبرى الجديد الحالى • وعرضه ٢٠ متراه منها ٥ أمتار للافريزين وطوله ٣٨٢ر٢٠ مترا • وبلغت تكاليفه ٢٩١٩٥٥ جنيها • وافتتح رسميا للمرور فى ٥/٣/١٩٣٣ فى عهد

فؤاد الأول بن اسماعيل وأطلق عليه كوبرى الخديوى اسماعيل •

ووضعت الأربعة سباع البرونزعلى مدخليه • ولكن على قواعد أقل ارتفاعا من السابقة •

وعرض الكوبرى يدل على قصر نظر بالنسبة لتطور المدينة واحتياجاتها مما أدى الى انشاء عدة كبارى أخرى على النيل فى عهد الثورة • منها كوبرى الجامعة (١٩٥٦ - ١٩٥٨) وكوبرى سراى النيل • كوبرى فم الخليج • وكوبرى الجيزة (عباس سابقا) الذى فتح للمرور سنة ١٩٧١ وجارى الآن العمل بكوبرى رمسيس فوق النيل بفرعيه وفوق جزيرة الزمالك •

وعندما أفتتح كوبرى قصر النيل للمرور سنة ١٨٧٢ تقرر رسم للمرور عليه على الانسان والحيوان وعربات النقل • فالفرد من الرجال أو النساء يدفع ١/٤ قرش • والواحد من الجمال والحمير والجاموس والبقر يدفع رسما يتراوح بين ٣/٨ قرش (أى ١٥ بارة لأن القرش كان ٤٠ بارة) وقرشين يختلف حسبما كان الحيوان صغيرا أو كبيرا • ومحملا أو فارغا • ويدفع رسم عن عربات النقل يتراوح بين ثلاثة قروش وقرش واحد يختلف حسب نوعها • وحسبما تكون محملة أو فارغة • والأغنام والماعز والكلاب وباقى الحيوانات يدفع عن الواحد منها ١/٤ قرش •

ويعافى من الرسم الأطفال لغاية سن ست سنوات • وكذلك صنف الغزال

وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ أطلق على الكوبرى اسم كوبرى التحرير • ثم أطلق عليه بعد ١٩٧٠/٩/٢٨ اسم كوبرى عبد الناصر تخليدا لذكرى الرئيس جمال عبد الناصر •

ولكن ظل الاسم القديم كوبرى قصر النيل غالبا على ألسنة الناس •

كوبرى الجلاء أو كوبرى البحر الأعمى :

ويقابل كوبرى قصر النيل من الناحية الأخرى من جزيرة الزمالك على الفرع الغربى للنيل كوبرى نعرفه الآن باسم كوبرى الجلاء • وكان يعرف قديما باسم كوبرى البحر الأعمى •

فقد أنشىء هذا الكوبرى بعد كوبرى قصر النيل لتتحقق الفائدة من انشاء هذا الأخير • وفتح للمرور فى نوفمبر سنة ١٨٧٧ • والسبب فى اسم البحر الأعمى أن جزيرة الزمالك لم تصبح جزيرة بالمعنى الصحيح الا فى الربع الأخير من القرن الماضى فلغاية سنة ١٨٧٣ لم يكن الفرع الغربى للنيل موجودا على الدوام بل كان يمتلىء أثناء الفيضان • ثم يفيض ويجف • ولذلك سمى البحر الأعمى فالبحر اذا فقد الماء كان كالعين اذا فقدت الابصار • ثم حفر بعد ذلك وأقيم عليه الكوبرى •

وفى سنة ١٩١٤ أنشىء بدله كوبرى آخر عرضه ١٩ مترا منها ٧ أمتار للأفريزين • وطوله ١٤٥ مترا وعرف بكوبرى الانجليز • لوجود معسكر لهم هناك أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم اشتهر بكوبرى بديعة لوجود كازينو للفنانة بديعة مصابنى بالميدان غربى الكوبرى محله الآن فندق شيراتون •

وظل هذا الاسم شائعا حتى سنة ١٩٥٢ فأطلق عليه كوبرى الجلاء ليقابل كوبرى التحرير •

قصر النيل :

واسم قصر النيل يرجع الى قصر بناه محمد على لابنته نازلى على النيل شمال موقع كوبرى قصر النيل الحالى ثم هدم سعيد باشا بن محمد على هذا القصر وأنشأ مكانه ثكنات للجيش المصرى • وكانت مقر وزارة — أو نظارة كما كانت تسمى — الحربية عند قيام الثورة العرابية •

ولما احتل الانجليز مصر احتلوها واستعملوها ثكنات لجيش الاحتلال •

ولما جلا الانجليز عنها هدمت • وبنيت مكانها جامعة الدول العربية وفندق هيلتون وغيرهما من المبانى • وأدخل جانب من الفراغ شرقى الثكنات فى ميدان التحرير •

وكان لثكنات الجيش البريطانى خط سكة حديد خاص يمر فى شارع فم الترعة البولاقية (الذى أصبح الآن شارع الجلاء) حتى يتصل بالسكة الحديد العمومية عند السبتية ؟

محمد كمال السيد محمد

حظ الرسول من حرية الرأى

للدكتور محمد محمد الشرقاوى

كان للرسول صلى الله عليه وسلم الحرية كل الحرية فى أن يستفيد بثمار رأيه ونتائج فكره فى أمور الشريعة المتجددة التى تتوارد عليه آناء الليل وأطراف النهار مما لم يسبق فيها اليه وحى قاطع .. أو علم يقينى ومع استعماله لتلك الحرية الفكرية فى استنباط الأحكام الشرعية ، والبت فى أمور الدين والشريعة .. فهو لم يخرج عن اطار الوحى الذى يدور دائما فى فلكه ، ويعمل لزوما فى أضواء ارشاده وتوجيهه .. من حيث ان الوحى فى النهاية لا يقره على خطأ وان ترك لهفى البداية امكانية الوقوع فيه ففى أصول البزدوى : «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد يوم الأحزاب أن يصالح المحاربين من المشركين على أن يعطيهم شطر ثمار المدينة ليفكوا الحصار الذى ضربوه وأحكموا حلقته من حول المدينة ، وليخلص المسلمين من تلك الضائقة المستحكمة الحلقات ، باجتماع العرب بأسرهم ضد الاسلام والمسلمين .. ولكن سعد بن عبادة وسعد بن معاز رضى الله عنهما قاما يتحدثان بلسان أهل المدينة فقالا : ان كان هذا عن وحى فسمعا وطاعة ، وان كان عن رأى فلا نعطيهم الا السيف .. قد كنا نحن وهم فى الجاهلية بلا دين ، وكانوا لا يطعمون من ثمار المدينة الا بشراء أو قرى (أى ضيافة) ، فاذا أعزنا الله تعالى بالدين أنعطيهم ثمار المدينة ؟ .. لا نعطيهم الاالسيف فقال عليه الصلاة والسلام : « انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، فأردت أن أصرفهم عنكم فاذا أبيتم فذاك » ثم قال عليه الصلاة والسلام لوفد الصلح : « اذهبوا فلا نعطيهم الا السيف » .. وواضح من هذا مدى تجاوب الرسول مع أصحابه فى مضمار الرأى الحر ، والفكرة الشخصية ، وأن مسائل التشريع رغم

خطورتها وقداستها لم تأخذ طابع « الدكتاتورية » في الحكم ، ولا الاستبداد بالرأي ، وانما أتاح الله تعالى لرسوله ولها فرصة المد والجزر والأخذ والعطاء ، والنقض والابرام على بساط الرأي المطروح والكلمة المتجاذبة الحرة .. وواضح أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يصدر في هذه الحادثة بادىء ذي بدء عن وحي حاسم ، أو أمر الهي صارم .. والا لما وسعه التحول عنه الى رأي السعدين رضي الله عنهما .. وانما صدر عن حقه المشروع في اصدار الحكم حين يعز عليه طلبه من جهة أعلى ، واستعداده مع ذلك للمناقشة والمجادلة ، وتبادل الحجة والمنطق مع أربابه ، وتهيؤه بعد كل ذلك للعودة الى الرأي الصائب ، والقول السديد أيا كان مصدره ، وكيفما كان اتجاهه .

بيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسارع الى رأيه الحر في غير ما هوادة وأناة ، ولا يلجأ الى حريته الفكرية في لهفة وعجلة .. ولكنه مأمور بانتظار الوحي أولا ، والتريث فترة يحددها استعداده الخاص ، لما عساه ينزل في الحادثة المعروضة من حكم سماوي بلسان الملك المعهود له .. أو باشارة ذلك الملك بالحكم المنشود ولو لم يحدثه فيه حديثا مسموعا وهي ما تسمى « خاطر الملك » أو بما تبدى لقلبه بلا شبهة بالهام من الله تعالى له مباشرة عن طريق الرؤية بنور من عنده جل وعلا .. فاذا ما انتهت فترة الانتظار هذه بدون ما يرجو نزوله ، وخاف الفوت في الحادثة ، ورأى أنه قد جاء الدور المناسب للافادة برأيه ، واستعمال عقليته .. لم يتردد في تصفح وجوه الرأي بينه وبين أصحابه والأخذ بما يقع عليه الاختيار الحر سواء من رأيه هو أو من رأي غيره وفي هذه الحال التي يتمخض فيها رأيه أو رأي غيره عن حكم من الأحكام يكون الاجتهاد وما ترتب عليه وما استند اليه من حكم ظهر له بالاجتهاد وحيا لانطقا عن الهوى ولا مجرد تطييب لقلوب أصحابه واستمالته لهم فحسب .. اذ لو كان الهدف من استشارة أصحابه التطيب والاستمالة لكان في رده لرأيهم أحيانا مستهزئا بهم أو مؤذيا لهم (١) .. وحينئذ لا

(١) التلويح على التوضيح جـ ٢ ص ٢٧٦ .

يجوز لأحد كائنا من كان أن يخرج على رأيه صلى الله عليه وسلم الذى ينتهى اليه بعد عملية الاستفتاء الفكرى التى كان كثيرا ما يلجأ اليها مع أصحابه •• حتى ولو كان الرأى الأخير لغيره •• اذ أنه بعد ابرامه للحكم ، والفراغ من استنباطه يخرج عن كونه اجتهادا شخصيا •• أو رأيا فرديا •• الى كونه حكما من أحكام الله تعالى حيث لم ينزل تصويب له من جانب الوحى •

وقد أعطى القرآن الكريم لكل من توفرت فيه أهلية النظر فى الأحكام أن يستفيد بنظره وينتفع باجتهاده وذلك فى قوله تعالى :« فاعتبروا ياأولى الأبصار (١) » والرسول عليه الصلاة والسلام هو امام أهل النظر ، بلا شك ، •• على أن الاجتهاد الشخصى قد سبق به التاريخ مع غيره من الأنبياء والمرسلين الذين أمره الله بالأسوة بهم ، والنهج على طريقهم بقوله تعالى: « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (٢) فوقوعه من الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من الأعمال ولا غريبة من الغرائب ففى أيام داود عليه السلام وقعت غنم قوم ليلا فى زرع جماعة فأفسدته وتحاكموا الى داود فحكم بدفع الغنم لصاحب الزرع وكان ابنه سليمان عليه السلام بالمجلس فقال : غير هذا أرفق بالفريقين •• أرى أن تدفع الغنم الى أهل الزرع ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها ، وأن يدفع الزرع الى أرباب الغنم يصلحونه حتى يعود كهيئته يوم فسد ثم يترادون •• فقال داود ، وقد سمع من منطق سليمان لحسن الحق : القضاء ما قضيت ، وأمضى الحكم بذلك •• وغنى عن البيان أن لكل وجهة فيما أصدر من حكم ، وما ارتأى من اجتهاد •• فداود رأى أن الضرر وقع بالغنم فسلمت الى المجنى عليه كما فى العبد الجانى ، ورأى سليمان أن الأوفق والأرفق الانتفاع بالغنم ازاء ما فات من الزرع ، من غير زوال ملك أصحابه عنه كما أوجب على أصحاب الغنم العمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان (٣) •

---

(١) سورة الحشر : ٢

(٢) سورة الأنعام : ٩٠

(٣) التوضيح فى الأصول جـ٢ ص ٢٧٥

على هذا الدرب سار رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو المكمل للرسالات من قبله ، والمتمم للشرائع السابقة عليه ، والمصدق لما بين يديه وما تقدمه من الكتب لا يترك منها شيئا الا بدليل خاص تقتضيه الحكمة الالهية وتوجبه نواميس التطور العام لظروف المكان ، ونوعية الزمان .. فقد روى أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله: ان فريضة الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستمسك على الراحلة .. أفيجزينى أن أحج عنه فقال عليه الصلاة والسلام : « أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته .. أكان يقبل منك ؟ قالت نعم ، قال : فدين الله أحق أن يقبل » (١) ... فهذا الحديث الشريف يعكس صورة قياسية فى استنباط الأحكام .. تعتمد على الحاق الفروع بالأصول ، والأشباه بالنظائر بعد اشتراكهما فى معنى واحد وعلة مشتركة .. فهو بطبيعة اتصاله بالملأ الأعلى ، وبحكم وضعه التشريعى فى الدين .. يعتبر أسبق الناس الى العلم بالأسرار الشرعية ، والعلل الجامعة للأحكام الكثيرة .. فهو يعلم المتشابه ، والمجمل .. وقد يخفى ذلك على الراسخين فى العلم ، فاذا وضح له الوجه المشترك بين أصل محكوم فيه ، وبين فرع بدون حكم ، لزمه الحاق الفرع بأصله ، والعمل على وفق ذلك .. وسواء قلنا بامكان علمه سلفا بالوحى ثم بلورته للناس بطريق القياس تقريبا لافهامهم .. أم قلنا انه اهتدى اليه باجتهاده الحر ، وتفكيره المبتدأ .. فان النتيجه واحدة.. وهى لزوم الحكم بعد الفراغ منه ، وعدم تصويبه من جانب الوحى .. بالنسبة الى كل من بلغه ذلك .. ونجد صورة أخرى قريبة مما تقدم عرضه .. ان لم تماثله تماما تدل على براعة التنظير النبوى بين المسائل المتشابهة لاستخراج حكم موحد من خلال هذا التنظير ، وذلك فيما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن قبلة الصائم فقال عليه الصلاة والسلام : « أرأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته .. أكان يضرك ؟ » (٢) ومعنى ذلك أن الصائم المتمضمض بالماء اذا ألقى الماء خارجا مع الحرص على عدم وصول شىء

(١) التوضيح جـ٢ ص ٢٧٥ .

(٢) المصدر السابق .

منه الى الجوف لا يضره ذلك فى صيامه .. فكذلك من يقبل زوجته فى نهار رمضان مع حرصه على ألا يزيد الأمر على مجرد القبلة لا يضره ذلك فى الصيام أيضا ..

ولئن كانت هاتان الصورتان تحكيان نموذجا شخصيا لحرية الرسول صلى الله عليه وسلم فى تفكيره ومعايير نظره. ومقاييس آرائه .. مع احتمال سبق علمه بالحكم من الوحى .. فان استشارته لأصحابه ، ومناقشته لهم ، وتقبله منهم ، وتنازله عن رأيه لرأيهم يلقى لنا ضوءا أقوى على خط الرسول فى حرية رأيه ، وأنه كان يعمل فيه منطلقا من كل قيد الا قيد انتظاره ريثما ينزل حكم فى المسألة .. فاذا ما أصبح فى حل من هذا الانتظار نظر فى المسائل والأحكام بملء حريته وبكل امكانيات تفكيره ، يبدو ذلك واضحا فيما روى (١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل ابن أبى طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال : قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية يتقوى بها أصحابك ، .. وقال عمر : كذبوك ، وأخرجوك ، فقدمهم واضرب أعناقهم ، فان هؤلاء أئمة الكفر ، وان الله أغناك عن الفداء .. مكن عليا من عقيل وحمزة من عباس ، ومكنى من فلان لنسيب له ، فلنضرب أعناقهم . فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأى أبى بكر ، وكان ذلك هو الرأى عنده ، فمن عليهم ، حتى نزل قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » (٢) أى لولا حكم الله الذى سبق فى لوحه المحفوظ من أنه لايعاقب مخطئا فى اجتهاده لعقوبتهم فدل هذا على وقوع الخطأ فى اجتهاده صلى الله عليه وسلم ابتداء ، وان كان لا يقر عليه انتهاء ، وسبب الخطأ تقدير النفع باستبقائهم ، وخفى عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم .. فلما نزلت هذه الآية قال النبى صلى الله عليه وسلم : «لو نزل بنا عذاب ما نجا الا عمر» .. وأمثال هذا كثير يضيق عنه المقال ، ولا يتسع له المقام .. وحسبنا من ذلك أن نلمح من خلاله نظرات الرسول عليه الصلاة والسلام

(١) التوضيح جـ ٢ ص ٢٧٥
(٢) الأنفال : ٦٨

الفاحصة الباحثة وهى تتألق ذكاء وألمعية بحثا عن الحقائق الحكمية ، وتنقيبا عن وجوه الآراء الخفية وأنه كان يدرب أصحابه على اقتحام أسوار الاجتهاد المنيعة ،ويبين لهم من شخصيته يسر هذا الأمر وسلاسته لكل من توسم فيه أهلية الصواب والسداد ، وأنه كان يشجعهم على ارتياد دروب الحرية الفكرية .

وبعد

فمما تقدم يتضح أنه كان للرسول صلى الله عليه وسلم وحيان (١) : أحدهما : ظاهر ، وثانيهما : باطن أما الظاهر فثلاثة أنواع : أولها ما جاء على لسان الملك وسمعه ووعاه بعد قطعه بشخصه المبلغ والقرآن من هذا القبيل ، ثانيها : ما تجلى له باشارة الملك من غير تحديث كما قال عليه الصلاة والسلام : « ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » والروع : القلب ويسمى هذا « خاطر الملك » وثالثها : ماظهر لقلبه بنور الله والهامه بلا شبهة فى ذلك كما قال تعالى : « لتحكم بين الناس بما أراك الله » وكل ذلك حجة مطلقا .

وأما الوحى الباطن : فهو ما ينال بالاجتهاد واعمال الرأى ، والتصرف فى اطار الفكر الذى يتمتع به كبشر مثلنا له حرية الرأى ، وامكانية الرأى المنظور على بصيرة ووعى كامل وهو بعد اتمامه والفراغ من ابرامه ،وعدم اعتراض الوحى عليه أو تصويبه له يعتبر حجة على ما ذهب اليه جماهير العلماء .؟

د . محمد محمد الشرقاوى

---

(١) التوضيح جـ٢ ص٢٧٤

إسلاميات شوقى (٥)

للدكتور ابراهيم على أبو الخشب

للخلافة الاسلامية ـ فى تركيا ـ وقد كانت تضم شتات المسلمين ، وتؤلف بين قلوبهم ، وتدافع عن حقوقهم ، وتجمع كلمتهم ،وتداوى عللهم ، وتطب لأوجاعهم ، وتربط ما بينهم بخيوط من الود الخالص ، والمحبة الصادقة ، قداسة واحترام ، يحملانه فى كثير من الأحايين على الغيرة عليها من الغبار المتطاير ، والهواء الذى يجىء من هاهنا وهناك ، وربما لذ لبعض الحاقدين عليه أن ينسبوا هذه العاطفة المشبوبة والهوى الحار أو الوجدان المؤلم « الى جريان الدم التركى فى شرايينه ، وانتهاء دوحته الى ذلك العنصر من هؤلاء الذين كانت الخلافة فى بلادهم ، متمثلة فى انسان منهم ، ولكن الذى يتابع مواقفه الشعرية التى تتناول الخليفة أو الخلافة وبخاصة بعد هذا الصنيع الذى صنعه زعيم الثورة هنالك « مصطفى كمال » لايسعه بعد قراءة القصائد التى تخلفت عن غضبه لهذه الأحداث التى جرت بها المقادير هنالك ، الأن يحكم بأن أحاسيسه عنها ، وشعوره بها ، وبكاءه لما أصابها أو نزل بها ، كان تعبيرا صادقا عن آماله فيها، وتصوره عنها ، وتقديره لها ، ومقدار خيبة أمله بما نزل بها ، وبخاصة من هذا الانسان الذى كان معجبا بانتصاراته وزحفه ، وفتوحاته وتقدمه ، وكأن العاطفة الحيرى التى كانت تتجاذبه الى مدح القائد المظفر ، ثم تسوقه للعتب عليه ، أو اللوم له ، قد أتعبت خاطره ، وأقضت مضجعه ، وأكدت نفسه ، ونغصت عليه وجدانه وشعوره ، وحال كهذه من شأنها أن تتعب صاحبها الى أبعد حدود التعب ، وتقلق خاطره الى أقصى مايكون الاقلاق ، وهى مع هذا وبما جعلت فى الرجل الذى يعانى منها ، ويقاسى من

ويلاتها، شيئا من التناقض والاضطراب في تسجيله لهذا الشعور . أو حديثه عنه ، كما هو الشأن فيمن ينصبون من أفئدتهم هدفا للشيء وضده ، أو المعنى ونقيضه ، وقد كان من روعة هذه العاطفة أنها لم تنحرف بصاحبها عن الجادة ، أو تمل به عن القصد الصحيح ،لأنه لم يكن متحيزا ولا مغرضا ، ولأصحاب هوى خاص يحمله على المدح أو القدح والتقريظ أو العتب .. واذا كان له أن يمدح الخليفة فى موقف من المواقف أو ظرف من الظروف ، فان هذا المدح لم يكن لشخص الخليفة ، وانما كان لشخص الخلافة ذاتها ، على اعتبار أنها اليعسوب الذى يكون به قوام الخلية ، وامتداد حياتها ، وتحقيق الفائدة المرجوة منها ، وقد حدث أن اعتدى آثم على الخليفة فألقى عليه قذيفة يحاول بها موته ولكن الله كان قد أراد له أن يسلم من هذا الاعتداء وينجو من ذلك الغدر المبيت ، وهنالك يقول شاعرنا :

هنيئا أمير المؤمنين فانما
نجاتك للدين الحنيف نجاة
هنيئا لطه والكتاب وأمة
بقاؤك ابقاء لها وحياة
أخذت على الأقدار عهدا وموثقا
فلست الذى ترقى اليه أذاة
ومن بك فى برد النبى وثوبه
تجزه الى أعدائه الرميات
يكاد يسير البيت شكرا لربه
اليك ويسعى هاتفا عرفات
فلولاك ملك المسلمين مضيع
ولولاك شمل المسلمين شتات
نجت أمة لما نجوت ودوركت
بلاد وطالت للسرير حياة

وهى على هذا النمط من البيان ، وذلك الأسلوب من البلاغة ، الا أنه بيان ينبع من القلب ، وبلاغة تنضج بالعقيدة القوية ، والايمان الراسخ والشعور الذى لا يشوبه الشك فى أن هذا الانسان الذى ترفرف حوله قلوب الملايين من المسلمين بالولاء والطاعة ، والاخلاص والحب والأمل والرجاء ، وهى انما تعطيه ذلك كله عن طواعية واختيار ، لأنها ترى فيه الكثير من معانى اعتزازها وعزتها ، وكبريائها وعظمتها ، ولا يضير شاعرنا هذا أن يكون الناس لا يشاركونه هذا الشعور ، ويوافقونه فى ذلك الاعتقاد لأنه يسجل ما ينبض به قلبه ، وتمتلىء به جوانحه ، وتهتف به أحاسيسه

ولهذا كانت فاجعته التى ليس قبلها ولا بعدها حين سرى الى نفسه نبأ الغائها ، ومن دمعه الذى بذله ، وألمه الذى أبداه ، وعويله الذى أعلنه الى الدنيا كلها ، يظهر مدى اخلاصه فى ذلك ، وصدق شعوره :

عادت أغانى العرس رجع نواح
ونعيت بين معالم الأفراح
كفنت فى ليل الزفاف بثوبه
ودفنت عند تبلج الاصباح
الهند والهة ومصر حزينة
تبكى عليك بمدمع سحاح
والشام تسأل والعراق وفارس
أمحى من الأرض الخلافة ماح
وأتت لك الجمع الجلائل مأتما
فقعدن فيه مقاعد الأنواح
يا للرجال لحرة موءودة
قتلت بغير جريرة وجناح
ان الذمن أست جراحك حربهم
قتلتك سلمهم بغير جراح
هتكوا بأيديهم ملاءة فخرهم
موشية بمواهب الفتاح
نزعوا عن الأعناق خير قلادة
ونضوا عن الأعطاف خير وشاح
حسب أتى طول الليالى دونه
قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها
كانت أبر علائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم
فى كل غدوة جمعة ورواح
بكت الصلاة وتلك فتنة عائث
بالشرع عربيد القضاء وقاح
من قائل للمسلمين مقالة
لم يوحها غير النصيحة واح
عهد الخلافة فى أول ذائد
عن حوضها ببراعة نضاح
انى أنا المصباح لست بضائع
حتى أكون فراشة المصباح

الا أن هذه الدموع التى يذرفها ، والعبرات التى يسكبها ، والحسرة التى يبديها ، واللوعة التى كانت تملأ جوانحه ، والأسى والأسف الذى أطار نومه ، وأقض مضجعه ، وجعل ليله طويلا ، وويله الذى يعانيه جليلا ، لم يكن حائلا بينه وبين تلك العاطفة النبيلة التى كان يضمرها فى نفسه لهذا الانتصار الرائع الذى أحرزه الثوار الأتراك فى حربهم ضد العدو ، وقد حمله ذلك كله الى أن يعلن الى كمال أتاتورك اعجابه به ، وثناءه عليه ، وحبه له الحب الذى كان يصل الى حد القداسة والاحترام ، ويبدو

ذلك فى أجلى مظاهره ، وأبدع صوره ، اذ يقول له من هذه القصيدة التى ينعى فيها سقوط الخلافة ..

هو ركن مملكة وحائط دولة
وقريع شهباء وكبش نطاح
أأقول من أحيا الشريعة ملحد
وأقول من رد الحقوق اباحى

ولهذا كله ظل يتابع أخباره ، ويتغنى بانتصاراته ، ويفاخر بزحفه ، ويردد الحديث عنه ، والمديح لخطواته التى يخطوها ، وضرباته التى يسددها ، واذا كان أبو تمام يقول للمعتصم العباسى وقد فتح عمورية بعد أن ملأ المنجمون قلبه باليأس من النصر .

السيف أصدق أنباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب

فانه يقول لهذا الرجل الذى استحوذ على نفسه بالاعجاب ، وعلى قلبه بالتقدير ، وعلى فؤاده بالاكبار والاجلال ، وكأنه المثل الأعلى للقواد ، والصورة الرائعة لمن يتقدمون الصفوف ، ومن — بعده — أولى بأن يكون أبا تمام ، ومن كذلك بعد صاحبه أولى أن يكون المعتصم أو خالد بن الوليد .

الله أكبر كم فى الفتح من عجب
ياخالد الترك جدد خالد العرب
صلح عزيز على حرب مظفرة
فالسيف فى غمده والحق فى النصب
أتيت مايشبه التقوى وان خلقت
سيوف قومك لا ترتاح للقرب
ولا أزيدك بالاسلام معرفة
كل المروءة فى الاسلام والحسب
فقل لبان بقول ركن مملكة
على الكتائب يبنى الملك لا الكتب
وما السلاح لقوم كل عدتهم
حتى يكونوا من الأخلاق فى أهب
ولا المصائب اذ يرمى الرجال بها
بقاتلات اذا الأخلاق لم تصب
أخرجت للناس من ذل ومن فشل
شعبا وراء العوالى غير منشعب
لما أتيت ببدر من مطالعها
تلفت البيت فى الأستار والحجب
وهشت الروضة الفيحاء ضاحكة
الى المنورة المسكية الترب
ومست الدار أزكى طيبها وأتت
باب الهول فمست أشرف العتب
وأرج الفتح أرجاء الحجاز وكم
قضى الليالى لم ينعم ولم يطب

وهى ـ كما ترى ـ صورة من من الثناء الصادق ، والمديح الخالص ، تذكرنا بمواقف كانت لفحول الشعراء » مع فحول القواد والفاتحين ، وتجعلنا نرجع الى الوراء فى التاريخ الذى كان الأدب فيه حافلا بأزهى عصوره ، وأحسن أيامه » وأكثر أوقاته فحولة وجزالة ، اذ كان المتنبى فى ظل سيف الدولة الحمدانى يقول

وما الدهر الا من رواة قصائدى
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

وتنتقل الدولة الجديدة بعاصمة الملك من الآستانة الى أنقرة ويهزه هذا الانتقال لأنه حدث من أحداث الثورة التى تعيش فى كيانه ، وتستقر فى خاطره » وتأخذ من اغتباطه وجذله ، وارتياحه وفرحه ، الكثير من عواطفه ووجداناته، لكن ذلك كله لا ينسيه صنيعه الخلافة ، وأفول نجمها ، وذهاب دولتها ، وسكوت نأمتها ، وصيرورة تاريخها فى خبر كان •

قل للخلافة قول باك شمسها
بالأمس لما آذنت بدلوك
ياجذوة التوحيد هل لك مطفىء
والله جل جلاله مذكيك
خلت القرون وأنت حرب ممالك
لم يغف ضدك أو ينم شانيك
يرميك بالأمم الزمان وتارة
بالفرد واستبداده يرميك
عودى الى ما كنت فى فجر الهدى
عمر يسوسك والعتيق يليك
ان الذين توارثوك على الهوى
بعد ابن هند طالما كذبوك
لم يلبسوا برد النبى وانما
لبسوا طقوس الروم اذ لبسوك

والذى نلاحظه فى حديث شوقى عن الخلافة ـ باكيا أو شاكيا ـ أنه وهو يراها مظهرا من مظاهر قوة المسلمين ، والتئام شملهم ، وضم شتاتهم ، وجمع كلمتهم » واتحاد أهدافهم ، لم يتخذ لنفسه فيها موقف المصلح الذى يضع الدواء فى موضع العلة ، كما كنا نراه فى كثير من المشاكل التى يعالجها بالبحث • أو يدلى بدلوه فيها مع الخائضين فى خضمها • وربما كان عذره فى ذلك أنه لم يجعل نفسه من هؤلاء الذين يليق بهم أن يكونوا من القضاة الذين يعطيهم مركزهم الاجتماعى أو الثقافى

والعلمى هذا الوضع ، أو أنه كان من هؤلاء الذين لايرون أنها فريضه محكمة لابد للمسلمين من الأخذ بها ، والعمل بنظامها ، وقد عاصر هذا التاريخ اجتهاد انحدر اليه بعض العلماء فى كتاب له بعنوان « الاسلام وأصول الحكم » كان يرى فيه أنها أسلوب من أساليب الحكم الذى يأخذ الناس به ـ فى أمور دنياهم ـ لاتخضع لنص فى كتاب الله وسنة رسوله . وليس هنالك دستور ينزل المسلمين على رأيه ،ويلتزمون هديه ، الا أن يكون أمرهم شورى ـ كما نطق بذلك القرآن الكريم ـ لكن لون هذه الشورى أو شكلها وكيفيتها ومدى الرضا بها لم يتحدد بعد كأنه من المتشابه على الناس الذى لم يتعرض الدين له بالبيان الشافى ، وقد كان نظام الحكم الذى كانت عليه الدولة الاسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مستقر على حال واحدة ، اذ كان أمرها على عهد أبى بكر رضى الله عنه مخالفا لأمرها على عهد عمر وهكذا حتى كانت خلافة معاوية فكان ما كان من جعلها ملكا عضودا فى عقبه وأهله ، ولذلك كله كثرت الصراعات عليها ، والقتال من أجلها ، ونحن وان كنا نرى أن المسلمين بحاجة ماسة الى جمع الكلمة ، ورأب الصدع ، وضم الصفوف ، الا أننا نرى أنهم لا يستطيعون أن يجدوا من صفوفهم من يرضون عنه الرضا الكامل من ناحية ورعه وزهده وعلمه وعدله ونزاهته وطهارة عرضه ليجعلوا زمام أمرهم اليه .. وقد حاولوا هذه المحاولة أكثر من مرة ثم تبين لهم أنهم لم يستطيعوا ذلك . وأنهم يغلبون ـ حين يحاولون هذه المحاولة ـ جانب السياسة على جانب الكياسة ، والغرض والهوى . على الواجب والمصلحة ، وأنا أنصح للمسلمين هنا وهنالك أن يجعلوا الخليفة الذى يضم الصفوف ، ويوحد القلوب ، ويقرب المسافات ،ويقوى الجانب ،ويمكن للعدل والحق والأمن والسلامة والاطمئنان ، هو الدستور الالهى ، والهدى النبوى، وليس بعد علاج رب العالمين علاج ؟

د . ابراهيم على أبو الخشب

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى

للدكتور رءوف شلبى

هذه الدراسة الواسعة الشاملة عن : الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغاياتها •• للدكتور رءوف شلبى المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر ، والتى قام بنشرها مجمع البحوث الاسلامية ، تقع فى أكثر من ستمائة صفحة من القطع الكبير •• وقدم لها بمقدمة موجزة فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر •

قسم المؤلف دراسته الى قسمين :

الباب الأول : مناهج الدعوة فى عهدها المكى • وقد استوعب هذا القسم أكثر من أربعمائة صفحة وقد جاء فى أربعة فصول : الأول : منهج اثبات وحدانية الله تعالى ، والثانى : منهج العمل مع الجماعة ، والثالث : مراحل الدعوة • أما الرابع فهو : معالم فى طريق الدعوة ، والباب الثانى : الغايات •• وقد استوعب هذا القسم زهاء مائتى صفحة ، وجاء فى ثلاثة فصول : الأول : فى العقيدة الاسلامية ، والثانى : فى التشريع والأخلاق والجماعة الاسلامية ، أما الثالث والأخير ، فهو خاتمة العهد المكى ••

يقرر المؤلف فى مقدمته ـ ونحن موافقون له ـ أن مادة الدعوة الاسلامية ، لم تحظ من قبل بتقعيد علمى لموضوعاتها ، كما حظى الفقه والأصول ، وعلوم الاجتماع والتاريخ والجغرافيا ، وما اليها ، فأصبح من الواجب الذى يثاب عليه بالأداء ، ويعاقب عليه بالترك أن

تبذل جهود جمة لابراز موضوعات الدعوة الاسلامية فى اطار أكاديمى، علمى ..

كذلك يقرر المؤلف : أن المنهج الذى التزمه فى هذه الدراسة ، يقوم على ركيزة خاصة هى : والذاتية الاسلامية وهى ـ كما يقول المؤلف ـ ليست مفهوما يصور فى حد أو رسم منطقى أو فلسفى » ولكنها سلوك عملى قدم له الرعيل الأول فى اطاره الذى يعيه العقل المسلم وتطبقه الجوارح الخاشعة .. ومن أوليات هذا الالتزام عند المؤلف ، التجرد من التبعية مطلقا فى الفكر والمنهج والقصد ..

الحق أن المؤلف كتب دراسة شاملة متكاملة عن : الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى « غلب عليها بعض الاستيعاب التاريخى الذى تميزت به معظم سائر المؤلفات فى السيرة المحمديه ، وان كان نصيب التحليل فيها غير قليل » .

والمؤلف استطاع أن يحافظ ـ على وجه التقريب ـ على التزام المنهج الذى اختاره ، ولا سيما فيما يتصل بابراز الذاتية الاسلامية ، فى الدراسة وفى جعل الدراسة ذاتها أقرب ماتكون من الدراسات المنهجية... ونحن نتفق مع المؤلف ـ فى أن الدعوة الاسلامية لم تنل حظها من الاهتمام كسائر العلوم الأخرى ، الا أنه يرى أن مكمن التقصير هو أن الدعوة الاسلامية لم تحظ من قبل بتقعيد علمى لموضوعاتها ، ولسنا ندرى ماذا يقصد بالتقعيد العلمى ؟ كان من الأولى أن يكون مكمن التقصير » فى أن الدعوة لم تحظ ـ كما ينبغى ـ بما يحولها من سرد تاريخى الى دراسة منهجية جديرة بالبحث والمناقشة ، فالدعوة الاسلامية ليست علما كالهندسة والجغرافيا والطبيعة .. وانما هى فكرة ربانية يقوم بناؤها على الابداع فى كل نواحيها : عقيدة ، وفكرة ، ومنهاجا ونظاما .. وهذا الاحساس الذى نحس به » أحس به المفكرون المحدثون ، منهم المرحوم هيكل ، والمودودى ، والبنا ، والعقاد ، والمرحوم الدكتور دراز وغيرهم ..

نلاحظ أن المؤلف ـ رأى استبعاد ما كتبه المستشرقون عن الاسلام والدعوة ، حتى ولو كانوا مخلصين ،

تمشيا – كما يقول – مع طبيعة الدراسة الذاتية الاسلامية . ولست أرى مساسا بهذه الذاتية ان نعرض آراء الغير ، ما دامت وثيقة الصلة بالدراسة ، والمؤلف تحاشى التصدى للخصوم الفكريين والخصوم التاريخيين ، مكتفيا بالتصدى لخصوم الدعوة المعاصرين لها ، وكان الأجدر بالمؤلف لو اهتم بالخصومة المعاصرة ، فى أشكال من المذاهب المناهضة للفكر الاسلامى ، فهى التى تتحرك اليوم فى الميدان ، وقد كان المرحوم الدكتور دراز موفقا فى دراسة الدكتوراه عن : دستور الأخلاق فى القرآن ، حين أقام منهجه فى دراسته على مواجهة الفكر الغربى الاستشراقى والتبشيرى معا ..

وبعد – فان الدراسة التى بين أيدينا – على ما أعلم – هى رسالة الدكتوراه للمؤلف – اذن فالمفروض فيها أن تكون دراسة علمية موضوعية، ينبغى أن تسمو فوق الأسلوب الحماسى والعاطفى ، وهو قليل فى هذه الدراسة ، ربما لأن المؤلف عاش الدعوة الاسلامية بفكره ومشاعره منذ كان طالبا .. ويبقى بعد ذلك تقديرنا الكبير لهذه الدراسة القيمة .. انها دراسة منهجية اهتمت بالتحليل العميق الذى يجب أن يكون متوافرا فى أية دراسة تتصل بالدعوة الاسلامية »

مع الله :

للأستاذ عبد الجواد رجب

هذا البحث الموجز الذى نشرته دار الاعتصام بالقاهرة ، يقع فى أكثر من مائة صفحة من القطع المتوسط ، وهو نظرات فى الكون والحياة ، قدم له بمقدمة موجزة فضيلة الشيخ محمد الغزالى ، أشار فيها الى أن كتاب المؤلف ، مثل جميل لخدمة الايمان بالأسلوب العلمى الحديث ، والمنهج القرآنى القويم ..

والمؤلف يشير فى مقدمته ، أنهذه الرسالة تثبت بالأدلة وجود الله تعالى » عن طريق آثاره ، ومعرفته من ثنايا مخلوقاته فى رحاب كونه ، سمائه وأرضه وما فيها ، وقد قسم بحثه الى خمسة أقسام : وجود الله تعالى والعقل ، فى رحاب الكون ، مع الكائنات فى الدنيا ، وفى أنفسكم وما تبصرون ثم : من مواقف الايمان، والحق أن المؤلف قد جال بنا جولة ممتعة فى أسلوب شيق غلب عليه

الطابع الأدبى ، وطابع الحماس أيضا، ذكرنا بأسلوب المنفلوطى واسلوب الرافعى معا ، واهتم المؤلف بآراء فلاسفة الغرب ، لأنهم حجة على الغرب مهد الالحاد ورافع شعاره ، وكم كنا نود أن تهتم الرسالة اهتماما أكثر بمناقشة الماديين مناقشة موضوعية ..

وبعد ـ فالحق أننا اليوم فى حاجة الى مثل هذه الأبحاث الموجزة المركزة ، لمواجهة التحديات التى تهب علينا من الغرب والشرق ، ويتأثر بها الشباب المثقف المسلم ، الذى أصبح فى حاجه ماسة الى أن نأخذ بيده ..

الفكر التشريعى الاسلامى ومشكلات الحضارة

للأستاذ عبد الجليل عبد الدايم :

هذا بحث قيم جدير بكل تقدير يقع فى أربعين صفحة من القطع الكبير ، نشرته مجلة ادارة قضايا الحكومة بالقاهرة للاستاذ الشاب عبد الجليل عبد الدايم النائب بادارة قضايا الحكومة ، والموضوع هو : ضمانات نفاذ التشريع الاسلامى ، وقد تناوله فى خمسة مباحث : تراثنا الفقهى والتطور ، الجمود المذهبى : ملامحه وآثاره ، الرجوع الى الكتاب والسنة ، الاسلام وتطورات العصر ، ثم المصلحة وتطوير الفقة ..

أشار الكاتب فى البداية الى أن القاعدة القانونية الوضعية تتحيز بأنها تستمد قوتها الملزمة من وقوف سلطة الدولة الحديثة وهيئاتها المختلفة وراءها ، ولأن السلطة تقف عاجزة فى كثير من الأحيان عن كفالة الاحترام الواجب لقاعدتها القانونية بدا الهجوم فى الفقة الوضعى شديدا على النظرية التقليدية التى تقيم حدودا فاصلة بين قاعدة الأخلاق . والقاعدة : القانونية ، وكان أن ظهر اتجاه جديد يدعو الى بناء قاعدة القانون على أسس أخلاقية ، وقد تجاوز التشريع الاسلامى هذا كله ، ذلك لأن القوة الملزمة للنصوص الاسلامية ، نابعة عن العقيدة الاسلامية ، ونتيجة امتزاج قاعدة التشريع بوجدان المكلف امتزاجا شديدا ... فالعقيدة هى وحدها القادرة على خلق وحدة الشعور والتفكير الضروريين لاستقرار الجماعة ، فضلا عن أن القاعدة القانونية الاسلامية ، ليست قاعدة

قانونية ذات أساس أخلاقى فحسب ، بل انها فى ذاتها قاعدة حياة وسلوك .

ان البحث دراسة مقارنة على جانب من الاهتمام ، وجميل من شبابنا المثقف ثقافة مدنية ، أن يتجه اتجاها طيبا نحو الاسلام . متخذا من دراسته الأصيلة منطلقا لابراز قيمة الاسلام ولا سيما فى مجال التشريع ..

قراءات :

« كتب عمر بن عبد العزيز الى الأسرى المسلمين بالقسطنطينية :

أما بعد ـ فانكم تعدون أنفسكم أسارى : معاذ الله ، بل أنتم الحبساء فى سبيل الله .. واعلموا أنى لست أقسم شيئا بين رعيتى الا خصصت أهليكم بأوفر نصيب وأطيبه .. وانى قد بعثت اليكم بخمسة دنانير .. خمسة دنانير ، ولولا أنى خشيت ـ ان زدتكم ـ أن يحبسه طاغية الروم عنكم لزدتكم .. وقد بعثت اليكم من ينادى صغيركم وكبيركم ، وذكركم وأنثاكم ، وحركم ومملوككم .. فأبشروا ثم أبشروا » .

« من سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم »

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

السؤال الأول : ما حكم الآذان والاقامة فى قبر الميت عند وضعه فيه ؟

الجواب : لاريب أن ذلك بدعة ما أنزل الله بها من سلطان لأن ذلك لم ينقل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا عن أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ والخير كله فى اتباعهم ، وسلوك سبيلهم كما قال الله سبحانه : (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) الآية ،وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) متفق على صحته ، وفى لفظ آخر قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد (وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول فى خطبة الجمعة : (أما بعد فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلال) خرجه مسلم فى صحيحه من حديث جابر ـ رضى الله عنه .

السؤال الثانى : ما حكم التلفظ بالنية جهرا فى الصلاة ؟

الجواب : الجهر بالنية بدعة والجهر بذلك أشد فى الاثم ، وانما السنة النية بالقلب لأن الله سبحانه يعلم السر وأخفى ، وهو القائل عز وجل : (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات ومافى الأرض) ولم يثبت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولا عن أحد من أصحابه ، ولا عن الأئمة المتبوعين التلفظ بالنية ، فعلم بذلك أنه غير مشروع ، بل من البدع المحدثة ، وسبق فى جواب السؤل الأول بيان الأدلة الدالة على انكار البدع ، والله ولى التوفيق .

السؤال الثالث : ما حكم رفع الصوت بالصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم - والترضى عن الخلفاء الراشدين بين ركعات التراويح ؟

الجواب : لا أصل لذلك - فيما نعلم - من الشرع المطهر ، بل هو من البدع المحدثة ، فالواجب تركه ، ولن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها وهو اتباع الكتاب ، والسنة ، وما سار عليه سلف الأمة ، والحذر مما خالف ذلك .

السؤال الرابع : ما حكم الجهر بالبسملة فى الصلاة عند قراءة الفاتحة ، وغيرها من السور ؟

الجواب : اختلف العلماء فى ذلك، فبعضهم استحب الجهر بها ، وبعضهم كره ذلك وأحب الاسرار بها وهذا هو الأرجح والأفضل لما ثبت فى الحديث الصحيح عن أنس - رضى الله عنه - قال : كان النبى - صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم، وجاء فى معناه عدة أحاديث وورد فى بعض الأحاديث ما يدل على استحباب الجهر بها ولكنها أحاديث ضعيفة ، ولا نعلم فى الجهر بالبسملة حديثا صحيحا صريحا يدل على ذلك، ولكن الأمر فى ذلك واسع وسهل ولا ينبغى فيه النزاع ، واذا جهر الامام بعض الأحيان بالبسملة ليعلم المأموم أنه يقرأها ، فلا بأس ، ولكن الأفضل أن يكون الغالب الاسرار بها عملا بالأحاديث الصحيحة .

السؤال الخامس : ما حكم ماجرت به عادة بعض الناس من ذبح الابل ، والغنم ، واقامة وليمة عند موت الميت يجتمع فيها المعزون وغيرهمويقرأ فيها القرآن ؟

الجواب : هذا كله بدعة لم يفعله رسول الله صلى الله عليه اسلم - ولا أصحابه - رضى الله عنهم - ، وقد ثبت عن جرير بن عبد الله البجلى الصحابى الشهير - رضى الله عنه - قال : (كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت وصنعة الطعام بعد الدفن من النياحة) أخرجة الامام أحمد ، وابن ماجه بسند صحيح ، وانما المشروع أن يصنع الطعام لأهل الميت ، ويبعث به اليهم من أقاربهم أو جيرانهم أو غيرهم لكونهم قد شغلوا بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم لما ثبت فى

الحديث الصحيح عن عبد الله بن جعفر – رضى الله عنه – قال : لما أتى نعى جعفر بن أبى طالب – رضى الله عنه – قال النبى – صلى الله عليه وسلم – : اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد أتاهم مايشغلهم ، أخرجه الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه باسناد صحيح ، وهذا العمل – مع كونه بدعة – فيه أيضا تكليف أهل الميت وأتعابهم مع مصيبتهم ، واضاعة أموالهم فى غير حق ، والله المستعان .

السؤال السادس : هل على السيارات التجارية التى تسافر وتجلب الحبوب ، وغيرها زكاة ، وهكذا ما أشبهها من الجمال ؟

الجواب : ليس على السيارات ، والجمال المعدة لنقل الحبوب ، والأمتعة ، وغيرها من بلاد الى بلاد زكاة لكونها لم تعد للبيع وانما أعدت للنقل ، والاستعمال ، أما ان كانت السيارات معدة للبيع ، وهكذا غيرها من الجمال ، والحمير ، والبغال ، وسائر الحيوانات التى يجوز بيعها اذا كانت معدةللبيع فأنها تجب فيها الزكاة لأنها صارت بذلك من عروض التجارة فوجبت فيها الزكاة لما روى أبو داود ، وغيره عن سمرة بن جندب – رضى الله عنه قال : كان النبى – صلى الله عليه وسلم – يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذى نعده للبيع ، والى هذا ذهب جماهير أهل العلم ، وحكاه الامام أبو بكر بن المنذر – رحمه الله – اجماع أهل العلم .

السؤال السابع : بلادنا تنتج الحب والعملة عندنا بالحبوب لقلة النقود ، فاذا جاء وقت البذر اشترينا من التجار الصاع بريال ، فاذا جاء وقت الحصاد وصفيت الحبوب سلمنا للتجار عن كل ريال صاعين مثلا لأن السعر فى وقت الحصاد أرخص منه فى وقت البذر ، فهل تجوز هذه المعاملة ؟

الجواب : هذه المعاملة فيها خلاف بين العلماء ، وقد رأى كثير منهم أنها لا تجوز لأنها وسيلة الى بيع الحنطة ونحوها بجنسها متفاضلا ونسيئة وذلك عين الربا من جهتين : جهة التفاضل ، وجهة التأجيل ،وذهب جماعة آخرون من أهل العلم الى أن ذلك جائز اذا كان البائع ، والمشترى لم يتواطآ على تسليم الحنطة بدل النقود ، ولم يشترطا ذلك عند العقد هذا هو كلام أهل العلم فى هذه المسألة ، ومعاملتكم هذه يظهر منها التواطؤ على تسليم

حب أكثر بدل حب أقل لأن النقود قليلة وذلك لا يجوز ، فالواجب على الزراع فى مثل هذه الحالة أن يبيعوا الحبوب على غير التجار الذين اشتروا منهم البذر ، ثم يوفوهم حقهم نقدا ، هذا هو طريق السلامة ، والاحتياط والبعد عن الربا ، فان وقع البيع بين التجار ، وبين الزراع بالنقود ، ثم حصل الوفاء من الزراع بالحبوب من غير تواطىء ، ولا شرط فالأقرب صحة ذلك كما قاله جماعة من العلماء ، ولا سيما اذا كان الزارع فقيرا ويخشى التاجر أنه ان لم يأخذ منه حبا بالسعر بدل النقود التى فى ذمته فات حقه ولم يحصل له شىء لأن الزارع سوف يوفى به غيره ويتركه أو يصرفه – أى الحب – فى حاجات أخرى ، وهذا يقع كثيراً من الزراع الفقراء ، ويضيع حق التجار، أما اذا كان التجار والزراع قد تواطئوا على تسليم الحب بعد الحصاد بدلا من النقود فان البيع الأول لا يصح من أجل التواطىء المذكور ، وليس للتاجر الا مثل الحب الذى سلم للزارع من غير زيادة تنزيلا له منزلة القرض لعدم صحة البيع مع التواطىء على أخذ حب أكثر .

السؤال الثامن : هل التسبيح برفع الصوت يوم الجمعة قبل الصلاة بساعة أو أكثر سنة أم بدعة ؟

الجواب : لا شك أن هذا العمل بدعة ، لأنه لم يبلغنا عن النبى – صلى الله عليه وسلم – ، ولا عن أصحابه أنهم فعلوا ذلك ، والخير كله فى اتباعهم ، أما من سبح بينه وبين نفسه فلا بأس بذلك بل فيه خير عظيم ، وثواب جزيل لما صح عن النبى – صلى الله عليه وسلم – أنه قال :(أحب الكلام الى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر) ، وقال – عليه الصلاة والسلام – : (كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان فى الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم) ، والأحاديث فى فضل أنواع الذكر كثيرة .

السؤال التاسع : يكثر بين الناس عندنا الحلف بالطلاق ، والحرام : فما حكم ذلك ؟

الجواب : أما الحلف بالطلاق فهو مكروه لا ينبغى فعله لأنه وسيلة الى فراق الأهل – عند بعض أهل العلم – ، ولأن الطلاق أبغض الحلال

الى الله ، فينبغى للمسلم حفظ لسانه من ذلك الا عند الحاجة الى الطلاق ، والعزم عليه فى غير حال الغضب ، والأولى الاكتفاء باليمين بالله سبحانه اذ أحب الانسان أن يؤكد على أحد من أصحابه أو ضيوفه للنزول عنده للضيافة أو غيرها ، أما فى حال الغضب فينبغى له أن يتعوذ بالله من الشيطان ، وأن يحفظ لسانه وجوارحه عما لا ينبغى ، أما التحريم فلا يجوز سواء كان بصيغة اليمين أو غيرها لقول الله سبحانه : (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) الآية ، ولأدلة أخرى معروفة ، ولأنه ليس للمسلم أن يحرم ما أحل الله له ، أعاذ الله الجميع من نزغات الشيطان .

السؤال العاشر : اذا تخاصم قبيلتان أو شخصان حكم شيخ القبيلة على المدعى عليه بعقائر من الابل أو الغنم تعقر وتذبح عند من له الحق ، الى آخره ؟

الجواب : الذى يظهر لنا من الشرع المطهر أن هذه العقائر لاتجوز لوجوه، أولها : أن هذا من سنة الجاهلية ، وقد قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم: (لا عقر فى الاسلام) ، والثانى أن هذا العمل يقصد منه تعظيم صاحب الحق ، والتقرب اليه بالعقيرة ، وهذا من جنس مايفعله المشركون من الذبح لغير الله ، ومن جنس ما يفعله بعض الناس من الذبح عند قدوم بعض العظماء ، وقد قال جماعة من العلماء : ان هذا يعتبر من الذبح لغير الله ، وذلك لا يجوز بل هو فى الجملة من الشرك ، كما قال الله سبحانه : (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، والنسك هو الذبح ، قرنه الله بالصلاة لعظم شأنه فدل ذلك على أن الذبح يجب أن يكون لله وحده ، كما أن الصلاة لله وحده ، وقال تعالى : (انا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر) ، وقال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (لعن الله من ذبح لغير الله) ، الوجه الثالث : ان هذا العمل من حكم الجاهلية ، وقد قال الله سبحانه : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وفيه مشابهة لأعمال عباد الأموات ، والأشجار ، والأحجار كما تقدم ، فالواجب تركه وفيما شرع الله من

الأحكام ، ووجوه الاصلاح ما يغنى ويكفى عن هذا الحكم ، والله ولى التوفيق .

السؤال الحادى عشر : قد اشتهر عندنا أن الرجل اذا غاب عن بلاده ثم قدم ان النساء من جماعته يأتين اليه ويسلمن عليه ويقبلنه ، وهكذا فى الأعياد ، عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، فهل هذا مباح ؟

الجواب : قد علم بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أن المرأة ليس لها أن تصافح أو تقبل غير محرمها من الرجال سواء كان ذلك فى الأعياد أو عند القدوم من السفر أو لغير ذلك من الأسباب ، لأن المرأة عورة ، وفتنة فليس لها أن تمس الرجل الذى ليس محرما لها سواء كان ابن عمها أو بعيدا منها ، وليس لها أن تقبله أو يقبلها ، لانعلم بين أهل العلم - رحمهم الله - خلافا فى تحريم هذا الأمر وانكاره لكونه من أسباب الفتن ، ومن وسائل ما حرم الله من الفاحشة ، والعادات المخالفة للشرع لا يجوز للمسلمين البقاء عليها ، ولا التعلق بها بل يجب عليهم أن يتركوها ويحاربوها ، ويشكروا الله سبحانه الذى من عليهم بمعرفة حكمه ووفقهم لترك مايغضبه ، والله سبحانه بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام - وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لدعوة الناس الى توحيده سبحانه ، وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، ومحاربة العادات السيئة التى تضر المجتمع فى دينه ، ودنياه ، ولا شك أن هذه العادة من العادات السيئة ، فالواجب تركها ، ويكفى السلام بالكلام من غير مس ، ولا تقبيل ، وفيما شرع الله وأباح غنية عما حرم ، وكره ، وكذلك يجب أن يكون السلام مع التحجب ولاسيما من الشابات لأن كشف الوجه لا يجوز لكونه من أعظم الزينة التى نهى عن ابدائها ، قال الله تعالى : (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن) الى آخر الآية الكريمة ، وقال تعالى فى سورة الأحزاب : (واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) الآية ،وقال تعالى : (يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) وقال تعالى : « والقواعد من النساء اللاتى

لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم » والقواعد : هن العجائز ، بين الله سبحانه أنه لا حرج عليهن فى وضع ثيابهن عن الوجه ونحوه اذا كن غير متبرجات بزينة ، وأن التستر ، والتحجب خير لهن لما فى ذلك من البعد عن الفتنة ، أما مع التبرج بالزينة فليس لهن وضع الثياب بل يجب عليهن التحجب ، والتستر وان كنا عجائز ، فعلم بذلك كله أن الشابات يجب عليهن التحجب عن الرجال فى جميع الأحوال سواء كن متبرجات بالزينة أم غير متبرجات لأن الفتنة بهن أكبر ، والخطر فى سفورهن أعظم ، واذا حرم سفورهن فتحريم الملامسة ، والتقبيل من باب أولى لأن الملامسة ، والتقبيل أشد من السفور ، وهما من نتائجه السيئة ، وثمراته المنكرة ، فالواجب ترك ذلك كله ، والحذر منه ، والتواصى بتركه وفق الله الجميع لما فيه رضاه ، والسلامة من أسباب غضبه انه جواد كريم ، والذى أوصى به الجميع هو تقوى الله سبحانه ، والمحافظة على دينه ، ومن أهم ذلك ، وأعظمه المحافظة على الصلوات الخمس فى أوقاتها ، وأداؤها بالخشوع والطمأنينة ، والمسارعة من الرجال الى أدائها فى الجماعة فى مساجد الله التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه كما قال الله سبحانه : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) ، وقال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) ، ومن الأمور المهمة الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر والتعاون على البر والتقوى ، والتواصى بالحق ، والصبر عليه ، وهذه هى أخلاق المؤمنين ، والمؤمنات ، وصفاتهم كما بين الله ذلك فى قوله عز وجل : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) .

وأسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه وأن يهدينا جميعا صراطه المستقيم انه سميع قريب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمد محمد ابو شادى

أنبـــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

*** احتفالات العالم الاسلامى بالمولد النبوى الشريف :**

احتفل العـــالم الاســلامى بالمولد النبوى الشريف ، فأقيمت المهرجانات ، وعقدت الندوات ، وألقيت المحاضرات ، التى تناولت سيرة الرسول صـلى الله عليـه وسـلم العطـرة ، وشـخصيته الفريدة ، وخلقه العظيـم ، وجهـاده الصامد ، فى سـبيل الحق ، واعـلاء كلمـة الله ، ونشر دينـه الحنيف ، ليتأسى بسيرته المسـلمون ، وليأخذوا منها قوة الدفع الى مزيد من الايمـان والعمـــل والوحدة ، والى مزيد من الاعداد والصمود ، حتى يتم الله لهم النصر بقيادة القـــائد المؤمن الرئيس محمد أنور السادات ...

ومن الاحتفالات التى أقيمت بهذه المناسبة الكريمة :

*** احتفال الأزهر :**

أقام الأزهر احتفالا كبيرا بمناسبة بدء الاحتفالات بالمولد النبوى الشريف مساء يوم الجمعة ٨ من ربيـع الأول ١٣٩٥ هـ - ٢١ من مارس ١٩٧٥ م بالجامع الأزهر ..

وقد أناب الرئيس محمـــد أنور السادات الدكتور محمود عبد الحافظ محـافظ القـــاهرة لحضـــور هذا الاحتفال ..

وشهد الاحتفـال السادة : حسين الشافعى نائب رئيس الجمهـــورية ، والدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء ، والدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينيـة ووزير الأوقاف ، والمهنـدس أحمـد على كمـال وزير الرى ، والدكتور حمـدى النشار وزير المـالية ، وعبد الرحمـن الشاذلى وزير التمـوين ، والدكتـور أحمـد كمـال أبو المجد وزير الاعلام ، ومحمد حامد محمود وزير الحـكم المحـلى ، والمهنـدس عثمان أحمـد عثمان وزير الاسـكان

والتعمير ، ومحمد توفيق عويضة السكرتير العام للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ..

وألقى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر كلمة الاحتفال ، تحدث فيها عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلقه وشخصيته ، كما تحدث عن دعوته الى وحدة الأمة الاسلامية وجهاد أصحابه فى سبيل توحيدها ..

وأعلن فضيلته تأييد الأزهر لخطوات دولة العلم والايمان ، ودعا المسلمين الى التأسى بالسلف الصالح ، وأن يعودوا الى القرآن حفظا وفهما وعلما وعملا ، كما دعاهم الى وحدة الصف والى التكاتف والتساند ، فى سبيل الدفاع عن دين الله وعن الوطن العربى والاسلامى ، وفى سبيل تحرير أرض العرب واسترداد مقدساتهم ، وتحرير المسلمين فى كل مكان ..

وختم كلمته بتهنئة الأمة العربية والاسلامية ، وتهنئة ملوكها ورؤسائها وجنودها البواسل بهذه الذكرى الكريمة داعيا الله أن يكتب لهم النصر والتأييد ..

*** احتفال الأوقاف :**

أقامت وزارة الأوقاف احتفالا رسميا بمناسبة المولد النبوى الشريف بمسجد الامام الحسين رضى الله عنه، وذلك مساء يوم الاثنين ١١ من ربيع الأول ١٣٩٥ هـ - ٢٤ من مارس ١٩٧٥ م ..

وحضر الاحتفال نائبا عن الرئيس السادات الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف ..

وشهد الاحتفال السادة : الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء ، وفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، والدكتور محمود عبد الحافظ محافظ القاهرة ، كما شهده عدد كبير من العلماء وكبار المسئولين وممثلوا القوات المسلحة وسفراء الدول الاسلامية والعربية بالقاهرة ووفود المواطنين من جميع المحافظات ورجال الطرق الصوفية ...

وألقى الدكتور عبد العزيز كامل نائب رئيس الوزراء للشئون الدينية ووزير الأوقاف كلمة تحدث فيها عن

الدروس المستفادة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وربطها بالموقف الذى تقفه أمتنا من خلف قائد مسيرتها الرئيس المؤمن محمد أنور لسادات ، حفاظا على عروبة القدس وحقوق شعب فلسطين واسترداد أرضنا السليبة ..

وكان الشيخ محمد محمود سطوحى شيخ مشايخ الطرق الصوفية قد افتتح الحفل بكلمة تحدث فيها عن الرسول كقدوة ، وأعلن مبايعة ملايين المتصوفين للقائد المؤمن محمد أنور السادات ..

*** احتفال القوات المسلحة :**

أقامت القوات المسلحة احتفالا دينيا بمناسبة ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، وشهد الحفل فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر ، وكبار رجال القوات المسلحة وعدد كبير من القادة وطلبة الكليات العسكرية والجنود ..

وألقى فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى وزير شئون الأزهر كلمة فى الحفل تحدث فيها عن جهاد الرسول من أجل اعلاء كلمة الله ، والنهج الذى اتبعه للجهاد فى سبيل الله ، وما يجب أن يتمتع به المقاتل من صفات التضحية والفداء ..

*** احتفال الشرطة :**

احتفلت كلية الشرطة بالمولد النبوى الشريف ، فأقامت عرضا عسكريا بميدان التحرير اشترك فيه ضباطها وطلبتها ، كما اشترك فى العرض مجموعات رمزية من الخيالة والمشاة وفرق الانقاذ والصاعقة ..

وشهد العرض ممدوح سالم نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، ومديرو المصالح والادارات بالوزارة ، وكبار رجال الشرطة ..

*** احتفالات الوزارات والمحافظات :**

أقامت الوزارات والمحافظات والهيئات والمؤسسات والجامعات والمعاهد والمدارس ووحدات الجيش احتفالات بالمولد النبوى الشريف ، ألقيت فيها المحاضرات ، ووزعت الحلوى ، كما أقيمت احتفالات بجميع مساجد الجمهورية تناول فيها العلماء الدروس المستفادة من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانة الذكرى ..

*** فى الكويت :**

أقيم فى الكويت احتفـال كبـير بالمولد النبـوى الشريف بمسـجد السـوق الكبير حضره عدد كبـير من الوزراء ، والشخصيات الاسـلامية ، كما أقامت وزارة الشئون الاجتماعية هنـاك ندوة دينيـة بهـذه المناسـبة الكريمة ••

*** فى نيجيريا :**

أقيم فى لاجوس مؤتمر اسـلامى احتفـالا بذكرى المولد النبـوى الشريف ، وقد وجه الرئيس محمـد أنور السادات رسالة الى المؤتمـر قال فيها :

(••• ان احتفال المسلمين بذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم يجب ألا يمر بهم مرور الطيف سريعا بغير أن يجنوا منه عبرا وعظات بل عليهم جميعا أن يقتبسوا من كتاب ربهم ومن حيـاة نبيهـم ما يرتفع بهـم أفرادا وجماعات ••

وفى هذه الظروف التى نحيـاها نجد فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم المثل العليا التى تتطلبها ••) •

*** فقيد العروبة والاسلام المرحوم جلالة الملك فيصل :**

فقدت الأمة العربيـة والاسـلامية مجاهدا صـادقا ، وقائدا مخلصـا ، وزعيما بارزا ، وهب حيـاته لخدمة العروبة والاسـلام ، ومساندة العرب والمسلمين فى كل مكان ، هو المرحوم جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ••

وقد توفى جـلالته متأثرا بجراحه اثر حادث اغتيال أثيم من أمير سعودى هو ابن شقيقه الأمير فيصل بن مساعد ابن عبد العزيز ، وذلك يوم الثلاثاء ١٢ من ربيـع الأول ١٣٩٥ هـ ــ ٢٥ من مارس ١٩٧٥ م ••

*** الرئيس السـادات ينعى جـلالة المغفور له الملك فيصل للشعب المصرى والأمة العربية والعالم الاسلامى :**

وجه الرئيس محمد أنور السادات بيانا نعى فيه الى الشعب المصرى والأمة العربية والعالم الاسلامى وفاة المرحوم جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ، هذا نصه :

(بسم الله الرحمن الرحيم ••

وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ••

ينعى الرئيس محمد أنور السادات الى شعب مصر والى الأمة العربية والعالم الاسلامى رجلا من أعظم الرجال وأبرهم ، وزعيما من أفضل الزعماء وأخلصهم وأجلهم ، أدى لشعبه وللقضية العربية والعالم الاسلامى من الخدمات الكبار ماسوف يذكر له بالعرفان والوفاء ، ذلكم هو جلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، عاهل المملكة العربية السعودية ..

واذا كان العالم العربى والاسلامى يذكر لجلالته وقفاته القوية دفاعا عن كل حق عربى وكل مقدس اسلامى فان مصر رئيسا وحكومة وشعبا ستظل تذكر له بكل الوفاء والعرفان وقفته التاريخية معها قبل أن تنطلق الشرارة فى معارك العبور ، وخلال تلك المعارك المظفرة ، وخلال كل المواقف المصيرية التى خاضتها أمتنا فى أعقابها ، وهى وقفات امتدت أصداؤها الى العالم العربى كله ، وكانت مثالا فذا للشهامةالعربية وللأخوة الاسلامية وكان لها الفضل العظيم فى الحفاظ على التضامن العربى ، والاخاء الاسلامى ..

وان مصر رئيسا وحكومة وشعبا لتقف فى هذه اللحظات بكل ما تملك من قوة وجهد الى جانب المملكة العربية السعودية وشعبها العظيم ، سائلة الله تعالى أن يرحم العاهل العظيم ، وأن يجزيه عن كل ما قدم لأمته ودينه بما هو أهله من الخير ، وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) ..

وقد سافر الرئيس محمد أنور السادات الى السعودية على رأس وفد رسمى لتقديم العزاء فى فقيد العروبة والاسلام المرحوم جلالة الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية وذلك يوم الأربعاء ١٣ من ربيع الأول ١٣٩٥ هـ - ٢٦ من مارس ١٩٧٥ م.

*** شيخ الأزهر ينعى جلالة المغفور له الملك فيصل الى العالم الاسلامى :**

نعى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الى العالم الاسلامى جلالة المرحوم الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية فى بيان أصدره هذا نصه :

(بقلب ملتجىء الى الله مستسلم لقضائه وقدره ينعى شيخ الأزهر باسمه وباسم الأزهر الى العالم

الاســـلامى رجـــلا من أبرز قدته المخلصين فى العصر الحديث المرحوم الملك فيصــل ملك المملكة العربيـــة الســـعودية الذى عمـــل بكل قوة واخلاص من أجل النهوض بالعـــالم العـــربى والاســـلامى وتخليصه من براثن التخلف والاستعمار والعبودية لغير الله •

ونتوجه الى الله العـلى القدير أن يلهم الشعب السعودى والعالم العربى والاسلامى الصبر فى مصـــابه الأليم وأن يمده بالحكمة فى مواجهـة هذا الحدث الجلل) •

كما نعاه جميـع رجالات العـــالم وحكوماته وشعوبه وطوائفه وهيئاته •

رحم الله فقيد العروبة والاســـلام المرحوم جلالة الملك فيصل وأســـكنه فسيح جنته مع الصديقين والشـــهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا •

*** فى جامعة الأزهر :**

تقـــرر أن تتحـــول كليـــة البنـــات الاسلامية الى جامعة اسلامية للبنـــات كفرع آخر لجامعة الأزهر •

وتحتوى هذه الجامعة الجديدة على الكليات التى تحتـــويها الجامعـــة الأم وتكون خاصـــة بالبنـــات المسلمات من جميع أنحاء العالم •

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ /١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٠٠٢ / ١٧٥ - ١٩٣٥

meant creative thought and action, became in the course of time, synonyms of imitation. One such example is the term 'Fiqh' which meant understanding and grasping the situation. Islamic Fiqh, which is the embodiment of Muslim creative thinking in the field of law, has now become a source of imitation, only because the followers forgot that no two moments of history are alike. True, there is the best guidance for the believers in the life of the Prophet (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) but what is eternal in the Prophetic example is his gaze towards the eternal, when he was engaged in history. It is, perhaps, in this sense, that one has to follow the Prophet. The true followers of the Prophet can only be those who become a source of 'good' (خير) for mankind and change the entire scheme of existence for the betterment of mankind. So long as Muslims will think in terms of reviving the entire institutional life, which was once the achievement of the Muslim race, they will not be able to become a force in world-history, because history has never been a witness to the success of such attempts at revival. The moment they became creative and turn towards the spirit of the Quran for guidance, they will emerge as a force. The possibilities of Islam have not been exhausted in the past history. It will be the end of Time, if this happens. The "end of Time" may be imminent, but so long as it does not occur, we are far from it and our role as creative actors on the stage of history is not exhausted.

is neither to be afraid of anything nor is he to be disappointed,

(ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون)

The Quran is perhaps, the first Book, which makes "despondency" (حزن) a mark of disbelief.

« لا تقنطوا من رحمة الله »

is the eternal message of the Quran to the conquering human race. It is significant to note that the Quran does not permit any artificial division of mankind into racial or ethnic groups. It divides mankind into those who accept the Divine Trust, who fix their gaze towards Absolute (المؤمنون) and those who trifle, with life, reject the Trust and who turn away from Him (الكافرين)

Briefly stated, these are the metaphysical and socilogical approaches of the Quran and it is clear that the vision of the Quran, if properly applied, leads to the re-awakening of human Destiny. So long as the Believers were led by this vision, they opened new possibilities of human development and freedom. It is this spirit and the vision, which the Islamic world has to re-capture in the modern world, if it has to march forward, while keeping its identity intact. It is not the barren way of revivalism; it is, in the true sense, the way of re-discovery and re-capturing the past. It will be the realmoment of the Renaissance of the Islamic world. The Western world did not revive its entire Graeco-Roman past, which is historically impossible and a futile activity; it only rediscovered its essential past and could come out of the obscurantism of the middle ages. It is a matter of concern that the Islamic world has not been, so far, able to distinguish between revivalism and re-capturing of the past. It is still engaged in attempts at revival and, finding it impossible, curses the contemporary age for being wicked. History offers challenges to living communities and individuals and it is the mark of a living being that he understands the movement of history and changes accordingly while retaining and preserving its realcontinuity and identity. It is true that the Book and the great Prophetic tradition are the eternal sources of guidance for the Believer in this changing world, but it has to be remembered that they are the living guides and not lifeless models. The Prophet moved in history and transformed it and made it obligatory, on his followers, to continue this process of transformation. They did it for sometime and were the اعلون the moment they ceased to be creative and became the imitators of their forefathers (سلف), they ceased to be a living force in history. It is a pity that terms which once

events is concerned, which includes the human world and thus does not leave a gap between destiny and casuality وان ليس للانسان الا ما سعى – لن تجد لسنة الله تبديلا .

6. It encourages, even makes obligatory, the study of the physical world and the past history of mankind.

7. It discourages pseudo-sciences like astrology and regards the universe as indifferent to human destiny.

8. It denies that there are intermediaries between God and the Universe and thus makes a scientific study of the Universe possible.

These few points are enough to suggest that the Quranic spirit is not anti-scientific, it rather encourages scientific study of the universe and demands that man exploit the forces of nature for his own benefit.

Secondly, on the question of the status of man in this universe, the Quran takes an attitude, which is neither that of the deification of man nor that of his complete insignificance in the scheme of existence. The Quran strikes at the root of human pride by reminding him of his humble origin; he is just a creature of God and a product of clay, which means that the entire creaturely order is a continum, man only standing at the apex of it. Man is actually humble; yet he has great potentialities of development. It is upto him to rise or to go down still lower in the order of existence. To save him from pride, the Quran repeatedly reminds that he is finite and death is always knocking at his door. Combined with the view of the irreversibility of Time, it means that life is valuable and an occasion to be used, rather than be wasted in idle talk or meaningless activities. It is in this context that life is a "striving in the way of God'' جهاد في سبيل الله In the Quranic vision of man, he is neither absolutely free nor are his liberty and dignity drowned in the ocean of Divine Omnipotence. He is free to act within limits set by God, which means that the entire world is his stage of activity and he has to fix his gaze towards God, While finding his Destiny on this planet. The moment he turns his eyes away from God, he becomes a source of evil in this world and forfeits his rights as the Viceregent of God. God does not demand absolute surrender what is demanded of him is a constant turning towards him. Man's feet are to be firmly rooted in the earth, while his eyes are to be fixed towards the ideal, the Divine Being. By this act of fixing his eyes towards the Absolute, the world becomes permissible (حلال) to him. Thus he

way of life and a new manner of looking at the world. Moreover, the pre-Islamic past of these socities did not have a rich scientific basis as the Greek past of Western countries.

The Western world has an unbroken identity from its Greece-Roman past till the present moment, but the Islamic world gained a new identity after it embrace Islam. The problem of the Islamic world is to enter the new age of science without losing its identity, i.e., without renouncing its Islamic past. To preserve one's identity not only means preservation of the past, it also implies continuous growth in Time. In a certain sense, the Islamic world lost its identity, when the period of growth came to an abrupt end and it started imitating its own past. From this angle, the problem of the Islamic world is to re-gain its true identity by moving forword in Time and by forcing its re-entry on the stage of history, Will it be able to derive inspiration from its past tradition and its religious outlook in this gigantic task ? On an answer to this question, depends the future of the Islamic world in the present moment of world history.

Islam is the youngest religion of the world, which also claims to be the last divinely guided religion. A few striking features of the Quranic metaphysics are to be noted for present discussion :

1. The Quran treats the invisible and the visible worlds (عالم الغيب والشهادة) as a continum and not as two separate realms.

2. The Quran does not regard the visible world or the world of sense-experience as an illusion, nor as an evil, but regards it as true and real, . (ربنا ما خلقت هذا باطلا) . The world of matter is treated as a challenge to be accepted by the faithful and a stage of human activity,

(وسخر لكم مافى السموات والأرض جميعا)
The Quran also regards senc experienece as a valid source of knowledge.

3. Similarly the world of events (دنيا) and the hereafter (الآخرة) are regarded as a continum. The world of events itself leads to the hereafter and both provide stages, although in different manners, for the spiritual development of man.

4. The Quran regards Time and history as real and believes in the irreversibility of time. Unlike some religions, it does not encourage the idea of re-birth or the possibility of man's re-entry in the world of events.

5. It belives in the law of casuality so far as the world of

from a false consciousness and the result is an increasing confusion in public life.

Life, is, however, moving in a different direction. Science has been introduced as a major discipli: : in universities and centres of higher learning; technology has boen accepted as the major determinant of our productive life.

Western institutions of government and law-making have been establishld and the principle of the sovereignty of the people has become a dogmatic truth. The modern means of production along with the new concept of humanism are striging at the roots of the classical hierarchical society. The Orient is impatient to catch up with the West in technological development and scientific advancement. Institutions for the development of atomic energy have become a matter of prestige in the Oriental societies. Democracy and socialism are becoming signs of enlightenment, and even authoritarian regimes feel obliged to coin terms like guided democracy and basic of democracy. Terms like Islamic socialism and Hindu socialism are quite current in the countries of the East.

The battles fought by the Prophet of Islam and the sacred war of Mahabharata and Ramayana are being interpreted in contemporary terms. These attempts are, in a sense, a triumph of modernity but they can also be looked upon as a retreat of the classical religions. If this process continues, further, the East will lose its identity and will eventually become a slavish imitator of the West without being its equal. The Chinese and Japanese societies could solve their problems without any sad consciousness, as their ancient religions, if they can be called by this name, had been least concerned with the otherworld and the transcendental reality. But the Islamic and the Hindu world have to strive for an authentic solution which could guarantee success as well as their identity.

The modern scientific age in the West represents the rediscovery of its classical past and by demanding Christianity to adjust itself with it, the West could do it because its pre-Christian past was alive in its political institutions art, philosophy and literature. The problem is different for the Islamic World. The Islamic world does not have a common pre-Islamic past and even societies which have a rich pre-Islamic past can hardly succeed in rediscovering it as the acceptance of Islam meant for them a total or nearly total conversion to a new

the manifestations of this broad scientific outlook. Even those who believe in the possibility of a transcendental world do not feel any need of religion for the phenomenal world.

The phenomenal world does not only mean the world of physical space and time, the subject matter of science, it has become co-equal with the entire human world. As the area of visibility is getting enlarged on account of the advances in the field of scientific technology, the invisible worldmeans for the scientifically inclined person the mere not--yet visible. If the pre-scientific culture interpreted the visible in terms of the invisible and regarded the visible as a small but manifest portion of the invisible, the scientific mind does quite the reverse and regards the latter as a mere extension of the former. In matters of communal life, sacred law, and the authority of the church have no relevance, not even marginal.

It is significant to note that for the vast majority of mankind living in the Western world and engaged in productive work, religion only means attending the church on specific days and it is only the elite who feel some need of religion along with art and literature. In this situation, no serious thinker talks of the application of religion to modern life, in the West. The situation is, however, different in the countries of Asia, Islamic Africa and Buddhist South-East Asia, where religion still plays a dominant role and has a wider area of relevance. In this region,, religion can encourage or hinder the process of social change and it often does the latter. Religion is not only concerned with the invisible here in this part of the world, but it is central even to the visible world.

The great religions of the Orient - Islam, Buddhism and Hinduism - have regulated and still regulate the entire life of the oriental man. In the Hindu and the Buddhist world, it is not uncommon that an astronomer still regulates his daily routine according to what he calls the ancient science of astrology. Science is still a profession and has not yet become a way of life. Law and politics are largely governed by religious traditions inspite of secular professions and the secular legislator has to seek, on critical occasions, sanction from the religious tradition. Secularism is accepted in politics and secularization is rejected which increases the tension instead of solving the problems of politics and law. Even persons in authority confuse secularism with tolerance and positive respect for religion. The scientist as well as the politician suffers

RELIGION AND ITS APPLICATION TO MODERN LIFE

By

DR. SYED ALAM KHUNDUMIRI

(Usmania University, Hyderabad)

The question, "Has the religion any application to modern life?" is one of the most dangerous questions that religious person can ask. The state of mind of the questioner is one of doubt about the very relevance of religion to modern age. Moreover, he seems to attach a semi-mystical reverence to modern age. In this question, the second term "modern age" seems to have acquired a greater importance than the first term "religion". It is bound to irritate a man of religion whose faith in religion is so firm that he has shut his eyes to the questions and problems of the modern age. Although dangerous, the question is one of the relevant questions of the contemporary age. A clarifications, however, needed for a fruitful discussion on this subject.

When one talks of modern life or modern age, one has already assumed that modernity is shared by the inhabitants of the entire civilised world, fully developed or in the process of devebpment. This assumption is not, however, tatally correct. The problems of the developed Western countries are different from those of the not-yet-developed countries. Religion has already undergone enormous changes in the Western countries during the last four hundred years, and hardly plays any significant role in the life of the contemporary man.

The Western man long ago decided that religious authority will not be allowed to interfere in the secular sphere of life which meant that religion will have a marginal place in the life of the community. In the beginning, this decision only meant that the church and the state are being separated from each other, but as the organisation of the modern life largely depends on science and technology the latter very soon assumed the importance which was once attached to religion. Scientific culture is based on perceptual experience and its interpretation as a national system. The empirical outlook and reliance on positive experience are

"O Men. We created you from male and female and made you into peoples and tribes that you may know one another: of a truth the most noble of you in God's sight is the most pious." (Quran 49/13).

So you do not turn Kuffar after me, striking the necks of each other.

Understand my words. O Men, for I have told you. I have left with you something which if you will hold fast to it you will never fall into error - a plain indication, the Book of Allah and the Sunnah of His Prophet.

O Men, you have rights over your wives and they have rights over you. You have the right that they should not defile your bed that they should not let any undesirable person enter your house except with your permission and that they should not behave with open unseemliness. If they do, God allows you to put them in separate rooms and to beat them but not with severity. If they refrain from these things and obey you they have right to their food and clothing with kindness. (Lay injunctions on women kindly), for they are prisoners with you having no control of their persons. You have taken them only as a trust from God, and you have the enjoyment of their persons by the word of God, so be fearful of Allah in regard to women and enjoin that they be treated well.

O Men, Postponement of a sacred month is only an excess of disbelief whereby those who misbelieve are misled; they allow it one year and forbid it another year that they may make up the number of the months which God has hallowed, Time has completed its cycle and is as it was on the day that God created the heavens and the earth. The number of months God is twelve; four of them sacred, three consecutive and one single: Dhi '1-Qa' da, Dhi '1-Hijja and Muharram and Rajab, which is between Jumada and Sha "ban."

O Men, Satan despairs of ever being worshipped in your land, but he can be obeyed in anything short of worship he will be pleased in matters you may be disposed to think of little account.

"O Allah ! Have I delivered (the message) ?

The audience : Yea, O Allah !"

The Prophet : "O Allah! Bear witness. And let those present here carry the message to those who are away.

people on the other side. In the afternoon he stood on top of Jabal al-Rahmat, still seated on back of his favourite camel named Al-Qaswa and overlooking the congregation below as if from a high rostrum. A companion distinguished by a loud voice, Rabia B. Umayya B. Khalaf by name stood just under the neck of al-Qaswa to broadcast the speech. The Prophet spoke softly and slowly in measured tones, pausing every short while to allow his words to be relayed to the farthest end.

The Prophet opened his sermon on a note which heightened the prevailing mood of the audience. The following is a comprehensive translation of the speech of the prophet (Peace be upon him) :

O Men! Listen to my words so that I may make (things) clear to you. I do not know but it is quite probable that I shall not meet you in this place again after this year.

O People! Verily your blood and your property are sacrosanct until the day you meet your Lord — as sacrosanct as this day and this month and this place (a reference to the prohibition of fighting within the limits of Haram around the Kaba and during the four Haram months of peace).

All usury is abolished, but you have your capital. Wrong not and you shall not be wronged. God has decreed that there is to be no usury and the usury of Abbas B. al - Muttalib is abolished, all of it.

All bloodshed in the pagan period is to be left unavenged. The first claim on blood I abolish is that of Ibn Rabia B. al-Harith b. Abd al-Muttalib (who was fostered among the B. Layth and whom Hudhayl killed).

O Men! No doubt your God is one, and your father is one. All of you sprang from Adam, and Adam sprang from dust. Of a truth, the most noble of you in God's sight is the most poius. Verily, Allah is All-knowing and well acquainted. And no Arab has any privilege over non-Arab except that based on piety. O Men the Muslims are but brethren. It is not lawful for a Muslim to take from the belongings of this brother except that which he parts will willingly.

Every claim of privilege (especially inherited authority) or blood or property are quashed by me except the custody of the temple and the watering of the pilgrims.

O Quraish ! God Has taken from you the haughtiness of paganism and its veneration of ancestors. Man springs from Adam and Adam sprang from dust.

Of course, hikmat is concerned with the establishement and perpetuation of proriety in veritable modes of behaviour. The Prophet was wont to the direct method of instituting and perpetuating practice by personal example rather than by enunciation of satutory provisions of law. He had not till then had the opportunity of demonstrating by personal example the devotional practices (manasik) of Hajj on the spot. The prophet was anxious to take the first opportunity of giving practical training to his followers in the rites of the Hajj, which had their root in the pre-Islamic past and needed careful purge of any idolatrous import about them. Hence the occasion is termed Hijjat al-Balagh. The purpose of al-Balagh, i.e., the instruction was emphasised by the Prophet himself with a warning to his followers that they may not have a second chance of observing his ways during the Hajj if they missed any point.

More popularly the occasion is known as Hijjat al-wada. Actually, it was the last Hajj performed by the Prophet. Moreover, it was the occasion when he formally took leave of his followers just three months before his death.

The first indication of the fulfilment of the Prophet's mission was provided when the Surah al-Nasr was revealed. It means : "When Allah's succour and the triumph cometh and you see mankind entering the religion of Allah in troops, then hymn the praises of thy Lord, and seek forgiveness of Him. Lo ! He is ever ready to show mercy".

The triumph exhibited in the entry of large parties into the fold of Din Allah, was the fulfilment of the mission of the Prophet. Islam was firmly established at its base and the learned, faithful and devoted followers of the Prophet could be trusted to keep the torch burning through successive generations for all time to come. And Ibn Abbas, a young boy at that time, pointed out to Umar ever reluctant it indeed that the expression "seek forgiveness of your Lord" foreboded death.

More than any body else, the Prophet himself had clear forebodings that he was nearing his end. His own feeling transmitted to all those around him. The entire congregation at Arafat on the memorable day was seized with the grim realization of the onerous responsibility which was to devote upon the followers after the disappearance of the ordained leader.

The Prophet encamped right in Arafat, thus abolishing the distinction flaunted by the Quraish whereby they would stay at Muzdalifa and disdain to meet the common

THE SERMON OF THE PROPHET ON THE MOUNT ARAFAT

Place : the plain of Arafat. Date : the 9th of Dhi 'l-Hijjah in the tenth year of the Hijrah. This was first time the Prophet went on Hajj since the migration.

His desire to perform the Hajj, which was manifested in the year of al-Hudaibiyya (6 A.H.), long remained unfulfilled due to the cussedness and dominance of the nonbelievers in Mecca. To the leaders of the Quraish, Hajj on the part of the Prophet and his followers was not merely a religious ceremony ; it was at the same time a demonstration of the strength acquired by the one whom they had once compelled to leave the city of Mecca in helplessness. They would not allow the morale of the general body of non-believers to be affected by such a demonstration.

The physical obstruction to the performance of Hajj by the Prophet was removed with the conquest of Mecca in the year 8 A.H. But the non-believers still enjoyed the right to perform the Hajj in their own way, i.e., going about naked and indulging in acts savouring of Kufr and Shirk. All this was abominable to the Prophet. Yet he was conscientious and patient enough to wait until his treaty obligations to the non-believers were publicly renounced and due notice was given thereof. So in the year 9 A.H. he deputed Abu Bakr to lead the Hajj. A little after the departure of Abu Bakr, the opening verses of "al-Bara'at" sanctioning renunciation of treaty obligations with the non-believers were revealed which means :

"Freedom from obligation (is proclaimed) from Allah and his messenger toward those of the idolators with whom, ye made a treaty. Travel freely in the land for four months and know that ye cannot escape Allah and that Allah will confound the disbelievers (in his guidance). And a proclamation from Allah and His messenger to all men on the day of the Greater Pilgrimage that Allah is free from obligation to the idolators, and (so is) His messenger".

The Prophet made haste to commission Ali to join Abu Bakr and announce at every congregation that the Hajj would thereafter be exclusively for the Muslims and that all un-Islamic rites would be banned.

The Hajj in the year 10 A.H. was not merely to satisfy a personal longing on the part of the Prophet. It was called in the interests of his mission, which was to teach the Kitab and the Hikmah.

It means : "Verily We have granted you (O Muhammad) a manifest Victory, that God may forgive you your sin that which is past and that which is to come, and may perfect His favour unto you, and may guide you on a right-path" (S : 48, V : 1-2).

The Prophet's reply was :

أفلا أكون عبدا شكورا ؟

(Shall I not behave as a thankful servant should ?). He never entered a company but he sat down and rose up with the mention of God. In the time of his greatest power he maintained the same simplicity of manners and appearance as in the days of his adversity.

At his death, the Prophet Muhammad (peace be upon him) did not leave a Dinar or Dirham nor anything but his grap mule and his arms. 'Trust in God' was his comfort and support in times of trial and despondency.

of his followers. Modesty, kindness, patience, self-denial and generosity pervaded his conduct and rivetted the affection of all around him.

The Prophet disliked to say 'no'. If unable to answer a petitioner in the affirmative, he preferred silence. If anything displeased him, it was, rather from his face than by his words, that could discover. He never smote anyone but in the service of God, not even a woman or a servant. He was not known ever to refuse an invitation to the house even of the meanest, not to decline an proffered present, however small.

His Habits In Disposition :

He took in hand no work without bringing it to a close. If the had the choice between two matters, he would choose the easier, so that no sin accrued therefrom. He never took revenge excepting where the honour of God was concerned. He would say : "I sit at meals as a servant does, and I eat like a servant for I really am a servant". He hated nothing more than lying. Whenever he knew that any of his followers had erred in a matter, he would hold himself aloof from them to advice him. In his private and public dealings he was just. He treated friends and strangers, the rich and the poor, the powered and the weak, with acquity. He received the common people with affability and listened to their complaints. His temper was always under great control, so that even in the self-indulgent affairs of domestic life, he was knid and tolerant. His servant Anas said : "I served him from the time I was eight years old, and he never scolded me for anything though things were spoiled by me''.

His Cleanliness and Devotion :

The Prophet was scruplous as to personal cleanliness, and observed frequent ablutions. When seated by a friend he did not haughtily advance his knees towards him. He possessed the rare faculty of making each individual in a company think that he was the favoured guest. If he met anyone rejoicing at success, he would seize him eagerly and cordially by the hand. With the bereaved and afflicted, he sympathised tenderly.

Thorough and pious in all his actions, the Prophet used to stand for such a length of time at prayer that his legs would swell. When remonstrated with, and asked with exclamation, O Messenger ! God had forgiven you all faults of the past and future ones, as the Holy Quran stated :

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ماتقدم
من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك
صراطا مستقيما ...(الفتح : ١ ـ ٢)

It means : It was by the mercy of God that you were lenient (dealing gently) with them. If you were stern (severe) and harsh-hearted they would have dispersed from round about you... (s : 3, v : 159).

In the exercise of the authority of State he was just and temperate. The long and obstinate struggle against the mission, maintained by the inhabitants of Mecca, might have induced its conqueror to mark his indignator, but he granted a general pardon ; and nobly casting into oblivion the memory of the past, with all its mockery, its affronts and persecution, treated even the foremost of his opponents with gracious and even friendly consideration.

Cruelty, severness and harsh treatment were nowhere shown in the conduct of the Prophet. Not less marked was the forbearance shown to his severe enemies who for so many years persistently opposed his mission and resisted his autohrity, nor the clemency, with which he received the submissive advances of tribes that before had been the most hostile, even in the hour of victory.

Honesty and Friendship :

Besides the gentleness of his nature, the Prophet was known from his earliest life for his trustworthiness. Hence his title of "Al-Amin". He was a faithful friend. If he turned in conversation towards a friend, he turned not but with his full face and his whole body. In shaking hands he was not the first to withdraw his own, nor was he the first to break off in converse with a stranger, nor to turn away his ear. He loved all of his companions with the close affection of brother-hood, and they were ever reciprocated by a warm and self-sacrificing love.

In Domestic Life :

The conduct of the Prophet in the domestic life was exemplary. As a husband his affection and devotion were entire. As a father he was loving and tender. In his youth, he lived virtuous life, and at the age of 25 he married a forty years old widow. During her life-time — for 25 years — the Prophet was a faithful husband to her alone, that he passed all the years of his youth and menhood untill she died three years before the Hijra.

After her death the Prophet married Sauda and Aysha, the latter of whom was his only virgin wife, and she was the daughter of his intimate and illustrious friend and helper, Abu Bakr. A remarkable feature was the consideration with which the Prophet treated even the most insignificant

the Prophet by the famous English historian Mr. Bosworth Smith (in his book 'Muhammad and Muhammadanism' Vol. I p. 340) :

"Head of the state as well as of the church, he was Caesar and pope in one ; but he was pope without the pope's pretensions, Caesar without the legions of Caesar. Without a standing army, without a fixed revenue, if ever any man had the right to say by a right divine, it was Muhammad, for he had all the powers without its instruments and without its supports. .... 'I have seen', said the ambassador sent to the triumphant Quraish at the despised exile at Medina, the Persian Chosroes and the Greek Heraclius sitting upon their thrones ; but never did I see a man ruling his equals as does Muhammad".

On this peak of the Powers, what was the extent of his simplicity in life ? His ordinary dress was of plain white cotton stuff. He never reclined at meals. He ate with his fingers. He lived in a low and homely cottage, built of unbaked bricks. He aided his wives in the household duties, mended his clothes, tied up the goats and even cobbled his sandals, but no approach was suffered to familiarity of action or speech. The Prophet must be addressed in subdued accents and in a reverential style. His word was absolute. Delegations and deputations were received with the utmost courtesy and consideration. If he gave an alms, he would place it with his own hand in that of the petitioner. He was to all easy of access, yet he maintained the state and dignity of real power.

Moderation and Gentleness :

The extremely gentle nature of the Prophet endeared him to all, and it is reckoned as one of the Mercies of God. One of his titles is "A Mercy to all creatures". The Holy Quran says :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .
(الأنبياء : ١٠٧)

It means : We sent you not, but as a Mercy for all creatures (s : 21, v : 107).

At no time was this gentleness, this mercy, this long suffering with human weakness, more valuable than after a disaster like that at 'Uhud'. This quality, as always, bound and binds the souls of countless people to him. Referring to the gentleness and the magnanimity which he had shown even in the critical circumstances like that of the 'Uhud' the Quran says :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك... » (آل عمران : ١٥٩)

MAJALLAT'UL AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

Rabî' Awwal 1395	**ENGLISH SECTION**	APRIL 1975

THE LIFE OF THE PROPHET IS THE EXEMPLARY PATTERN OF CONDUCT

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

When we write or speak about the person or character of the Prophet Muhammad (peace be upon him) we should keep in mind the following three facts :

Firstly, the Holy Quran declared, in clear verses, that the life of the Prophet is a beautiful pattern of conduct to the believers in all walks of human life.

Secondly, all trustworthy commentators and historians agree in that whatever he had said he coud do, his disciples would straightway have seen him do.

Thirdly, all of his sayings, practices, traits and characters have been authentically recorded and brought to light.

The Holy Quran says :

« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ... »

(الأحزاب : ٢١)

It means : "You have indeed in the Messenger of Allah a beautiful pattern (good example of conduct) for anyone whose hope is in Allah and the Final Day (the life hereafter) s : 33, v : 21.

So a true Muslim should follow, as much as possible, the pattern of the Prophet in all walks of life. The following glimpses will give illustration of the glorious pattern of his life, in personal, domestical and external affairs :

Simplicity : It is only right that, before bringing the simplicity that pervaded his life, I would like to quote the following comments on

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

في أول كل شهر عربي

«العنوان»
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤ / ٩٠٥٥٠٦

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
«بدل الاشتراك»
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الرابع — السنة السابعة والأربعون — ربيع الآخر سنة ١٣٩٥هـ - مايو سنة ١٩٧٥م

م ١٢ ع ٢٢٢٢٦ دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن والعلوم الكونية

للأستاذ عبد الرحيم فودة

يشفق بعض العلماء - ومنهم من يتظاهر بالاشفاق - من المحاولات التى بذلت ولا تزال تبذل لتفسير بعض آيات القرآن الكريم بما انتهى أو وصل اليه العلم الحديث من قضايا فى مختلف فروعه وأنواعه ، وبعضهم يشتد فى معارضة هذا الاتجاه . ويشتط فى الحكم عليه ، اذ يرى فيه انحرافا عن منهج السلف ، واجتراء على حرمة القرآن ، ومخاطرة غير مأمونة العواقب تعرض كتاب الله لزلزلة يهتز بها الايمان به والاقبال عليه ، ومن أبرز حججهم فى ذلك أن قضايا العلم قد يعرض لها ما يثبت بطلانها وفسادها فاذا فسرنا القرآن بها جرى عليه ما يجرى عليها من بطلان وفساد ، واذا وقع فيها ارتياب واضطراب اهتزت الثقة به والحرص عليه ، ثم ان القرآن كتاب هداية وارشاد كما يقول الله فيه : ذلك

الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » فكيف نحمله ما لم يتعرض له من القضايا والنتائج العلمية التى وصل اليها الانسان بعقله وعلمه واجتهاده • ثم ننسب اليه مالم يقله أو يتحمله ••؟

هذه – فيما يبدو لى – هى وجهة النظر عند المعارضين لتفسير الآيات الكونية فى القرآن بما يصل اليه العلم الحديث من نتائج ، أما الذين يتجهون هذا الاتجاه أو يؤيدونه ويتحمسون له فيرون أن القرآن هو حجة الله على الناس الى أن تقوم الساعة • وتبدل الأرض غير الأرض والسموات ، ولا تقوم هذه الحجة الا بثبوت اعجازه وانه صالح مصلح للناس فى كل زمان ومكان ، ولا يمكن اقناع غير العرب باعجازه البلاغى لأنهم لايعرفون اللغة العربية ولا يذوقون تبعا لذلك جمال اسلوبه وجلال معانيه ، وقد تحدى الله به الناس جميعا على اختلاف السنتهم وألوانهم • وتحدى به مع الناس الجن حيث قال جل شأنه : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ولا تظهر قيمة هذا التحدى اذا قصد به من لايعرفون اللغة العربية أو قصد به الاعجاز ، فان من لا يعرفون لغة العرب يعجزون – بالطبع – عن معارضة أى فرد عربى عادى اذا تحداهم أن يأتوا بمثل ما يقوله لهم أو يكتبه اليهم ، والعناية بجانب فيه دون جانب تفريط فى حقه وحق الدين فيه ، وقد اشتمل القرآن على آيات كونية كثيرة تبلغ نحو سبعه – بضم السين – وتمثل جانبا كبيرا فيه • فكيف لا نفسرها بما وصل اليه العلم الحديث من حقائق تزيدها اشراقا وائتلافا فى أعين المتأملين فيها والناظرين اليها ، وقد قال تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » •

والواقع الذى يلتقى الفريقان على الايمان به والاتفاق عليه : أن القرآن حق• فانه كما يقول الله فيه : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » وكما يقول : « وانه لكتاب عزيز•لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » ومن ثم لا يتصور مؤمن أنه يتعارض مع حقيقة علمية تبوح بها التجارب والبحوث والمكتشفات العصرية ، وهذا بعض ما

يفهم من قوله تعالى : « قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض انه كان غفورا رحيما » فكل ما خفى فى السموات والأرض من حقائق وقوانين – لم يكتشف العلم الا قليلا منها – يعلمها الله ، لأنه هو الذى أوجدها وأقام الوجود عليها « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ولا يتصور مع علمه بها أن يكون كلامه مخالفا لها • ومن ثم لايمكن أن تتعارض حقيقة علمية مع قضية قرآنية، بل ان العلم بحقائق الكون ودقائق الأسرار التى تكمن فيه يزيد المؤمنين ايمانا بالله وبكتابه • ويثير في نفوسهم الشعور بعظمته وعظمة كتابه ، وهذا الشعور يثمر التقوى منه والخشوع له والاذعان لأمره كما يفهم من قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود • ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور• ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور • ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور • والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير » •

فهذه الآيات يفهم منها أن الكون كتاب منظور يطالع الانسان فيه قدرة الله وحكمته فيما خلق فيه من سماء وماء • وثمر مختلف الألوان•وجبال وسهول • وناس ودواب وأنعام ، وأن العلم بما تقوم عليه هذه الكائنات يثمر التقوى ، كما أن القرآن كتاب مقروء يتقرب المؤمن الى الله بتلاوته والتأمل فيه • ويجد فيه التوافق والتطابق بينه وبين ما بين يديه من كتب الهية وسنن كونية • وحقائق علمية • كما يقول الله : « ويرى الذين أوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد » ، وكما يفهم من قوله : « لكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمه » •

فتفسير الآيات الكونية القرآنية بالحقائق العلمية التى لم تكشف ولم تعرف الا حديثا فوق أنه واجب يمليه الدين وتمليه الأمانة وتمليه المصلحة هو السبيل الأقوم لنجاح الدعوة الى الاسلام فى عصر العلم ، واقناع غير المسلمين بأن هذا الكتاب من عند الله وأنه وأن الرسول الذى بعث به كما

يقول الله فيهما : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

بقى بعد هذا أن نتحدث عن النظريات العلمية التى لم تصل الى درجة الحقائق ، ولا تزال موضع فحص وتمحيص عند العلماء ، قد تقحم فى التفسير اعتمادا على أن القرآن فيما لا يتصل بالعقائد قطعى الثبوت ظنى الدلالة ، وعلى أن المفسرين بالرأى قالوا كلاما كثيرا لم يقطعوا بصحته ولم تثبت الأيام صحته . بل انهم جميعا كانوا يفوضون علم المراد من النص الى الله . ويختمون ما يعرضونه من آراء بالعبارة المشهورة وهى : الله أعلم بمراده .. فهل تأخذ النظريات العلمية حكم هذه الآراء والمذاهب وتعرض فى تفسير الآيات الكونية كما عرضت الآراء والاتجاهات المذهبية .. ؟ عندى أن ذلك لا يسوغ الا بأمرين ضروريين الأول أن تكون هذه النظريات خادمة للمعنى لا حاكمة عليه ، والثانى ألا يعدل باللفظ عن الحقيقة الى المجاز الا بقرينة تبرر صرفه عن الظاهر كما هو الأصل المتبع فى تفسير القرآن ، فاذا تعارضت النظرية مع صريح معنى آية فيه حكمنا ببطلانها ونحن واثقون بأن المستقبل سيكشف للعلماء عن فسادها ويكون ذلك معجزة علمية للقرآن ان لم نعرفها فسيعرفها غيرنا من بعدنا ، وسيجدون كما نجد جدة القرآن دائمة لازمة كما يقول شوقى رحمه الله فى نهج البردة لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

جاء النبيون بالآيات فانصرمت
وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد
يزينهن جلال العتق والقدم

نعم وسيبقى القرآن كما أنزله الله محفوظا فى الصدور والسطور ، جديدا على الأيام والعصور (لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه) ورحم الله فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز اذ يقول عنه فى كتابه النبأ العظيم : «وتقرأ القطعة من القرآن فتجد فى ألفاظها من الشفوف والملاسة والاحكام والخلو عن كل غريب عن الغرض ما يتسابق به مغزاها الى نفسك

دون كد خاطر ، ولا استعادة حديث، كأنك لاتسمع كلاما ولغات • بل ترى صورا وحقائق ماثلة ، وهكذا يخيل اليك أنك قد أحطت به خبرا ، ووقفت على معناه محدودا — هذا ولو رجعت اليه كرة أخرى لرأيتك منه بازاء معنى جديد غير الذى سبق الى فهمك أول مرة ، وكذلك حتى ترى للجملة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوها عدة • كلها صحيح أو محتمل للصحة ، كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعا فاذا نظرت الى أضلاعه جملة بهرتك بألوان الطيف كلها • فلا تدرى ماذا تأخذ عينك وماذا تدع • ولعلك لو وكلت النظر فيها الى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت • وهكذا تجد كتابا مفتوحا مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له ، بل ترى محيطا مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد ولا الأجيال •

ألم تر كيف وسع الفرق الاسلامية على اختلاف منازعها فى الأصول والفروع ، وكيف وسع الآراء العلمية على اختلاف وسائلها فى القديم والحديث ، وهو على لينه للعقول والأفهام صلب متين ، لا يتناقض ولا يتبدل ، يحتج به كل فريق لرأيه ويدعيه لنفسه ، وهو فى سموه فوق الجميع • يطل على معاركهم حوله • وكأن لسان حاله يقول لهؤلاء وهؤلاء « كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا » •

ونخلص من هذا بأن نطمئن المشفقين من تفسير آيات الله الكونية فى القرآن بما وصل ويصل اليه العلم من قضايا ونظريات ، فقد تكفل الله بحفظه حيث قال : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ومعنى حفظه يتسع لحفظ اللغة التى نزل بها ، والعلماء الذين يحفظونه • والقراء الذين يتلونه ، والأمم والشعوب التى تؤمن به ، وتحرص عليه ، وتذعن لحكمه ، وصدق الله اذ يقول فيه : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »

عبد الرحيم فودة

دراسات قرآنية :

آية الله فى أصحاب الكهف والرقيم
هل يوجد كهفهم بالأردن ؟

للأستاذ مصطفى المدنى الطير

« أم حسبت أن أصـــحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » (٩) .
(من سورة الكهف)

البيـــان :

كل مافى الكون ـ صغيره وكبيره ، مرئيـه وغائب عن العيـون ـ يشـهد بوجود الله تعالى ، واتصافه بالقـدرة الباهرة والحكم العظيمة ، وأنه سبحانه مستحق لأن يعبد دون سـواه ، وأن من يعش عن ذكر الرحمـن فهو من الخاسرين .

وآيات الله نوعان : (أحدهمـا) يجرى على الضوابط والنواميس التى أجرى كونه عليها (وثانيهما) يخالف تلك الضوابط والنظم ، والله سبحانه يأتى بهذا النـوع ليتيقظ الغـافل من غفلته ، ويرجع المعـاند عن عنـاده ، فيؤمن بأن للكون فاعلا مختارا ، لا رب له سواه ، وأنه يبعث من فى القبور .

ومن هذه الآيات قصـة أصحاب الكهف التى هى موضـوع حديثنـا اليوم ، فان حيـاتهم مئات السـنين ، ومكثهم فيها بدون طعـام ولا شراب ، فى رقود أشبه بالموت منه بالحياة ، ثم اطلاقهم من هذا الرقود الطـويل الى مثل حياة الناس ، أمر لا يجـرى على سـنن الحيـاة ، أجراه الله لحكمـة ستعرفها أيها القـارىء الكريم عندما نذكر لك قصتهم .

والكهف : هو الغـار الواسع فى الجبل ، والرقيم مختلف فيه ، فقيل : هو كلبهم ، وفى هذا المعنى يقول أمية ابن أبى الصلت :

وليس بهـا الا الرقيـم مجـاورا
وصيدهمو والقوم فى الكهف همد

وقيل : هو لوح رصاصى أو حجرى ، رقمت فيه أسماؤهم ، وجعـل على باب كهفهـم ، وقيـل هو واد بين غضبان وأيلة دون فلسطين .

ويرى بعض الباحثين والمؤرخين أن أصحاب الرقيم جماعة آخرون غير أصحاب الكهف ، انطبق عليهم الغار ، فنجوا بذكر كل منهم أحسن ما عمله من البر ، روى قصتهم الصحيحان •

نشأتهم وبعثهم :

لأهل الكهف عهدان مع ملوكهم ، (العهد الأول) عهد نشأتهم حتى نومهم فى الكهف ، والثانى عهد بعثهم من هذا الرقود ، فأما عهد نشأتهم فمن المؤرخين من يرجعه الى عصر الملك (داقيوس) ويعبرون عنه أيضا (بدقيانوس) ومنهم من يرجعه الى عصر الملك (تراجان) •

ويقول أصحاب الرأى الأخير : ان تراجان هو الذى عرف بتعقبه أهل الايمان فى العهد المسيحى بالايذاء ، وقد أصدر مرسوما يقضى بأن كل مسيحى يرفض عبادة آلهة الدولة والامبراطورية ، يحاكم كخائن ويتعرض للموت ، وقد بقى هذا المرسوم قرنين من الزمان •

وقد ذكر المؤرخ (يوسيبوس) أن المسيحيين فى سوريا ، استمر فيهم القتل من جراء هذا المرسوم ، وفى انطاكية أحرق بعضهم أحياء ، ولم ينته عهد الاضطهاد الا حين اعتنق قسطنطين المسيحية وجعلها الديانة الرسمية للدولة •

وأصحاب هذا الرأى يرجحونه بأن داقيوس المعروف بدقيانوس ، ولى حكم بلاده من سنة ٢٤٩ الى سنة ٢٥١ م • فاذا أضفت الى سنة ولايته الأولى مثلا ثلثمائة وتسع سنين (وهى مدة نوم أهل الكهف) فان ذلك يقتضى أن بعثهم كان تاليا لسنة ٥٥٨ م ـ وهذه الفترة كانت فيها المسيحية منتشرة ، ولم يكن فيها صراع فى العقيدة بين الوثنية والمسيحية ، يحتاج الى ظهور آية لصالح الديانة المسيحية كآية أصحاب الكهف ، التى أجمع المؤرخون على أنها جاءت فى عهد ملك متدين بعثوا فى عهده يسمى (تندوسيس) تعريب (ثيودوسيوس) وهو الذى تولى الملك من سنة ٤٠٨ الى سنة ٤٥٠ م ، وهو الذى كان فى عهده صراع فى أمته بين الوثنيين فيها وبين المسيحيين •

وهذا هو الذى كان محتاجا الى ظهور هذه الآية ، فلهذا يترجح أن نشأتهم كانت فى عهد الملك (تراجان) الطاغية ، الذى حكم من سنة ٩٨ الى سنة ١١٧ م ، حيث المسيحية كانت

ضعيفة فى نشأتها ، والوثنية كانت طاغية عليها فى الحكم الرومانى وقتئذ .

فاذا أضفت مدة نوم أهل الكهف ، وهى ثلثمائة وتسع سنين الى سنة ١٠٠ ميلادية – حيث عهد الطاغية تراجان – كان حاصل هذا الجمع ٤٠٩ أربعمائة وتسع سنين ميلادية ، وهى احدى سنى حكم الملك المتدين (تندوسيس) تعريب (ثيودوسيوس) الذى كانت أمته فى عهده خليطا من الوثنيين والمسيحيين ، وهو الذى أجمع المؤرخون على أن أهل الكهف بعثوا فى عهده .

وكذا تجد نفس النتيجة ان أضفت مدة رقادهم الى أية سنة من حكم (تراجان) فان ذلك يوصلك الى حكم هذا الملك المتدين ، الذى كانت رعيته خليطا من الوثنيين والمسيحيين كما ذكرنا ، فلهذا يترجح أن يكونوا نشأوا فى عهد الطاغية (تراجان) ليبعثوا فى عهد (تندوسيس) المتدين حتى يكون بعثهم فى عهده حجة من الله ضد الوثنيين الذين لا يستجيبون لمن يدعونهم الى الايمان بالله واليوم الآخر .

وبرغم هذا التحقيق الدقيق نجد المؤرخ الكبير محمد بن اسحاق يحكى أنهم نشأوا فى عهد (دقيانوس) لا فى عهد تراجان ، واليك فيما يلى قصتهم كما رواها محمد بن اسحاق .

قصة اصحاب الكهف :

ذكر ابن اسحاق وغيره أن أهل الانجيل مرجوا (١) وعظمت فيهم الخطايا ، وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت ، وفيهم من كانوا على دين المسيح ، متمسكين بعبادة الله وتوحيده .

وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم (دقيانوس) (٢) وفى رواية (دقيوس) فانه قد غلا غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد ، وأكثر فيها الفساد ، وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام .

وكان يتتبع الناس ، فمن علمه مسيحيا خيره بين القتل وعبادة الأوثان ،

---

(١) أى فسدوا – ومرج بوزن فرح .

(٢) لا تنس ما ذكرناه من أن طاغية أهل الكهف هو الملك (تراجان) على الراجح ، وفقا للحساب الدقيق الذى بيناه .

فمن أجابه الى الوثنية رضا بالحياة الدنيا أبقاه ، ومن لم يجبه اليها ابتغاء مرضاة الله تعالى ، لم يبال بأية قتلة قتله ، فكان يقتل أهل الايمان ويقطع أجسادهم ، ويجعلها على سور المدينة وأبوابها .

وكان فتية أهل الكهف من أخلص المؤمنين بأن المسيح عبد الله ورسوله ، وأن الله تعالى هو الاله الواحد القهار ، وأن الآخرة هى دار القرار ، سالكين فى ايمانهم مسلك الانجيل قبل أن يبدله المبدلون ، ويمسخ التوحيد فيه الماسخون ، ويعتدى على الدين الخالص فيه المعتدون ، قال تعالى فى شأنهم : « انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » .

والفتية الشبان ، روى أن الشرطة ذهبت بهم الى الملك ، فلما رآهم حديثى السن جعل لهم أجلا يرجعون فيه عن دينهم ، فان مضى ولم يؤمنوا قتلهم .

وقيل : كانوا عظماء مدينتهم ، وقيل : كانوا من خواص الملك ــ ولا يسلم هذا أو ذاك الا اذا كانوا شبانا ، ليتفق ذلك مع قوله تعالى : « انهم فتية » اللهم الا اذا أريد من الفتى السخى الكريم فانه من معانيه ، والظاهر الأول .

وتفصيل احضارهم للملك وما جرى بينهم وبينه ، أن رجال الشرطة حينما دخلوا عليهم ، كانت أعينهم تفيض من الدمع ، فأحضروهم بين يدى الملك الجبار ، فقال : ما يمنعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا ، وخيرهم بين الذبح وعبادة الأوثان ، فقالوا : ان لنا الها ملأت عظمته وجبروته السموات والأرض ، ولن ندعو من دونه أحدا ، فاقض ما أنت قاض .

فأمر الجبار بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة ، وأخرجهم من عنده ، وذهب الى مدينة أخرى لبعض شأنه ، وأمهلهم الى رجوعه وقال : ما يمنعنى أن أعجل عقوبتكم الا أنى أراكم شبانا فلا أحب أن أهلككم ، حتى أجعل لكم أجلا تتأملون فيه ، فان أجبتمونى بعده أبقيت عليكم ، والا أهلكتكم .

فلما علموا خروجه اشتوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يأخذ كل منهم نفقة من عند أهله ، فيتصدق ببعضها ويتزود بالباقى ، وينطلقوا الى كهف قريب من المدينة ، ففعلوا ما اتفقوا

عليه ، وآووا الى الكهف فلبثـوا فيـه وليس لهم عمل الا الصـــلاة والصيام والتسبيح والتحميـــد ، وفوضوا أمر نفقتهم الى فتى منهم اسـمه (يمليخا) فكان اذا أصبح يتنـكر ويشترى لهم من المدينة ما يهمهم ، ويتحسس مافيها من الأخبار ويعود اليهم ، فلبثـوا على ذلك الى أن قدم الجبـــار ، فتطلبهم وأحضر آباءهم ، فاعتـــذروا بأنهـم عصوهم ونهبوا أموالهم ، وبذروها فى الأسواق وفروا الى الجبل .

وكان (يمليخا) اذ ذاك فى المدينة ، فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعـه قليل من الطعام ، فأخبرهم بما علم من طلب الملك لهم ، وتعنيفـه لآبائهـم ففزعوا الى الله تعالى وخروا له سجدا، ثم رفعوا رءوسهم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ـ أى مدخل الكهف ـ فأنامهم الله تعالى فى كهفهم ثلثمائة وتسع سنين وأصاب كلبهم بما أصابهم .

ومما قيـل فى قصتهم أن الجبـــار خرج فى طلبهـــم بخيلـه ورجله ، فوجـدهم دخلـــوا الكهف ، فأمـر باخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله ، فلما ضاق بهم ذرعا ، قال قائل منهم : ألست لو كنت قدرت عليهـم قتلتهم ، قال بلى ، قال فابن عليهم باب الكهف، ودعهم يموتوا جوعا وعطشـا ، وليكن كهفهم قبرا لهم ، ففعل ، ثم كان من شأنهم ما قص الله .

وتعقيبا على هذا الزعم نقـول : ان بناء مدخل الكهف يناقض قوله تعالى: « وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله » .

فالآية ناطقة بأن كهفهم كان مدخله مفتوحا لم يســد ، وأن الشمس كانت اذا طلعت ، تتنحى عن كهفهـم جهـة اليمين ، واذا اتجهت الى الغروب بعد الزوال ، تعـــدل عنهم جهة شـمال الكهف ، وهم فى متسع منه لا يمنـع من وصول الشمس اليهم طول النهار، ولكن الله صرف الشـــمس عنهـــم بقدرته ، ليسلموا من أذى حرها على منهاج خرق العادة كرامة لهم ، وكان ذلك من آيات الله كمـــا نصت الآية الكريمـة ، فيكون القـــول بأن الملك اهتدى الى مغـارتهم وسد بابها غـير مسلم .

وقد أحسن أبو حيـــان اذ قال : « لا معـــول الا على ما قص الله من نبئهم » اهـ ـ ولهـذا نؤثر ما أخرجه

ابن أبى شيبة وغيره عن ابن عباس (أنهم لما فقدوا فى أهلهم ، جعلوا يطلبونهم فلم يظفروا بهم ، فرفع أمرهم الى الملك فقال : ليكونن لهؤلاء القوم بعد اليوم شأن : ناس خرجوا لا ندرى أين ذهبوا ، فى غير جناية ولا شىء يعرف ، فدعا بلوح من رصاص فكتب فيه أسماءهم ، ثم طرح فى خزانته ، ثم كان من شأنهم ما قصه الله سبحانه) : اهـ .

فهذه الرواية لا تتعارض مع القرآن .

ولقد مدح الله هؤلاء الفتية وأثنى عليهم بالصبر على فراق الأهل وترك النعيم والأصدقاء ، وعدم الاهتمام بوعيد الجبار وثبات الايمان ، اذ قال سبحانه : « وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا » .

حالتهم فى الكهف :

من عادة النائم أن يكون مقفل العينين ، أما أهل الكهف فكانوا فى رقودهم مفتوحى العيون ، فاذا رآهم أحد وهم كذلك ، ظنهم مستيقظين مع أنهم نائمون ، وفى ذلك يقول الله تعالى :«وتحسبهم أيقاظا وهم رقود» .

وكان المولى سبحانه يجرى عليهم أحكام النائمين ، فكان يقلبهم على أيمانهم وشمائلهم ، ليحفظ بذلك أبدانهم ، ولحكم أخرى علمها عند العليم الخبير ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال » .

كلب أهل الكهف :

لم يذكر الله تعالى من قصة كلبهم سوى قوله : « وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » أى ماد ذراعية بموضع باب الكهف ــ يعنى بمدخله ــ وكأنه يحرس من بداخله .

قيل انه كلب راع مروا به ، وسألوه أن يتبع دينهم ويأوى معهم الى الكهف ، فاستجاب لهم ، وتبعه كلبه ، فلما أووا الى الكهف ، قبع هذا الكلب بمدخله على الوجه الذى حكاه الله تعالى .

وقيل انه تبعهم فطردوه فعاد ، ففعلوا ذلك مرارا ، فأصر على أن يتبعهم فتركوه ، فلما ناموا كان فى حراستهم •

ويعتقد بعض الشيعة أن هذا الكلب يدخل الجنة ، ويسمون أبناءهم بكلب على أملا فى نجاة من سمى به ، ويقول قائلهم :

فتيـة الكهف نجا كلبهمو
كيف لا ينجو غدا كلب على

وكان منظر أهل الكهف فى رقودهم ، يملأ القلوب رعبا ، ويحمل من يراهم على الفرار منهم ، لما ألقى الله عليهم من الهيبة والجلال ، ولهذا لم يصابوا فى كهفهم بسوء ، مع أن بابه لم يكن موصدا عليهم •

أما ما قيل من أن سبب الرعب منهم هو طول شعورهم وأظفارهم وصفرة وجوههم وتغير ثيابهم ، فليس بمقبول لأنهم لو كانوا بهذه الصفة لأنكروا أحوالهم حين بعثوا من رقادهم ، ولم يقولوا « لبثنا يوما أو بعض يوم » ولأنهم حين بعثوا أحدهم الى المدينة ، لم ينكر منه أهلها الا نقوده القديمة ــ على ما سيأتى بيانه ــ فلو كان حالهم كما قيل من طول الشعور والأظافر ، لأنكره أهل المدينة التى ذهب اليها ليشترى لهم منها طعاما •

يقظتهم وما تلاها :

بعد أن نام أهل الكهف ثلثمائة وتسع سنين ، أيقظهم الله فتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم : كم لبثتم نائمين ؟ فقال آخر : لبثنا يوما أو بعض يوم ، فلم يكن فى حالهم ما يشعرهم أنهم مكثوا هذه المدة الطويلة ، كما أن النوم تلك المدة لا يمكن أن يدور بمخيلة أحد ، فقال ثالث منهم : «ربكم أعلم بما لبثتم » لأنه لم يجد أمارة تدل على مدة لبثهم •

ونظرا لأنهم لا يتخيلون أنهم ناموا أكثر من المعتاد ، بعثوا بعضهم ومعه بعض الورق ــ أى بعض العملة المضروبة من الورق بكسر الراء وهو الفضة ــ ليشترى لهم من المدينة التى خرجوا منها طعاما ، وطلبوا منه أن يتلطف حتى لا تقع خصومة تنتهى الى معرفته والامساك به وباخوانه ، كما طلبوا منه أن لا يشعر بهم أحدا ، بأن يتجنب لقاء من يعرفه ، وأن يحسن كتمان أمرهم ، وقالوا تعليلا لذلك : « انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا » فان الاكراه على الكفر قد يؤدى

الى استدراج الشيطان لهم ليستحسنوه ويستمروا عليه •

فذهب مبعوثهم الى المدينـــة فدخل الســـوق ، فأنكر الوجـوه التى رآها ولا يعرف منها أحدا ، فقد رأى جيلا آخر وناسا آخـرين يختلفـون كل الاختلاف عن جيلهم وعاداتهم ، ورأى الايمان ظاهرا بالمدينة ،ولكنه مع ذلك انطلق فى حذر وهو مستخفٍ ، حتى أتى رجلا ليشترى منه طعـاما ، فلمـا نظر العملة الفضية التى معه أنكرها ، حيث كانت مضروبة فى عهـــد الملك الفاجر الذى عاصروه ، فاتهمــه بكنز وقال : لئن لم تدلنى عليه لأرفعنك الى الملك ، فقـال : هى من ضرب الملك ، فســـأله أليس ملككم فلانا ، فقـــال الرجل : ملكنا (بندوسيس) ، فاجتمع الناس وذهبوا به الى الملك ، فسأله عن شأنه فقص عليــه القصــة ، وكان قد سمع بأمرهم مع ملكهم الوثنى ، فدعا مشيخة بلده ، وكان رجل منهم عنده أســماؤهم وأنســابهم ، فسأله فأخبره بذلك ، وسأل الفتى فقال صدق •

ثم قال الملك المتدين : أيهــا الناس هذه آية ساقها الله اليكم ليؤمن بالبعث من لا يؤمن به ، وليدلكم على أن الأمر كله بيد الله ، لا دخل لأحد فى شىء من ملكه ، فهو الاله وحده ، فلا يصح أن يعبد سواه •

ويروى أنه دعا باللوح الذى كتبت فيه أسماؤهم ، وكان فى خزانة الملك من عهد الملك الجبار ، كما ذكرنا سابقا فقرأ أسماءهم ، فاذا فيها اسم هذا الفتى فقـــال الفتى : هؤلاء الذين معى فى اللوح هم أصحابى ، فركب القوم مع الملك ، فلمـا أتوا الكهف قال الفتى : دعونى أدخل على أصحابى فأبشرهم ، فانهم اذا رأوكم معى رعبـوا ، فدخل وبشرهـم ، وقبض الله أرواحهـــم ووضعوا فى توابيت •

واقترح بعضهم أن يسد باب الكهف لئلا يتطرق الناس اليهم ، ولكن الملك والمؤمنين رأوا أن يبنـوا عليهم مكانا لعبادة الله تعالى ، وفى ذلك يقول الله تعالى : « وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهـم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهـم أعلم بهـم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا » •

وقد دلت الآية على أن الله تعـــالى جعل قومهم يعثرون عليهم ، فى وقت كانوا فيه متنازعين فى أمر دينهم ، فقد

كانوا مختلفين فى أمر البعث ، ما بين مقر به وجاحد ، وقائل : يبعث الله الأرواح دون الأجساد ، وقائل يبعثهما جميعا ، وذلك لأن بعضهم كان مؤمنا ، والآخر كان وثنيا .

وكان ملكهم وقت هذا الخلاف يسمى (بندوسيس) وكان رجلا صالحا ، فشق عليه خلافهم فلبس المسوح وجلس على الرماد ، ودعا الله أن يبعث لهم آية تهديهم الى الحق ، فأعثر الله عليهم بالطريقة التى أوضحناها ،وقد فرح الملك بهذه الآية التى ساقها الله الى قومه ، فانها ناطقة بأن قوة فائقة لا حد لعظمتها ، قدرت على انامة هؤلاء الفتية ، وجعلتهم فى حكم الأموات ، ثلثمائة وتسع سنين ، وأغنتهم فى هذه الفترة عن الحاجة الى ما يبقى على أرواحهم ، وما يحفظ أنفاسهم تتردد فى صدورهم ، وأجسادهم غضة طرية ، ثم ردتهم الى اليقظة بعد بقائهم على هذه الحالة تلك المدة الطويلة ، وأرجعت اليهم حواسهم ومشاعرهم على ماكانت عليه ، وأطلقت نفوسهم من عقالها ، وجعلتها تدبر أبدانها ، وأن هذه القوة العظيمة لا تكون الا لآله عظيم قادر على بعث الأموات الى الحياة من جديد ــ كما حدث لهؤلاء .

ولا شك أنه كان لظهور هذه الآية أثرها فى نفوس الوثنيين المعاصرين لهذا الملك الصالح ، المنكرين للبعث فأثمرت ثمرتها المرجوة ، وهى هدايتهم الى سواء السبيل .

وللموضوع بقية سنتحدث عنها فى العدد المقبل ــ بمشيئة الله تعالى ــ نتعرض فيها لعددهم والمكان الذى يوجدون فيه ، هل هو الأردن أم سواه ، وسنتحدث عن أصحاب الرقيم على أنهم أصحاب الغار ــ كما فى الصحيحين ، وسنتحدث عن أمور هامة ، فالى اللقاء فى العدد التالى ، حيث نوفى هذا البحث ونستكمله ، والله تعالى هو الموفق ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

من هدى السنة :

الرحمة بالحيوان

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

(٢)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يا رسول الله ، وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر » متفق عليه

البيان :

فى المقال السابق فسرنا الكلمات اللغوية فى الحديث ، وبينا بعض أهدافه ، وقلنا : ان الحيوان الذى تنبغى الرحمة به هو الحيوان المسالم الذى لا يصدر عنه ايذاء ، وفى هذا المقال نحاول أن نكمل الكلام على الحديث فنقول :

من نظر فى شرعة الاسلام نظرة فاحصة وجدها تشتمل على كثير من التعاليم والأحكام التى تحقق الرحمة بالحيوان ورعايته فى صورة رائعة مشرقة ، وحسبنا فى بيان هذا أن نذكر الأمثلة الآتية :

١ ـ قال الله تعالى مبينا فضله على عباده بخلق الأنعام والخيل والبغال والحمير : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون • ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرءوف رحيم • والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون » (١) •

---

(١) سورة النحل الآيات من ٥ الى ٨

فقد أفادت الآيات أن الأنعـام وهى الابل والبقر والغنم لنـا فيها ما يدفىء ونتقى به البرد من الأصواف والأوبار ، ولنا فيها منافع كاللبن والنتاج ونأكل من لحومها ، ولنا فيهـا جمال وزينـة حين نردها بالعشى من مسارحهـا التى ترعى فيها الى مراحهـا ، أى منزلهـا الذى تأوى اليه ، وتبيت فيـه ، وحين نخرجهـا فى الصـباح من مراحها الى مسارحها ومراعيها .

وتحمل الابل أمتعتنا الثقيلة الى بلد لم نكن نصـل اليه الا بمشـقة النفس وعنـائها ، وأفادت الآية الأخيرة أنه تعالى خلق الخيل والبغـال والحمير لنستخدمها فى الركوب ، ونتخذ منهـا زينة وجمالا .

فهذه المنـافع والمزايا المتعلقـة بهذه المخلوقات تجعل الشخص يحرص على الرحمة بها ، والاحسان فى معاملتهـا ليظل مسـتوفيا لوجوه النفـع بهـا ، مبتهجا بوجودها ونضارتها .

٢ ـ أحل الشارع أكل أنواع من الحيـوان بعد الذبح ، واشـترط فى الذبح من الشروط ما يمنـــع ألـم الذبيحة ، ويوفر راحتها ، وطلب من الذابح أن يحسن الذبح ، وأن يحـد آلته ، وألا يحدها أمام الذبيحة ، وألا يذبح واحدة بحضرة أخـرى ، وأن يسرع بالذبح بعد الشروع فيـه حتى لا تطول فترة الايلام ، ولزم أن يكون الذبح فى مكان معـين تجتمـع فيـه العروق ، وهو ما بين الحلق والمنحر ، ليســهل ازهاق الروح ، ووجب ألا يشرع الذابح فى عمل من الأعمـال المتعلقة بالذبيحة كالسلخ والتقطيع الا بعد انهاء حياتها حتى لا يضاف الى ألم الذبح ألم عمل آخر .

روى الامام أحمـد ومسـلم وابن ماجه عن شداد بن أوس عن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم قال : (ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسـنوا القتـلة ، واذا ذبحتـم فأحسـنوا الذبح ، وليحـد أحـدكم شفرته ، وليرح ذبيحته) .

وروى الامام أحمد وابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تحد الشـفار ، وأن توارى عن البهـائم ، وقال : (اذا ذبح أحدكم فليجهز) .

وروى الدارقطنى عن أبى هـريرة رضى الله عنه قال : بعث رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بديل بن ورقاء

الخزاعى على جمل أورق (١) يصيح فى فجاج منى : (أما ان الذكاة فى الحلق واللبة ، ولا تعجلوا الأنفس أن تزهق) .

فهذه الشروط والتعليمات يحرص صاحب الذبيحة على التزامها ليتم له النفع بها ، وبهذا الالتزام تتحقق الرحمة بالحيوان .

٣ ـ حرم الله تعالى أكل بعض أنواع الحيوان بقوله : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم » (٢) .

و (الميتة) البهيمة التى ماتت حتف أنفها ، أى بدون ذكاة شرعية .

و (الدم) أى المسفوح السائل ـ (وما أهل لغير الله به) أى رفع به الصوت لغير الله عند ذبحه ، كقول الذابح : باسم الصنم ، أو باسم فلان .

و (المنخنقة) هى التى حبست أنفاسها حتى ماتت .

و (الموقوذة) هى التى ضربت بعصا أو حجر حتى ماتت .

و (المتردية) التى تردت وسقطت من مكان مرتفع ، أو فى بئر فماتت .

و (النطيحة) المنطوحة ، وهى التى نطحتها أخرى ، فماتت بالنطح .

(وما أكل السبع) المراد الحيوان الذى أكل السبع بعضه ، ومات بجرحه ، والمقصود بالسبع كل حيوان مفترس كالذئب والأسد .

فتحريم هذه الأنواع يحمل المالك على أن يتقى أسباب التحريم ، حتى لا تكون بهيمته ميتة ، أو منخنقة ، أو موقوذة ، أو متردية ، أو نطيحة ، فاذا لم تعرض هذه الأوصاف لها تم له النفع بها ، وبذلك يسلم الحيوان من التعذيب والاهمال ، وتتحقق الرحمة به ، والرعاية له .

٤ ـ نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أمور يحصل بها ايلام الحيوان وتعذيبه ، فنهى عن أن يتخذ الحيوان غرضا ، أى هدفا يرمى .

---

(١) الجمل الأورق ، ما كان لونه كلون الرماد .

(٢) سورة المائدة آية رقم ٣

ونهى عن صبر البهـائم ، وهو أن تحبس وهى حية لتقتل بالرمى •

ونهى عن التحريش بينهـــا ، وهو الاغراء والاثارة بينهـــا ، وتســـليط بعضها على بعض •

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صـلى الله عليـه وســـلم قال : (لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا) (١)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صـلى الله عليه وسلم (لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا) (٢)

وعن أنس رضى الله عنه أنه دخل دار الحكم بن أيوب فاذا قـــوم قد نصبوا دجاجة يرمونها ، فقال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وســلم أن تصبر البهائم) (٣) •

وعن ابن عباس رضى الله عنهمـا قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم) (٤)•

فالنهى عن هـذه الأمور المذكـورة يدل على تحريمهـا ، وفى تحريمهـا تخليص للحيوان من الايلام والتعذيب، وتوفير للرحمة به ورعايته •

٥ ــ الرعاية الفائقة للحيوان الذى يستخدم فى العمل ، والتوصية بتحقيق راحته ، والعناية به •

عن يعلى بن مرة الثقفى قال : (بينا نحن نســير مع النبى صـلى الله عليـه وسلم اذ مررنا ببعير يسنى عليه ، فلما رآه البعير جرجر ، فوضـع جرانه ، فوقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقال : أين صاحب هذا البعير فجاءه ، فقال : بعنيه ، فقال : بل نهبه لك يا رســـول الله ، وانه لأهل بيت ما لهـم معيشـة غيره ، فقـال : أما اذ ذكرت هذا من أمره ، فانه شكا كثرة العمـــل ، وقلة العـلف ، فأحســنوا اليه) (٥) •

وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما (أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الأنصـار ، فاذا جمل ، فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم حن فذرفت عينـاه ، فأتاه النبى

(١) رواه الجماعة الا البخارى . (٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه . (٤) رواه ابو داود والترمذى .
(٥) رواه البغوى فى شرح السنة ــ ومعنى (يسنى عليه) يسـقى عليه ، (جرجر) يقال : جرجر الفحل ردد صوته فى حنجرته ، (جرانه) الجران مقدم عنق البعير من مذبحه الى منحره .

صلى الله عليه وسلم ، فمسح ذفراه ، فسكن ، ثم قال : من رب هذا الجمل ؟ لمن هـذا الجمـل ؟ فجاءه فتى من الأنصار ، فقال : هذا لى يارسول الله ، فقال : ألا تتقى الله فى هذه البهيمـة التى ملكك الله اياها ، فانه شـكا الى أنك تجيعه وتدئبه) (١) .

فقـد أفاد الحديث الأول أن النبى صلى الله عليه وسلم أهمـه أمر البعير الذى يعانى مشقة العمل وألم الجوع، فسـارع الى السـؤال عن صـاحبه ، وطلب منه أن يبيعه له عليـه الصـلاة والسـلام ؛ ليـكون ذلك وسيلة الى تخليص البعـير مما يلقى من الارهاق والايلام ، فلما تعذر بيعه أمر صاحبه أن يحسن اليه ، والأمر بالاحسان اليه يقتضى عناية به أكثر مما يقتضيه الأمر بتوفير راحته وطعامه .

وأفاد الحديث الثانى أنه صـلوات الله وسلامه عليه أهمه أمر الجمـل الذى يعانى أيضـا ألم المجاعة وقسوة العمل ، فبادر الى السؤال عن صاحبه، فلمـا جاءه اتجه اليه باللـوم والتأنيب على اهماله أمر هـذا الحيوان الذى تفضل الله تعالى به عليه ، وملكه اياه ، فصار مسئولا عنه ، مؤاخذا على التقصير فى حقه .

وهذا المسلك النبوى الحكيم يبعث على مزيد الاهتمام بالحيوان ، ورعايته على أتم صورة وأروعها ؟

الحديث موصول .

منشاوى عثمان عبود

---

(١) أخرجه ابن شاهين ، قال فى المصابيح : وهو حديث صحيح ـ (حائط) الحائط البستان (ذرفت عيناه) سال دمعهما ، (ذفراه) تثنية ذفرى ؛ وهو الموضع الذى يعـرق من قفـا البعير عند أذنه ، (تدئبه) تتعبه .

أحباء الله وبغضاؤه

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يبغضهم الله ؛ فأما الذين يحبهم الله : فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته الا الله والذى أعطاه ، وقوم ساروا ليلتهم حتى اذا كان النوم أحب اليهم مما يعدله به فوضعوا رءوسهم فقام أحدهم يتملقنى ويتلو آياتى ، ورجل كان فى سرية فلقى العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له ، أما الثلاثة الذين يبغضهم الله : فالشيخ الزانى ، والفقير المختال، والغنى الظلوم .

أخرجه الترمذى والنسائى .

تتفاضل الأعمال قبولا وثوابا بما تقترن به من اخلاص النية لله ، والتوجه الصادق اليه وبما يلابسها من حسن الأداء ، والسماحة فى البذل والاعطاء ، والأعمال الصالحة كثيرة كلها محبوبة لله تثمر الثواب وتستجلب الرضا منه ومن كل الناس ، وقد نبه اليها رسول الله فى مناسبات كثيرة وفى أحاديث كثيرة وبحسب أحوال السائلين ، ومقامات الكلام ، وفى هذا الحديث نبه الى ثلاث منها يحبها الله ويحب القائمين بها والى ثلاثة تخالفها ويبغضها الله ويبغض مقترفيها .

فأول الأعمال الصالحة التى يحبها الله التصدق فى السر على من يحتاج الى الصدقة واخفاؤه عمن سوى المتصدق عليه حتى لا يعلم بها الا الله ومن بذلت له ، لأن الصدقة حينذاك تكون خالصة من شوائب الرياء والمباهاة والفخر غير جارحة لكرامة الفقير ولا مثيرة لأحزانه على ما حرم منه ، وقد صور رسول الله ذلك فى صورة رجل

كن في رفقة فاعتراهم فقير يسألهم حاجة فصدفوا عنه ، ولم يستجيبوا له مع أنه سألهم لوجه الله خلصا حيث لم يكن بينه وبينهم قرابة فتخلف رجل صالح منهم عن الرفقة واستتر عنهم وأعطاه في غفلة منهم فأحبه الله ورضى عنه مصداقا لقوله تعالى : « ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير » :

والعمل الثاني الذي أشار اليه الحديث ونال صاحبه حب الله ورضاه عنه عمل يشبه الأول في فضل اخفائه وخلوصه أيضا من الرياء وصوره الحديث في صورة رجل كان في رفقة وعلى سفر أضناهم السير وأرهقهم التعب وغلبهم النعاس فآووا الى مضاجعهم يلتمسون الراحة ويستروحون بالنوم الا ذلك الرجل الذي خالفهم عن أمرهم ولم يستسلم كما استسلموا للرقاد والراحة وأراد أن يجعل من رحلته جانبا للدين كما جعل منها جانبا للدنيا فأسهر ليله في طاعة ربه يتضرع اليه ويتقرب من رضوانه فبذل نفسه في عبادة الله يصلي ويذكر ويتلو كتاب الله ويتدبر معناه كما شاء الله .

أما العمل الثالث الصالح الذي فاز بأكبر قسط من رضاء الله وجزائه وفاز صاحبه بخيرى الدنيا والآخرة وبرضاء الناس مع رضاء الله فهورجل خرج في سرية أي طائفة من الجيش يجاهدون أعداء الله وأعداء دينه تدفعه الغيرة والاخلاص الى أن يخوض المعركة مهما كانت نتيجتها ، فاذا انهزمت طائفة تخلوا عن الميدان بقوة الأعداء لم يتخلف عنهم ولم يفر أمامهم ولم يولهم ظهره وصمم على أن يلقاهم بصدره مقبلا غير مدبر حتى تنتهي المعركة ، فاما قتل يفوز فيه بالشهادة واما غلبة ينتصر بها الحق ويعلو شأن الدين ويعز سلطان المسلمين ، ولا شك أن هذه منزلة اذا وزنت بسابقتها ثقلت في الميزان وتميز صاحبها عمن سواه من بني الانسان ، فما أبعد الشوط بين من يبذل نفسه ، ومن يبذل ماله وجهده وان دخل الجميع في زمرة الصالحين .

أما من يبغضهم الله ـ ونعوذ بالله من بغض الله ـ فبغض الله يقتضي أشد العذاب وبغضه أشر لغضبه ، ولقد ورد الغضب في أكثر آيات

القرآن فيمن أشركوا بالله وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ، وأول هؤلاء الذين أبغضهم الله وغضب عليهم ممن ذكرهم الحديث ، الشيخ الزانى ولعمرى أنه حقيق بغضب الله وبغضب الناس ، فقد كان ينبغى أن يكون من تهدم بنيانه وتقويض أركانه ومن تجاربه وحسن تبصره فى العواقب وتصرم عمره واقتراب أجله ما يكفى فى زجره ووعظه واذا قام طيش الشباب وعرام الشهوة عذرا للشباب ــ ان صح العذر ــ فما هو عذر ذلك الشيخ الذى أوشك على الرحيل ، ولم يبق له فى الدنيا الا القليل ،وليس له الى اللذات باعث ، هذا الى أن الشيخ قدوة للشباب سواء فى الأسرة أم الجماعة فاذا فسد ، فسد بفساده جيل ، ولا يغرب عن بالنا أن الزنا جريمة اجتماعية خطيرة ، اذ هى انتهاك للعرض واعتداء على الحريات وغرس للاحن والخصومات وخلط للأنساب ونهج حيوانى ينبغى أن يترفع عنه العقلاء وذوو المروءات .

ولقد ألحت السنة فى وعيد ذلك الشيخ ، ومما جاء فى ذلك ما أخرجه مسلم وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر اليهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان ، وملك كاذب ، وعائل مستكبر .

والرجل الثانى أو الصنف الثانى ممن يبغضهم الله فهو الفقير المختال أى المتكبر ، واذا كان الله يكرهه لاختياله فالناس يكرهونه لكراهة الله اياه ويكرهونه بفطرتهم ،ففى الفطرة أن الفقر قرين التواضع بل قرين الخضوع والمسكنة ، وعلى من يختال الفقير ؟ وهو فى حاجة الى الناس ، فكيف يختال عليهم والاختيال باعث على الحرمان ، وبم يختال ؟ والحاجة قد سلبته ما يختال به ، ان الفقير المختال يناقض نفسه ، فشأن الاختيال أن يكون عن غنى ، والفقر يستجلب المسكنة ان لم تكن بالطبع فبالتصنع حتى يستعطف الناس ويستدنيهم اليه، على أن الاختيال رذيلة يبغضها الاسلام من المسلمين عامة : أغنيائهم وفقرائهم كما قال تعالى :

« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور » .

والصنف الثالث ممن يبغضهم الله ، الغنى الظلوم لأن الغنى الظلوم الباغى

بظلمه كافر بنعم الله عليه ينهج بسلوكه بغناه غير ما يحبه الله ، فلقد أحب الله للمسلم الغنى أن يشكره على اغنائه وينفع عباده بغناه ، فيعاون به فقراء المسلمين ، ويغيث محتاجيهم ولا يتسلط بما حباه الله على خلق الله فبذلك يسلبه اياه ، قال تعالى : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

هذا ولم يرد الحديث بذكر الرجل والشيخ والغنى الظلوم رجلا خاصا ، أو شيخا خاصا ، وانما أراد بكل منها نوعا كل مما ذكر أحد أفراده ، فالذم موجه الى كل شيخ زان ، والى كل غنى ظلوم والى كل فقير مختال .

وهكذا تضمن الحديث طائفة من الأعمال المحظورة التى يكرهها الله ، وأجمل الثواب والعقاب عليها فى حب الله وبغضه وترك للمسلم تصور درجة كل منها وقيمته ، وسلك الحديث منهج القرآن الكريم فى الترغيب والترهيب حسب أحوال الناس ، فمن شرح الله صدره للخير كفاه الترغيب باعثا الى الخير ، ومن انقبض صدره ووهن عزمه وانقاد لشهواته لم يعمه على الجادة الا سوط الزجر يلهب ظهره ويكفكف جماحه .

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ؟

ابو الوفا المراغى

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

مما يأخذونه على البخاري - وأعنى بالآخذين فئة مدعية مقلدة تافهة ليس لها وزن علمى أو مكان بين أصحاب الآراء المعتبرة ، ولكن الذى يحملنا على رد هذه الشبهات أمية فاشية بحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقصور عن فهم الأخبار يجعل لمثل هذا الشغب الرخيص سحرا عند الفارغين والمقلين - حديث المعراج ، حتى لقد ذهب بعضهم ممن أشرنا اليهم الى أن أحاديث المعراج دخلت الى الاسلام عن طريق اليهود وذلك :

١ - لأن فيها موسى يراجع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويدعوه الى مراجعة الرب تبارك وتعالى ، ليكون لموسى تأثير فى مقومات الشريعة الاسلامية وقواعد الدين وهو نبى بنى اسرائيل .

٢ - ادخال اليهود بعض الصور الأرضية فى عالم السموات مثل أبواب السماء وطرقها كأن الذى خلقها يخشى أن يدخل اليها اللصوص والسراق وكذلك صرير الأقلام ذلك الصرير الذى لا يحدث الا من الأقلام البدائية من حيث لا تحدث أقلام الشيفرز والباركر مثل هذا الصرير .

٣ - ان الملوك والحكام لا يقبلون التراجع عن أوامرهم فكيف يقبل الاله أن يتراجع عن فرض الخمسين الى الخمس ونقول لهذا ومثله من المغترين بأهوائهم المفتونين بسخفهم :

ان حديث المعراج متواتر توفرت فيه كل شروط التواتر ، والمتواتر يكفر منكره باتفاق ، لأنه قطعى الثبوت ، والايمان به ضرورى .

ما هو المتواتر ؟

المتواتر هو ما يرويه جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب عن مثلهم عن مثلهم الى رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم • أما حد التواتر عند ابن حزم وهو الذي يفيد العلم القطعى الصرورى فهو أن يرويه ثلاثة من الثقات عن مثلهم عن مثلهم الى منتهاه • وأما شرط التواتر عند السيوطى كما فى الأزهار المتناثرة أن يرويه عشرة من الصحابة • اذا ثبت هذا فان حديث المعراج رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة خمسة وعشرون صحابيا ، وكل صحابى يرويه عنه عدد من التابعين ، وكل تابعى يرويه عنه عدد من تابعى التابعين ، ومن ثم كانت قطعية ثبوته مما لا يمارى فيها مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر •

طرق الحديث :

رواه أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم عن البخارى وكذلك رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عنده ورواه أحمد فى مسنده عن أنس ، وأخرجه مسلم عن أنس بأكثر من سند ، ورواه البزار عن أنس ورواه أحمد عن أنس عن مالك بن صعصعة ، ورواه البخارى عن أنس عن أبى ذر ، ورواه أحمد عن أبى ذر ، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائده عن أبى بن كعب ، وكذلك أخرجه عن عبد الله بن عباس وأبى حبة الأنصارى ، وأخرجه البزار عن بريدة بن الحصيب الأسلمى وكذلك أخرجه الترمذى عن بريدة وأخرجه أحمد عن جابر بن عبد الله ، وأخرجه البيهقى عن سعيد بن المسيب هكذا مرسلا وأخرجه أحمد عن حذيفة بن اليمان ، ورواه أبو داود الطيالسى والترمذى عنه ، ورواه البيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، وأخرجه الامام أبو اسماعيل الترمذى عن شداد بن أوس ، وأخرجه البيهقى عن عبد الله بن مسعود وكذلك أخرجه مسلم عنه ،وأخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن قرط ، وأخرجه أحمد عن عمر بن الخطاب وأخرجه أبو جعفر الطبرى عن أبى هريرة ، وأخرجه البيهقى عن أبى هريرة ، وأخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة •

وسرد البيهقى الصحابة الذين رووه وفيهم غير من ذكرنا على بن أبى طالب ، وأخرجه البيهقى عن عائشة ، وأخرجه محمد بن اسحاق عن أم هانىء بنت أبى طالب ، وكذلك ذكر أبو الخطاب عمر بن دحية فى كتابه التنوير أسماء غير من ذكرنا من

الصحابة أبا ليلى الأنصارى وعبد الله ابن عمـــر وأبا أيوب وأبا أمـامة وسمرة بن جنـدب وأبا الحمـراء ، وصهيبا الرومى وأسماء بنت أبى بكر رضى اللهم عنهم وأرضاهم أجمعين ٠

وأما اســتدلالهم بحــال الملوك وأصحاب السلطـان ممن لا يقبـلون على أنفسهم التراجع عما يصـدرونه من أوامر ، فانا نقول لهؤلاء : ان الله تبارك وتعالى يقول فى محكم كتابه : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير) ٠ فالنسخ والمحودليل على تمام القدرة وليس دليـلا على العجز كما يدعون ٠

أما انـكارهم أن يكون للســماء أبواب وتهكمهم بغلقها وطرقها ، وأن الله يخشى من عـدوان اللصــوص هكذا ورد فى كتـاب مشـبوه نشرته هذه الفئة الخبيثة وأحدث من علامات الاســتفهام والتســاؤلات عن الأيدى الخفية التى تدفع مثـل هؤلاء الى هذا التفكه بالمحكم القطعى من دين الله ، مما دفع بعشرين من الغيــورين من أعضاء مجلس الشعب الى تقديم سؤال الى وزير الأزهر عن هذا الكتاب فانا نكتـفى بذكر ما ورد فى كتـاب الله تعالى من وجود أبواب للسموات مما يجعـل التهـكم ينقلب على أهـله ، والتفكه والازدراء يصوبان الى أولئك الجاهلين الفارغين قال تعــالى : (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنهـا لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنـــة حتى يلج الجمــــل فى سم الخياط) (وفتحت الســـماء فكانت أبوابا) (ولو فتحنـا عليهـم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) ٠

على أن هذا التهـكم والســخرية ينقلبان عليهم مرة أخرى اذا عرفنا أن القــرآن الكريم يثبت أبوابا للجنــة (حتى اذا جـاءوها وفتحت أبوابهـا وقال لهم خزنتها ســـلام عليكم طبتم فادخلوهـا خــالدين) ويثبت أبوابا للنار ، فهل كانت أبواب النـار خوفا من فرار أهلهـا أو أن تفتحهـا فرق انقـــاذ من الكواكب والعـــوالم الأخرى ؟!!! (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) ٠

ولقد قرأت فى الكتـاب المشـبوه نعيه على المعراج أن موسى كان يبكى لأن أتباعه أقل من أتباع محمد صـلى الله عليه وسلم ومن ثم فقد ضبطناهم

فى حالة تلبس بجريمة الصهيونية ، اذ التشكيك أو الرفض للحديث الذى يعظم فيه موسى من شأن أمة محمد ، ويرى أن أمته التى هى أقدم من أمة محمد بنحو أربعة آلاف سنة لم تنشر الحضارة التى نشرتها أمة محمد ولم تنشر النـــور الالهى الذى يضىء فى أفواههم قرآنا وفى أطرافهم وضـوءا وطهارة وفى قلوبهم عدلا ومرحمة ، ماذا عمـلت أمة موسى الى جـــانب ما عملته أمة محمد صـلى الله عليـه وسلم ويبنى هؤلاء المعترضون دعواهم على أســاس أن موسى لا يعلم الغيب حتى يحكم مسبقا على أن أمته أقـل من أمة محمـد وأن أكثر الناس فى الجنة هم أتباع محمد وأن هذا الحكم قبل يوم القيامة وقبل فصل القضـــاء خرص ورجم بالغيب يتنزه موسى عن مثله • ونقول لهؤلاء الذين لم يعجبهم التقـدير العـــام المستمد من النظرة البديهية للأمور حيث لا وجه للمقارنة بين أمة موسى وأمة محمد •

ألم تر أن السـيف يحقـر قدره
اذا قيل : ان السيف خير من العصا

هل تتضاءل أمة محمد صـلى الله عليه وسلم عن مكانهـا العظيـم الذى رآه موسى وأطلعه الله عليه بل أطلع عليه ليس موسى بن عمـــران عليـه السلام فحسب بل كل من ذاق للحياة طعما بعد البعثة المحمدية يقر بأن أمة محمد أكثر عددا من جهة سوادها ، وأعظم كيفا من جهة علمائها وصالحيها ومحدثيهـا من أئمـة السنة وحفظـة الوحى، وهل فى أمة موسى رجل مثل البخارى أو كتاب أو سفر فى صدق جامع البخارى ؟ وموسى رسول يوحى اليـه فاذا أخبر عن أمر من الأمـور الراهنة أو المـاضية أو المستقبلة فانما يخبر بوحى من الله الذى يعلم السر وأخفى • (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) وهو كليم الرحمـن أطلعـه الله على ضآلة أمته وعظمة أمة محمـد ، فأى خرص فى هـــذا اللهـــم انكم أنتم الخراصون أنتم فى غمرة سـاهون ، ردكم الله الى الرشد والصواب•

أما اعتراضهم بصرير الأقـلام فان هـذا من عـالم الغيب الذى لا ندرك كنهه ولا نستطيع تكييف ايقـاعه فى السـمع ولا درجة الاحساس به من ثنايا صريره القدسى فى عالم الأمر ، الله تعالى يقول : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » ويقـــول عز شـــأنه :

« ما أشـــهدتهم خلق الســموات والأرض ولا خلق أنفسهم » .

ويعترض هـؤلاء الذين جانبهـم الصـواب على حديث تحنيك النبى صلى الله عليـه وسـلم لعبد الله بن الزبير عنـد ولادته ، وقد قـالوا فى كتابهم الذى أخرجوه وأشرنا اليه فى مقالات سابقة ، كما سـقنا بعض ما أحـدثه من ايلام لنفوس كثـير من المؤمنـين وقد بنـوا شـغبهم على أن التحنيك ضرب من الوثنيـة من حيث التعلق بالصـالحين والتبرك بذواتهـم بل ببصاق النبى وعقبـوا على هـذه الواقعـة بتعبير مجـاف للأدب مع المصطفى صـلى الله عليـه وسـلم ويعتبرون أن اللعـاب من الفضـلات حيث يسوون بينـه وبين ما خرج من السبيلين ، ويزعمـون أن حـديث التحنيك يثبت تزكيـة لعبـد الله على خصومه من بنى أمية بمصه لعاب النبى صلى الله عليه وسلم وهو رضيع قبل أن يرضع من ثدى أمه ليكون لهـذا الحـديث أثر فى ترجيح كفتـه على خصومه حين الفتنة الكبرى .

ويقولون انه ليس من المعقول أن تحمل أسماء وليـدها وهى فى حـالة وضع لتـأتى به الى النبى صـلى الله عليه وسلم .

ونقول لهؤلاء : ان مقاييس الايمان والشرك ، وأدلة التوحيد والوثنية لم نعرفها الا من جهته صـلى الله عليـه وآله وسلم فما عرفنـا أن هـذا شرك وهذا ايمان الا من جهتـه صـلى الله عليـه وآله وسـلم والحجر الأسـود حجر ، جمرة العقبة حجر ، وهـذا يقبل ويطاف به وهذا يرجم بالجمار ، وليس لأحد أن ينصب نفسه فى مقام المترجم لتعاليم الله ،فيحكم على أعمال عملها صلى الله عليه وسلم بالوثنية ، والا اعتبر اسـتقبال القبلة وثنية لأنه استقبال حجر ،وكان اختصاص النبى صـلى الله عليـه وسـلم بالوحى من السماء وثنية ، لأن مداره يقـوم على اختصاصه بالاتصال بمن فى السماء ، وناهيك بشخص تتصل ذاته الشريفة بشريعة الله من منبعها الأسنى ومقامها الأسـمى ، فهـو من هـذه الحيثيـة لا يخضع للمحاكمة الى منطق ينسجه انسان قاصر .

ان أسـماء رضى الله عنها هاجرت من مكة الى المدينـة وهى حبـلى ، وناهيك برحلة كهذه تشـق على ذى

البأس فى عصرنا هذا ، عصر المركبات الفارهة ذات المقاعد الوثيرة ، لقد هاجرت بنت الصديق الى المدينة على قتب ، وبلغتها فى أيامها الأخيرة من حملها بعبد الله وقد حطت رحالها فى قباء ، وقد ولد عبد الله فى فترة عصيبة على الأمة كلها ، لا يحس بها الا من أوتى العلم بالأمم ونشأتها والأيام وأحداثها ، فلقد كان عبد الله ابن الزبير غصة فى حلوق اليهود ، كما هو غصة فى حلوق أذنابهم ممن يموهون على الناس بمخالفتهم وهم يسددون السهام الى نحور من خذل الله اليهود بأيديهم ، يحاربون الاسلام فى صفوف أعدائه (واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون) .

نعم ولدت أسماء فى فترة تواترت الأخبار التى ملأت بيوت يثرب وضواحيها وما بين لابتيها بأن اليهود عقموا المسلمين بالسحر والطلسمات فلا يولد لهم ولد ، وكانت فترة انتظار لولادة مولود تشق هذا الوجوم الرهيب ويدوى بولادته نداء يهز أرجاء المدينة هزا (الله أكبر ... الله أكبر) وتكون ولادته أول انتصار مشهود لارادة الله واعلاء كلمته ، وكبر لولادته المسلمون ، وسارت أسماء بعد ولادته ممتطية بعيرها من قباء الى حيث مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأعطاها هذا الاستقبال الرائع من أمة تنتظر مولودا تكيد به أولئك الذين يؤلمهم أن ترى الأجيال الصاعدة فكانت ولادة ابن الزبير أول حدث يسىء الى اليهود ، وتأتى أمه نشوى بهذا النصر تحمله لتطرحه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فيحنكه صلى الله عليه وآله وسلم بتمرة يبلها بريقه ..

وينبرى هؤلاء المكيدون متهكمين بتفل الرسول صلى الله عليه وسلم على التمرة وامرارها فى فى الصبى فيسمون اللعاب بقايا ويسمونه فضلات عمدوا الى هذا الصنيع عند تزاحم الصحابة وتسابقهم على اقتسام وضوئه صلى الله عليه وسلم (بفتح الواو) ولا ندرى ماذا يصنع هؤلاء المساكين حين يمضغون الطعام ويعجن أحدهم اللقيمة فى فمه هل يعجنها ببقاياه وفضلاته أم بما تفرزه غدد اللعاب ومكانها بين اللحيين . ان الواحد منهم يأكل لعاب جميع الحيوانات المأكولة دون أن تعافها

نفسه ، ومع ذلك يستقذر لعاب سيد الخلق وأشرف المرسلين •

على أنا اذا أردنا أن نفند رأيهم الخاطىء فى كراهة ريق النبى صلى الله عليه وسلم وماء وضوئه ونحونا نحوا علميا ماديا لعريناهم ولأثبتنا تجردهم من كل معالم المعرفة ، وبذلك يكونون قد سلبوا نعمة العلم بالدين كما سلبوا نعمة العلم بالدنيا •

ان اللعاب سائل طاهر يتكون من الماء بمقدار ٩٩ ٪ ومادة (انزايم) وكمية من الأملاح القلوية • ومن فوائده تحويل المادة النشوية الى مادة سكرية ، وهى من الخمائر التى يحتوى عليها اللعاب ، ومادة السكر التى يحولها الريق هى سكر الشعير ، ويساعد على معادلة الأحماض فى الفم ويساعد على التقام الطعام وازدراده •

ومن هذا التركيب العلمى يتضح أنه مادة بروتينية نافعة لو انتقلت الى طفل رضيع لأكسبته شبعا وقوة ، ولم يكن فى هذا العمل شىء من الوثنية الا اذا فسدت الفطر واختلت العقول أو كان المرء على مراحل من عقله وزاغ بصره ، فقال : ان شم الهواء النقى المنعش وثنية ، وان العلل (١) بعد النهل وثنية ، وان الناس حين يؤمون مواطن الرزق ومهابط الرحمة ومظان الرضوان الالهى وثنية •

بقى بعد هذا زعمهم أن نسبة التحنيك لعبد الله بن الزبير يكسبه فضلا على بنى أمية ، وهو - أعنى قائل هذا الكلام - وان لم يقل هكذا بالنص لخلل عبارته وانحطاط أسلوبه الا أننا نترجمه الى لسان عربى غير ذى عوج وبغير فهاهة حاطة ونقول لهم ولمن يرى رأيهم : ان التحنيك لم يكن مقصورا على هذه الحالة المفردة وعلى مولود واحد ، وانما كانت سنته صلى الله عليه وآله وسلم فى كل مولود يقدمونه اليه صلى الله عليه وسلم التماسا للبركة التى هى أعلى مراتب التوحيد وأنف المضللين راغم •

فقد ثبت أن أبا موسى الأشعرى رضى الله عنه « ولد له غلام فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم فسماه ابراهيم وحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ثم دفعه الى أبيه وكان أكبر ولد أبى موسى » وقالت عائشة رضى الله

---

(١) العلل بفتح المهملة وتحريك اللام المفتوحة والنهل على زنته كذلك •

عنها : «أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصبى يحنكه فبال عليه فأتبعه المـاء » وكذلك يروى أنس بن مالك : « أن أمه وكانت زوجـا لأبى طلحة ولدت ولدا بعد قصـة رواها رضى الله عنه فأعطتـه هـذا الصبى وأرسلت معـه بتمرات الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه النبى صـلى الله عليـه وسـلم ومضغ التمرات وأخذ من فيه فجعلها فى فى الصبى وحنـكه به وسـماه عبد الله » ولم يثبت بل يخطر ببـال أحد أن واحدا من هؤلاء زعم فضـلا له على أحد باختلاط ريقه صـلى الله عليه وسلم بغذائه ، اللهم الا أن الذى أتاح الله له هذا المقـام سيكون هذا الموقف يؤصل فيه من الوجهة النفسية كما يقول ذلك علم النفس كل المعانى النبيلة التى يتمثلهـا هذا الموقف من صاحب أعظم رسالة أنزلها رب السماء الى أهل الأرض .

على أنا نود أن نلفت أنظار العقلاء الى مركب نقص بسـيط على تصرفات هؤلاء جعلهـم يتصـورون كل وهم يتنابهم وكل خيـال يراودهم حقيقـة راسخة ، فمثلا يقولون : (لا جدال فى أن المقصـود بهـذا الحديث هو تزكيـة عبد الله على خصـومه) وقد أوردنا أن عبد الله ليس الوحيـد فى هـذا الأمر وأن كل صبى ولـد فى المدينة هرع به ذووه الى رسول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم لتحنيكه والدعاء له بالبركة ؟

محمد نجيب المطيعى

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

(٥)

ومن أنفع وسائل دعوة شبابنا ـ وهم في مرحلة المراهقة ـ الى التمسك بالدين والى خير الأعمال وحميد الخصال تنبيههم الى ماضى السلف الصالح الذين رفعوا منار العلم والدين ونشروا لواء العدل والمساواة وأقاموا صرح الحضارة الاسلامية العريقة التى ساهمت فى تقدم البشرية ، وتسليحهم بالوعى المستنير بأهداف أعداء الدين وأعداء الأمة العربية والاسلامية وأن كل ما يصوب نحو قلب هذه الأمة من وسائل التدمير سواء التدمير المعنوى بالحرب النفسية والانحلال والفكر المنحرف أو التدمير المادى بالرصاص والقنابل والصواريخ ، ما هو الا مظهر لصراع حضارى خطط له أصحاب القلوب الجاحدة والنفوس المريضة الذين ينكرون فضل الحضارة الاسلامية على نهضتهم ، والذين يخافون أن تعود تلك الحضارة ـ بعد أن تدهورت بسبب عدوانهم واهمالنا للدين ـ الى سابق مجدها واشراقها .

فيعرف شبابنا مثلا ما قاله دافيد بن جوريون مؤسس اسرائيل فى أعقاب اغتصابها لأرض فلسطين العربية عام ١٩٤٨ :

« ان أشد ما أخشاه لو أن قائدا عربيا ظهر فى يوم من الأيام ليقود نهضة عربية حضارية شاملة » ومما قاله أيضا عقب النصر الرخيص فى ٥ يونيو ١٩٦٧ :

« اننا لم ننتصر بعد طالما لم نقض بعد على حضارة العرب والاسلام » ، ويعرف شبابنا أيضا ما قاله السفاح مناحم بيجين وهو يخاطب جيش اسرائيل بعد يونيو ١٩٦٧ :

« لا ينبغى أن تتألم قلوبكم أيها الاسرائيليون وأنتم تقتلون عدوكم ولا ينبغى أن تأخذكم به شفقة ولا

رحمة ما دمنا لم نقم بعد بالقضاء على الحضارة العربية ، تلك الحضارة التى لا بد أن نقيم حضارتنا على أنقاضها ، ولابد من ارغام العرب على الاستسلام الكامل » .

فهذا دليل على أن جوهر الصراع بيننا وبين العدو هو صراع حضارى بالدرجة الأولى .

ولا شك أن تتبع تاريخ الحضارة الاسلامية فى منجزاتها طوال العصور يؤكد أن الازدهار العربى في عصوره الذهبية قام على سند من دين الاسلام الحنيف ، وأن تراثنا وتكويننا النفسى والأخلاقى متأثر كل التأثر بذلك الدين ، وشبابنا فى أشد الحاجة الى احياء دينى وروحى يعدهم للنهوض بدورهم فى هذا الصراع ويبنى نفوسهم ، ويقوى شخصياتهم ، ويقوم معوجهم ، ويعصمهم من الانحراف والانقياد الى ما يفد الينا من الخارج من مذاهب واتجاهات تحمل فى طياتها بذور الاستهتار بالقيم وبالمقومات التى يقوم عليها الايمان والتدين ، وأكبر ما يهون على المرء احتمال الضيم والذل جهله بنفسه ونسيانه شرف أسلافه وأجداده ، فتخفى عليه سيرتهم الحسنة ، وأعمالهم الجليلة الخالدة وأخلاقهم الكريمة ، ومن ثم لا يخجل من السقوط فى حمأة الرذيلة ولا يستحى من اتيان النقائص :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

وقد امتحنت الأمة العربية فى تاريخها الطويل بكوارث متعاقبة كانت كفيلة بالقضاء عليها ومحوها من مسرح الوجود ، لو لم تحمها مقوماتها الدينية والمعنوية التى عصمتها من أن تفقد ذاتها .

ولقد عمل أعداء هذه الأمة عدة قرون على عزلتها عن أمجاد ماضيها وبطولات تاريخها ، وكان همهم الأكبر أن يبتروها من أصولها العريقة التى تمدها بأسباب القوة المعنوية وتزودها بعوامل البقاء .

فليعلم شباب الأمة العربية والاسلامية أن لأمتهم دينا يغنيها عن كل عقيدة ، ويقودها الى الرقى والمجد والتمكن فى الأرض ، ولا يحول بينها وبين الأخذ بكل ما ينفع من ثمرات العقول وجهود الشعوب ولباب الحضارة ، ولتوجه أنظار شبابنا أيضا الى كشف تلك التيارات المعادية للدين وللأمة التى تستخدم

كلمة التطور أو التطـوير فى التعبير عن معادن يراد بها سـلخ هـذه الأمة عن خصائص عروبتها ومعالم اسلامها ، ودفع شبابنا الى تقليد الأجانب فى كل مايأتون ويدعون تحت عنوان التطور، والى تصوير التمسك بقيمنا وأخلاقنا وتقـاليدنا الكريمة على أنه رجعيـة وتخلف •

وعلينـا أن نبصرهم بأن التطور النافع لا يقـوم على أنقـاض التراث الأصيل :

ومن أضـاع تراثا من أبوته
لم يستفد من سواهم قدر ما فقدا

وان الدين لا يعوق الانسـان عن تطـوير أسـاليب الحيـاة ، وتغيير مستوى المعيشة وابتكار كل ما يحقق الخير والرفاهية والرخاء من وسـائل العمل والانتاج وكل ما ينفع الأفراد والأمة أجمعـين فذلك هو مجـال التطـوير الحق الذى يتفق مع دعوة الدين ،والذى سبقنا فيه غيرنا فوصلوا الى ما وصلوا اليه وأحجمنا عن المضى فيه مع دعوة القـرآن اليه فتخلفنـا ، وما أروع ما قاله عمـر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى عبيدة بن الجراح : « انكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقـل النـاس فأعزكم الله بالاسلام ، فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » •

ننتقل بعد ذلك الى الجانب العملى فى التربية الدينية لتحقيق الممارسـة الفعلية والتفاعل مع مصـادر التربيـة من أشخاص وبيئة ومناخ •

وأول ما ينهض بالتربية الرشـيدة هو البيت الذى يدرك مسئوليته ويعرف مهمته ، فلقـد أجمعت الدراسـات النفسـية والتربوية على أهميـة البيت والأسرة فى تكوين شخصية الانسان وفى تشكيل سلوكه فى الحياة صغيرا وشابا ، ويافعا وكبيرا فى السن ، ومن هنا يجيىء الاهتمـام بالروح الدينى الذى يجب أن يسود البيت ممثلا فى صلاح الوالدين والكبار من الأسرة ، وقيامهم بفرائض الدين ، وبعدهم عن المنـكرات والآثام والتزامهم حـدود الفضيلة والأدب ، وتوفيرهم الطمأنينة والرعاية والحنان للصغار وتعهـدهم بالتعليم وتلقينهم مبـادىء الدين فى القالب المناسب لنموهم وغرس بذور الاعتقاد والايمان فى نفوسهم •

ومن الثابت عمليا أن الطفل الذى ينشأ فى بيت كهذا ، يبـدأ حيـاته

محصنا من كثير من الأمراض السلوكية والفكرية ويتميز فى مرحلة المراهقة والشباب بمجاهدة النفس وعدم الاستسلام لدواعى الشهوات ونوازعها الضارة وعلى هذا المعنى اتفقت الدراسات الاسلامية التربوية والأخلاقية ، وممن نبه اليه من علماء المسلمين وجعله ركنا فى بناء منهجه التربوى الامام الغزالى فى مختلف كتبه وبخاصة « احياء علوم الدين » اذ عقد بابا لرياضة الصبيان فى أول نشوئهم قرر فيه : أن الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة ... وهو قابل لكل ما ينقش عليه ، ومائل الى كل مايمال به اليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة ... واذا بلغ سن التمييز فينبغى ألا يسامح فى ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم فى بعض أيام رمضان ، فاذا نشأ على ذلك فى الصبا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا ، يثبت فى قلبه كما يثبت النقش فى الحجر وان وقع النشوء بخلاف ذلك حتى ألف الصبى اللعب والفحش والشره فى الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » .

ومدح الله اسماعيل عليه السلام بأنه كما يقول : « وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » كما مدح من قال : « رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين » فقال تعالى : « أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون » .

وحين ينتقل الناشىء من مرحلة البيئة المنزلية الى مرحلة التعليم المدرسى تبدأ مؤثرات المدرسة والمجتمع الأوسع تعمل عملها فى نمو شخصيته وتكوين نظامه الأخلاقى والاجتماعى . ففى هذه المرحلة الممتدة من الطفولة الى الرشد تجتمع آثار التعليم والتلقين والقدوة الصالحة والأوضاع الاجتماعية وأنماط الحياة العامة السائدة وتأخذ شخصيات الناشئين ـ بما حملت من آثار الفطرة والوراثة والبيئة المنزلية ،

وبمـا يلابسـها من ظواهر النمـو الجثمانى والعقـلى فى التكيف بهذه العوامل الجديدة بها وتبدأ الفـروق بين الناشئين تظهر فى مجالات تفكيرهم وسلوكهم ، وتبرز هنا وهنـاك عند بعضهم ألوان متفـاوتة الدرجات من الشذوذ والانحراف تحتاج الى تعهـد وعلاج ، وتبلغ هـذه الألوان شـدتها فى ابان المراهقة والبلوغ •

وألزم ما يلزم للناشئين فى هـذه المرحلة التربية الدينية المناسبة ،والجو الاجتمـاعى النقى والاشراف النفسى الحكيم • فأما التربية الدينيـة المناسبة فى مراحل التعـليم فان جـوهرها الوصول الى وجدان الناشىء وضميره وتنمية عاطفته الدينية ، وربط جوانب شخصيته بأواصر العقيدة والتعـاليم الروحيـة واحـكام صلته بخالقه من طريق اتصاله بكتاب الله حفظا وفهما ودراسة ، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسـيرته وسـيرة أصحابه وخلفائه والصالحين من أمته ، وبمـا يناسب سنه وعقله من مبادىء التشريع الدينى وأسراره ، وبالمعـالم البارزة من تاريخ الأمة الاسلامية وحضارتها ودورها فى تقدم الانسـانية ، وبتهيئة الوسـائل له لاقامة شـعائر دينيـة وتشجيعه على ممارسة أعمـال الخير والبر ، وبتوجيهه الى الاتصال بالكتب وبالنصوص الاسـلامية التى تتضمن أو توحى بالترغيب فى الاسـتقامة والتنفـير من الانحـراف ، ومـن الضرورى أن يبنى كـل ذلك عـلى منهج تربوى ونفسى مدروس ، وأن يكون القائمون على شئون التعليم قدوة صالحة للمتعلمين ، وأن تعنى المدارس والمعاهد ، ومراكز تجمع الشباب بكل ما يساعدهم على اقامة الشعائر الدينية، وينمى فى نفوسهم الشـعور بجـلال المواسم الاسـلامية والحرص عـلى احيائها ويحقق لهم فضيلة النشأة فى عبادة الله •

ومما يجدر ذكره أنه لا يصح أن نتصور أن مدرس الدين هو المسئول وحده عن التربيـة الدينيـة وتكوين الاتجاهات القويمة لدى التلاميذ ، بل الواجب أن نقـرر أن جميع المسلمين مسئولون أيضا ، فان التلميـذ يمضى أكثر ساعات النهـار لأكثر أيام السنة فى صحبة المعـلم ، والمعـلم هو الذى يشكل عقول تلاميـذه ويمدهم بالمواد الثقافية ويزودهم بالقيـم والاتجاهات التى تتشكل على هديها أنماط سلوكهم الاجتماعى •

(يتبع)

محمد جمال الدين محفوظ

وحي السماء في شعر العقاد

للأستاذ السيد حسن قرون

للشعراء الكبار ومنهم عباس محمود العقاد ولع باستيحاء الأسماء والألقاب والكنى حين يقرضون الشعر ، ويرجع ذلك الى معايشتهم اللغة في أوضاعها المختلفة ،وفي فطانها المتفرعة في شعرها وخطبها وكتبها ورسائلها وتوقيعاتها ، وفي فقهها ومعاجمها اللغوية الخاصة والعامة ، فالشاعر الموهوب (المنقوع في اللغة) ان صح التعبير حين يتهيأ للالهام وتسيطر عليه العاطفة ، ويهدر به الشعر تتهيأ معه مادة التعبير فتبرز له الألفاظ من مكامنها ساعية اليه ، متشبثة به ، حريصة على الحياة الرقيقة ، فيزاحم بعضها بعضا ، فيختار منها ما يحلو له ، وما يراه خليقا بالحياة ، مما له قدرة بالغة على تصوير معانيه وأحاسيسه .

وقول النحاة : الأسماء لاتعلل لايصغى اليه الشعراء ، ولا يستجيبون له ، لأن لهم عالما أوسع من دائرة النحاة ، عالم الخيال والتحليق في السموات العلا ، ترى ذلك جليا عند أصحاب الالهام ، وأرباب الكلام ، وقد تجده عند الخطباء المصاقع الذين ملكوا أعنة البيان ، وأدبنا العربي فيه كثير من الأدب الجميل الذي يدور حول الأعلام والأسماء يكون للاسم دلالات عندهم ، وايحاءات تسر السامع والقارىء ، وقد تغضب حينا من قيلت فيه ، فمن الشعر غزل أبي تمام ، قال :

بكر اذا ابتسمت أراك وميضها
نور الأقاح برملة ميعاس

واذا مشت تركت بصدرك ضعف ما
بحليها من كثرة الوسواس

قالت وقد حم الفراق فكأسه
قد خولط الساقي بها والحاسي

لا تنسين تلك العهود فانما
سميت انسانا ، لأنك ناس

. فكلمة انسان أوحت اليه أن يذكر بتلك العهود ، لأن الانسان من

النسيان ، وبتعليله لذلك الموقف أكسب الكلام رونقا ورشاقة وملاحة تأخذ بمجامع القلوب . ومن النثر الحوارى ماجرى بين خالد بن صفوان ابن الأهتم التميمى وبين أحد بنى عبد الدار فقد حكوا أن خالدا فاخر العبدرى فقال العبدرى من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان فقال : أنت خالد « كمن هو خالد فى النار » وأنت ابن صفوان « كمثل صفوان عليه تراب » وأنت ابن الأهتم ، والصحيح خير من الأهتم . نظر الى اسمه فاستوحى منه ما يؤذيه، واستعان بالقرآن مرة ، وبمعنى اسمه مرة أخرى ، وكان رد خالد من نفس الطريق ، قال للعبدرى : يا أخا بنى عبد الدار ، أتتكلم وقد هشمتك هاشم، وأمتك أمية ، وخزمتك مخزوم ، وجمحتك جمح ؟ فأنت عبد دارهم ، تفتح اذا دخلوا ، وتغلق اذا خرجوا، قال الرواة : فقام العبدرى محموما . وأنت ترى أن خالدا جعل من أسماء بطون قريش سبيلا الى طعنه ، والتهوين بأسلافه ، فأخذ من هاشم وأمية ومخزوم وجمح معانى ودلالات تجعل من عبد الدار خادما لهؤلاء جميعا مع أن « دار الندوة » كانت من مفاخر قصى وابنه عبد الدار .

ولا أطيل فى هذا الحديث وحسبى أن أقول : ان العقاد فى عصرنا الحديث جرى هذا المجرى فى النظر الى الأسماء والتعامل معها ، والتفاعل مع دلالاتها مدحا وعتابا ورثاء وفكاهة ، ولا شك فى أن ذلك جاء نتيجة تبحره فى لغته وادراك حقيقتها ومجازها ، وأنه خالطها مخالطة العاشق لها ، المشوق الى جمالها ، العاكف على محرابها ، التابع لخطواتها فى جاهليتها واسلامها الدارس لشعرائها ، الموازن بينهم الناظر الى طرائقهم فى التعبير والتصوير وكتاب واحد من مؤلفاته يعطيك بيانا شافيا لما نقول .. انه « ابن الرومى حياته من شعره » وحصيلة ذلك كله ان كان للعقاد مذهب خاص فى استخدام الكلمة ، لها قيمتها فى أدائه فهو لا يحب المترادفات ، ولا يستعين بجملة تفسر أخرى ، فلا يصح عنده أن تكون الكلمة نافلة فى الاسلوب ، لأنه يعرفها من جذرها الى فروعها مجازا استعارة وتشبيها وكناية ، ويعرف موطنها من أين أتت ؟ أمن لغة أهل العالية أم من لغة قريش ؟ أجاءت من الريف أم نبتت مع الشيح والقيصوم فى البادية ؟ فاذا استخدمها أو استوحى منها معانى جديدة فهو على علم تام

بصفاتها وشياتها ، وقد يستخدم اللفظة الأجنبية ليؤدى بها معنى لفظة من لغة الضاد فتجيء مستقرة فى مكانها ، مطلوبة فى البناء الشعرى ، لا تحس قلقا أو نشوزا ، وان كان لا يفعل كثيرا . وبالمثال تتضح الأقوال .

قال العقاد فى ذكرى عيد الجهاد ، وعيد الجهاد كان بدء العمل الوطنى بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها ، وفرحت الشعوب بمبدأ حق تقرير المصير ، فتوجه الزعيم سعد زغلول ورفيقاه على شعراوى وعبد العزيز فهمى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ الى دار المعتمد البريطانى ، وطلبوا منه السماح لهم بالسفر الى مؤتمر الصلح بباريس فحيل بينهم وبين ما يريدون .. فكانت ثورة ١٩١٩ ، ورقم ١٣ له دلالة الشؤم عند الناس ، ولكن العقاد يجعل منه فألا حسنا ، ويتخذ من اسم سعد طالع سعده الميمون ، فماذا قال :

ان من أسعد (الثلاثة عشرا)
رجل قادر على الاسعاد

سعد اسمه ووصف ووعد
من عدات المهيمن الجواد

أنجزوه أنتم على يد شعب
لم يزل دهره على ميعاد

فقد جعل سعد رقم ١٣ مصدر تفاؤل لا تشاؤم ، لأنه قادر على الاسعاد ، وله من اسمه ووصفه ووعد المهيمن الكريم ما يحقق التفاؤل ، وعلى الشعب أن ينجز الوعد بالجهاد والكفاح ، ولا بد أن يبلغ المراد ، والعقاد ممن لا يتشاءمون بهذا الرقم ، فمنزله يحمله ، وله معه مواقف أخرى لا مجال لذكرها . وللعقاد مع سعد ودلالات الألفاظ مجالات فى صناعة الشعر ، فقد وصف سعد العقاد بأنه الكاتب الجبار ، فلما أبن سعدا فى ذكرى الأربعين قال :

أنا جبارك لا تعهدنى
ذلك الجبار فى الدمع السخين

فقد تغيرت حال الجبار من القوة الى الضعف بعد فقد الزعيم ، وقد بقى على وفائه لسعد ، وبكائه عليه الى آخر حياته ومع أنه ألف كتابا عنه يعد من روائع التأليف ، وسكب فى تأليفه من روحه ودمه ما يرقأ دمعه ، ويهون المصاعب فيه ، ولكن لوعة الفراق مازالت مالكة قلبه وحسه وشعوره ، فلما نقل رفات سعد سنة

١٩٣٦ من ضريحه بالامام الى ضريحه المقام بجوار داره قابله العقاد بذلك الهتاف :

عرف النفى حياة ومماتا
وأصاب النصر روحا ورفاتا

كلما أقصوه عن دار له
رده الشعب اليها واستماتا

كيف يجزيه افتياتا وهو من
كان لا يرضى على الشعب افتياتا

أصبحت دارك مثواك فلا
تخش بعد اليوم ياسعد شتاتا

حبذا الخلد ثوابا للذى
غرس المجد ونماه نباتا

وفى حفل تكريم شاعر القطرين (خليل مطـران) اتخذ من اسـمه سبيلا الى الثناء عليه بالخير ، والتنويه بمكانه بين شعراء جيله .. قال :

(مطران) محراب القر
يض (خليل) ناديه الحميم

قدس يزين وقاره
أنس يهش له النديم

خلقان لم يتجمعا
الا لذى فضل عميم

فكلمة خليل أوحت الى العقاد أن يجعل الشاعر المكرم الأنيس صاحب الأنس الذى يهن نه المرافق والمنـادم وكلمة مطران وهى لقب دينى أوحت اليه أن يجعله وقورا والطير يزينه، وعلى ذلك فقـد حاز مطـران خلقين كريمين لم يجتمعا فى غيره : ما قدس يحف بوقاره فيزينه ، وأنس يرتاح اليه الجليس ، ولذلك جاءت المقطوعة التالية بعد السـابقة متوهجة العبـارة نابضة التركيب بالحب والاعجاب . قال :

ماذا أعدد من سجا
ياك الحسان وهن شتى

أدبا وعرفانا وآ
لاء محببة وسمتا

واذا أطلت نفاية الا
طراد أنك أنت أنتا

ومن هذا المعدن جاءقولهفى ذكرى الفنان المشهور الشيخ سيد درويش :

قل « سيدا » فاذا ذهبت مترجما
علموا هنالك أنه « المايسترو »

هى من مصادقة الحروف ، وربما
سبق الحروف بها دليل مضمر

سمة على كل اللغات سميها
للسبق فى الفن الجميل ميسر

فكلمة سيد موحية له بأن يجعله أستاذ الفنانين ، وهو متفوق ،وتفوقه يجيء فى كل اللغات ، فله أصالته فى الفن الجميل ، وسبقه ميسر له، ويفسر « المايسترو » بأنها الايطالية ترجمة سيدا وأستاذ ، ولا غرو فى ذلك :

عرف الأغانى وللحون كما جرت
فى عرف من نطقوا بهن فعبروا

ويجمع ميزات سيد درويش فى أبيات من نفس القصيدة هكذا :

لله (سيد) الذى غنى لكم
زمنا فقال العالمون « مصور »
وصف ابن مصر فليس يدرى سامع
أصغى اليه : أسامع أم مبصر
ان تسمع الحوذى منه رأيته
عجلا فتيمن فى الطريق وتيسر
أو تسمع النوتى منه حسبته
فى النيل يقبل بالشراع ويدبر
أو تسمع الريفى منه لحته
فى الحقل يحصد فى الأوان ويبذر
أو تسمع الجندى منه نظرته
وعلى أسرته الشعار الأخضر
واذا « المسارح » راجعت أيامها
لاذت بفرد منه لا يتكرر

ففن العقاد فى الرثاء لا نظير له فى الشعر المعاصر ، لأنه يقدم لك المرثى كما خلقه الله سياسيا أو فنانا أو أديبا، ولا يضن على فنه فى استيماء الألفاظ، واستعراضها فى مهارة واقتدار • ويخيل الى أن العقاد بعد مقتل النقراشى تباعد عن السياسة ، واهتم بالأدب والأدباء ، ومناحى التفكير فى كل مجالاته ، فرأيناه يرثى كل أعلام العروبة الذين تبادل معهم الود ، أو عمل معهم فى الصحافة ومجمع اللغة ، ومجلس رعاية شئون الآداب ، ونظر اليهم فى صدق ووداد ، فجاء رثاؤه مصورا لوعته وراسما شخصية من يرثيه ، هذه اشارة عابرة تتصل بموضوعنا ، ولنرجع اليه لنراه يكسر قاعدة النحاة « الأسماء لا تعلل » فصاحب الأهرام اسمه (جبرائيل تقلا) وقد رثاه ، وجبرائيل اسم الروح الأمين الذى يسفر بين الله وبين رسله بالوحى ولذلك عبر فى رثائه مستوحيا من هذا الاسم معناه ، وأن ما يؤديه جبرائيل فى صحيفته لا ينقطع • قال :

وحى جبرائيل متصل
بين حل منه أو سفر
ليس ينأى فى السماء ولا
فى مدى الأحلام والفكر

فذكر الوحي المتصل والسماء والأحلام والفكر وكل هذا من لفظة جبرائيل ، والمعنى دقيق ورشيق .

وفى رثاء الكاتب والسياسى والمؤرخ الدكتور محمد حسين هيكل يتخذ من كلمة (هيكل) وسيلته الى التقدير والتصوير فهو هيكل الحق ، وهيكل الفن ، وهيكل البيعة الكبرى ، وهيكل الصحب ، ويجعل عنوان القصيدة « شيخ الشيوخ » اشارة الى منزلته السياسية ، ويبدأ بكاءه بالأبيات الآتية :

لا أحسب العام فى أسوان يسعدنى
يوما بلقياه فى قومى وفى سكنى

هناك فى الركن فى مشتاه معتصما
على سجيته من غمرة المحن

تباعدت شقة الدارين وامتنعت
على المطايا وأعيت حيلة السفن

حسب[1] الصديقين بعد الأرض بينهما
على مدى راحة من ظهرها الخشن

وأطول شوقى الى يوم يقربنى
من راحة البال أو من راحة البدن

حزين حزين فى شوق عارم الى اليوم الذى يرتاح فيه بالا وبدنا ، وفى حديثه عن ذكرياته عن فقيده ما يصور لك مدى الحزن واللهفة وأثر الفراق

ويرثى النقراشى فيتخذ من اسم ابنه (هانىء) مجالا للتعبير عن الحسرة والحيرة والحزن العميق الذى يشمل الوطن كله لا هانئا وحده :

يا أبا هانىء وأعزز بأنى
لا أرى هانئا ربيب هناء

أنعزيه فى مصابك لهفا
ن ، ونحن الأحرى بطول العزاء ؟

ومصاب الشعوب فى الحق أقسى
من مصاب الأبناء فى الآباء

وعلى الجارم له من اسمه الهام للعقاد ، أليس اسمه عليا ، فليقل :

يا عليا له مكان (على)
بين دان من جيله وقصى

والعجيب أن شاعرنا جعل من مناسبة موت الشاعر مطلع رثائه ، فالشاعر قضى نحبه وهو يستمع الى ابنه ينشد قصيدته فى رثاء النقراشى بدار الجمعية الجغرافية سنة ١٩٤٨ ، قربة الشعر عند العقاد جسمت له ما حدث، شاعر يرثى ويسمع مايقوله وفى آخر القصيدة يسقط ميتا ،

(١) شطر بيت للنابغة ، وتمامه : هذا عليها وهذا تحتها ثاوى .

ولذلك جاء مطلع رثاء العقاد للجارم من صنع ما شاهد :

فجعت مصـــــر يوم نعى على
بالأديب الفهــــامة الألمعى

شــاعر لازم القريض الى أن
كان يوم الفـراق حرف روى

فعلى الجارم قصـــيدة ممتـــدة بايقـاعاتهـا ، وتنتهى بحرف روى ، وهكذا كان العقـــاد يرثى ويبكى ، ويقـدر من خدموا وطنهـم ولغتهم ، تعال معى نترك جو الحزن ، ولنستمع الى العقاد فى فكاهاته ، وكيف يتخذ من الأسماء مركبا لبلوغ مقـاصده ، وأكثر ما كان ذلك أيام شـــبابه ، وللشباب مرحه واتجاهاته ، عنـوان القصيدة « أســبوع فلورة أو تكريم «الكلاب» قدم لها بكلام ختمه بقوله : « اجتمعنا فى رهط من الأدباء ليلة ، وجعلنا مناسبة اجتماعنا مضى أسبوع على ولادة (كلبة) لبعض أصدقائنا ، فقـلت ابارك النفســـاء ، وأحيى المولود .. » .

أعلنى يا (فلـــورة) الأفراحـا
واملئى الأرض والســماء نبـاحا

ما حبا الدهر (بنت كلب) بأعلى
مـن ذراريك عنصرا ولقـــاحا

والمقصود ليس هذا ، انما المقصود قوله يخاطب المولود :

يا كليبـــا أزرى بذكر (كليب)
لا تظنن ما نقـــــول مزاحـــا

ما مـدحت الأنـــام يومـا وانى
لست آلـوك يا كليب امتـــداحا

أعجـم النـاس فى الوداد وما زا
ل بنـو الكلاب فى الوادى فصاحا

فابن فلورة كلب له منزلة سامية ، وكيف لا وقد أزرى بذكر (كليب وائل) الذى يضرب به المثل فيقـال « أعز من كليب وائل » والذى سبب مقتله الحرب بين تغلب وبكر أربعين عاما كما يقولون ، ويقولون انه ساق معـدا كلهـا لحرب اليمـن فانتصر ، وصار سيد الناس . ففى هذه الأبيات الثلاثة مفــارقات صــارخة ، الكلب الحيوان أعلى مقاما من كليب وائل ، وأن الشاعر لم يمدح الأنام يوما ، ولا يقصر فى مدح كليب بن فلورة ، ثم ان الكلاب أولى بالمودة لأنها أفصحت بهـــا ، وأعجم الناس ، فلم يعـرفوا الوداد والوفاء . وقد كان العقاد حين نظم هذه القصيدة ضيق الصدر بالناس والحيـــاة ، وأن طموحه لا يجد له صدى بين أوسـاط أمته ومن يقـرأ

رسائل الشعر التى تبادلها مع صديقيه شكرى والمازنى فى هذا الأوان وقف على ايثاره مودة الكلاب على مودة بنى آدم ، وتعبيره « لا تظنن ما نقول مزاحا » من قبيل الفكاهة ، ولكنها تشير الى نفسيته الثائرة الحائرة ، لكن العقاد حين وصل الى مكانته فى عالم السياسة والأدب مدح ورثى وهجا وزاول هذا النوع الذى خفت صوته فى ذلك العصر ، وان كنا نعرف أن صنيعه فى هذه الأغراض الشعرية لا تعدى تقديره لمن أحبهم وأحبوه ، ومدحهم ومدحوه ، المهم أنه رضى عن الناس بعد أن جفاهم وفضل عليهم بنى الكلاب . ويرثى كلب صديقه (طاهر الجبلاوى) حين نفق ، ويستلهم المعانى من اسم الكلب واسم صاحبه ، ويعطى للكلب سمات يتبين منها موضع الفكاهة والسخرية بالانسان معا ، فهو يقول :

حزنا على كلب طاهر
فانه طاهر الكلاب

تشابها فى خليقة
واتفقا شيمة الصحاب

وربما عى طاهر
وكلبه حاضر الجواب

فليس يوفيه حقه
من اكتئاب أو انتحاب

الا اذا بات نابحا
مع الساعين فى الخراب

عوعو ، عوو وه بلا ونى
ولا انقطاع ولا اقتضاب

وجميل من الشاعر أن يجعل وفاء صاحبه لا يتم الا اذا نبح وعوى ، ووضع له صورة العواء . وهكذا رثى كلب طاهر ولعب بطاهر ، وجعل كلبه أفصح منه ، وأقدر على رد الجواب ، وفى دواوين العقاد كثير من هذا النوع الذى يكون فيه الاسم مصدر وحى له ، يتأمله ويستخرج منه معانى وأساليب هى من الشعر بمكان عظيم ، وحسبك أن تقرأ قصيدته فى أم كلثوم حين عادت من الأقطار الأوربية بعد شفائها ، واستقبلها بها ، واتخذ من كلمة « كوكب الشرق » وهو العنوان سبيله الى مدحها وتقدير فنها ، وشوق الجماهير لسماعها :

كلهم ود لو يغنى
من البشر والصفاء

لم يقدر السرور لنشـ
ـدو غلبناك بالغناء

استمع اليه يستوحى « كوكب الشرق » تره يقول :

هلل الشرق بالدعاء
كوكب الشرق فى السماء

عاد فى حلة الضيا
ء وفى هالة البهاء

لم يغب هاجرا ولكـ
ـن كما غربت ذكاء

لا تخافوا على مطا
لعه سطوة المساء

واهب النور لا يدا
ريه عن نوره غشاء

كوكب الشرق فى أما
ن من الليل لا مراء

وهكذا كانت نظرة العقاد الى الأسماء ؟

السيد حسن قرون

سطور فى كتب التراث

فى المثل (جاءوا على بكرة أبيهم) هذا مثل يضرب للجماعة اذا جاءوا كلهم ولم يتخلف منهم أحد . والبكرة الفتية من الابل . وأصل هذا المثل أنه كان لرجل من العرب عشرة بنين فخرجوا الى الصيد ، فوقعوا فى أرض العدو . فقتلوهم ووضعوا رؤوسهم فى مخلاة . وعلقوا المخلاة فى رقبة بكرة كانت لأبى المقتولين . فجاءت البكرة بعد هدأة الليل . فخرج أبوهم وظن أن الرؤوس بيض نعام ، فقال : قد اصطادوا نعاما وأرسلوا البيض . فلما انكشف الأمر . قال الناس : جاء بنو فلان على بكرة أبيهم ؟

من (الكشكول) لبهاء الدين العاملى ص ٣٠٠

فقيد العروبة والاسلام ..

روعت الأمة العربية والعالم الاسلامى وهى تحتفل بذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم .. بحادث اغتيال جلالة الملك فيصل رحمه الله . وأكرم مثواه . فكان لذلك أثره البعيد فى نفوس العرب والمسلمين . اذ فقدوا فيه علما من أعلامهم الرفيعة المنيعة ، ومصلحا عظيما كريما . وقائدا محنكا حكيما . وبطلا من أبطالهم الذين قادوا معاركهم بشرف وكبرياء وحكمة .

وقد شهدت المملكة العربية السعودية فى عهده من أياديه . وعمله . واصلاحه ما ينطق بمآثره . ويخلد ذكره ، ويعظم عند الله وعند الناس قدره .

وكان موقفه فى معركة العاشر من رمضان عميق الأثر فيما احرزته الأمة العربية من نصر على الصهيونية ، كما كان له الأثر فى العالم كله بما احدثته من هزة كبرى تجاه سلاح البترول الذى شهره . وأشعر الجميع بخطره ..

ومن ثم وقع نبأ وفاته موقعه الأليم من القلوب وعصفت الدهشة من اغتياله بالعقول والألباب . ولكن قدر الله . وما شاء فعل . ورحم الله الفقيد وجزاه خير الجزاء ..

مجلة الأزهر

إسلاميات شوقي

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

(٦)

لم يكن أمير الشعراء يكتفي في اسلامياته التي عرف بها ، وبرزت في كثير من مواقفه ، بتلك الحرارة الملتهبة في شعره ، وهو يدافع عن الاسلام ، أو يصور نهوضه بالانسانية ، والسير بها نحو الطريق الأمثل ، اذا عرض لحياة فاتح من الفاتحين ، أو دولة من دولة ، يتحدث عنها ، أو يذكر تاريخها ، وانما يتجاوز ذلك كله ، ليجعل من نفسه مجتهدا يوجه الرأي ، ويحرر المراد ـ كما يقولون ـ وقد رأيناه أكثر من مرة يقف موقف المجتهد الذي يعلن مذهبه ، ثم لا يكتفي من اعلانه اياه بالتصريح وكفى ، وانما يحاول أن يحمل الناس عليه ، ويلزمهم به ، وربما كانت هذه هي النزعة التي تغلب عليه ، ويهتدي الى الايمان بها من يحاول أن يدرسه دراسة تحليلية واعية ـ أو عميقة ـ وهو العيب الذي كان يلازمه ، لأن الذي يدافع عن رأي من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، لا يطلب منه شيء وراء طرد التهمة الموجهة اليه ، أو العيب الذي لصق به ... ومن هذه المواقف التي يبررفيها شوقي بهذه الصورة : موقفه من قضية « الحجاب والسفور » التي أثارها قاسم أمين في كتبه التي دعا فيها الى تحرير المرأة من سجن البيت الذي تقضي زوجيتها للرجل أن تعيش بين جدرانه ترعى شئون الأولاد وتقوم على تصريف مهام تلك المملكة الصغيرة التي جعلها الله سيدتها ، وكانت هذه القضية مجال صراع ساخن بين الكتاب والمفكرين في هذا الوقت ، لم يتركها عالم ولا أديب دون أن يعطي رأيه فيها ، أو حكمه عليها ، وعلى الرغم من أن الدين الاسلامي الذي أباح للرجل أن يرى من المرأة وجهها وكفيها وقدميها

وحرم الخلوة بهـا ، وكان من أدبه لنساء النبى صلى الله عليه وسلم - وهن فى موضع القدوة لنساء المسلمين أجمعين - « يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا • ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما • يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا • وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا • واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا » فانه أراد من كل أنثى أن تتأدب بهذا الأدب الذى هو دستور يضع للمرأة الحد الفاصل فى ذلك المجتمع الذى تعيش فيه ، فلا تتبذل للرجل بالقرب منه ، والمزاحمة له ، والطغيان على حقه ، أو التخلى عن رسالة الأمومة التى جعلها الله سبحانه وتعالى من أقدس أعمالها ، وأنبل ميادينها التى تزاول فيها ما عساه أن يكون لها من نشاط تريد به أن تساهم فى المجتمع الذى تعيش فيه ، وهى قضية - كما نرى - ان لم تكن دينا مرعيا ، أو شريعة متبعة ، فهى العلاج الذى لابد منه لهذا المجتمع المتخاذل المفكك الذى فقد بفقدانه « المرأة الأم » الخير كله ، وظهر أثر ذلك فى عدم الثقة التى كان مرجوا أن تكون قائمة بين الزوج والزوجة ، وعدم الحنان والعطف بين الأم والأولاد للمشاغل التى تنأى بها عنهم ، ولا تمكنها من الحدب عليهم ،أو الرعاية لهم ، وهى معان تكون أكثر ما تكون بالقرب والملازمة ، وتقليد السلوك والعادات ، ونحن لا نشك فى أن معظم ما تعانيه الأجيال الحاضرة ترجع أوزاره وآثامه الى الأبوة الهزيلة ، والأمومة الفاشلة ، حينما تخلى كل منهما عن واجبه نحو بيته وأولاده ، ولا نريد أن نطيل الحديث فى ذلك أكثر من أن نقول ان الاستعمار الذى كان جاثما على البلاد الاسلامية كان يحب دائما أبدا ألا تكون لنا مثل ولا أخلاق ولا دين لأن هذه كلها تطارده وتقوض بنيانه ، ولذلك كان يساند ذلك الزيف ، ويتعهد هذا الشذوذ ، ويبارك أمثال هاتيك الترهات ، ولم يكن قاسم أمين وحده الذى تصدى

لبلبلة الأخلاق ، والتمرد على المعايير والقيم ، وانما كان هنالك من يشيد بالانجليز فى بلادهم فى كتاب ضخم ، ومن يجمع القصائد والمقالات فى مفاتن باريس ، ومنها قصيدة شوقى التى كان منها هذه الأبيات :

جهد الصبابة ما أكابد فيك
لو أن ما قد ذقته يكفيك

حتام هجرانى وفيم تجنبى
والام بى ذل الهوى يغريك

قد مت من ظمأ فلو سامحتنى
أن أشتهى ماء الحياة بفيك

أجد المنايا فى رضاك هى المنى
ماذا وراء الموت ما يرضيك

زعموك دار خلاعة ومجانة
ودعارة يا افك ما زعموك

ان كنت للشهوات ريا فالعلا
شهواتهن مرويات فيك

تلدين أعلام البيان كأنهم
أصحاب تيجان ملوك أريك

فاضت على الأجيال حكمة شعرهم
وتفجرت كالكوثر المعروك

والعلم فى شرق البلاد وغربها
ما حج طالبه سوى ناديك

العصر أنت جماله وجلاله
والركن من بنيانه المسموك

أخذت لواء الحق عنك شعوبه
ومشت حضارته بنور بنيك

ومن العجائب أن واديك الثرى
ومراتع الغزلان فى واديك

لما احتملت لك الصنيعة لم أجد
غير القوافى ما به أجزيك

وكانت رئيسة الاتحاد النسائى أول امرأة كشفت القناع وبرزت الى الرجال ، وفى هذا التيار الجارف الذى يصونه الاستعمار الذى كان قائما بيننا كان كل هؤلاء الذين ينادون بتحرير المرأة يضعون نصب أعينهم ارضاء الميول المنحلة من ناحية ، والزلفى الى الأجنبى من ناحية ثانية ، وليقال انهم غير جامدين من ناحية ثالثة ، ويقول الذين أدركوا هذه الحقبة من تاريخنا المعاصر ان كثيرا من الغيورين على دينهم قد حاربوا هذا النزوع ، وقاوموا ذلك الانحراف ، وكتبوا ضد قاسم أمين ، وكان منهم مؤسس دعائم الاقتصاد المصرى « طلعت حرب » الا أن الأدباء منهم كانت سياطهم غير موجهة، فالمنفلوطى فى كتابه « العبرات »

يتناولها فى قصة بعنوان « الحجاب » يقـول فيها : « ذهب فلان الى أوروبا وما ننكر من أمره شيئا ، فلبث فيهـا بضع سنين ، ثم عاد وما بقى ممـا كنا نعرفه منه شىء ذهب برأس مملـوءة حكمـة ورأيا ، وعاد برأس كرأس التمثال المثقب ، لا يملؤها الا الهـواء المتردد ، ذهب وما على وجه الأرض أحب اليه من دينه ووطنه ، وعاد وما على وجههـا أصـغر فى عينه منهما ، دخلت عليـه فرأيتـه واجما مكتئبـا فحييته فأومأ الى برأسه فسألته ماباله ؟ فقال ما زلت منذ الليلة من هذه المرأة فى عناء لا أعرف السبيل الى الخلاص منه ، ولا أدرى مصـير أمرى فيه ، فقلت وأى امرأة تريد ؟ قال تلك التى يسـميها الناس زوجتى ، وأسـميها الصخرة العاتيـة فى سـبيل مطالبى وآمالى ! قلت انك كثير الآمال ياسيدى فعن أى آمالك تحدث ، قال ليس لى فى الحيـاة الا أمل واحد ، وهو أن أغمض عينى ثم أفتحها فلا أرى برقعا على وجه امرأة فى هذا البلد ، قلت ذلك مالا تملـكه ، ولا يرى أحـد رأيك فيه ، قال ان كثـيرا من الناس يرون فى الحجاب رأيى ، ويتمنـون فى أمره ما أتمنى ، ولا يحول بينهم وبين نزعه عن وجوههـم ، وابراز النسـاء الى الرجال يجالسـنهم ، كمـا يجلس بعضهـن الى بعض الا الحجز والضعف والهيبة التى لا تزال تلم بنفس الشرقى كلما حاول الاقدام الى أمر جديد ، وقـد عرضت الأمر على زوجتى فأكبرته وأعظمته وخيل اليهـا أننى جئتهـا باحدى النكبات الجسام ، وزعمت أنها ان برزت الى الرجال فانها لا تستطيع أن تبرز الى النساء بعد ذلك حياء منهن وخجلا ، ولا خجل هناك ولا حياء ولكنه الموت والجمود والذل الذى ضربه الله على هؤلاء النساء فى هذا البلد أن يعشن فى قبـور مظلمـة من خـدورهن وخمرهن ، حتى يأتيهن الموت فينتقلن من مقبرة الى مقبرة .. فورد على من حديثه ما ملأ نفسى هما وحزنا ونظرت اليه نظرة الراحم الرانى وقلت أعالم أنت أيها الصديق ما تقول ؟ قال نعم أقول الحقيقة التى أعتقـدها ، وأدين نفسى بها ، قلت هل تأذن لى أن أقول لك انك عشت فترة طويلـة فى ديار قوم لا حجاب بين رجالهم ونسائهم ، فهل تذكر أن نفسك حدثتك يوما من الأيام وأنت فيهم بالطمع فى شىء مما لا تملك يمينك من أعراض نسـائهم فنلت ما تطمع فيه من حيث لا يشعر مالكه ، قال ربما وقع لى شىء من ذلك

فماذا تريد ؟ قلت أريد أن أقول لك انى أخاف على عرضك أن يلم به من الناس ما الم بأعراض النـاس منك ، قال ان المرأة الشريفـة تسـتطيع أن تعيش بين الرجال من شرفها وعفتهـا فى حصن حصين لا تمتد اليه المطامع ، فتداخلنى ما لم أملك نفسى معـــه ، وقلت له : تلك هى الخــدعة التى يخدعكم بها الشيطان أيها الضعفاء ، فالشرف كلمـة لا وجود لهـا الا فى قواميس اللغة ومعاجمهـا ، فان أردنا أن نفتش عنهـا فى قلـوب النـاس وأفئدتهم قلما نجدها ، ويمضى بعـد ذلك فى شىء من الوعظ والارشاد ، والتنديد بالأخلاق التى انهـارت ، والآداب التى ذهبت ، والحيـاء الذى غربت شمسه ، والدين الذى صـار شأنه على الناس هينا ، ثم يقول : « وبعد ، فما هذا الولع بقصة المرأة والتمطـق بحديثها ، والقيام والقعود بأمرها وأمر حجابها وسـفورها ، كأنمـا قد قمتم بكل واجب عليـكم للأمة .. أبواب الفخـر أمامكم كثـيرة فاطرقوا أيهـا شئتم ودعوا هذا الباب موصـدا فانكم ان فتحتموه فتحتم على أنفسـكم ويلا عظيمـا ، وشـقاء طويلا » ويظـل المنفلوطى مسترسلا فى هذا الأسلوب حتى يرينـا أن صـديقه الذى طاش صـوابه ، وضـل وعيـه ، واضطرب تفـكيره ، كان تصميمه عـلى هـذا الانحدار ، لا يمـكن أن تصـده عنه التعاويذ ولا الرقى ، وأنه هتك الستر فى منزله بين الرجال والنساء ، وأن بيته أصبح مغشيا لا تزال النعال خافقة ببابه ، ولم يزل هكذا حتى كان عائدا الى منزله وقد مضى الشطر الأول من الليل ، فرآه خارجا منه ذاهلا حائرا وبجانبه جنـدى من جنـود الشرطة كأنما يقتـاده ، فدنا منه وسأله عن شأنه فقال لا يعـلم الا أنه مدعو الى المخفر ، وأنه يرجوه أن يكون معه ، وهنالك كانت الفاجعة لأنهم أخبروه أن البوليس قد اقتاد رجلا وامرأة من بيت من بيوت الريبـة كانا على حال منكرة ، وأن المرأة زعمت أن له بها ـ أو لها به ـ صلة ، وأنهى المنفلوطى مطافه فى هذه القصة بأن حمى شديدة أصابت هذا الرجل فلم يزل يعـانى منها حتى مات ، ولم يفته أن يسـجل بعض هـذيانه وهو محموم اذ كان يخاطب طفله الذى ولد له منها بمثل قوله : « فى سبيل الله يا بنى ما خلف لك أبـوك من اليتم ، وما خلفت لك أمك من العـار ، فاغفر لهما ذنبهمـا اليك ، سـواء أكنت ولدى أم ولد الجريمة » وقد كان حافظ ابراهيم

من هؤلاء الذين أقحموا أنفسهم في هذا الميدان ، وأراد أن يكون من أصحاب الآراء في ذلك الموضوع ، وهو من أولئك الذين تعودوا أن يمسكوا بالعصا من الوسط ، لا يميل الى جانب الاثبات ولا الى جانب النفي ، وكان من المعروف عنه أنه يخشى بأس الانجليز ، ويخاف غضبهم • ولهذا كان يكنى عنهم دائما أبدا بكلمة القوم •

والقوم في مصر كالاسفنج قد ظفروا
بالماء لم يتركوا ضرعا لمحتلب

وسمعت بعض النقاد يقول انه كان يسرد الآراء ، ويسجل وجهات النظر ، دون أن يكون له عليها تعليق أو انتقاد ، كقوله للورد كرومر ممثل الانجليز هنا في مصر حينما كانت لهم الكلمة « تنوعت الآراء فيك فقائل » وكان مما روج له بعض المرجفين أن المصريين لا يخضعون للمنطق ، ولا يستجيبون لداعي العقل ، وأن الشيء ربما بدا لهم صلاحه ، وظهر نفعه ، لكنهم يمنعهم من الأخذ به ، أو التزام جانبه ، أنهم لم يتعودوه ، أو لم يتناقلوه بالوراثة عن الآباء والأجداد •• وفي قصيدته التي قالها لصاحب كتاب تحرير المرأة ، كان هذا لم يقطع برأي في حين أنه يصور قومه بالجمود ، وأنهم لم يمتثلوا حتى اذا تجلى لهم الحق ، ووضح سبيل الصواب ••

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم
ولم يفقهوا في السفر ما أنت كاتبه

فلو خطرت في مصر حواء أمنا
يلوح محياها لنا ونراقبه

وفي يدها العذراء يسفر وجهها
تصافح منا من ترى وتخاطبه

وخلفهما موسى وعيسى وأحمد
وجيش من الأملاك ماجت مواكبه

وقالوا لنا رفع النقاب محلل
لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

وهو بهذا الأسلوب الساخر يعلن عن جمود هذا الشعب وتخلفه ، وأنه لا يتطلع الى الرقي ، ولا يسعى الى التقدم ، ولا يعمل على الأخذ بأسباب النهوض ، أو التخلص من قيود الرجوع الى الوراء ، وأن المنطق والعقل لاعتبار لهما في سياسته وسلوكه ، وحياته وموته ، وأن دستوره « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » التي كان القرآن الكريم ينعاها على أولئك الذين

كانوا يجعلون من أنفسهم حجر عثرة في سبيل الانتفاع بالهدى الالهي الذي كان يعلنه الرسول صلى الله عليه وسلم الى العرب ويرجو أن يأخذوا به هو ديدن هؤلاء الرجعيين الذين كانوا يقاومون دعوة هذا الرجل الذي أراد للمرأة أن تتحرر من أغلال الجاهلية الأولى .. ومن الغريب أن تكون هذه النزعة هي الوجدان الصادق الذي كان يسيطر على قلب أمير الشعراء وهو يتحدث الى قاسم أمين عن دعوته وعن كتابه الذي كان يتضمن تلك الدعوة ، وان كان ساق قصيدته على شكل حوار بينه وبين طائرمنسوب الى جزر الكناريا بالهند، أخذ يتحدث عن صوته وريشه وقفصه وكل أنواع الملاحة والحسن التي توفرت له ، أو اجتمعت فيه ، وكذلك العناية التي أحاطت به ، وأنه لا يدري مع هذا كله أهو سعيد زهو ملحوظ بتلك العناية أم لا .. وكأنه لم يكن بهذا كله يعطي رأيا قاطعا :

يا لت شعري يا أمير
شج فؤادك أم خلي

وحليف سهد أم تنا
م الليل حتى ينجلي

بالرغم مني ما تعا
لج في الحديد المقفل

شهد الحياة مشوبة
بالرق مثل الحنظل

والقيد لو كان الجما
ن منظما لم يحمل

دنياك من عاداتها
ألا تكون لأعزل

أو للغبي وان تعلـ
ـل بالزمان المقبل

جعلت لحر يبتلي
في ذي الحياة ويبتلي

يرمي ويرمى في جها
د العيش غير مغفل

وربما كان متناقضا مع نفسه الى أبعد حدود التناقض وهو يقول في ثنايا هذه القصيدة داعيا الى الرضا بالواقع ، والنزول على حكم القضاء والقدر ، والتسليم بما يبعثان به من شأن ، أو يسوقان اليه من أحداث .

اسمع فرب مفصل
لك لم يفدك كمجمل

صبرا لما تشقى به
أو ما بدا لك فافعل

أنت ابن رأى للطبيـــــــ
ـــــعة فيك غـير مبـــدل

أبدا مـــروع بالاســـا
ر مهـــدد بالمقتـــــل

ان طـرت عن كنفى وقعـــ
ـت على النســور الجهـــل

لكنها على كل حال طريقة الشعراء في حديثهم عن الأشياء فانهم يحلقون فوقهـــا ، ويحـــومون حولهـــا ، ثم لا يزيدون على ذلك كله قليـــلا ولا كثـــيرا ، اما لاعتقـــادهم أن الشـــعر لا يصلح فى تناوله للقضايا أن يكون ناقدا أو محللا ، أو لأن الأوزان فيه ربما هزتهم فخرجت بهم عن الجادة، وتنكبت القصد ، ومالت عن الصراط السوى ، ونحن لا ننـكر على هـذه القصـيدة ـ من ديوانة ـ أنها كانت لونا رائعـا للحـوار القصصى الذى يزدان به الشعر ، ويجمل به البيان ، ويحسن به سياق الحديث ، بصرف النظر عن كونه شـفى غليلا وأروى ظمأ ؟

دكتور / ابراهيم على ابو الخشب

الأزهر وحماية لغة القرآن

للأستاذ محمد جمال البنا

مع انتهاء الربع الأول من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وبينما الأمة الاسلامية تلم شعثها الممزق ، وتتحسس جسدها المكلوم من جراء الضربات المتواليات التى منيت بها على أيدى المغول والتتار والصليبين حينما أتى عليها حين من الدهر يبلغ ستين وثلثمائة سنة لم يكن للعرب ولا للمسلمين فيه ظل ممدود ولا لواء معقود ••• وبينما يحاول هذا العالم المنهوك أن ينهض من عثرته ، ويستيقظ من غفلته اذ بالسلطان سليم العثمانى يسوق جيشا كثيفا مخترقا به شبه جزيرة سيناء فى الطريق الى مصر قاعدة الحكم المملوكى حينذاك بعد أن استولى على الشام وقتل السلطان قنصوه الغورى فى معركة (مرج دابق) الشهيرة ولم يلبث أن انعقد له لواء النصر وتمت له الغلبة واستولى على مصر (٩٢٣ هـ ـ ١٥١٧ م) بعد أن شنق طومان باى على باب زويلة ـ وتحولت الخلافة ان طوعا وان كرها من العباسية الهاشمية الى العثمانية التركية وانتقلت العاصمة من القاهرة الى القسطنطينية ولم يمض طويل وقت حتى كانت العراق الى جانب مصر والشام بل والحجاز وليبيا وتونس تحت سيطرة النفوذ التركى •• وتحدثنا كتب التاريخ والتراجم والسير أن السلطان العثمانى ألقى بكل ثقله وأعمل ثاقب فكره ، ووجه جل همه نحو مصر قلب الاسلام النابض ، ومركز الخلافة قبل الغزو ومنطلق الوثبات التحررية فى العالم العربى آنذاك ، ومن ثم فقد عمل جاهدا ومسرعا على هدم الكيان الثقافى فيها بعد أن قوض النظام الاستقلالى وحطم الاقتصاد القومى بها مما يذكرنا بالحركة التدميرية للثقافة الاسلامية والتى قادها هولاكو ضد بغداد من قبل والتى غطت الأحزان بسببها سماء الأمة الاسلامية وكادت

أن تعصف بالتراث والعربيـــة لولا تصدى الأزهر المجيد لها ، والتفـافه الواعى حولها ، واسـتطاع أن ينجو باللغة من محنتها وينهض بها كبوتها ، وكانت الضربة العاصفة القـوية بعـد تجريد مصر من مدخورها ونفائسـها وفنانيها وعلمـائها هى فرض اللغـة التركية مكان العربيـة فى الدواوين والمكاتبـات والرسـميات والادارة والتعليم والجيش وذلك بقصد انهيار اللغة المحلية لسـان الشعب المغلوب ، وانتقال السيادة منهـا الى التركية لغة القاهر المستبد ... وكان من البدهى أن تتخلى العربية عن مكانهـا المرموق الذى تبوأته زمنا غير قليـل فى عصر المماليك الذين أحسنوا الى العربيـة برغم اختلاف ألسنتهم وألوانهم لأنهم كانوا على غير عداء معها بل ان بعضهم انخرط فى سلكها وامتزج بروحهـا وأدبها فعقد المجالس الأدبية والفكرية للعلم والمناظرة وبعضهم كان يقرض الشعر وينشىء النثر الفنى وكلهم كان يشجع العلماء والطلاب بل ان عصرهم كان الفترة الذهبيـة لسـيادة الأزهر وانطـلاق أهـدافه وازدهار علـومه وامتداد سـطوته .. وكان لازدهاره فى ذلك العهد الدور الفعـال الذى استطاع به أن يعوض اللغة ما فقـدته من تراث قضى عليــه البرابرة ـ أما خلال العصر التركى المعتم الذى رمى بثقله غير الحضارى على أكتاف العالم الاسـلامى فقد كان من الطبيعى أن تتقهقر اللغة العربية وتذوى ، وينحط الأدب ويتخبط ،ويشحب وجه الفكر وتتـوارى نضرته ويمـكن أن نرجع ذلك الى جملة مكونات تعاونت جميعا على اهدار اللغـة وانحطاط الأدب ، وانهيار الثقافة من بين هـذه المكونات أن العثمانيين استولوا على مال البـلاد وأوقافها وبخاصـة ما كان موقوفا على المسـاجد التى كانت تتخذ مدارس ودور للعلم ـ وكذلك فقـد استولوا على الأوقاف الخاصة بالعلماء والطلاب وهم عصب الحياة الثقافية فى كل زمان ومكان ـ الى جانب أنهـم استحوذوا على عيون التراث ونوادر المخطوطات وحملوه معهـم الى بلادهم فى صحبة العلماء وبرعة الصناع والفنيين ومهرة العمـال والمهندسين وجلة المفـكرين والمثقفـين حتى قيـل ان عددهم بلغ ١٨٠٠ رجـل وفى بعض الروايات التاريخية أن البحر ابتلع بعضهم حينما

غرقت بهم السفن (١) هـذا الى جانب تدهور النظام الاقتصادى للبلاد فقـد فرض نظام الالتزام ، ونظام السخرة ، ونظام الوسايا ويحدثنـا الجبرتى عن « نزلة الكشاف » حديثـا عجبا ليس هذا موطنه الآن ـ وانما الذى يعنينـا أن التركية حينمـا بسطت نفـوذها ونشرت راياتها تخلت لها العربية عن مواقع كثيرة فى دور التعليم والتربيـة وفى دواوين العمـل والادارة ، وفى معاقل الثقافة والفكر ، وبقيت شاحبة ذاوية على لسـان الشعب المغلوب فى الأسـواق والمنتـديات والدور ولولا فضل الله على هذه اللغة الشريفة التى اتخذها وعاء لكتابه ، وتبيانا لرسوله ، ولسانا لخير أمة أخرجت للناس لماتت موتا نهائيا ولحلت التركية محلها الى الأبد .

ولعل الباحث اللغـوى والدارس الأدبى لحصاد هذه الفترة يدرك لأول وهلة سيادة اللهجة العـامية وتقهقـر الفصحى ولعل العجب لا يأخذنا ولعل الدهشة لا تملكنا حينمـا نقرأ لبعض العلماء والأدباء بعض الرسائل الأدبية وطائفة من الكتب العلميـة التى كتبت بالعامية ولكننـا نعجب حينمـا يتسرب السجع ـ وهو سـمة العصر ـ اليهـا فجمع النص الأدبى بين الخستين على حد تعبير المناطقة وكذلك فقـد ناءت العربيـة الفصحى بمـا حملتـه بين أحشائها من الدخيـل والغريب مثـل الألفـاظ ـ والتراكيب التركيـة التى انحدرت الى لغتنا اليومية فى عصرنا الحالى كمرض خبيث يلزم التخلص منه والقضاء عليه وذلك مثل الكلمات (أرشيف وعرضحال ـ ومخزنجى وبوسطجى وقهـوجى وكل ما ينتهى بالمقطع التركى (جى) ومثل الكلمات المنتهية بالمقطع (خانه) مثل أجزخانه ـ وكتبخانة وأدبخانه ـ ولقـد كان

---

(١) فى بدائع الزهور لابن أياس ذكر لأسماء العلماء ونواب القضاة الذين ابعدهم السلطان سليم من مصر الى تركيا وينظر تعليقه المتسم بالمرارة ولم يقـاس أهل مصر من قديم الزمان أعظم من هذه الشدة .

ولا سمع بمثلها فى التواريخ القديمة ـ أما الجبرتى فيقرر « أن مصر فقدت نيفا وخمسين صنعة ») .

بعض الكتـــاب حتى أوائل العصر الحديث يضمن كتـــاباته العربيـــة تعبيرات تركية (١) ومعنى هذا خمود القرائح ونضوب معين العلم ، أو كما يقول الزيات (يرحمه الله) « ضرب الجهل على أبصار المصريين فعمـوا ، وفدحهم أعباء الذل فرزحوا ، وطال عليهم الأمد فغشاهم النعاس ، وخيـم عليهم الظلام فلم يستيقظوا الا بمدافع نابليون على أبواب القاهرة » (٢) .

وكان طبيعيا أن يبرز الأزهر وسط هذا الظـلام الدامس كمنـارة هادية ترشد الى الطريق المستقيم ونبع ثرار من ورده يستقى الظامئون ــ والأزهر مذ كـان والى أن يرث الله الأرض ومن عليها يتصدى للتيارات الهـادمة التى تعرضت لهـا العقيـدة كهدف ومضـمون والعـواصف المدمرة التى تعرضت لها اللغة العربيـة كشـكل ووعاء ، لأنه اتخذ من هاتين الغـايتين هدفا له ، وراية خفاقة تحت ظلالهـا ينطلق ويقاتل ، فالدين واللغة هما الجنـاحان الخفـاقان اللذان ارتفع الأزهر بفضلهما الى السموات العلى ، ذلك أن بين الدين واللغـة عـلاقة لا تنفصـل ، ورباط لا ينفصم فاللغة العربية تختلف عن غيرها من اللغـات التى تنزلت بهـا كتب « سـماوية مقدسة بأنها ظلت الوعاء الذى لا يتغير لمضمون القرآن وتعاليم الاسلام وذلك حينما اعتقـد المسـلمون ــ وكان فى ذلك الخير كل الخير ــ ان اللغة جزء من حقيقة دينهـم » فهى ترجمـان لوحى الله ولغـة لكتـابه ، ومعجـزة لرسوله ، ولسان لدعوته « فالقرآن » لا يسمى قرآنا الا فيها ، والصـلاة لا تكون صلاة الا بها ، لذلك سارعوا الى تعلمها ، والتكلم بها والتأليف فيها ، والتعصب لها ، والدفاع عنها والدعوة اليها حتى حلت محـل الفارسـية فى العراق والرومية فى الشام والقبطيـة فى مصر والبربرية فى المغـــرب وأصبحت فى عصر بنى العباس ــ وهو

---

(١) تنظر الوقائع المصرية فى سنواتها الأولى وينظر كتاب « المراح » فى فن الصرف لمؤلفه احمد بن على بن مسعود طبعة بولاق ١٢٨٢ هـ فقد خلط فيه مؤلفه بين الاشتقاقات العربية والتركية فهو يأتى بالمشتق العربى ويردفه بمقابله التركى وهذا دليل على تسرب التركية الى لغة التعليم والدرس والتأليف .

(٢) تاريخ الأدب العربى . الطبعة العشرون . ص ٤٠٢ ، ٤٠٣

عصرها الذهبى ـ لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والادارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة (١) .

من هذا المنطلق الرابط بين الاسلام كدين واللغة كاشعاع لهذا الدين كانت رسالة الأزهر الأصيلة ، وأمانته المباركة التى حمل ثقلها حتى وصل بها الى الغاية المرجوة ، والهدف المنشود ففى الوقت الذى استطاع فيه الأتراك أن يسلبوا مصر كل نفيس وغال ، وأن يبسطوا زمام لغتهم على كل شيء ، وأن يضربوا كل معاقل الفكر والثقافة فى العالم العربى نراهم قد وقفوا عند أبواب الأزهر خشعا خضعا يلتمسون منه العون والهداية ، والحق أنهم لو استطاعوا أن يخلعوه من مكانه كى يحملوه معهم لفعلوا ولكنهم ارتدوا على أعقابهم فعظموه ووقروه وأجلوه وفرضوا قداسته على أنفسهم فالسلطان سليم يتخذه مسجدا رسميا للصلاة والتبرك فهو يزوره مرارا وهو كذلك يأمر بتلاوة القرآن فى أبهائه وأروقته ، ولعل مرد ذلك لو دققنا النظر ، وأمعنا الفكر الى جملة عوامل من بينها استطاعة هذا المعهد الجليل ، أن يغزوا تركيا بثقافته قبل أن يغزوا السلطان العثمانى مصر بجيشه فلقد عرفت العربية مؤلفين وعلماء أتراك ممن استطاع الأزهر بما له من اشعاع ووحى أن يضمهم الى حظيرته فيعربهم حتى أجادوا العربية وتكلموا بها ، وألفوا فيها كالفيروز بادى صاحب القاموس وأبى السعود صاحب التفسير وحاجى خليفه صاحب الموسوعة وخوجه زاده وشكرى زاده وملا مسكين ، وملا لطفى وملا خسروا ومحيى الدين الكافية جى وغيرهم كثير ممن اهتم بذكرهم محمد عبد الله عنان فى سفره الرائع عن تاريخ الجامع الأزهر .

كذلك فان من بين هذه العوامل التى جعلت الأتراك يحلون الأزهر ان الله خصه من بين الجامعات المماثلة فى العالم بأنه ملتقى المسلمين بحكم الموقع والنشأة والمنهج اذ أن وجوده فى القاهرة وهى قريبة من الحجاز جعله طريق الحجاج والرحالة من علماء افريقية والأندلس ، فضلا عن أنه خرج كوكبة من أعلام الفقه وأعلام الأدب

(١) كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية ـ محاضرة الزيات فى قاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر .

الى جانب مكانته العلميـة التى كانت موضع اجـلال الحـكام وتقديسـهم كذلك فقد كفى طلابه على مر العصور مؤونة العيش حيث كفـل لهم الغذاء والكساء ، والمأوى والكتاب ـ كذلك فقد كان الأزهر فى ذلك العهد موئلا وحصنا لأولئك العلماء الناجين بأنفسهم وأرواحهم ودينهم وعلمهم من غارات المغول حين اكتسحوا فى طريقهم الى القاهرة خراسان وبلاد فارس والعراق كذلك فقد احتوت مصر فى جنباتها العلماء المهاجرين من الأندلس بعـد نكبتها ، وبسـط لهم الأزهر ذراعيـه واستوعبهم بين جنبيه •

وهـكذا ترى أنه لم يك فى مصر ابان ذلك العهد من مراكز العلم سوى الأزهـر وروافده فلقـد كان الطالب يحفظ القرآن الكريم ويتعلم مبادىء القراءة والكتابة فى المساجد أو الكتاتيب ثم يلتحق بالأزهر لدراسة الفقه (على المذاهب الأربعة) والتفسير والحديث والأصول والنحو والبلاغة وشـيئا من المنطق والفلسـفة (١) ومهمـا بلغ تمجيدنا لدور الأزهر وأثره فى تلك الحقبة فاننا لن نستطيع مجابهة القائلين بحقيقـة أنه حار الحـركة العلميـة وانحطاط الحالة الأدبية ففى مجتمع هذا شـأنه لابد وأن تقـل الرغبة فى الابداع والتأليف وتنشيط الرغبة فى عمل الشروح والحواشى واختصـار المؤلفات وليس من الغريب أن يكون أكثر علماء هذا العصر من أهل العراق والشام ـ ولن نستطرد فى تسـجيل فساد الأخيلة وشحوب اللغة وجفاف المنابع الأصيلة وعرض النماذج الهزيلة تاركين ذلك لموضعه من مصادر الأدب ومراجع التاريخ له ففيها الكثير ••• وانما سنكتفى بابراز السمة العـامة للدراسـة الأزهـرية فى ذلك العصر وكيف أنها كانت لا تتعدى المناقشات اللفظية العقيمة التى لا تصـل الى لب المعانى الا مجهودة مكدودة ويكفى أن لغة التخاطب فضـلا عن لغـة الدرس والتأليف لم تصـل فى أى عصر من العصـور الى مثـل ما وصلت اليه فى هـذا العصر ولكنا نستطيع الزعم أنه بالرغم من الانطـواء الذى أصـاب المدنية الاسلامية وأصاب الأزهر فقد استطاع الأزهر أن يستبقى شيئا من أهميته وظل يسدى الى اللغة العربية

---

(١) يلاحظ أن الولاة العثمانيين كانوا قد أشاعوا فرية تحريم دراسـة العلوم العقلية وذلك كي تعيش مصر فى تخلف فكرى وثقافى وشايعهم على ذلك قلة من علماء الأزهر ـ ينظر على مبارك فى الخطط التوفيقية.

وعلوم الدين أجل الخدمات - ويصور محمد عبد الله عنان فضل الأزهر فى هذه الحقبة بقوله : « اذا كانت مصر قد لبثت خلال العصر التركى ملاذا لطلاب العلوم الاسلامية واللغة العربية فأكبر الفضل فى ذلك عائد الى الأزهر وقد استطاعت مصر لحسن الطالع بفضل أزهرها أن تحمى هذا التراث نحو ثلاثة قرون حين أصابها العصر التركى بمحنه وظلماته ، وربما كانت هذه المهمة السابقة التى ألقى القدر زمامها الى الجامع الأزهر فى تلك الأوقات العصيبة من حياة الأمة المصرية والعالم الاسلامى بأسره هى أعظم ما أدى الأزهر من رسالة وأعظم ما وفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل » (١) واذا كان الأزهر قد انطوى على نفسه فى العصر العثمانى وزوت آثاره العلمية فقد استطاع مما كان يتمتع به من نفوذ فى نفوس العامة والخاصة أن يحمل ولاة العثمانيين على احترامه والرجوع اليه فى مهام الأمور (٢) مثلما حاول بعض الولاة استغلال نفوذ هؤلاء فى تهدئة ثائرة الشعب كلما حدث اضطراب أو قامت ثورة داخلية .

ومن ثم فلولا هذا المنار الهادى وسط تلك المغارة المظلمة المهلكة لاندثر التراث ولماتت العربية ولصارت مصر قطعة من الكيان العثمانى مثلما كان يدبر لها ويراد ، وجدير بالراصد أو المؤرخ للحركات العلمية والتربوية فى الوطن العربى أن ينزل هذا المعهد الجليل منزلته وأن ينيله حقه من الاجلال والتقدير ويكفى أنه استطاع بامكانياته الهزيلة وروافده الضعيفة أن ينجو بلغة القرآن وتراث الاسلام من بين براثن الجهل المطبق وأنياب الفقر المدقع ، وأظفار الداء العضال . وذلك مما يجعلنا نؤكد القول بأن ارهاصات النهضة الفكرية والوثبة العلمية واليقظة الأدبية فى العصر الحديث انما ولدت جميعا على أعتاب الأزهر ونمت وتبرعمت فى صحنه وتحت رحابه فقد استطاع فى مرارة بالغة وعصامية فريدة - كما أوضحنا منذ قليل - أن يحفظ من التراث بقية ومن اللغة اثارة كانت أساسا دون شك أو جدل للنهضة باعتراف ثقاة المؤرخين والدارسين فها هو ذا المستشرق دودج Dodge يقول فى مؤلفه عن الأزهر « وكان هذا المعهد

(١) ص ١٤٦ ، ١٤٧ من تاريخ الجامع الأزهر .
(٢) محمد عبد المنعم خفاجى الأزهر فى الف عام ص ٧٧

الاسلامي فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر يقوم بنفس المهمة التى كان يقوم بها فى عهد الحروب الصليبية وفى عصر غزوات المغول »(١) ولولا هذا العمل البطولى الخالد للأزهر وروافده من الكتاتيب والمساجد التى امتدت الى عصب القرية المصرية لما وجدت النهضة الفكرية مرتكزا ثابتا — ومنطلقا راسخا تمتد من خلاله الى آفاق العصر الحديث — فلقد انتهى العصر التركى وليس فى مصر كلها مثقف واحد من غير أبناء الأزهر — وهم الذين اعتمد عليهم محمد على فى صدر نهضته وبعوثه العلمية الى أوربا أمثال الطهطاوى ورفاقه الذين حملوا على عاتقهم بناء مصر الحديثة .

والغريب ان هذه الحقيقة التاريخية تعرضت طوال الفترة الماضية للانكار من قبل المؤلفين المدرسيين (٢) وقد كان الانصاف يقتضيهم ويحتمهم على أن يبرزوها الى جانب ابرازهم وتركيزهم وتجسيدهم لدور الحملة الفرنسية فالأزهر كما يعلم — من المؤسسات الفكرية والثقافية التى أدت دورها المشع خلال انبثاقة هذه النهضة والأزهر كذلك « من الكلم الجوامع النوابغ فى لفظها استيعاب ووعى، ولمعناها اشعاع ووحى فهى « زمان ومكان ودين ودنيا وتاريخ » ولقد ظل معقلا آمنا وحصنا قويا لحفظ اللغة والثقافة العربية زهاء ألف سنة بينما دمر الجهل والكفر حصونها فى بغداد والأندلس، هذه حقيقة بينة ،والأزهر ظل مركزا اشعاعيا تنبعث منه أنوار العقيدة هادئة صافية رائعة وهذه حقيقة راسخة — والأزهر ظل كعبة أخرى تحف حوله ملايين القلوب المؤمنة فهو فى جميع الأقطار والأمصار القبلة الثانية التى اليها يتوجه الأمل فى امتداد السيل الاسلامى المبشر الى فجاج الأرض وعواثر الطرق ومن عندها نبدأ المسيرة الى الحق والى الطريق القويم وهذه كذلك حقيقة ثالثة .. ويفى الأزهر كذلك كما يقول الزيات فى محاضرته : « الملاذ للشعب المظلوم كلما عشقه الطغيان ويفى عليه الحكم

(١) Dodge Al-Azhar نقلا من الأزهر تاريخه وتطوره اعداد وزارة الأوقاف وشئون الأزهر .

(٢) جورجى زيدان مثلا يمر بدور الأزهر فى هذه الفترة مرور الغافل أو المتغافل انظر الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية .

فتأوى منه الى ركن شديد وحام قادر ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ولا يبغون من وراء ذلك مالا ولا جاها ولا شهرة (١) .

واذا كان هذا هو دور الأزهر فى الحفاظ على اللغة من التشتت والضياع ، وحماية الثقافة العربية بوجهها الاسلامى من التدهور والاندثار فالأمل معقود عليه اليوم أن يتصدى للتحريفات والتشويهات التى يحملها العصر ويطرحها الواقع ، وثمة الآن بعض الأسئلة التى تفرض نفسها فى صورة تحديات عصرية يمكن أن نسوقها على النحو التالى :

- هل يستطيع الأزهر كمنار مرشد وكمعقل حصين للغة القرآن أن ينتشل اللغة العربية من وهدتها التى انحدرت اليها هذه الأيام فيحصنها ضد مرض الاسفاف والعامية التى يروج لها فى الصحف وأجهزة الاعلام دعاة عتاة يعملون فى دأب مستمر ، وعزيمة لاتخمد لحساب من ؟ لسنا ندرى !!

- هل يستطيع الأزهر بحكم طبيعته ، وعلة وجوده أن يعيد للشعر العربى عصره الزاهر ، وشراعه المحطم وقدسيته المنتهكة ؟

- هل يستطيع الأزهر كعاصم للتراث وحافظ للأصالة أن يبشر بأدب جديد فيه من القديم معناه وسحره ونفثته ومن الجديد جماله وبريقه ورونقه ؟ .

- هل يستطيع الأزهر بما له من ماض عريق ومجد تليد فى حقول اللغة والأدب والفن أن يعيد الى اللغة ذلك السحر والرواء وأن يفتح أمامها الأبواب المسدودة والنوافذ المغلقة فيعرب المصطلحات متعاونا مع مجمع اللغة العربية الذى نهض على أكتافه وترعرع فى حمايته ... فمن العار على اللغة التى وسعت كتاب الله وعايشت الحضارة الزاهرة فى الأندلس وبغداد والشام ومصر أن تتوارى اليوم فى كليات الطب فلا تدرس العلوم الطبية بها بحجة أنها غير قادرة على الوفاء بذلك ــ ومن غير المعقول وغير المقبول أن يظل الأزهر حتى اليوم دون أن ينشىء

(١) كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية .

مركز لاحياء التراث ـ الذى يتعرض الآن لحركة تشـــويه عجيبـة بحجة بعثه واحيـائه ـ وكان أولى به أن يفعل فمكتبته الأزهـرية من أغنى المكتبات بالمخطوطات فى العـالم ، ورجاله وعلمـــاؤه مهيئون بحكم ثقافتهم وعملهم لمثل هذا العمل .

ـ هل يســتطيع الأزهــر أن يفرض منهجا اسلاميا رشيدا ومفهوما عربيا قويمـــا لمجابهـــة المتناقضــــات واللامعقولات التى تفرض نفســها الآن عـــلى كل ألـــوان الأدب وفنونه ؟

ـ هل يستطيع الأزهــر أن يقـــود حركة الموازنة بين اللغة فى قديمها المذخور وجـديدها المنتظر بحيث لا تحدث الخلخلة الفـكرية التى تتمثـل فى الانفصـام بين المـاضى والحاضر وبين الحاضر والمستقبل ؟

وأخيرا هل يستطيع الأزهر ياترى أن يحمل أعباء التبعة اللغوية ويؤدى الأمانة الأدبية ، ويبلغ الرسالة الفكرية التى خلق لها وعاش من أجلها ؟

ـ هل يستطيع الأزهر أن ينطلق الى الغد فى ثورية المؤمن بهدفه الواثق فى شرف وسـيلته وسـمو غايته ؟ سؤال يجب أن يطرحه الأزهر على بنيه البررة الأشـاوس وهو يخطو نحو عامه الألف فى شـباب وفتوة وفى ازدهار وانطلاق ، وفى صحة يحسد عليها من قبـل الجامعـــات والمؤسسات العلمية والفـكرية فى العالم كله ؟

محمد جاد البنا

رد على مقال ...

للدكتور مصطفى عمران

طالعتنا مجلة روز اليوسف فى عددها الصادر يوم الاثنين ١٧ من فبراير ١٩٧٥ بما كتبه السيد الأستاذ خالد محيى الدين عن الماركسية - الدين - الاشتراكية .وكان ذلك ردا على سؤال وجه لسيادته على هذه الصورة :

بينما العدو يحتل أرضنا ، ومتاعب التسليح والتعمير تحتاج الى كل طاقتنا ، وتحدى اللحاق بالعصر يواجهنا ، عادت ترتفع مرة أخرى ومن أكثر من مكان صيحة : الذئب.. الذئب .. عاد التخويف من غول اسمه الالحاد ، أطلقته على الدنيا أمه الغولة .. التى هى فى رأى البعض « الماركسية » وفى رأى البعض الآخر « الاشتراكية » فما هى الحكاية بالضبط .. ؟

وقد استهل سيادته حديثه فى الاجابة عن هذا السؤال بجملة من الأسئلة تدور حول :

(أ) ما موقف الدين من الاستفادة بالأفكار الشيوعية التى نادى بها ماركس فى مجال التاريخ والاجتماع والاقتصاد .

(ب) ولمصلحة من يوضع الانسان أى انسان أمام هذا الاختيار الشاذ اما أن تؤمن بالله ورسله واما أن تؤمن بالعلم .

(ج) موقف الماركسية من الدين .

وقد انتهى سيادته الى القول بأن : الدين يأمرنا باتباع ماركس فيما توصل اليه من علم فى مجالات التاريخ والاجتماع والاقتصاد وأن واقع الماركسية لم يلزم أحدا ممن انخرطوا فى صفوف الأحزاب الشيوعية بالتخلى عن الدين .

وقد بدا عند دراسة هذه الآراء الحقائق الآتية :

أولا : ان المقصود عند مناقشة موقف الدين من الماركسية والفكر الاشتراكى انما هو الاسلام ليس غير فان المسيحية فى جوهرها لا تملك من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية ما تقوى به على مواجهة الفكر الاشتراكى الحديث . وانما هى جملة من الوصايا الهادفة الى تصفية النفس وتطهير الوجدان وتهذيب الأخلاق . وكانت بذلك خير ما يمكن أن يواجه به ما أصاب بنى اسرائيل من تحجر فى الطبع وقساوة فى القلب . وفسوق عن الهدى وتكالب مسعور على المادة كما كانت متسقة مع الفترة المحدودة المقدرة لها عند الله تعالى حتى يظهر الدين العالمى الأخير . الأمر الذى اضطر معه الباقون على اتباع المسيحية الراهنة الى حصر الدين فى القلوب والضمائر ثم البحث فى الغرب تارة والشرق أخرى عن فلسفات وقوانين أرضية تحكم مجتمعاتهم وتتكيف بها حياتهم .

ثانيا : ان الاسلام بما يمثله من عقيدة واضحة ومتسقة مع فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وبما يتضمنه من تشريع متزن ، ومبادىء قادرة على تملك ناصية المتغيرات فى مجال الاجتماع وميادين الاقتصاد فى اطار من الخلق والسماحة والتعاون والحب هو وحده المنافس القوى الخطير لتلك الأفكار الوافدة من الغرب والشرق على السواء والأسد الذى يخشى يقظته الذئب . ويفرق منه الغول .

ثالثا : انه فى ضوء ما تقدم من عناية الاسلام بوضع القوانين والتشريعات الى جانب ما أمد به البشرية من تلك النصائح والتوجيهات الكفيلة بسعادة الانسانية وتعاونها على الخير والبر والبعد بها عن الاستغلال وصراع الطبقات لا مفر من توجيه هذا السؤال :

ماذا نحن صانعون اذا ما تلفتنا من حولنا فرأينا واقعا اجتماعيا منكرا وأوضاعا اقتصادية لا تتحقق معها العدالة ؟ ومدار الاجابة على هذا السؤال رهن بمدى ثقتنا فيما أنزله تعالى من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبما جاء فيه من قوله سبحانه : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

فهل يجوز لنا نحن المؤمنين بهذا كله أن نتجه بأبصارنا الى الغرب أو الشرق نستورد قوانين الحكم ونستجلب نظم الاجتماع والاقتصاد ونكل حل مشكلاتنا الى الرأسمالية تارة والشيوعية أخرى دون أن نعنى باستلهام الاسلام : عقيدة وشريعة ودون أن نكلف أنفسنا النظر فيما تفضل به تعالى علينا من أسس ومبادىء وتوجيهات ثبتت صلاحيتها فى دنيا الواقع ، وكان لها أكبر الأثر فيما حققه أسلافنا الأماجد من دعم للحق ورقى للحياة وعدل وسلام بين الناس .

رابعا : انه لمن مصلحة الانسان .. أى انسان أن يوضع أمام هذا الاختيار المنطقى المتسق مع طبائع الأشياء وهو : اما الايمان بالله وكتبه ورسله .. أى الايمان بما وضعه رب العالمين من مبادىء ونظم وتوجيهات تكفل للناس جميعا سعادتهم واستقرارهم فى مجال الاجتماع والاقتصاد واما الايمان بما وضعه ماركس وانجلز ولينين من تلك الأنظمة اللاصقة بالأرض والمحصورة فى المادة .

خامسا : من الحجة الداحضة أن يستمسك البعض بالقوانين الوضعية أيا كان مصدرها لما قد يراه من وجود الاتفاق والالتقاء بينها وبين مبادىء الاسلام وخطوطه العامة فان تلك القوانين كما يقول الدكتور العالم محمد أحمد الغمراوى مردودة فى الاسلام ما خالفت أحكام الله ، وليس للمسلمين اليها من حاجة ان وافقت ، وما حاجة المسلمين .. بل ما حاجة الناس الى حكم ان خالف حكم الله فهو خطأ وقى الله الناس شره بالشرع ، وان وافق حكم الله اتفاقا كان التماسه من غير الشرع اثما للمسلم وذلة . كان اثما لأنه انصراف عن شرع الله وسوء ظن به ، وافتراض نقص فيه يلتمس سده فى غيره ، وكان ذلة لأن المسلم حين يحتكم الى غير دين الله ، ويرضى بحكم من يعلم أنه لا يؤمن بما أنزل الله فقد خلع عن نفسه رداء العزة الذى أضفاه الله عليه حين أنزل له شرعا جمع له فيه وبه الخير والصواب وحرره من الخضوع فى قول أو عمل أو نية لغير الله .

سادسا : انه فى ضوء ما تقدم تتضح الاجابة على السؤال الأخير من جملة الأسئلة التى طرحها السيد خالد محيى الدين . وهو : اذا كنت أعتبر الماركسية علما فهل تلزمنى الماركسية

بترك الدين ؟ فنقول : أي وربى ، اما أن يكون المرء ماركسيا أو مسلما فليس مما يتسق مع المنطق أن يلتزم بعض الناس فى أنظمتهم السياسية والاقتصادية وأوضاعهم الاجتماعية المنهج الماركسى ثم يبقى ايمانهم بالله وكتبه ورسله كما يدعون « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »• وفى حديث الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل » •

ولن يصح فى الأذهان شىء اذا حصرنا الايمان بكتاب الله تعالى فى الصدور والأفئدة ورضينا لأحكام الله وتشريعاته أن تبقى فى عزلة لا تحكم الحياة ولا تصرف شئونها ولا تعالج بها مشاكلنا •

ان الماركسية اللينينية تقوم على انكار الله والايمان بالمادية البحتة كأصل للوجود والتطور كما تقوم على احتقار الأخلاق الدينية والمثل العليا وكل القيم الانسانية الرفيعة وتقوم على دكتاتورية الحزب أو البروليتاريا وكبت الحريات فى القول والعمل • وما يتبع ذلك من عبودية الانسان وما تدفع اليه من كذب ونفاق ومداهنة •

وان الاسلام ـ بخاصة ـ والأديان بعامة لتدعو الى الايمان بالله والتعاون على الخير والبر والتضحية من أجل المثل العليا والمبادىء الرفيعة وما يمكن أن يؤدى اليه من عدل وسلام وأمن واطمئنان فى كون الله كله •

هذا : والاسلام والماركسية طرفان متناقضان فى جملتهما وتفصيلهما •

فاذا جاز لقائل أن يقول انهما يلتقيان فانه حينئذ لا يرى فى واقع الحياة أو فى ضمير الفكر تناقضا بين أمرين على الاطلاق •

ولن يرى المؤمن الصادق فى تقبل لينين للقسس والمتدينين فى الحزب الشيوعى وهو القائل : اننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الله الا استغلالا •• الا أسلوبا ماكرا ومسلكا خبيثا اتبعه لينين من قبل • ويتبعه أضرابه من بعد تغريرا بالشعوب وتمويها على العامة ريثما يتم الاستحواذ عليهم واحتواؤهم داخل منظماتهم ثم لا يزالون بهم طعنا

في الدين وسخرية به وتهوينا من شأنه وتشويها لمعالمه حتى يسلخوا المرء من دينه كما تنسلخ الشاة من جلدها .

ان الاسلام في حقيقته ليس له سوى معنى واحد هو اسلام المرء باطنه وظاهره لخالقه سبحانه وتعالى أما اسلام الباطن فذلك أن يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وأما اسلام الظاهر فذلك أن يحتكم لله وحده فيما ضمنه كتابه الكريم من مبادىء وتشريعات كفيلة بارساء دعائم العدل والخير والصلاح في مجال الاقتصاد والاجتماع والسياسة .

ولن يجوز في عقل يعرف هذا الرصيد الضخم وتلك الثروة الهائلة التي أسبغها الله علينا أن يمد عينيه مستجديا مبادىء الرأسمالية تارة والشيوعية أخرى ومن الخطأ أن يفسر هذا المنهج بالانعزالية وانما هو في جوهره حرص على ما وهبنا الله من هداية وخير أن نذهل عنه ويخطف أبصارنا بريق من أساليب الحياة ومناهج العيش لم يثبت في واقع الحياة ملاءمتها للفطرة .

واتساقها مع ما في الانسان من أشواق روحية ووجدانات رفيعة وطموح للمثل العليا وصدق الله العظيم حيث يقول : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » .

وبعد : فالعودة الى الاسلام لا تمنحنا مجرد تحقيق العدالة الاجتماعية في حياتنا ، ورد الأطمئنان والثقة الى النفوس المضطربة الحائرة الباحثة عن الخلاص في شتى المبادىء وشتى الاتجاهات .. انما هي تمنحنا مع العدالة الاجتماعية في الداخل ذاتية شخصية في الخارج .. وطابعا مميزا في المجتمع الدولي تحسب الكتلتان المتنازعتان حسابه وتقيمان له وزنا في سياستهما الدولية ؟

دكتور مصطفى عمران

صفحات من تاريخ القاهرة

المنيرة – والإنشاء

الأستاذ محمد كمال السيد محمد

(٥)

ذكرنا فى مقال سابق أنه لما تحول النيل غربا فى القرنين ٦ و ٧ هـ (= ١٢ و ١٣ م) عن مجراه السابق عند الفتح العربى سنة ٢٠ هـ ظهرت أراضى اللوق • وأن ما كان منها غربى موقع شارع القصر العينى الحالى عرف أخيرا بجاردن سيتى والقصر العينى ، وما كان شرقى موقع الشارع المذكور عرف أخيرا بالانشاء والمنيرة وفم الخليج •

وكانت الأسماء القديمة للانشاء والمنيرة وفم الخليج : منشاة المهرانى ، وبستان الحلى ، وبستان الخشاب ، ومنشاة الفاضل ، هذا فى الأجزاء الجنوبية وعم اسم اللوق على شمال هذه المواقع •

وذكر المقريزى جامع المهرانى فقال ان الظاهر بيبرس أنشأه سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٣ م) فى موقع كان يعرف بالكوم الأحمر كان مخصصا لعمل أقمنة الطوب الآجرية (أى الطوب الأحمر وسمى بالكوم الأحمر لما يتخلف منه من الحمرة) بناء على طلب الصاحب بهاء الدين بن حنا • الذى كان قد عمر منظرة تجاه هذا الكوم وتضرر من رائحة حريق الطوب • ثم قال المقريزى : وقد تعطلت اقامة الجمعة بهذا الجامع لخراب ما حوله وقلة السكان هناك بعد أن كانت هذه المنطقة فى غاية العمارة •

وذكر على مبارك هذا الجامع • واكتفى بنقل ما ذكره المقريزى • مما يدل على أن الجامع كان قد اندثر فعلا •

ولكن يفهم من وصف المقريزى أن هذا الجامع كان بالجزء الجنوبى من حى المنيرة والمهرانى المنسوبة اليه منشأة

المهرانى هو بلباى المهرانى أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس • وقال القلقشندى فى صبح الأعشى أنه أول من عمر هناك • والمنشأة تعبير يطلق على حى جديد ينشأ بجانب مدينة بتخطيط جديد • ويسميها الناس المنشية • ونجد اسم المنشية فى كثير من القرى والمدن المصرية •

وبستان الحلى نسبة الى القاضى بهاء الدين الحلى ناظر الجيش فى عهد الناصر محمد بن قلاوون •

الصاحب بهاء الدين بن حنا (بكسر الحاء) :

والصاحب بهاء الدين بن حنا الذى أنشىء جامع الكوم الأحمر بمنشأة المهرانى بناء على طلبه هو بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا من أعيان مصر تولى الوزارة لشجرة الدر ثم للظاهر بيبرس ثم لابنه بركة خان وتوفى سنة ٦٧٧ هـ • ومن آثاره المدرسة البهائية كانت بزقاق القناديل بالقرب من جامع عمرو بالفسطاط • وكان زقاق القناديل سكن الأشراف • أعنى الأشراف العلويين • ويعلق على كل باب قنديل • وقيل كان مائة قنديل توقد ليليا على أبواب الأكابر منهم •

وابنه فخر الدين توفى فى حياة والده سنة ٦٦٨ هـ ، ومن آثاره الرباط على بركة الجيش شرقى الفسطاط •

كما أن حفيده تاج الدين بن فخر الدين تولى الوزارة سنة ٦٩٣ — ٦٩٤ هـ • وتوفى سنة ٧٠٧ ، وله مسجد دير الطين • وشرع فى عمارة رباط الآثار بجهة أثر النبى جنوبى الفسطاط •

وآخر من ذكر من آل حنا الرئيس شمس الدين محمد بن حفيد تاج الدين المذكور أخيرا تولى التدريس بالمدرسة البهائية وتوفى سنة ٨١٣ ، وهدمت المدرسة البهائية سنة ٨١٧ هـ

ومن هذه التراجم ومن اسم بهاء الدين على بن محمد بن سليم رأس الأسرة لا نجد ما يدل على النصرانية ولكن بلدية القاهرة شاعت أن تسميه ابن حنا بفتح الحاء • فى شارع قريب من جامع الظاهر بيبرس فى حى الظاهر • وشكلت الحاء بفتحة فوقها ، ولم تكتف بذلك بل كتبت تحتها بالأفرنجية hanna للتأكيد وخشية الوقوع فى الصواب (كانت لافتات

الشـــوارع تكتب باللغتين العربيـــة والأفرنجية) • ونبه المرحوم أحمـد باشا زكي المعروف بشيخ العروبة سنة ١٩٢٩ لهذا الخطـأ • واستشهد بأبي حجر العسـقلاني والسـخاوي والمقريزي وعلى مبارك واجماعهم على أن حنـا بكسر الحـاء أي على مثـال الشجرة الطيبة المعروفة باسم تمر حنا وعرفها العرب باسم الفاغية (من فاغت الرائحة أي فاحت ، والفائغة الرائحة المحتشمة) •

والحنـاء نقـل المصريون القدماء زراعتهـا من فارس ، واستعملوها في التحنيط والتجميل والعطور ، ونقلها عنهم اليـونان والرومان ، وتسـتعمل أوراق الحنا بعد تجفيفها في صبغات الشـعر ودبغ الجـلود وتلـوين المنسـوجات وبعض الأدوية الملطفـة للالتهـابات الجلدية • وزيت زهر الحنا يدخل في صناعة العطور • وله رائحة هادئة لطيفـة • وأعواد الحنـا تصنع منها السلال •

القاضي الفاضل عبد الرحيم البياني :

ونجد بهذه الجهة ثلاثة شوارع ، منها اثنان متفرعان من شـارع القصر العيني أمام دار الحكمة تقريبا أحدهما اسمه شارع الفاضل • والثاني اسمه شـارع عبـد الرحيم البيـاني • أما الشـارع الثالث واسمه شـارع منشاة الفاضل فهو بالقرب من ميدان التحرير والجامعة الأميريكية يصل بين شارعي قدادار ويوسف الجندي •

هذه الأسماء الثـلاثة لمسمى واحد هو القـاضي الفاضـل عبد الرحيـم البياني العسقلاني المصري • (محيي الدين أبو علي عبد الرحيم بن محمد) تولى أبوه القضـاء في بيـان فنسب اليهـا ، وولد المترجم له سنة ٥٢٩ هـ في عسـقلان فنسب اليهـا • (بيان وعسـقلان من فلسـطين المحتـلة • وعسقلان أول ميناء على البحر الأبيض شـمال غزة) • ودخل مصر وعاش بها • وخدم الدولة في أيام الحـافظ لدين الله الفاطمي في ديوان الانشاء ، حتى عينه الوزير شاور رئيسا للديوان، ولـما قدم أسد الدين شـيركوه ـ عم صـلاح الدين الأيوبي ـ أعجب به فقربه • ولما تولى صلاح الدين وزارة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين وثق به واستعان به على ازالة الدولة الفاطمية حتى تم له ما أراد •وكان عبد الرحيم شافعي المذهب • وعظم شأنه حتى أن صـلاح الدين كان لا يصـدر أمرا الا عن رأيه • واستمر على عظمته أيام

صـــلاح الدين ثم ابنه العـــزيز ثم المنصور بن العزيز .

ولما خلع العادل بن أيوب المنصور حفيـــد أخيه صـــلاح الدين عزل عبـد الرحيـــم .ونكبـه . وتوفى عبد الرحيـــم سنة ٥٩٦ هـ . ودفن بالقرافة الصغرى .

وكانت له مدرســـة بجوار درب ملوخيا شـــمال جامع الامام الحسين حيث كان سكنه . وهذا الدرب كان يعرف باسم درب قائد القـواد نسـبه لسكن القائد حسين بن جوهر القائد الصقلى منشىء القاهرة ، وبعد آن قتل الحاكم بأمر الله الحسين بن جـوهر سنة ٤٠١ هـ عرف الدرب باسم درب ملوخيا نسبة الى ملوخيا صاحب ركاب الحاكم بأمر الله . وقد قتله الحـاكم أيضا ويعرف هذا الدرب الآن بدرب القزازين .

مصحف عثمان بن عفان :

وكان بهذه المدرسة مصحف كبير جدا بالخط الكوفى ، ويسميه الناس مصحفعثمان بن عفـان ، قيـــل ان القـــاضى الفـاضل اشتراه بأكثر من ثلاثين ألف دينار .

ولا نعـلم مصـير هذا المصحف ، ولـــكن ذكـر ابن اياس فى بدائع الزهورفي وصفمعركة مرجدابقسنة ٩٢٢ هـ التى هـزم فيهـا الســـلطان الغورى وكانت بداية استيلاءالسلطان سليمالعثمانى على مصر قال : (فركب الســـلطان وعلى كتفـه طير . وهو بتخفيفه صغيرة وملوطة .وصار يرتب العسكر بنفســه . وكان أمير المؤمنين (يعنى الخليفة من الخلفـاء العباسيين بالقـــاهرة) على الميمنة وهو بتخفيفة وملوطة وعلىكتفه طير مثل السلطان. وعلى رأسه الصنجق الخليفتى (نسبة الى الخليفـــة !! والصـنجق الراية أو العـلم) . وكان حول الســـلطان أربعـــون مصحفا فى أكياس حرير أصفر .وعلىرؤوسجماعته أشراف. وفيها مصحف بخط الامام عثمان بن عفان رضى الله عنه .. ثم قال : فلما تحقق السلطان منالهزيمة غلبه خلط فالج أبطل شقه وأرخى حنكه .. ثم قال : وانقلب عن الفرس الى الأرض فأقام نحو درجة وخرجت روحه من شدة القهر .. ثم قال وأما الســـلطان حين مات لم يعلم له خبر . ولا وقف له على أثر . ولا ظهـرت جثتـه بين القتلى فكأن الأرض ابتلعته فى الحال. وفى ذلك عبرة لمـن اعتبـر . فداس

العثمانية وطاق (معسكر) الغورى بما فيه من الأمتعة والأرزاق التى كانت حوله بأرجل الخيول• وفقد المصحف العثمانى • وداسوا أعلام الفقراء (يعنى الصوفية) وصناجق الأمراء ••• الخ) •

ومن آثار القاضى الفاضل بستان وجامع كان أنشأهمابموقع حى المنيرة وأكل النيل أرضهما •

كما أنشأ قيسارية (وكان هذا الاسم يطلق على نوع من المنشآت عبارة عن محلات تجارية تعلوها مساكن وتخترقها شوارع مثل ممر الكونتننتال والممر التجارى حاليا) بالحى المعروف بالسكرية على يمين الداخل من باب زويلة •

وقد ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان • وأثنى عليه •وذكر أنه كان شيخا ضئيلا له حدبة بظهره يخفيها بطيلسانه •وكله رأس وقلب • يكتب ويملى على اثنين فى نفس الوقت • وأنه كان تقيا دينا عفيفا ذا معروف فى السر والعلانية •

منظرة السكرة . ووفاء النيل :

ومن الأسماء القديمة أيضا بجهة المنيرة اسم منظرة السكرة لشارع يتفرع من شارع القصر العينى أمام دار الحكمة بعد شارع عبد الرحيم البيانى المذكور •

وهو اسم فى غير موضعه •

فمنظرة السكرة كانت بالقرب من القنطرة التى أنشأها عبد العزيز بن مروان (تولى الولاية على مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان من ٦٥ ـ ٨٥ هـ) على الخليج بالقرب من مأخذه من النيل الذى كان يجرى وقتذاك غربى موقع مسجد السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر تقريبا •

وأنشأ الفاطميون بالقرب من هذه القنطرة منظرة باسم منظرة السكرة كانوا ينتقلون اليها فى حفلة جبر الخليج بعد وفاء النيل •

والاحتفال بوفاء النيل من أقدم الأعياد المصرية منذ الفراعنة • فقد رفعوا النيل الى مقامالمعبودات مثل رع وأوزوريس وآمون • ومن أوصافه عندهم رب الرزق الوفير • والد الأرباب • خالق الكائنات • رب الرزق الوفير • المحيى • وكان اسمه حعبى أى الفيض •

وقيل فى تفسير الآية الكريمة (موعدكم يوم الزينة) فى المباراة بين

معجزات موسى عليه السلام السماوية وبين سحرة فرعون . أنه يوم وفاء النيل .

ومنظرة السكرة أنشأها العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمى . وقال عنها المقريزى انها من جنان الدنيا المزخرفة . ووصف تهيئة المقصورة بالخليفة وما فيها من تماثيل من الذهب أو العاج أو الأبنوس المطعم بالياقوت والفيروز والزبرجد والفضة على شكل الحيوانات المختلفة ؛ كالسباع والأفيال عليها ركبان من الرجال بالخوذات فوق رؤوسهم . والدرديات فوق صدورهم . والسيوف مجردة فى أيديهم . وغير ذلك من أنواع الترف .

وكان ابن الرداد قاضى المقياس (لما أنشأ المتوكل على الله العباسى مقياس الروضة سنة ٢٤٢ ﻫ أمر بعزل النصارى عنه ، فعين الموالى وقتذاك على المقياس عبد الله بن عبد السلام بن الرداد . وظل هو ومن بعده من ذريته وآله على المقياس حتى العصر الحديث . ويعرف بيتهم ببيت المقياس) عند بدء موعد الفيضان يسجل علامات الفيضان يوميا . ويطلع الخليفة عليها سرا أولا بأول . وعندما يقارب النيل الوفاء . أى قبل الذراع السادس عشر بأصابع . يأمر الخليفة بالمبيت بالمقياس بالروضة . وترسل الأطعمة الوفيرة الى هناك . ويذهب قواد الحضرة ـ أى الخاصون بقصور الخليفة ـ ومشايخ الجوامع الكبرى وغيرهم . ويوقدون الشموع الكثيرة فى المقياس والجامع بجواره طول الليل . ويتلون القرآن برفق . ويطربون مكان التطريب . ويختمون الختمة الشريفة .

فاذا أصبح الصباح وحضرت البشرى بالوفاء . يخرج الخليفة من القصر الشرقى الكبير من القاهرة الفاطمية فى موكب فاخر الى باب زويلة بالشارع الأعظم (شارع المعز لدين الله حاليا) حتى الصليبة . فينحرف بالجسر الأعظم الفاصل بين بركتى الفيل وقارون (كانت بركة الفيل شمال الجسر الأعظم الذى مكانه الآن شارع عبد المجيد اللبان أو مراسينا سابقا متفرع من ميدان السيدة زينب . وكانت بركة قارون جنوبى الجسر المذكور) متجها الى منازل العز بالفسطاط . فيركب فى سفينة خاصة يوضع له فيها بيت خاص مثمن الجوانب من عاج وأبنوس عرض كل

جانب ثلاث أذرع . وعندما تضم الجوانب الثمانية يكون دوره أربعا وعشرين ذراعا . وعليه قبة من خشب دقيق الصنعة . ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ويجلس الخليفة فى هذا البيت وحده .

وينتقل الخليفة وحاشيته الى المقياس بجزيرة الروضة . فيصلى هو والوزير ركعات . ثم يحضر اليه اناء فيه المسك والزعفران . فيديفهما بماء الورد بآلة فى الاناء . ثم يتناوله ابن الرداد فينزل حوض المقياس متعلقا بالعمود محتضنا له بيده اليسرى ورجليه . ويخلق العمود بيده الأخرى بعجين المسك والزعفران .

وبعد هذا اما أن يعود الخليفة الى القاهرة بالطريق الذى حضر منه أو يستقل العشارى (نوع من البواخر) الى المقس (مكانها الآن بين قنطرة الدكة وميدان رمسيس تقريبا وكان النيل يجرى فى اتجاه شارع عماد الدين تقريبا) . ومنها الى القاهرة من باب القنطرة (كان بالقرب من ميدان باب الشعرية الحالى) .

وفى اليوم التالى يتوجه ابن الرداد مبشرا بوفاء النيل . فيجد فى انتظاره خلعة مذهبة يؤمر بلبسها . وتصرف له البشارة من نقود وخلع له ولأهله حمولة عدة بغال ويعود الى المقياس مخترقا القاهرة الفاطمية . ومارا بالفسطاط . تتقدمه البغال محملة بخلع الخليفة وهداياه والطبول تدق أمامه لاعلان الوفاء .

وكان عمال الجهات يبلغون بوفاء النيل بخطابات بليغة حافلة بحمد الله على ما أنعم على أمته من خير ورخاء . وفى هذه المناسبة كانت تصرف الخلع والهدايا لجميع رؤساء الدولة حسب منزلتهم .

ويبدأ الاستعداد لفتح الخليج أو كما كان يقال جبر الخليج .

فتنصب الخيام على الشاطئ الغربى للخليج بالقرب من قنطرة عبد العزيز ابن مروان السابق ذكرها . أمام منظرة السكرة . وهناك كان السد . وهو تراب يوضع فى الخليج ليسد مجراه .

ومن الخيام كانت خيمة كبيرة للخليفة تسمى « القاتول » مساحتها فدانان . وارتفاع عمودها سبعون ذراعا . وكانت لا تنصب الا بمعرفة المهندسين . وسميت « القاتول » لأنه

عندما نصبت أول مرة قتل بسبب ارتفاعها عاملان •

وينتقل الخليفة وحاشيته فى موكب حافل • وقد هيئت للخليفة من دار الطراز بدلتان من ذهب وحرير • احداهما لموكب الذهاب • والأخرى لموكب العودة • كما تهيأ الخلع الخاصة لرؤساء الدولة • ويتقدم موكب الخليفة أربعون نافخا للأبواق على الخيول • والأبواق من ذهب وفضة • يتبعهم أربعون راجلون نافخون بأبواق من نحاس • ويشق الموكب القاهرة الفاطمية بالشارع الأعظم حتى الصليبة والجسر الأعظم وقنطرة عبد العزيز بن مروان • فيعبرها الى الخيام غربى الخليج وأمام منظرة السكرة •

فيجلس الخليفة فى المكان المخصص له بالقاتول • ويلزم كل فرد مكانه اما جالسا واما واقفا حسب منزلته • ويقرأ القرآن • ثم يؤذن بالكلام للخطباء والشعراء • ويكافأ من يحسن منهم • ثم تمد الأسمطة • وتكون الأطعمة العديدة الأصناف الشهية الأوصاف قد حملت من القصر • وتقدم الموائد للجميع يأكلون ويحملون ما تيسر لهم من أصناف الأطعمة على سبيل الشرف والبركة •

وبعد ذلك يدخل الخليفة للراحة فى منظرة السكرة وتكون قد هيئت له كما ذكرنا • ثم يطل الخليفة منها ويشير بيده • فيكسر السد وينساب الماء فى الخليج •

ويعود الخليفة بموكبه وسط المزارع والبساتين بالبر الغربى للخليج حتى بستان الدكة بجوار بستان المقس. وكان للفاطميين ببستان الدكة منظرة• فيدخل الخليفة البستان وقد أغلقت أبوابه ودهاليزه • ويدخل بمفرده • ويسقى فرسه من البستان • وقال المقريزى : ولم يعلم سبب هذا التصرف •

وأقول : لا غموض ولا ألغاز • فلعله لاحتمال حاجة طبيعية من حاجات البشر بعد ساعات طويلة فى الاحتفال •

ويخرج الخليفة من البستان ويعود بموكبه الى القاهرة من باب القنطرة •

وقد أسهب المقريزى فى وصف الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج فذكر تفصيلا ما يلبسه الخليفة وما

يخلع على الأمراء وأعيان الدولة وقاضي المقياس • وما يقدم من الأطعمة • كذلك تشكيل الموكب وخط سيره • والتحركات المرسومة بكل دقة لكل فرد •حتى يخيل للمرء أنه في عرض سينمائي فخم ورائع بالألوان •ابتدعه خيال مخرج قدير• بالغ في اظهار الترف والتنعم وأبهة الملك • لا أمام حقائق تاريخية مدعمة **بالتواريخ والأرقام** •

فمنظرة السكرة لم تكن بهذا الموقع الذي ذكرته البلدية بحي المنيرة أمام دار الحكمة•فهذا الموقع مما كان غربي النيل أو كان مغمورا بالمياه عند انشاء منظرة السكرة • والأرجح أن مكان منظرة السكرة كان محل المدرسة السنية أو دار الهلال بشارع محمد عز العرب (المبتديان سابقا) أو بالقرب منهما •

تل العقارب :

وعند دخول الفرنسيين كان حي المنيرة والانشاء عبارة عن برك ومستنقعات وبعض المزارع • وبيوت متفرقة هنا وهناك • مثل القصر العيني وتكية البكتاشية • كما كان لبعض أمراء المماليك بيوت على حافة البركة الناصرية •

ولما حكم بالاعدام على سليمان الحلبي وزملائه بعد محاكمتهم لقتل الجنرال الفرنسي كليبر • نفذ فيهم حكم الاعدام في مكان اسمه غيط قاسم بك محله الآن كلية دار العلوم والمعهد الفرنسي بالمنيرة •

وفي عهد أسرة محمد على كان حي المنيرة والانشاء محل عناية خاصة لمقابلتهما لحي جاردن سيتي حيث كانت قصور الخديوي والأمراء •

ففي أيام محمد على شرعوا في تعمير منطقة المنيرة • فقد نشر في الوقائع الرسمية سنة ١٨٣٠ (العدد ١١٤ في ٢ رمضان سنة ١٢٤٥ هـ) : أزيل تل العقارب الواقع بين القصر العالي (قصر ابراهيم باشا كان موقعه في الجزء الجنوبي من جاردن سيتي) والمحروسة (يعني العاصمة مصر المحروسة كما كانت تسمى)ومسطحه ٣ فدادين و ٢٣٣ قصبة ؛ كماشرع في ازالة التل الشامخ الكائن بين الناصرية وقرابة القصر العالي ومساحته ٣٨ فدانا و ١٩٥ قصبة • وتكلفت ١٧٢١ كيسة و ٢٢٢ قرشا • (يعني ٨٦٠٧ جنيهات و ٢٢٠ مليما لأن الكيسة كانت خمسة جنيهات عبارة عن خمسمائة قرش) •

ولما نظمت منطقة الاسماعيلية فى عهد الخديوى اسماعيل أطلق على الجزء الشمالى مما هو شرقى شارع القصر العينى اسم الانشاء • وأطلق على الجزء الجنوبى اسم المنيرة • والفاصل بينهما شارع صفية زغلول الحالى الذى كان اسمه شارع الانشاء •

واسم الانشاء غير متداول الآن • ولكن اسم المنيرة باق • واسم الانشاء واضح • أما تعليل اسم المنيرة فربما لأفراح الأنجال التى أقيمت أربعين يوما • ونعنى أنجال الخديوى اسماعيل •

أفراح الأنجال :

يوجد شارع صغير متفرع من شارع القصر العينى جنوبى شارع المبتديان وجنوبى دار مجلة روز اليوسف اسمه شارع أفراح الأنجال • ففى يناير سنة ١٨٧٣ (١٦ ذى القعدة سنة ١٢٨٩ هـ) بدأت أفراح زفاف ثلاثة أمراء وأميرة من أولاد اسماعيل على ثلاث أميرات وأمير من الأسرة الحاكمة • وهم :

١ ـ محمد توفيق (الخديوى) ابن اسماعيل تزوج أمينة بنت الهامى ابن عباس حلمى الأول بن طوسون ابن محمد على الكبير •

٢ ـ حسين كامل (السلطان) بن اسماعيل تزوج عين الحياة بنت أحمد (أخى اسماعيل) بن ابراهيم باشا بن محمد على الكبير •

٣ ـ حسن باشا بن اسماعيل تزوج خديجة بنت محمد على الصغير بن محمد على الكبير •

٤ ـ فاطمة بنت اسماعيل تزوجت طوسون بن سعيد باشا (الوالى) بن محمد على الكبير •

واستمرت الأفراح أربعين يوما باعتبار عشرة أيام لكل فرح • وبذل فيها من البذخ والقصف ما لا مزيد عليه • وكان مقرها محل كلية دار العلوم وكلية التجارة بحى المنيرة أمام القصر العالى (بجاردن سيتى) حيث كانت تقيم والدة اسماعيل •

وفى ١٧ ذى القعدة خرج شوار (جهاز) الأميرة فاطمة ، وبه هدايا جدتها والدة اسماعيل • فسير به الى قصر القبة بحراسة آلاى مشاة • تتقدمه فرقة موسيقية • والهدايا موضوعة فى سلالات مكشوفة • فوق عربات مكسوة بالقصب • على مخدات من القطيفة المزركشة بالذهب والماس ويغطيها شاش فاخر يمسك بأطرافه

أربعة من الجنود لكل عربة •ويتبعهم الضباط بملابسهم الرسمية • والسيوف مشهرة بأيديهم • والهدايا عبارة عن مجوهرات من أفخر أنواع الماس البرلنتي والأحجار الكريمة بأرقى الأذواق • ومناطق من الذهب الخالص • ومنسوجات مطرزة باللؤلؤ والزمرد في حجم البيض (!!) • وملابس بيضاء مطرزة باسم الأميرة باللآلىء والأحجار الكريمة • وأواني متنوعة من الفضة الخالصة بكمية عظيمة • وثمن ذلك يفوق العد والحصر •

وكذلك كان شوار باقي الأميرات من حيث الفخامة والنفاسة •

ومن الهدايا بالأفراح المذكورة هدية اسماعيل لابنه توفيق : سرير من الفضة الصب الخالصة • مثل السرير الذيأهداه اسماعيل لأوجيني امبراطورة فرنسا في حفلة افتتاح قناة السويس • محلى بماء الذهب • وعمدانه الضخمة مرصعة بالماس والياقوت الأحمر والزبرجد والفيروز•

وفي ١٨ ذي القعدة أقيم سباق بالعباسية • وأقيم بعده مقصف فاخر للمدعوين حوى كل ما لذ وطاب • وفاقت أصناف مأكولاته ومشروباته كل ما ظهر من نوعها في المقاصف الخديوية الى ذلك الحين •

وفي ١٩ ذي القعدة أقيمت حفلة راقصة بسراي الجزيرة (كانت مساحتها والحدائق حولها ٦٠ فدانا وآلت السراي الى آل لطف الله ثم أصبحت أخيرا فندق عمر الخيام) دعي اليها ما يقرب من الخمسة آلاف مدعو من أعيان المصريين والأجانب وأنير الطريق من عابدين الى قنطرة قصر النيل (كان الكوبري قد تم) ثم الى سراي الجزيرة بفوانيس من الورق الزاهر •ونشر الكثير من هذه الفوانيس بطرقات الحديقة المحيطة بالسراي • وبعد انتهاء الرقص جلس المدعوون على الموائد العديدة الفاخرة حيث قدم لهم أشهى الطعام والشراب•

وأقيمت المسارح والملاعبفي المنيرة ودعيجميع المطربين بتخوتهم (فرقهم الموسيقية) للترفيه • كما مدت الحبال في الساحات ليلعب عليها البهلوانات • وكانت الصواريخ تطلق كل ليلة امعانا في الابتهاج • ودام هذا أربعين يوما •

وهكذا كان دأب اسماعيل • اسراف يفوق الحد في كل متعة حتى أضاع نفسه وخرب البلاد •

وتبارى الشعراء والكتاب فى وصف هذه الأفراح والاشادة بهـا تقربا للحاكم • حتى أن المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى وضع كتابا اسمه (الكواكب المنيرة فى أفراح العزيز المقمـرة) • وبالكتاب المذكور بيت شعر يسجل به تاريخ هـذه الأفراح بحساب الجمل على طريقة العجم التى لا تعتبر فى هذا الحساب الا الحروف المعجمة أى المنقوطة • والبيت هو :

وطاب زمان الأنس عيشا فأرخوا
زهت بكمـال السعد أضواء أفراح

٧ + ٤٠٠ + ٢
+ ٨٠٠ + ٨٠ = ١٢٨٩ هـ •

بيت الأمة ـ أم المصريين ـ ضريح سعد :

وسكن حى الانشـاء كثـيرون من عظماء مصر • ولا تزال بعض قصور الحى باقية للآن • وتحول باقيهـا الى عمارات • وأشهر هؤلاء العظماء سعد باشا زغلول زعيم ثورة سنة ١٩١٩ ، التى حـركت الأمـة جميعهـا شعبا وقادة الى المطالبة بحقها الطبيعى فى الحرية والاسـتقلال • ويضيق المقام هنا عن ذكر ترجمة حياة سـعد زغلول • فهذه الترجمـة هى تاريخ مصر العريقة ، المتجددة الشباب على ممر العصور • الناهضة التى استيقظت بعد سبات طويل لتستقبل عهدا جديدا من الكفاح لتتبوأ مكانهـا الجديرة به بين دول العالم •

وتـوفى سـعد زغلـول فى ١٩٢٧/٨/٢٣ • دون ذرية • ولم يترك غير خمسين فدانا وبيتا بشـارع سـعد زغلول بالانشـاء • وآخر فى بلـدته ابيانه • أما العزبة المعـروفة بمسجد وصيف فقد كانت ملك زوجته من نصـيبها فى ميراثهـا عن والـدها مصطفى باشا فهمى •

وكان منزله بشارع سـعد زغلول يطلق عليه بعد ثورة سنة ١٩١٩ بيت الأمة حيث كانت تحج اليـه الوفود • وتنبعث منه صيحات التحرر والمطالبة بحقوق البلاد •

وبعد وفاته قررت الحكومة مشترى البيت المذكـور والبيت بأبيـانه بمبلغ ١٨٠٠٠ جنيه شـاملة ما بهمـا من منقولات • واعتبـرتهمـا من أمـلاك الـدولة • على أن تقيم زوجتـه فى منزل مصر طول حياتها •

واستمرت السـيدة صـفية زغلول تقيم ببيت الأمة • وقد لقبها الشـعب عن جدارة بلقب أم المصريين • لما

اتسمت به من رجاحة العقل وصدق العزيمة في مشاركة زوجها أعباء جهاده الوطني .

وابتعدت عن الخلافات التي دبت فيما بعد بين أعضاء حزب الوفد . وظلت محترمة مبجلة من الجميع حتى توفيت سنة ١٩٤٦ .

والبيت المذكور أصبح الآن متحفا باسم متحف بيت الأمة . في حالة جيدة من الداخل . ويتضح مما في غرفه وصالاته من تحف وسجاد ومنقولات ما كانت عليه الحياة الخاصة لعظماء ذلك العصر وبه مكتبة الفقيد أغلبها من أمهات المراجع القانونية بالفرنسية والعربية مجلدة تجليدا فاخرا ورسم الدخول للمتحف قرشان ..

وحوله حديقة معتنى بها . وان كان خارج المنزل ؛ خصوصا الجهة الخلفية ؛ يحتاج الى ترميم واعادة طلائه .

وقررت الحكومة اقامة تمثالين لسعد زغلول أحدهما في القاهرة والثاني بالاسكندرية . وقد أقيم الأول بالجزيرة والثاني بمحطة الرمل بالاسكندرية . كما قررت الحكومة اقامة ضريح للفقيد يبنى بجوار بيته . وكان قد دفن بالأمام الشافعي مؤقتا لحين اتمام الضريح المذكور . وكان من ضمن القرارات أيضا انشاء مستشفى أو ملجأ يطلق عليه اسمه ولكن لم ينفذ هذا البند .

وضريح سعد ليس في شارع ضريح سعد . الواقع جنوبي شارع سعد زغلول والذي تطل عليه الوجهة الخلفية لبيت الأمة . ولكن في شارع الفلكي الموازي لشارع القصر العيني ويواجه شارع ضريح سعد منتصف الضريح تقريبا . ويصل الحد الشرقي للضريح الى شارع سكة حديد حلوان (شارع منصور باشا سابقا)

وأرض الضريح مساحتها ٥٢٢٥ م^{٢} . تقريبا (٥٥ × ٩٥ م) والضريح مبنى في وسطها على مساحة ٦٢٥ م^{٢} . تقريبا (٢٥ × ٢٥) تحيط به حديقة بباقي المساحة . وهو على طراز فرعوني به أعمدة ضخمة من الجرانيت . والتركيبه فوق المدفن كتلة ضخمة من الجرانيت الفاخر . واختير الطراز الفرعوني ليكون الضريح لكل المواطنين دون طائفة منهم .

وقد أثار قرار الحكـــومة : اقامة تمثالين لسعدزغلول وضريح لجثمانه• شيئا من الامتعاض عند السراي الملكية والانجليز • فاعترضــت السراى بأنه ليس لمحمـــد على الكبير وابنه ابراهيم باشـــا غير تمثال واحـــد • كما أن الخديوى اسماعيل ليس له أى تمثال فكيف يكون لسعد تمثالان !!

ورأى الانجليز أن فى التمثـــالين والضريح ازكاء دائما للشعورالوطنى والحركة القومية • ولكن لم يستطع الانجليز أو السراى عمـــل أى شيء ازاء هذا القرار الذى أملته العواطف المتأججة نتيجة لخسارة الوطن بوفاة سعد •

وهذا يذكرنا بالضريح الذى أقيم لأحمد باشا ماهر بعد اغتياله فى مجلس النواب فى ١٩٤٥/٢/٢٤ • ثم دفن فيه أيضا محمود باشا فهمى النقراشى بعـد اغتيــاله بوزارة الداخليـة سنة ١٩٤٨ • وهـــذا الضريح بشـــارع رمســـيس بالقـــرب من مســـتشفى الدمرداش الجامعى لكلية طب جامعة عين شمس •

ولا شك أن واجب الأمة العمل على تخليد ذكرى عظمائها • ولكننى أرى فى هذا اسرافا لا مبرر له • والأجدر أن يكون لعظمـائنا مقبرة واحـدة • يدفن فيهـــا من ترى جدارتهـــم واســتحقاقهم لهذا الشرف • على أن تقرر هذا هيئة بعيـــدة عن الأهواء السياسية • ولا تبحث الهيئة الموضوع الا بعد الوفاة بستة أشهر على الأقل • منعا من الانفعالات الوقتية •

قصور الخديوى اسماعيل بالانشاء :

وكان شارع صفية زغلول (الانشاء ســابقا) جنـوبى موقع قصرين كان أنشأهما اسماعيل على مساحة تســـعة أفدنة •

القصر الأول فى النصف الشرقى من المســـاحة المذكورة • بناه لمتبنيته فائقة التى تزوجها مصـــطفى باشـــا بن اسماعيل باشا صديق المفتش • ومحل هـــذا القصر الآن وزارة التـــربية والتعليم •

والقصر الثانى فى النصف الغربى من المســـاحة المذكورة • بناه لابنته جميلة التى تزوجها محرم باشـــا بن كنج شاهين باشا • واستعمل بعد ذلك لوزارة المعارف ولمدرســة محمد على للبنات وللمدرسة السـعيدية الثانوية أثناء الحـــرب العـالمية الأولى حيث

استعمل الانجليز المدرسة السعيدية بالجيزة أثناء الحرب مستشفى لجنودهم .. والآن بموقع هذا القصر ثلاث وزارات : وزارة البحث ، ووزارة التموين ، ووزارة الاسكان .

ويواجه الوزارات الثلاث من الناحية الأخرى من شارع القصر العينى ، أى بجاردن سيتى ، شارع كان اسمه اسماعيل باشا والآن اسمه شارع (جمال الدين أبو المحاسن) وهو المؤرخ يوسف بن تغرى بردى مؤلف (النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة) و (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) توفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩م) .

كما بنى اسماعيل قصرا ثالثا لابنته توحيدة زوجة منصور باشا . محله الآن وزارة الحربية بشارع الفلكى . ومنصور باشا هو الذى كان يطلق اسمه على شارع سكة حديد حلوان . وعلاوة على القصر المذكور كان اسماعيل انشأ لابنته توحيدة المذكورة سراى باب الخلق محلها الآن مديرية الأمن .

قصور اسماعيل باشا صديق المفتش:

واسماعيل صديق عرف بالمفتش لأنه فضلا عن نظارته للمالية كان مفتشا لعموم الأقاليم . مما مكنه من جمع ثروة طائلة ظهرت ضخامتها بعد ما غضب عليه الخديوى اسماعيل وقبض عليه فى ١٤/١١/١٨٧٦ (٢١ شوال سنة ١٢٩٣ هـ) وأرسله منفيا الى دنقلة بالسودان . حيث قيل انه مات هناك . ويشك بعض المؤرخين أنه نقل حيا الى دنقلة .

وترك اسماعيل المفتش أكثر من ثلاثين ألف فدان من أجود الأطيان ومجوهرات بأكثر من ٦٥٠٠٠٠ جنيه وأسهما وأوراقا مالية بأكثر من نصف مليون جنيه . وكان يعيش فى ترف وبذخ زائدين عن الحد حتى بلغ ثمن مروحة احدى زوجاته ٣٧٥٠٠٠ فرنك (١٥٠٠٠ جنيه تقريبا) ومظلتها ٦٠٠٠٠ فرنك (٢٤٠٠ جنيه تقريبا) وربما كان فى هذا بعض المبالغة . ولكن مهما كانت المبالغة فهو كثير جدا فى وقت كانت فيه مالية البلاد فى شبه افلاس .

وبنى اسماعيل صديق هذا فى منطقة الاسماعيلية ثلاثة قصور متجاورة .

الأول يصل شمالا الى شارع الشيخ ريحان . وبموقعه الآن وزارة الداخلية .

والثانى يليه جنوبا حتى يصل الى ميدان لاظ أوغلى وبموقعه الآن مكان وزارة العدل قبل هدم المبنى وانشاء مبنى جديد •

والثالث جنوب شارع مجلس الشعب ويطل على ميدان لاظ أوغلى• وكان بموقعه رئاسة الوزارة ووزارة المالية • والآن وزارة الخزانة •

وهذا بخلاف قصر بالاسكندرية •

وكانت هذه القصور الثلاثة المتجاورة مؤثثة بفاخر الأثاث والرياش • كسيت أغلب جدرانها بالأقمشة الحريرية الثمينة •وزخرفت بأبدع ما انتجته قريحة الفنانين من نقوش وزينة • ونسقت وقسمت حدائقها فى براعة وبهاء •

وكانت له من الزوجات الشرعيات والسرارى ستا وثلاثون زوجة وسرية • ولكل واحدة منهن لخدمتها ست جوار بيض وعدد كبير من الجوارى السود • وقد بلغ عدد جواريه ٧٠٠ جارية (مابين حورية شركسية بيضاء ذات ثمن يفوق كل تقدير • وخمرية مسكرة وسمراء غانجة وحبشية شعرية ذات أعين بقرية •وبرونزية موشومة ذات نهود سفرجلية • وسودانية فحماء متقدة الدم الهائج) •

وهذا الوصف للجوارى بتعبير المرحوم أمين باشا سامى فى تقويم النيل • وهو أشبه بكلام أديب من قول مؤرخ •

المبتديان :

وجنوبى شارع صفية زغلول شارع المبتديان • الذى تغير اسمه الى شارع الشيخ على يوسف ثم أخيرا الىشارع محمد عز العرب • وسمىبهذا الأسم لأنه فى سنة **١٨٦٨** نقلت مدرسة المبتديان (وهى الصيغة التركيةلكلمة الابتدائية) الى قصر البرديسى بالناصرية فى نهاية الشارع المذكور (محل المدرسة السنية) • كما نقلت المدرسة التجهيزية الى قصر مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز (محل المدرسة الخديوية الثانوية) •

وكانت مدرسة المبتديان والمدرسة التجهيزية قبل ذلك بالعباسية • وقد فتحتا فى عهد اسماعيل سنة **١٨٦٣** •

وكان قصر البرديسى قبل نقل مدرسة المبتديان اليه مستعملا مسافرخانة (أى قصرا للضيافة) كما كان القصر محل المدرسة التوفيقية

بشبرا مسافرخانة أيضا فى عهد محمد على •

الشيخ على يوسف :

وهو الاسم الذى أطلق بعد ذلك على شارع المبتديان فهو السيد (كان لقب السيد يطلق على كل شريف علوى من نسل السيدة فاطمة الزهراء والأمام على بن أبى طالب • وكان للاشراف نقابة ترعى شؤونهم وتدير أوقافهم • حتى ألغيت النقابة بعدثورة سنة **١٩٥٢** وأصبح لقب السيد يطلق على كل مواطن)على يوسف الصحفى المعروف وأحد الرواد الأوائل فى الصحافة المصرية••من مواليدبلصفورة مركز سوهاج سنة **١٨٦٣** م • توفى أبوه وهو صغير فكفله أخواله ببنى عدى مركز منفلوط حيث تلقىعلومه الابتدائية • ثم التحق بالأزهر حيث تلقى العلوم الدينية والأدبية التى كانت تدرس وقتذاك • واتصل بجمال الدين الأفغانى •

وفى سنة **١٨٨٩** انشأ جريدة المؤيد • وراجت الجريدة بفضل مقالاته كل الرواج • وكتب فيها كثيرون من المشهورين من أعلام العصر مثل الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وقاسم أمين وحفنى ناصف • وكانت تدعو لمحاربة الاستعمار والغاء السخرة وتطالب بالدستور والحياة النيابية • كما كانت تدعو الى ترقية الصناعات • وتوجيه الأموال الى الأسواق التجارية لمنافسة الأجانب بدلا من اكتنازها أو انفاقها فى الملذات •

وحرر على يوسف جريدته من السجع الذى كان سائدا بأقلام الكتاب وقتذاك •

وفى سنة **١٨٩٦** نشرت جريدة المؤيد صورة تلغراف مرسل من سردار الجيش المصرى فى السودان الى وزير الحربية فى مصر عنالحملة العسكرية فى دنقلة • وكان التلغراف سريا فاغتاظ الانجليز وقدموا على يوسف للمحاكمة • ولكن حكم ببراءته ابتدائيا واستئنافيا مما زاد فى غيظ الانجليز ودعاهم الى زيادة ثلاث قضاة انجليز بمحكمة الاستئناف ليزداد عددهم ويكون الحكمعلى اعداء الاحتلال أمرا سهلا • وهذا كتعبير المؤيد فى **١٨٩٦/٥/١٧** (مقال للدكتور جمال الدين الرمادىبدائرة معارف الشعب المجلد الخامس) •

واهتم المصريون بهذه القضـــية • وكانت تزدحم بهم قاعة المحكمـة • وعرفت بقضية التلغراف •

واشتهر على يوسف بقضية أخرى هى زواجه من الســيدة صـفية بنت السادات • فقد خطبها من أبيهافقبل فى تردد • ثم عدل فمـاطل فى اتمام الزفاف • وطال الأمر على خطوبةعلى يوســف أربع سـنوات • فلجأ الى الســيد محمد توفيق البكـرى (كان نقيبا للأشراف قبل السيد علىالببلاوى •• وكان شــيخا لمشــايخ الطرق الصوفية وعضـوا بمجلس شــورى القوانين) فسـاعده • وتم قـران على يوسف بالســيدة صـفية • وكانت رشيدة أى غير قاصر — فى منـزل البكرى • فأغتاظ الشيخ الســادات فرفع قضية يطلب فيها التفريق لعدم التكافؤ • وحكمت المحكمة ابتدائيـا واستئنافيا لصــالح الشــيخ الســادات بفسخ العقد والتفريق بين الزوجين • ثم تدخل وسطاء الخير فأصطلحوا على أن يعقد عقد جديد سنة ١٩٠٥

ومن المصـادفات أن المحـامى عن السيدة صفية فى هذه القضـــية كان الشيخ عز العرب الذى حل اســـمه محل اســـم الشــيخ على يوســف فى شارع المبتديان •

وكانت جـريدة المؤيد من الداعين الى انشــاء الجامعة المصرية • وكانت فكرة انشائها تراود الأذهان وتتردد بأقلام الكتاب منذ سنة ١٩٠٣ • ودعا لها مصطفى باشـــا كامل وأخرون • وفتح باب الاكتتـاب فكانت القـائمة الأولى ٤٥٨٥ جنيها بخلاف التبرعات العينية فى الأطيان • واجتمع المكتتبون فى منزل عزتلو (أى صـاحب العزة وهو خاص بالبكوات) سـعد زغلول بك بالانشاءفى ١٩٠٦/١٠/٢ وقرروا انتخاب لجنة تحضيرية وتأجيلانتخاب الرئيس والدعوة للمشروع فى جميع الصحف • وتسمية الجامعة بالجامعة المصرية •

وقيل ان السبب فى تعيين سعد باشا زغلول ناظرا للمعارف سـنة ١٩٠٦ كـان بغرض صرفـه عن الاشـتغال بمشروع الجامعة •

وفى ١٩٠٧/١/٢ نشرت المـؤيد مقالا جريئا تدعو فيه العناصر التركية والشركسـية الموجودة فى مصر الى المساهمة فى المشروع اعترافا بجميل مصر وتشبها بأسلافهم الذين شيـدوا

العمارات الشامخة من جوامع ومساجد للعبادة ومدارس لنشر وتقرير العلوم والفنون وملاجيء للفقراء والعجزة .. الخ وفى هذا تلميح بأعضاء الأسرة المالكة التى لم يتبرع أعضاؤها بشيء للمشروع (بحث للدكتور خليل صابات بدائرة معارف الشعب المجلد الخامس) .

وفى سنة ١٩١١ أنشأ على يوسف جمعية الهلال الاحمر المصرى لمساعدة الجرحى والمرضى فى حرب تركيا مع ايطاليا فى طرابلس (ليبيا) . وكان الهلال الأحمر أنشيء فى تركيا سنة ١٨٧٦ فى حرب تركيا مع العرب .

وتوفى الشيخ على يوسف سنة ١٩١٣ عن خمسين عاما . ورثاه الكتاب والشعراء . منهم حافظ بك ابراهيم بقصيدة منها :

أقام فينا عصاميا فعلمنا
معنى الثبات ومعنى الجد والدأب
وراح عنا ولم تبلغ عزائمنا
مدى مناها ولم تقرب من الأرب

ولم تنسأ بلدية القاهرة أن تترك الشيخ على يوسف مستقرا مكانه فى شارع المبتديان . فنقلت اسمه الى شارع المنيرة . المتفرع من شارع المبتديان موازيا لشارع القصر العينى وأصبح شارع المنيرة اسمه شارع الشيخ على يوسف . كما أصبح شارع المبتديان سابقا الآن شارع محمد بك عز العرب .

محمد كمال السيد محمد

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

٨١ ـ ويقولون : هذه البنت زمارة بصيغة المبالغة ، والفصيح أن يقال لها زامرة ، أما الغلام فيقال له : زمار ، وزامر قليل جدا ، تقول : زمر الغلام من بابى ضرب ونصر زمرا وزميرا ، وزمر تزميرا اذا غنى فى القصب فهو زمار .

أما الزمارة وزان جبانة فهى ما يزمر به كالمزمار بكسر الميم ، وينطقه العامة بالضم، والزمارة أيضا الساجور، تقول : فى عنق الكلب زمارة أى ساجور ، وهو خشبة تجعل فى عنق الكلب ، ويقال : كلب مسوجر اذا وضع الساجور فى عنقه ، قال :

له مسمعان وزمارة
وظل مديد وحصن أمق

المسمعان القيدان ، والأمق الواسع الطويل ، تقول : رجل أمق ، وامرأة مقاء أى طويلة والجمع مق ، ومنه قول على كرم الله وجهه : « من أراد المفاخرة بالأولاد فعليه بالمق من النساء » .

٨٢ ـ ويجمعون كلمة صغيرة وصفا على صغائر ، فيقولون : هذه فتاة صغيرة وهؤلاء فتيات صغائر، والصواب أن يقال فتيات صغار بالكسر .

قال ابن يعيش : اذا كانت فعيلة لمؤنث ولم تكن بمعنى مفعولة ، فلجمعها ثلاثة أمثلة : فعال بالكسر ، وفعائل ، وفعلاء ، فمن الأول صبيحة وصباح ، ومن الثانى صحيفة وصحائف ، وقد يستغنون بفعال عن فعائل ، قالوا : سمينة وسمان ، ومن هذا قوله تعالى : « أفتنا فى سبع بقرات سمان » ومثل ذلك صغيرة وصغار ، وكبيرة وكبار ، ولم يقولوا : سمائن ، ولا صغائر ، ولا كبائر فى السن ، وانما جاء ذلك فى الذنوب ، فقالوا : صغائر الذنوب ، وكبائرها ، لأن الصغيرة والكبيرة من الآثام اسمان لا

وصفان، قال تعالى : « والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش » ومن الثالث فقيرة وفقراء ، وسفيهة وسفهاء ، ولم يسمع هذا الجمع فى هذا الباب الا فى هذين الحرفين .

٨٣ - ويقولون : قصر فلان جهوده على الأدب ، وعلى الأدب وحده ، فكلمات وعلى الأدب وحده حشو وفضول ، لأنها لم تأت بفائدة جديدة ، وكلمة قصر كافية لتأدية المعنى المبتغى

كما يقول : كان الجيش متحمسا ومتحمسا جدا ، فكلمة ومتحمسا يجب الاستغناء عنها ،اذ لم يكن لها جدوى على هذا التعبير ، ويكتفى بكلمة جدا.

وكذا قولهم : فلان عظيم بكل معنى الكلمة ، اذ يكفى أن يقال : هو عظيم جدا ، أى بالغ الغاية فى العظمة .

٨٤ - ويقولون : هذه الفتاة انسانة ، ولقينا انسانة كريمة الأصل حسنة الخلق والفصيح أن يقال لها انسان بدون هاء ، لأن هذا من الألفاظ التى يستوى فيها المذكر والمؤنث ، كما يقال للرجل خصم ، وللمرأة خصم أيضا ، ولكنه ورد فى شعر مولد ، قال :

لقد كستنى فى الهوى
ملابس الصب الغزل
انسانة فتانة
بدر الدجى خجل

٨٥ - ويقولون للمريض ينتظر مقابلة الطبيب : جاء دورك ، وهذا خطأ ، ووجه الكلام أن يقال له : جاءت نوبتك ، أو نيابتك ، أو حلت فرصتك ، والنوبة هى الفرصة ، تقول : القوم يتناوبون النوبة فى الماء وغيره ، أى كل منهم له نوبة ينتهزها، ونوب فلان بالبناء للمفعول أى جعلت له النوبة .

أما الدور فهو مصدر قولك : دار الولد حول المنزل يدور دورا ودورانا أيضا .

٨٦ - وشاع على ألسنتهم قولهم : تباع الملابس وغيرها فى المحلات التجارية، وهذا التعبير فاسد ، لأنهم جمعوا فيه المحل على محلات ، وكلمة محل وزنها مفعل، وما كان على هذا الوزن يجب أن يجمع على مفاعل فيقال : محال بتشديد اللام ، وأصله محالل بلامين، أدغمت احداهما فى الأخرى، ومثل هذا مقر وهو مكان الاستقرار فيجمع على مقار ، ومنه قولك لمن

يحج : اذكرني في المقار المقدسة ، وممر وهو موضع المرور يجمع على ممار .

أما المحلات فجمع لمحلة ، وهي منزل القوم ، وأما المحلات بضم الميم فهي الأشياء التي يحتاج اليها النازل ، كالقدر والرحمى ، والدلو والقربة ، والسكين والفأس .

وأما المحل بفتح الميم وكسر الحاء فهو الموضع الذي يحل فيه نحر الهدى ، وفي التنزيل : « والهدى معكوفا أن يبلغ محله » .

٨٧ ـ ويقولون في الدعاء : ياغائث المستغيثين ، وهذا وهم واضح ، والصواب أن يقال: يامغيث المستغيثين، لأنه من أغاث الرباعي ، تقول : استغاثه فأغاثه ، ومنه قوله جل شأنه : « وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل » .

أما الثلاثي فله معنى آخر لا صلة له بمعناهم الذي يريدونه ، يقال : غاثهم الله اذا سقاهم الغيث وهو المطر، وغثنا يارب أي اسقنا الغيث ، وأرض مغيثة ومغيوثة اذا أصابها الغيث ، ومن هذا قول المرأة الاعرابية حين سئلت عن المطر فقالت غثنا ما شئنا ، أي سقينا الغيث ما شئنا ، وأصله غيثنا بالبناء للمفعول ، حذفت الياء وكسرت الغين ، أما الاغاثة عند النازلة فانما تكون من الرباعي ، تقول : اللهم أغثنا .

٨٨ ـ ويقولون : سافرنا سويا ، ثم عدنا سويا ، يعنون أنهم كانوا مصطبحين ، والصواب : سافرنا معا ثم عدنا معا أما سوى فمعناه مستوى الخلق ، كما في قوله تعالى « قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا » قال الزجاج : لما قال زكريا لربه : اجعل لي علامة أعرف بها وقوع ما بشرت به ، قال هي ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ، أي أنك تمنع الكلام وأنت سليم سوى لا أخرس ، فتعلم بذلك أن الله قد وهب لك الولد، قال وسويا منصوب على الحال وفي الأساس : ورزقك الله تعالى ولدا سويا ، أي لا داء به ولا عيب .

ومن ذلك أيضا قوله سبحانه « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » أي أرسلنا الى مريم جبريل متمثلا بصورة شاب سوى الخلق لتستأنس به .

٨٩ ـ ويقولون : ذبحنا الشاة تذبيحا، وقتلنا الرجل تقتيلا ، وفتحنا الباب

تفتيحا ، اعتمادا على أن فعل قد يأتى للتكبير والمبالغة ، وهذا خطأ لعدم تصور التكثير فى هذه الأمثلة وأضرابها .

ولاصلاح تعبيراتهم السابقة لتدل على المبالغة ـ يجب أن يقال : ذبحنا الغنم كما فى قوله تعالى : « يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم » وقتلنا الرجال ، كما فى قوله سبحانه : «أخذوا وقتلوا تقتيلا» وفتحنا الأبواب كما فى قوله : « لا تفتح لهم أبواب السماء » كل ذلك بالجمع أو ما يشبه الجمع والتكثير كما يجىء فى المتعدى يجىء فى اللازم ، تقول : طوفت بالبلاد تطويفا ، وجولت فيها تجوالا ، أى أكثرت الطواف والجولان ،

أما قولك : قربت الحبيب تقريبا ، وفسقت العابث بالدين تفسيقا ونحو ذلك فانما جاء التضعيف للتعدية لا للتكثير والمبالغة .

٩٠ ـ ويخطئون حين يقولون : كلفناه بقراءة الكتاب ، ثم كلفناه بعد ذلك بتلخيصه ، والفصيح أن تحذف الباء من التعبيرين ، لأن الفعل متعد الى مفعولين فى كل حالاته ، تقول : كلفته الأمر فتكلفه ، كحملته الشىء فتحمله ، ومعنى كلفته الشىء تكليفا أمرته بما يشق عليه فتكلفه ، أى تجشمه ، والتكاليف المشاق كما فى قول زهير بن أبى سلمى .

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم

ومما يدل على أن هذا الفعل يتعدى الى مفعولين قوله تعالى : «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» وقوله : «لايكلف الله نفسا الا ما آتاها » وقوله : « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك » وفى الآية الأخيرة نائب الفاعل كان المفعول الأول ، ونفسك المفعول الثانى .

٩١ ـ ويقولون : عاد سائر الحجاج، وفاز سائر الطلاب ، يعنون جميع الحجاج وجميع الطلاب ، والفصيح أن كلمة سائر معناها الباقى قليلا كان أو كثيرا ، وتستعمل فى الغالب للباقى الكثير ، والدليل على صحة ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة : «اختر أربعا وفارق سائرهن » وأنشد سيبويه .

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه
وسائره باد الى الشمس أجمع

ومما يدل على أنه يصلح للباقى القليل قولهم لما يبقى فى الاناء: سؤر،

وفى الحديث : « سؤر المؤمن شفاء » وفى حديث آخر: «اذا شربتم فأسئروا» أى أبقوا فى الاناء بقية ما •

٩٢ ـ وشاعت على ألسنتهم كلمة الوحدة بكسر الواو ، فقالوا : لا بد من قيام وحدة شاملة بين العرب والواجب أن تفتح الواو أو تضم ، وقد قالت العرب فى حكمها : الوحدة خير من جليس السوء ، ولا تنس وحدة القبر ودهشته ،

تقول : وحد فلان وحادة ووحدة فهو وحيد ، وقال أبو العتاهية •

برمت بالنايل وأخلاقهم
فصرت أستأنس بالوحدة

الرواية بفتح الواو وضمها •

٩٣ ـ ويقولون : حور فلان الكلام ، أو حور فيه تحويرا ، يعنون أنه بدله وهذبه على نحو ما ، وهذا خطأ ، اذ أن التحوير لا يستعمل الا فى التبييض ، تقول : حورت الثياب اذا بيضتها ، ومنه قيل لأصحاب عيسى عليه السلام : الحواريون، قال تعالى : « كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله » وذلك أنهم كانوا قصارين، تقول : قصرت الثوب قصرا اذا بيضته ، والفاعل قصار ومثله قصرته تقصيرا ،وامرأة حوارية بالضم اذا كانت بيضاء ، قال الأخطل :

حوارية لا يدخل الذم بيتها
مطهرة يأوى اليها مطهر

وفى مختصر العين : ولا يقال للمرأة حوراء الا اذا كانت بيضاء ، واحور الشىء ابيض وزنا ومعنى وحوره فاحور أى بيضه فابيض •

أما التحاور فهو المراجعة والمناقشة، كما فى قوله عز شأنه : « والله يسمع تحاوركما » ، ومثله الحوار بالكسر والمحاورة ، تقول : حاوره حوارا ومحاورة ، ومنه قوله سبحانه : « قال له صاحبه وهو يحاوره » •

٩٤ ـ ويدعون أن كلمة الأخوة تقال فى النسب فقط ، وكلمة الاخوان تقال فى الصداقة فقط ، وهذا الادعاء غير صحيح ، لأن الكلمتين تستعملان فى النسب والصداقة •

فمثالهما فى النسب قوله تعالى : « وجاء اخوة يوسف » وقوله : « ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن »

ومثالهما فى الصداقة قوله جل شأنه : « انما المؤمنون اخوة » وقوله : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » .

٩٥ ـ ويقولون للأمير مثلا : لا زال بابك مفتوحا لكل طارق ، يعنون أنه مفتوح دائما ، وهذا التعبير لا يؤدى المعنى الذى يريدونه ، وانما معناه الدعاء . والدعاء انشاء ، وأما قولهم فاخبار ، وهناك فرق بين الانشاء الذى يكون فى المستقبل والخبر الذى كان فى الماضى ، ومثل ذلك فى الدعاء قول الشاعر :

ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى
ولا زال(١) منهلا بجرعائك(٢) القطر

وبيان ذلك أن (لا) انما تكون للدعاء فى مثل هذا الموضع ، كما فى قولك : لا سلم فلان ، ولا فض الله فاك ، والصواب ـ لتأدية المعنى المراد ـ أن يستبدل بلا كلمة (ما) فيقال ما زال بابك مفتوحا .

٩٦ ـ ويقولون عند نداء الأب والأم : يا أبتى ، ويا أمتى ، فيثبتون ياء المتكلم فيها مع ادخال تاء التأنيث عليهما ، قياسا على قولهم : يا عمتى ، وهذا خطأ ، والصواب أن يقال : يا أبى ، ويا أمى ، و يا أبت ويا أمت، بكسر التاء وفتحها ، وجعلت تاء التأنيث عوضا عن ياء المتكلم ، ومن فتح التاء أراد الندبة ، قال تعالى : « يا أبت لا تعبد الشيطان » وقال : «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر» أو يقال : يا أبتا ، ويا أمتا بقلب ياء المتكلم ألفا ، أو يقال : يا أبه ويا أمه بالهاء الساكنة حين الوقف .

٩٧ ـ ويقولون : خفى فلان الكتاب وغيره ، يخفيه خفيا من باب رمى ، يعنون بذلك أنه أخفاه وستره عن الأنظار ، وهذا التعبير مناقض لكلام العرب ، اذ معناه عندهم أنه أظهره وعرضه ، ومثله اختفاه ، قال امرؤ القيس يصف فرسا يستخرج الفئران من جحورهن .

خفاهن من أنفاقهن كأنما
خفاهن ودق من سحاب مركب

فهو يقول : ان هذا الفرس يستخرج الفئران ويظهرهن من جحورهن بشدة وطئه ، حتى كأن

---

١ ـ منهلا : شديد الانصباب .
٢ ـ الجرعاء :رملة مستوية لا تنبت شيئا .

سيلا من الماء دخل عليهن فأخرجهن، ومن ذلك قوله تعالى: «ان الساعة آتية أكاد أخفيهـا » على رواية من قرأها بفتح الهمزة ، أى أكاد أظهرها •

أما الفعل الذى يؤدى معنى الستر والكتمان ، فهو اما مجرد ، واما مزيد، فمن المجرد قولك : خفى الشىء يخفى خفاء من باب رضى اذا استتر ، ومن هذا قوله سبحانه : « ان الله لا يخفى عليه شىء » ومن المزيد قولك : أخفى فلان الشىء يخفيه اذا ستره وكتمه ، ومنه قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبـديه » وكذلك اسـتخفى وتخفى معناهمـا استتر ، قال تعـالى « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، وكذا اختفى ، تقـول : اختفى القمر اذا استتر وتوارى •

٩٨ ـ ويقولون : ما رأينا فلانا من أمس ، والصواب أن يقال منذ أمس أو مذ أمس ، لأن من تختص بالمكان ، ومنذ ومذ يختصان بالزمان، فأما قوله تعالى : « اذا نودى للصـلاة من يوم الجمعة » فان من هاهنـا بمعنى فى الدالة على الظرفية ، بدليل أن النداء للصلاة يقع وسط يوم الجمعة ، وأما قوله : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » فهو على اضمار مصـدر حذف لدلالة الكلام عليه ، والأصل من تأسيس أول يوم •

٩٩ ـ ويقولون : جاء القوم بأجمعهم بفتح الميم ، لاعتقادهم ـ خطأ ـ أنه أجمع الذى يؤكد به ، فى مثل هو لك أجمع •

والفصيح أن يقال : جاؤا بأجمعهم بضم الميم ، لأنه مجموع لكلمة جمع كعبد وأعبد ، وبحر وأبحر ، ويدل على ذلك أيضا اضافته الى الضمير ، وادخال حرف الجر عليه ، وأجمـع الموضـوع للتوكيد لا يضـاف ، ولا يدخل عليه الجار •

١٠٠ ـ ويسمون بعض الأناسى بعبد العال ، وكلمة العال ليست من أسماء الله الحسنى ، وكذا العالى ، والفصيح أن يسمى الانسان بعبد المتعـالى اسم فاعـل من تعالى تعاليا بمعنى ارتفـع وسما ، كما يقال : تسامى تساميـا ، فهو متعال، ومنه قوله جل شأنه : «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » حذفت منه الياء تخفيفا كما حذفت من دعائى فى قوله « ربنا وتقبل دعاء » •

عباس أبوالسعود

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **مستقبل الحضارة بين العلمانية . الشيوعية . الاسلام :**
للأستاذ يوسف كمال محمد

هذا الكتاب الذى نشرته دار المختار الاسلامى بالقاهرة فى مائتين وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، دراسة لها أهميتها فى هذه الأيام ، ولها تقديرها أيضا من حيث أن المؤلف كان موضوعيا فى مناقشته لعلمانية الغرب التى عزلت الدين عن نظام الحياة ، مما انتهى بالغرب الى التدهور والانحلال ، وفى مناقشته للماركسية المتهافتة المصادمة للفطرة ، ثم فى عرضه للاسلام عرضا مجردا من العاطفة .. قسم المؤلف دراسته الى أبواب ثلاثة : الغرب العلمانى والشرق الشيوعى ، ثم حضارة الاسلام .. وقد أشار فى مقدمته الى أن هذه الدراسة لا تناقش القديم ، ولا تفحص تاريخ الحضارات ، وانما تناقش الواقع الحضارى متطلعة الى المستقبل ، هذا وقد تساءل فى أسى : الى أين تتجه الحضارة ؟ الحضارة المادية التى هى مجرد قشرة سطحية تحمل فى داخلها بركانا من الفوضى والقلق — انها تتجه — كما يقول المؤلف — نحو مزيد من الجنون واليأس والانتحار ، أما العالم الاسلامى اليوم ، فهو بين فكى الشرق والغرب ، يهتز ويموج بين قيمه وتاريخه من جهة ، وبين الشرق والغرب من جهة أخرى ، فهل يستجيب لله ، فيوجه دفته على هدى القرآن فينقذ نفسه ، وينجى العالم من دمار محقق ؟

نرى المؤلف فى الباب الأول : الغرب العلمانى : يعرض لأزمة الدين فى الغرب ، وفلسفته واندحاره ، وهو يرى أن الدين فى أوربا قد تنحى عن حياتها ، اثر هزة عنيفة أصابته منذ العصر الوسيط ، وترجع الى أسباب يتعلق بعضها بالمسيحية نفسها ، كما

يرجع البعض الآخر الى سلوك رجال الـدين ، ونرى المؤلف فى البـاب الثـانى : الشرق الشـيوعى ، يعرض لأوهام الجدل ، ولضـلال التفسـير المادى للتـاريخ ، ولمـا أسـماه : شقاقا وشقاء ، ويرى أنه من الخطأ أن ننظـر الى المـاركسية بصفتها نشـاطا سياسيا فحسب ، أو حركة اجتمـاعية أو مذهبا اقتصاديا ، انها نظرة شاملة للانسان والوجود والتاريخ ، ان هذا المذهب فى التحليـل الأخير ـ كمـا يقول بعض مفكرى الغرب ـ مجموعة من الأفكار ملأت الفراغ الذى نشـأ عن انهيـار الدين ، وهـو مذهب لا يمكن محاربته الا بعقيدة معارضة تقوم على مبادىء مختلفة كل الاختلاف عنه ..

كذلك نرى المؤلف فى الباب الثالث والأخير : حضارة الاسلام ، يقيم بناء هذه الحضارة على أعمدة ثلاثة ، هى بمثابة أوصاف لأمة الاسلام ، فهى أمة وسط ، وهى أمة واحدة ، ثم هى خير أمة ، ويرى أن الحضارة فى التفسير القرآنى ، ليست هى التقدم المـادى ، لأن الله يعطى الدنيـا لمن يحب ولمن لا يحب ، ولا نكران فى أن المنهـج القرآنى منشىء للابـداع المـادى : ولكن فى اطار من القيم الايمانية ..

وبعد ـ فبـلا أدنى مجاملة ـ هذه الدراسة الجيدة لها تقديرها ، لا لأنها دراسـة ثقـافية حركية فحسب ـ والاسلام المعاصر فى حاجة الى مثلها ـ بل أيضـا لأن المؤلف الـذى امتحن بسبب عقيدته أكثر من ستة عشر عاما ، أعطى هذه الدراسة من فكره وايمانه ما جعلها جديرة بكل تقدير .. كنت أود أن تسير الدراسة على نمط واحد من المسـتوى الفـكرى ، ففى البابين الأول والثـانى ، حيث ناقش المؤلف علمانية الغرب وشيوعية الشرق ، سار على مستوى رفيع ، يصلح للخاصـة دون حتى أوساط المثقفين ، بينما سار المؤلف على مسـتوى شـبه عادى فى الباب الثالث : حضارة الاسلام ، وهو البـاب الذى شغل ثلثى الدراسـة ، كذلك كنا نود ألا نفتقد كثيرا المقارنة الملموسة بين حضـارة الاسـلام ، وحضـارة كل من الغرب والشرق ، وأخـيرا كنـا نود لو أن المؤلف قد تجنب التركيز خلال مناقشته للعلمانية والماركسية ، ويبقى بعد ذلك أن نشيد بدراسـة المؤلف التى جاءت فى وقت مناسب ، يقف فيه الفكر الاسـلامى

أعزل فى مواجهة الالحاد المادى والعلمانى الذى تهب أعاصيره عليه من الشرق •• والغرب على السواء •••

● **حوار مع الشيوعيين فى أقبية السجون :**

للأستاذ عبد الحليم خفاجى

هذا الكتاب الذى نشرته دار القلم بالكويت ، يقع فى أكثر من ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وهو دراسة بسيطة ـ كما يقول المؤلف فى مقدمته ـ تلقى ضوءا خفيفا من خلال نقد الماركسية علميا ـ على ملامح العقلية المنهجية الاسلامية التى أرادها « البنا » رائد الحركة الاسلامية الحديثة ، امتدادا لمرحلة اليقظة التى بثها فى الأمة فى قوله : « لابد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل ••• وبغير هذا التحديد والتركيز ، سيكون مثل هذه الصحوة كالشعاع التائه فى البيداء ، لا ضوء له ولا حرارة فيه » •

ان هذا الحوار قسمه المؤلف الى بابين : الأول موجز عن النظرية الماركسية اذ يقع فى أقل من خمسين صفحة ، والآخر مبسط عن نقد النظرية ، وقد أدار المؤلف هذا الحوار فى ثلاث وثلاثين حلقة ، والمؤلف « المحامى » لم يدخل فى هذا الحوار تحت أقبية السجون ، مع عامة الماركسيين ، وانما مع لفيف من دعاة الماركسية المثقفين ، كذلك واجه المؤلف هذا الحوار مسلما بايمان المسلم ، وعقيدة المؤمن ، وبخاصة فى اطار النقد للفكر الماركسى ، ومن خلال هذا النقد البناء استطاع أن يبرز قيمة الاسلام الحضارية •••

ولقد ناقش المؤلف الماركسية فى كل مراحلها وكل أسسها الفكرية ، والحضارية المزعومة ، والاقتصاد ، ثم عرض بعد ذلك : النظرية الاسلامية للتاريخ ، ففى كل رسالة سماوية شقان ، شق العقيدة وشق الشريعة ، عرض من وجهة نظر الاسلام للملكية والميراث ، وحق المال سوى الزكاة ، ولأوجه الخلاف بين الضريبة والزكاة ، وللفقه والرأى العام فى فى مواجهة السلطة ، ثم ختم الحوار بما أطلق عليه : ضمانات التطبيق أو النظام السياسى ، هذه الضمانات تتمثل فى : الامامة العادلة ، القضاء الاسلامى ، نظام الحسبة ، ديوان المظالم ثم دعوى الحسبة •• ولست أدرى لم أغفل المؤلف الاشارة الى أن أية ضمانات لا معنى لها ، اذا هى تحولت الى مجرد نصوص فى

الدستور ، ما لم يحرسها وعى اسلامى يتمثل فى الشعوب المسلمة وشجاعة ايمانية تتمثل فى علماء الاسلام ومفكريه ..

وبعد ـ فهذه الدراسة التى لها تقديرها ، ما أحوج شبابنا المسلم الى مثلها ،هذا الشباب الحائر القلق الذى يئن تحت وطأة الأفكار المستوردة ، وهو أعزل من كل سلاح ..!

● **صفحة الفكر الدينى بالأهرام :**

كان هناك سؤال ينتظر الاجابة : فى كل من جريدتى الأخبار والجمهورية صفحة للدين ، فلماذا تخلفت جريدة الأهرام عن زميلتيها ؟ والحمد لله ، فلقد بدأت الأهرام اللحاق بزميلتيها ، وقررت منذ أول مارس الماضى أن تصدر الصفحة الدينية فى صبيحة كل يوم سبت ، وقد تضمنت أول صفحة مقالا ضافيا للأستاذ أحمد بهجت عنوانه : من غربة الاسلام ، عرض فيه لفكر الكاتب اليهودى « ليوبولد فايس » الذى أشهر اسلامه فيما بعد ، وأصبح « محمد أسد » من خلال كتابه القيم « الطريق الى مكة » كذلك تضمنت الصفحة مناقشة أجراها الأستاذ رجب البنا مع الدكتور عبد العزيز كامل وزير الأوقاف عن المساجد ، وتقريرا عن مأساة المسلمين فى الفلبين ، ثم كلمة عن امكان التقريب بين المذاهب الاسلامية تتوسطها صورة للقمى صاحب دعوة التقريب .. ونحن اذ نتمنى لصفحة الفكر الدينى بالأهرام كل نجاح ، نرجو أن يتسع صدرها لكل رأى حر ونقد بناء ، وأن يكون مقياس الجدارة بالنشر الفكر ذاته ، وليس لمعان الأشخاص تحت الأضواء ..

● **قراءات :**

« رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا فى يدى جابر بن عبد الله ، فقال : ما هذا ؟ قال : اشتهيت لحما فاشتريته .. فقال عمر : أوكلما اشتهيت اشتريت يا جابر ؟ ما تخاف الآية : « أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ؟ »

من كتاب أخبار عمر : لعلى الطنطاوى وناجى الطنطاوى .

محمد عبد الله السمان

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

السؤال من محمد أيوب

قال رجل لزوجته على الطلاق منك ما تدخلى بيتى على المذاهب الأربعة وتكونى زى أمى وأختى فهل يعتبر هذا اطلاقا ؟

الجواب

ما جاء فى السؤال يمين طلاق وفيه تعليق والطلاق المعلق هو الذى يقصد به اثبات شىء أو نفيه أو الحث على فعل شىء أو تركه وفى ذلك أقوال خمسة ذكرها ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان ص ٢٦٥ – ٢٦٧ وتتلخص فيما يأتى :

١ – أنه لا ينعقد ولا يجب فيه شىء وعليه أكثر أهل الظاهر لأن الطلاق عندهم لا يقبل التعليق كالنكاح وعليه من اصحاب الأمام الشافعى ابو عبد الرحمن •

٢ – انه لغو وليس بشىء وصح ذلك عن طاووس وعكرمة •

٣ – لا يقع الطلاق المحلوف به ، ويلزمه كفارة يمين اذا حنث فيه وصح ذلك عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما •

٤ – ان حلف على فصل امرأته بأن قال ان خرجت من الدار فأنت طالق فلا يقع الطلاق بفعلها ذلك وان حلف على فعل نفسه أو على فعل غير امرأته وحنث لزمه الطلاق وبه قال أشهب من المالكية •

٥ – ان حلف بصيغة الشرط والجزاء كأن قال لامرأته ان فعلت كذا فأنت طالق ففعلته فهى طالق وان كان الحلف بصيغة الالتزام كأن قال الطلاق يلزمنى أو على الطلاق ان فعلت كذا فلا يلزمه الطلاق فى هذا ان حنث وهذا أحد الوجوه الثلاثة لأصحاب الشافعى والمنقول عن أبى حنيفة •

السؤال من السيد على نصر الدين :

رجل يصلى بالناس اماما فيقرأ فى الركعة الأولى سورة البقرة وفي الثانية سورة آل عمران ولم يجد من يتألم فهل فى هذه الصلاة مخالفة ؟

الجواب

الاجابة – ليس فيها مخالفة للسنة حيث ان المأمومين راضون بالتطويل بل فى هذه الصلاة خير كثير من الفوائد الدينية للامام والمأموم .

السؤال من محمد مصطفى موسى :

هل ختم الصلاة فى المسجد جهرا عقب الصلاة جائز ؟

الجواب

ختم الصلاة من كمال الصلاة والواجب فيه أن يكون سرا حذرا من التشويش على المصلى اذ التشويش عليه حرام ولو بقراءة القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم : « الا ان كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة » .

السؤال من الحاج على درويش :

رجل طلق زوجته وأنجب منها بنتا ثم تزوجت هذه المرأة برجل آخر وأنجبت منه ولدا والرجل المطلق تزوج بأخرى وأنجب منها بنتا فهل يجوز لهذا الولد أن يتزوج بهذه البنت ؟

الجواب

نعم يجوز أن يتزوجها لأنها ليست أختا له لا من النسب ولا من الرضاع

السؤال من السيد سعد الدين احمد حسن غزال :

القاطن ٢٢ حارة البحر شارع جسر البحر بالساحل .

١ – عدم وجود البسملة فى أول سورة براءة .

٢ – رأى الدين فيمن يزاول التجارة الحرة بجانب عمله كموظف وبالأخص نظام البيع بالتقسيط مع زيادة طفيفة جدا على السعر المحدد للبيع نقدا حالا .

الجواب

أما عن الأول فنفيد بأنه روى عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما الذى

حملكم على أن عمدتم الى الأنفال وهى من المثانى والى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموهما فى السبع الطوال فقال عثمان رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه السورة ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شىء ذعا بعض من كان يكتب فيقول عليه السلام ضعوا هؤلاء الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال وظننت أنها منها وقبض النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها فى السبع الطوال أخرجه أبو داود والترمذى وقال الزجاج والشبه الذى بينهما ان فى الأنفال ذكر العهود وفى وفى براءة نقضها وقال محمد بن الحنفية قلت لأبى يعنى على بن أبى طالب لم لم تكتبوا فى براءة بسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال يابنى ان براءة نزلت بالسيف وأن بسم الله الرحمن الرحم أمان ورحمة وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالبسملة وقال أبى بن كعب انها نزلت فى آخر القرآن وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر فى كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر فى براءة بذلك فضمت الى الأنفال لشبهها بها .

وأما عن الثانى فان البيع لأجل مع الزيادة يعتبر ربا ونصيحتى للسائل ألا يكون عمله فى التجارة مضيعة لعمله فى الحكومة والا كان الأجر الذى يأخذه من الحكومة حراما وكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به ونصيحتى له أيضا ترك هذه الزيادة الطفيفة (كما يقول) تعاونا على البر والتقوى وتيسيرا على المعسر عملا بقول الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه وأن الله سبحانه وتعالى يزيد فى ماله أضعاف أضعاف ما يحصله من الفائدة،

السـؤال من السـيد / ماهر لطيف

أثنـاء ثورة غضبى الشديد قمت بتمزيق المصحف الشريف ، ووضعت سورة يس تحت قدمى وأنا لم أقصد اهانة الدين الاسلامى الذى اعتنقته بعد أن هدانى الله الىالاسلام ــ رجاء قبـول توبتى عن هذا الفعـل غير المقصود .

الجواب

الحمد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على سـيد المرسـلين سيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين أما بعد : فقد حضر السيد / ماهر لطيف اسحق الى مقر لجنة الفتوى بالأزهر وأعلن توبته عن فعلتـه المذكورة فى السـؤال وقد قبلت منه اللجنـة ذلك ونطق أمامها بالشهادتين ونصحته بألا يفعل مثل ذلك أبدا ، والله أعلم .

السـؤال من السيد/صـلاح محمود محمد سليمان :

توفى رجل عن زوجة ، أولاد أخ شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟

الجواب

الحمد لله رب العـالمين والصلاة والسـلام على سـيد المرسـلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : فنفيد بأن للزوجة الربع فرضـا لعـدم وجود الفـرع الوارث والباقى للذكور من أولاد الأخ الشـقيق تعصيبا ولا شىء للاناث من أولاد الأخ الشـقيق لأنهـن من ذوى الأرحـام المؤخـرين فى الميراث عن أصـحاب الفروض والعصبات والله تعالى أعلم . والله ولى التوفيق ؟

محمد ابو شادى

أنبــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

*** جولة فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر فى اسيوط والوادى الجديد :**

قام فضيلة الامام الأكبر الدكتـور عبد الحليم محمـــود شيخ الأزهر بجولة فى محافظتى أسيوط والوادى الجـديد ، فى الفترة من ١٣ الى ١٨ من صفر ١٣٩٥ هـ ــ ٢٤ من فبراير الى الأول من مارس ١٩٧٥ م ، وكان برفقته وفد من كبار علمـــاء الأزهر والمسئولين فيه .

واستقبلته الجماهير فى كل محافظة بحفـــاوة منقطعـة النظير ، وكان فى مقـدمة مسـتقبليه فى أسيوط السيد الوزير محمد عثمان اسماعيل محافظ أسيوط وكبار المسئولين فى المحافظة ، وفي الوادي الجديد السـيد المحافظ المهندس ابراهيــم شـكرى والسيد/ ابراهيم جابر القرش مدير الأمن العام وكبار المسئولين فى المحافظة .

وقـام فضيلته أثنـــاء جولتـه فى المحافظتين ــ بزيارة المنشآت الاسلامية والجامعات والمعاهد والمدارس وقصور الثقافة وجمعيـات الشبان المسـلمين ، وأماكن أخرى كثيرة .

وعقد فضيلته عددا من المؤتمـرات الشعبية والنسـائية وألقى سلسلة من المحـــاضرات فى مختلف القضـــايا الاسلامية والفكرية والاجتمـــاعية ، وطالب بتوسيع قاعدة التعليم الدينى ، والمحافظة على المظهر الاسلامى سلوكا وملبسا .

وكان لهذه الجولة المباركة نتائج طيبة فى كل من أسيوط والوادى الجديد .

فمن اهم النتائج فى اسيوط :

١ ـ العمل على استكمال منشآت جامعة الأزهر بالنسبة للكليات العملية والنظرية .

٢ ـ اعتماد السيد الوزير محمد عثمان اسماعيل محافظ أسوط مبلغ مائة ألف جنيه لانشاء عمارة سكنية لطلبة جامعة الأزهر تكون نواة لمدينة سكنية لطلبة هذه الجامعة .

٣ ـ حل مشاكل المبنى الجديد لمعهد الفتيات والعمل على اتخاذ الاجراءات اللازمة لتحقيق دعوة الامام الأكبر شيخ الأزهر بانشاء كلية للبنات الاسلامية فى أسيوط .

٤ ـ بحث مشاكل الدراسات العليا فى جامعة الأزهر بأسيوط .

٥ ـ تشكيل ثلاث لجان لمتابعة ما تم بحثه فى أسيوط والعمل على انجازه .

ومن أهم النتائج فى الوادى الجديد :

١ ـ البدء فورا فى انشاء مبنى جديد للمعهد الدينى بالوادى الجديد واعتماد المبالغ اللازمة لذلك .

٢ ـ اعتماد مبلغ ثلاثة آلاف جنيه اعانة لطلبة المعهد الدينى .

٣ـ اعتماد مبلغ خمسة آلاف جنيه لدعم جمعيات المحافظة على القرآن الكريم بالمحافظة .

٤ ـ حل مشاكل السكن والمواصلات بالنسبة لطلبة المعهد الدينى والأساتذة .

والواقع أن هذه الجولة قد تركت أثارا عظيمة فى نفوس الجماهير فى المحافظتين وستبقى على مدى التاريخ منهاجا يتأسى به أئمة الاسلام للالتقاء بالمسلمين فى كل مكان .

* تعاون دينى وثقافى بين مصر ونيجيريا :

بحث فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الازهر مع

الشيخ موسى هارون سفير نيجيريا بالقاهرة وسائل دعم التعاون الدينى والثقافى بين مصر ونيجيريا ، ومعادلة الشهادات الممنوحة من مركز التعليم العربى والاسلامى هناك بشهادات الازهر ، وقبول مجموعة من الرعايا النيجيريين للتدريب على الوعظ والارشاد بالازهر ، وتزويد معهد سكوتو بعدد من المدرسين الأزهريين وزيادة المنح المخصصة للطلبة النيجيريين بالأزهر •

*** تكوين لجنة استشارية بمكتب الامام الأكبر شيخ الازهر :**

أصدر فضيلة الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر قرارا بتشكيل لجنة استشارية لشئون الاذاعة المرئية برياسة فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الازهر وتختص هذه اللجنة بما يلى :

١ ـ التخطيط والمتابعة لبرامج المواد الدينية •

٢ ـ اقتراح المواد والبرامج ونقدها •

٣ ـ ترشيح الشخصيات التى تكلف بتحضير هذه المواد والبرامج •

وتضم هذه اللجنة ممثلين لمجمع البحوث الاسلامية ومكتب فضيلة الامام الاكبر وهيئة التليفزيون وبعض الكتاب •

*** المجمع الاسلامى بالمطرية :**

أرسى حجر الأساس للمجمع الاسلامى الكبير الذى تقيمه جمعية الأنوار المحمدية الاسلامية فى ميدان المطرية بالقاهرة •

وتبلغ المساحة التى سيقام عليها هذا المجمع الاسلامى ٣٥٠٠ متر ، ويضم المجمع مسجدا وقاعة خاصة للسيدات ومدرسة لتحفيظ القرآن ومدرسة لمحو الأمية ومكتبة ومستوصفا للعلاج وقاعة للمناسبات وتبلغ تكاليفه ٣٥٠ ألف جنيه •

*** مركز اسلامى فى اليابان :**

تم افتتـــاح مقـر مؤقت للمركز الاســـلامى فى اليابان على مقربة من مسجد طوكيو وتبرع كثير من المسلمين والهيئات الاسلامية بمبالغ كبيرة لاقامة هذا المركز ، منهم سمو الامير أحمـد ابن عبد العـزيز وكيـل امـارة مكة المكرمة الذى تبرع بمبلغ ثلاثة آلاف دولار ،، ووزارة االاوقاف والشئون الاســلامية فى الكويت التى تبرعت بسبعة آلاف وأربعمائة وتسعة وأربعين جنيها استرلينيا ، والمهنـدس اليابانى ابراهيـم باشتا الذى تبرع بثلاث مائة وخمسين دولارا •

كما تلقى المركز ايضا تبرعات من سفارة قطر فى طوكيو وأبدى أحـد الاغنياء فى اليابان اسـتعداده للتبرع بقطعـــة أرض لاقامة مبنى المـركز عليها •

ويقوم المركز الآن بنشاط كبير فى اليابان لنشر الدعوة الاسلامية وتعليم اللغة العربية وفتح فصول لها وترجمة كثير من الكتب العربية التى تتنـاول مفاهيم الاسلام وأصـوله الى اللغـــة اليابانية •

*** ٤٠٠ منحة للدراسة بالأزهر :**

تقرر تخصيص ٤٠٠ منحة للدراسة بالأزهر من مختلف الدول خلال العام القادم ، وذلك بالنسبة للجامعة والمعاهد الأزهرية ، ويحصـــل الطـالب فى الدراسات العليا على ١٥ جنيهـا وفى الكليات على ١٢ جنيها ، وفى المعاهد على ١٠ جنيهات •

*** مجلة الأزهر :**

طلب التوجيه المعنـوى بالقـــوات المسلحة المصرية الاشتراك فى مجلة الأزهر بكمية تبلغ ٣٠٠٠ نسخة فى العدد، وتم تلبية هذا الطلب مع اجراء خصم من المجلة واتخذت ادارة المجلة جميع الاجراءات اللازمة لذلك •

*** فقيد العلم :**

فقـد الأزهر فى الأشـهر الماضية عالما من علمائه الاجلاء وأسـتاذا من

أساتذة الجيل ، خدم العلم والدين ، وتتلمذ عليه الكثير من أبناء الأزهر الشريف هو العالم المحدث الأستاذ الشيخ عبد الرحمن جلال ، أستاذ الحديث النبوى ، بالمعهد العالى للدراسات الاسلامية وعميد معهد دمياط سابقا •

وقد وافاه أجله وهو قائم يصلى بين يدى الله فى الجامع الأزهر •

رحمه الله • واكرم مثواه •

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

٦٠٠٢-١٩٧٥س٤٠١١

The wise and the men of opinion went to the Caliph and blamed him and then he apologized. They became more displeased and angry when he dismissed the men whom Omar had appointed during his reign and replaced others of his relatives.

A group from Egypt and another from Iraq came to Medina to meet the Caliph and to declare their disapproval to his vice's regime and to claim justice and dismissing that vice. Othman felt the danger and answered their claims. When the members of the Egyptian mission were on their way home they saw a cavalier whom they suspected. When they arrested him they found a secret message sent to the Caliph's vice to kill them. They returned with the messenger to Medina where they met Ohman and presented him the proof of accusation. He denied his knowledge of the message and after inquiries they found that the Caliph's cousin Marwan Ebn El Hakam wrote that message without Othman's knowledge and so it was a surrepted one.

Those men were not convinced with what they had found. They decided to surround Othman's house to surrender and that lasted for about fifty days.

Some of the Prophet's friends and followers guarded the Caliph to defend him against the attackers.

As there was no definite result, one of the attackers stole a way to the house and gave Othman a blow with an iron bar that made him fell down.

Then a violent clash broke out between the two bodies of both sides in which the Caliph's wife cut her finger during her husband's defence. At the end the house was captured by the mob.

Othman died on the 35th year of Higra at the age of 80. The people of Medina delayed much in the defence of their Caliph and did not hurry for his help and so he was killed. Had his cousin Marwan Ebn El Hakam not sent that awful message, Othman would have been saved. This accident had great effect on Islam. It caused civil war among the Arabs because he died by a wicked way.

Those who knew Othman described him the good, the merciful, the generous and the pitiful man.

His reign lasted for 12 years.

During his reign the Arab troops proceeded to new lands such as Cyprus, Africa, Armenia and Tabarastan. In Persia there were troubles and so strict measures had to be carried out for peace to prevail. In the south of Egypt, the Muslim army advanced from Nuba to Kordofan and made them Arab regions.

A horrible battle broke out near Alexandria between the Roman Navy under the commandry of king Constantin and the Arab Navy under the commandry of Abdullah Ebn Saad. In this fierce clash 1000 ships took part in the battle which is historically known by the battle of the masts owing to their uncountable number. The Arab Navy which consisted of 200 ships only conquered the Roman Navy. The Arab warriors proved to be victorious on the sea as well as on the land in spite of the increasing number of ships and naval warriors of the Romans.

Othman the Caliph had the favour to be the first man who wrote many copies of the Quran and distributed them among the state regions. He did this great useful work when he observed that many of the Quran, readers those who recited it by heart, were killed during the new invasions that took place eastward and westward. The copies named after Othman are the original ones of the printed Quran used nowadays and kept it correct free from mispelling up to the present. He learned it at the hands of the Prophet. He read it and recited it correctly every day.

He was a ruler of a country that was gradually extending in a transition period that needed diplomacy and good policy. The different types of life in the invaded regions affected the Arabs life and so they shifted from simplicity to a better life they did not know or hear about before. In these regions there were wealth and treasure and Othman found it suitable to give the people a share in the new wealth and there was no need to keep the people poor or needy. His policy was excellent but it did not satisfy some of those fanatics who became angry with him because they were to see the old habits and tradition preserved and followed as before. As some amusements spread in Medina as a result of this new life, the Caliph banished those who managed them.

These groups and Koreish also were displeased and dissatisfied with the preference of Othman to his relatives, for instance, he let his uncle El Hakam Ebn Elas who was banished return to Medina. When this uncle died, Othman appointed his son El Hareth Ebn El Hakam a principal to the city market. This man behaved badly and as a result gained much money. What was worse is the appointment of Othman's cousin Marwan Ebn El Hakam a minister and a counsellor.

Also Othman had the favour to buy a piece of land and offered it to the Prophet to widen the mosque of Medina.

Not only did Othman spend his money in the service of Islam and Muslims, but also he was ready to take part in the invasion of Badr but the illness of his wife Roukaia made him retire to nurse her at the permission of the Prophet. This wife died in the second year of Higra.

As Othman was an excelent helper to Islam and as the Prophet trusted him much, so he made him his ambassador to negotiate Koreish to let the Prophet and the Muslims go to Mecca for pilgrimage because Koreish prevented them from doing the Omra the year before. This embassy was in the sixth year of Higra. When Othman went to Mecca, there was a rumour that he was killed. It appeared afterwards that the rumour was false.

In addition to the previous help, Othman provided the Muslim army in the invasion of Tabouk with 900 camels, 50 horses and a large sum of money because they were in great need of such help.

As Othman was one of the writers of revelation, the first Chaliph Abu Bakr made him his secretary and always consulted him in the serious matters of the state. Abu Bakr dictated Othman his will before his death in which he advised the Muslims to elect Omar his successor.

When Omar was stabbed, the wise men begged Omar to tell them who would be his successor. Omar mentioned some names and among them was Othman.

After Omar's death, the commanders of the warriors, the nobles, the wise men, the followers and others held a meeting in which they agreed to elect Othman as Caliph.

After the election as Caliph he made a speech in which he spoke about those who had lived before and left this worldly life to enjoy better eternal life in paradise and about those who were martyred for the sake of God who would be rewarded for their sacrifice. He urged the people to follow such examples of good men. He also said; "Be kind to each other, be friendly and amiable, be always men of firm creed, follow precisely the instructions of Islam".

Then he sent letters to every vice-Caliph, to the warriors, commanders to the tax - Collectors, to their supériors and all Muslims in the different regions of the country telling them to do good and be good, to avoid evils and tyranny, to be kind to all the people either Muslims, or non-Muslims. He advised the tax - collectors to follow justice and honesty in their work.

PERSONAGES OF ISLAM :

3—UTHMAN IBN AFFAN (*)

By

AHMED MUHAMMAD EL-ASWAR

He is the third Caliph and the son-in-law to the prophet Muhammad because he married his two daughters, Rokia and Om Kolthoum ; when the first one died, he married the second.

Othman was born in the 6th year after the year of the elephant. He was brought up as any boy of Koreish noble families. When he grew up he practiced commerce and gained a lot of money. He became a Muslim at the age of twenty.

He was a decent fellow of good characters and so the Prophet loved him and made him an intimate friend. As he trusted him, he let him marry his daughter Rokia and when she died he married her sister Om Kolthoum. The Prophet prophecised him that he would be in his company in paradise.

When the Muslims faced troture and hardships at the hands of the pagan Koreisheans they went to Abyssinia and among them were Othman and his wife Rokia where they found refuge and welcome. Although this migration caused him great loss of money as he left his work, but he accepted that willingly. He returned home when the Koreisheans became less fanatics and more tolerate.

He migrated to Medina after the Prophet had gone there. It happened that the Muslims faced a terrible position because of water shortage which they were in great need of. There was only one well whose owner was a jew. He used to sell the water to the Muslims. When the Prophet urged them to buy that well Othman went to that jew and after a bargain he accepted to sell half of it for a great sum of money. Then Othman let his share in the well free for the Muslims and caused the jew a loss. So he hastened to Othman to tell him that he wished to sell his share and Othman accepted to buy the second half for another great sum of money and made all the well free.

(*) The views expressed in the article are those of the contributor.

fruits and forgiveness (maghfira) from their Lord" (47 : 15). Maghfira is therefore one of the blessings which the righteous shall enjoy in Paradise, and therefore a Divine help in the onward progress of man therein.

Another misunderstood word is 'dhanb' which is generally translated as meaning sin; but dhanb is also a word with a very wide significance. According to one authority, dhanb is originally taking the tail of a thing, and it is implited to every act the consequence of which is disagreeable or unwholesome. According to another, it means either a sin, or a crime of a fault and it is said to differ from 'ithm' in being either intentional or committed through inadvertence, whereas ithm is definitely intentional. Dhanb is therefore as much applicable to sins due to perversity as to shortcomings resulting from inadvertence. Now in the case of these latter, there is a vast difference between the righteous man and the sinner. A righteous man, without in the least departing from the course of reighteousness, would always feel that he had fallen short in doing some good to humanity or in donig his duty to God ; and thus, even though he is engaged in doing some good, he feels that there is something lacking in him. But between the shortcoming of such a one and that of the sinner is a world of difference. The sinner's shortcoming or dhanb is that he has set himself against the will of God deliberately and done evil, while the righeous man's shortcoming lies in the fact that he is not satisfied that he has done all good that it was in his power to do.

Another word which requires to be explained in this connection is khat'a or khata'. This word has too a wide significance. According to Raghib when a man intends the doing of a good thing but he happens to do instead something which he never intended, that is also khatia' (mistake). According to another authority, the difference between khati'a (mistake) and ithm (sin) is that in the latter there is intention, which is not necessary in the former. When the mujtahid (one who exercises his reasoning faculty) does not arrive at a right conclusion and makes a khata' (mistake) in his judgement, he is still said to merit a reward, since his intention was good. Hence the word khati'a or khata' does not necessarily imply sin.

a fifth is said to be worthy of regard and one of those who are near to God ; and many of them including the Holy Prophet Muhammad, are described as being Amin, which means one who is completely faithful to God. The Holy Quran, therefore, leaves not the least doubt as to the sinlessness of the prophets.

There are however certain words which have been misunderstood by some critics, who have straightway rushed to the erroneous conclusion that the Holy Quran gives no support to the doctrine of the sinlessness of prophets. The most important of these words is 'istighfar' which is generally taken as meaning asking for forgiveness of sins. It carries, however, a wider significance, being derived from the root ghafr which means the covering of a thing with that which will protect it from dirt. Hence 'istighfar' means only the seeking of a covering or protection and therefore seeking of protection from sin is as much a meaning of istighfar as the seeking of protection from the punishment of sin.

Qastalani, in his commentary on Bukhari, makes this quite clear, and adds that ghafr means sitr or covering, which is either between man and his sin or between sin and its punishment (Qs. I, p.85). When it is established that, according to the plain teachings of the Holy Quran, the prophets are sinless, itstighfar can, in their case, only be taken as meaning the seeking of protection from the sins to which man is liable. The istighfar of the prophets, therefore, means only their flying for protection to God, for it is through Divine protection alone that they can remain sinless. Hence the Holy Prophet is spoken of in a hadith as doing istighfar a hundred times a day ; that is to say, he was every moment flying for protection to God, and praying to Him, that he may not go against His will. Istighfar or the prayer for ghafr (protection) is in fact a prayer for Divine help in the advancement to higher and higher stages of spiritual perfection. Thus, even those who have been admitted into Paradise, are described as praying to God, for His ghafr : "Our Lord : make perfect for us our light and grant us protection (ighfir), for Thou hast power over all things" (66:8). The ordinary rendering is "forgive us". but forgiveness, in the narrow sense of pardoning sins, is meaningless here, because non can be admitted into Paradise unless his sins are pardoned. Gahfr or forgiveness, therefore, stands here for Divine help in the spiritual advancemnt of man, which will continue even after death. On another occasion, maghfira, which is the same as ghafr, is described as a blessing of Paradise : "For them therin are all kinds of

works of the Prophet, as mentioned several times in the Holy Quran, are stated thus: "We have sent an Apostle to you from among you who recites to you Our communications and purifies you and teaches you the Book and the wisdom" (2 : 151, etc). The Arabic word for purifying is yuzakki which is derived from zaka, originally meaning, according to Raghib, the progress attained by Divine blessing (i.e. by the development of the faculties placed by God within man), and relates to the affairs of this world as well as the hereafter, that is to say, to man's physical as well as spiritual advancement. The prophet's message of purification, thereore, signifies not only purification from sin but alo man's setting forth on the road to physical and moral advancement. All these references to the Holy Book show that the object of sending the prophets was no other than the upliftment of man, to enable him to subjugate his animal passions, to inspire him with nobler and higher sentiments, and to imbue him with Divine morals.

The very object of raising up of prophets makes it clear that the men who are commissioned for his high office must themselves be free from the bondage sin, and more than that, the possessors of high morals.

The doctrine of the sinlessness of the prophets has therefore always been admitted principle among Muslims. Christian writers on Islam, however, have laboured to show this doctrine is opposed to the Holy Quran, but nothing could be further from the truth. The Quran not only speaks of individual prophets in terms of the highest praise, but also lays down clearly in general terms that the prophets cannot go, either in word or in deed, against any commandment of God: "And We did not send before thee any apostle but We revealed to him that there is no God but Me, therefore serve Me. And they say, The Beneficent God has taken to Himself a son. Glory be to Him. Nay: they are honoured servants; they do not preced Him in speech and only according to His commandment do they act" (21 : 25-27). And elsewhere it is said: "It is not attributable to a prophet that he should act unfaithfully" (3 : 160). These two verses set out in general words the principle of the sinlessness of prophets, while it has already been shoen how each individual prophet has been spoken of in terms of the highest praise; one is called a siddiq i.e. one who never told a lie); another is said to have been purified by God's hand and to be brought up in the Divine presence; a third is described as being one in whom God was well pleased, a fourth is mentioned as having been granted purity and as one who guarded against evil and never disobeyed;

different" (Bu. 60 : 38). Every prophet may have some special characteristic of his own, but, generally, what is said of one in the Holy Quran, of his high morals or sublime character or noble teachings or trust in God, is true of all. Thus of Abraham we are told that he was "a truthful man" (19 : 41); of Moses that he was "one purified" (19 : 51), or that he was "brought up before My eyes" (20 : 39); of Ishmael that he was "truthful in promise" or "one in whom his Lord was well pleased" (19 : 54, 55); of Noah, Hud, Salif and Lot that they were "faithful" (26 : 107, 125, 143, 162); of Jesus that he was "worthy of regard in this world and the hereafter, and one of those who are near to God" (3 : 44); of John the Baptist that "We granted him wisdom... and tenderness from Us and purity and he was one who guarded against evil, and dutiful to his parents and he was not insolent, disobedient" (19 : 12-14), or that he was "honourable and chaste" (3 : 38). It is the gravest mistake to think that the high qualities attributed to one prophet may be wanting in others. The prophets are all one community; they were all raised up for one purpose; the teachings of all were essentially the same, they were all truthful, all faithful, all worthy of regard, all were made near to God, all were pure, all of them guarded against evil, all were honourable and chaste, and none of them was insolent or disobedient to God.

The prophets are raised up for the upliftment of the humanity and for freeing men from the bondage of sin. It has been shown in the last chapter that Divine revelation was needed to enable man to subdue the devil, who would, otherwise, be a great hindrance in his moral and spiritual progress. Man was commanded to live in a spiritual paradise, but since he was unable to withstand the temperations of the Devil, the Divine revelation came to his aid; and a rule for all time was laid down for the guidance of all; "There will come to you a guidance from Me, then whoever follows My guidance, no fear shall come upon them, nor shall they grieve" (2 : 38). The negation of fear refers to the fear of the devil's temptation, as a remedy against which Divine revelation was first granted to man. Again, every prophet brings the message of the Unity of God, and the significance underlying this message has already been shown (to be the all round advancement of man, physical as well as spiritual and moral. And every Prophet is called a mubashir (giver of good news) and mundhir (warner) (2 : 213)); the good news relating to his advancement and elevation, the warning to the retarding of or interference with his progress. Moreover, the four

statement that Islam, or belief in all the prophets of God, is the only religion with God, and whosoever desires a religion other than Islam — a belief only in one prophet while rejecting all others, it shall not be accepted from him, because belief in one prophet is after all only acceptance of partial truth, and tantamount to the rejection of the whole truth, to wit, that there have been prophets in every nation.

Muhammad (peace be upon him), therefore, does not only claim to have sent to the whole world, to be a warner to all people and a mercy to all nations, but lays the foundations of a world-religion, by making a belief in the prophet of every nation the basic principle of his faith. It is the only principle on which the whole of humanity can agree, the only basis of equal treatment for all nations. The idea of a world-prophet is not a stray idea met with in the Quran : it is not based simply on one or two passages, stating that he had been raised up for the regeneration of all nations; but the idea is here developed at lenght, and all the principles which can form the basis of a world -religion are fully enunicated. The whole humanity is declared to be one nation (2 : 213) ; God is said to be the Rabb (the Nourisher unto perfection) of all nations (1:1) ; prophets are declared to have been raised up in all the nations for their upliftment (35 : 24) all prejudices of colour, race and language are demolished 30 : 22, 49 : 13); and a vast brotherhood, extending over the world, has been established, every member of which is bound to accept the prophets of all nations and to treat all nations equally. Thus not only is the Prophet Muhammad a world-prophet who takes the place of the national prophets, but he has also established a world-religion wherein the idea of nationality is superseded by the conciousness of the unity of the human race.

All prophets, being from God, are as it were brothers. This doctrine of the brotherhood of all prophets is not only taught in the interdiction against making distinction between the prophets of God, as stated above, but si laid down in the plainest words in both the Holy Quran and Hadith. Thus, after speaking of various prophets, in the chapter entitled prophets, we are told : "Surely this is your community, a single community" (21 : 92). And again : "O apostles ! eat of the good things and do good ; surely I know what you do. And surely this is your community is one community and I am your Lord" (23 : 51, 52). Hadith also tells us that all prophets are as brothers: "The prophets are, as it were, brothers on the mother's side, their affair one and their followers are

lieving in him, is laid down in clear words. I quote the whole passage :

"And when Allah made a covenant through the prophets ; Certainly what I have given you of book and wisdom — then in apostle comes to you verifying that which is with you, you must believe in him, and you must aid him. He said, Do you affirm and accept My compact in this matter ? They said, We do affirm. He said then bear witness, and I too am the bearers of witness with you. Whoever then turns back after this, these it is that are the transgressors. It is then other than Allah's religion that they seek to follow, and to Him submits (aslama) whoever is in the heavens and the earth Willingly or unwillingly, and to Him shall they be returned Say : We believe in Allah and what has been revealed to us, and what was revealed to Abraham and Ishmeal and Isaec and Jacob and the tribes, and what was given to Moses and Jesus and to the prophets from their Lord; we do not make any distinciton between any of them, and to Him do we submit. And whoever desires a religion other than Islam, it shall not be accepted from him, and in the hereafter he shall be one of the losers" (3:80-84).

That a world-prophet is spoken of here is evident from the fact that his acceptance — "you must believe in him and you must aid him" — is made obligatory on the followers of al the prophets that had passed away before him. As prophets had been sent, according to the plain teachings of the Holy Quran, to every nation, the conclusion is obvious that the followers of every prophet are required to believe in this, the final Prophet. The distinguishing feature of the world-prophet as mentioned here is that he will "verify that which is with you ;" in other words, that he will bear testimony to truth of all prophets of the world. You may turn the pages of all the sacred books and search the secred history of every nation, and you will find that there is but One Prophet who verified the scriptures of all religions and bore testimony to the truth of the prophets of every nation. In fact, no one could aspire to the dignity of world-prophet who did not treat the whole humanity as one ; and Muhammad is the only man who did so by declaring that Prophets of God had appeared in every nation and that every one who believed in him must also believe in all the peophets of the world. Hence it is that the verse requiring a belief in all the prophets of God —a belief in Abraham, in Ishmael, in Isaac, in Jacob, in Moses, in Jesus, and finally and comprehensively in the prophets, — which occurs several times in the Holy Quran, is repeated here again, and followed by the plain

THE WORLD PROPHET AND THE WORLD RELIGION

By

Moulana Muhammad Ali

The idea of the world-prophet is not based on a solitary passage occuring in the Holy Quran, as to the extent of the mission of this or that prophet ; but is a fully developed Divine scheme. When mentioning the earlier prophets, the Quran says that Noah was sent "to his people" (7:59, 71:1), and so Hud (7:65), and Salih (7:73), and Shu'aib (7 : 85) — everyone of them was sent to his people. It speaks of Moses as being commanded to "bring forth thy people from darkness into light" (14:5) ; it speaks of Jesus as "an apostle to the children of Israel" (3:48) ; but in speaking of the Holy Prophet Muhammad, it says in unequivocal words that "We have not sent thee but to all men as a bearer of good news and as a warner" (34 : 28).The Arabic words for all men are kaffat-an lil-nas, where even al-nas carries the idea of all people, and the addition of kaffa is meant to emphasize further that not a single nation was excluded from the heavenly ministration of the Prophet Muhammad. On another occasion, also, the universality of the Prophet's mission is thus stressed : "Say, O people ! I am the Apostle of Allah to you all, of Him Whose is the kingdom of the heavens and the earth" (7:158). One thing is sure that no other prophet is spoken of either in the Holy Quran or in any other scripture as having been sent to the whole of humanity or to all people or all nations, nor is the Holy Prophet Muhammad ever spoken of in the Holy Quran as having been sent to his people only. It is, no doubt, true that he is commanded to warn "a people whose fathers were not warned" (36 : 1). but that does not mean that he was not to warn others than Arabs, for in 25 : 1, he is expressly described as being "a warner to all the nations". Nay, the Holy Quran itself is repeatedly termed "a reminder for the nations" (68 ; 52, 81 : 27, 38 ; 87, 12 : 104). And he is not only a warner to all nltions, but a mercy to all of them as well : "And We have not sent thee but as a mercy to all the nations" (21 : 107).

The idea that a world-prophet must follow the national prophets is further developed in the Holy Quran. It is in a Medina revelation, that the whole proposition, the appearance of a world-prophet, the distinguishing feature of his religion and the necessity for be-

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب
مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان
بكل شيء عليما ». (النساء : ٣٢)

It means : "And covet not the thing in which Allah hath made some of you excel others. Unto men a fortune from that which they have earned, and unto women a fortune from that which they have earned, but ask Allah of His bounty. Lo Allah is the Knower of all things" (4 : 32). Islam gives the woman the right to inherit in several cases ; as a daughter, as a mother, as a sister, as a wife etc.

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما
قل منه او كثر نصيبا مفروضا ». (النساء :٧)

It means : "Unto the men (of a family) belongeth a share of that which parents and near kindred leave, and unto the women a share of that which parents and near kindred leaveth, whether it be little or much — a legal share" (4:7). Islam does not stop at this point but gives her the right to manage civil contracts of buying and selling, allows her to appoint somebody to represent her in what she owns and to represent others in what they own, permits her to guarantee others and be guaranteed by them, in the same way as man. The Quran tresses the importance of the mutual nice company and fulfilling matrimonial obligations in order to strengthen family ties and prevent its slackening. The degree to which woman has been elevated by Islam is clear from an eminent law devised by the Quran, so as to be a solid basis for a sound family life, through this short verse :

«..ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال
عليهن درجة والله عزيز حكيم. » (البقرة:٢٢٨)

It means : "... And they women have rights similar to those (of men) over them in kindness, and men have a degree above them. Allah is Mighty, wise" (2 ; 2:8).

The views expressed in the articles are those of the authors. Hence they do not necessarily represent the views of the Magazine.

It means : "And it becometh not a believing man or a believing woman, when Allah and His messenger have decided an affair (for them), that they should (after that) claim any say in their affair ; and who so is disobedient to Allah and His messenger, he verily goeth astray in error manifest" (33 : 36),

«وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم •» (التوبة : ٧٢)

It means : "Allah promiseth to the believers, men and women, Gardens underneath which rivers flow, wherein they will abide blessed dwellings in Gardens of Eden. And — greater (far) ! — acceptance from Allah. That is the supreme triumph" (9 : 72),

« من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب • » (غافر : ٤٠)

It means : "Whoso doeth an ill deed, he will be repaid, the like thereof, while whoso doeth right, whether male or female, and is a believer, (all) such will enter the garden, where they will be nourished without stint" (40 : 40).

These are general verses that impose laws of God on both parties equaly. But the Quran puts more responsibilities on the man in the maintenance and the guidance of his family, as the Holy Quran says :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ••» (التحريم : ٦)

It means : "Oh ye who believe ! Ward off from yourselves and your families the Hell fire..." (66 : 6).

The word 'family' means wife and offspring, male and female. If the protection of one's family from Hell in the Hereafter is a duty, a thing which cannot be done without the teaching and the guidance to the rights and obligations. So it is the duty of the believers to teach themselves and their families everything necessary for their happiness in this world and the Hereafter. The Quran gives the woman equal right for learning, for free expression of opinion, the full right to possess and manage her own property, and the man is forbidden to touch anything she owns without her permission and agreement. The Holy Quran says :

« وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا •» (النساء : ٢٠)

It means : "And if ye wish to exchange one wife for another and ye have given unto one of them a some of money however great, take nothing from it. Would ye take it by the way of calumny and open wrong ? (4 : 20), and

What she had predicted did happen. The Holy Quran says : "

» وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون « (النمل : ٣٥)

It means : "But lo ; I am going to sent a present unto them, and to see with what (answer) the messengers return" (27 : 35). When the Queen's ambassadors offered their present Soliman, the Messenger said :

» فلما جاء سليمان قال اتمدوننى بمال مـا اتانى الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون« (النمل : ٣٦)

It means ; "So when (the envoy) came unto Soliman, (he) said : What ! would ye help me with wealth ? But that which Allah hath given me is better than that which He hath given you. Nay it is ye (and not I) who exult in your gift" (27 : 36). The Quran referred to the ability of woman to manage matters of good quality on a good basis without sticking to one opinion, by relating the way in which Saba' handled the matter when she received a note from Soliman. The Quran says :

» قالت ياايها الملؤا افتونى فى أمرى ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدين . قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين. قالت انالملوك اذا دخلوا قريةأفسدوها وجعلوا أعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون « . (النمل : ٣٢ ـ ٣٤) .

It means : "She said : Oh Chieftains ! Prononunce for in my case. I decide no case till ye are present with me. They said : We are lords of might and lords of great prowess, but it is for thee ; so consider what thou wilt command. She said : Lo ! Kings, when they enter a township, ruin it and make the noblest of its people meanest. Thus will they do" (27 : 23-34).

We can find here a proof of sound judgement and ability to go deep into the bottom of souls. She is not deceived by what her followers show off self esteem, strength and courage in speech. She could conceive that their attitude is the attitude of a promoter to his followers to satisfy their desires without apprehension for facts or willingness to give guidance and advice.

Now let us have a glance at the relations between the man and the woman. Quran puts the man and the woman on equal level in their responsibility before God. The Quran states no difference between people whether male or female. Each is compensated according to his deeds ; good for good and evil for evil. This principle is clearly seen in the folowing Quranic verses :

» وما كان لمؤمن ولا مؤمنةاذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا« (الأحزاب :٣٦)

Who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread abroad a multitude of men and women. Be careful of your duty toward Allah in Whom ye claim (your rights) of one another, and toward the wombs (that bare you). Lo ! Allah hath been a watcher, over you". (4 : 1)

In this verse the Quran speaks about the partnership of the man and the woman in the making of the origin of mankind. This partnership is regarded by the Quran a blessnig for which man should be pious and watchful.

The Quran preserves in the history of the woman and her attitudes towards her problems, and her capability for the grant and readiness for the offer. Recording for her depth of insight in clarifying truths, and management of matters, let us quote here the following two examples :

a) The story of Shoeb's daughter. The Quran says :

« قالت احداهما يا أبت استاجره انخيرمن استاجرت القوى الأمين » • (القصص : ٢٦)

It means : "One of the two women said : O my father ! Hire him ! For the best (man) that thou canst hire is the strong, the trustworthy" (28 ; 26).

In this verse the strength of her insight is recorded. Honesty is one of the internal qualities which could be grasped only through long life and various experiences. It is not to be grasped in one meeting or by one glimps. Shoeb's daughter had not seen Moses except when he came to Madian's waterplace and found a crowd of people watering their flocks and found her with sister struggling to find a place, he said :

«...قال ماخطبكما قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل ...» (القصص : ٢٣ ـ ٢٤)

It means : "...... He said : What aileth you ? The two said : We cannot give (our flocks) to drink till the shepherds return from the water ; and our father is a very old man. So he watered (their flock) for them. Then he turned aside into the shade..." (28 : 23-24).

The secrets of the deepest soul could not be known to a person by this bit of insight unless he has the strength of insight which Shoeb's daughter had.

b) The reference to the Queen of Saba'a. It is related that the Queen said : If he (Soliman, peace be upon him) is a true Messenger, he will not accept our present from preaching the message of God. But if he is not, he will rejoice in the present which will dazzle him and consequently avoid fighting us.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

RABI THANI 1395	ENGLISH SECTION	MAY 1975

THE STATUS OF WOMAN IN ISLAM

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

There are various talks and writings about the status of woman in Islam. Some of them hold the opinion that Islam degrades the woman, offers her a lesser fortune in life and empowers the man to marry her or divorce her when it pleases him. Some others deal with the high status of woman in Islamic legislations. There are also long talks and writings about one or two aspects in which Islam has dealt with the case of the woman i.e. polygamy, divorce, inheritence.

If we refer to the Quran, which is the supreme source of the Islamic legislations and the true guidance in these matters, we find that Islam places the woman in a place of honour, and introduces legislations, which highly cultured woman in any high standard society, would never dream of anything like to place her so highly. Only the Quran itself can illustrate to people how Islam cares for the woman. It is the arbitrator in this subject.

It is impossible to assimilate here everything said in the Quran about woman. The Quran deals with the case of the woman in more than ten 'Surahs' (chapters). But the following set of subjects dealt with in the Quran about the woman may be a guide line to see the truth in many aspects in which Islam has dealt with the status of the woman.

Original Partnership

The Holy Quran says :

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساءا واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا . (النساء: ١)

It means : "O mankind ! Be careful of your duty to your Lord

مدير المجلة
عبد الرحيم فودة
« بدل الاشتراك »
٥٠ في جمهورية مصر العربية
٦٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
في أول كل شهر عربي

« العنوان »
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء الخامس ـــ السنة السابعة والأربعون ـــ رجب سنة ١٣٩٥هـ ـــ يونيه سنة ١٩٧٥م

م ١٢
ع ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

فوق الشك والتهم

للأستاذ عبد الرحيم فودة

انهـا قدرة الله ، لا يتصـور معها عجز ، ولا يستحيل عليهـا أمر ، ولا يستبعد أمامها بعيد ، فانه جل شأنه : « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيـكون • فسبحان الذى بيـده ملكوت كل شىء واليه ترجعون » •

ولا شك أن الايمان به على الوجه الكامل السـليم يدخل فى مفهـومه الاذعان له ، والتصديق بكل ما أخبر به أو صـدر عنه ، واليقـين بأن كل ما يخبر به ويصدر عنه حق وصدق سـواء سـاغ فى العقل أمره أو غاب عنه سره ، فان العقل مع ما وصل اليه من تقدم فى مختلف ألوان العلوم لم يسـتطع حتى الآن أن يفسر حقيقـة الحياة فى الخليـة الحيـة ، ولا سر الروح فى الانسـان الحى ، ولا كنه الجاذبية التى تمسـكنا بالأرض • أو تمسك الكواكب بعضهـا مع بعض ، ولا يزال شأن الانسـان وشـأن عقله

وعلمه كما يقول الله : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ، وكما يقول : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء » بل ان كل ما وصل اليه الانسان بعقله وعلمه من حقائق الكون وقوانين الطبيعة لا يعدو مجرد الكشف والوصف ، فليس له يد فيما خلق الله بالأرض التي تقله والسماء التي تظله ، ولا فيما بين الأرض والسماء من كواكب وكائنات لا تقع تحت حصر أو احصاء ، وقد نبه القرآن الى ذلك حيث يقول الله فيه . « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه » ، وحيث يقول : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ..

وقد كان الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام بمكة الى المسجد الأقصى بالقدس عملا من أعمال الله ، كما يصرح به قوله جل شأنه : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » فكان طبيعيا أن يثير نبأ هذا الحدث الدهشة والاستغراب والانكار في وسط الشرك والافك والضلال والوثنية ، وأن يتلقاه بالتصديق المؤمنون بالله وبقدرته التي لا تعجز ، وبرسوله الصادق الذي لم يتهم بكذب من أحد قبل الاسلام ، بل لم يتهم بكذب من أعدائه في غير ما تلقاه عن الله كما يفهم من قوله له : « قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » .

ويظهر ذلك فيما ظهر من أبي جهل لعنه الله وأبي بكر رضي الله عنه فقد وجد الأول في هذا النبأ فرصة اهتبلها للتشهير بالنبي صلى الله عليه وسلم وصرف الناس عنه ، واثارة اللغط والعواصف من حوله ، أما أبو بكر رضي الله عنه فتلقاه بما عرف عنه من تصديق وثيق ، وايمان عميق ، اذ قال لمن خفوا اليه وحدثوه به : لئن قال ذلك لقد صدق ، ولما قيل له : فتصدقه في أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح .. ؟! قال : نعم ، اني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء يأتي اليه في غدوة أو روحة ...

وقد مثل كل منهما الموقف الصريح من الأســـلام ، فكان الأول صــوت المعــارضين المناهضــين ، وكان الثانى صوت المؤمنين الصــادقين ، ولم يكن الخــلاف حول الاسراء بالروح دون الجسد ، أو حول رؤيا منامية عرضت للنبى صلى الله عليه وسلم كما تعرض لغيره ، فانه بهــذا المعنى أو ذاك شيء لا يستغرب ولا يستبعد ولا تقــام له ضجة ولا يثار من حوله غبار ، وانما كان الخلاف حول الاسراء بالجســد والروح معــا ، فقــوبل من الكافرين بالانكار ، ومن المؤمنين بالتصــديق ، أولئك رأوا فيه عملا بشريا لايتصوره العقــل ، وهؤلاء رأوا فيه عمــلا الهيا يتصوره العقل ، ويؤمن به ، ويذعن له . وان خفى عليه أمره أو غاب عنه سره ...

ومن ثم نرى فى تفســـير الاسراء بأنه اسراء بالروح ليسوغ عند العقل فهمــه بعــدا عن منطق الواقع والحق والايمان ، وقربا من منطق أبى جهل ومن شــايعه على الكفــر والبهتــان ، ورحم اللهشوقى اذعلق على الاسراء والمعراج بقوله فى نهج البردة :

مشيئة الخــالق البــارى وصــنعته
وقدرة الله فــوق الشــك والتهــم

وقوله فى الهمزية .

يتســـاءلون وأنت أطهــر هيــكل
بالــروح أم الهيــــكل الاسراء

بهمــا ســموت مطهــرا وكلاهمــا
نــور وروحانيـــــة وبهـــــاء

فضــــل عليك لذى الجــلال ومنة
والله يفعــــل ما يرى ويشــاء

صلى الله عليــه وعلى آله وصحبه الذين آمنـــوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه ...

عبد الرحيم فــودة

دراسات قرآنية :

آية الله فى أصحاب الكهف والرقيم
هل يوجد كهفهم بالأردن ؟

للأستاذ مصطفى المدنى الطير

قال الله تعالى : « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا »
(سورة الكهف)

المقال الثانى

تحدثنا فى المقال السابق عن العهد الذى نشأ فيه أصحاب الكهف ، وعن العهد الذى بعثوا فيه بعد رقودهم ثلثمائة وتسع سنين ، وحققنا ما أخطأ فيه الكاتبون فى هذا الصدد ، وذكرنا أن قصتهم من بدايتها الى نهايتها كانت فى العهد المسيحى ، وأوضحنا ما فى قصتهم من آيات الله لقوم كانوا ينكرون البعث ويعبدون الأصنام ويغلبون المؤمنين على أمرهم فى عهد بعثهم .

واليوم نتحدث عن عددهم ومكان كهفهم ، وهل أجسادهم باقية أم بليت ، وهل يجوز بناء المساجد فوق القبور ، وما المراد بالمسجد الذى بنى فوقهم ، الى غير ذلك من المباحث التى تشوق النفس الى معرفتها .

عدد أصحاب الكهف

حدث خلاف فى عددهم بين أهل الكتاب والمسلمين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فبعض أهل الكتاب قال : هم ثلاثة رابعهم كلبهم ، وقائل ذلك هم اليهود ، وقيل هو السيد من نصارى نجران ــ وكان يعقوبيا ، وبعضهم قال : هم خمسة سادسهم كلبهم ، وقائلوه هم النصارى أو العاقب منهم ــ وكان نسطوريا ، وبعضهم قال : هم سبعة وثامنهم كلبهم ، وهو الحق الذى فهم من القرآن الكريم ، فقد قال تعالى : « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم » ، وعقب هذين القولين بقوله : « رجما بالغيب » أى رميا بالخبر الخفى الذى لم يصلوا الى الحق فيه ، ولما قال عقبه : « ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم » لم يصف هذا القول

بأنه رجم بالغيب ، فكان ذلك مؤذنا بأن هذا عددهم ، ولا سيما أنه قد اقترن بالواو فى قوله : « وثامنهم كلبهم » ، وعندها قطعت العدة وقال الله عقبها : « قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل » ولهذا أشار سبحانه بقطعه العدة بالصورة المذكورة وبعدم وصف القول الأخير بأنه رجم بالغيب •

وقد دل قوله : « ما يعلمهم الا قليل » على أن قلة من الناس قد وفقهم الله الى ما استطاعوا أن يعرفوا به عددهم ، وهو سبعة وثامنهم كلبهم ، قال ابن عباس ، أنا من ذلك القليل ، وقال : حين وقعت الواو انقطعت العدة ، أى لم يبق لأحد أن يذكر عددا سوى هذا ، فهو المعول عليه ، وأن الله قد أنهى العدد عند القول الأخير الذى فيه واو الثمانية ، فيكون هو عددهم ، وقد وافقه الامام على فى أن هذا هو عددهم ، وبه قال المسلمون استنباطا من الآية الكريمة مخالفين معظم أهل الكتاب •

هل يوجد كهفهم فى الأردن ؟

ذهب جماعة من العلماء الى أن الكهف فى الأردن ، فقد ذكر الهروى أن البلقاء بلد به الكهف والرقيم ، عند مدينة يقال لها عمان ، بها آثار قديمة ، ووافقه ياقوت ، وقال القدسى : الرقيم قرية على فرسخ من عمان على تخوم البادية ، فيها مغارة لها بابان صغير وكبير •

وروى عن ابن عباس أن الرقيم واد بين غضبان وأيلة دون فلسطين ، وفيه أصحاب الكهف ، وغضبار بالضاد المعجمة واد بالشام •

وقد دفع هذا رجال مصلحة الآثار بالمملكة الأردنية الى التنقيب عن الكهف فى تلك المنطقة ، حتى كشفوا آثارا وكهفا أعلنوا أنه كهف أهل الكهف الذين جاء ذكرهم بالقرآن الكريم ، وفى سنة ١٩٦٦ م ظهر كتاب للأستاذ رفيق الدجانى المساعد الفنى لمدير الآثار العربية بالأردن ، ذكر فيه أنهم اكتشفوا الكهف بالرجيب هناك ، وقبل اكتشافه اياه عثر على ثلاثة كهوف جميلة النقش والزخارف ، ثم عثر على آثار مسجد بنى على بقايا صومعة بيزنطية فوق الكهف الذى يبحث عنه مباشرة ، والصومعة أنشئت فى عهد الملك جستنيوس ، بين سنتى ٥١٨ — ٥٢٧ والمسجد الذى بنى على بقاياها ، بنى فى عهد عبد الملك بن مروان ، وقال : ان صلاح الدين الأيوبى زار

الكهف ، كمـا أثبتته الكتـابة التى بداخله ، ثم عثر على مسجد آخر أمام الكهـف ، ووجد بداخـل الكهـف نقوشا بيزنطية وكتابة بالخط الكوفى واليونانى القديمين ، ولكنهـا لم تقرأ بعد ، واكتشف رسما باللون الأحمر لحيوان يشبه الكلب ، وحوله كثير من الكتـابات والرموز بالخـط اليونانى القديم ، وعلى ثمانية مدافن من العهد البيزنطى •

ويقول الأستاذ الدجانى : ان بقايا الصومعة التى بنى عليها المسجد فوق الكهف تدل على أنها هى المسجد الذى قال الله تعالى فيه : « لنتخذن عليهـم مسـجدا » وأن الكهف الذى تحتهـا هو كهفهم ، وأن هذا الاستنتاج لأن الشمس لا تدخل كهف الرجيب كما جاء فى القرآن الكريم أنها لا تدخله، وأن به ثمانية قبور بعدد أصـحاب الكهف ، وأن صـورة كلبهـم على جداره الخ •

وقد ذكرنا أن بعض علمائنا الأولين ذهب الى أنه فى الأردن ، فلهـذا يحتمـل أن يكون كشف مصـلحة الآثار الأردنيـة أوصلنـا الى الكهف القرآنى ، ولقـد كان شـيوع هذا الاحتمال قديمـا دافعـا للمسلمين والمسيحيين أن يبنـوا المعـابد بتلك المنطقة •

لكن هذا الاحتمال لم يكن قطعيـا عند قائليه الأولين ، وليست الشواهد والآثار التى قالها الأستاذ الدجانى عن كشف الأردن كافية لتحويل الاحتمال الى حقيقة علمية ، فان الكهوف توجد فى كل بلد به جبـال ، وفى جبـل المقطم عدة كهوف ،وفى غيره كذلك، ووجود صـومعة رومانيـة فوقه ليس كافيـا فى الدلاله على أنه هو الكهف الذى عناه القرآن ، بدليل قوله انهـا بنيت بين سنتى ٥١٨ ــ ٥٢٧ فان هذا التاريخ بعـد بعث أصـحاب الكهف بفترة طويلة ، فلهـذا لا يصـلح أن يكون دليلا على أنها هى المسجد الذى حكاه الله بقوله : « قال الذين غلبـوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسـجدا » فانه قد اتخذ عقب وفاتهم مباشرة كما جاء فى التاريخ وكما هو الظـاهر من النص القـرآنى ، فأى مانع مـن أن يكون أثرا لكنيسة من العهد الرومانى المسيحى ، بنيت هنـاك اما لظن أنه كهف أهـل الكهف ، أو لأن هـذه المنطقـة كانت عامرة بالسـكان المسيحيين ، فبنوها ليصلوا فيهـا ، أو

لأنها مقبرة والمساجد والمعابد توجد كثيرا بين المقابر ، كما فى مساجد المماليك بصحراء الدراسة .

وعدم دخول أشعة الشمس للكهف الذى فى الأردن ، ليس دليلا على أنه الكهف القرآنى فانها لا تدخله لموقعه الجغرافى ، فقد كان موقع كهفهم يسمح بدخولها ، ولكنها كانت تنحرف عنه باذن الله وصرفه لها ، قال تعالى : « وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله » فالآية الكريمة اعتبرت عدم دخول أشعة الشمس اليهم من آيات الله ، وليس ذلك لموقع الكهف الجغرافى .

والقبور الثمانية التى وجدت فى الكهف ليست دليلا قاطعا على أنها قبورهم ، فقد تكون قبورا لبعض عظماء البيزنطيين ، ولو قال الأستاذ انهم وجدوا كتابة رومانية قديمة تثبت أنه كهفهم لكان ذلك حجة قاطعة .

ويلاحظ أن الصورة المرسومة باللون الأحمر قال عنها الأستاذ الدجانى انها تشبه صورة كلب ولم يقطع بأنها صورة له ، والكتابات والرموز التى حولها لم يحلوها حتى يتحقق من مفهومها فلهذا كله يبقى الأمر على الاحتمال دون القطع بأنه فى الأردن ومن أجل ذلك ذهب بعض العلماء الى أنه فى أفسوس أو طرطوس ، قال الآلوسى : جمع بعضهم بين الروايتين بأن اسم بلدهم يوم خرجوا منها كان أفسوس ، ولما رقدوا هذه المئات من السنين تغير اسمها فأصبح طرسوس : أ ه .

وكهفهم قريب من مدينتهم ، وأفسوس وطرسوس فى ولاية قبدونيا بالأناضول ، وهذا يقتضى أن هؤلاء الفتية من أهل هذا الاقليم ، ويؤيده ما أخرجه ابن أبى شيبة وغيره عن ابن عباس (١) قال : غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم (٢) فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن ، فقال معاوية : لو

---

(١) هذه رواية أخرى عن ابن عباس غير التى سبقت وأفادت أنهم فى الأردن .

(٢) هى منطقة الاناضول .

كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم ، فقال ابن عباس : ليس ذلك لك ،قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال : « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » فقال معاوية : لا أنتهى حتى أعلم علمهم ، فبعث رجالا وقال : اذهبوا فادخلوا وانظروا ، فذهبوا فلما دخلوا بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم .

وقد تعددت الكهوف التى فوقها المساجد ، ففى كتاب البحر لأبى حيان أن بالشام كهفا للموتى ، يزعم جيرانه أنهم أصحاب الكهف ، وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ، ومعهم كلب رمة ، وبالأندلس فى جهة غرناطة بقرب قرية تسمى (لوشة) كهف موتى ومعهم كلب رمة ،وأكثرهم قد انجرد لحمه وبعضهم متماسك ، وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شأنهم ، ويزعم ناس أنهم أصحاب الكهف ،قال ابن عطيه : دخلت عليهم فرأيتهم سنة أربع وخمسمائة ، وهم بهذه الحالة ،وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء رومى يسمى الرقيم ، كأنه قصر مخلق (١) قد بقى بعض جدرانه، وهو فى فلاة من الأرض خربة ، وبأعلى حصن غرناطة مما يلى القبلة ، آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس ، وجدنا فى آثارها غرائب : أ . هـ .

وقد عثر على كهف فى شبه جزيرة اسكندنافية ، به سبع جثث غير بالية ، فمن تضارب الأقوال فى مدينة أصحاب الكهف وكهفهم ، لا نستطيع الجزم بمكانهما ، وكل الذى نستطيع الجزم به هو قصتهم التى جاءت فى القرآن الكريم ، وأنهم آية من آيات الله تعالى ، وندع العلم بما وراء ذلك الى علام الغيوب .

هل بليت أجسامهم ؟

من العلماء من يقول ببقاء أجسامهم حتى الآن ، لظاهر قوله تعالى : « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا » وقد روى ما يشهد لذلك ، أخرج ابن أبى حاتم عن شهر بن حوشب قال : (كان لى صاحب ماض شديد النفس ، فمر بجانب الكهف ، فقال : لا أنتهى حتى أنظر اليهم ، فقيل له لا تفعل ، أما تقرأ : « لو اطلعت عليهم » الآية ، فأبى الا أن ينظر ، فأشرف عليهم ، فابيضت عيناه

(١) أى بال وأملس :

وتغير شعره ، وكان يخبر الناس بأن عدتهم سبعة ، وروى أن عبادة بن الصامت لما بعثه أبو بكر رضى الله عنه رسولا الى ملك الروم يدعوه الى الاسلام ، مر على مغارة فيها أجسام غير بالية ، عليها قيم يمسحها ويعتنى بها .

ومن العلماء من يقول : ان أجسادهم بليت كشأن كل الأجساد ، وان الحالة الموجودة فى القرآن الكريم كانت لهم وهم رقود قبل بعثهم ، فالحياة كانت فيهم وهم نيام ، وان كانت لا تستتبع كل آثارها ، وما روى من الأخبار فى شأن وجود أجسامهم ، لا يرتقى الى درجة القبول رواية ، فضلا عما فيه من التضارب .

بناء المساجد فوق القبور

استدل بعضهم بقوله تعالى : « لنتخذن عليهم مسجدا » على جواز بناء المساجد فوق قبور الصالحين وجواز الصلاة فيها — ذكره الشهاب الخفاجى فى حواشيه على البيضاوى — وأساس هذا الاستنباط أن شرع من قبلنا شرع لنا ، ما لم يرد فى شرعنا ما ينسخه ، وهؤلاء قوم مسيحيون بنوا كنيسة سماها القرآن مسجدا ، لأنها مكان للصلاة التى يعبر عنها بالسجود أحيانا ، وبما أن القرآن ذكر ذلك دون أن يعقب عليه بما يفيد عدم الرضا ، فذلك يدل على جوازه عند من قبلنا ، فلذلك يجوز لنا مثله ، نظرا للقاعدة المذكورة ، وهذا رأى باطل ، فقد روى أحمد وأبو داود وغيرهما عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وجاء فى حديث رواه مسلم : « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك » وأخرج الشيخان وأحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأخرج أحمد والطبرانى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شرار أمتى من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد » الى غير ذلك من الأحاديث الشريفة المانعة من اتخاذ القبور مساجد ، وذكر ابن حجر فى كتابه (الزواجر) أن بعض الشافعية عدوا من الكبائر اتخاذ القبور مساجد والصلاة اليها واستلامها والطواف بها ونحو ذلك ،

تجنيبا للمسلم من مشابهة الوثنيين فى عبادتهم لعظماء من قبلهم (١) ، واتخاذ القبر مسجدا معناه الصلاة عليه أو اليه .

والآية الواردة فى بناء مسجد فوق أهل الكهف ، لا تعطى تشريع الجواز ، فانه ليس من عمل رسول سابق حتى يكون شرعا لمن قبلنا ، بل هو من عمل الناس ، ولا يعرف ان كان ما عملوه مشروعا فى دينهم أو ليس مشروعا ، فضلا عما جاء فى شرعنا من الأحاديث الناهية عنه .

ويلاحظ أن الآية لم تنص على أنهم بنوا المسجد فعلا ، بل عزموا على بنائه : « لنتخذن عليهم مسجدا » واعلم أن اتخاذ المسجد قرب القبر والقبر خارجه ليس ممنوعا شرعا .

الرقيم وأصحاب الغار

قد علمت مما سبق أن أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم ، وأن القصة واحدة ، وقد ذهب بعض العلماء الى أن لأصحاب الكهف قصة تختلف عن قصة أصحاب الرقيم ، فأما قصة أصحاب الكهف فقد ذكرها الله صراحة فى سورة الكهف ، وأما قصة أصحاب الرقيم فقد أشار اليها القرآن بقوله : « أصحاب الكهف والرقيم » أى أصحاب الكهف وأصحاب الرقيم ، وقد تكفلت السنة ببيان قصة أصحاب الرقيم وهم أصحاب الغار الثلاثة ،أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يمشون ، اذ أصابهم مطر ، فآووا الى غار فانطبق عليهم فقال بعضهم لبعض : انه والله ياهؤلاء لا ينجيكم الا الصدق ، فليدع كل رجل منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه ، فقال واحد منهم : اللهم ان كنت تعلم أنه كان لى أجير عمل على فرق من أرز ، فذهب وتركه ، وانى عمدت الى ذلك الفرق فزرعته ، فصار من أمره أنى اشتريت منه بقرا ، وأنه أتانى يطلب أجره ، فقلت اعمد الى تلك البقر فسقها ، فقال لى : انه لى عندك فرق من أرز ، فقلت : اعمد الى تلك البقر فانها من ذلك الفرق فساقها ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك

---

(١) والانتهاء الى مثل ما انتهوا اليه مع مرور الزمن وتراخى الدعاة فى تبليغ شرع الله أو فقدانهم .

من خشيتك ففـرج عنـا ، فانساحت عنهم الصخرة ، فقال الآخر : اللهـم ان كنت تعـــلم أنه كان لى أبوان شـيخان كبيران ، فكنت آتيهمـا كل ليلة بلبن غنم لى ،فأبطأت عليهما ليلة ، فجئت وقد رقدا وأهـلى وعيـــالى يتضـــاغون (١) من الجـوع ، فكنت لا أســـقيهم حـتى يشرب أبواى ، فكرهت أن أوقظهمـــا ، وكرهت أن أدعهما فيستكينا لشربتهما ، فلم أزل أنتظـر حتى طلع الفجـر ، فان كنت تعلم أنىفعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا ، فانساخت الصـخرة حتى نظروا الى السماء ، فقال الآخر : اللهـم ان كنت تعلم أنه كان لى ابنة عم من أحب الناس الى ، وأنى راودتها عن نفسها فأبت الا أن آتيها بمائة دينار ، فطلبتها حتى قدرت ، فأتيتها بها فدفعتها اليها ، فأمكنتنى من نفسها ، فلما قعـدت بين رجليها قالت : اتق الله تعالى ولا تفض الخاتم الا بحقه ، فقمت وتركت المائة دينار ، فان كنت تعلم أنى فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنـا ، ففـرج الله عنهم فخرجوا ».

والرقيم على هذا محل فى الجبل ، والقصة المذكورة وان كانت عجبا من آيات الله تعـــالى ــ فقـد أزاح الله الصخرة عنهم لما توسلوا اليه بالأعمال الصالحة ــ لكنها ليست قصة أصحاب الرقيـم الذين يتحدون مع أصـحاب الكهـف ذاتا وموضـوعا ، على ما هو ظاهر من ســوق القصـة ــ وهذا هو ما اختاره الجمهور ، والله تعالى هو الموفق للصواب .

مصطفى محمد الطير

---

(١) أى يتصايحون

مفهوم الصدقة فى الإسلام

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله الا الطيب ـ الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله .

أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما بطرق وألفاظ مختلفة .

تربو : تزيد وتعظم . الفلو كعدو وكجرو . المهر الصغير من الخيل ، والفصيل ولد الناقة الصغير .

الصدقة فى عرف الاسلام العام كل خير وبر ومعونة تسديه لنفسك أو غيرك فتفرج من كربه وتخفف من بؤسه ، وفى الحديث الصحيح يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة وتجزى من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وفى حديث آخر أن رجلا سأل رسول الله عن أفضل الأعمال فذكر له بعضها ، فقال الرجل : أرأيت ان ضعفت عن بعض العمل قال : تكف شرك عن الناس فانها صدقة منك على نفسك .

وفى العرف الاسلامى الخاص أن الصدقة هى المال الذى تتبرع به لغيرك سواء كان فرضا كالزكاة أو ندبا كغيرها . وقد استعمل القرآن الصدقة فى الزكاة المفروضة فقال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الآية ، واستعملها فى غيرها فقال تعالى : « ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لهم ولهم أجر كريم » .

والصدقة على اختلاف استعمالاتها سميت صدقة لأنها تدل على صدق المؤمن فى ايمانه وتمكنه من نفسه واستجابته لأمر ربه ، كما تدل على طهارته من رذيلة البخل التى تمقتها الأديان وتستقبحها العقول والمروءات ، فالبخل شر ما يقرن به المرء من الصفات والرذائل .

والتصدق والانفاق لفظتان تكررتا فى القرآن كثيرا فى معرض الحث على البر بالأفراد والجماعات وفى مدح هذا البر وبيان فضله والجزاء عليه وفى بيان كمال الايمان به وفى معرض الانكار على البخلاء بما آتاهم الله وفى بيان أدب الانفاق والتصدق ، ومن ذلك قوله تعالى : « ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » .

وقال تعالى : « الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ومما تضمنته السنة فى بيان فضل الصدقة واستحبابها من الله وضمان نيل الثواب عليها ما جاء فى هذا الحديث ، فقد صور الحديث مكان الصدقة عند الله ووقعها لديه ، وكيف يتلقاها ويجزى عليها بأنه يأخذها بيمينه ويكثر الثواب عليها وليس أبلغ اغراء بالصدقة وأقوى حثا عليها من هذا الحديث وكيف يعرف المسلم أن الله يتلقى صدقته هذا التلقى ثم لا تنبسط يده ولا تسخو نفسه بكل ما يملك لينال هذا الفضل والرضا فحسن تلقى الله للصدقة الذى عبر عنه الحديث بأن الله يأخذها بيمينه يهيج أشواق المسلم الى المبادرة فى هذا الميدان للحصول على منازل الأبرار المقبولين عند الله ، وتزيد أشواقه اهتياجا الى البذل حين يعلم ما أعد له من المكافأة على بذله وانفاقه وأنه ليس بمقدار ما بذل فحسب بل يتكاثر ثوابه ويعظم شيئا فشيئا بفضل الله واحسانه حتى يصير ثواب القليل من الصدقة وهو ما يعدل تمرة أى قيمة تمرة كالجبل العظيم ضخامة وارتفاعا

وتناظر هذه الزيادة المعنوية فى واقع الحس زيادة المهر الصغير أو فصيل الناقة يربيه صاحبه ويعنى به غذاء ورياضة حتى يصير فرساكبيرا أو بعيرا ضخم الجثة رائع المنظر يبهج صاحبه ويملؤ نفسه اعجابا وسرورا .

وينبغى أن تعرف أن الصدقة التى يحبها الله والتى تكفل بمضاعفة الأجر عليها هى الصدقة من المال الطيب أى الحلال أو الجيد لا الحرام الخبيث أو الردىء الخسيس ، لأن الله طيب لا يقبل الا الطيب ، والمال الحرام المحتاز بالغصب والنصب أو الغش والاختلاس أو السرقة هو مال خبيث ليس ملكا لمن هو فى يده ، فالمتصدق به متصرف فى أموال الناس وأملاكهم لا يقبله الله منه بل يرده عليه ويلعنه به .

والصدقة بأنواعها المالية وغير المالية طريق من الاحسان شرعه الله ليكون وثاقا يربط الجماعات بعضها ببعض ويضم بعضها الى بعض فتتألف وحدة متناسقة متماسكة متعاونة متضامنة يسودها الود والاخاء وتتجاوب أحاسيسها بالتعاطف والاشفاق ، فليس أفعل فى النفوس وأقوى فى اجتذابها وائتلافها من الاحسان وخاصة الاحسان بالمال اذ به قوام الحياة وقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، ولمكانه وحسن أثره فى الجماعات لم يقصره الاسلام على المسلمين بعضهم لبعض بل حث عليه وامتدحه واستحبه للمسلمين وغير المسلمين ، وقد قرر الفقهاء استنادا الى أصول الأدلة من الكتاب والسنة استحباب التصدق على المحتاجين من غير المسلمين الا التصدق بنوع خاص من الصدقات وهى الصدقة المفروضة أعنى الزكاة والصدقة التى يحبها الله وتحظى منه بالرضا والقبول هى الصدقة من الحلال كما قدمنا وهى التى يصاب بها مواضع الحاجة ويبتغى بها وجه الله خالصا والاعتماد فى ذلك على النيات ولكل امرىء ما نوى كما قال رسول الله والله هو العليم بالمقاصد والنيات .

وقد ذكر بعض المفسرين فى تفسير قوله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم » .

وقد ذكر ما فى شروط القرض الحسن وجوها : أن يكون حلالا فان

الله طيب لا يقبــــل الا الطيب وألا يكون رديئــا وأن يعطى للأحــوج فالأحوج وأن يكتم الصدقة ولا يتبعها المن والأذى وأن يقصد بها وجه الله دون الرياء وألا يسـتكثرها وان كانت كثيرة ، وأن تكون من المـال المحبوب عنده ، وألا يرى لنفســه عزة الغنى ويرى للفقــير ذلة الفقــر وأن يكون الانفاق فى حال رجاء الحيــاة وطول الأمل .

وقد ضرب الله أمثـــالا فى آيات كثـيرة لمواضـع الحاجات والاحسان بالصــدقات كاليتيـم والمسـكين وابن السبيل والمجاهد والغارم الذى أثقلته الديون ونحو ذلك مما يعتبر نمــاذج يلحق بهــا غيرها لأن مواقع الحــاجة لا تنحصر .

والأصل فى الاستحقاق هو الحاجة والاعواز بتقدير المحسن وغلبة ظنه ، والمؤمن المخلص يقود الهامه ويهديه ايمانه الى الحق والصواب .

أبو الوفا المراغى

سطور من كتب التراث

قــال الامام على بن أبى طــالب ان الاستغفار درجة العليين . وهو واقع على ستة معان (أولهــا) النـدم على ما مضى . (الثانى) العــزم على ترك العودة اليه أبدا . (الثالث) أن تؤدى الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله ســبحانه أملس ليس لك تبعــة . (الرابع) أن تعمــد الى كل فريضــة ضيعتها فتؤدى حقهــا . (الخامس) أن تعمد الى اللحم الذى نبت بالسحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصــق الجلد بالعظـم وينشــأ بينهمــا لحم جديد . (الســادس) أن تذيق الجســم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية ... فعند ذلك تقول : أستغفر الله ؟

من (الكشــكول) لبهـــاء الدين العاملى ص ٣٢٦

من هدى السنة :

الرحمة بالحيوان

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

— ٣ —

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش ، فوجد بئرا ، فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فاذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان قد بلغ منى ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقى ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يارسول الله ، وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر » .

(متفق عليه)

البيان :

عرضنا فى المقال الأول لتفسير الكلمات اللغوية ، وبينا بعض مقاصد الحديث وقلنا فى المقال الثانى : من نظر فى شرعة الاسلام نظرة فاحصة وجدها تشتمل على كثير من التعاليم والأحكام التى تحقق الرحمة بالحيوان ورعايته فى صورة رائعة مشرقة ، وذكرنا لهذا خمسة أمثلة ، ونحاول فى هذا المقال أن نذكر أمثلة أخرى فنقول :

٦ ـ أخبرنا الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه بحصول المسلم على أجر الصدقة ، وجزاء الاحسان اذا زرع زرعا ، أو غرس غرسا ، فأكل منه انسان أو طير أو بهيمة ، فقال عليه الصلاة والسلام :

ما من مسلم يزرع زرعا ،أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة .

فترتب أجر الصدقة على أكل الطائر أو البهيمة من الزرع أو

(١) متفق عليه ، ورواه احمد والترمذى عن انس رضى الله عنه .

الغرس يجعل المسلم رحيما بالطير والبهائم راضيا بما تنال من ماله ليظفر بكريم الأجر وعظيم الجزاء .

٧ ـ أعلمنا عليه الصلاة والسلام أن رحمة الله تعالى يكون أهلا لها من كان رحيما بخلقه ، فقال صلوات الله وسلامه عليه :

(انما يرحم الله من عباده الرحماء) (١) وقال : (الراحمون يرحمهم الرحمن) (٢) ولا ريب أن كل مؤمن يتطلع شوقا الى رحمة ربه ، ويحاول أن يلتمس اليها سبيلا ، فاذا عرف أن سبيلها هو الرحمة بخلق الله عامة دفعه ذلك الى الرأفة بجميع المخلوقات على اختلاف أجناسها ، ورعايتها بكل ما يستطيع من جهد وطاقة ليكون نصيبه من الرحمة الالهية موفورا ، وعطاؤه جليلا .

٨ ـ أعلن صلى الله عليه وسلم عقاب من جانب الرحمة مع الحيوان الأعجم الذى لا يعبر بغير لسان الحال عن ألمه ، فحدثنا عن حال امرأة استحقت دخول النار ، ولحقها سوء العذاب بسبب حبسها لهرة ، وعدم اطعامها وسقيها حتى ماتت ، فقال :

(عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها وسقتها اذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) (٣)

(خشاش الأرض) بفتح الخاء ، ويجوز ضمها وكسرها يراد به هوامها وحشراتها .

وفى هذا تحذير شديد ، ووعيد رهيب لمن يعامل الحيوان بقسوة ، أو يقترف سببا يكون فيه تعذيبه ، واهلاكه .

٩ ـ أرشد القرآن الكريم والسنة النبوية الى أهمية بعض أنواع من الحيوان فى الجهاد والاعداد للقتال ، والرباط فى سبيل الله ، وارهاب العدو ، وتحقيق النصر والفلاح ، ومضاعفة المثوبة والجزاء ، واليك بعض هذه النصوص التى تدل على ما ذكر .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه عن أسامه بن زيد رضى الله عنهما .
(٢) بعض حديث رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما .
(٣) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

(أ) قال الله تعالى فى التجهيز للأعداء ، واعداد العدة لهم لالقاء الرعب فى قلوبهم : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (١) .

(ما استطعتم من قوة) ما تقدرون عليه ، وتتسع له طاقتكم من كل ما يتقوى به فى الحرب ، ويكون وسيلة للنصر ، وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فسر القوة بالرمى .

عن عقبة بن عامر الجهنى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر يقول :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمى ، ألا ان القوة الرمى ، ألا ان القوة الرمى » (٢) .

فتفسيره صلى الله عليه وسلم للقوة بالرمى ، والاقتصار عليه فى مقام البيان ، والتأكيد بالذكر ثلاث مرات ، والاعلان من فوق المنبر ـ يدل كل هذا على الحاجة القصوى الى الرمى ، وتعينه فى ارهاب العدو ، وردعه ، وصده عن اغتصاب الحقوق ،واحتلال الأرض ، وانتهاك الحرمات والمقدسات .

ولم يذكر القرآن الكريم نوع القوة التى طلب منا أن نعدها ، ولم يحدد رسول الله صلى الله عليه وسلم نوع المرمى به ليكون تعيين نوع القوة ، وتحديد المرمى به فى كل عصر بما يرهب أعداء الاسلام .

وفى هذا آية كبرى على صدق القرآن الكريم ، وبقائه مصدرا للهداية والارشاد فى كل زمان ومكان .

وحجة باهرة على نبوته صلى الله عليه وسلم ،وعموم رسالته ، واستقامة منهجه ، وسداد توجيهاته فى جميع الحالات .

(ومن رباط الخيل) أى اعدادها للجهاد فى سبيل الله ـ وتخصيص الخيل بالذكر يدل على عظيم أثرها فى محاربة العدو حربا نفسية ، واضعاف روحه ، واتلاف أعصابه ،

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.

(٢) رواه مسلم .

وازعاج قلبه ، فيسهل التمكن منه ، والنصر عليه •

(ب) وللاعلام بفضل الخيل وفضل رباطها فى سبيل الله ، وكونها وسيلة لتحقيق العز والنصر - أقسم جل شأنه بخيل الغزاة ، ووصفها بثلاث صفات ، وذكر بعض أعمالها (فقال:

« والعاديات ضبحا • فالموريات قدحا • فالمغيرات صبحا • فأثرن به نقعا • فوسطن به جمعا » (١) •

« والعاديات » جمع عادية مشتقة من العدو ، وهو الجرى •

« ضبحا » الضبح صوت أنفاس الخيل أثناء جريها •

فالله سبحانه أقسم بخيل الغزاة التى تعدو وتجرى نحو العدو ، وهى من شدة جريها ترتفع أنفاسها ، ويسمع لها زفير شديد •

« فالموريات » جمع مورية ، مأخوذة من الايراء ، وهو اخراج النار بمثل الزناد •

« قدحا » القدح الصك والضرب لاخراج النار •

أى فالخيل التى تخرج النار من صك حوافرها بالحجارة ، فيتطاير منها الشرر لشدة عدوها وجريها نحو العدو •

« فالمغيرات » جمع مغيرة من الاغارة على العدو بمعنى الهجوم عليه لقتله ، أو أسره أو استلاب ماله « صبحا » فى وقت الصباح •

أى فالخيل التى تغير على العدو وقت الصباح ،وكان من عادة السابقين أنهم اذا أرادوا الغارة ساروا ليلا حتى لا يفطن اليهم أحد ، وباغتوا العدو صبحا ، فالخيل أداة هامة فى مباغتة العدو ،والهجوم عليه فى وقت الصباح الذى تتحقق فيه المفاجأة ، والأخذ على غرة •

« فأثرن به نقعا » الاثارة التحريك والتهييج ، والنقع الغبار ، أى فهيجن فى ذلك الوقت الذى تقع فيه الاغارة غبارا لشدة العدو والجرى •

« فوسطن به » فتوسطن ودخلن فى ذلك الوقت •

« جمعا » من جموع الأعداء ففرقنه •

---

(١) سورة العاديات من آية ١ الى ٥

أى فتوسطن ودخلن فى وقت الاغارة جمعا للأعداء ففرقنه ،وأضعفن شوكته .

(ج) وفى التفاؤل بها وأنها وسيلة لتحقيق العز والنصر والاسعاد فى الدنيا والآخرة قال صلى الله عليه وسلم :

(الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة) (١) .

(معقود) أى ملازم (نواصيها) النواصى جمع ناصية ، وهى الشعر المسترسل على الجبهة - وخصت بالذكر لأن العرب تقول : فلان مبارك الناصية ، فتكنى بها عن جميع الذات ، أى مبارك الذات ، فتكون الناصية فى الحديث كناية عن جميع ذات الفرس، وافادة أنها كلها ملازم لها الخير والبركة .

ويصح فى التعليل أن يقال : انما خصت الناصية بالذكر لكونها المقدم منها ، فيكون فى هذا اشارة الى أن الخير يكون فى الاقدام بها على العدو ومواجهته دون المؤخر منها ، لما فيه من الاشارة الى الهزيمة والادبار .

(د) وفى بيان نوع الخير المعقود فى نواصى الخيل قال صلوات الله وسلامه عليه :

(الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والمغنم) (٢) .

(الأجر والمغنم) الأجر والثواب المترتب على اتخاذ الخيل مادة للجهاد، والمغنم المال الذى يؤخذ من الكفار عند قتالهم - فقوله عليه الصلاة والسلام :

(الأجر والمغنم) بيان للخير الملازم لنواصى الخيل المذكور فى صدر الحديث .

(هـ) وفى فضل رباط الخيل فى سبيل الله ، وما ينال به المؤمن من عظيم الأجر . قال صلى الله عليه وسلم :

(من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيامة) (٣) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .
(٢) رواه البخارى ومسلم عن عروة البارقى رضى الله عنه .
(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(شبعه) بكسر الشين وفتح الباء ، أى ما يشبع به من الطعام .

(وريه) بكسر الراء وتشـديد الياء ، أى ما يروى به من المـاء .

(وروثه وبوله فى ميزانه) المراد أن الثواب على ذلك يوضع فى ميزان الحسنات لصاحب الفرس .

هذا وبالرغم من تطور الأسلحة فى عصرنا ، واسـتخدام آلات حديثـة لمحاربة الأعداء ـ لا يزال للخيل دور هام فى الأعمال الحربية ، وصيانة أمن الدولة فى حالات وأماكن لا يقوم فيها غير الخيل مقام الخيل .

والنصوص الواردة فى فضل الخيل ومزاياها تحمل كل مسلم على العناية بها والاحسان اليهـا ، والحرص على سـلامتها ، وتوفـير راحتهـا رجاء الحصـول على ما تكون سببا فيه من طيب الأثر ، وعظيم الأجر ؟

منشاوى عثمان عبود

الحديث موصول

سطور من كتب الترا ث

حكى أن بعض الأطبـاء كان فى خدمة بعض المـلوك فى غزوة . ولم يكن معه كاتب وقت النصرة . فطلب الملك من الطبيب أن يـكتب للـوزير بعلمـه بذلك . فكتب اليه : أما بعـد فانا كنا مع العـدو فى حلقـة كدائرة « البيمارستان » حتى لو رميت بصاقة لـما وقعت الا على فيفـال . فلم تكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو « بحران » عظيـم . فهلك الجميـع بسعادتك يا معتدل المزاج .

وقريب من هـذا قـول من كان رياضيا حين احتضر : اللهم يا من يعلم قطر الدائرة .ونهاية العدد . والجذر الأصـم . اقبضنى اليـك عـلى زاوية قائمة .واحشرنى على خط مستقيم ؟

من (الكشكول) للعاملى ص ٢١١

البخاري المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعي

— ٤ —

لم أجد قوما يعيشون على مراحل من عقولهم كمن يعترض ـ مثل صاحب كتاب خرج على الناس ـ على أحاديث لم يخطر ببال عاقل طيلة أربعة عشر قرنا أن ينال منها أو يوهنها الا ما كان من بعض أصحاب المذاهب الهدامة والآراء المضلة •

١ ـ من ذلك حديث أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عائشة على جميع النساء كفضل الثريد على الطعام » •

٢ ـ حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أرسل ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه فرجع الى ربه فقال : أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت • قال : ارجع اليه وقل له : ليضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال : أى رب ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت قال : فالآن » رواه البخارى وفى رواية لمسلم « قال ملك الموت لموسى : أجب ربك فلطم موسى عين الملك ففقأها فردها الله عليه » •

ومدار الاعتراض كما جاء فى الكتاب (اياه) كيف يجزم النبى صلى الله عليه وسلم بتحديد الكمال وحصره فى مريم وامرأة فرعون وهو لا يعلم عدد الأمم ولا عدد النبيين الذين سبقوه حسبما قال الله عنهم : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وقوله تعالى :

(ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات) •

ثم يقول : (ولا يمكن أن يكون هذا التفضيل الا بتعصب النبى لزوجته) ثم ينزل فى العبارة الى حد قوله (اذا صدقنا هذا الحديث وأخذنا بمقتضاه فاعتبرنا عائشة هى الفت واعتبرنا زينب هى عسل النحل أو المن أو السلوى فأيتهما يكون أفضل) .

والجواب أن المعترض بعيد عن فهم القرآن لأن الأسلوب الذى تعاطاه فى اقامة الحجة القرآنية لتوهين الحديث أسلوب صغير لا عهد بمثله فى ساحة العلم والبحث منذ عرف الناس البحث والنظر بين الرجال .

فقوله تعالى : (ومنهم من لم نقصص عليك) ويأخذ منها نفى العلم لدى النبى صلى الله عليه وسلم بعدد النبيين كأن نفى التفصيل يشمل الاجمال وكأن نفى العلم بالأمم يمنع العلم بحال مريم وامرأة فرعون ، وكأن صاحب هذا الكتاب نسى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وكل كلامه صلى الله عليه وسلم اخبار بما يوحيه الله اليه ، فهل الآية التى تنفى تفاصيل القصص المتعلقة ببعض الأنبياء تغلق باب الوحى فلا يوحى اليه ببعض مكنون ما أجمله وطواه عنه ؟ هل قال الله فى كتابه : انك لا تعلم عدد الأنبياء ولا تعلم من كمل من النساء حتى تكون الآية نصا فى المعارضة ؟

لذلك ننعى على ذوى السلطان وأهل الحل العقد اطلاقهم الحرية لكل من يتصدى للكتابة فى الحديث بغير وسائل حتى من اللغة العربية التى نزل بها الوحى ، فلو أنهم عقدوا امتحانا أوليا لمن يريد أن يرخص له فى اقتحام قدس الدين لما أصبنا بهذا البلاء الذى يتفجر من تحت أرجلنا من كل عطلة همزة لمزة .

اذ لو كلف المؤلف لذلك الكتاب نفسه مؤنة فتح كتاب كالمصباح المنير لوجد فى صفحة ٥٦٩ أن أهل الحجاز اذا أطلقوا لفظ الطعام عنوا به البر خاصة ، واذا قال صلى الله عليه وسلم : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » يعنى البر أو القمح بسائر أنواعه ، جيده ورديئه . فليس ثمة مجال لذكر العسل أو المن أو السلوى وما الى ذلك من الفضول السمج ، والتظرف السخيف والتهكم الأثيم .

فاذا عرفت أن الثريد هو خبز نضيج وضع فى مرق اللحم ، وعرفت أن الطعام كالمادة الخام لذلك الثريد عرفت أن النبى صلى الله عليه وسلم يصف عائشة أم المؤمنين أبلغ وصف من ثقافة الطبع ونضج الفكر وسمو التجربة ، ولا غرو فهى التى نزل الوحى فى بيتها وقال الله تعالى لأمهات المؤمنين وهى فى مقدمتهن : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » .

والنبى صلى الله عليه وسلم يضرب المثل لعائشة هنا بالثريد كما يضرب المثل للمسلم بالنخلة فى حديث ابن عمر مرفوعا : « ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها فهى كالمسلم » يعنى فى المنفعة ، لأن كل ما يصدر عنها مفيد ، فان هذا الضرب من الأمثال انما يستمد أصله من أدب القرآن : « ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين » ويريد الله أن يكمل لهذا الأدب صورته القرآنية فيجعل الاعتراض على السنة قد سجله القرآن على الذين يهرفون بقولهم « ماذا أراد الله بهذا مثلا » وها هم يقولون : ماذا أراد النبى بهذا مثلا . وهكذا حذو النعل بالنعل ، والقذة بالقذة .

على أن الذى يحز فى النفس أن يكون هؤلاء قد التاث تفكيرهم بما يرحضه الايمان عن خواطر المؤمنين من حيث أركس فيه عبد الله بن أبى ابن سلول فينظروا الى الأمر النظرة الجنسية الدنيئة التى تنم عن عقد ضخمة فى نفسية السلوليين .

بقى أن نأتى على اسناده بعد أن ألهبنا السلوليين بسياط المعانى العالية التى نرجو أن ينتفعوا بها انتفاع السقيم بالأدوية الشافية .

البخارى فى (باب قول الله تعالى : وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون — الى قوله — وكانت من القانتين ، ثم اسنادا عاليا الى أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عائشة على جميع النساء . الحديث ») وأخرجه البخارى أيضا من طريق

أنس ، وأخرجه مسلم من حديث أنس وأخرجه ابن ماجه عن أبى موسى وأنس وأخرجه النسائى من حديث أنس وأخرجه الترمذى من حديث أبى موسى وأخرجه أحمد فى مسنده من حديث أنس ، وأخرجه الطبرانى من حديث عبد الرحمن ابن عوف وأخرجه فى الأوسط من حديث سعد بن أبى وقاص كما أخرجه من حديث قرة بن اياس رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

على أنه لا يفوتنا أن نسوق ما قاله بعض شراح الحديث ، وان كنا – ولا نزكى على الله أحدا – قد نحونا فى شرحه نحوا لا يتردد المنصفون عن قبوله والرضى عنه وبه قال العزيزى فى شرح الجامع الصغير : « لا تصريح فيه بأفضلية عائشة على غيرها ، لأن فضل الثريد على غيره انما هو لسهولة مساغه وتيسير تناوله ، وكان أجل أطعمتهم يومئذ ، وهذا لا يستلزم الأفضلية له من كل جهة ، فقد يكون مفضولا بالنسبة لغيره من جهات أخرى أ . هـ » .

٢ – أما حديث ملك الموت مع موسى عليه السلام فقد أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز (باب من أحب الدفن فى الأرض المقدسة ونحوها) حدثنا محمود حدثنا عبد الرازق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع الى ربه فقال : أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت ، فرد الله عليه عينه وقال : ارجع فقل له : يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة . قال : أى رب ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت قال : فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر . وأخرجه أيضا فى كتاب الأنبياء بنحو ما مضى ما عدا قوله (فرد الله عليه عينه) وهو من طريق يحيى بن موسى شيخ البخارى وبقية الاسناد كما هو . ورواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة بمتنين مختلفى الألفاظ أحدهما : « أرسل ملك الموت الى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه ، فرجع الى ربه فقال : أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت قال : فرد الله اليه عينه وقال : ارجع اليه

فقل له : يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال : أى رب ثم مه قال : ثم الموت قال : فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر » وثانيهما بلفظ « جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام فقال له : أجب ربك فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها قال : فرجع الملك الى الله تعالى فقال : انك أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عينى قال : فرد الله اليه عينه وقال : ارجع الى عبدى فقل : الحياة تريد ؟ فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة ، قال : ثم مه ؟ قال : ثم تموت قال : فالآن من قريب رب أمتنى من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لو أنى عندهم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر » ورواه النسائى باللفظ الأول .

واتفاق ثلاثة كتب من ستة ومنها الصحيحان على تخريج هذا الحديث دليل صحته وقوته ، وهى كلها من طريق ابى هريرة رضى الله عنه وأرضاه ، ولطالما تفرد أبو هريرة بأحاديث تعاظم الدهر شأنها ، ان أبا هريرة رضى الله عنه هو الذى روى تحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها مع خلو القرآن من هذا التحريم ، ورغم أنه لم يرد عن أحد من الصحابة الا هو فانهم جميعا اتفقوا على صدقه والتسليم برواية حديثه وحكم عدم الجمع هذا مجمع عليه بين الأمة كلها بجميع فئاتها ومذاهبها حتى كفروا من يبيح هذا الجمع .ولا ضير أن ينفرد أبو هريرة بخبر فلقد انفرد بما تعم به البلوى وما هو أعظم خطرا من حديث موسى وملك الموت . واذا كان المعترضون يهولهم فقأ عين ملك الموت من رسول من أولى العزم من الرسل فانه ينبغى أن يعرفوا شيئا عن طبيعة الملائكة كما عرفها علماء المسلمين جواهر لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال شريفة مختلفة ، ويجب الايمان بوجودهم كحقيقة ثابتة وذات قائمة بنفسها واعتقادا أنهم معصومون (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وهم من الكثرة الكاثرة بحيث يعجز العقل البشرى عن

تصورها وقد وصفها صلى الله عليه وسلم بقوله « أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك راكع أو ساجد » وصدق الله العظيم : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم ».

أما ما استشكله البعض من أنه كيف يتسنى لموسى أن يلطم ملك الموت الذى جاء من قبل الله تعالى ليقبض روحه (فالجواب) أن مفهوم النص يدل على صحة ما قاله الحافظ ابن خزيمة (أبو بكر محمد بن اسحاق المتوفى سنة ٣١١) قال : أنكر بعض أهل البدع والجهمية هذا الحديث وقالوا : لا يخلو أن يكون موسى عليه السلام عرف ملك الموت أو لم يعرفه ، فان كان عرفه فقد استخف به ، وان كان لم يعرفه فرواية من روى أنه كان يأتى موسى عيانا لا معنى لها ، ثم ان الله تعالى لم يقتص لملك الموت من اللطمة وفقأ العين والله لا يظلم أحدا. وهذا اعتراض من أعمى الله بصيرته، ومعنى الحديث صحيح ، وذلك أن الله لم يبعث ملك الموت الى موسى وهو يريد قبض روحه فى هذه المرة التى بعثه فيها ، وانما بعثه ابتلاء واختبارا كما أمر الله خليله بذبح ولده ولم يرد امضاء ذلك ، ولو أراد أن يقبض روح موسى عليه السلام فى الوقت الذى لطم فيه الملك لكان ما أراد واما أن موسى رأى هذه اللطمة مباحة أو جائزة فلأنه رأى آدميا دخل عليه ولا يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الرسول صلى الله عليه وسلم فقأ عين الناظر فى دار المسلم بغير اذن ومحال أن يعلم موسى أنه ملك الموت ويفقأ عينه ، وقد جاءت الملائكة الى ابراهيم عليه السلام فلم يعرفهم ابتداء « سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب » وجاءت الى لوط عليه السلام وقال لقومه « ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون » ولو كان ابراهيم يعرفهم لما قدم لهم عجلا وقربه اليهم لأنهم لا يأكلون ولو كان لوط يعرفهم لما قدم بناته لقومه حتى لا يعتدون على ضيوفه . وقد جاء الملك الى مريم فلم تعرفه ولو عرفته لما استعاذت منه ، وقد دخل الملكان على داود عليه السلام فى صورة رجلين يختصمان عنده فلم يعرفهما ، وقد جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن الايمان فلم يعرفه وقال ما أتانى فى صورة قط الا عرفته غير

هذه المرة ، فكيف يستنكر ألا يعرف موسى الملك حين دخل عليه ؟ أما قول الجهمى : ان الله تعالى لم يقتص للملك فهو دليل على جهله ، من الذى أخبره أن بين الملائكة والآدميين قصاصا ؟ أو من الذى أخبره أن الملك طلب القصاص فلم يقتص له ؟ وما الدليل على أن ذلك كان عمدا ، وقد أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يقبض نبيا قط حتى أراه مقعده من الجنة قبل أن يقبضه ويخيره ، أى فكيف يطلعه الله تعالى على ما أعده له فى دار كرامته ثم لا يرحب بملك الموت ، لكن يقابله بلطمه وفقأ عينه أ ٠ هـ بتصرف ٠

وقال الخطابى : وكيف يجوز أن يفعل موسى عليه السلام بالملك هذا الصنيع ، وكيف تصل اليه يده على هذا أو كيف لا يقبض روحه ولا يمضى أمر الله تعالى فيه ؟

(والجواب) أن الله تعالى قد أكرم موسى بأمور أفرده بها فى حياته فلما حانت وفاته كان من كرامته على الله أن لطف به أيضا فلم يأمر الملك أن يأخذ روحه قهرا عنه ، لكن أرسله أولا على سبيل الاختبار والامتحان فى صورة انسان ، فدهش موسى عليه السلام من مفاجأة الملك له على هذه الصورة واقتحام داره عليه واستنكر شأنه ولم ير بدا من دفعه عن نفسه فكان من نتيجة ذلك أن أتى ــ وهو فى سورة غضبه ــ على عينه المركبة فى الصورة البشرية ، تلك الصورة التى جاءه فيها دون الصورة الملكية ، وقد كان فى طبع موسى حدة ، حتى روى أنه كان اذا غضب التهب ما يلبسه على رأسه واشتعل نارا أ٠هـ ولا يمنع كما قال الامام النووى ــ أن يكون قد أذن الله فى هذه اللطمة ابتلاء وامتحانا للمظلوم والله يفعل ما يشاء ٠

وقال أبو عبد الله محمد بن مسلم ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ فى كتابه (تأويل مختلف الحديث فى الرد على أعداء الحديث) :

ونحن نقول ان هذا الحديث حسن الطريق عند أصحاب الحديث وأحسب له أصلا فى الأخبار القديمة ، وله تأويل صحيح لا يدفعه النظر والذى نذهب اليه أن ملائكة الله روحانيون والروحانى منسوب الى الروح نسبة الخلقة فكأنهم أرواح لاجثث لهم فتلحقها الأبصار ولا عيون لها كعيوننا ولا أبشار كأبشارنا ، ولسنا نعلم كيف هيأهم الله تعالى لأنا

لا نعرف من الأشياء الا ما شاهدنا ، والا ما راينا له مثالا ، وكذلك الجن والشياطين والغيلان هى أرواح لا نعلم كيفيتها ، وانما ننتهى فى صفاتها الى حيث ما وصف الله عز وجل لنا ورسوله صلى الله عليه وسلم – الى أن قال – وقد جعل الله سبحانه للملائكة من الاستطاعة أن تتمثل فى صور مختلفة وأتى جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى ، وفى صورة أعرابى ، ورآه مرة قد سد بجناحيه ما بين الأفقين ، وكذلك جعل للجن أن تتمثل وتتخيل فى صور مختلفة كما جعل للملائكة قال تعالى : « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا » وليس ما تنتقل اليه من الأمثلة على الحقائق انما هى تمثيل وتخييل لتلحقها الأبصار ، وحقائق خلقها أنها أرواح لطيفة تجرى مجرى الدم وتصل الى القلوب وتدخل فى الثرى، وترى ولا ترى قال الله تعالى فى ابليس : (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) يريد أنا لا نراهم فى حقائق هيئاتهم . وقال أيضا : (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يريد لو أنزلنا ملكا لم تدركه حواسهم لأنها لا تلحق هيئات الملائكة فكنا نجعله رجلا مثلهم ليروه ، ويفهموا عنه . وذكر ابن عباس فى قصة الزهرة أن الله تعالى لما أهبط الملكين الى الأرض ليحكما بين أهلها نقلهما الى صورة الناس وركب فيهما الشهوة ، لأنه لا يجوز أن يقضى بين الناس الا من يرونه ويسمعون كلامه ، والا من شاكلهم وأشبههم ، ولما تمثل ملك الموت لموسى عليه السلام وهذا ملك الله ، وهذا نبى الله وجاذبه لطمه موسى لطمة أذهبت العين التى هى تخييل وتمثيل وليست حقيقة ، وعاد ملك الموت عليه السلام الى حقيقة خلقته الروحانية كما كان لم ينتقض منه شىء .

وقال السندى فى شرح سنن النسائى : « وفيه اشكال من حيث انه كيف لموسى أن يلطم ملك الموت الذى جاءه من الله تعالى ليقبض روحه ومن حيث انه يفيد أن موسى ما كان معتقدا للموت والفناء له ، بل كان يعتقد البقاء له أو يظنه فانظر الى قول الملك : (عبد لا يريد الموت) وانظر الى قوله : (أى رب ثم مه) حتى اذا علم أنه بالآخرة الموت قال : (فالآن) والناس ما ذكروا فى تأويله ما يدفع

الايراد بتمامه بل ولا يفي ببعضه ، والأقرب أن الحديث من المشتبهات التي يفوض تأويلها الى الله تعالى لكن ان أول فأقرب التأويل أن يقال : كان موسى ما علم أولا أنه جاء باذن الله بسبب اشتغاله بأمر من الأمور المتعلقة بقلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلما سمع منه أجب ربك أو نحوه وصار ذلك قاطعا عما كان فيه ولم ينتقل ذهنه بما استولى عليه من سلطان الاشتغال أنه جاء بأمر الله حركه نوع غضب وشدة حتى فعل ما فعل ، ولعل سر ذلك اظهار وجاهته عند الملائكة الكرام فصار ذلك سببا لهذا الأصل . وأما قول الملك : لا يريد الموت فذاك بالنظر الى ظاهر ما فعل من المعاملة . وأما قوله : (ارجع اليه فقل الخ) فلعل ذلك من نقله من حالة الغضب الى حالة اللين ليتنبه بما فعل .

وأما قول موسى ثم ماذا فلعله لم يكن لشك منه في الموت بالآخرة بل لتقرير أنه لا يستبعد الموت حالا اذا كان هو آخر مآلا . وكون الموت آخر الأمر معلوم عنده فلم يكن ما وقع منه لاستبعاده الموت حالا وذلك لأنه حين انتقل الى حالة اللين علم أن ما وقع منه لا ينبغي وقوعه منه وكذا علم أن ما جاء به الملك عنده من قوله (يضع يده الخ) بمنزلة الاعتراض عليه بأنه يستبعد الموت أو يريد الحياة حالا فأراد بهذا الاعتذار عما فعل ، وقرر أن الذي فعله ليس لاستبعاده الموت حالا ، اذ لا يجيء ذلك ممن يعلم أن الموت هو آخر أمره فصار كأنه قال : ان الذي فعله لأمر آخر كان من مقتضى ذلك الوقت في تلك الحالة التي كان فيها والله أعلم .

محمد نجيب المطيعي

الوحدة الروحية والدينية

للدكتور سليمان الطماوى

يضع علمـاء السياسة المعاصرون شروطا معينة لابد من توافرها لقيـام وحدة سياسية ، بين جمـاعات معينة ، منها وحدة اللغة ، وهى من أهم دعائم الوحدة السياسية ان لم نقل أهمهـا على الاطلاق ووحدة الجنس ، وهى ليست ضرورة حتمية لقيـام وحدة سياسية ناجحة ، فكثـير من الدول الموحدة سـياسيا لا تنتمى الى جنس واحد ، مثال ذلك الاتحاد السويسرى الذى يتكون من أجنـاس ثلاثة تتكلم لغـات ثلاثة ، ووحدة التـاريخ ، والوحدة الجغـرافية ، وهى لم تعـد شرطا جوهريا لقيام الوحدة السياسية بعد أن تقـدمت وسـائل المواصلات والاتصالات ، والتقارب الاجتماعى ، ثم الوحدة الروحيـة والدينيـة التى نعرض لها فى حديثنا هذا ...

ان الوحـدة الدينيـة فى الوقت الحاضر ليست شرطا لقيام الوحدات السياسية ، فنحن لا نكاد نعرف دولة واحدة ، تتكون من مواطنين يدينون بدين واحـد ، بل تتـكون من دول العـالم المعاصرة من مواطنين يدينـون بمختلف المعتقـدات السماوية ، بل وغير السماوية ، لكن تسليمنا بالحقيقة السابقة لا يعنى انكارنا لأثر المعتقدات الدينية فى تكوين الجماعات ، والدين الاسلامى بالذات ، لا يقتصر على جانب العقيـدة ـ أى صلة الانسـان بربه ـ ولكنه تعرض لوضع أسس الحيـاة الدنيوية أيضـا ، بمـا يحقق للناس سعادة الدنيـا والآخرة ، وكان لذلك أثره فى تعريف الخـلافة ، وتنظيـم الدولة الاسلامية .. واذا كان الاسلام يقوم على القـاعدة الأساسية التى من مقتضاها « ألا اكراه فى الدين » فان الأغلبية العظمى من أبناء العروبة قد دخلـوا فى دين الله أفواجا ، ولقـد أحس المستعمرون والمغرضون بقـوة هذا الجـانب الروحى فى المجتمـع

العــربى فعملوا جاهدين على تحويله من موطن قــوة الى سبب من أسـباب الضعف ، فقــالوا : ان المســلمين فى الواقع لا يجمعهم الا الاسم ، ولكنهم شــيع متنــافرة ، فمنهم السنيون ، والشيعيون ، والوهابيون والزيديون ، والأباضيون •• وهذا التصوير ينطوى على أكاذيب مغرضــة ، فالحقيقــة أن أكثر من ٩٠ ٪ من المسلمين فى العالم العربى ، سنيون متفقون فى الأصــول والفــروع ، أما القلة الباقية منهم من الشيعة الزيدية فى اليمن ، والامامية في العراق،وليس بين الشعيين والسينين من خــلاف فى أركان الاســـلام الأساسية ، وانما مرجع الخــلاف الى الفروع وأهمها الخلافة ، ولقد جسم الاستعمار الخلاف بين الفئتين ليصــل من وراء ذلك الى ما يريد ••• لكن العالم العربى قد تنبه الى هذه الوقيعة ، ويحاول علمـــاء الاسلام الآن وعلى رأسهم الأزهر الشريف ، أن يزيلوا كافة هــذه الخــلافات الثانوية ، التى ليست من جوهر الاسلام ، كما جاء به رسول الله ــ صلوات الله وســلامه عليه ــ وأمر الله صريح الى المسلمين كافــة ، حيث يقــول ســبحانه : « واعتصــموا بحبــل الله جميعـا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتـم أعـداء فألف بين قـلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ••• »

أما القلة الباقية من أبنـــاء العروبة فهى تدين بالمســيحية ، ويبلغ عددهم حوالى ستة ملايين نسمة ، يقيم قرابة نصفهم فى جمهورية مصر العربيــة ، ويليهم الموارنة فى لبنان ، وقد عاش الجميع معا فى وئام •••

ثم انه لا فــارق بين الاســـلام والمســيحية فى الاتجــاهات العامة ، المؤدية الى خير الانسانية فالايمـــان بالأنبياء الســابقين جزء لا يتجزأ من العقيدة الاسلامية ، والمسيحية السمحة فى أصالتها ، والبعيــدة عن الهــوى والتحريف ، هى دين المحبــة والبر وحسن المعاملة •••

* * *

هل يمكن التقريب بين الوضعى : الشرعى والمعاصر فى التشريع ؟

يجدر بنا قبـل الاجابة عن هــذا السؤال الملح فى هــذه الآونة ــ ان نشير الى أنه مما لا جـدال فيــه أن التشريع فى الدولة الاســـلامية ، يختلف اختلافا جوهريا عنه فىالدولة الحديثة ، من الناحيتين : العضــوية والموضوعية •••

أما من الناحية العضوية ، فان السلطات التشريعية فى الدول الحديثة تتكون عن طريق الانتخاب الذى يقوم على قواعد تكفل اتساع نطاق التمثيل الى أكبر حد ممكن ، وتحديد الناحيتين يتم وفقا لفكرة « الاقتراع العام » الذى لا يشترط فى الناخب شروطا تتعلق بالكفاية المالية أو العلمية ، أما بالنسبة الى المرشحين لعضوية المجالس النيابية ، فانه لا يشترط فيهم عادة — من حيث الثقافة — الا القدر الذى يمكنهم من أداء وظائفهم ، والذى يتمثل حده الأدبى فى اجادة القراءة والكتابة ..

أما التشريع الاسلامى القائم على الاجتهاد ، فانه مقصور على المجتهدين الذين يستوفون شروطا قاسية ، يكتسبها المجتهد اذا توافر فيه أمران : الاستعداد الشخصى الموروث ، ثم الدراسة التى تكفل له الاحاطة بأسباب الاجتهاد ووسائله ... ومن ناحية أخرى ، فان الدساتير الحديثة تجعل التشريع لجماعة وفقا لأغلبية يحددها الدستور ، أما التشريع الاسلامى فانه يقوم أساسا على الاجتهاد الفردى ولا يمكن لأغلبية بالغة ما بلغت أن تجعل لرأى معين صفة الالزام .

أما من الناحية الموضوعية ، فالخلاف بين المسلكين أوضح : فالمذهب الحديث ، ان السلطة التشريعية (التأسيسية والعادية) تملك أن تصدر أى تشريع تشاء ، ولا سيما بالنسبة للسلطة المؤسسة التى لايحدها أى قيد ، أما الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية ، فانه مقصور على استمداد الأحكام الشرعية من مصدرها السماوى المتمثل فى القرآن والسنة ، ولهذا يميز علماء الأصول بين نوعين من الأحكام فى مجال الاجتهاد : أحكام خالدة لا يجوز فيها الاجتهاد ، وموضوعات مسكوت عنها فيجوز فيها الاجتهاد ، على أنه يجب أن يراعى : أن مجال الاجتهاد — برغم القيود الشديدة متسع ، نظرا لأن الأصول العامة التى يقوم عليها ، من المرونة بحيث تكفل مواجهة حاجات الجماعة المشروعة فى كافة العصور والأزمنة .

بقى أن نجيب عن سؤالنا : لا شك أن الاجتهاد الفردى لايصلح أن يكون مصدرا للتشريع فى الدولة الحديثة ،

بل أضحى من الضرورى – رعاية المصالح للناس . أن تكون ثمة قاعدة عامة ملزمة يخضع لها الجميع حكاما ومحكومين ، ولما كانت الديمقراطية الحديثة تقضى أن يتولى الشعب حكم نفسه عن طريق ممثليه ، فانه من الممكن عندنا أن يوفق بين الوضعين، فالصفات التى يتعين توافرها فى المجتهد مثلا ، لا يمكن اكتسابها فى الوقت الحاضر الا عن تلقى قدرا معينا من الثقافة ولما كانت الدولة الحديثة هى التى تشرف على التعليم ، فانه من الممكن حصر صفات الاجتهاد فى حملة شهادة معينة تعترف بها الدولة رسميا. ثم يتكون من حملة هذه الشهادة مجلس استشارى ، تعرض عليه كافة مشروعات القوانين ، قبل أن تتولى السلطة التشريعية اصدارها ليقرر مدى مطابقتها للأصول العامة فى التشريع الاسلامى ، ثم يعرض هذا الرأى على السلطة التشريعية قبل أن تقرر التشريع بصفة ملزمة ...

هذا الحل لا يجافى الأصول الدستورية الحديثة ، لأن من حق المجالس المنتخبة أن تستعين فى أداء عملها بآراء الفنيين والمتخصصين لتغطى ما فى أعضائها من نقص بسبب عدم اشتراط التخصص فى المرشحين .

ان التزام الدولة بمقتضى الدستور أن تعتبر الشريعة الاسلامية من مصادر التشريع بما يجعل من اللازم التوفيق بين مسلك الشريعة الاسلامية فى التشريع ، والمسلك الديمقراطى المعاصر حتى يزول كل تنافر ظاهرى بين العقائد من مقتضيات الحياة ، والحل الذى نقدمه هو حل ميسور عملا ، لا يعطل مبدأ من المبادىء المسلم بها دستوريا ، فضلا عن جدواه وفاعليته فى تحقيق الانسجام التشريعى – لا على مستوى جمهورية مصر العربية فحسب – بل على مستوى الوطن العربى والاسلامى معا ...

د. سليمان محمد الطماوى

إسلاميات شوقى

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

[٧]

وحديث شوقى عن السفور والحجاب الذى هب للمشاركة فى معمعته ، وخوض المعركة التى كانت قائمة من أجله ، بين أساطين الكتاب ، وكبار المفكرين ، نراه موزعا فى الشوقيات لمناسبات مختلفة ، كلها كانت تجره الى أن يعلن رأيه واضحا أو غير واضح – لكن اعلان هذا الرأى كان يتأثر بالملابسات والمناسبات ، ولا يمكن للذى يريد أن يضع هذا الرجل فى مكانه من أصحاب الآراء – حينئذ – أن يقول انه كان جادا أو غير جاد ، أو انه كان من هؤلاء الذين يقودون المعركة فى الصف الأول أو الثانى ، أو انه كان من المتفرجين لا أكثر ولا أقل .

وقصيدته التى مطلعها « صداح يا ملك الكنار » وهى احدى هذه القصائد كانت مع هذا الطائر الذى أضفى الله عليه ثوبا من الجمال والحسن الذى تكامل له فى صوته وريشه وشكله وحركات ذهابه ومجيئه فى ذلك القفص مختالا مثل اختيال الطاووس حتى كأنه فى منظره على الجملة تحفه هالة من الفن أبدع فيها مصور الأشياء وخالق الأرض والسماء ..

ولقد تخذت من الضحى
صفر الغلائل والحلى

ورويت فى بيض القلا
نس عن عذارى الهيكل

وقد رأينا أنها مع هذا الحوار الذى تضمنته ، والأسلوب القصصى الذى سيقت فيه ، تسجل عاطفة الأسى والأسف ، والألم والحزن ، على أن نفسا خلقها الله لتطير فى الفضاء ، من غير سدود ولا حدود ، يضمها قفص ، أو يحتويها سجن ، وكان جميلا منه أن يوجه لها النصح بالحرية ، وأن يلهب فيها النزوع الى الكفاح والجهاد ،

والتمـرد على الذل ، والثـورة على العبـودية ، والطمـوح الى الوضع الأكمـل ، والعيش الأفضـل ، ولا نستطيع بحال من الأحوال أن نجعلها حكما قاطعا ، أو قولا فصـلا ، لكننـا حين نتجـاوزها الى قصـيدة أخـرى تشبه أن تكون تقريظا لكتاب تحرير المرأة الذى أثار هذه الضجة ، أو ثناء على المؤلف فى حفلـة من حفـلات التكريم التى كانت تقام فى هذا الوقت، وفى الديوان أنها كانت برياسة هدى شـعراوى زعيمـة الاتحـاد النسائى ونحن نجد أنه يشبه أن يكون هنا فى هذا الموقف مجاملا لا أكثر ولا أقل ، وقد كان قاسم أمين فى هذا الوقت فى ذمة التاريخ ، مضى على وفاته سنوات ، وكانت المرأة فى هـذه الآونة تغشى الأندية ، وتتقلد الأعمـال ، وتزاحم الرجال وتطالب بالمسـاواة ، وتقـوم بأعباء الوظائف ، والشعر الذى يقـال حينئذ لا يمكن الا أن يكون ارضـاء للأنثى ، واستدرارا لعطفها ، واستمالة لقلبها ، وهو يعلم علم اليقين أنه يقف بين يديها ، وأن الويل كل الويل له اذا جرح احساسها ، وأهاج غضبها ، أو نال من كرامتها ، وهو الذى كان يقول الشعراء صناديق مغلقة مفاتيحها عند النساء •

قل للرجـال طغى الأسـير
طـير الحجـال متى يطـير

أوهى جنـاحيه الحديـ
ـد وحز سـاقيه الحـرير

ذهب الحجـاب بصـبره
وأطـال حـيرته السـفور

هـل هيئت درج السـماء
لـه وهـل نص الأثـير

وهل اسـتمر به الجنـا
ح وهـم بالنهض الشـكير

وسـما لمنزله من الدنيـا
ومنزلـه خطـير

ومتى تسـاس به الريـا
ض كما تسـاس به الوكور

أو كل ما عنـد الرجـا
ل له الخواطب والمهـور

والسـجن فى الأكواخ أو
سـجن يقـال له القصـور

ياقاسم انظر كيف سار الفكـ
ـر وانتقـل الشـعور

جـابت قضـيتك البـلا
د كأنهـا مثـل يسـير

ان التى خلـفت أمس
وما سـواك لهـا نصـير

نهض الحفى بشــأنها
وسعى لخدمتهــا الظهير

فى ذمة الفضــلى هــدى
جيــل الى هاد فقــير

أقبلن يســألن الحضـا
رة ما يفيـــد وما يضــير

ما الســـبل بينـــة ولا
كل الهــداة بهــا بصير

ولا شك أننا اذا وقفنا من شوقى موقف النــاقد وأردنا أن نحاسـبه الحساب الدقيق وجدنا أنه لم يتجاوز أن يكون مجاملا لهذا الجمع الحاشد من النسوة اللائى كن ــ حينئذ ــ فى هذا الحفل الذى كان على رأسه هدى شعراوى وهى زوجة رجل من ثلاثة رجال تقدموا للمندوب الســامى الانجليــزى يعلنـــون اليه أن مصر لا تريد أن تظل سياط الحماية تلهب ظهــورها ، وكان المصريون فى هــذا الوقت لا يجرأ واحد منهم أن يتجهم للحماية أو يعلن سخطه عليهــا ، أو عدم رضاه عنها ، وهى الى جانب ذلك تتزعم النصف الآخر من هذه الأمة ، على أن زلة القدمالتى وقع فيها الشاعر عــلى حــين غفلــة كانت فى « أو كل ما عند الرجال الخ » لأن المرأة مهما تقلبت بها الحياة ، وأقبلت عليها الدنيا، وساعدتها الحظوظ على أن يكون لها وضع مرموق فى المجتمع الذى تعيش فيه ، فان ذلك كله لا يساوى شيئا الى جـانب البيت الذى ترى نفســها فيه زوجــة وأم أولاد تــكون وهى فى جوارهم قريرة العين ، هادئة البال ، مرتاحة الضــمير ، والبيت الأخير من هذه الأبيــات « ما السبل بينة الخ » يوحى بأن المرأة الى هــذه اللحظــة كانت تعيش فى بيداء مشتبهة المعالم ، فليس لها هاد من دين يرشدها ، ولا أخلاق تعصمها ، ولا عرف يرسم لها الخطــوط الطويلة العريضــة ، ولا شريعة تقفها عنــد الحد الصحيح فى الحــلال والحرام ، أو الواجب وغير الواجب ، والرسول صلى الله عليــه وسلم يخاطب هذه الأمة ــ التى يقول لها الشاعر ــ « ما السبل بينة » فيقول تركت فيكم أمرين لن تضلوا بعــدى ما تمســكتم بهمــا ، كتاب الله وسنة رســوله •• ويقــول فى حديث آخر الحلال بين والحرام بين •• ويقــول جل وعلا : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليــكم نعمتى ورضيت لــكم الاســـلام دينــا » •• ومن العجيب الغريب فى أمر أمير الشــعراء أنه فى

آخر هذه القصيدة يخاطب محرر المرآة ـ وهو فى العالم الثانى ـ فيقول :

لقد اختلفنا والمعا
شر قد يخالفه العشير

فى الرأى ثم أهاب بى
وبك المنادم والسمير

ومحا الرواح الى مغا
نى الود ما اقترف البكور

فى الرأى تضطغن العقو
ل وليس تضطغن الصدور

وما عرف عنه أنه كان معارضا فى الرأى ، أو مخالفا فى المبدأ ، أو واقفا الى جانب المناوئين لقاسم أمين . وديوان شعره على كثرة ما فيه من قصائد ، ليس فيه بيت واحد ينكر فيه هذه القضية ، أو يشكك فيها ، والقصائد التى خطر له فيها ، أن يتحدث الى الناس حديث السفور والحجاب ، أو يجرى فى ميدان المتحدثين ، لم يرد فيها ما ينبىء عن المعارضة أو المخالفة ، اللهم الا أن يكون ذلك من قبيل « وأنهم يقولون ما لا يفعلون » ومن أجدر الناس بأن تكون صناعتهم القول ، وحرفتهم البيان ، يجعلون منه حدائق غلبا ، وفاكهة وأبا ، بعد هؤلاء الشعراء الذين يخلقون من الحبة قبة ، وقد يتمثل لنا هذا المعنى كله بأجلى مظاهره ، وأروع أشكاله ، وهو ينقل الينا الصورة الرائعة الحسن . البالغة اقصى درجات السحر والجمال عن هذا الموقع الذى لا يكون الا فى خيال الشعراء ، وأوهام الفلاسفة ، المسمى فى الأستانة بتركيا « كوك صو » ومن القصيدة التى قالها هنالك يقدم لنا لوحة أبدعت الطبيعة فى رسمها ، وأجادت فى هندستها ، وتجاوزت حدود التصور فى تصويرها ، من خمائل ترقص أشجارها ، وتغنى أطيارها ويتضاحك ماؤها ، ويرف هواؤها . وقد كان لديها نهر تروح ها هنا وهنالك سفن تشهد عبابه ، وتملأ رحابه ، والغوانى فى هذا الموقع الذى تجاوز الوصف ، كأنهن حور الجنان فى طهارة ثوب ، ونقاء جيب ، لا يتطاول عليهن غوى ، ولا ينال منهن أثيم ، وهن مع ذلك كله لم يتحجبن عن الأنظار ، ولم يتخذن لهن الحجب والأستار .

فدتك مياه دجلة وهى سعد
ولا جعلت فداءك وهى نحس

وجاءك ماء زمزم وهو طهر
وأمواه على الأردن قدس

وكان النيل يعرس كل عام
وأنت على المدى فرح وعرس

وقد زعموه للغادات رمسا
وأنت لهمهن الدهر رمس

وردنك كوثرا وسفرن حورا
وهل بالحور ان أسفرن بأس

فقل للجانحين الى حجاب
أتحجب عن صنيع الله نفس

اذا لم يستر الأدب الغوانى
فلا يغنى الحرير ولا الدمقس

تأمل هل ترى الا جلالا
تحس النفس منه ما تحس

كأن الخود مريم فى سفور
ورأيها حوارى وقس

تهيبها الرجال فلا ضمير
يهم بها ولا عين تحس

ولا يستطيع انسان أن يزعم أن شاعرا تهزه مظاهر الطبيعة الجميلة ، فتأخذ بمجامع قلبه ، وهواتف نفسه ، وتقوده اليها قيادا لا يجد منه فكاكا ، ثم يحمله ذلك كله على أن يترجم مشاعره نحوها ، وأحاسيسه بها ، الى هذا القول الذى كان يستمد جماله منها ، كان محكوما بالمنطق ، أو خاضعا للعقل ، أو جاريا فى قوله على أسلوب القاضى الذى يفصل فى قضية ، أو يحسم النزاع فى خلاف قائم ، والقضايا الشعرية دائما أبدا تقبل التوجيه ، وتصلح للتأويل ، ومثل هذا الكلام لا يصلح لأن تقوم به حجة ، أو ينهض به دليل ، ولهذا فنحن نأخذه على أنه سحر نقف منه موقف الاعجاب ، لا فكر يملك منا الأفئدة والألباب ، والشعر قد يهز الشعور وهو كاذب ، على أننا لا نذهب بعيدا فى صدق الشاعر أو كذبه ، اذا ذهبنا — معا — الى قصيدة أخرى من تلك القصائد التى كانت مجالا واسعا للحديث عن المرأة حديثا ربما ظن لأول وهلة أنه يقف فيها موقف المفتى الذى يبين حكم الله جل وعلا وهو لا يعدو أن يكون شيئا آخر لا تستطيع أن تنحله شيئا عن الحكم الذى يستحقه أكثر من كونه شاعرا وهو الوصف الذى لا نملك أن نجرده منه ، وهو أمير الشعراء باجماع شعراء البلاد العربية كلهم من غير استثناء .

قم حى هـــذى النـــيرات
حـى الحســـان الخـــيرات

واخفض جبينـــك هيبـــة
للخــــرد المتخفـــرات

زين المقــاصر والحجـــا
ل وزين محراب الصـــلاة

هـــذا مقام الأمهـــا
ت فهـــل قـــدرت الأمهـــات

لا تلـغ فيـــه ولا تقـــل
غـــير الفواصـــل محكمات

واذا خطبت فـــلا تكـــن
خطبـــا على مصـــر الفتـــاة

اذكـــر لهـــا اليـــابان لا
أمم الهـــوى المتهتـــكات

مـــاذا لقيت مـــن الحضـــا
رة يـــا أخى ـ التـــرهات

خـــذ بالكتـــاب وبالحـــد
يث وســـيرة الســـلف الثقات

وارجـــع الى ســـنن الخـــلي
ـقة واتبـــع نظـــم الحيـــاة

هـــذا رســـول اللـــه لم
ينقص حقـــوق الأمهـــات

العلم كان شريعـــة
لنســـائه المتفقهـــات

أدع الرجـــال لينظـــروا
كيف اتحـــاد الغانيـــات

والنفـــع كيف أخـــذن فى
أســـبابه متعـــاونات

مصـــر تجـــدد مجـــدها
بنســـائها المتجـــددات

لمـــا حضـــن لنـــا القضيـ
ـة كـــن خـــير الحاضـــنات

ينفـــثن فى الفتيـــان من
روح الشـــجاعة والثبات

يهـــوين تقبيـــل المهنـــد
أو معانقـــة القنـــاة

ويرين حتى فى الكـــرى
قبـــل الرجـــال محـــرمات

والشـــأن فى الحديث الى المرأة أن يكون فيه من الورد شذاه ، ومن الطل نداه ، ومن المـاء صفاؤه ، ومن النجم بهاؤه ، ومن السحر خلابته ، ومن العود نغمته ، والا رمت به فى وجـه صاحبه ، وجعلته فى معايبه ، وأبت أن تفتح أذنها اليه ، أو عينها عليه ، ثم أعرضت عنه اعراضهـــا عن الشىء الكريه ... وشـوقى وهو هذا الشاعر

الذى يعرف كيف يهز القلوب ، ويستميل الأفئدة والأهواء ، كان بارع البيان ، قوى التغلغل الى مسارب النفوس ، وهو الحريص على أن ينال اعجابها ، وينزل منها منزلة الاكبار والاحترام ، ولا ينكر عليه أحد أنه وصل الى ذلك كله فى لباقة الحصيف ، وكياسة الحازم ، وسياسة الأديب الأريب والا فأين هو من هذا الذى يقوله ، أو أين هن .

زين المقاصر والحجال
وزين محراب الصلاة

ومثل هذا الصنف يحتويه بيته ، ويشغله شأنه ، ويحجبه دينه ، ويعصمه حياؤه ، ويقعد به عن الخروج ورعه ، واذا كنا نرى هذا المديح الذى ينساب فى الشعر كما ينساب الماء من الهضبات العالية ، يتابع به شوقى الجهد على أن يصغين اليه ، ويقبلن عليه ، فهو الذى رسم هذا المبدأ ، والغوانى يغرهن الثناء ، وليس لأحد أن يطالبه - أو يطلب منه - أن يكون له رأى أو مذهب ، لأن الشاعر مثل الطائر منطقه فى رجليه لا فى رأسه ، ومن الصعب أن يكلفه الناس باحقاق حق أو ابطال باطل .. ومن هذا المطاف الذى يطوفه القارىء لشاعرنا الكبير فى قصائده المختلفة التى عرض فيها للسفور والحجاب أو حاول أن يجعل نفسه فى عداد المتحدثين أو أصحاب الرأى ، لابد أن ينتهى من هذه الرحلة ، أو ذلك المطاف ، الى أنه شاعر بكل ما تحمله الكلمة من معانى الابداع والسحر ، والروعة والحسن والجمال والفتنة ، والذوق والأدب ، والكياسة واللباقة ؟

د/ابراهيم على ابو الخشب

تربية المراهق في المدرسة الإسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين محفوظ

[٦]

مما يعصم التلاميذ من مزالق السوء والانحرافات وفساد الأخلاق أن تهتم التربية بأوقات الفراغ فهى مفسدة للروح والخلق والعقل والبدن ، لأن مشاكل الأحداث تأخذ فيالاطراد والزيادة كلما وجدوا أنفسهم فى هوة من الفراغ فسيحة ولا يعرفون ماذا يعملون ولا الى أين يتجهون ،وما أكثر الفراغ فى عصرنا هذا سواء فى ذلك المدارس والمعامل والأسواق •

ولهذا ينبغى أن تتجه التربية الى استغلال أوقات الفراغ لبعث روح التدين والفضيلة فى نفوس النشء وتوسيع معلوماتهم ، وسبيلنا الى ذلك وسائل التعليم غير المباشرة ، حيث يعرض على التلاميذ الأفلام النافعة البناءة ، أو يستمعون الى الاذاعة أو يرتادون المكتبات لقراءة الكتب أو الصحف أو ينخرطون فى سلك الأندية الأدبية أو الرياضية أو الكشفية أو معسكرات العمل أو زيارة المتاحف أو المعارض أو ينظمون الرحلات أو يزورون المساجد للصلاة أو للحلقات الدينية والثقافية •

والهدف من كل ذلك عصمة الناشئة من الفساد فى أوقات الفراغ ثم اتاحة الفرصة فى هذه الأجواء من النشاط لمعالجة العادات غير المرغوب فيها ، واعلاء الغرائز ثم بناء الصفات الاجتماعية بناء سليما نقيا من الفساد والزيغ حتى تبدو شخصية الفرد متكاملة الى أقصى حد ممكن •

ومن الأمور الحيوية أن يعود المسجد الى سابق عهده مركزا للاشعاع الدينى ، ومنتدى للثقافة والتوجيه الروحى فقد روى عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو بمجلسين أحدهما يذكرون الله تعالى ،والآخر يتفقهون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أحب الى من صاحبه ، أما هؤلاء فيذكرون الله تعالى ويسألونه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم ، وأما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل ، وانما بعثت معلما ، وجلس الى أهل الفقه •

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان ثم قرأ قول الله تعالى : « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » •

ويقول الحديث القدسى الذى يرويه الرسول عن ربه : « أن بيوتى فى أرضى المساجد ، وأن زوارى فيها هم عمارها فطوبى لمن تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى ، فحق على المزور أن يكرم زائره » •

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « المسجد بيت كل تقى وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى رضوان الله الى الجنة ».

فمن الخير أن تكون للمسجد جاذبيته فى نفوس الشباب وأن توجه دروسه نحو تزويدهم بالفضائل الدينية التى تطهر قلوبهم ، وحل مشكلاتهم العاطفية والعقلية ، وتثبيت قلوبهم بالايمان الراسخ والعقيدة السليمةوأن يجدوا الاجابة الصحيحة الشافية عما يشغلهم من قضايا حياتهم •

أما عن المناخ الصالح للتربية فان عناية الاسلام بتوفيره لا تبدأ فى فترة المراهقة ، وانما تبدأ مبكرا جدا وتعود حتى الى فترة ما قبل الحمل ، وهذا هو ما وصلت اليه مدارس التربية الحديثة اذ تتحدث فى اعداد الناشىء عن فترة ما قبل الحمل وأثر بيئة الزوج والزوجة ووراثتهما فيه •

فالاسلام قد سبق الى تقرير ذلك فوصى من يريد الزواج أن يتخير الزوجة الصالحة من الناحية الوراثية الجسمية ومن ناحية الصفات الوراثية النفسية،فقد نصح الرسول عليه الصلاة والسلام بالابتعاد عن زواج القريبة القوية القرابة لما يحدث عن هذا الزواج غالبا من ظهور الصفات

الوراثية السيئة فى الأبنـاء فقال : «اغتربوا لا تضووا» ، ودعا الى الأناة فى ذلك مبينا أن أثر الوراثة يمتد الى أجيال بعيدة فقال : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وفيما يتصل بأثر البيئة حذر من الانخداع بجمال المرأة التى نشأت فى بيئة فاسدة لما قد ينشأ عن هذا الزواج من خطر على الحياة الزوجية أو على الأبناء فقال : « اياكم وخضراء الدمن » قـالوا وما خضراء الدمن يارسـول الله ــ قـال : المرأة الحسـناء فى المنبت السـوء ، ومن الطبيعى أن ما يصـدق على المرأة فى هذا الصدد يصدق كذلك على الرجل.

ولتوفير الجو الحانى الرقيق حرص الاسلام على أن ينشأ الطفـل فى ظل أبويه ، فحـاط الزواج بسـياج من الروابط القـوية التى تحميـه من التفكك ، بمـا شرع فيـه لـكل من الزوجين من حقوق ، وما فرض فيه على كل منهما من واجبات ، وبتنفيره أشد التنفير من الطـلاق ، قال عليـه السـلام : « أبغض الحـلال الى الله الطلاق » كما أنه جعل حضانة الطفل حتى السابعة ، وحضانة الطفلة حتى التاسـعة من حق الأم ، لأنهـا أحن وأرفق من الأب .

ولكن الاسـلام مع هـذا الحنـان الرفيـق فى سنى الطفـولة الأولى لا ينسى الحزم الموجه ، فهو ينقـل حضانة الطفـل والطفلة فى سن معينة الى الأب ، وهو يوصى أن يوجه الطفل الى الصـلاة فى سن السـابعة وأن يؤخذ بالشـدة اذا تركهـا فى سـن العاشرة .

أما اليتيم ــ وهو من فقـد أباه ولم يبـلغ مبلغ الرجال ــ فله شـأن أكبر وأظهر فى الدلالة على عناية الاسلام بتربية النشء وتوفير المناخ الصـالح لتلك التربية ، ويكفى فى الاشارة الى شأنه ومكانه العناية به أن نذكر قول النبى صـلى الله عليـه وسـلم : (أنا وكافل اليتيم فى الجنـة هكذا) ... وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى ليدل على أنهما قرينان أو صنوان ، هذا الى قول الله لرسوله بعد أن ذكره بفضله عليه حال يتمه (فأما اليتيم فلا تقهر) وقد قال الامام محمد عبده رحمه الله فى تفسيره لهذه الآية : لو علم الناس ما فى اهمال تربية الأيتـام من الفساد فى الأمة ، لقدروا عنـاية الله بأمرهم حق قدرها ، ولبذلوا من سعيهم ومن مالهم فى اصـلاح حال الأيتـام كل ما اسـتطاعوا ، ولو أحس كل واحد

بأن الموت قريب منه وأنه هدف لنباله ، ولا يدرى متى يأخذه عن ولده ، فيتركه اما غنيا يأكل ماله الأوصياء • أو فقيرا يستذله الأدنياء، لتسابقوا الى تقويم أمر اليتيم •

ولكى يتوفر المناخ الصالح للتربية الدينية للمراهقين يلزم أن تعمل الجهات المسئولة فى المجتمع على ضمان رعاية الآداب ، واتباع تعاليم الدين فى مختلف مراحل الحياة ، ومحاربة العوامل الضارة التى تنحرف بالشباب عن جادة الصلاح ، وتوجيه وسائل التثقيف والاعلام من كتب وصحافة واذاعة وتليفزيون ومسرح وسينما وغيرها من الأنشطة الفنية الى مراعاة جانب القدوة الصالحة والتوجيه الرشيد وتحاشى كل ما من شأنه اثارة الغرائز الجامحة عند الشباب •

ويقودنا هذا الى الحديث مرة أخرى عن وقت الفراغ وأثره المباشر على المراهقين وعلى بناء شخصياتهم وتكوين اتجاهاتهم النفسية والاجتماعية •

والواقع أن حسن استثمار وقت الفراغ قد أصبح مقياسا من مقاييس الحضارة بالنسبة للشعوب وكثيرا ما يتحدد اتجاه الدولة نحو البناء الاجتماعى وفقا لمفهوم هذه الدولة وفلسفتها تجاه وقت الفراغ من أجل ذلك عنيت الدول المتحضرة بوضع الخطط المختلفة لحسن الاستفادة من وقت الفراغ بما يعود على المواطن وعلى الدولة بالنفع •

وقد دلت الأبحاث النفسية والاجتماعية على أن الفراغ يأتى على رأس الأسباب المباشرة لانحراف الشباب وخاصة فى مرحلة المراهقة ، وهو المسئول عن مشاكل تشرد الشباب وجموع الأحداث والتسكع فى الشوارع والانضمام الى رفقاء السوء والعصابات وادمان الخمر والمخدرات وكل ما يؤدى الى تدهور الأخلاق والقيم والأمراض النفسية والحل السليم لمشكلة وقت الفراغ ــ كما أثبتت الدراسات والأبحاث هو ما يسميه علماء النفس بأسلوب الاستبدال وهو يحول فكر المراهق وقلبه من الاتجاه وراء دوافع الغرائز ، ويتجه بها وجهة نافعة تتفق مع مصلحته ومصلحة المجتمع •• وتهتم الدول المتقدمة بهذا الأمر فتهيىء لشبابها كل الوسائل لحسن استغلال

وقت الفراغ مثل الملاعب والأندية الرياضية والنشاط الكشفى والرحلات والمكتبات ومراكز الثقافة والخدمة العامة ومعسكرات العمل وغيرها •

ولقد عنيت المدرسة الاسلامية أعظم العناية بهذا الأمر ، فهى تحول فكر الفتى والفتاة الى التركيز على نواح كثيرة ومفيدة مثل تحصيل المعرفة والعمل والعبادة والرياضة وغيرها •

فالعلم وتحصيل المعرفة أمر اجبارى ومستمر مدى الحياة ، قال صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وقال : « أطلب العلم من المهد الى اللحد » وفى ظل هذين المبدأين يجد الشاب نفسه مطالبا أن يتعلم وأن يستمر فى التعلم ما دامت الحياة ، ويجد ذلك أمرا حتميا لا مناص منه • وهو بهذا يتابع الخطا على طريق المعرفة مدفوعا اليها بدافع من دينه ، أو مشدودا اليها برغبة ملحة من نفسه ، وفى كلتا الحالتين يعيش مشغول القلب بطلب المعرفة ويستضىء ، بوعى منها مشرق مستمر ، متجدد ، يهديه الى أقوم السبيل •

وحث الاسلام على تعلم السباحة ، والرماية ، وركوب الخيل ، وغيرذلك من ألوان الفتوة الرياضية وشرع السباق فى الجرى ، والمصارعة والنضال بالسهام ، والرماية بالقوس ، والرهان ، والطعن بالرمحوالحربة ، وركوب الخيل مسرجة ومعراة ، والسباحة والضرب بالسيف ، ورفع الأثقال والسباق بين الفرسان المتسابقين على الخيل أو الابل واشترك النبى صلوات الله وسلامه عليه فى هذا ، حين تكررت منه مسابقته لزوجته السيدة عائشة ووضع الرسول لهذه المسابقات نظما وتفاصيل، وعود صحابته أن يتعلموا التواضع فى ذلك ، مع الاستعداد للتحدى حينما لا يجدى التواضع •

ويمدح الاسلام المؤمن القوى ويعتبره أنفع وأفضل عند الله من الضعيف فيقول الرسول الكريم : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » ويقول فى حديث آخر : « ان لبدنك عليك حقا » •

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل » وكان عروة بن الزبير رضى الله عنهما يقول لولده : « يا بنى العبوا فان المروءة لا تكون الا بعد اللعب »، وفى معناه يقول أبو تمام : ولا جد لمن لم يلعب .

وحث الاسلام على التدرب على الرمى واتقانه والمداومة عليه ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام (من تعلم القرآن ونسيه فليس منا ، ومن تعلم الرمى ونسيه فليس منا ، وقوله أيضا : « الا أن القوة الرمى » ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه المحتسب فى عمله الخير ، والرامى به والمعد به ، فارموا واركبوا وان تراموا أحب الى من أن تركبوا » وقوله عليه السلام : « كل ما يلهو به المرء المسلم باطل ، الا رميه بقوسه ، وتأديب فرسه ، وملاعبة أهله » ، وقوله : « من ترك الرمى بعدما علمه فانما هى نعمة جحدها » وخرج صلى الله عليه وسلم مع نفر من أسلم ينتضلون بالسوق فقال : « ارموا بنى اسماعيل فان أباكم كان راميا ، ارموا ، وأنا مع بنى فلان . فأمسك أحد الفريقين ، فقال ما لكم لا ترمون ؟ فقالوا كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال ارموا وأنا معكم جميعا » .

ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على التدريب على الرمى والطعن بالحراب والتمرس بأعمال القتال حتى لقد سمح باتخاذ المسجد ميدانا للتدريب .

فيروى أن بعض الأحباش كانوا يلعبون بحرابهم عند النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد فدخل عمر رضى الله عنه فأنكر عليهم لعبهم بالحراب فى المسجد فقال النبى « دعهم يا عمر » .

قال الرسول ذلك لأن المسجد موضوع « لأمن » جماعة المسلمين فأى عمل من الأعمال يجمع بين منفعة الدين وأهله فهو جائز فيه مباح بين جدرانه ، وقد بلغ تقدير المسلمين للتدريب أن بعضهم كان يتدرب حتى فى يوم العيد .

ثم انه روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام مر بموضع كان الصحابة يتدربون فيه على الرمى

فنزع نعليه ثم قال : « روض من رياض الجنة » يقصد أن العمل الذى يعمل فى هذا الموضع يوجب روضة من رياض الجنة .

هكذا تكون التربية التى تصنع الشباب المؤمن القوى القادر على مواجهة التحديات الجسام فلا غرابة فى أن نرى الصبيان فى صدر الاسلام يسارعون فى الجهاد حماية للدين وحمية للوطن واقتداء بآبائهم وذويهم، وقد قاتل بعضهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عبد الله بن عمر : عرضت على رسول الله يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فردنى ، ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازنى (١) .

ورد رسول الله يوم أحد زيد بن ثابت والبراء بن عازب وعمرو بن حزم وأسيد بن ظهير ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم فى الخامسة عشرة (٢) .

وكان قد رفض اشتراك سمرة بن جندب الفزارى ، ورافع بن خديج وهما ابنا خمس عشرة سنة فقيل له أن رافعا يجيد الرمى ، فقبله ، فلما قبله قيل له أن سمرة يصرع رافعا ، فقبله أيضا (٣) .

محمد جمال الدين

---

(١) ، (٢) ، (٣) سيرة بن هشام .

تكريم

للأستاذ السيد حسن قزون

كانت مكة قبيل البعثة وظهور الاسلام ، وقبل مولد سيد ولد آدم مركز تجمع لطوائف شتى من الناس على اختلاف أجناسهم ودياناتهم ، بعضهم يقصدها للتجارة ، وبعضهم يقصدها انتظارا لمطلع النبى المنتظر ، وبعضهم يجلب اليها جلبا مثل الأرقاء والاماء ، وبعضهم يتخذ من رجالاتها أحلافا يستعين بهم على كفاح الحياة ، وشئون الحرب والسلم .

وانك لتعجب لأناس فى ذلك الزمان يتركون الخصب والنماء ، ويقبلون على مكة وهى بواد غير ذى زرع ، فيحمدون حرها وجبالها ، وتجهم الطبيعة فيها ، والا فأى جمال واعتدال جذبا الأخنس بن شريق ليترك الطائف وهى مصيف قريش ليتخذ من مكة سكناه ، ومضطرب مساعيه ؟ ثم هو يجعل له حليفا من قريش هم بنو زهرة ، وماذا عليه لو عاش بين قومه وأهله ؟ وما نقوله فى شأن الأخنس نقوله فى شأن (الحارث بن سخبرة الأزدى) ترك داره وعشيرته ورحل الى مكة يسوق معه زوجه (أم رومان بنت عامر الكنانية) وولده منها ومولاه عامر بن فهيرة وهناك حالف أبا بكر الصديق ، ومارس عيشه كما يمارسه القرشيون ، ورضى عن نفسه فى جوار حليفه ، ولم تمض سنوات حتى ودع الحياة والناس ، وتقلبت الدنيا بأسرته ، فتزوجت أم رومان أبا بكر ، وانتقلت ملكية مولاه الى ابنه الطفيل ، وأنجبت أم رومان لأبى بكر عائشة وعبد الرحمن ، فصارا أخوين للطفيل للأم العظيمة .

كان عامر بن فهيرة حين قدم الى مكة من أرض (السراة) صغير السن فى ميعة الصبا ، لم يسأل نفسه لم قدم ؟ ولم يسأل سيده لم ترك وطنه حيث العشيرة والعز ؟ ولم يسأل ويكلف نفسه العناء والرد الخشن ؟

انه مولى ومتى جاز للموالى أن يسألوا سادتهم ، أو يكون لهم رأى فى الحل والترحال ، واختيار المكان ؟ عليه أن يقوم بتنفيذ ما يؤمر به ، فهو فى يد سيده آلة يستعان بها ، أو حيوان يقوم بدوره فى هذه الحياة ، لقد مات الحارث سيده فورثه الوارث كأى عقار أو حيوان ، ولم يدر فى خلده أن رحلة سيده ومقامه فى مكة كانا لأمر يراد ، لأمر يخصه هو أكثر من سواه ، ولله فى خلقه شئون ، وما قدره لابد أن يكون .

وغدا ذات يوم بغنمه ليرعى خارج مكة فلقى أمورا لم يتنبه لها أول الأمر ، رأى القرشيين جماعات جماعات يتحدثون كأنهم يهمسون ، ولم يشغل نفسه بهم ، ولم يفكر فيما يصرفون حديثهم فيه ، فهم لديه أناس قد ارتفعوا على قمة العرب لهم مجدهم ووجدهم وكعبتهم ، والناس اليهم يحجون ، قد أقبلت عليهم الدنيا ، وركنوا الى الخفض والدعة ، فأيامهم بيض ، ولياليهم حسان ، وسار فى طريقه حتى وصل الى مرعاه ، وراح آخر النهار الى منزل سيده معه غنمه ، فرأى الناس كما عهدهم صباحا ، كأنهم لم يفارقوا مواقفهم مذ تركهم فيها ، وسمع كلاما يدور ، وأصواتا فيها التعجب والانكار ، وترامت الى أذنه كلمات : ان غلام (١) بنى عبد المطلب ليكلم من السماء ، إن محمدا يأتيه الوحى بالقرآن ، لقد استجاب لقوله أناس من مكة ، ووجد نفسه يعى ما يسمع ، ويردد فى صمته ما يقال ، ودارت فى نفسه الكلمات مشرقة زاهرة ، ولكنها فى عقله تحتاج الى بيان ، وكاد ينسى الغنم ، وأسلمها فى الدار ، وخرج يتنسم الأخبار ... دار فى دروب مكة ومنعطفاتها ، ودار حولها واستحيا أن يسأل عما سمعه من المتحدثين المنكرين ،انه يعرف محمد بن عبد الله معرفة تامة ، ومن فى مكة لا يعرف محمدا الأمين ؟ ورجع من حيث أتى ، ونام وأرجأ ما ينويه الى الصباح الجديد . أرأيت الظمآن فى قلب الصحراء ينيله الحظ ينبوعا من الماء ؟ أرأيت الغريق حين يلقى اليه طوق النجاة ؟ أرأيت الضال حين يهتدى الى طريقه وسط الفلاة ؟ تلك حال عامر

(١) الطبقات : دعاء رسول الله الى الاسلام جـ ١

ابن فهيرة حين التقى بالنور وأسلم على يد خير خلق الله ، كان ذلك (١) قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم وقبل أن يدعو فيها » كان ابن فهيرة يومئذ قد جاوز العشرين من عمره كان تائهـا فلقى نفسه ، وكان لا شيء فأحس أنه شيء جدير بالحياة ، ألم يسمع القرآن ويعلم أن الله واحد لا شريك له وأن الأصنام التى تملأ البيت الحرام ضلال مبين ، ووهم من أوهام البشر ، وأن الانسان لا يملك أمره الا الله خالق السموات والأرض ؟ ومن ذلك اليوم أصبح من أصحاب محمد ، يفكر فى نشر الدين الجديد ، ويتحمل المكاره فى سبيل نشره ، ويتعرض لسخط قريش ونكايتها ، فلا يزيده ذلك الا تمسكا بدينه ،وثقة بربه ، وحبا لنبيه ، كل عذاب يهون ، لقد أشرق الايمان فى قلبه ، فشعر بالبهجة الدائمة ، والفرحة التامة ، وماذا تفعل قريش ؟ انها من مخلوقات الله هو مثلها من بنى آدم وما الرق الا غشاء ينبغى أن يزول ، وقد بشره النبى بمكانة الصالحين يوم القيامة ، وفى مقدوره أن ينالها بصدق الايمان والعمل الصالح، والجهاد فى سبيل الله بالدعوة الى الاسلام ، ويحمل السلاح حين يؤمر بحمله ، وتعقبه كفار قريش يؤذونه فى نفسه وبدنه ، رآه أبو بكر الصديق وهو يعانى قسوة أعداء التوحيد ، فاشتراه فاعتقه ، وصار حرا ، ولكنه لم يفارق الكريم الذى أنقذه من الرق ، فأوى الى بيته حيث أم رومان وولدها عبد الرحمن وعائشة ،وعبد الله وأسماء ابنا أبى بكر الصديق ، وجد الأسرة الكريمة التى لا يشعر بالغربة معها ولا سيما أخوة الدين وما أجلها أخوة ، انها أقوى من لحمة النسب ، ولم يترك مهنة الرعى ، فكان لأبى بكر كما كان للسيدين السابقين الحارث وابنه الطفيل ، وصار يتردد على منزل الوحى الأثير حيث يتلقى القرآن ، ويسمع كلام الرسول ،ويزداد معرفة بتعاليم الدين ومرت الأيام وكرت الأعوام كطبيعتها ، وتنكرت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ولأصحابه فهاجروا الى الحبشة ، ومن بقى منهم ناله العذاب الأليم الا نفرا كانت لهم عصبية تذود عنهم كيد الكائدين ، ومكر الماكرين •

(١) الطبقات : عامر بن فهيرة .

وأذن الله لرسوله بالهجرة الى يثرب ، وهنا نجد عامر بن فهيرة على مستوى المسئولية ـ كما نقول اليوم ـ يقوم بخدمات سجلها التاريخ فى صفحات لا تنقضى على مر العصور ، انه رجل جد ، ومؤمن بما يأتيه من الأعمال ، أحاط بأسرار الهجرة فكتمها ، وقام بدوره فيها يحدوه التوفيق ، فما ان أوى رسول الله ورفيقه أبو بكر الى غار ثور حتى كان ابن فهيرة ومنيحة (١) الغنم التى يرعاها لأبى بكر سبيله الى أداء الخدمة الموكل بها ، فهو يذهب ليلا الى الغار اليهما فيحلبان ويبقى الى السحر ، ثم يصبح مع رعيان مكة ، وفى طريقه يعفى على أثر سير عبد الله بن أبى بكر الذى كان يبيت معهما لينقل اليهما أخبار قريش ، ثلاثة أيام قضاها عاملا جاهداً يأخذ حذره ، ويحتاط لنفسه أملا فى اطعام الرسول وصاحبه ، ولما هدأ الطلب نال ما تمنى ، فقد صحبهما الى يثرب ، وقد شاهد فى الطريق آيات من معجزات النبى عمقت ايمانه، وأثلجت صدره ، وجعلته من الأخيار المكرمين ، شاهد قوائم فرس (سراقة) تسوخ فى الرمال ، ويرجو من الرسول أن ينقذه ، وهو الذى منته قريش بمائة من الابل ليرجع بمحمد، ويحول بينه وبين بلوغ قصده ، ورأى الرسول يمسح على ضرع الشاة العجفاء فيمتلىء لبنا يكفيه ويكفى من معه ، ويترك الاناء مملوءا لصاحبتها أم معبد ، وشاهد الاستقبال الرائع لسيد الرسل حين بلغوا المدينة ، رحلة شاقة ولكنها موفقة وحبيبة الى النفس، بها انتشر الاسلام وعز جنده ، وعبد الله وحده ، وأخرج الناس من الظلمات الى النور .

وفى المدينة نزل على سعد بن خيثمة ، وآخى النبى بينه وبين الحارث بن أوس بن معاذ ، وزاول حياته الجديدة قرير العين مفتوح الفؤاد ، يحفظ ما ينزل من القرآن ، ويحرص على أداء الفرائض ، ويحمد الله صباح مساء على نعمة الايمان والتقوى . وفتح باب الجهاد على مصراعيه للذياد عن العقيدة فأصبح

(١) قطيع الغنم .

جنديا من جنـــود الرحمـن يحارب الطغيان ، شـهد بدرا وأحدا ، وأبلى بلاء حسنا ، ابتهج بالنصر فى الأولى ، ولم ييئس من الهزيمة فى الأخرى ، ان العاقبـة للمتقين ، وكيف لا يكون كذلك وهو يتلو قوله تعالى : (١) « ان يمسسكم قرح فقد مس القـوم قرح مثله وتلك الأيام نداولهـا بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شـــهداء والله لا يحب الظـالمين • وليمحص الله الذين آمنـوا ويمحق الكافرين • أم حسـبتم أن تدخلـوا الجنة ولمـا يعـلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » •

وتاقت نفسه الى الشـــهادة ، لأنه يريد نشر الدعوة ، ليرتفع بالانســان الى مناط الملأ الأعلى ، لتخلص العبادة لله ، ليترك النـاس عبـــادة الأوثان وأرباب السلطان ، لقد باع نفسه لله لينال الجزاء الذى وعد به ، وليكون مع الأبرار والصـديقين والشـهداء ، وينتدب مع مجموعة من خيـار الأمة الاســـلامية ليدعوا أهـل نجـد الى الاسلام استجابة لرجاء رجل من بنى عامر هو أبو براء عـامر بن مالك بن جعفر ـ ملاعب الأسنة ـ وكان سيد بنى عامر ، قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية فأبى الرسول قبولها •وقال يا أبا براء ، لا أقبل هدية مشرك ، فأسلم ان أردت أن أقبـــل هديتـك ، وعرض عليـه الاسلام (٢) « فلم يسلم ولم يبعـد » وقال : يا محمد ، ان أمرك هذا الذى تدعو اليه حسن جميـل ، فلو بعثت رجالا من أصحابك الى أهـل نجد ، فدعوهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقـال الرسـول ـ وهو العليـم بخـلائق العـرب ـ انى أخشى عليهم أهل نجد ، فقـال أبو براء : أنا جار لهـم ، فابعثهـــم دعاة لأمرك • قـال الرواة : فبعث الرسول المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة ، ليموت فى أربعـين رجلا من أصحابه من خيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصمة ، ونافع بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة ، لم يكن هؤلاء الدعاة على نية قتال ، ان أبا براء أعطى ذمة لرسـول الله ، وأنه جـار لهـم ، فكانوا مطمئنين ، لم يأخـذوا حـذرهم ، ولم يفـكروا فى غدر من جاءوا لانقاذهم من ضـلالهم ، نزلوا

---

(١) من سورة آل عمران ١٤٠ ـ ١٤٢ (٢) الطبرى حوادث السـنة الرابعة من الهجرة

(بئر معونة) وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم ، وهى الى حرة بنى سليم أقرب ، فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر الى الكتاب بل عدا عليه فقتله ، ثم استصرخ على الدعاة بنى عامر فلم يستجيبوا له وقالوا لن نخفر أبا براء ، فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم فأجابوه ، فخرجوا حتى غشوا القوم المسلمين ، ودارت معركة لم تكن فى حسبانهم فقتلوا جميعا الا كعب بن زيد من بنى النجار ، فانهم تركوه وفيه رمق . ونقل الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية الضمرى . فقال الرسول : هذا عمل أبى براء ، وكنت لهذا كارها .

استشهد فى هذه الغزوة عامر بن فهيرة ، وكان لاستشهاده أثر فى قاتله اذ رأى تكريما له وكرامات جعله بعد أن أسلم يحكيها ويتعجب من أمرها . ان قاتله (جبار بن سلمى الكلبى) طعن عامر بن فهيرة فأنفذه . فقال عامر : « فزت والله » قال القاتل : وذهب بعامر علوا فى السماء حتى ما أراه . وسأل : ماقوله : فزت والله قالوا : الجنة فكان أن أسلم جبار بن سلمى وحسن اسلامه .

ويقول رسول الله لأصحابه : « ان الملائكة وارت جثته ، وأنزل عليين » وهو تكريم من الله أغدقه على رجل مؤمن من عباده المؤمنين الصادقين . كان ابن فهيرة من مولدى الأزد تقلبت به الأحوال ، فاهتدى وجاهد ، وأحب الله فأحبه ، فنال سعادة الدنيا وحسن نعيم الآخرة . استشهد وقد بلغ الأربعين من عمره فى السنة الرابعة من الهجرة ، وخلف لنا من بعده سيرة مجيدة نراها مثالا عظيما للصالحين المجاهدين .

السيد حسن قرون

ميراث الشفعة

للدكتور ابراهيم دسوقى الشهاوى

اختلف الفقهاء فى ميراث الشفعة على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أنها لاتورث • فاذا مات الشفيع بعد وجود سببها وقبل الأخذ بها سقطت ولا تنتقل ميراثا الى الورثة مطلقا سواء أطالب بها بعد وجود سببها أم لم يطالب بها ، ذهب الى ذلك : الحنفية والحسن والشعبى والثورى وابن سيرين والنخعى واسحاق •

القول الثانى : انها تورث : فاذا مات الشفيع بعد وجود سببها وقبل الأخذ بها فانها لا تسقط وتنتقل ميراثا الى الورثة مطلقا سواء أطالب بها بعد وجود سببها أم لم يطالب بها • ذهب الى ذلك المالكية والشافعية والعنبرى

القول الثالث : انها تورث اذا طلبها الشفيع بعد وجود سببها فلا تسقط بموته وتنتقل ميراثا الى ورثته ولا تورث اذا لم يطلبها فتسقط ولا تنتقل ميراثا الى ورثته • ذهب الى ذلك الحنابلة والظاهرية •

الأدلة : استدل أصحاب القول الأول : على أن الشفعة لاتورث مطلقا سواء أطالب بها الشفيع بعد وجود سببها أم لم يطالب بدليلين :

الدليل الأول : ان الشفعة ما هى الا مجرد رغبة من الرغبات فتزول بموت الشفيع كسائر أوصافه من علم وقدرة وغيرهما فلا يتصور ارثها لعدم بقائها • هذا اذا طلبها الشفيع بعد وجود سببها ومن باب أولى لا تورث اذا لم يطلبها ؟ فالشفعة لا تورث مطلقا سواء أطلبها الشفيع أم لم يطلبها •

ورد هذا الدليل : بأنا لا نسلم أن الشفعة ما هى الا رغبة من الرغبات لأنها حق أثبته الشارع لدفع الضرر فيورث كما يورث خيار العيب •

الدليل الثانى ان ملك الشفيع للعين التى كان يشفع بها قد زال عنه بموته وانتقل ملكها الى الوارث • فملك الوارث للعين التى يشفع بها حدث بعد بيع المشفوع فيه فلا شفعة له لانتفاء شرطها وهو وجودملك الشفيع للعين التى يشفع بها قبل البيع وبقاؤه الى الأخذ بالشفعة •

ورد هذا الدليل : بأن الوارث لم تكن له الشفعة بناء على ملكه المتجدد بالميراث وانما تكون له الشفعة بناء على ملك مورثه لأن قيامه مقامه يجعل ملك المورث كأنه مستمر الى وقت الأخذ بالشفعه فيتحقق الشرط حكما فيكون له الأخذ بالشفعة ميراثا عن مورثه •

واستدل أصحاب القول الثانى : على أن الشفعة تورث مطلقا سواء أطلبها الشفيع بعد وجود سببها أم لم يطلبها بالقياس •

فقالوا : ان الشفعة كخيار الرد بالعيب بجامع رفع الضرر فى كل • فكما أن خيار الرد بالعيب يورث فكذلك الشفعة تورث •

ورد هذا الدليل : انه قياس مع الفارق فان الضرر فى العيب محقق وهو فوات جزء من المبيع قد انتفع البائع بما يقابله من الثمن • دون انتفاع المشترى بذلك • ولما كان هذا الضرر يلحق الوراث كما يلحق المورث ثبت له ما ثبت لمورثه ليدفع عن نفسه هذا الضرر • أما الشفعة فان الضرر فيها غير محقق • وكان الظاهر عدم ثبوتها لأجله لولا ماورد من الأدلة المثبتة لها • ولا يلزم من اعتبار الضرر غير المحقق لشخص اعتباره لشخص آخر •

ودفع هذا الرد : بأنا لانسلم الفرق • فان غاية مافى خيار الرد بالعيب أن العيب محقق ، وتحقق العيب لا يستلزم تحقق الضرر فقد يحصل الضرر وقد لا يحصل بأن كان المبيع مع وجود العيب فيه صالحا لما يقصد منه ، وكذلك الشفعه فان الشفيع قد يتيقن حصول الضرر لعلمه السابق بأخلاق المشترى وسوء مخالطته وقد لايتيقنه فاستويا فى أن كلا منهما حق شرع لرفع الضرر مطلقا سواء أكان محققا أم كان غير محقق •

واستدل أصحاب القول الثالث : على أن الشــفعة تورث اذا طلبهـا الشــفيع بعد وجود سببها ولا تورث اذا لم يطلبها : بأن الشفعة قبل طلبها تـكون مجـرد رغبة للشـفيع قائمة بنفسه فتزول بموته ولا تورث لعدم بقائها ، أما بعد طلبها فهى حق ثابت لا يزول بالمـوت لتقـرره بالطلب . ولذلك لاتسـقط بتأخير الأخـذ بها بعد الطلب وتسقط قبله .

ورد هذا الاسـتدلال : بأن الشفعة حق أثبته الشـارع الحـكيم للشفيع بمجرد البيع دون توقف على الطلب. والتفرقة بين حالة طلبها وحالة عدم طلبها فى ارثها لا دليل عليها ، ولا يضير هذا الحق كونه يسقط بتأخير الطلب . ولايسـقط بتأخـير الأخذ بعد الطلب ، فانه فى الحالتين مجرد حق لا ملك معه فتجب التســوية بينهما ، فاذا قلنا : ان الشفعة تورث اذا طلبها الشفيع وجب أن تقول أنها تورث ــ أيضا ــ اذا لم يطلبها الشفيع بعد وجود سببها ومات فالشفعة تورث مطلقا سواء أطلبها الشفيع بعد وجود سببها أم لم يطلبها .

القول الراجح : والقول الراجح من الأقوال الثلاثة فى ميراث الشفعة هو القول الثانى وهو : أن الشـفعة تورث مطلقا سواء أطلبها الشفيع أم لم يطلبها لقوة دليـله ولأن الغـالب معاشرة الـورثة لمـورثهم فى حيـاته وتضررهم بما يتضرر به . فمشروعية الشفعة له فى حياته انما هى لرفـع الضرر عنه وعنهم جميعا فلو سقطت بموته بعد وجود سببها وهو اتصـال الملك مع البيع للحقهم الضرر الذى ما شرعت الشفعة لمورثم الا لرفعة .

ميراث الشفعة فى القانون الوضعى:

لم يوجد نص فى القـانون الوضعى يفيد أن الشفعة تورث أو لا تورث وقد ترك ذلك لاجتهاد القاضى ، فان رأى المصلحة فى أن الشفعة تورث حكم بها وان رأى أن المصلحة فى عـدم توريثها حكم بأنها لا تورث . ويحـدثنا الدكتـور عبد المنعم فرج الصده فى كتابه (حق الملكية) بما يفيـد أن رجـال التشريع الوضـعى ورجال القضاء قد اختلفوا فى ميراث حق الشفعة كما اختلففقهاء الشريعة الاسلامية فيقول :« وفى الفقه المصرى اختلف الرأى ــ أيضا .

فقائل : « ان حق الأخذ بالشفعة لا يسقط بموت الشفيع بل ينتقل الى ورثته .

وقائل : انه يورث اذا كان الشفيع قد رفع دعوى الشفعة ، أما اذا مات قبل رفع الدعوى فلا يورث حقه لأنه يكون حينئذ مجرد رغبة لا ترقى الى مرتبة الحق .

وقائل : أنه لايورث حتى لو مات الشفيع بعد رفع الدعوى. لأن الشفيع لم تستمر ملكيته الى حين الحكم بالشفعة ولا يستطيع الوارث أن يأخذ بالشفعة لأنه لم يكن مالكا وقت البيع .

وفى القضاء ظهر رأيان : أيضا .

أحدهما يقول : بسقوط حق الشفيع اذا مات قبل أن يتملك العقار المشفوع فيه بالرضا أو بالقضاء .

بينما يذهب الرأى الآخر الى أن هذا الحق ينتقل بالميراث .

ولما عرض الأمر على محكمة الاستئناف بدوائرها المجتمعة قضت بسقوط الحق فى الشفعة اذا مات الشفيع قبل أن يتملك العين المشفوع فيها بالرضا أو بالقضاء وذلك أخذا بالمذهب الحنفى الذى يعتبر هذا الحق مجرد رأى أو مشيئة . فلا يمكن أن يورث ، ولأن من شروط الشفعة أن يكون الشفيع مالكا لما يشفع به من وقت البيع الى وقت الأخذ بالشفعة . فاذا مات الشفيع زال ملكه وسقطت شفعته بزوال سببها ولا تنتقل الى وارثه . ولأن الوارث انما يملك بالميراث من وقت الوفاة وهى حادثة بعد البيع .

ولكن محكمة النقض : رفضت هذا النظر حيث قضت بأن حق الشفعة ينتقل الى الورثة – كرأى جمهور الفقه الاسلامى – وذلك باعتباره مالا يورث وليس حقا متصلا بشخص الشفيع . اذ أن هذا هو الذى يتفق مع مبادىء قانوننا الوضعى .. وكون الشريعة الاسلامية هى مصدر تشريع الشفعة لا يوجب التقيد بآراء فقهائها عند البحث فى هل ينتقل حق الشفعة بالارث أم لم ينتقل ؟ .

وحين وضع المشروع التمهيدى للتقنين المدنى : انقسمت اللجنة التى

عهد اليها بوضع مشروع الشفعة الى فريقين :

وكانت الأغلبية مؤيدة لانتقال الحق فى الأخذ بالشفعة بالميراث : فانتهى الأمر بأن تضمن المشروع التمهيدى نصا يقول : « ان الحق فى الشفعة لا ينتقل بالحوالة وانما ينتقل بالميراث » •

ولكن لجنة المراجعة عدلت هذا النص بحيث يقضى بعدم انتقال الحق فى الأخذ بالشفعة بالميراث حيث جاء فيه : « ان الحق فى الشفعة لا ينتقل بالتحويل ولا بالميراث » •

وفى لجنة القانون المدنى : بمجلس الشيوخ قام نقاش حول توارث حق الأخذ بالشفعة أدى الى حذف هذا النص وترك حكمة الى اجتهاد القضاء •

ونحن نقرر ما ذهبت اليه محكمة النقض من أن حق الشفيع فى الأخذ بالشفعة لا يسقط بموته وانما ينتقل الى ورثته ونعتقد أن هذا الانتقال يتحقق حتى لو مات الشفيع قبل اعلان الرغبة فى الأخذ بالشفعة وقبل رفع الدعوى ، ذلك أن الشفعة ولو أنها رخصة تتعلق بمشيئة الشفيع الا أنها بحكم طبيعتها تلازم العقار المشفوع به فتنتقل معه الى الوارث حيث أنها تثبت للشفيع تبعا للعقار المشفوع به فهى رخصة لها ناحيتها المالية ولا ترتبط ارتباطا وثيقا بشخص الشفيع •

وليس من المقبول فى نظرنا أن يعترض على هذا الرأى بأن الشفيع اذا مات سقطت عنه ملكية العقار المشفوع به قبل تمام الأخذ بالشفعة وأن الوارث لايستطيع الأخذ بالشفعة لأنه لم يكن مالكا لهذا العقار وقت البيع ، اذ أن المسألة تتعلق بانتقال حق الشفعة من الشفيع الى وارثه ومن المعروف أن الوارث تنتقل اليه الحقوق والخيارات التى كانت لمورثه فهى تثبت له بالحالة التى كانت عليها بالنسبة الى مورثه ومن ثم يكون له أن يباشرها فى الحدود المقررة بالنسبة الى المورث ، فاذا مات الشفيع قبل أن يتخذ اجراء من الاجراءات المقررة للأخذ بالشفعة كان للوارث أن يتخذ هذا الاجراء ما دام أن المدة المحددة لهلم تكن قد انتهت ،واذا كان الشفيع قد رفع الدعوى قبل موته كان

للوارث أن يستمر فى هـذه الدعوى حتى يتم له الأخذ بالشفعة • والوارث فى كل هـذا شـأنه شـأن مـورثه الشفيع » •

هذا : والناظر فى هذا النص الذى نقلناه عن الدكتـور عبد المنعم فرج الصده يتبين له :

أولا : ان القانون الوضعى جـاء خاليا من النص فى مواده على ميراث الشفعة وأنه ترك أمره الى اجتهـاد القضاء •

ثانيا : ان المختار فى نظره ونظر كثـير من رجـال التشريع ورجـال القضاء هو القـول بمـيراث الشفعة مطلقـا سـواء طلبها الشـفيع أم لم يطلبهـا وهو ما ذهب اليه المـالـكية والشـافعية وكثـير من الفقهاء وهـو ما رجحناه أيضا والله أعلم بالصواب• واليه المرجع والمآب •

د• ابراهيم دسوقى الشهاوى

سطور فى كتب التراث

قال الله تعالى : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيـه شـفاء للناس) • قال الصفدى : ذهب بعض الناس الى أن المراد بهـذه الآية أهل البيت وبنو هاشم • وأنهـم النحل • وأن الشراب هو القرآن والحكمة •

وذكر أحد الناس هذا فى مجلس أبى جعفر المنصور العباسى : فقـال بعض الحاضرين : جعل الله طعامك وشرابك ممـا يخـرج من بطـون بنى هاشم !

فأضحك من فى المجلس ؟

من (الكشـكول) لبهـاء الدين العاملى ص ١٧٣

الدفاع الشرعى فى الشريعة الإسلامية

للدكتور جمال الدين عواد

ان القوانين منذ القدم تعطى الانسان حق الدفاع عن نفسه أو عرضه أو ماله وان القتل بسبب استعمال الانسان حق الدفاع الشرعى هو من القتل بحق بل هو أخف الضررين ـ فلو أن المصول عليه ترك الصائل ليقتله فلا شك أن الصائل يقتل بالمعتدى عليه وحينئذ فقتل المصول عليه للصائل قتل واحد وهو بلا شك أولى من قتل اثنين أحدهما قتل عدوانا ظلما والآخر قتل قودا •

هذا ، والدفاع الشرعى مقرر فى الشريعة الاسلامية ويوجد فى كتب الفقه تحت اسم (دفع الصائل) ولقد نظمته التشريعات والقوانين الوضعية الحديثة ووضعت له القواعد والأحكام وسبقتهافيه من ذى قبل الشريعة الغراء التى لا يشق غبارها شريعة دين الله ـ الحنيف ـ واذا كان هناك خلاف بين فقهاء الشريعة فانما هو خلاف على تحديد الحالات التى يكون فيها الدفاع واجبا اذ هو فى بعض الحالات يكون جائزا غير واجب فان كان الدفاع عن أهله وجب الدفاع لأنه لايجوز اباحته وكذلك اذا كان الدفاع عن العرض فيجب على المصول عليه أن يدفع الصائل عنه ـ فاذا أراد رجل اغتصاب امرأة ولم تستطع دفعه عنه الا بالقتل فالواجب أن تقتله متى أمكنها ذلك لأن تمكين هذا الصائل منها حرام وانما لو لم تقتله لتمكن من فعلته بها •

قال الامام أحمد بن حبل رضى الله عنه فى أمرأة أرادها رجل عن نفسها فقتلته لتحصن نفسها فقال : اذا علمت أنه لا يريد الا نفسها فقتلته لتدفع عن نفسها فلا شىء عليها ـ وذكر حديثا يرويه الزهرى عن القاسم بن محمد عن عبيد بن عمير أن رجلا

أضاف ناسا من هذيل فأراد امرأة على نفسها فرمته بحجر فقتلته. فقال عمر والله لا يودى أبدا .

ولقد أثر عمر رضى الله عنه خير فى قتل المرأة من اكراهها فمنعت من استمرار الاعتداء عليها بالقتل . . . ما رواه الليث بن سعد فقيه مصر القصة التالية التى جاءت فى الطريق الحكمية لابن القيم :

قال الليث بن سعد : أتى عمر بن الخطاب يوما بفتى أمرد وقد وجد قتيلا ملقى على قارعة الطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف على خبر فشق ذلك عليه فقال اللهم اظفرنى بقاتله حتى اذا كان على رأس الحول وجد صبى مولود ملقى بموضع القتيل فأتى به عمر فقال ظفرت بدم القتيل ان شاء الله تعالى : فدفع الصبى الى امرأة وقال لها قومى بشأنه وخذى - منا نفقة - وانظرى من يأخذه منك فان وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فأعلمينى بمكانها فلما شب الصبى جاءت جارية فقالت للمرأة ان سيدتى بعثتنى اليك لتبعثى بالصبى لتراه وترده اليك قالت نعم اذهب به اليها وأنا معك فذهبت بالصبى والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها فلما أخذته فقبلته وضمته اليها فاذا هى ابنة شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأتت عمر رضى الله عنه فأخبرته فاشتمل على سيفه ثم أقبل الى منزل المرأة فوجد أباها متكئا على باب داره فقال له يا فلان ما فعلت - ابنتك فلانة ؟ قال جزاها الله تعالى خيرا يا أمير المؤمنين : هى من أعرف الناس بحق أبيها مع حسن صلاتها والقيام بدينها فقال عمر قد أحببت أن أدخل اليها فأزيدها رغبة فى الخير وأحثها عليه .

فدخل أبوها ودخل معه عمر فأمر من عنده فخرج وبقى هو والمرأة فى البيت فكشف عمر عن السيف وقال أصدقينى والا ضربت عنقك وكان لا يكذب فقالت على رسلك فوالله لأصدقن ان عجوزا كانت تدخل على فأتخذها أما وكانت تقوم من أمرى بما تقوم به الأم وكنت لها بمنزلة البنت حتى مضى كذلك حين ثم انها قالت يابنية أنه قد عرض لى سفر ولى ابنة فى موضع أتخوف عليها فيه أن تخرج

وقد أحببت أن أضعها اليك حتى أرجع من سفرى فعمدت الى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية واثتنى بى لا أشك أنه جارية - فكان يرى منى ماترى الجارية من الجارية حتى احتضنى يوما وأنا نائمة فما شعرت حتى علانى وخالطنى فمددت يدى الى شفرة كانت الى جانبى فقتلته ثم أمرت به فألقى به حيث رأيت فاشتملت منه على هذا الصبى فلما وضعته القيته فى موضع أبيه فهذا والله خبرهما على ما أعلمتك فقال صدقت ودعا لها وخرج وقال لأبيها نعمت الابنة ابنتك .

هذا ولا شك أن القصة تبدو غريبة تشبه قصص التسلية ولكنها على أى صورة تدل على أن المرأة اذا قتلت من يعتدى عليها لاشىء عليها - ولولا أنها توافق رأى عمر الذى حكيناه آنفا وانها براوية الليث بن سعد فقيه مصر وانها جاءت فى كتاب قيم لابن القيم لما أثبتناها الا لذلك . هذا والحكم كذلك .

فى رجل رأى آخر يزنى بامرأة أو يحاول ذلك بها ولم يكن فى وسعه منعه الا بقتله كان الواجب عليه أن يقتله متى كان ذلك فى امكانه وذلك لأنه رأى منكرا وكان من الحق عليه أن يغيره لما روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ». رواه مسلم ولأن الواجب هو ما يذم الانسان ويلام شرعا على تركه .

كما أن البضع لاسبيل الى اباحته وسواء كان بضع أهله أو غيره ومثل البضع مقدماته كما ذكرنا ولكن محل ذلك اذا لم يخف الدافع عن نفسه كما قاله البغوى والمتولى وهما من فقهاء الشافعية وان كان الدفاع عن النفس فقد اختلف فيه الفقهاء فظاهر مذهب أبى حنيفة أنه يجب قال صاحب الكنز من الحنفية وشارحه فى الدفاع عن النفس : ومن شهر على المسلمين سيفا وجب قتله لقوله صلى الله عليه وسلم :« ومن شهر على المسلمين سيفا فقد أحل دمه » وقال : الحصاص الصحيح من المذاهب أنه يلزم الرجل دفع الفساد عن نفسه وغيره وان أدى الى القتل .

ويرى الشافعي أن فيه وجهين أحدهما يجب عليه الدفع لقوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » . وهذا الوجه يتفق مع ظاهر مذهب أبي حنيفة المتقدم ذكره والرأى الغالب في مذهب مالك فقد جاء في كتاب الحطاب وذكر القرطبي وابن الفرس في الوجوب قولين : قالا : والأصح الوجوب .

وأما الوجه الثاني عند الشافعي فلا يجب الدفاع عن النفس لخبر أبي داود « كن خير ابني آدم » يعني قابيل وهابيل .

كما أن عثمان رضي الله عنه لم يدفع عن نفسه وكان بوسعه أن يفعل اذ كان له أربعمائة مملوك : وقال من ألقى سلاحه فهو حر : واشتهر ذلك بين الصحابة رضي الله عنهم فكان اجماعا منهم على ذلك .

فهذا الاستدلال يدل على جواز ترك المدافعة وان الاستسلام أفضل .

هذا وما ذهب اليه الشافعي في الوجه الثاني يتفق مع الرأى المرجوح في مذهب مالك والرأى الراجح في مذهب أحمد وفي ذلك يقول ابن قدامة في المغني :

« فأما من أريدت نفسه أو ماله فلا يجب عليه الدفع لقول النبي صلى الله عليه وسلم » اجلس في بيتك فان خفت أن يبهرك شعاع السيف فغط وجهك « وفي لفظ : » فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل .

ويرى بعض الحنابلة ان الدفاع عن النفس واجب في حالة الأمن لأن الاستسلام للصائل يعتبر القاء بالنفس الى التهلكة وأما في أيام الفتنة فالدفاع عن النفس جائز غير واجب .

ويستدلون على ذلك بأن عثمان رضي الله عنه لم يدفع عن نفسه ويدل لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم « آجلس في بيتك فان خفت أن يبهرك شعاع السيف فغط وجهك » .

وفي رواية « فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل .

وأخيرا فما ذكرناه يتبين لنا أن الدفاع عن النفس واجب في ظاهر مذهب ، أبي حنيفة وفي أحد الوجهين عند الشافعي وفي الرأى الغالب في مالك كما أنه رأى بعض الحنابلة .

وأنه جائز عند الشافعي في الوجه الآخر والرأى المرجوح في مذهب مالك والرأى الراجح عند أحمد .

ونحن نختار رأى القائلين بوجوب الدفاع عن النفس لما ذكرناه وأنه يجب على المصول عليه قتل الصائل متى تعين القتل طريقا لذلك لأنه اذا لم يدفعه عن نفسه فقد مكنه من قتل نفسه بلا شك حرام كما هو محل اتفاق بين الفقهاء قال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم أن الله كان بكم رحيما » .

الدفاع عن المال :

يرى أغلب الفقهاء أن الدفاع عن المال جائز غير واجب لأن المال تجوز اباحته للغير فللمصول عليه أن يدفع الصائل عن المال وله الا يدفعه .

فقد روى أبو داود والترمذى وصححه ابن زيد قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد » .

فالحديث فيه دليل على أنه تجوز مقاتلة من أراد أخذ مال انسان من غير فرق بين ، القليل والكثير اذا كان الأخذ بغير حق .

وقد حكى النووى والحافظ فى الفتح أن ذلك مذهب الجمهور كما ذكرنا . ولكنى أرى وجوب الدفاع عن المال كما ذهب اليه بعض الفقهاء مستدلا على ذلك بما يلى :

أولا : بقوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » . فظاهرة الآية وان كان فيه النهى عن الاقدام على ما يخاف منه تلف النفس كما ذكره العلامة الألوسى الا أنه لا مانع من أن يشمل النهى عن اتلاف المال كذلك لأن فى اتلافه أحيانا اتلاف النفس تبعا اذ لاحياة بدون مال .

ثانيا : بما رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل فقال : يارسول الله أرأيت أن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : فلا تعطه مالك قال : أرأيت أن قاتلنى ؟ قال قاتله . قال أرأيت أن قتلنى ؟ قال فأنت شهيد . قال : أرأيت أن قتلته ؟ قال هو فى النار : فهذا الحديث دليل على الأمر بالمقاتلة والنهى عن تسليم المال الى من أراد غصبه .

وحكى ابن المنذر عن الشافعى أنه قال : من أريد ماله فله المقاتلة وليس ، عليه عقل ولادية ولاكفارة •

قال ابن المنذر :

والذى عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عما ذكر اذا أريد بغير تفصيل •

هذا ـ والآثار التى وردت فى تقرير حق الدفاع الشرعى كثيرة علما بأن هذا الحق لا يلزم المعتدى عليه فقط بل يلزم غيره فيجب على غيره معاونته على دفع الاعتدا عملا بقوله : صلى الله عليه وسلم :

« انصر أخاك ظالما أو مظلوما » • أخرجه البخارى وغيره ويقول صلى الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » • وروى الامام أحمد عن سهل بن حنيف عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره أذله الله عز وجل على رؤس الخلائق يوم القيامة » • قال الشوكانى : وحديث سهل بن حنيفة وما ورد فى معناه يدل على أنه يجب نصر المظلوم ودفع من أراد اذلاله بوجه من الوجوه ـ وهذا مما لا علم فيه خلافا وهو مندرج تحت أدلة النهى عن المنكر ؟

والله سبحانه وتعالى أعلم

د/محمد جمال الدين عواد

سطور من كتب التراث

قال الامام الرازى فى قوله تعالى : (هو الذى خلقكم من طين) : أن الانسان مخلوق من المنى ودم الطمث• وهما يتولدان من الدم • والدم انما يتولد من الأغذية • والأغذية اما حيوانية واما نباتية • فان كانت حيوانية فالحال فى تولد ذلك الحيوان كالحال فى تولد الانسان • فيبقى أن تكون نباتية • فالانسان مخلوق من الأغذية النباتية • ولا شك أنها متولدة من الطين • فيكون هو أيضا متولدا من الطين ؟

من (الكشكول) لبهاء الدين العاملى ص ٣٢٧

صفحات من تاريخ القاهرة

مجرى العيون – السبع سقايات – سكة حديد حلوان

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ٦ —

اذا وقفنا فى ميدان فم الخليج متجهين الى شارع القصر العينى نجد على اليمين شارعا صغيرا اسمه شارع قنطرة فم الخليج • وهو اسم واضح لا يحتاج لتفسير • ونجد شارع السد البرانى يتجه للشمال الشرقى فى خط مستقيم حتى ميدان السيدة زينب غربى مسجدها • ويكون شارع السد البرانى مع شارع القصر العينى مثلثا رأسه فى ميدان فم الخليج •

وشمال هذا الالتقاء بقليل يبدأ شارع السبع سقايات متجها الى الشمال بين شارعى القصر العينى وسكة حديد حلوان وموازيا لهما •

وكان الخليج المصرى يبدأ من النيل عند الميدان المذكور بعد أن مده الصالح نجم الدين أيوب حوالى سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م) عندما تحول النيل غربا فى القرنين ٦و٧ هـ (١٢ و ١٣ م) وبعد عن مجراه السابق عند الفتح العربى • وردم الخليج سنة ١٨٩٧ وسيرت فيه شركة الترام أحد خطوطها •

ثم اقتضى توسيع شارع القصر العينى ومد سكة حديد حلوان اقتطاع جزء من محل مجرى الخليج والآن يبدأ شارع الخليج شرقى سكة حديد حلوان ملاصقا لها وموازيا لشارع السد لغاية نهاية شارع الدكتور على باشا ابراهيم (مدرسة الطب سابقا)عند مقام الشيخ محمد السدى المعروف بأبى الريش • فيفترق شارع السد وشارع الخليج • فبينما يتجه الأول نحو الشمال الشرقى حتى ميدان السيدة زينب ، اذا شارع الخليج يتجه شمالا موازيا تقريبا لسكة حديد

حلوان حتى قرب جنوبى شارع محمد عز العرب (المبتديان سابقا) عند مطابع دار الهلال • ثم ينتهى فى شبه قوس الى الجنوب الشرقى نحو ميدان السيدة زينب •

وقديما كانت تقام الجسور تبعا لنظام الرى بالحياض ولحماية المدن من مياه الفيضان فكان هناك ما يسمى بالجسر الأعظم فى موقع الجزء الشمالى من شارع السد ثم يتجه شرقا نحو موقع القلعة فى اتجاه وموقع شارع عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقا) المتفرع من ميدان السيدة • أما الجزء الجنوبى من موقع شارع السد فقد كان من المجرى القديم للنيل أو مما هو غربيه من الأراضى •

ثم لما تحول النيل غربا ومد الصالح أيوب الخليج الى مجرى النيل الجديد كما ذكرنا • كان ماهو شرقى الخليج بعد مده يعرف ببستان الحارة • ثم حكره اقبغا عبد الواحد تعرف بحكر أقبغا • وهو من أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون • وقيل زوج أخته أو أخو زوجته • وهو منشىء المدرسة الأقبغاوية التى ادخلها عبد الرحمن كتخدا ضمن مبانى الجامع الأزهر الحالية • وبها الآن مكتبة الجامع الأزهر • وكان شارع عبد الرحمن شكرى شرقى الخليج هناك اسمه شارع اقبغا عبد الواحد •

وما استجد غربى الخليج عرف ببستان الحلى وبستان الخشاب ومنشأة المهرانى • ونعرفها الآن بأسماء فم الخليج والقصر العينى والمنيرة • وقد ذكرنا فى مقال سابق معانى هذه الأسماء القديمة •

السبع سواقى ومجرى العيون :

وفى الطرف الجنوبى لميدان فم الخليج نجد السبع سواقى وشارع مجرى العيون • والاسم نسبته الى مجراه كانت تحمل الماء من النيل الى القلعة • والمجراة محمولة على أكتاف معقودة • وترفع السواقى الماء من البئر الآخذ من النيل الى أعلى هذه العقود حيث المجراة فتحمل المياه الى القلعة •

وعندما أنشأ صلاح الدين يوسف بن أيوب القلعة (توفى صلاح الدين سنة ٥٨٩ ولم ينتقل مقر الحكم للقلعة الا فى عهد الكامل بن العادل بن أيوب

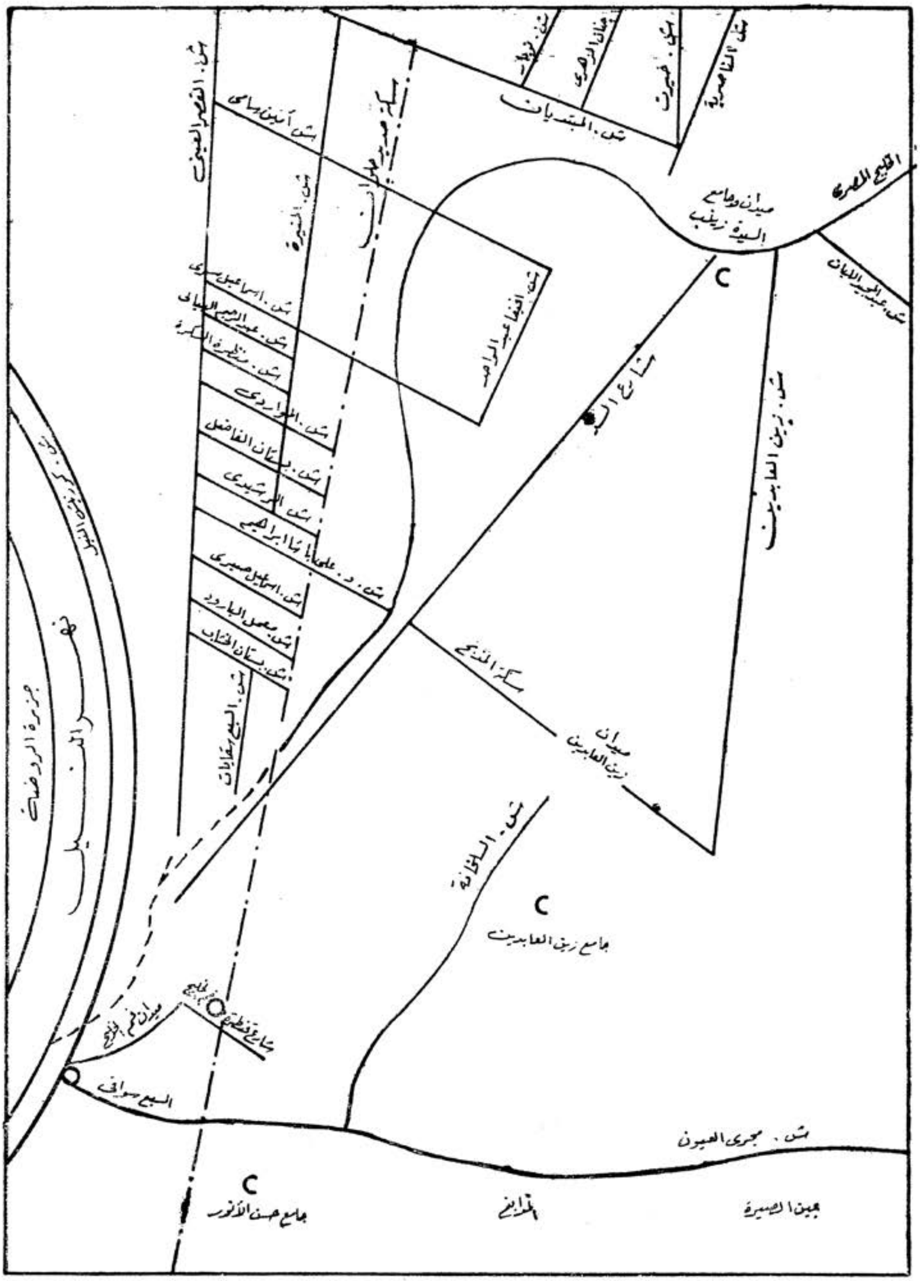
ش. المبتديان
الخليج المصري
ميدان وجامع السيدة زينب
ش. زين العابدين
ميدان زين العابدين
سكة المذبح
جامع زين العابدين
ش. مجرى العيون
عين الصيرة
المدابغ
جامع حسن الأنور
السبع سواقي
جزيرة الروضة

الذى بدأ حكمه سنة ٦١٥ هـ) كانت تغذيه القلعة بالماء من بئر بها عرف باسم يوسف نسبته لاسم صلاح الدين •

ثم اهتم الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) بتوفير الماء للقلعة فأنشأ أربع سواقى على النيل تنقل الماء الى السور ومن السور للقلعة (خطط المقريزى حـ ٢ ص ٢٣٠) • ويعنى السور الذى أنشأه قرقوش الأسدى (نسبته الى أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين) عندما أراد صلاح الدين عمل سور يضم القاهرة الفاطمية والفسطاط وما بينهما بما فى ذلك القلعة • ولا تزال آثار بعض هذا السور باقية للآن •

ثم فى سنة ٧١٨هـ ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور أن الناصر المذكور أجرى ماء النيل من البحر الى قلعة الجبل • وعمل مجراه جارية على قناطر مبنية من الحجر • وركز للمياه آبار وجعل عليها سواقى نقالة فى عدة أماكن •

وفى سنة ٧٢٨ عزم الناصر على حفر خليج من حلوان الى جهة القلعة عن طريق الجبل ليغذيها دواما بماء النيل ثم يتجه الخليج الى ناحية الجبل الأحمر لامكان زراعة الأرض هناك • ولكنه عدل عن هذه الفكرة لما أبدى له مستشاروه ما يتكلفه تنفيذها من وقت ومال •

وهذه الفكرة جديرة أن تدرس الآن • ولكن ليس لتوصيل المياه للقلعة • ولكن لرى واستصلاح الأراضى القابلة للزراعة شرقى مدينة ناصر حتى السويس •

وفى سنة ٧٤١ اهتم الناصر ثانية بأكثار الماء فى القلعة لما اتسع بها من زراعة البساتين التى أنشأها• فأمر بحفر بئر أخرى على الساحل ليركب عليها قناطر تتصل بالقناطر العتيقة فيتحد ماؤها ويكثر •

وفى نفس السنة أرادالناصر حفر خليج من النيل وسط بساتين بهاء الدين بن حنا (عند أثر النبى) الى حائط الرصد • ويحفر هناك عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور • وتركب على الآبار عدة سواقى لتنقل الماء الى القناطر العتيقة التى فوق سور القلعة • وعرفت السواقى المذكورة باسم سواقى السلطان • وانتدب لتنفيذ المشروع أقبغا عبد الواحد السابق ذكره • فنزع ملكية

الأراضى والأملاك المعترضة • وحفر الخليج بعمق ٤ قصبات (١٥ م • تقريبا لان القصبة وقتذاك كانت ٣ متر و ٨٥ سنتيمتر والآن ٣ متر و ٥٥ سنتيمتر) عند المأخذ • وحفر الآبار بعمق ٤٠ ذراعا (٢٣ م • تقريبا) وتوفى الناصر سنة ٧٤١ قبل اتمام المشروع فأهمل وبطل وطم الخليج وردم •

وقال المقريزى : وبقيت منه الى اليوم (توفى سنة ٨٤٥) قطعة بجوار رباط الآثار (بأثر النبى) وما زالت الحائط قائمة من حجر فى غاية الاتقان وجودة الصنعة • حتى هدمه الأمير يلبغا السالمى سنة ٨١٢ هـ ورمم به القناطر العتيقة التى تحمل الماء للقعلة وجهل موضع الخليج والسواقى المذكورة • ا هـ •

وذكر ابن اياس عند الكلام على أعمال الظاهر برقوق المتوفى سنه٨٠١ أنه جدد عمارة المجراه التى تجرى من بحر النيل الى قلعة الجبل ولكنه لم يحدد تاريخ هذا التجديد •

ولكن المجراة الباقية آثارها للآن وتبدأ عند فم الخليج غير المجراةالتى أقامها الناصر محمد بن قلاوون •

فقد ذكر ابن اياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٩١٢ هـ (١٥٠٦ م)• وكان ابن اياس معاصر لها • أن السلطان الغورى أبطل المجراه القديمة التى كانت غرب درب الخولى بمصر العتيقة وشرع فى بناء مجراة جديدة فجمع المهندسين فاختاروا أن يكون بناؤها عند موردة الخلفاء بالقرب من الجامع الجديد • فأنشأ هناك بئرا • وجعل لها مسربا من النيل وجعل على هذا البئر عدة سواقى نقالة • وأنشأ من هناك مجراة على قناطر معقودة على دعائم متصلة الى باب الزغلة • ومن هناك تصل الى الميدان والقلعة • فجاءت هذه المجراة من العجائب والغرائب • ولكن صرف على بنائها ما لا يحصر من الأموال وأغلبه من وجوه الظلم والمصادرات • ا هـ •

وقال ابن اياس فى حوادث سنة ٩١٤ هـ : كان انتهاء العمل من المجراة التى أنشأها السلطان كما تقدم فدارت هناك الدواليب (السواقى) وجرى الماء فى المجراه حتى وصل الى الميدان تحت القلعة • ثم ان السلطان عمل هناك سواقى نقالة • وبنى ثلاثة

صهاريج تمتلىء بماء النيل برسم المماليك الذين يلعبون الرمح فى الميدان . وشرع فى بناء بحرة (أى بحيرة) فى وسط ذلك البستان الذى أنشأه . فكان طول تلك البحرة أكثر من أربعين ذراعا . وقيل أكثر من ذلك . وبنى هناك عدة مقاعد ومناظر مطلات على ذلك البستان . وفك رخام قاعات الاتابكى أزبك (يعنى أزبك بن ططخ المنسوبة اليه الأربكية توفى سنة ٩٠٤ هـ) ونقل ذلك الى الأماكن التى أنشأها بالميدان . وصارت البحرة تمتلىء كل يوم بماء النيل وفائضها يسقى البستان . اهـ .

فالمجراه التى آثارها باقية للآن والمعروف مجراها بشارع مجرى العيون هى من انشاء السلطان الغورى ما بين سنتى ٩١٢ و ٩١٤ هـ .

ومجرى العيون الحالى يتجه شرقا بجنوب مع بعض الانحناءات البسيطة حتى آثار طابية قديمة بالقرب من نهاية شارع الأشرف عند جبانة السيدة نفيسة بطول ٢٢٠٠ مترا تقريبا ثم يتجه شمالا بشرق حتى باب القرافة أو باب السيدة عائشة أو باب قايتباى بطول ٩٠٠ متر تقريبا .

وهذه الأسماء الثلاثة التى ذكرتها مصلحة المساحة فى خريطتها للقاهرة سنة ١٩٥٢ كلها أسماء صحيحة . فهو باب القرافة الصغرى أنشأه الأشرف قايتباى سنه ٩٠١هـ ويسميه الناس باب السيدة عائشة لقربه من مسجدها .

وهناك نجد آثار مجرى آخر للعيون قادم من الجنوب الشرقى . وطول هذه الآثار الباقية للآن فى هذا المجرى الآخر ٧٠٠ متر تقريبا . ولعلها من آثار مجرى الناصر محمد ابن قلاوون سنة ٧١٢ هـ .

ورأس مجرى العيون عند فم الخليج كما وصفته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها (القاهرة القديمة) مساحته ٦٢ مترا و ٨٥ سنتيمترا مربعا . على شكل سداسى . وداخله شكل سداسى آخر بوسطه عمود ويحيط بالشكل السداسى الداخلى ستة عقود ترتكز على أكتاف . ويصعد الى سطح المأخذ بمزلقان ليس به درج . ولعل ذلك خصيصا لصعود الدواب التى تدير السواقى وبوسط السطح حوض تحيط به ست سواقى لرفع الماء وقالت أن الباقى

من عقود المجرى ٢٧١ عقدا معظمها على شكل شبه دائرى • وأنه أصلح سنة ١١٤٠ هـ على يد عبدى باشا •

والتاريخ المذكور غير دقيق فعبدى باشا تولى ولاية مصر من سنة ١١٢٦ ـ سنة ١١٢٩ هـ والوالى على مصر سنة ١١٤٠ كان محمد باشا النيشانجى لغاية صفر • وبعده أبو بكر باشا •

وفى أيام الفرنسيين فى مصر سدت أغلب الفتحات بين الاكتاف حاملة العقود • واستخدمها الفرنسيون سورا يحتمون وراءه • ويحصرون به مداخل المدينة •

وجدد محمد على هذه المجراه سنة ١٨٠٨ م (١٢٢٣ هـ)

السبع سواقى والسبع سقايات :

ونلاظ اسم السبع سواقى والسبع سقايات •وقد أطلقت مصلحة المساحة الاسم الأول على رأس المجرى والاسم الثانى على شارع هناك بهذه الجهة بين سكة حديد حلوان والقصر العينى وقد رأينا من الوصف المذكور لرأس المجرى أن به مكانا لست سواقى فقط • وذكر المقريزى أن مجراة الناصر محمد بن قلاوون كان بها أربع سواقى •

ولكن برغم أن المقريزى توفى سنة ٨٤٥ أى قبل عمارة الغورى سنة ٩١٢ هـ • فقد ذكر خط السبع سقايات (الخطط حـ٢ ص١٦١)فى الكلام عن بركة قارون (كانت جنوبى وغربى موضع جامع ابن طولون)وخراب ماحولها سنة ٧٢١هـ فقال : فصار جانب هذه البركة الذى يلى خط السبع سقايات مقطع طريق فيه مركز يقيم فيه من جهة تولى مصر (يعنى والى الفسطاط)من يحرس المارة من القاهرة الى مصر (يعنى من القاهرة الفاطمية الى الفسطاط) • ولم يكن هناك شيء من الدور وانما كان هناك بستان بجوار حوض الدمياطى (كان بموقع شارع السد) الموجود الآن تجاه كوم الأسارى على يمنة من خرج وسلك من السبع سقايات الى قنطرة السد • ويشرف هذا البستان على هذه البركة فحكر أقبغا عبد الواحد مكانه • وصارت فيه الدور الموجودة الآن (يعنى وقت المقريزى) كما ذكر

عند حكر أقبغا عبد الواحد بين الاحكار . ا هـ .

فما معنى هذا ؟ هل أنشأ الناصر محمد بن قلاوون سواقى أخرى بعد الأربع التى ذكرها المقريزى تكملة للسبعة ؟ أو هل أخطأ المقريزى أو أخطأ الناس ؟ أو هى مبالغة من الناس جرت بها ألسنتهم للقيمة الاعتبارية للعدد ٧ ؟ أو غير هذا من الأسباب ؟

لا شىء من هذا . فالسقايات السبع كانت موجودة فعلا قبل مجراة الناصر محمد بن قلاوون . وقبل الغورى . بل وقبل بناء قلعة الجبل بعدة قرون وفى موقع بعيد عن رأس مجرى العيون وعن الشارع الذى أسمته البلدية بشارع السبع سقايات بألفى متر تقريبا .

فقد ذكر المقريزى فى الكلام على خط بئر الوطاويط أن هذه البئر أنشأها الوزير جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات سنة ٣٥٥ هـ لينقل منها الماء الى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها (أى أوقفها) لجميع المسلمين والتى كانت بخط الحمراء فلما طال الأمر ضربت السقايات والى اليوم (يعنى وقته) يعرف موضعها بخط السبع سقايات . وبنى فوق البئر المذكورة . وتولد فيها كثير من الوطاويط . ولما أكثر الناس من بناء الأماكن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون عمر هذا المكان وعرف الى اليوم (يعنى وقته) بخط الوطاويط وهو خط عامر . اهـ .

وخط بئر الوطاويط كان موضعه بجوار جامع ابن طولون بشارع عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقا) بالصليبة . ولا تزال حارة هناك شرقى هذا الجامع اسمها حارة بئر الوطاويط .

ويؤيد هذا ما نقلناه أولا عن المقريزى فى الكلام عن بركة قارون فقوله : (فصار جانب هذه البركة الذى يلى السبع سقايات) أى بعدها . وقوله : (وكان هناك بستان بجوار حوض الدمياطى على يمنة من خرج من السبع سقايات الى قنطرة السد) أى أن السبع سقايات كانت قبل حوض الدمياطى وقنطرة السد .

وفضلا عن هذا فان الموقع الذى أسمته البلدية شارع السبع سقايات

كان مغمورا بالمياه أو مما كان غربى النيل فى القرن الرابع الهجرى • وعلى هذا فاسم السبع سواقى وضع خطأ كما أن اسم شارع السبع سقايات اسم فى غير موضعه •

وجعفر بن الفضل بن الفرات المنسوب اليه انشاء السبع سقايات كان وزيرا لبنى الأخشيد لغاية انقراض دولتهم بدخول الفاطميين مصر سنة ٣٥٨ هـ • وتوفى سنة ٣٩١ • وكان أبوه الفضل وزيرا للمقتدر العباسى ببغداد سنة ٣٢٠ هـ ثم عين عاملا للخراج بمصر • ثم وزيرا فى خلافة الراضى العباسى وتوفى سنة ٣٢٧ هـ والفضل بن الفرات هذا هو الذى يلقب بابن حنزابه نسبة لأمه وهى جارية رومية •

ويعتبر مجرى العيون من أجمل الآثار المعمارية الاسلامية الباقية للآن

وقدرت الحكومة أخيرا أهمية المحافظة على هذا الأثر • ففى ١٩٥٣/٥/٧ صدر مرسوم باعتماد تخلية حول سور العيون الأثرى • وذلك بانشاء شارعين بعرض ٣٠ مترا لكل منهما• وفى سنة ١٩٥٩ (الوقائع فى ١٩٥٩/٣/٥) صدر قرار وزارة الشؤون بأن يعتبر من أعمال المنفعة العامة مشروع تنفيذ شارع مجرى العيون قبلى السور الأثرى فى المسافة بين فم الخليج وشارع القادرية • ويجرى نزع ملكية العقارات اللازمة لهذا المشروع •

وكان قبل ذلك قد تنفذ الشارع بحرى السور ، وبرغم صدور هذا القرار سنة ١٩٥٩ فللآن لم يتم الشارع جنوبى السور ، وشارع القادرية يبدأ من ميدان السيدة عائشة عند باب قايتباى المذكور ، وامتداده شارع الامام الشافعى ، والقادرية نسبة الى احدى الطرق الصوفية •

سكة حديد حلوان :

ذكرنا فى أول المقال أن الخليج المصرى كان يخترق المثلث الذى يتكون رأسه فى ميدان فم الخليج من التقاء شارعى السد والقصر العينى ، وكان الخليج يتجه شمالا بشرق بين شارعى السد والسبع سقايات وكان يتجه شمالا بشرق بين شارعى السد والسبع سقايات حتى يتلامس تقريبا مع شارع السد عند الضريح المعروف بأبى الريش ،وأن سكة حديد حلوان

قد قطعت جانبا منه ، وأصبح شارع الخليج الآن يبدأ من سكة حديد حلوان فى الجانب الشرقى منها ، وما تخلف من أرض الخليج غربى السكة الحديد تداخل فى المبانى والشوارع الحالية .

وجزء الخليج من السكة الحديد حتى أبى الريش لم يكن داخلا مما ردمته شركة الترام سنة ١٨٩٧ وأجرت فيه خطوطها ، وأصبح هذا الجزء الآن وصمة فى جبين العاصمة . وعبارة عن قاذورات فوق قاذورات ، والغريب فى هذا أنه بجوار مخزن لمهمات بلدية القاهرة .

وسكة حديد حلوان لم تكن فى هذا الموضع عند انشائها .

فحلوان قد علا شأنها فى أوائل الفتح العربى ، فى ولاية عبد العزيز ابن مروان (٦٥ — ٨٥ هـ) الذى كان واليا على مصر من قبل أخيه الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، وكان قد ظهر طاعون بالفسطاط . فلجأ عبد العزيز الى حلوان فأعجبه جوها وهواؤها ، فاتخذها مقرا له ، واعتنى بها وزرع فيها الأشجار المثمرة . كما أنشأ بها مقياسا صغيرا للنيل .

ثم خمل شأن حلوان من بعد عبد العزيز بن مروان ، ومن تلاه من الولاة ، واستمرت فى التدهور ، وآخر الأمر أحرقها ابراهيم بك الكبير سنة ١٧٨٧ م (١٢٠١ هـ) فى نزاع بينه وبين زملائه المماليك ، وهذا قبل قدوم الفرنسيين .

وفى سنة ١٨٥٠ م (١٢٦٦ هـ) فى عهد عباس حلمى الأول عثر على عين للمياه المعدنية بها ، وعرفت قيمتها العلاجية ، ولكن أهمل أمرها حتى عهد الخديوى اسماعيل .

ويبدو أن العرب كانوا تنبهوا لفائدة هذه المياه المعدنية فى علاج الأمراض ، فقد وجد عند حفر أساسات الحمامات الجديدة آثار المبانى القديمة والحمامات من حجر وخزف وقطع من أعمدة منقوش عليها كتابة عربية ، وكذلك دراهم اسلامية ، وغير ذلك من الآثار .

وفى سنة ١٨٧١ م (١٢٨٨ هـ) زار اسماعيل المنطقة ، وكانت عيون المياه المعدنية غربى حلوان بحوالى ١ ½ كيلو متر تقريبا ، والنيل غربى العيون بحوالى ٢ ½ كيلو متر تقريبا ، فكأن حلوان كانت تبعد عن النيل

بحوالى أربعة كيلو مترات تقريبـا ، فأمر اسماعيل بعمل طريق من حلوان الى النيـل مارا بالعيـون بطول هذه المسافة ، كما أمر بانشاء طريق آخر طوله ١٣٠٠ متر تقريبا من الشـمال الى الجنـوب يتقـاطع مع الطـريق المذكور ، وانشـاء حمـامات بجوار العيـون من أكشـاك خشبية بادىء الأمر ، وانشاء فندق كبير للمسافرين وانشاء حوض سعته ٥٠٠٠ متر مكعب لاستحمام الفقراء ، وانشاء دار صغيرة للمرضى ملحق بهـا صيدلية مزودة بالأدوية ، وترتيب طبيب مقيم لمباشرة وعـلاج المرضى ، وتحددت أسـعار الفندق للاقامة والحمـام ، بدرجات متفاوتة للأغنياء والفقراء .

ورتب وابـورات بالبـحر لتسـهيل الانتقال الى حلوان .

وجاء فى الوقائع الرسمية (١٣/ ١/١٨٧٤) : (من المعـلوم أنه من مدة قريبـة كان قد استكشف بجهـة حلوان القريبة من مصر المحروسـة ، منبع مياه كبريتى ، وجرب نفعـه فى كثـير من العلل والأمراض ، والآن نرى تلك الجهـة كل يوم فى زيادة العمـارية ، فى الظـلال الوارفة الخديوية ، وبهـا محل ذلك المـاء يكون من جملة الحمـامات المعدودة الشفائية ، والمنتزهات العـامة لجميـع البرية ، فانه بجوار ما كان أحدث فيها من المبـانى مشـتغل بتكثير الأماكن والمسـاكن ، مع ما أجـرته قومبانيـة (شركة Compagnie) تقسيم الميـاه المصرية فى جهته من الميـاه العذبة ، حتى صـارت فلواتها فى عهـد قريب ريانة بها ، وأنبتت من كل نبات بهيج ، ولطفت أهويتها واعتدلت حرارتهـا ، مع ما نقل ممن أقام هنـاك من تفضيل الاقامة بها فى فصـل الصيف أضعافا مضاعفة عن الاقامة بمصر ، ولاطلاق الهـواء بلا مانع فى تلك الصحارى ، ترى تزايد لطف هوائها ، واعتـدال حرارة الشمس فيها ، وقد أنشئت فى حلوان لوقندة مرتبة ، (يعنى لوكندة أى فندق) وبواسـطة ما أنشىء من العربات المعـروفة بالأمنيبوس بمـكن الذهاب الى هنـاك والرجوع بغـاية الراحـة لمن أراد ذلك ، ولا يخلـو وقت من توجه ذوات معتبرين وبعض سـياحين للتنزه فى ذلك المـكان ، والمسـافة لا تزيد عن يوم واحد ، وليس فى الامكان) ا . هـ . ويعنى اختصـار التعبير المعـروف ليس فى الامكان أبدع مما كان ، ثم فكروا فى انشاء خط سكة حديدية .

فقد جاء فى الوقائع الرسمية فى ١٨٧٧/١/١٤ : (منذ مدة كان شرع فى انشاء فرع سكة حديد يواصل من ميدان محمد على (يعنى المنشية تحت القلعة) الى حمامات حلوان فى حالة الذهاب والاياب للقاصدين ، ومساعدة لمريدى استعمال مياهها للمحتاجين ، والآن بلغنا أنه تم على أحسن حال ، وأكمل منوال ، وسيجرى الافتتاح بحالة تسر الناظرين ، بل عموم الناس أجمعين ... الخ) .

كما جاء فى العدد التالى (١/٢١/ ١٨٧٧) : (سبق التنبيه أن سكة حديد حلوان التى كان سبق الشروع فيها تمت على أكمل الأحوال ، وقد علم الآن أن ابتداء تشغيلها يكون فى هذا اليوم الذى هو يوم الأحد ٢١ يناير سنة ١٨٧٧ ، وان شاء الله فى النمرة الآتية (يعنى العدد القادم) يدرج بيان الأجر باعتبار المحطات وبيان أوقات الذهاب والاياب حسب الجدول الوارد المتضمن ذلك) .

ومن الخبرين المذكورين نعلم أن سكة حديد حلوان كانت عند انشائها تبدأ من ميدان محمد على بالمنشية أى الميدان تحت القلعة ، وكان معروفا باسم الرميلة ثم قرميدان ، ثم ميدان محمد على وأخيرا ميدان صلاح الدين .

وكانت سكة حديد حلوان تمر فى الصحراء شرقى قرافة المماليك وضريح الامام الشافعى ثم شرقى قرية البساتين ثم شرقى المعادى ، ثم شرقى طرا حتى حلوان ، ولا يزال هذا الخط موجودا للآن ، ويعرف بخط المحاجر . وغير مستعمل للأهالى ولم ينس اسماعيل نفسه وعائلته ،فأمر بانشاء حمام خاص له ولأسرته وقد كسيت جدرانه بالقيشانى النفيس .

وللتعمير تقرر لكل راغب فى البناء أن يأخذ أى مساحة على أن يبنيها فى مدة محدودة ، وجعل لكل ٥٠٠ م.م رسم رمزى قدره جنيه واحد ، وبعد البناء فى الموعد المحدد وطبقا لشروط التنظيم تستخرج الحجة الشرعية بتمليكه من مديرية الجيزة ، وكانت حلوان الى عهد قريب تابعة لمديرية (محافظة) الجيزة ، وكانت المعادى آخر حدود محافظة القاهرة .

ولم يكن التعمير وحده هو الدافع لهذا ، ولكن أراضى حلوان كانت ملكا لاسماعيل ، فاذا انتشر العمران

تصقعت هذه الأراضى وزادت قيمتها ، وقد أوقف اسماعيل تفتيش حلوان على ثلاث من زوجاته •

واستمر الاهتمام بحلوان فى عهد الخديوى توفيق ، فبنى بها سنة ١٨٨٥ قصرا على مساحة ٢٠٠٠٠ م • م كما بنى الكثيرون من عظماء ذلك الوقت قصورا على مساحات كبيرة لا تقل الواحدة منها عن ٢٥٠٠ م • م • وقد توفى توفيق فى القصر المذكور فى ١٨٩٢/١/٧

واعتاد توفيق الذهاب الى حلوان مرتين كل شهر • وأمر بزراعة الأشجار بين الحمامات والنيل، وطوله ٢٥٠٠ متر كما ذكرنا ، كما أمر فرقة الموسيقى الخديوية بالانتقال اليها كل يوم جمعة للعزف بها والترفيه عن سكانها ، ونظمت مواعيد القطارات منها واليها بما يتلاءم مع راحة السكان •

وفى عصر عباس حلمى الثانى عندما تزوجت شقيقته خديجة من عباس حليم فى يناير سنة ١٨٩٥ ، أعدت سراى القبة للزفاف ، ثم انتقل العروسان الى حلوان من باب اللوق ليقيما بالسراى الخديوية بضعة أسابيع قبل سفرهما للآستانة (مذكراتى فى نصف قرن لأحمد شفيق باشا ج ٢ ص ٢١٩) •

وفى هذا الخبر ما يدل على أنه كانت أنشئت محطة حلوان بباب اللوق •

وبدأ العمران أولا فى الجهة الشرقية بجانب السكة الحديد والمدينة الأصلية ، ثم زحف العمران غربا نحو الحمامات •

وحمامات حلوان تتدفق المياه من العين بمعدل ٥٠٠٠ م٣ فى الساعة محتوية على كبريت بنسبة ٣٩٫٢ مم٣ فى كل ١٠٠ سم٣ وهى نسبة مرتفعة اذا قورنت بحمامات أوربا ، فمثلا لا تزيد نسبة الكبريت فى حمام بادن بفيينا عن ١٥٫٩ مم٣ فى كل ١٠٠ سم٣ وقد جددت بلدية القاهرة الحمامات سنة ١٩٥٥ ، وتكلفت عملية التجديد ١٢٠٠٠٠ جنيه تقريبا •

وابتدىء فى كهربة خط حلوان سنة ١٩٥٣ ، وانتهى العمل منه سنة ١٩٥٦ ، وأدخل نظام الاشارات الأوتوماتيكى ، كما تم بعد ذلك بناء محطة حلوان •

وتكلف مشروع كهـــربة خـط حـلوان حـوالى الأربعـة ملايين من الجنيهات ، بما فى ذلك المبانى الجديدة للمحطات ، وانشاء أسوار حول الخط داخل القاهرة ، عند الأماكن المزدحمة بالسكان ، وترميم كبارى القدم عنـد محطات السيدة زينب ومار جرجس وفم الخليج .

كمـا أنه لخدمة صـناعة الحديد والصلب ، والصناعات الأخـرى التى قامت بحلوان أنشئت تفريقة من خط سـكة حديد الصـعيد عنـد المرازيق جنوبى البدرشين تصل الى بلدة التبين قرب حـلوان ، وأنشىء كوبرى على النيل من الطراز العالى الثابت لتسهيل الملاحة ، ويمكن استعماله للسيارات والسكة الحديد والأفراد معا ،ويعرف بكوبرى المرازيق .

محمد كمال السيد محمد

تدارك :

وقع خطأ مطبعى فى الجزء الرابع فى مقال « وحى السـماء فى شـعر العقاد » والصواب « وحى الأسماء فى شعر العقاد » .

كلمات شاع خطأ استعمالها

للأستاذ عباس أبو السعود

[٧]

١٠١ - ويقولون : عاد المسافرون واحدا واحدا ، واثنين اثنين وثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة ، والأفصح أن يقال : عادوا أحادا أو موحد ، وثناء أو مثنى ، وثلاث أو مثلث ، ورباع أو مربع ، لأن العرب عدلت عن الألفاظ الأولى الى هذه الصيغ ليستغنى بها عن تكرير الاسم ، ومعناها يدل على ما يدل عليه مجموع الاسمين ، ولهذا امتنعوا أن يقولوا للواحد : هذا أحاد وللاثنين هما مثنى ، وانما امتنعوا من ذلك لزيادة المعنى فى أحاد على واحد وفى ثناء على اثنين وقد فسر قوله تعالى : « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » بقولهم : لينكح الواحد منكم ما طاب له من النساء اثنين اثنين ، أو ثلاثا ثلاثا ، أو أربعا أربعا ، وقالوا مثل ذلك فى قوله جل شأنه : « جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع »

وقد اختلف العلماء فيما نطقت به العرب من هذه الألفاظ ، فقال الأكثرون : انهم لم يتجاوزوا رباع الا الى صيغة عشار لا غير ، كما فى قول الكميت

فلم يستريثوك(١) حتى رميـ
ت فوق النصال خصا لأعشارا

وروى خلف الأحمر أنهم صاغوا هذا البناء متسقا من آحاد الى عشار وأنشد

قل لعمرو يابن هند
لو رأيت اليوم شنا(٢)

لرأت عيناك منهم
كل ما كنت تمنى

---

١ - يستريثوك : يستبطئوك .

٢ - الشن : أصله القربة الخلق الصغيرة ، والمراد به القطيعة والعداوة ، تقول : استشن ما بينهما اذا يبس .

اذا أتتنا فيلق (١) شهـ
ـباء من هنا وهنا

وأتتنا دوسر (٢) والملـ
ـحاء (٢) سيرا مطمئنا

ومضى القوم الى القو
م أحادا وثناء

وثلاثا ورباعا
وخماسا فأطعنا

وسداسا وسباعا
وثمانا فاجتلدنا (٤)

وتساعا وعشارا
فأصبنا وأصبنا

لا ترى الا كميا
قاتلا منهم ومنا

وقد عيب على المتنبى قوله :

أحاد أم سداس فى أحاد
ليلتنا المنوطة بالتناد

١ ـ لأنه أقام أحاد مقام واحدة وسداس مقام ست ، أراد أليلتنا هذه واحدة أم واحدة فى ست أى سبع ليال •

٢ ـ أنه صغر ليلة على لييلة ، والمسموع لييلية

٣ ـ أنه ناقض كلامه ، لأنه كنى بتصغير الليلة عن قصرها ، ثم عاد فوصفها بالامتداد الى يوم التناد وهو يوم القيامة •

١٠٢ ـ ويقولون فى التحذير : اياك الأسد واياك الكذب ، ووجه الكلام أنه يجب ادخال الواو على الأسد ، وعلى الكذب ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم :« اياك ومصاحبة الكذاب فانه يقرب اليك البعيد، ويبعد عنك القريب ، كما فى قول الشاعر :

فاياك والأمر الذى ان توسعت
موارده ضاقت عليك المصادر

والعلة فى وجوب اثبات الواو فى هذا الكلام أن لفظ اياك منصوب باضمار فعل تقديره اتق ، أو احذر ، أو باعد ، واستغنى عن اظهار هذا الفعل لما تضمن الكلام من معنى التحذير ، وهذا الفعل انما يتعدى الى مفعول واحد ، فاذا كان قد استوفى

---

١ ـ الفيلق الشهباء : الكتيبة المنكرة .
ـ دوسر : اسم لكتيبة كانت للنعمان بن المنذر ، وكذا الملحاء كتيبة أخرى كانت لآل المنذر .
٣ ـ اجتلدنا : تضاربنا بالسيوف .

عمله ، ونطق الانسان بعده باسم آخر لزم ادخال حرف العطف عليه ، كما فى قولك : اتق الشر والكذب .

ويجوز الغاء الواو عند تكرير لفظ اياك ، كما استغنى عن اظهار الفعل مع تكرير الاسم فى مثل قولك الخيانة الخيانة ، وعليه قول الشاعر :

فاياك اياك المراء (١) فانه
الى الشر دعاء وللشر جالب

وان قلت : اياك أن تقرب من الأسد ، فالأجود أن تلحق به الواو ، لأن أن منع الفعل بمنزلة المصدر فأشبه قولك : اياك ومقاربة الأسد ، ويجوز فيه الغاء الواو على أن تكون أن وما بعدها للتعليل وتبيين سبب التحذير ، فكأنك قلت : أحذرك لأجل أن تقرب من الأسد ، وعليه قول الشاعر :

فبح بالسرائر فى أهلها
واياك فى غيرهم أن تبوحا

١٠٣ – وينكرون تعدى الفعل صارح الى المفعول به ، وحجتهم فى ذلك عدم وروده متعديا فى معاجم اللغة ، وقالوا : لا يجوز أن يقال : أصارحك بكذا ، وتابعتهم مجلة المجمع فى عددها الأول ، ورأت أن يستبدل به جاهر فيقال : جاهره بكذا .

والحق أن هذا الفعل يتعدى الى المفعول به ، لأن الفعل اللازم اذا نقل الى باب المفاعلة صار متعديا ، نحو جلس وجالسته ، ومشى وماشيته ، وقعد وقاعدته .

ومما يؤيد ذلك وروده ،متعديا فى قصيدة أبى طالب التى قالها متعوذا فيها بحرم مكة والتى أبان فيها أنه لا يمكن أن يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعدائه حتى يهلك دونه ، وهذه القصيدة مشروحة فى خزانة الأدب للبغدادى ص **٥٢** من الجزء الثانى ، وفى المواهب الفتحية ص **١٤٨** من الجزء الأول ،وفى سيرة ابن هشام ص **٢٩١** من الجزء الأول ومطلعها :

خليلى ما أذنى لأول عاذل
بصفواء (٢) فى حق ولا عند باطل

---

١ – المراء : الجدال بالباطل .
٢ – صغواء : مائلة للسماع .

الى أن قال :

وقد صارحونا بالعداوة والأذى
وقد طاوعوا أمر العدو المزايل (١)

١٠٤ - ومما يخطئون فى ضبطه قولهم لبقلة معروفة ثوم بفتح فسكون والصواب ضم الثاء والعامة يستبدلون بالثاء تاء فيقولون توم بضم التاء ، والحق أن التوم جمع لتومة ، وهى اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة ، وبيضة النعامة .

١٠٥ - ويقولون : هو ذا يكتب ، وهو ذا يقرأ ، والفصيح الذى ورد عن العرب قولها : ها هو ذا يكتب ، وكان أصل القول : هو هذا يكتب ، فانتقل حرف التنبيه الذى هو ها من اسم الاشارة الذى هو ذا ، وصدرت به الجملة ، وتوسط بينهما الضمير ، ومثل ذلك قوله عز شأنه : « ها أنتم هؤلاء تحبونهم » ويعرب الضمير مبتدأ ، واسم الاشارة خبرا له ، والجملة التى تليه مبينة له ، كما فى قولك للرجل السخى : أنت حاتم تجود بمالك .

١٠٦ - ويقولون هجا فلان فلانا فى رسالة نثرية ، كلها هجاء مقذع ، وهذا التعبير غير سليم ، والصواب أن الهجاء لا يكون الا بالشعر ، تقول : هجاه يهجوه هجوا اذا عابه بالشعر ، والاسم الهجاء بالكسر .

أما اذا عابه بغير الشعر فيقال : سبه ، أو شتمه ، أو ذمه ، أو عابه ، أو وقع فيه ، ففى اللسان وكذا فى القاموس : هجاه هجوا : شتمه بالشعر ، وفى المصباح المنير : هجاه يهجوه هجوا : وقع فيه بالشعر .

١٠٧ - ويقولون : شفة الحصان ، وشفة البقرة ، وشفة الجمل ، والحق أن الشفة خاصة بالانسان ، جمعها شفهات ، وشفرات .

والفصيح أن يقال : جحفلة الحصان والحمار ، ومشفر الجمل والناقة بكسر الميم ، ومقمة الشاة والبقرة بكسر الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة مع فتح القاف التى بينهما ، وخطم الأسد بالفتح وخرطومه بالضم ، ومنسر البازى بكسر الميم وفتحها ، ومنقار الحمامة والدجاجة ، وفنطيسة الخنزير بكسر الفاء .

---

١ - المزايل : المباين ، تقول : تزايلوا اذا تباينوا واختلفوا .

١٠٨ – ويقولون : هل لا يجوز أن يرحم الانسان الضعيف ؟ وهل لم تقم بزيارة صديقنا فلان ؟ وهل ليس فى الحديقة ثمار ؟ فيدخلون هل على الجمل المنفية ، والمعروف أنها خاصة بالدخول على الجمل المثبتة •

قال الرضى : هل لا تدخل على النافى أصلا ، والصواب أن يقال : ألا يجوز أن يرحم الانسان الضعيف ؟ وألم تقم بزيارة فلان ؟ وأليس فى الحديقة ثمار ؟ أى بدخول همزة الاستفهام على النافى •

أما هل المتصلة بلا فى الرسم فهى للتخصيص أو اللوم وليس فيها معنى الاستفهام ، ولا يجاب عنها ، قال الزبيدى : وهلا كلمة تخصيص ولوم ، فاللوم على ما مضى ، والتخصيص على ما يأتى ، قال الكسائى : وهى مركبة من هل ولا ، ويظهر أن الذى سوغ دخول هل على لا فى حالة التركيب خروجها عن معنى الاستفهام •

١٠٩ – ويزعمون أن كلمة مصران بالضم مفردة كعنوان ، والحق أنها جمع لمصير كرغيف ورغفان ، وقضب وقضبان ، وغدير وغدران ، والمصير وزان أمير هو المقى ، ويجمع على مصران ثم يجمع المصران على مصارين •

عباس أبو السعود

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

العقد فى الشرائع الوضعية

[٥]

انتهينا فى العدد الماضى من الكلام عن الملامح الرئيسية لكلا النظامين الاسلامى والانجليزى ونبدأ فى هذا العدد بالكلام عن الأحكام التفصيلية للعقد . فى الشرائع الوضعية ثم نتبع ذلك بالمقارنة بين هذه الأحكام وبين أحكام العقد فى كلا القانونين الاسلامى والانجليزى .

يعتبر العقد أهم أداة قانونية لتحقيق التعامل والمبادلات بين الناس ومن هنا كانت أهمية دراسة وضرورة معرفة الأحكام التى تنظمه بين المسلمين وقد روى أن عمر رضى الله عنه كان يطوف بالسوق ويقول : « لا يبع فى سوقنا الا من يفقه والا أكل الربا شاء أم أبى » وكما أن سلامة الأشخاص وأمنهم يتوقفان على قواعد القانون الجنائى فان استقرار المعاملات ونمو المجتمع الاقتصادى يتوقفان على القواعد القانونية التى تحكم العقود ومدى كفالتها لحقوق أطرافها ومدى الزامها لكل منهم بتنفيذ ما تعهد به فى العقد ذلك أن كل واحد منا يجرى العديد من العقود كل يوم تقريبا فكل شراء نقوم به وكل استعارة تتم ولو كانت من صديق وكل مرة نركب فيها احدى وسائل المواصلات وغير ذلك من قضاء حاجاتنا اليومية انما يتم عن طريق (العقد) ولذلك اهتمت كل الأنظمة القانونية بتنظيم أحكام العقد لتحقق أكبر قدر من الطمأنينة والاستقرار للمعاملات كل حسب وجهة نظره .

وبمراجعة الشرائع الوضعية نجد أنها تعرف العقد : بأنه اتجاه الارادة

الى احداث أثر قانونى معين يتم كنتيجة مباشرة لها ويقسم الفقهاء العقود من ناحية طريقة انعقادها الى ثلاثة أنواع: عقود رضائية : وهى التى تعقد نتيجة تلاقى الارادتين أيا كانت وسيلة التعبير عن الارادة أما اذا اشترط القانون صياغة التعبير عن الارادة فى شكل معين كما لو تطلب التعبير عن الارادة كتابة أمام موظف عمومى مختص مثلا فان العقد هنا يكون عقدا شكليا كعقد الهبة فى القانون المصرى وأما اذا كان يكتفى القانون بالتنفيذ الفعلى دون حاجة الى التعبير اللفظى عن الارادة كما فى بعض صور البيع فان العقد هنا يتم بالتسليم (تسليم المشترى الثمن للبائع وتسليم البائع الشىء المبيع للمشترى) ويعتبر عقدا عينيا •

وباستقراء أحكام هذه الشرائع أيضا نجد أنها تعالج ناحيتين الناحية الأولى هى كيفية انعقاد العقد ، والثانية هى كيف ينعقد العقد صحيحا ليكون له القوة الملزمة لعاقديه والتى يكفلها النظام القانونى الذى يخضع له العقد •

ويقول فقهاء القوانين الوضعية فى ذلك : أن للعقد أركانا ثلاثة هى : التراضى ، والمحل، والسبب اذتخلف أحدها لم يكن هناك عقد ويعبرون عن ذلك بأن العقد فى هذه الحالة يكون باطلا بطلانا مطلقا •

والى جانب هذه الأركان الثلاثة يجب أن تتوافر الأهلية فى العاقدين وأن تتوافر أيضا سلامة الارادة من العيوب وتوافر الأهلية وسلامة الارادة من العيوب هما شرطان لصحة العقد وجزاء تخلف أحدهما هو قابلية العقد للابطال أو بتعبير آخر يكون العقد باطلا بطلانا نسبيا •

والفرق بين نوعى البطلان أن العقد الباطل بطلانا مطلقا لا يعتبر له وجود قانونى ولذلك يكون لكل من الطرفين عدم تنفيذه كما يجوز لغيرهم التمسك بهذا البطلان اذا ما وجد فى ذلك مصلحة له أما العقد القابل للابطال أو الباطل بطلانا نسبيا فانه يعتبر عقدا قائما وصحيحا من الناحية القانونية ولايستطيع أحد العاقدين الامتناع عن تنفيذه الا بعد صدور الحكم ببطلانه•

والتراضى معناه توافق ارادتى المتعاقدين على احداث أثر قانونى معين ويتم هذا التراضى بعرض يصدر من أحدهما يسمى بالايجاب وموافقة من الآخر على هذا العرض دون أدنى

تعديل تسمى بالقبول ويجب أن يصدر القبول والايجاب من شخصين متمتعين بالأهليـة اللازمة لابرام مثـل هـذا العقد •

والأهلية تنقسم الى نوعين • أهلية وجوب وهى مجرد صلاحية الشخص لاكتساب الحقـوق والواجبـات وهى تثبت لكل انســـان بمجرد ولادته • وأهلية أداء وهى القدرة على اكتساب الحقوق والالتزام بالواجبات أى مباشرة الأعمـــال القانونيـة ولما كانت هذه القدرة ليست واحدة بالنسبة للشخص فى مراحـل تطـــوره لذلك قـررت الشرائع المختلفة مراحل يكون فيهـا الانسان عديم أهلية الأداء (كما لو لم يبلغ سن السابعة وهى سن التمييز فى معظـم الشرائع) ومراحل يكون فيها ناقص هذه الأهليـة فيمتنع عليـه مباشرة بعض التصرفات القـانونية ، ومرحلة يصبح فيها كامل الأهلية بعد بلوغه سنا معينة حددتها بعض الشرائع بثمانية عشر عاما ، وحـددتها شرائع أخرى باحدى وعشرين عاما ، وشرائع ثالثة بخمسة وعشرين عاما فمتى بلغ هـذه السن أصبح فى مقـدوره ابرام جميع أنواع العقود • وبعد بلوغ هذه السن قد يعترض الانسان عارض من العوارض كالجنون أو العته أو السفه او الغفلة فيعود عديم الأهلية أو ناقصها حسب نوع العارض الذى يصاب به •

ولذلك فأول ما يشترط فى العقد هو صدور الايجاب واقترانه بالقبـول وأن يكون الايجاب والقبول صادرين من شخصين متمتعين بالأهلية اللازمة لابرام هـذا العقـــد • وقد اختلفت الشرائع الوضـعية فى معنى الايجاب والقبول الملزمين فى العقـــد ذلك أن الايجاب والقبول لابد أن يصدر تعبير عنهما ســواء كان هذا التعبير بالقــول أو بالكتابة أو بالاشـارة وهذا التعبير لابد وأن يكون تعبيرا عن ارادة حرة وخالية من كل عيب يشوبها فلا يكون هناك اكراه على صاحبها ، ولا تعاقد عن غلط أو تحت تأثير تدليس على صاحبها أو استغلال له وقد ذهب الفقه الغربى فى ذلك الى عدة مـذاهب ؛ فالقانون الفرنسى يعتنـــق ما يسمى بنظـرية الارادة الباطنة ، وهذه النظرية تقول: ان التعبير هو مظهر الارادة والثوب الذى ترتـديه والارادة هى أســاس الالتزام فى العقـد ، ومن ثم وجب التعويل على الجوهر لا المظهر ، وعلى الارادة ذاتها لا على التعبير عنها فـلا يكون للتعبير من أثر الا بقدر اتفاقه مع الارادة الباطنة •

فاذا اختلف التعبير عن الارادة الباطنة فالعبرة بالارادة الباطنة وعلى القاضى الوصول الى هذه الارادة الباطنة والكشف عنها والحكم بمقتضاها •

وعلى عكس ما تقدم نجد القانون الألمانى فهو لا يعتد الا بالارادة الظاهرة المعلنة ولا يعول على الارادة الباطنة الحقيقية ؛ وحجة الألمان فى ذلك أنه يستحيل التعرف على الارادة الباطنة • ولهذا الخلاف بين النظريتين نتائج عملية خطيرة ولنضرب مثلا لذلك : اذا وقع خطأ فى عبارة رسالة برقية أرسلها احد المتعاقدين للآخر فان العقد لا ينعقد وفقا للنظرية الفرنسية (نظرية الارادة الباطنة) بينما ينعقد ويكون ملزما للطرف الذى أخطأ فى عبارة الرسالة البرقية وفقا للنظرية الألمانية (نظرية الارادة الظاهرة) •

كذلك يختلف الحل بالنسبة لتحديد زمان ومكان انعقاد العقد ، وهما أمران يحددان القانون الذى يخضع له العقد لأن العقد قد ينعقد فى دولة ويتم تنفيذه فى دولة أخرى وكذلك تاريخ بدء تنفيذ العقد • فلو أخذنا بنظرية الارادة الباطنة فان العقد سينعقد بمجرد صدور القبول وقبل ابلاغ الموجب بالقبول أما اذا أخذنا بنظرية الارادة المعلنة فان العقد لا ينعقد الا ابتداء من الوقت الذى يعلم فيه الموجب بالقبول •

ويؤدى الأخذ بنظرية الارادة الباطنة الى التوسع فى فكرة الغلط عند التعاقد والسماح بابطال العقد فى حالات كثيرة على عكس نظرية الارادة الظاهرة • كذلك تتأثر نظرية (الصورية) أى ابرام المتعاقدين عقدا فى الظاهر على حين اتفاقهما على عدم وجود مثل هذا العقد حقيقة أو أن العقد الحقيقى بينهما له موضوع آخر كما اذا أبرما عقد بيع فى الظاهر واتفقا على أنه هبة أو أنه عقد صورى لا يقوم أحد الطرفين بتنفيذه تجاه الآخر • فاذا قلنا ان الارادة الحقيقية أى الارادة الباطنة هى التى يجب الاعتداد بها كان معنى ذلك عدم تنفيذ العقد الصورى والأخذ بالعقد المستتر أما اذا قلنا بالأخذ بالارادة الظاهرة أى الارادة المعلنة فان العقد الصورى يكون نافذا •

كذلك يبدو الفرق بين النظريتين عند عرض النزاع حول أى عقد على القضاء فتبعا لنظرية الارادة الحقيقية

أو الباطنة يجب على القاضى أن يبحث عن ما قصده المتعاقدان حقيقة بصرف النظر عن ألفاظ العقد أما اذا أخذنا بالارادة الظاهرة أو المعلنة فان القاضى يلتزم فى تفسيره للعقد بألفاظ العقد لا بما قصد اليه المتعاقدان •

ومن ذلك يتبين أهمية الأخذ بهذه النظرية أو تلك ، والأثر الكبير لذلك فى تحقيق الطمأنينة والاستقرار والثقة فى المعاملات •

واذا ما انتقلنا بعد ذلك الى تحديد وقت انعقاد العقد وهو أمر له أهمية فى عدة نواح فتحديد وقت انعقاد العقد هو الذى يحدد القانون الذى يحكم شروط انعقاد العقد وصحته وهو القانون السارى وقت انعقاده حتى لو صدر بعد ذلك قانون جديد يعدل فى تلك الشروط • وبتحديد وقت انعقاد العقد يتحدد الوقت الذى تبدأ فيه آثاره (تنفيذه) وتحديد وقت انعقاد العقد يحدد مكان انعقاده وهو المكان الذى يتم فيه اقتران ارادتى الطرفين • ولتحديد مكان انعقاد العقد أهمية كبيرة فى تحديد القانون الذى تطبقه المحكمة التى يرفع اليها النزاع فى المعاملات الدولية وذلك نظرا لاختلاف القوانين التى تحكم العقد من دولة لأخرى فبعض الدول تخضع العقد لقانون محل ابرامه ، وبعضها يخضعه لقانون محل تنفيذه ، وبعضها يخضعه لقانون جنسية المتعاقدين أو موطنهما ، وبعضها يخضعه لقانون الدولة التى تتبعها المحكمة التى رفع اليها النزاع ••• الخ •

وفى تحديد وقت انعقاد العقد نجد أيضا عدة نظريات سادت الفقه الغربى أولى هذه النظريات هى نظرية اعلان القبول وتبعا لها يتم العقد بمجرد صدور القبول فمتى صدر القبول مطابقا للايجاب تم العقد بصرف النظر عن تاريخ علم الطرف الآخر (الموجب) بالقبول ويظهر أثر ذلك جليا فى العقود التى تتم بالمراسلة •

وثانى هذه النظريات نظرية تصدير القبول فهذه النظرية لا تكتفى بصدور القبول أو اعلانه بل تستلزم ارساله أى تصديره بصفة قاطعة كارساله بالبريد أو ايداع البرقية فى مكتب التلغراف أو غير ذلك من وسائل المراسلة فهم يقولون ان هذه الواقعة المادية وهى واقعة تصدير القبول واقعة يسهل اثباتها وتدل على القبول بصفة قاطعة ويحسن أن نربط بها وقت انعقاد العقد •

وهناك نظرية ثالثة هي نظرية تسليم القبول وتبعا لها لا ينعقد العقد الا بتسليم الموجب للقبول أى بوصوله اليه حتى يمكن القول بأن هذا الوصول أصبح نهائيا ولا يمكن استرداده وذلك لمواجهة الضرورات العملية وحتى لا يمكن للقابل بعد التسليم سحب رسالته المتضمنة للقبول أما النظرية الرابعة فى هذا الصدد فهى نظرية العلم بالقبول وهى تذهب الى أن الارادة لا يمكن أن تنتج أثرها الا من وقت علم من وجهت اليه بها وعلى ذلك فان توافق الارادتين لا يتم الا من وقت علم الموجب بالقبول • ويؤخذ على هذه النظرية أن علم الموجب بالقبول أمر شخصى يتم فى غيبة القابل ،ولا يمكنه اثباته ويستطيع الموجب الذى تسلم الرسالة المتضمنة للقبول أن ينكره بتعمده عدم فتح هذه الرسالة ؛ ولذلك رأى أنصار هذه النظرية القول بأن هناك علما افتراضيا وهناك علما حقيقيا وأنه يكتفى بالعلم الافتراضى وهو أن مجرد وصول القبول الى محل الموجب يعتبر قرينة على العلم بالقبول ولكنها قرينة قابلة لاثبات العكس فلو ادعى الموجب مثلا أنه لم يعلم بالقبول رغم وصوله اليه وأمكنه اثبات ذلك فان العقد لا ينعقد فى هذه الحالة •

هذه هى النظريات التى قيلت فى كل من الايجاب والقبول والتى أخذت التشريعات السائدة حاليا بها كل دولة وفق ما ارتأته محققا لاستقرار التعامل بها وهذه النظريات تبدو آثارها بالنسبة للتعاقد بالمراسلة أما بالنسبة للتعاقد ـ بالتليفون ـ فانه يعتبر تعاقدا بين حاضرين فيما يتعلق بزمان انعقاد العقد أما بالنسبة لمكان انعقاد العقد فهو يتحدد تبعا للنظرية التى يأخذ بها التشريع الذى يحكم انعقاد العقد فلو أخذ بنظرية اعلان القبول كان مكان انعقاد العقد هوالمكان الذى تحدث فيه القابل ـ بالتليفون ـ ولو أخذنا بنظرية العلم بالقبول كان هو المكان الذى تلقى فيه الموجب المكالمة التليفونية التى احيط فيها علما بالقبول •

كذلك قد يتم التعاقد بما يسمى بطريقة (العربون) وهو عبارة عن دفع أحد المتعاقدين مبلغا نقديا الى المتعاقد الآخر وقت انعقاد العقد ويقوم العربون باحدى الوظيفتين حسب تحديد المتعاقدين له فقد يقصد بالعربون تأكيد انعقاد العقد وضمان

جديته وتنفيذه فيعتبر جزءا من قيمة العقد ففى عقد البيع مثلا يعتبر العربون جزءا من ثمن البيع يخصمه البائع مما هو مستحق على المشترى فاذا لم ينجز المشترى البيع وحكم عليه بالتعويض خصم العربون المدفوع من قيمة التعويض المحكوم به • وقد يقصد بالعربون أن يكون وسيلة للعدول عن تنفيذ العقد وفى هذه الحالة يفقد من دفع العربون قيمة ما دفعه اذا عدل عن العقد ويلتزم الطرف الآخر برد العربون ومعه مبلغ مماثل اذا كان هو الذى طلب العدول عن العقد فالعربون فى هذه الحالة يعتبر ثمنا للعدول من أى من الطرفين •

وقد اختلفت الشرائع فى دلالة العربون بين هذين النظرين اذا لم يتبين القاضى قصد المتعاقدين فالبعض منها يرجح دلالة العربون على انعقاد العقد ، ومن هذه الشرائع القانون الألمانى ، والقانون السويسرى ، والقانون البولونى ، ومنها ما يرجح دلالة العربون على أنه ثمن للعدول ومن هذه الشرائع القانون الفرنسى والقانون المصرى والقانون اللبنانى •

وحتى يكون التراضى منتجا لأثره فى تكوين العقد وصحته لابد أن يكون سليما وخاليا من عيوب الرضا • وعيوب الرضا أربعة هى : الغلط والتدليس ، أو الغش والاكراه أو الخوف والاستغلال او الغبن •

والغلط هو : أن يعتقد أحد المتعاقدين بوجود واقعة معينة على خلاف الحقيقة ولو كان يعلم بالحقيقة لما أقدم على ابرام العقد ومثاله : أن يقدم شخص على شراء شيء معتقد أنه من الذهب الخالص ثم يظهر له بعد ذلك أنه من معدن مذهب •

أما التدليس أو الخداع : فهو ايهام الشخص بأمر مخالف للحقيقة بقصد حمله على التعاقد فالغلط وهم تلقائى قام فى نفس المتعاقد ودفعه الى التعاقد أما التدليس فهو وهم غير تلقائى وانما نشأ من تدليس وغش الطرف الآخر أو غيره باستعماله وسائل من شأنها أن جعلت فى ذهن المتعاقد صورة تخالف الواقع •

أما الاكراه أو الخوف : فهوضغط يتعرض له أحد المتعاقدين نتيجة التهديد يولد فى نفسه رهبة تدفعه الى التعاقد فالمكره هنا مخير بين أن يقع به

الأذى المهدد به وبين أن يوقع العقد ولذلك يختار أهون الضررين وهو توقيع العقد وهذا النوع من الاكراه يطلق عليه الاكراه المعنوى ويعتبر عيبا فى الرضا على عكس الاكراه المادى الذى ينتزع الارادة عنوة لا رهبة وخوفا ولذلك ففىهذه الحالة ينعدم الرضا تماما بينما فى الحالة الأولى (الاكراه المعنوى) يكون الرضا موجودا ولكن معيبا •

أما الاستغلال أو الغبن فهو : عبارة عن عدم التعادل بين ما يقدمه كل متعاقد فى العقد وما يأخذه وقت ابرام العقد كما لو باع شخص شيئا قيمته ألف جنيه بثمن قدره مائة جنيه فقط•

وتتفاوت الشرائع الوضعية فى تحديد الشروط التى يعتبر بها كل عيب من هذه العيوب متوافرا كما تتفاوت فى شروط اثبات هذا العيب وكذلك تختلف فى تقرير الجزاء المترتب على هذا العيب فبعضها يجعل العقد باطلا بطلانا مطلقاوبعضها يجعل العقد قابلا للابطال أى صحيحا حتى يحكم القضاء بابطاله كذلك تتفاوت الشرائع الوضعية فى تحديد الوقت الذى يمكن لصاحب الارادة المعيبة رفع دعوى الابطال خلاله بل ويختلف التشريع الواحد فى تحديد هذه المدة بالنسبه لكل عيب علىحدة ولنأخذ مثلا التشريع المصرى فهو لا يقبل رفع دعوى الابطال بسبب الاستغلال أو الغبن اذا مضى على العقد سنة من تاريخ التعاقد بينما تصل هذه المدة الى ثلاث سنوات بالنسبة لعيوب الغلط والتدليس والاكراه • وبينما يرى التشريع المصرى (المادة ١٢٩ من القانون المدنىالمصرى) والتشريع السويسرى (المادة ٢١ من قانون الالتزامات السويسرى) أنالاستغلال يكون جزاؤه امكان ابطال العقد اذا رفعت الدعوى خلال سنة من التعاقد نتيجة لاعتباره مجرد عيب فى ركن التراضى نجد على عكس ذلك القانون الألمانى الذى يعنيه أمر مختلف عن ذلك كل الاختلاف فلا يعتبر الأمر مجرد عيب فى الرضاء ولكن يعتبر الاستغلال أمر ينطوى على أمر مخالف للآداب ويجعل الجزاء عليه البطلان المطلق (المادة ١٣٨ من القانون المدنى الألمانى) •

والركن الثانى من أركان العقد هو ركن (المحل) •

ومحل العقد هو العملية القانونية التى يراد تحقيقها عن طريق التراضى

فلكل عقد محل ينصب عليه التراضى ولا يتصور أن يكون هناك عقد بدون محل ففى عقد البيع مثلا يكون محل العقد هو البيع والشراء أى نقل ملكية الشيء المبيع من البائع الى المشترى فى مقابل الثمن الذى يدفعه الأخير فيكون محل التزام البائع هو تسليم المبيع ومحل التزام المشترى دفع الثمن •

وتشترط كافة الشرائع الوضعية أن يكون محل العقد لا يحرمه القانون ويعبرون عن ذلك بألا يكون مخالفا للنظام العام أو الآداب العامة •

والنظام العام والآداب العامة هما من الأفكار النسبية والمتطورة بمعنى أنهما يتأثران بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية السائدة فى المجتمع ولفكرتى النظام العام والآداب العامة السيطرة الكاملة فى تحديد ما هو ممكن التعاقد عليه وما لا يجوز التعاقد عليه فى كل دولة من الدول وهى أساس تباين واختلاف الشرائع الوضعية وكل ما ينشأ من مشاكل قانونية وهى العقبة الكبيرة أمام توحيد قوانين الدول المختلفة فمثلا كل تعاقد متصل بالخمور أو ألعاب القمار يعتبر باطلا بطلانا مطلقا فى تشريعات بعض الدول بينما يعتبر ذلك صحيحا فى دول أخرى كثيرة •

ونظرا لأن محل العقد لا يمكن تحقيقه الا عن طريق انشاء التزامات على عاتق كل من الطرفين أو أحدهما حسب موضوع العقد والغاية منه • لذلك فقد نصت التشريعات المختلفة على شروط معينة يجب توافرها فى محل كل التزام وهو الأداء الذى يلتزم به كل من الطرفين وهذا الأداء قد يكون تسليم شيء من الأشياء أو القيام بعمل من الأعمال (كعقد العمل) أو مجرد الامتناع عن القيام بعمل من الأعمال (كما لو باع شخص متجره واشترط المشترى عدم فتح البائع لمحل آخر من نفس النوع فى نفس المنطقة) • ففى الالتزام بتسليم شيء من الأشياء كما فى عقود البيع مثلا يشترط فى هذا الشيء أن يكون موجودا فعلا أو على الأقل قابلا للوجود وأن يكون معينا أو قابلا للتعيين وأن يكون داخلا فى دائرة التعامل فلا يمكن لأحد أن يبيع شيئا قد حرم القانون الاتجار فيه كما لو حرم القانون بيع الخمر والمخدرات مثلا ولا يمكن لأحد أن يبيع الأشياء

المخصصة لاستعمال الكافة كالشمس والهـواء والبحر (يجوز بيـع أجزاء منها بعد احرازها كالهـواء المضغوط مثلا) كما لا يجوز بيع الحقوق غير المـالية كالحقـوق السياسية وحقـوق الأسرة •

وأما اذا كان أداء كل من الطرفين أو أحدهما هو مجرد فعل من الأفعال فانه يشترط أن يكون هـذا الفعـل ممكنا فلا يكلف أحد بعمل مستحيل فى ذاته أى أن تكون هنـا الاستحالة مطلقة بالنسبة للكافة وليست بالنسبة للمتعاقد وحده فلو تعاقد شخص على أن يرسم لآخر صورة له فى حين أنه لا يستطيع الرسم فان الالتزام فى هذه الحالة لايكون التزاما بفعل مستحيل• كذلك يشترط فى الفعـل أن يكون مشروعا فلا يجوز لشخص أن يتعهد بارتكاب جريمة أو فاحشة أو زواج مسلمة بغير مسلم •

والركن الأخير من أركان العقد هو ركن « السبب » والمراد بالسبب: هو الغرض الذى يقصد المتعـاقد الى تحقيقه والذى دفعـه الى ابرام العقـد فعندما أشترى منزلا فقـد يكون سبب الشراء اسـتغلال هذا المنزل للسكن العائلى وقد يكون السبب هو استغلاله كناد للقمـار فسبب العقـد هو الباعث الدافع على التعاقد ويشترط أن يكون هذا الباعث مشروعا أى غير مخـالف للنظام العام والآداب العامة طبقا لوجهة نظرها حيث ما يعتبر مخالفـا للنظـام العـام والآداب العـامة فى دولة من الـدول قد لا يعتبـر كذلك فى دولة أخرى كما سبق أن أوضحنا فاذا كان سبب العقد (أى الباعث الذى حمـل المتعاقد على التعاقد) غير مشروع كان العقد باطلا بطلانا مطلقا •

هذه هى أركان العقد الثلاثة التى يجب توافرها لقيام العقد وهى :الرضى، والمحل ، والسبب ، وقد يـلزم فوق ذلك كما سبق أن ذكرنا ركن رابـع وهو : الشكل فى العقـود الشـكلية والتسليم فى العقود العينية فاذا تخلف ركن من هذه الأركان أو كان به خلل فالجزاء على ذلك هو بطلان العقد • وينقسم البطلان فى الشرائع الوضعية الى نوعين : بطلان مطلق ، وبطـلان نسبى •

والبطلان المطلق يعنى : أن العقد لم ينعقد ولذلك يجوز لكل من المتعاقدين عدم تنفيذه تلقائيا ويجوز لكل صاحب مصلحة من غير المتعاقدين أيضـا أن يتمسـك بهـذا البطـلان ولا يصح

للمتعاقدين العودة الى هذا العقد واجازته ليصبح نافذا حيث لا وجود له وعموما لا يكون للعقد الباطل بطلانا مطلقا أى أثر من الآثار •

أما العقد الباطل بطلانا نسبيا أو القابل للابطال فهو: من الناحية القانونية فى الشرائع الوضعية يعتبر صحيحا وينتج كل آثاره ولكنه يكون مهددا بالزوال متى طلب ابطاله الطرف الذى قرر القانون الابطال لصالحه فاذا حكم بالبطلان اعتبر العقد باطلا من يوم انعقاده وزال ما ترتب عليه من آثار فى الماضى فالعقد القابل للابطال أو الباطل بطلانا نسبيا يأخذ حكم العقد الصحيح الى أن يصدر حكم القضاء بابطاله فيأخذ بعد ذلك حكم العقد الباطل بطلانا مطلقا ، والعقد القابل للابطال تصح اجازته بنزول صاحب الحق فى طلب البطلان عن طلبه •

والبطلان المطلق يكون فى حالة عدم وجود التراضى وعدم توافر الشروط القانونية فى كل من ركنى المحل والسبب أما البطلان النسبى فيكون فى حالة صدور الارادة عن شخص غير أهل للتعاقد أو وجود عيب من عيوب الارادة السالفة الذكر وهى : الغلط والتدليس والاكراه والاستغلال • وقد حددت معظم التشريعات مددا مختلفة لسقوط الحق فى التمسك بالبطلان أو طلبه ويترتب على انقضاء هذه المدد سقوط الحق فى طلب البطلان بالتقادم ويترتب على ذلك زوال الخطر الذى كان يتهدد العقد ويصبح فى أثره كالعقد الصحيح تماما • ومتى انعقد العقد التزم كل من طرفيه بتنفيذ كل ما اشتمل عليه العقد من التزامات وهذا ما يعبر عنه بقاعدة « العقد شريعة المتعاقدين » فالالتزام الناشىء عن العقد له قوة الالتزام الناشىء عن القانون فلا يجوز نقضه ولا تعديله الا بارادة الطرفين أو للأسباب التى يقررها القانون والملاحظ فى العصر الحديث وفى معظم التشريعات كثرة تدخل المشرع بالاستثناء من هذه القاعدة فيصدر تشريع بتعديل الأجر أو الايجار أو الثمن الذى سبق الاتفاق عليه فى العقود ويلتزم المتعاقدين بتعديل التزاماتهما طبقا للقانون وتزداد درجة هذا التدخل من دولة لأخرى حسب مذهبها الاقتصادى كما تجعل بعض التشريعات للقضاء سلطة تعديل الالتزامات الواردة فى العقد متى أصبح تنفيذها مرهقا لأحد الطرفين

وذلك متى توافرت شروط معينة وهو ما يعرف حاليـــا بنظرية الظروف الطارئة •

والأصل أن يقوم كل متعاقد بتنفيذ ما التزم به عينـا فاذا باع شيئا التزم بتسليم نفس هذا الشىء فلا يعرض تسليم ثمنـه أو بديلا له فان لم يقم بتنفيذ التزامه عينا وطلب الدائن تنفيذ الالتزام بعينه وكان ذلك ممكنا أجبر المدين على التنفيــذ أما اذا لم يكن التنفيذ العينى ممكنا أو كان ممكنا ولم يطلبه الدائن ولم يعرضه المدين فلا يكون أمام القاضيالا الحكم بالتعويض عن عدم تنفيذ العقد وعلى المدعياثبات عدم تنفيذ الطرفالآخر لالتزامه بخطأ منه أى أنه لا يوجد سبب خارج عن ارادته (المـدعى عليـه) عاقه عن التنفيذ ، وعليه (المدعى) أن يثبت أن هذا الخطأ قد ترتب عليه ضرر أصاب المدعى من جراء عدم تنفيــذ التزام المدعى عليه ولا يكفى أن يكون هناك خطــأ وضرر بل يجب عـلى المدعى أيضا أن يثبت أن الضرر الذى أصابه كان بسبب الخطأ الذى ارتكبه المدعى عليه بعدم تنفيذه التزامه فى العقـد • ومتى أثبت المدعى وجود هذه العناصر الثلاثة استحق التعويض الذى تقدره المحكمة •وقد ذهبت بعض التشريعات الى استثناء (النقود) من قاعدة اثبات الضرر فقضت بأنه اذا كان موضـوع الالتزام دفع مبلغ نقدى وتأخر المدين عن الوفاء فليس على الدائن اثبـات الضرر وانما يمنح فائدة بنسبة معينـة يحددها القانون نظير التأخير •

واذا استحال على أحد طرفى العقد تنفيذ التزامه لسبب لا يد له فيـه فان العقد ينفسخ ويعـود كل متعـاقد الى الوضع الذى كان فيه قبل ابرام العقد وفسخ العقد فى هذه الحالة لا يتم الا باتفاق المتعاقدين أو بحكم القاضى •

هذه هى أهم أحـكام العقـد بصفة عامة وهى الأصل فى معظم التشريعات ولمـا كانت هـذه الأحـكاملا تصـلح لجميع أنواع العقود لذلك لجأت كثير مـن الشرائع الى التمييــز بين أنواع العقود المختلفة ووضع أحكام خاصة بها سواء كان أساس هذا التمييز هو موضوع العقد مثل عقد العمل وعقود ايجـار المســاكن ••• الخ أو كان أساس هذا التمييز هو أطراف العقـد فبعض الشرائع تضع الدولة فى مركز أفضل من مراكز الأفراد فى التعـاقد ولذلك ظهرت العقود الادارية والتى تبرم بين الدولة أو احدى الجهـات

التابعة لهـا وبين غيرها كذلك تضـع بعض التشريعات أحكاما خاصة للعقود التى تحرر بين التجار وبذلك ظهرت العقود التجارية ولهـا أحـكام خاصة تختلف عن أحكام العقود المدنية والتى تجرى بين الأفراد الذين لا يزاولون التجـارة من ناحيـة الاثبـات والمدد اللازمة لسقوط الحق بالتقـادم ومن ناحية بحث مشروعية السبب أو تجريد العقـد من سببه كمـا فى الأوراق التجارية كالكمبيـالات والشـيكات والسندات الاذنية .

بهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن الأسس التى يقـوم عليهـا التنظيـم القانونى للعقـد فى الشرائع الوضعية الحديثة وسنقوم فى العـدد القـادم بدراسة أسس التنظيم القانونى للعقد فى كل من القانون الاسلامى والقانون الانجليزى واجراء المقـارنة بين كل منهما وبين الأسس المتقدمة .

حسن حسب الله

نصيحة :

قال اقبال :

« أشد ما أثر فى حياتى نصيحة سمعتها من أبى : يا بنى اقرأ القرآن كأنه نزل عليك » .

الإسراء والمعراج

للأستاذ محمود محمد بكر هلال

نور من الله العلى سمابه
وسرى فكان الروح ظل ركابه

أسرى به مولاه فى غسق الدجى
فشأى البدور وكن من أترابه

هبوا صباحا يسألون عن السرى
يتهامسون : من الذى أسرى به ؟

قيل : الملائك والبراق وقدرة
جعلت وجود الكون من أسبابه

هى منحة رب السماء أفاضها
نال النبى بها جزيل رغابه

نور تجسد للرشاد وللهدى
ملأ الوجود الرحب من آدابه

والله سخر للنبى عوالما
ما كان يغلبها سوى أحبابه

أخذوا البراق من البروق لأنه
برق سرى بين الورى وهضابه

فرأى النبى من الحياة عجائبا
حازت لديه منتهى اعجابه

ألفى فئات يحصدون زروعهم
فيعود غرسا ناضرا لشبابه

سأل الأمين : فقيل : قوم جاهدوا
فى الله أعطاهم جزيل ثوابه

وأتى على قوم تهشم هامهم
بالصخر يصليهم أليم عذابه

من هؤلاء ؟ فقيل قوم فرطوا
تركوا الصلاة فعمهم بعقابه

وهناك فى البيت المقدس أقبلت
زمر الهداة وجمعت برحابه

تخذوا رسول الله مصباح الهدى
علما يؤم الناس فى محرابه

لا غرو أن تسمو الى هام العلا
تسرى كما يسرى السنا بسحابه

قد كنت انسانا ولكن من هدى
وسنا وكان الوحى ظل ركابه

ونشأت فى ظل الهدى مترفعا
عن زخرف الدنيا وعن أربابه

نقيت من كدر الحياة وزورها
وعزفت عن كأس الهوى وشرابه

وصدفت عن لهو الشباب فلم تكن
يوما وان أغراك من طلابه

وحملت أعباء الحياة فلم تهن
وسخرت من عنت الزمان وصابه

خلق كأن الزهر من نفحاته
عبقت أزاهره على أصحابه

صيغت من الأدب الرفيع خلاله
فالطهر والآداب ملء اهابه

من كان مثلك فى السمو وفى الهدى
قالت له الأفلاك • يا مرحبى به

فلأنت نجم أطلعتك عناية
ماذا يصد النجم عن آرابه ؟

هل فى سرى نجم الى أفلاكه
فى الليل ما يدعو الى استغرابه ؟

هل كان من عجب وأنت سنا الورى
معراجك السامى الى أبوابه ؟

قد كنت أشبه بالهواء اذا سرى
بين السماء وطار بعد حجابه ! • !

محمود محمد بكر هلال

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● شخصيات عسكرية اسلامية :

للاستاذ محمد فرج

هذا الكتاب الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة دراسة على جانب من الأهمية تقع فى أكثر من ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير ، قدم لها السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ، وفضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .. والمؤلف الكاتب العسكرى المتخصص ليس فى حاجة الى التعريف فله فى المكتبة العربية والاسلامية والأدبية أكثر من أربعين كتابا جلها فى تاريخ العسكرية الاسلامية ..

وقد اختار المؤلف لهذه الدراسة شخصيات عسكرية خمسة لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الفتوحات الاسلامية ، باخلاصها وتفانيها وقيادتها الرشيدة لجند المسلمين ، وهذه الشخصيات هى : على بن أبى طالب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبى وقاص ثم المثنى بن حارثة ...

والحق أننا بحاجة دائما الى ابراز الصفحات المشرقة من تاريخ القادة العسكريين المسلمين ، فمما يدعو الى الأسف ـ كما يقول المؤلف : أن الناس فى العصر الحديث أصبحوا يعرفون عن نابليون ومونتجمرى وروميل وغيرهم من قادة الحرب أكثر مما يعرفون عن خالد وعمرو والمثنى وعلى وجعفر وزيد بن حارثة وسعد ابن أبى وقاص وغيرهم من قادة الاسلام الأمجاد الميامين ..

ان المؤلف يقدم لنا هذه الشخصيات القيادية التى لمعت فى تاريخ الاسلام ، فى دراسة تحليلية فى اطار من وجهة نظر موقفهم كقادة عسكريين ، وأسلوبهم فى ميادين القتال ، ثم يزن أعمالهم بميزان الفكر العسكرى الحديث ، لتحديد مكانتهم بين قادة

الحرب على طول العصور ، حتى هذا العصر الذى نعيشه والذى برزت فيه أسماء عسكرية كان لهـا دوى ••

منهج اختـاره المؤلف ، والحق أنه منهج غير تقليـدى ، فنحن فى حاجة الى دراسـة تحليلية للشخصيات العسكرية القيـادية من رجـالنا ، للوقوف على مفاتيح شخصياتهم فى الجانب العسكرى ، ولسنا فى حاجة الى السرد التاريخى الذى امتـلأت به بطون المراجع القديمة والحديثة •• نحن نلاحظ مثلا أن الشخصيات التى اختارها المؤلف لدراسته ، نالت حظا غير قليل من الكتابة عنها فى كتب أو مقالات ، وهذا مما يجعل مهمة الكاتب الذى يكتب عنها ، مهمة شاقة مضنية ، اذ يتحتم عليه أن يأتى بجديد ، والا كان مكررا فحسب •

لذلك كنت أتمنى لهذه الدراسة أن تنال نصيبا أكبر من البحث المقـارن ، فالهدف من الدراسة أن نقول لشبابنا المفتـون بأمثال نابليـون وغيره: هؤلاء رجالنا ،لم يكونوا أقل منهم فى العبقرية العسكرية مع الفـارق فى الظروف والامكانيات ، لكن المؤلف فى سيرة خالد عقد بعض المقـارنات بينه وبين بعض قادة أوربا العسكريين ، وهـذا ما لم يفعله مع غيره ••

كذلك أراد المؤلف ـ كما جاء فى مقدمته ـ أن يكون فى لقـائه مع هذه الشخصيات بعيدا عن التعرض لحياتهم ناظرا الى هذه الحياة من وجهة نظر موقفهم كقادة عسكريين ، وأسـاليبهم فى ميادين القتال •• ومع هـذا نرى المؤلف قد اضطر اضطرارا الى بعض التحلل من هذا الالتزام ، وربما كان يرى أن فى تسليط بعض الأضواء على جوانب الحياة غير العسكرية مما يسهم فى تحليل شخصياتهم القيادية ••

وبعـد ـ فنحن مع تقـديرنا لهذه الدراسة الممتعـة ، نود لو أن كتـابنا العسكريين ولا سيما أصحاب العقـائد والمبادىء ككاتبنا الأستاذ محمد فرج ـ أن يوجهـوا أقلامهم الى قيـادات عسـكرية اسـلامية أخرى لا تزال مغمورة فى بطـون التاريخ ، وهؤلاء من الكثرة بمكان ••

● معجزة القرآن :

للسيدة نعمت صدقى :

كتاب نشرته عالم الكتب بالقاهرة ، يقع فى زهاء ٢٢٠ صفحة من القطـع

المتوسط ، للكاتبة المسلمة الغيور حرم الدكتور محمد رضا ، التى قدمت للمكتبة الاسلامية عديدا من البحوث ، وأسهمت ولا تزال تسهم فى تنشيط الحركة النسائية الاسلامية.

ترى الكاتبة الفاضلة ـ وهذا هو هدفها من الدراسة ـ أن كتاب الله لا ريب فيه هدى للمتقين ، يبرهن بما فيه من اعجاز لغوى واعجاز علمى على أنه من لدن الحكيم الخبير ، وقد أشار الله فى كتابه الى أسرار علمية وعلوم فلكية وطبيعية ونباتية ، لم يكن يعرفها الانسان فى ذلك الوقت ولم يكشف العلم عنها الا فى القرن العشرين .. وهذا الكنز الثمين من اعجاز القرآن العلمى لابد أن يعرفه كل مسلم ، وأن يستنير به كل قلب .. قلب أى انسان فى الوجود ليؤمن بالقرآن وخالق السموات والأرض وما بينهما ..

جالت بنا المؤلف جولات طيبة ، حول الأرض : دورانها ، الجاذبية ، وحول الغلاف الجوى والجبال ، والمادة ، وحول الغرائز ، غرائز النبات والجماد والانسان ، وصدق الله : وفى الأرض آيات للموقنين ، كما جالت بنا حول النفس البشرية : الخلقة ، والظلمات الثلاث ، والقلب والمخ وغير ذلك ..

ان الكاتبة تصر مثلا على أن قوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شىء انه خبير بما تفعلون » دليل قاطع على دوران الأرض ، وترفض آراء المفسرين الذين يرون أن الآية خاصة بيوم القيامة ، ومعنى ذلك أنه لا مجال لاقحامها فى مجال الاستدلال العلمى ، فالله يقول : « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » ، فالآية التى قبل الآية المشار اليها : « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله » فالمؤلفة ترى أن هذا الانتقال من الدنيا الى الآخرة وبالعكس ملموس فى كثير من آى الذكر الحكيم .. لكن ما رأى الكاتبة فى أن الآية التى بعدها : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » تؤكد ما ارتآه بعض المفسرين من أن قوله تعالى : « وترى الجبال ... فى مساق الحديث عن يوم القيامة ؟ واذا كان لنا من غير هذه الآية

آيات تشـــهد بدوران الأرض فلـم الاصرار على مخالفة المفسرين مثلا ؟

ان الكاتبـة لا تنقصهـا الشجاعة ، فقد أشارت فى مقدمتها الى غلو بعض الآراء فى التفسير العلمى للقـرآن ، وقد أشار الدكتـور أمين رضا نجـل الكاتبة فىتقديمه للكتاب : بأن القرآن ليس ســجلا مفصـلا لكل العـلوم والفنون •• وان تفسـير القرآن علم متطور ، وكل البحوث التى تظهر فى هذا المضمار ــ وانجاءت من مفسرين ومؤلفـين مختلفين ، تعتبر حلقـة فى سلسلة التطور هذه التى تسـير بنا الى فهم أدق وأعمق لكتاب الله ••

● حزب الله فى مواجهـــة حــزب الشيطان :

للمهندس وائل عثمان :

هذا الكتيب الذى نشرته دار نهضة مصر بالقاهرة يقعفى زهاء مائة صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف الشاب من طلائع الشبابالجامعى الذى أسهم فى حركة الجمـاعات الدينية ــ ولا يزال يسهم ، باخلاصه وجهده ••• والكتيب يتحدث عنه عنـوانه القوى ، ومن كلمات المؤلف التى أودعها آخر صفحة من الغـلاف : « مأسـاتى أننى جئت فى عالم يسيطر عليه أعداء الله •• لو كان جيلنـا يؤمن بالله حقـا ، لطـالب بحكمـة ولدافع عنه وسـعى لاقـامته •• لعـل أعنف ضربة توجه للاسلام الآن •• هى محاولة ابعـاده عن الحكم ، أو بمعنى عصرى ــ فصل الدين عن الدولـة •• ان الاســلام لا يعترف الا بحزبين هما : حزب الله ••• وحزب الشيطان •

عرض المؤلف الشـاب : لعـــالم الحرية ، الحرية الحقيقيـة ، وزيف الحرية المطلقـة ، وللحيـــاة فى ظل الشيطان ، وللتطرف فى التحـريم ، ولانحراف الشباب ،وللمفاهيم الغريبة الشــاذة التى ســادت ، وناقش قضية فصل الدين عن الدولة ، وأجاب عن هذا التساؤل : هل منالممكن أن يقوم تحالف بين الاسلام ، وأى من اليسار أو اليمـين ؟ ان بعض اليســـاريين يتصورون أنمعالجة الاسلام لمشكلات الفقـر وتصـديه للدفـاع عن حرية الانسـان وعدم اســتغلاله أمر كاف لامكان قيـام تحالف بين الاســلام واليسار ، ومن ناحية أخرى يتصـور الاتجـاه اليمينى أن احترام الاســلام للملكية الخاصةكفيل بنجاح التحالف الاسلامى اليمينى ، وكلا التصـورين

خاطىء ، فليس اتفاق نظامين فى أمر من الأمور هو ضمان أكيد للتوافق بينهما فى العمل •• فهب أن اتحدت مصالح اليمين واليسار لمحاربة الاسلام ، فسيكون من المستحيل أن يكون هناك تحالف بين الاسلام وأى من اليمين أو اليسار ••

وتحت عنوان : حياتنا والطريق اليها •• فى نهاية الكتيب •• يشير المؤلف الى أن الحياة فى مجتمع مسلم تعنى الصلة بالله فى كل مظهر من مظاهرها •• وانه لا منجى من كل ما تعانيه البشرية الآن الا بتثبيت الصلة وأواصر الارتباط بالله •• والحياة فى ظل أحكامه ••

● مامعنى هذا التحدى ؟؟

فى الوقت الذى تتحدث كل وكالات الأنباء العالمية عن المذابح البشرية الدائرة فى مسلمى الفلبين ، تواصل جريدة الأهرام فى تحد وتبجح نشر صفحات بأكملها عن نهضة الفلبين ، هذه الصفحات الاعلانية تصف ماركوس الذى يقود معركة الافناء فىمسلمى الفلبين ، بأنه الانسان العادى الذى لا يقل سحرا وروعة عن ماركوس الزعيم ،وتصف كتابه : ثورة اليوم « الديمقراطية » بأنه منهاج يرتكز عليه برنامج المجتمع الجديد •

ان جريدة الأهرام ، ليس هدفها – فحسب – من نشر الصفحات الاعلانية عن الفلبين ، الحصول على الصفقات المالية ، وانما هدفها الجوهرى هو التحدى السافر لمشاعر المسلمين فى شتى بقاع العالم ، وليس هذا بغريب عليها ، ما دامت الماركسية والصليبية هما المسيطرتان علىاتجاهات الجريدة ، ولا تزالان بالرغم من أن رئيس تحريرها اليوم هو الكاتب المؤمن الأستاذ على حمدى الجمال •• وبالرغم من أن السيد الدكتور وزير الاعلام ممن لهم ماض معروف فى الحركة الاسلامية •• ولا حيلة لنا فى الأمر وحسبنا اللهوحده •

● قراءات :

« المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ بالحرص ، ويمنع بالشك •• وينفق

بالرياء .. والمؤمن يأخذ بالخوف ، ويمسك بالسنة ،وينفق لله خالصا فى الطاعة .. فاطلب نفسك فى أربعة أشياء : العمل الصالح بغير رياء .. والأخذ بغير طمع .. والعطاء بغير منة ، والامساك بغير بخل .. واذا أمرت الناس بالخير .. فكن أنت أولى به وأحق .. » .

« من كلمات حاتم الأصم » .

محمد عبدالله السمان

سطور من كتب التراث

عن (على بن رافع) قال : كنت على بيت مال على بن أبى طالب رضى الله عنه . وكاتبه . فكان فى بيت المال عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة ، فأرسلت الى بنت على بن أبى طالب فقالت لى أنه قد بلغنى أن فى بيت مال أمير المؤمنين عقد لؤلؤ . وهو فى يدك . وأنا أطلب أن تعيرنيه أتجمل به يوم الأضحى . فأرسلت اليها : عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام ؟؟ فأرسلت تتعهد بهذا . فدفعته اليها . ثم رآه أمير المؤمنين عليها فقال لها : من أين جاء لك هذا العقد ؟ فقالت استعرته من أبى رافع خازن بيت المال لأتزين به فى العيد ثم أرده .

فبعث الى أمير المؤمنين . فجئته . فقال : أتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ؟ فقلت : معاذ الله .فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير اذنى ورضاهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين انها بنتك . وسألتنى أن أعيرها العقد تتزين به فأعرتها اياه عارية مضمونة على أن ترده سالما الى موضعه . فقال : رده من يومك واياك أن تعود لمثله فتنالك عقوبتى . ثم قال : ويل لابنتى لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة لكانت اذن أول هاشمية تقطع يدها فى سرقة .

فبلغت مقالته ابنته فقالت له : يا أمير المؤمنين أنا ابنتك وبضعة منك . فمن أحق بلبسه منى ؟ فقال لها : يا بنت أبى طالب . لا تذهبين بنفسك عن الحق. أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزين فى مثل هذا العيد بمثل هذا ؟؟

فقبضته منها ورددته الى موضعه ؟

من (الكشكول) لبهاء الدين العاملى ص ٣٥٨

باب الفتوى

للأستاذ محمد أبو شادى

فتوى فى التعامل فى شهادات الاستثمار (ج)

السؤال من السيد / صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى مراقب عام الوعظ بالأزهر :

هل يجوز التعامل مع البنك الأهلى فيما يختص بشراء شهادات الاستثمار ذات الجوائز حرف (ج) ويكون المبلغ الذى يعطى كهبة من البنك لمن يختاره البنك بطريق القرعة حلالا شرعا •

الجواب

ان هذه المعاملة تتضمن ثلاث مراحل :

١ ـ ايداع مبلغ من المال لدى البنك يذهب المواطن الى البنك فيسلمه جنيها أو أكثر ويأخذ شهادة ذات رقم مسلسل عن كل جنيه مما يودعه ويلاحظ أن فى هذه المرحلة مظهرين هامين •

(أ) أنه لم يشترط فى الايداع ربح مطلق وبهذا المظهر يخالف النوع من الايداع جميع أنواع الايداع الأخرى ذات الفائدة فانهم يشترطون قدرا من الربح منسوبا الى رأس المال فهذا اما وديعة واما قرض وكلاهما جائز •

(ب) ان المبلغ المودع لا يضيع هو ولا جزء منه بحال من الأحوال ولصاحب الوديعة أن يستردها كلها أو بعضها متى شاء وبهذا المظهر خالف هذا النوع من الايداع القمار وأوراق اليانصيب •

٢ ـ ان البنك بعد أن يهب عددا محدودا من المودعين مقادير معينة من المال ولكنه لا يعين واحدا منهم •

٣ ـ أن البنك يعين العدد الموهوب له بواسطة القرعة الموثوق بها بضمانات معينة يطمئن اليها أهل الحل والعقد كما يطمئن اليها أهل الجمهور من المودعين وغيرهم •

وكل من الهبة والوعد بها أو الغرض جائز شرعا ولا شبهة فيه واستخراج الموهوب لهم من بين عدد أكثر منهم بواسطة القرعة جائز أيضاء

فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد السفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها اصطحبها فى سفره •

وأئمة المذاهب كلها يصورون قسمة المال المشترك بين أصحابه بأنها تكون عن طريق القرعة اذا اختلفت أصحاب الأقسام ، ولو أن رجلا وهب عشرة من مساكين قريته قدرا من المال ومساكين القرية أكثر من العشرة فانه يعينهم بنفسه أو بمن يختاره أو بالقرعة • ومن هنا نعلم أن هذه المعاملة جائزة لا غبار عليها لأنها مؤلفة من ثلاثة أعمال كل واحد منها فى ذاته جائز ولا شك أن المؤلف من الجائزات جائز •

والله تعالى أعلم •

س ٢ : رجل زرع قطعة أرض قمحا وما أنتجته هذه القطعة لا يفى بالحيازة المقررة عليه فمن أين يخرج زكاتها لأن الحيازة ستة أرادب منها الزكاة ، والله يقول : « آتوا حقه يوم حصاده » •

الجواب

الزكاة على ما خرج من الأرض ولا يخصم منه أى شىء ومؤنة نفقة الزرع لا يخرج منه وعليه أن يعرف قدر الزكاة التى عليه ويخرج قيمتها مالا والله أعلم •

س ٣ : تزوجت سيدة بالغة شخصا زواجا عرفيا وعاشرته معاشرة الأزواج لمدة شهر وبعد ذلك تركها لمدة ثلاث سنوات بدون نفقة أو معاشرة أو مراسلة ولم تعلم عنه شيئا خلال هذه المدة وبعدها تزوجت شخصا آخر زواجا عرفيا بعد أن أفتى لها أحد الناس بأنه لا مانع من زواجها • وهى تعاشره الآن معاشرة الأزواج وبعد مضى عام من زواجها الثانى ظهر الزوج الأول فجأة • وطلب منها معاشرتها كزوجة له لأنه لم يطلقها •

والمطلوب : ما حكم الزواج الثانى هل هو حاليا صحيح أم باطل ـ وهل

يستطيع الزوج الثانى الاستمرار فى معاشرتها معاشرة الأزواج دون أن يطلقها الزوج الأول .

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فنفيد بأن الزواج الثانى باطل لأن الأول لم يطلقها ويجب التفريق بينها وبين الزوج الثانى فورا ويصح للزوج الأول العودة اليها بعقد رسمى والله تعالى أعلم .

السؤال من السيد/محمد ابو شادى

١ ـ توفى رجل عن زوجه ، ابن ، جد لأب .

٢ ـ توفى رجل عن عمه شقيقة ـ وخالة شقيقة .

٣ ـ توفيت امرأة عن زوج ، ابن أخ شقيق ، ابن أخ لأب ، ابن أخ لأم فمن يرث وما نصيبه .

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد : فنفيد عن الأول للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث وللجد لأب السدس فرضا والباقى للأبن مقضيا .

عن الثانى : حيث أن المذكورين من ذوى الأرحام فيكون للعمة الشقيقة الثلثان والباقى وهو الثلث يكون للخالة الشقيقة .

وعن الثالث : بأن للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث والباقى لابن الأخ الشقيق مقضيا ولا شىء لأبن الأخ لاب لحجبه بابن الأخ الشقيق كما لاشىء لابن الأخ لأم لأنه من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عن أصحاب الفروض والعصبيات والله تعالى أعلم .

محمد أبو شادى

أنبــاء و آراء

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

● وزير الأوقاف وشئون الأزهر يعلن فى أول حديث له :

أعلن فضيلةالدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر - اثر توليه الوزارة- تحويل المساجد الكبرى فى المحافظات والمراكز الى معاهد شعبية للتثقيف والتعليم وتحفيظ القرآن ، وتزويد المساجد بمكتبات عامة تلبى حاجة جماهير المساجد الى الاطلاع والثقافة ، وتنقية كتب التفسير والحديث من الخرافات والاسرائيليات والأكاذيب ، وعقد دورات تدريبية للأئمة والخطباء لاعدادهم لأداء مهمتهم على الوجه الأكمل ، ورفع مستواهم أسلوبا وموضوعا ومادة ، لتعبئة القوى الروحية للجماهير وتبصيرهم بما يمليه الدين على كل مواطن من الاخلاص فى العمل ومضاعفة الانتاج من أجل خير ورفاهية الأمة .

● زيارة شيخ الأزهر للهند ويوجوسلافيا :

زار فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الهند بدعوة من سلطان البهرة هناك ، ورافقه فى هذه الزيارة وفد من كبار علماء الأزهر ، يضم : فضيلة الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر السابق ، وفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد خاطر مفتى جمهورية مصر العربية .

وحضر فضيلته والوفد المرافق له المؤتمر الاسلامى الذى أقيم فى بومباى بمناسبة وضع حجر الأساس لمعهد الدراسات العربية الاسلامية ، وافتتاح المسجد الكبير الملحق به احتفالا بذكرى المجاهد الهندى الراحل طاهر سيف الدين .

وافتتح فضيلته أثناء الزيارة معهد الدراسات العربية والاسلامية، ومسجد

بالسلطان طاهر سيف الدين ، والتقى بالجاليات الاسلامية هناك ، وألقى فى جامعة عليكره محاضرة عن الاسلام والوحدة .

كما زار فضيلة الامام الأكبر يوجوسلافيا ، وحضر احتفال تنصيب الشيخ نعيم حاجى الرئيس الجديد للمسلمين هناك ، وتفقد فضيلته أثناء الزيارة أحوال المسلمين فى يوجوسلافيا وزار المنشآت الاسلامية بدعوة من رؤسائها .

● صدور لائحة الأزهر :

صدرت اللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١ باعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ، وذلك بالقرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م .

وتتضمن اللائحة ٣٩٥ مادة عدا الملحقات والجداول ، وأعادت هذه اللائحة لشيخ الأزهر سلطاته على الأزهر وهيئاته .

ومن أهم ما جاء فيها :

(شيخ الأزهر هو الامام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الاسلام ، وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الاسلامية والعربية فى الأزهر وهيئاته) .

● شيخ الأزهر يؤكد عروبة القدس :

أكد فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر عروبة القدس فى بيان اعلنه عن القدس بعنوان : (عروبة القدس عقيدة وذمة فى أعناقنا) قال فيه :

(... ان القدس عربية خالصة ، جزء من وطن العرب ، محطة على الصراط العربى الممتد على ساحل البحر المتوسط من الرباط الى حدود الأناضول ..

ان النكبة التى ألمت بفقدنا هذا الجزء العزيز من وطننا الى حين توجب علينا أن نعمل على استرداده ، وأن نرد الى أهله الأمن والاستقرار والرخاء ، ونرد الى الأماكن السليبة كلها حريتها وأمنها ونطهرها من رجس الاستعمار وصنائعه جميعا ...) .

وختم فضيلته البيان بقوله :

(ان القدس تحت رعاية المسلمين صمام أمان لجميع ديانات أهل الكتاب وأن المسجد الأقصى لا يقل عن المسجد الحرام فى وجوب رعايته والحفاظ على قدسيته .

وأن على العرب أينما كانوا أن يتنبهوا الى مقدار التبعة الملقاه على عواتقهم فيعطوا من العزم والتصميم والعمل الجاد ما يتكافأ مع هذه التبعة، حتى يرضوا الله ويقدموا للتاريخ أسطرا فى صفحات كتابه تشهد لهم أمام الأجيال باستشعار الواجب واحترام المسئولين ورعاية حقوق الدين) •

● **فقيد الأزهر والاسلام :**

فقد الأزهر شيخا من شيوخه الاجلاء ، وفقد العالم الاسلامى اماما من أئمته الفضلاء ، وفقدت الأمة العربية عالما من علمائها البارزين ، وعملاقا من عمالقة الفكر هو فضيلة المرحوم الدكتور الامام عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر الأسبق ، وذلك فى غرة ربيع الثانى ١٣٩٥ هـ •

ودعه الأزهر وكبار رجال الدولة، وجموع غفيرة من المسلمين فى مشهد رهيب حزين ، ينم عن مكانة الرجل وهول الخطب فيه •

كان فضيلته من الرجال المعدودين الذين أنجبهم الأزهر ورباهم ، ومن علومه الخالدة نهل وشرب وارتوى ، ووصل الى التبحر فى العلم ، والريادة فى الفتوى ، وسداد الرأى فى الحكم وقوة الرد على خصوم الاسلام والمفترين عليه •

فهو خلاصة من خلاصات الآزهر، له ثقله ووزنه،تقلد كثيرا من المناصب وخرج كثيرا من الأجيال ، وألف كثيرا من البحوث والمؤلفات ، فهو العالم الباحث ، والفقيه المتمكن ، والامام الحجة ، وفيما يلى لمحات سريعة عن حياته الحافلة بالعمل والبحث والدراسة :

- ولد فضيلته عام ١٨٩٦م وحصل على شهادة العالمية ١٩٢٣ م والتخصص عام ١٩٢٦ م •

- عين بعد تخرجه مدرسا بالمعاهد الأزهرية ثم أستاذا بكلية الشريعة ، ثم اختير عضوا فى بعثة الأزهر الى فرنسا حيث حصل على الدكتوراه من جامعة السربون •

- اختير بعد عودته من فرنسا للتدريس بقسم القضاء الشرعى ثم مفتشا وشيخا بالمعاهد الأزهرية ، فعضوا للجنةالفتوى بالأزهر ، وأستاذا فى كلية الحقوق جامعة عين شمس •

- حصل على عضوية جماعة كبار العلماء عام ١٩٥١م ثم اختير عضوا فى لجنة وضع الدستور عام ١٩٥٣م .
- عين شيخا للأزهر عام ١٩٥٤ م وبقى فى منصبه حتى عين وزيرا فى الاتحاد العربى عام ١٩٥٨م ثم اختير عضوا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٣م .

رحم الله فقيد الأزهر والعروبة والاسلام ، وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

● تبرع السعودية لكلية اسلامية فى اندونيسيا :

تبرعت المملكة العربية السعودية بمبلغ ٢٠ ألف دولار لكلية اسلامية فى بادانج بانجانج بسومطرة الغربية .

ومن الجدير بالذكر أن المملكة العربية السعودية قد تبرعت قبل ذلك بمبلغ ٩٨ ألف دولار لوزارة الشئون الدينية لتوزيعه على مختلف المؤسسات الاجتماعية الاسلامية والمؤسسات التعليمية فى اندونيسيا .

● كلية للحديث النبوى بالسعودية :

وافق المجلس الاستشارى الأعلى للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة على انشاء كلية خاصة بالحديث النبوى الشريف ووضع المناهج الدراسية لها .

● فى جامعة الأزهر :

أقامت جامعة الأزهر دورة تدريبية شملت جميع الموظفين الجدد الذين تم تعيينهم فى الآونة الأخيرة حسب قرار توزيعهم على المراقبات بالجامعة ونوع العمل الذى سيمارسونه .

ابراهيم حامد النويهى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٥

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

٩٠٠٢-١٩٧٥-٨٠٠٢

Once Aly gave his servant some money to buy two dresses of different prices. Aly took the cheaper of them and gave the better of them to his servant.

His good characters were evident and known to every one as well as his sageness, his eloquence and, his wide knowledge of Quran and Hadith (the prophert's Traditions). Aly is well known by the name of the (Caliph Imam) because of his wide knowlegde of the Quran explanation and Islamic culture and legislation. For all these and as he was a very good poet he esteemed every learned or wise man and every man of letters.

Here are some of Aly's reported sayings :

Knowledge is better than money.

You gaurds money but knowledge gaurds you.

Knowledge increases by practice whereas money decreases by spending.

Aly suffered much from that group called (Khawareg) and from the propaganda of Moawiya claiming the caliphate for himself after he had put his hand on Egypt governed by his relative Amr Ibn El As and in Syria governed by Moawiya himself who made himself caliph on both Syria and Egypt.

Aly was stabbed by a certain Khawareg called Ebn Molgem with a poisoned dagger.

He died at the age of 60 in Ramadan of the year 40 of Higra.

did not take heed to those who advised him to postpone the matter until further occasion. This resulted in the serious events that happened afterwards.

On the other hand he delayed in the investigation of Othman's murder and did not take an active part in this case in spite of his advisors consultation to arrest the criminals and bring them to justice. He said that the circumstances had changed and he would wait for the suitable condition to take the legal measures against the murderers.

Thus the country was divided into two parts and Moawiya pretended to be Caliph although there was Aly the legal caliph. Aly made Kufa in Iraq the residence of the caliphate instead of Medina in Arabia. His high post did not affect or change his characters or his conduct. He remained pious, straight, strict and godly. He considered and looked at every worldly matter as that would fade sooner or later. His dress was of the simple stuff, his food was also simple and his lodging was the same.

He used to go through the city market to control the prices and the traffic of sale and to be sure that there was no monopoly of any kind of goods or investment to the people.

He also uesd to distribute all the money in the treasury among the Muslims because he feared that he might die leaving some money and then would be brought to account at The Day of Judgment. If he heard any rumour about any official who invested his post and gained wealth, he would then send another trusted one to replace his predecessor who would be questioned about his past and present wealth.

Aly as a responsible ruler feared God and The Day of Judgment. He was the first Caliph who founded the police men to help him in keeping security and order. He did his best to avoid deliquency in any matter that belonged to the people. He was not a worldly man because he was sure that everything would fade and be useless whatever it lasted. He was satisfied with what he had. His satisfaction was seen clearly in his life, food, dress and lodging.

Hre are two examples :

His brother Okeil wished to obtain more money than what he used to take monthly. Aly told him that he would give him what he wanted when he would receive his share in the treasury, the next month. Okeil refused that, left his brother and went to his opponent Moawiya to have the extra money he wished.

various missions that needed diplomacy; ability and courage. Here is an example confirming that the propet sent Khaled Ibn El Waleed to Yemen to convey the Islamic message among the people. Khaled remained there six months with no result. As Khaled returned back to Medina, the prophet sent Aly to replace him. On his arrival the news spread everywhere and the people crowded in a large square. Aly read loudly the prophet's message. This resulted the Islam of Hamathan tribe in one day. The other tribes became Muslims gradually afterwards and so all the Yemen people became Muslims.

When the prophet heard the good news he thanked God and prayed a thank giving prayer. He appointed Aly Judge and Imam to teach the people the Islam principia and the Quran.

The prophet's death was a great loss to Aly, so he grieved him much. In spite of his grief, he carried out everything for the funeral. Aly was in a state of consolation and his grief for the prophet's death was conspicuous. Aly esteemed the prophet very much because he looked after him from childhood to manhood and was brought up in his house. So the prophet was to Aly as his kind father.

When the men of opinion and the wise held a meeting to choose a Caliph to the prophet, Aly did not care that matter. When Abu Bakr was elected Caliph, many people presumed that Aly did not approve that election because he had the wish to be in the Caliphate and that was the cause of his delay. That was not true because the prophet's death and his grief for him made him unable to join any public meeting. Aly explained that in a letter sent to Abu Bakr in reply to his message on that matter.

Both Abu Bakr and Omar loved and esteemed Aly much. They used to consult him on serious matters and appointed him in very important posts such as judge and counsellor.

When Omar was stabbed people feared that he might die without knowing the person who would be his successor. So the men of opinion begged Omar to tell them the name of the third Caliph. Omar mentioned some names, among them was the name of Aly.

Aly as a Caliph had the will to rule the country as the same way of the prophet; Abu Bakr and Omar. He did not observe that the status quo had changed and needed flexibility, diplomacy and a new way in ruling. He had to avoid any expectant opposition of the Omayades if he would dismiss any official of them. He dismissed Othman's relatives whom he had appointed during his Caliphate. Aly

Personages of Islam :

4.—ALY IBN ABI TALEB

By
A. MUHAMMAD AL-ASWAR

He is the prophet's cousin and the husband of his daughter Fatima Elzahra. He was the first lad who became Muslim and the first person who prayed with the prophet Muhammed. Also he was the bannerman in every battle and named the cavalier of Islam. Although he was courageous and a brave warrior, he had great knowledge of Islamic legislation and Quranic explanation.

Aly was an adoptive child to the prophet who loved him much. At the beginning of the Prophet's Call all the people did not believe in the new religion except Khadija the prophet's wife and his cousin Aly.

As Aly was brought up under the prophet's patronage he became acquainted with the Islamic principia and legislation and afterwards he became learned and jurist. He shared the prophet his life from childhood to manhood and saw clearly how much the prophet suffered at the hands of Koreish for his Call to Islam.

In both Medina and Mecca Aly was the prophet's right assistant and minister. At the age of twenty Aly took part in the battle of Badr and showed great courage and the prophet made him the bannerman, and so was the case in every battle afterwards.

Here is an example of Aly's boldness. In the Khaibar battle which was fierce the Muslims killed many jews but there was no decisive victory and the Muslims had to give great effort to overcome their enemies who were barricated in a fortress.

The prophet called Aly and gave him the banner. As soon as Aly took it he advanced towards the castle like a storm followed by the Muslim warriors. Aly struck the castle huge gate, pulled it down. The warriors rushed into the castle yard. Instantly a fierce clash broke out between the two bodies of battalions. The Muslims attacked the Jews violently and fought bravely till they defeated their enemies.

Indeed the battle is considered to be a great one . The fallen gate needed more than 50 strong men to put it back.

He gained the prophet's confidence and trust by his good characters and bravery and so Muhammed (peace be on him) used to consult him and send him in many

LIBERTY :

Liberty is a fruit of the Islamic understanding called for by the Holy Quran for true understanding could exist only between the free, there would thus be no master and slave, or victore and vanquished. All will be free and on equal footing since equality prevails only where all men are equal in freedom.

True liberty lies in the appreciation by a free man of the liberty of others as much as he appreciates his own liberty. Freedom does not conform with prejudice, or egoism. It represents one's control of oneself ; the first aspect of it being one's control of one's whims and prejudices. Freedom also is a social meaning that manifests itself in man's relations with others and his observing others' rights as much as he values his own. Freedom and egoism are perfect antitheses that never meet ; freedom accords with self-denial but not with selfishness.

In our contemporary times we come across leaders of peoples, who are described as free men and their peoples as free nations, but as a matter of fact let their prejudices control their attitudes towards others' own affairs. We see the world of to-day being dominated by the prejudices of rulers and of parliamentary councils, that contravene the judgement of free and straight minds. This as viewed by Islam, is nothing short of domination by whims over men's destinies; it has nothing in common with liberty.

Islamic rules governing human relations fully respect free creed. The Holy Quran has rejected compulsion as means of driving people to embrace a certain religion and forbidden the Faithful to compel anyone to adopt a creed. God said : "There is no compulsion in religion", and addressing the Prophet ordered him to forbid such compulsion in the words "Wouldst thou (Muhammad) compel men until they are believers ?"

Islam has further considered the persecution of a believer for his need as being worse than slaughter. God said : " ... sedition is worse than slaughter..." Fighting in Islam was permitted only as means of protecting religious freedom and preventing the persecution of the Faithful ; God having revealed ; "But fight them that there be no sedition".

But the freedom of religion could not be realised only through the ban of persecution ; it should stem from one's own self in that one's thought of the creed should be free and his judgement unrestricted by whims, or controlled by prejudices.

(to be continued)

with peace is far more beneficial than to attain it early with violence. God has called that peace a 'signal victory' in the words : "Lo ! We have given thee (O Muhammad) a signal victory, that Allah may forgive thee of thy sin that which is past and that which is to come, and may perfect His favour unto thee......".

This opened many hearts that had been sealed on infidelity. During the truce many of Quraish's talented leaders and staunch warriors embraced Islam including Amr ibn Al-Aas, the master-mind, and Khaled ibn Al-Waleed, the great hero. Quraish was unable in later years to launch any war on the prophet despite its haughtiness and bitter enmity. This tolerant peace was thus a significant victory.

But the incident of tolerance that soothed the hearts and guided them more was provided by the Prophet's acts in the wake of Mecca's invasion and the conquest of the infidels who had wanted to kill him, and turned him together with his companions out of their land. At his first meeting with Quraish after the great victory, the Prophet said, "What do you think I shall do with you ? They replied, "An honourable brother you are and the son of an honourable brother whereupon the tolerant and honourable Propeht said, "I would tell you what my brother Joseph had told his brethren : "Have no fear this day ! May Allah forgive you, and He is the most Merciful of those who show mercy".

This was the usual practice of the Prophet in all wars ; he treated hearts with pardon and forebearance instead of creating grudges by humiliation and revenge. A further example is provided by the war of Beni Al-Mostaleq. The Muslims had taken over one hundred of their houses and taken the people as slaves. The Prophet in a desire to render them favour, marreid Jawrieh, daughter of Al-Harith, and with every Muslim who held a prisoner releasing his captive, the whole people were set free. In this context Aisha said, "No 'woman has blessed her people more than Jawrieh ; through her one hundred Arab homes were liberated". The marriage had this tolerant act for its sole motive. It was prompted by no lustful ends as the mischievous and the ignorant would allege. If the Prophet had desired Jawrieh he would have owned her as a slave.

This is an example illustrating that tolerance was the policy laid by the Prophet to govern relations between men, a policy that healed wounded hearts in the wake of wars, for an injured heart should be treated rather than be left to fester.

goods. Struggle cropped up between the peoples and exploiters of their land. This, on the part of the vanquished, was a legitimate self-defence dictated by nature, and rendered incumbent by dignity, the just divine codes and the Muslim Religion which nurtures dignity and self-repect.

Examples are many of the Prophet's glorification of man, and the acts of his companions confirming such glorification are considerable. This was particularly the case in the times of Omar, on whom be God's peace.

There could be no just peace on this earth without respect for human dignity in every man and on every land irrespective of colour or race.

TOLERANCE :

Forbearance is only essential for the call of human understanding to bear fruit, and for hearts to meet without hostility. Islam has thus advocated dignified tolerance for it buids human relations among individuals, communities or states on tolerance without submission to evil. The Prophet has been ordered to show benevolent forbearance towards his enemies in God's words : "So forgive, O Mohammad, with a gracious forgiveness" meaning pardon with dignity and power without humility or submission.

The Prophet has also applied the principle of tolerance in his relations even with the infidels in his covenants and wars. It happened at the time of the Hodaybiah peace-treaty between him and the infidels that the Prophet was impeded to enter the Holy House for pilgrimage. The peace - treaty was permeated with gross injustice on the infidels part, and tolerance by the Prophet for they insisted on preventing him from performing the pilgrimage that year ; and he accepted the condition despite his powerful army that could have supjugated their land. They made it a further condition that whoever left Mecca as a Muslim following the Prophet and the Faithful should be turned over to them unless his people agreed to his departure and whoever left the Prophet as a renegade would be accepted by them. The tolerant Prophet likewise approved of this further condition against protestation by some of the Faithful, Omar Ibn Al-Khattab enquired at the time "why should we tolerate shameful deeds in our religion ?" But it was another instance of the Prophet's wisdom. He chose rather to be patient and tolerant to spare human blood. This act on his part was not of the nature of tolerating a shameful deed, but rather of Muslim foresight and guidance that urged patience in lieu of murder, and forebearance in the stead of violence. To achieve one's aim belatedly

HUMAN DIGNITY :

Several Quranic verses declare that God has entrusted the earth to man, that God, the Almighty, has consecrated the universe to his service, and bestowed on him such mental powers as would enable him to know things and means of putting them to good use.

God, stating the beginning of creation has said, "And He taught Adam all the names, then showed them to the angels, saying : Inform me of the names of these, if ye are truthful They said : Be glorified ! We have no knowledge save that which Thou hast taught us. Lo ! Thou only Thou, art the Knower, the Wise, He said : O Adam ! Inform them of their names, and when he had informed them of their names. He said : Did I not tell you that I know the secret of the heavens and the earth ? And I know that which ye disclose and which ye hide. And when we said unto the angels : Prostrate yourselves before Adam, they fell prostrate, all save Iblis. He demurred through pride, and so became a misbliever".

With such learned aptitudes whereby God enabled him to dominate all that exists on earth, man deserved angels' gesture in prostrating themselves before him, and was worthy of such dignity on earth. God has pronounced these honours in the words, "Verily We have honoured the children of Adam. We carry them on the land and the sea, and have made provision of good things for them, and have preferred them above many of those whom We created with a marked preferment".

A man is deserving of such honours in recognition of his humanity and not because he is white, urban, clutured or advanced. The honours are due for all the colours and all races ; it is a common privilege for all people ; urban beduin, advanced or backward ; an educated should teach the ignorant and advanced should help the backward.

Dignity, furthermore is a requirement of the code of mutual understanding and co-operation for it is not of co-operation that one man should be arrogant and another humable. True understanding and intercourse, both spiritual and pracitical, as well as co-operation will be best achieved where one helps another.

To make distinctions between peoples according to whether they are urban or beduin, or through colour or race is a fundamental cause of strife on this earth. Ever since human dignity was profaned and the strong men controlling world politics exploited the coloured and the underdeveloped, disputes have been raging between these exploiters over the control of such peoples as if they were coveted

stopped your going to the inviolable place of worship seduce you to transgress; but help ye one another into righteousness and pious duty. Help not one another into sin and transgression, but keep your duty to Allah. Lo ! Allah is severe in punishment."

The Prophet duly applied the principle of international cooperation on his arrival in Medina. He concluded a pact with the Jews based on cooperation for good, maintaining virtue and prohibiting evil. The Jews repudiated the pact, however, and in collusion with the infidals, plotted against the Prophet although the basis of that accord was to cooperate in the upholding of justice and the aversion of aggression.

The Prophet used to enter into pacts with the Arab tribes, both Muslim and otherwise, for the sake of good. Such action in contemporary times is termed "peaceful co-existence".

When the Prophet went on pilgrimage to the Holy Shrine in Mecca, escorted by a heavy force, Quraish tried to prevent him from his resolve. The Prophet, nevertheless, extended to them a hand of peace and rather than stirring a war or dispute, called for mutual respect of the Shrine. In this context the Prophet said, "If Quraish should call me to an act whereby the prestige of this shrine is enhanced, I will favourably respond to them".

The strongest forms of cooperation are those aimed at supporting the weak. The Prophet in his youth attended a rally of Quraish dignataries held in the home of Abdullah ibn Jodaan, at which they undertook to support the weak against the strong. The Faithful Prophet said of this rally, "I attended a meeting in the house of Abduallah ibn Jodaan which was considered a worthy mission. If I had been called to it in Islam, I would have responded to it".

The moment all men feel being one hand in exploiting the sources of wealth on earth and that they respond to each other in amity and co-operative spirit, the urge for dispute will disappear from among them, and the strife for existence as advocated by the oppressor will vanish. It was this strife that caused the world incalculable disaster with every people conceiving their existence to be the extinction of others.

Islam abhors strife for existence since Islam prescribes understanding and amicable response, both spiritual and practical as means of existence. It has therefore recognised human co-operation as the spring of life for it leads to construction and the promotion of love amongst men.

the ignorant as withholding his knowledge. The Holy Quran has cursed those who would not impart their knowledge. In this context Ali Ibn Abi Taleb on whom be God's blessing has said "The ignorant will not be asked why they have failed to learn until the learned have been asked why they cism, or Messenger of God, that wise nationalism is not a wise such have failed to educate".

Among the causes that would hinder equitable treatment and human understanding is unjust fanaticism and prejudice for one's tribe or country. The Prophet has thus prohibited fanaticism, saying that "He is not one of us he who advocates or fights with fanaticism".

But thus the prohibition of fanaticism imply the ban of patriotism ? It certainly empraces rationalism that engenders injustice ; otherwise nationalism is not wise such as in cases where fanaticism or patriotism would prompt its people to improve their conditions and promote their resources without aggression. Such sentiments in cases as these will be unmixed virtue for they will further the interests of humanity and prompt cooperation for good.

Some of the companions of the Prophet seeing him stronlgy prohibiting fanaticism and advising against it, asked "Is it of fanaticism, O Messenger of God, that a man should love his people ?", where upon the Prophet replied, "No ! but it is a fanatic of a man to support his people unjustly". The Prophet has also likened he who would support his people without just cause as a camel falling into a pit of fire.

This similie is only too perfect; is borne out by facts and events in modern times. The blind support now given by leaders and statesmen to their peoples and the backing of unjust causes helped such peoples devour others' land and exploit their resources, thus making hell of the whole universe. Hardly does God pur down a fire when mortals start another through their fanticism that would bring about the downfall of peoples.

HUMAN COOPERATION :

Cooperation is first and foremost among the forms of understanding, being the ultimate purpose of different races and colours. It is an aspect of intellectual intercourse in societies both big and small ; as well as practical understanding the human family.

God's saying, "Help ye one ano ther unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and transgression", was intended for the faithful of all mankind, and stressed the prohibition of aggression even on the cooperation with aggressors themselves. The whole text of the verse is "And let not your hatred of a folk who (once)

RULES OF INTERNATIONAL RELATIONS IN ISLAM

By

(LATE) SHEIKH MUHAMMAD ABU ZAHRA

The basis on which all the rules governing international relations in Islam are established, is the acquaintance of peoples with each other which is the ultimate purpose of their differences in race and dispersion in tribes.

EQUALITY

This acquaintance could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. For domination and the lust for power would set in wherever a party of higher standing and another of a lower rank acted together. Conflicts would also falre up in consequence, and man would harbour evil intentions towards his fellow men. Equal treatment is therefore expedient, a principle which the Prophet on whom be peace has called for in the words "Like for thy brother what you like for thyself ; and hate for him what you hate for thyself".

This saying applies to communities and states in the same way it applies to individuals for no distinction is made in the code of justice and equality between individuals and groups. What an individual is required to do is also expected from a community as represented in the State. Means of attaining this objective may differ since an individual is more easily persuaded than a group. Still the objective is one and the same whatever difficulties obstruct our path.

The colour of man's skin has been used as an argument to justify domination which has prejudiced chances of equal treatment to the detriment of peoples. The Prophet strongly fought against this conception. Once he heard a man scornfully calling another "Son of the Black Woman," whereupon the Prophet on whom be peace angrily said "this is gross injustice", repeating his words three times. He added that a son of a white woman can never be more favoured than the son of a black except through piety.

People of our contemporary times have also used ignorance as pretext for the domination of the civilised over those scientifically and culturally backward. The Muslim logic has fought such trends for it made it incumbent upon the learned to teach the ignorant and considered a learned man who would not teach

Muslims are deeply attached to this great spiritual and religious monument of Jerusalem for those golorious meanings, and are accustomed to give it due regard and care throughout the ages. The revernce paid to it by Muslims is not intended for worldly or an imperialistic aim. Their purpose is the propagation of the principles connected with this sacred spot as well as the principles of justice, right, freedom, and the establishment of peace and Concord under the aegis of the noble principles of the religion of God. Since the Islamic conquest, the Muslims have been, and are still keen to liberate and defend this Holy City against all aggressors. The Holy Prophet is quoted by Abu Huraira as saying : "Pilgrims' journeys are to be made only to three mosques : my Mosque, the Sacred Mosque and Al-Aqsa Mosque".

The Al-Aqsa Mosque was the first Qibla of Muslims and remained so far about 16 months after which the Prophet recieved the revelation of God to turn their faces in prayer (Salath) towards the Ka'ba. Thus we see that Jerusalem is closely connected with the history, the precepts, the most important events and the sacred things of Islam.

about his mission. They rejected his words and they drove him from the city ; and the rabble and the slaves followed, hooting and pelting him with stones. Wounded and bleeding footsore and weary he sat under the shade of some palm trees.

Such was the crucial condition of that period of the Prophet's mission when the most remarkable event of 'Night Journey and Ascension' took place. This miraculous journey was so arranged by Allah the Almighty for very good reasons ; It was intended to steady the Prophet in response to his prayers and supplications, as well as to foretell the beginning of a bright future to his mission.

Having returned to Mecca from these two journeys, the Prophet went to Quraish in the morning and told them the story. Some of them believed, and some disbelieved. When people went to Abu Bakr and told him the news, he said to them : "By God, if he says so, then it is true". He then headed for the Prophet and said : "O Prophet of Allah, have you told these people that you visited Jerusalem over night ?". The Prophet replied : "Yes. Then Abu Bakr, who had visited it before, asked the Prophet to describe it to him. Whenever the Prophet described anything Abu Bakr said : "That is True. I testify that you are the Messenger of Allah". On that blessed journey, the prayer which is the main pillar of the religion was ordained.

We find in the above mentioned quotations of the Quranic verses and the Traditions of the Prophet that Jerusalem is one of the holiest spots on the earth and dear to the hearts of all Muslims. This Holy City and its shrines remained under the care of the Muslims till Palestine was occupied by the British during the first world war in 1915.

As regards the significance of the prayer in Al-Aqsa Mosque, Anas ibn Malik related that the Prophet said : A Man's performance of prayer in his own house counts as one prayer, his prayer in the Mosque counts as twenty-five prayers. If he performs it in a congregational mosque, it counts as five hundred prayers. If he performs it in Al-Aqsa Mosque it counts as five thousand prayers, and if he does it in my mosque (at Madina) it counts as a fifty thousand prayers but if he performs it in Sacred Mosque (at Mecca) it counts as a hundred thousand prayers. The Prophet is quoted by Mymoonah, in reply to her question, if it was ordained for Muslims to travel to Al-Aqsa Mosque ; as saying : "Go to it and pray therein, otherwise send oil with which to light its lamp".

The Quraish and the enemies of the prophet were now alarmed that his preaching took serious revolutionary movement and their power and prestige were at stake. They accordingly decided upon an organised system of persecution. In spite of cruel persecution and threats, the little company of Muslims grew in number. It was then the enemies became actively hostile. At the season of the pilgrimage they posted men on all roads leading to Ka'ba, to warn the tribes against the Prophet who was preaching in their midst. In order to prevent the Prophet from his duty they tried to bring him to compromise, offering to accept his religion if he would so modify it as to make room for their gods as intersessors with Allah. They also offered to make him their king if he would give up attacking idolatory. His reply was, always, full of life and full of faith, saying : "I am neitherdesirous of riches nor ambitious nor of domination; I am sent by God who as ordained me to announce glad tidings unto you. I give you the words of my Lord. I admonish you ; If you accept the message I bring you, God will be favourable to you both in this world and the next. If you reject my admonitions I shall be patient and I leave God to judge between you and me".

The bitterness of idolatory was increased by the firmness of the Prophet and the refusal of his uncle Abu Talib to stop his protection to Muhammad (peace be on him). As well as by the conversion of Umar, one of their stalwarts. The Quraish were now decided to ostrasize the Prophet's whole clan and protectors. With that purpose they, in the seventh year of the mission, towards the end of 616 A.D., formed an allience against the descendants of Hashim and Muttalib. They bound themselves by a document which was deposited in the Ka'ba, to the effect that not to enter into any contract of marriage with the Hashimiytes or to buy and sell with them. Then, for three years the Prophet was shut up with all his kinsfolk in their stronghold in one of the mountain passes which run down to Mecca.

The tenth year of his mission is called in the history of Islam as the 'Year of Mourning' (Aam al-huzn) for loss of his venerable protector Abu Talib, and his cherished wife Khadijah. Thus the Prophet lost in Abu Talib the guardian of his youth who had hitherto protected him against his enemies as he lost in Khadijah his most encouraging companion.

With saddened heart, yet full of trust, he determined to turn to some other field to preach his mission. Accompanied by his faithful servant Zaid, he went to 'Thayef'. He spoke to the people

of Mecca to the 'Sacred Mosque' of Jerusalem', and thence he ascended to heaven. This event, known in the history of Islam as 'Al-Isra-wal-Mirag' الاسراء والمعراج – (the Night Journey and the Ascent), was a great miracle of the Prophet as well as good-news fortelling a victory of Muslims over their enemies. It also closely connected the Al-Aqsa Mosque of Jerusalem with the Sacred Mosque of Mecca. The Holy Quran refers to this event :

سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير .
(الاسراء ١)

It means : "Glorified be He Who carried His servant by night from the Inviolable Mosque (mecca) to the Farther Mosque (Jerusalem) the precincts of which We have blessed, that We might show him some of Our Signs. Lo ! He, only He, is the Hearer, the Seer". (S : XVII, V : 1) :

This Quranic verse refers to the Al-Aqsa Mosque as being closely connected with two very important occasions in Islamic history : the Night Journey of the Prophet from Mecca to Jerusalem, and his Ascent to Heaven. In the Night Journey Al-Aqsa Mosque was the termination and in the ascention it was the beginning. The two journeys closely related to God's missions to people, to the rise of the bright light of religious guidance and to the struggle of Apostles for worshipping One God the Creator of the Universe.

We have seen in the above Quranic verse that God has blessed precincts of Al-Aqsa Mosque. This blessing is manifested by religious and material appearances : being the place of worship of Prophets and their Qiblah, and being abundant in fertile soils, in Rivers and orchards. On his journey to Al-Aqsa Mosque, as it quoted in the tradition, the Prophet went past the Mount Sinai where God spoke with Prophet Moses and offered a prayer. He also went past the Bethlahem the birth place of Christ and offered a prayer there. Reaching Jerusalem he found Abaraham, Moses and Christ among a crowd of Prophets and led them in pray. Then he ascended to heaven where he witnessed some of the great Signs of his Lord.

It was, therefore, necessary that the celebration of the Night of Ascent should remind the Muslims all over the world the significance of this event in the history of the Islamic Call, and their connections with Mecca and Jerusalem, and their obligations to these holy places. For the first three years of his mission, the Prophet preached only to his family and to his intimate friends. At the end of the third year he recieved the Command of God to preach his mission in public.

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : ABDUL RAHIM FUDA

RAJAB 1395	ENGLISH SECTION	AUGUST 1975

THE MIRACULOUS JOURNEY OF THE PROPHET FROM MECCA TO JERUSALEM

By

DR. MOHIADDIN ALWAYE

The Sacred Mosque of Mecca was the first House of worship in history, built for mankind on the earth, as the Holy Quran says :

ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
وهدى للعالمين • (آل عمران ٩٦)

It means : "Lo ! The first Sanctuary appointed for mankind was that at Becca (Mecca) a blessed place, a guidance to the people" (3 : 96).

This mosque was rebuilt by Abraham and his son Ismael.

About Al-Aqsa the Quran says :

المسجد الأقصى الذى باركنا حوله

It means : "... Al-Aqsa Mosque, the precincts of which We have blessed......". Al-Aqsa Mosque was built by Jacob, renewed by David, and completed by Solomen. It is reported that Abu Dharr once asked the Prophet : "What is the first Mosque built on earth ? the Prophet answered : "The Sacred Mosque (of Mecca)". Which came next ? "Al-Aqsa Mosque (of Jerusalem)". How long was there between them ? "Forty Years". According to Imam Zarkashi, Solomen only renewed Al-Aqsa Mosque. It was Jacob, Issac's son, who established it after Abraham and Ismael had rebuilt the Ka'aba at Mecca.

The Night of 27th Rajab, in the 11th year of the Prophet's mission was a notable turning point in the history of Islamic Call. In that night the Prophet was carried from the "Sacred Mosque"